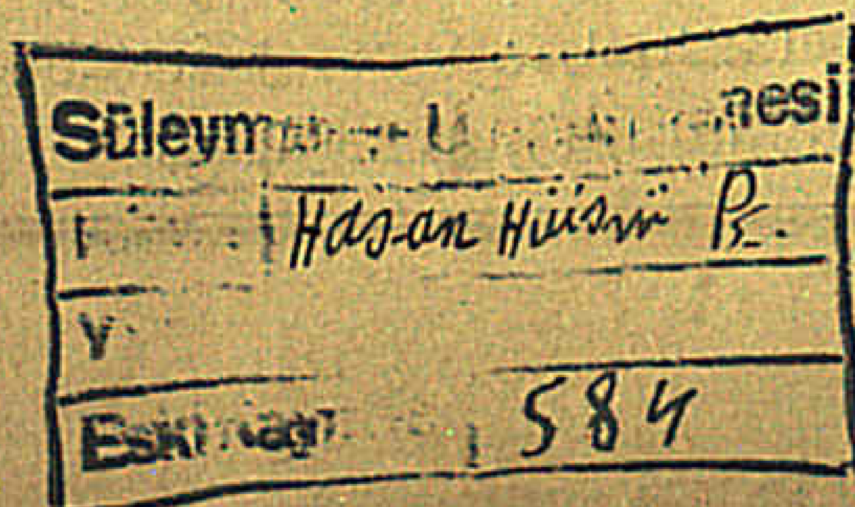
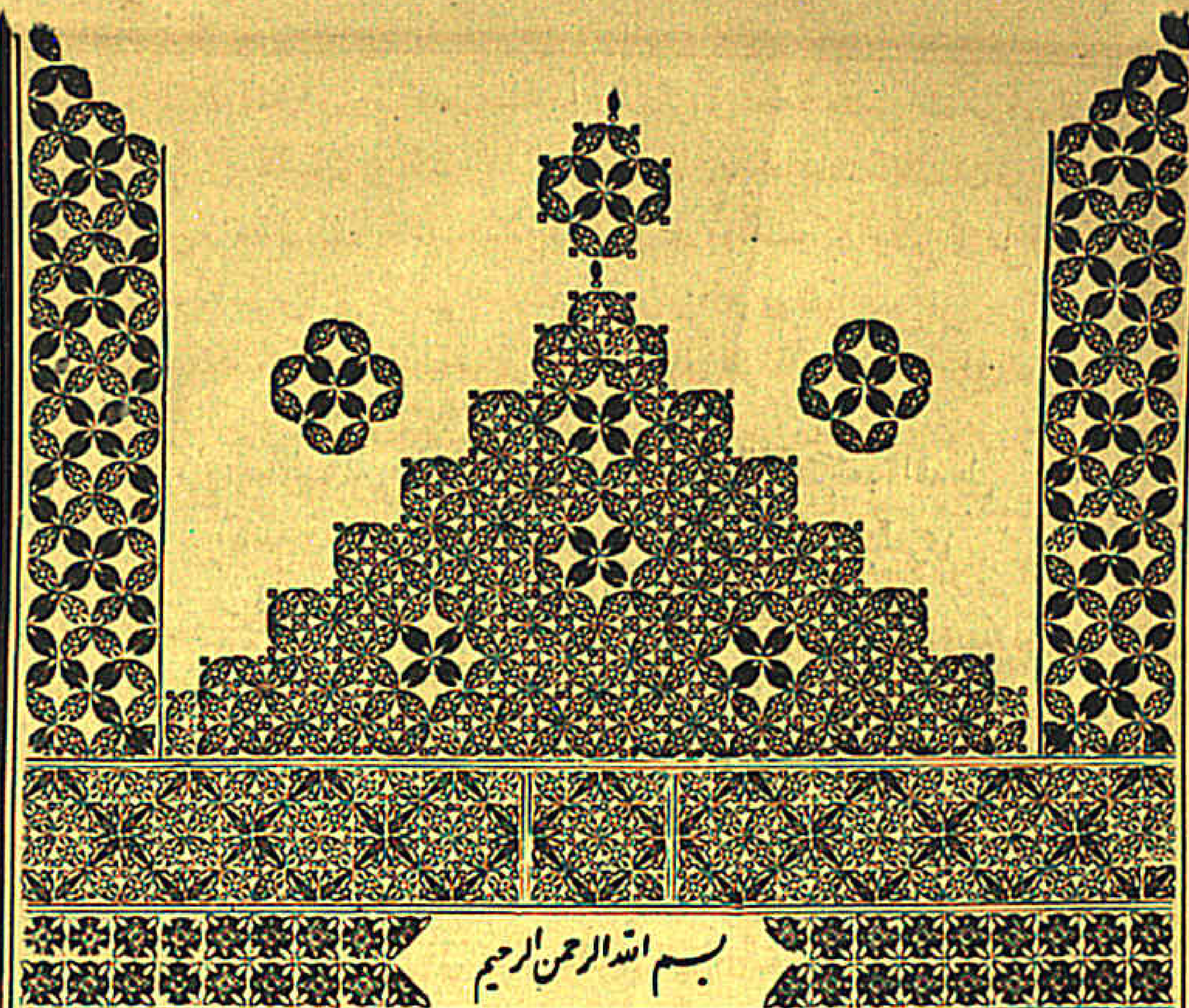
58Ɛ

كتاب لطائف المنن والاخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على
الاطلاق وهى المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى
للعالم العلامة والحبر البحر الفهامة القطب الربانى
والعارف الصمدانى سيدى عبد الوهاب
الشعرانى نفعنا الله بنفحاته وأعاد
علينا من بركاته
آمين

م





بسم الله الرحمن الرحيم

(يقول) الفقير الى الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى الشافعى عفا الله عنه وعن مشايخه ووالديه وجميع من شاء الله من الموحدين (احمد) الله رب العالمين وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (وبعد) فهذه جملة من النعم والاخلاق التى تفضل الحق تعالى بها على أوائل دخولى فى محبة طريق القوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين كان الباعث لى على تأليفها ورقمها فى هذه الطروس أمورا * أحدها ليقتدى بى اخوانى فيها فيتخلقوا بها ويشكروا الله تعالى على ذلك وقد مكثت متخلقا بها عدة سنين ولا يشعر اخوانى بذلك وكنت آمرهم بالتخلق بها فلا يسمعون فقال لى يوما جماعة منهم هذه الاخلاق التى تأمرنا بها لم نجد أحدا تخلق بها من أهل عصرنا حتى نقتدى به فيها فاستخرت الله تعالى وأظهرت لهم تخلقى بها قطعا لحجتهم وقلت لهم انظروا الى هذه الاخلاق التى أذكرها لكم فى هذا الكتاب فكل خلق رأيتمونى متخلقا به فاتبعونى عليه وما بقى لكم حجة فى ترك التخلق به فلولا ذلك لربما كان الكتمان لها أولى كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى فى المقدمة وكان ذلك من جملة شكر نعمة الله تعالى على اذ خلقنى بهذه الاخلاق بعد أن كنت معرى منها كما أن من أنقذه الله تعالى من الغرق يتأكد عليه ان ينقذ كل من رآه غريقا * ثانيها اقصدى بذلك دوام الشكر لله تعالى بعد موتى مدة بقاء الكتاب فان شكر اللسان ينقضى بموت العبد وشكر الله فى الكتاب قد يتأخر أثره بعده فيكون كالنائب فى الشكر عن المؤلف وكان ذلك الشاكر لم يمت * ثالثها اعلام أهل عصرى بدرجتى فى العلم والعمل ليقتدوا بى فى حفظ كتب الشريعة والتخلق بما قسم لى من ذلك فان طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها الى ميزان شرعى فى كل حركة وسكون * رابعها استغناء من يريد من اخوانى أن يذكر شيأ من مناقبى عن الفحص عنها والتتبع لها وربما زاد فيها أو نقص كما يقع فيه من يجمع

مناقب العلماء والصالحين ثم بتقدير صدقه فيما يذكره بواسطة أحد من الثقات فهو لا يبلغ الى مرتبة ما يذكره الانسان عن نفسه اذا كان صادقا فان غاية ما يحكيه الانسان عن غيره بواسطة انما هو الظن لا اليقين وفى الحديث فليقل احسبه كذا أو أظنه كذا ولا يزكى على الله أحدا أى لانه تعالى هو أعلم بمن اتقى وكان الشيخ محيى الدين بن العربى يقول ليس فوق مرتبة من يزكى نفسه اذا كان صادقا الا مرتبة من زكاه الحق تعالى عموما أو خصوصا كما فى نحو قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وكما فى نحو قوله تعالى فى حق يحيى عليه الصلاة والسلام وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا مع نحو قول عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا فان بعض العلماء قال ان سلام الله تعالى على يحيى وتزكيته له أعلى مرتبة من سلام عيسى على نفسه وتزكيته لها فى الجملة مع انه عليه الصلاة والسلام معصوم عن أن يخبر عن نفسه بخلاف الواقع قال وسلام عيسى على نفسه أعلى مرتبة من سلام الحواريين عليه انتهى * خامسها اقتدائى فى ذلك بالسلف الصالح رضى الله عنهم وقد سبقنى الى مثل ذلك جماعة ذكروا مناقبهم فى طبقاتهم تحدثا بنعمة الله عز وجل وتعريفا باحوالهم ليأخذ الناس عنهم العلم والطريق منهم الشيخ الامام الفقيه المحدث عبد الغافر الفارسى أحد حفاظ الحديث ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة العماد الكاتب الاصفهانى ومنهم الشيخ الامام المقرى الفقيه ياقوت الحموى ومنهم الشيخ الامام العالم العلامة لسان الدين بن الخطيب ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى ابو عبد الله القرشى ومنهم شيخه العارف بالله تعالى أبو الربيع المالقى ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى صفى الدين بن أبى المنصور ومنهم الشيخ الامام المجتهد الزاهد أبو شامة ومنهم الشيخ الامام المحدث الحافظ تقى الدين الفارسى ومنهم الشيخ الامام الورع الزاهد أبو حيان ومنهم الشيخ الامام المحدث الحافظ ابن حجر ومنهم تلميذه خاتمة الحفاظ بمصر الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فانه ذكر مناقب نفسه فى طبقات الفقهاء وفى طبقات المحدثين وفى طبقات المفسرين وفى طبقات النحاة وفى طبقات الصوفية وفى طبقات المقرئين وقال فى كتابه التحدث بالنعمة انما ذكرت مناقبى اقتداء بالسلف الصالح وتعريفا بحالى فى العلم ليأخذه الناس عنى وتحدثا بنعمة الله عز وجل لا افتخارا على الاقران ولا طلبا للدنيا ومناصبها وجاهها معاذ الله تعالى ان اقصد ذلك وأى قدر للدنيا حتى يطلب تحصيلها بما فيه ذهاب الدين واللعنة والطرد عن حضرة الله تعالى وقد ظهر شيبى ومضى اطيب عمرى وعيشى ودنا رحيلى انتهى وكذلك أقول فلم أقصد بما ذكرته لك من الاخلاق فى هذا الكتاب الافتخار على الاقران معاذ الله ان اهدى الى حضرته تعالى كتابا مشتملا على ما استحق به اللعنة والطرد هذا هو قصدى الآن وأرجو من الله تعالى دوام هذه النية الصالحة الى الممات وما ذلك على الله بعزيز فاياك يا أخى ان تبادر الى الانكار على أولئك القوم الذين اقتديت بهم أو على فى ذكر مناقبى واخلاقى التى تفضل الله تعالى بها على فى هذا الكتاب وغيره وتقول انه ليس من الادب أن يذكر العبد مناقبه فى كتاب فان ذلك جهل وسوء ظن بالعلماء والعارفين الذين ذكرناهم

بل الواجب عليك أن تحمل القوم على المحامل الحسنة كنحو أنهم ماذكروا الاخوانهم شيأ من مناقبهم وأحوالهم الا ليقتدوا بهم فيها هذا هو اللائق بمقام العلماء كما سيأتى بسطه فى المقدمة ان شاء الله تعالى واعلم يا أخى ان مما جرأنى على ذكر مناقبى واخلاق فى هذا الكتاب مع علمى بالمحو والاثبات حسن ظنى بالله عز وجل وأنه لا يسلب منى ما وهبه لى على عادة الكرام وهو تعالى أكرم الاكرمين وأيضا فان المعارف لا تسلب وانما تسلب الاحوال لسرعة استحالتها من حال الى حال اذ هى كالثوب الذى يخلع ويلبس بخلاف المعارف فانها كالذوات لا يدخل فيها المحو ولا اثبات وجميع ماذكرناه فى هذا الكتاب انما هو من قسم المعارف لا الاحوال ولولا ان أولياء الله تعالى يعلمون من كرمه وفضله تعالى أنه تعالى لا يسلبهم ما وهبهم من المعارف والاخلاق ماوضعوها فى كتاب ولا نشروها فى المجالس لان أفعالهم وأقوالهم حينئذ تكذب دعواهم ثم لا يخفى عليك يا أخى أن التحدث بالنعم لا يشترط فى ذكره تكرارها على العبد طول عمره بل يكفيه أنه ينتفع بها أو يتخلق بها ولو لحظة واحدة من عمره قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمن تخلق بخلق ولو لحظة صار من أهل ذلك الخلق على كل حال فاذا قال اعطانى الله كذا وكذا فقد صدق وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اذكر كمالاتك ما استطعت فان بذلك يكثر شكرك لله واياك والاكثار من ذكر نقائصك فان بذلك يقل شكرك غالبا بحجبه من جهة نظرك الى عيوبك خسرته من جهة تعاميك عن محاسنك التى جعلها الله فيك وكان يقول شهودكم المحاسن فيكم هو الاصل وأما النقائص فانما طلب من العبد النظر فيها بقدر الحاجة حتى لا يعجب بنفسه لا غير وكان يقول اياكم ومجالسة الاكابر من الملوك والعلماء خوفا أن تستصغروا ما أنعم الله تعالى به عليكم بالنظر لما رأيتموه من نعم هؤلاء انتهى ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومجالسة الاغنياء وكان يقول من كمال الكمل شدة الخوف من الله تبارك وتعالى على الدوام وعدم طمأنينتهم من الطرد عن حضرته فى ليل أو نهار حتى ان سيدى عبد القادر الجيلى رحمه الله كان يقول أعطانى الله أربعين عهدا وميثاقا أنه لا يمكر بى حين رأيته فى المنام ومع ذلك فانا غير آمن مكره تعالى بى لعلمى بسعة اطلاقه وانه يفعل ما يشاء اه وقد وقع لى أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرنى ان الله تعالى غفر لى جميع ذنوبى ومع ذلك فانا غير آمن من نحو الخسف والمسخ كما سيأتى بسطه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وقد شيدت من هذا الكتاب واخلاقه بجملة من أخلاق سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ ابراهيم المتبولى وجملة من اخلاق تلميذه العارف بالله تعالى سيدى على الخواص وجملة من أخلاق أخى الشيخ الصالح أفضل الدين الاحمدى رضى الله عنهم وانما خصصت تشييد الكتاب باخلاق هؤلاء الاشياخ الثلاثة دون غيرهم لما تواتر عن أصحابهم انهم كانوا يقولون ان مشايخنا أخذوا طريقهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين القوم فبينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق سيدى ابراهيم المتبولى رجلان ومن طريق غيره رجل واحد كما سيأتى بيانه فى المقدمة ان شاء الله تعالى فكل اخلاق هؤلاء الثلاثة محمدية فاياك والمبادرة الى اعتراضك على شىء مما أذكره عنهم فى هذا الكتاب ببادئ الرأى من غير تثبت فتخطئ طريق السنة فانى لم أر أحدا من مشايخ العصر متخلقا بشىء من أخلاقهم الا قليلا وفى كلام الفضيل

ابن عياض رحمه الله الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطريق البدعة ولا يضرك كثرة الهالكين وقد فصلت لك يا أخى الاخلاق والنعم تفصيلا فجعلت كل خلق أو نعمة فى مبحث ليسهل اطلاع الناظر فيه على كل مبحث اراد مطالعته كما سيأتى بيانه فى الفهرسة وكررت فيه بعض النعم عمدا لا سهوا بقصد تأكيد العمل بها والاعتراف بها لكن بعبارة أخرى واخترت فيه من صيغ التراجم قولى ومما أنعم الله به على كذا أو ومما من الله به على كذا اشارة الى انه ليس قصدى بذكر مفاخرى وأخلاقى ومناقبى الفخر على الاخوان وانما قصدى بذلك الاعلان بكثرة شكر الله عز وجل بالاصالة (ثم) ان لزم من ذلك مدح نفسى فليس ذلك مقصودا بالاصالة وانما هو باللازم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح عند علماء الاصول ويؤيده قول علمائنا لو قرأ الجنب القرآن لا بقصد قرآن جاز قالوا لانه لا يكون قرآنا الا بالقصد فمرادى بقولى ومما أنعم الله تعالى به على كذا امتثالا الاعلام بان ذلك من فضل الله عز وجل لا بحولى ولا بقوتى ولا باستحقاقى لشىء منه وأنا احث جميع الاخوان على مطالعة هذا الكتاب وطلب التخلق بما فيه واحذرهم من أن يطالعوا فيه ثم يتخذوا ذلك ميزانا يزنون بها على الناس وينسوا نفوسهم كما هو شأن غالب مريدى هذا الزمان فترى أحدهم يقول ما بقى أحد من أهل هذا الزمان يصدق عليه اسم المريد ويقصد بذلك غيره بدليل انه يتكدر ممن ينفيه من طريق المشيخة فضلا عن طريق الارادة وقد قالوا من علامة انتفاع المريد بشيخه ان يصير يعتقد فى الناس كلهم الخير الا نفسه فلا يكاد يرى فى احد نقصا واذا سمع أحدا ينقصه لم يتغير منه شعرة بل يرى ان ذلك المنقص له صادق فيما قال فاذا الواجب على كل من يطالع كلام القوم أو غيرهم مما يطلب العمل به ان ينظر فى نفسه فاذا رآها متخلقة بذلك الامر فليشكر الله تعالى وان رآها متجردة عنه فليستغفر الله تعالى ويأخذ فى تحصيل طريق الوصول الى التخلق به على انى لم اذكر فيه مما تخلقت به من اخلاق المريدين الانبذة يسيرة تأنيسا للاخوان فان الداعى الى الخير ان لم يكن متخلقا به قبل المدعوين قل نفعهم به وكأنه يقول انظروا الى كل شىء تخلقت به فاتبعونى فيه وما لم اتخلق به فانا وانتم فيه سواء فأكرم به من كتاب احتوى على غالب ما يسهل التخلق به على من يريده فى هذا الزمان (وسميته) بحمد الله تعالى بلطائف المنن والاخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق ورتبته على مقدمة وستة عشر بابا وخاتمة وضمنت كل باب منه جملة صالحة من الاخلاق الحسنة والنعم الجميلة بحسب الوارد فلا ازال أقول ومما من الله به على كذا أو ومما أنعم الله به على كذا الى أن يفرغ الوارد وقدمت فهرسة الابواب والخاتمة ليكون ذلك أهون فى الكشف على من يريد الاطلاع على خلق من الاخلاق أو نعمة من النعم فينظر أولا فهرسة الباب لينظر مظنة تلك المنة أو ذلك الخلق هل هو فى أوائل الباب أو وسطه أو آخره والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق (المقدمة) هى كالدهليز الذى يدخل منه الى صحة الاعتقاد فى العارفين وقلة الاعتراض عليهم وفيها بيان مقام سيدى على الخواص الذى ورثنا هذه الاخلاق عنه فانه كان من أكابر الاولياء المجهولين عند غالب الناس فمن لم يطالع هذه المقدمة ويمعن النظر فيها فبعيد عليه أن ينتفع بشىء من اخلاق هذا الكتاب (الباب الاول) وفيه من النعم نعمة شرف

نسبي لكوني من ذرية الامام محمد بن الحنفية ثم حفظي للقرآن العظيم وانا في سن التميز ومواظبتي على الصلوات الخمس في أوقاتها من حين كان عمري ثمان سنين فلا اتذكر أني أخرجت صلاة عن وقتها عمدا الى وقتي هذا ثم حفظي من الآفات وانا يتيم من الابوين وتسخير التمساح لي حين غرقت في بحر النيل فوقف تحت رجلي حتى استرحت وعمت ثم مهاجرتي من بلاد الريف الى مصر لقراءة العلم ثم حفظي لمتون كتب العلم التي لم يحفظها أحد من أهل عصري وبيان عددها بذكر أسمائها ثم شرحي لمحفوظاتي على الاشياخ كالشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف والشيخ عبد الحق السنباطي والشيخ أمين الدين والشيخ شهاب الدين الرملي واضرابهم وكذلك بيان قراءتي لتفسير القرآن العظيم وعلم الحديث عليهم وبيان ما كنت أطالعه من الكتب حال القراءة عليهم مما لم يتيسر مطالعته لاحد من أقراني ثم أخذي بالاحوط فالاحوط في ديني وعدم الاخذ بالرخص الا بالطريق الشرعي ثم عدم التعصب لمذهبي من غير دليل مع اعتقادي ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ولكن كل من حكم الحديث لقوله فهو أرجح عندي ثم كثرة تأويلي للقوم كلامهم وزجر كل من طعن في طريقهم من غير دليل شرعي ثم عدم جزمي بما فهمته انه مراد الله تعالى أو مراد رسوله صلى الله عليه وسلم أو مراد أحد من الائمة ومقلديهم وذلك لان الكلام على مراد صاحب الكلام من غير توقيف منه لا يكون الا بكشف صحيح أو الهام لا يخطئ أو نحوهما وأنى لي بذلك الا بعناية الله تعالى ثم حفظي من دعوى العلم على وجه التكبر به على أحد من العوام والاقران ثم اذن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا بتدريس علم الفقه والتفسير والتصوف ثم عدم المبادرة الى القول بتعارض الادلة وأقوال الائمة بل اتربص وانحل لهما محملا صحيحا ادبا مع الشارع فان منصبه ومنصب الائمة يجل عن التعارض ثم حفظي من الجدال ورفع الصوت مع اخواني المخالفين لي في الفهم فضلا عن الاشياخ ثم كثرة مطالعتي لكتب الشريعة وآلاتها من تفسير وحديث وأصول وتصوف ثم بيان عدد الكتب التي طالعتها ثم مطالعتي لكتب مذاهب الائمة الثلاثة زيادة على مذهبي لاتحرز من مخالفة الائمة في أعمالي كلها ويكون عملي موافقا لهم حسب الطاقة ثم كثرة توجيهي وتقريري لمذاهب المجتهدين حين تبحرت في العلم حتى كأني واحد من أمهر فحول مقلدي ذلك المذهب وذلك لاطلاعي على أدلة الائمة وما استندوا اليه من نص أو قياس أو اجماع ثم اعطائي الفهم في القرآن والحديث وكلام الائمة ثم تأليفي كتبا كثيرة في الشريعة وغالبها لم أسبق اليه انما استنبطته من الشريعة وذلك ككتاب العهود وكتاب المنن وكتاب مشارق الانوار القدسية وغير ذلك ثم اجازة علماء المذاهب الاربعة لمؤلفاتي ومدحها ومدح مؤلفها خلاف ما أشاعه الحسدة عني في مصر والحجاز ثم موت جميع أشياخي في الفقه والتصوف وغيرهما وهم عني راضون ثم انشراح صدري من حين كنت صغيرا للعمل بالكتاب والسنة وانقباض خاطري من العمل بالبدعة خلاف ما أشاعه الحسدة عني ثم الهامي لمجاهدة نفسي بغير شيخ لما تبحرت في العلم ثم بشيخ ليساعدني على ازالة الموانع التي توقفني عن العمل بما علمته ومبالغتي في الورع حتى كنت لا آمن في ظل عمارة أحد من الولاة ثم ظهور ان جميع ما كنت عليه من الاعمال بلا شيخ كأنها كانت رياء وسمعة ونفاقا بالنسبة لما نبهني عليه

الشيخ

الشيخ ثم اعطاؤه تعالى لي الفهم في القرآن على مصطلح العارفين ثم اعطاؤه لي تعالى الفرقان بين المقامات والعلوم وما كل الرجال أعطوا الفرقان ثم سكون القلب عن طلب الاجر على الاعمال لعلمي بان الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم علمي بكون الحق تعالى يكرهني أو يحبني وذلك بوزني اعمالي على الكتاب والسنة ثم قصدي بتعليم العلم نفسي أولا ثم الخلق ثانيا والله تعالى أعلم (الباب الثاني) وفيه من النعم نعمة نفرة نفسي ممن يزعم أنه يعلم علم جابر أو يفتح المطالب من حين كنت صغيرا وفيها تلخيص رسالة الشيخ أفضل الدين في بيان الحجر المكرم ومراتب أهل ذلك العلم ثم بلوغي مقام الزهد الى ان صار عندي الذهب والتراب على حد سواء من غير ترجيح ثم بعد أن أحكمت ذلك المقام رجحت الذهب على التراب عملا بما جعله الله تعالى فيه من الحكمة ثم ذكرت اني بلغت في مقام الزهد الى أنه لو أمطرت السماء ذهبا وصار الناس ينتهبونه لم أجد لي داعية الى أخذ شيء منه الا لامر مشروع ولو انني مررت على تلال الذهب والفضة من غير مزاحم عليها من ابناء الدنيا ولا حساب عليها في العقبى لم اتناول منها دينارا واحدا الا لضرورة شرعية ولو أن البغلة دخلت داري في الليل محملة ذهبا من مطلب ونحوه أخرجتها من داري بذهبها خوفا من طول الحساب يوم القيمة ثم انه لو كان عندي ما شاء الله من الذهب فسرقه انسان أو أخذه من بين يدي وانا أنظره لا أتبعه ولا بوكيلي هوانا بالدنيا ثم كراهتي للاكل من شيء اعطيته من الناس على اني من الصوفية لانه أكل بالدين ثم كثرة شفقتي على جميع المسلمين وولاة أمرهم حتى اني ربما أمرض لمرض صاحبي أو ولي أمري وأشتهي لشفائه وحتى اني احفظ جميع الولاة وبيوت الناس وحوانيتهم وزروعهم وجسورهم كل يوم وليلة وقد يغفلون هم عن ذلك وفيه اذكر رؤيتي اني شربت من عين العرش في واقعة ثم عدم مدحي لاصولي وفروعي عند من لا يعرفهم الا لغرض شرعي ثم تمييزي لحظ نفسي من حظ الباري جل وعلا فلا احب انه يعفو عني من حيث ان في ذلك راحة لي وانما أحب العفو من حيث انه يحب العفو ولولا محبته تعالى للعفو ما أحببت العفو وان كان في جزء يحب العفو فهو جزء ضعيف لا اكاد أحس به ثم عدم بداءتي بالزيارة لمن علمت انه يكافئني على ذلك خوفا من تكليفه لزيارتي نظير البداءة بالهدية كما أشار اليه عند بعضهم قوله تعالى ولا تمنن تستكثر ثم عدم نصبي على الناس حتى يحبوني أو يأخذوا عني أدب القوم بايهامهم اني أعرف علم الكيمياء وان كل من صحبني علمته ذلك كما وقع فيه بعض أهل هذا العصر ثم الهامي جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار حيث ذهلت عما ورد في السنة لدهشة واردا ونحوه ثم ترادف رؤيتي للعلماء والمشايخ الذين ماتوا لما دخلت سنة احدى وستين وتسعمائة وأمرهم لي بطلب التزود والرحيل من هذه الدار ثم نظري الى الوقت الذي انا فيه دون الماضي والمستقبل ثم نصحي لاصحابي بما صرحت به الشريعة فقط تخفيفا عليهم الان أجمع العلماء على ذلك الامر ثم فراري الى الله تعالى في جميع الشدائد قبل خلقه ثم تربية الحق لي برؤيتي العبر في غيري ثم نفرة نفسي من الدنيا وممن يحبها ثم حمايتي من الاتباع الذين يتعصبون لي بالباطل ثم كثرة اعتقادي في أهل عصري من غير مطالبة بدليل ثم غنيتي عن التطلع لما في أيدي الخلائق ثم دوامي على التقشف النسبي الى وقتي هذا ثم كتماني ما أطلعني الله عليه من غالب الحوادث المستقبلة ثم عدم تسلقي على مقامات الصالحين ثم وجود الرجاء والخوف عندي

في وقت واحد ثم توبتي كلما أتناول شهوة ثم حفظه تعالى لفرجي من الفواحش ثم عدم اشتغالي
بالنعمة عن الله ثم فناء اختياري مع الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ثم عدم شهوة اعضائي
للمعصية من حين بلغت للاربعين سنة ثم حمايتي من وقوع الانتظار لرزق معين ثم معرفتي بالله
عز وجل بحيث لا تزلزلني النقول ثم كتمان مصائبي عن الخلق ثم عدم وعدي لاحد بما لا اقدر
على الوفاء به ثم حمايتي من أكل الشبهات ثم توالي الآلام على جسدي ثم رضائي بالدون من
الدنيا ثم عدم قولي في دين الله بالرأي ثم كثرة شكري لله تعالى اذا زوى عني الدنيا ثم حمايته
تعالى لقلبي أن يقيم فيه محبة أحد من الخلق الا باذنه تعالى ثم كثرة حثي لاصحابي على كثرة ذكر الله
محبة في الله لا لعلة أخرى ثم فرحي بالفقر اذا أقبل ثم عدم تدبيري مع الله تعالى اذا نزل بي بلاء
ثم عدم بغضي أو محبتي لاحد بحكم الطبع ثم عدم تكدري من صاحبي اذا فارقني وعاداني
ثم محبتي لكثرة مخالطتي للعلماء والصالحين مع الاعتراف بعجزي عن القيام بواجب حقوقهم
ثم صبري على جفاء من دعوتهم الى خير وأبوا ثم عدم سخطي على مقدورات ربي اذا نزل بي ما أكره
ثم كونه تعالى لم يجعل الدنيا أكبر همي من صغري الى وقتي هذا ثم ملاطفتي لمن رأيت عنده
حسد الاخيه المسلم وصبري عليه حتى يرجع عن حسده ثم اطلاعه تعالى لي على بعض المنعمين
والمعذبين في قبورهم ثم حجبي عن ذلك رحمة من الله تعالى بي ثم عدم امني من مكر الله تعالى
في ساعة من ليل أو نهار وعدم اغتراري بما أعطاه الله تعالى لي من المكاشفات والكرامات
ثم عدم التمادي في استحسان شئ من أحوالي وأقوالي ثم حمايتي من الحاجة الى سؤال الناس
وغنائي عنهم بالقناعة فلم أجده يحوجني قط تعالى الى كتابة قصة لاحد ليعطيني شيأ من الدنيا
ثم عدم طمأنينة نفسي الى دوام النعمة علي لعدم استحقاقي لها وكثرة التحويل والتغيير لمثلي
عقوبة له على سوء أدبه ثم فزعي لذكر الله والى الصلاة اذا احتجت الى شئ من أمور الدنيا ثم
تقديمي الاهم فالاهم من المأمورات الشرعية من حين كنت صغيرا ثم عدم محبتي للشبع من
الحلال فضلا عن الاكل من الحرام والشبهات ثم عدم صبري على البعد من حضرته تعالى ساعة
من ليل أو نهار كلما أغفل أو أخرج من الحضرة ثم رمي للدنيا الزائدة عن حاجتي الحالة الراهنة
في بداية أمري ثم أخذي لها وجمعها في آخر عمري تحققا بالفقر والفاقة لفضل الله وكف نفسي
عن السؤال لعيالي وأصحابي ثم مبادرتي الى تفتيش نفسي اذا دعوت الله في حاجة ولم يجب دعائي
لان الاجابة ربما توقفت لاجل معصية ارتكبتها والله أعلم (الباب الثالث) وفيه من النعم نعمة
ردنفسي فورا الى الرضا بتقدير الله عز وجل اذا حصل عندي لمح خاطر اشمئزاز منه ثم عدم طلبي
لشئ من مناصب الدنيا منذ وعيت على نفسي ثم عدم تسليمي للنفس ما تدعيه من ترك الحظوظ
فان لها غوائل ثم تسليمي لمن ادعى أنه خرج عن حظوظ نفسه وصارت ارادته موافقة لارادة ربه
ثم تنبيهي بتصاريف القدرة في بما أكره على وجود ذكر الله لي وعدم غفلتي عن التمادي في الغي
وحظوظ النفس ثم حسن ظني بربي اذا قسى علي قلوب عباده وكف لسانهم عن حمدي وأطلق
لسانهم علي بالذم ثم معرفتي بعداوة من رأيته يتسخط اذا سأل ربه شيأ ولم يعطه ثم وجود منازعة
نفسي لي وميلها الى الشهوات المباحة أواخر عمري ليحصل لي أجر مجاهدتها فأفارق الدنيا على
المجاهدة ثم عدم سؤالي الله تعالى شيأ الا مع التفويض اليه فيه لكونه اعلم بمصالحي من نفسي

ثم مبادرتي لشكر ربي اذ حفظني من مضلات الفتن دون العجب ورؤية النفس على من وقع فيها
ثم مداومتي على الاعمال التي كنت اعملها أيام بدايتي الى وقتي هذا ثم شهودي أن صفات نفسي
الناقصة دائمة معي على الاعمال حتى أموت فلا امان لي من الوقوع فيما لا يحل لي ثم عدم
شهوة نفسي لشئ من المطاعم والملابس اذا دخلت سوق الطعام واللباس ثم غضبي باطنا على
كل من رأيته يدعي التلبس بشئ من مقامات القوم دعاوى باطلة ثم اعلامي له بكذبه فيما
بيني وبينه ليتوب من الدعوى ثم طلبي لكل حاجة احتجت اليها من باب الله تعالى دون خلقه
الا بجعل خلقه بابا من أبوابه كالقناة الجاري لنا منها الماء فقط ثم عدم استبعادي على نفسي أنها
تقع في أكبر الكبائر ولو صارت معدودة من مشايخ العصر ثم عدم اعتمادي على غير الله
عز وجل في الشدائد ثم كثرة أدبي مع ولاة الزمان ظاهرا وباطنا من حيث كون الحق تعالى ولاهم
علينا وجعلنا تحت حكمهم ثم كراهتي لتردد أحد من الاكابر الي من عالم أو صالح أو أمير اجلالا لا
لهم وتعظيما ثم ردي كل شئ يأتيني من مال الولاة وان قبلته رميته بين الحاضرين ولا آخذ منه
شيأ ثم عدم خوفي من أحد من الولاة لانهم لا يسلطون الا على من يحب الدنيا غالبا ثم حملي للعلماء
الذين يدخلون على الامراء ولا ينصحونهم على العجز دون المداهنة لاجل دنياهم ثم عدم خوفي
من مخلوق مطلقا من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جن أو غيرهم الا عملا بامر الشارع صلى
الله عليه وسلم لي بالذب عن بدني ثم تنبيهي في المنام على الامور التي تقع مني في المستقبل أو في
الماضي ولم اشعر بكونها مذمومة ثم محبتي لرفع صوتي مخلصا بالذكر حتى أود أن يسمع ذكري
أهل المشرق والمغرب ضد ما كنت عليه في بداية أمري ثم محبتي للتقلل من مجالسة الاكابر من
العلماء والصالحين وقضاة العساكر ونحوهم خوفا من اخلالي بواجب حقهم ثم كثرة تعظيمي
للشرفاء ولو من جهة الام فقط وان طعن الناس في صحة نسبهم ثم معرفتي بصوت الشريف وتمييزه
عن غيره اذا كلمني من وراء جدار مثلا ولو لم اجتمع به قبل ذلك ثم كراهتي للاكل من الصدقات
الخاصة دون العامة كالاوقاف على فقراء المسلمين ثم استئذاني بقلبي لربي أو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أو أحد أئمة العلماء اذا كنت أقرأ القرآن أو الحديث أو العلوم الشرعية وكلمني
انسان في حاجة بنحو قولي دستور يارب اكلم عبدك فلانا في حاجته ثم اقبل عليه أو دستور
يا رسول الله أو دستور يا محمد يا ابن ادريس ونحو ذلك بحسب الكلام الذي اقرره ثم كراهتي
لمد رجلي في ساعة من ليل أو نهار الا بعد قولي دستور يا الله أو دستور يا رسول الله أو دستور
يا أولياء الله ثم أمدها بعد ذلك ثم شدة كراهتي للنوم على حدث أكبر أو أصغر أو على الاصرار
على شئ من الذنوب خصوصا على نحو غل أو حسد أو كبر أو محبة للدنيا ونحو ذلك ثم شدة كراهتي
للنوم في الثلث الآخر من الليل كشدة كراهة وقوعي في المعاصي الظاهرة والله تعالى أعلم (الباب
الرابع) وفيه من النعم نعمة كثرة ثنائي على الله تعالى اذا نزل بي ما يسوءني عادة ثم عدم استعمالي
الدواء الا ان كان الداء يشغلني عن الله تعالى ثم شدة كراهتي لخطاب الحق وفي بدني نجاسة ثم
حضوري مع الحق تعالى عند الاكل والشهوات ثم كثرة مراعاتي لليتيم ولامرأة الجار اذا غاب
زوجها أكثر من مراعاتي لمن له والد ولمن زوجها حاضر ثم نفرتي من اعتقاد الناس في ثم عدم
اجابتي للتصدر في نحو دعاء الاستسقاء ثم احساسي بمشاركة جميع المسلمين في جميع البلايا والمحن

التى تصيبهم حتى انى قد أشارك المعاقبين فى بيت الوالى واشارك المرأة حال طلقها وا حس
بالولادة ثم مساعدة أصحاب النوبة فى حفظ ادراكهم فى سائر أقطار الارض ثم استئذانى
أصحاب النوبة كلما خرجت من بيتى لحاجة أو الى سفر أو رجعت منها أو دخلت بيت حاكم
أو طلعت القلعة لشفاعة ثم حفظى من تصريف أرباب الاحوال فىّ مع كثرة شفاعتى عند
الحكام وكثرة معارضتى لهم من حيث لا أشعر ثم حمايتى من الوقوع فى المعاصى والشهوات اذا
كنت فى حملة وسيأتى شروط قضاء الحوائج عند الحكام ثم الهامى الى أنى أطلب الحوائج من
أبوابها دون غيرها ثم قضاء الحوائج من الحكام مع عدم الوقوع فيما ينقص دينى بسبب ذلك من
تزكية نفسى على ألسنة الوسايط أو غيرها ثم كثرة توجيهى لكلام الائمة من المجتهدين
والصوفية وليس فى هذا الكتاب أطول من هذه القولة وفيه ذكر افتراء الحسدة علىّ أنى
ادعيت الاجتهاد المطلق وبيان من امتنع من الكتابة على السؤال ومن وقع ثم عدم قطعى للبر
والاحسان عمن كفر بتربيتى ونكث عن صحبتى بل أدوم على الاحسان اليه ثم عدم طلبى للثواب
على شئ من اعمالى الامن باب الفضل والمنة دون الاستحقاق ثم عدم تكديرى اذا قدر الله تعالى
علىّ سهوا أو نسيانا فى الصلاة بل أفرح لكونى أحتاج الى الوقوف بين يديه تعالى زمنا آخر بسبب
الاعادة او التدارك ثم عدم طلب نفسى مقاما عند الخلق دون الله تعالى ثم عدم احتياجى
لقبولى مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا ولو سألونى فى ذلك ثم حمايتى من الاكل من هدايا
الظلمة وأعوانهم ثم انصافى لكل من عاملنى فى بيع أو شراء واذا استأجر منى شخص دولابا
أو رزقة أو مركبا ولم ينتفع بها لا آخذ منه أجرة ولو سألنى هو فيما رددتها عليه ثم شهودى ان
جميع ما أقاسيه من الشدائد فى هذه الدار انما هو كالادمان على تحمل أهوال يوم القيامة فهو
رحمة بى ثم حمايتى من الاكل من طعام من شفعت عنده أو شفعت له أو قبولى هدية من أحدهما
ثم عدم قبولى هدية أعلمنى بها صاحبها مثلا قبل مجيئها الىّ ثم عدم بخلى بشئ دخل فى يدىّ من
الدنيا على من يستحقه سواء النقود وغيرها ثم غلبة الحياء علىّ من الله تعالى ومن الخلق حتى
انى أجعل الطيلسان على رأسى من شدة الحياء وتحرزا عن فضول النظر ثم كراهتى للاكل من
ضيافة الاوقاف التى تحت نظرى أو نظر غيرى وعدم استقرارها فى جوفى اذا أكلت منها ولو
سهوا ثم جعلى الحظ الاوفر للوقف اذا زرعت فى أرضه فأعطى جهة الوقف الاكثر من الخراج
أو الحب فانه كمال اليتيم فى يد وليه والله أعلم (الباب الخامس) وفيه من النعم نعمة كراهتى
للاكل من صدقة أو هدية علمت أن فى بلد المتصدق أو المهدى من هو أحوج الى ذلك منى بل ان
قدر أنى قبلتها صرفتها فيما أعلم أنه أرجح فى ميزانه من أكلى منها ثم كراهتى لشئ يقيم فى باطنى
من محاب الدنيا سواء كان ولدا أو زوجة أو نقدا أو ثيابا أو نحو ذلك ثم كثرة اضافة الافعال
المذمومة الى نفسى الامارة قبل اضافتها الى ابليس عكس ما عليه غالب الناس ثم عدم مبادرتى
الى سوء الظن بأحد من المسلمين ثم عدم مطالبتى أحدا من الخلق بالوفاء بعهدى وهو يخل بعهود
الله ورسوله ثم كثرة توجهى الى الله تعالى فى تسهيل رزق عيالى من غير حصول منة لاحد من
الخلق فى طريقه ثم محبتى لكل تقدير شئ ينكس رأسى بين يدى الله أو يورثنى الحياء منه من
حيث التقدير لا من حيث الكسب وهروبى من كل شئ يرفع رأسى بين الناس ويورثنى العجب

والزهو ثم رؤية منة الله تعالى علىّ اذا أقامنى بين يديه فى الاسحار ولم أجد لذة فى مناجاته ثم
عدم الجهر بالقرآن فى صلاة الليل وذهاب الخشوع منى اذا جهرت ثم عدم نوم قلبى ليلة الاحد
فتنام عينى فيها ولا ينام قلبى بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شهودى عدم كمال
الاخلاص فى كل عبادة فعلتها ثم عدم مبادرتى الى الرحمة والشفقة لمن رأيته جيعانا أو عطشانا
أو عريانا بل أتربص فى ذلك فربما فعل الحق تعالى معه ذلك لحكمة لانه أرحم منى به يقين ثم شدة
قربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى المسافة بينى وبينه حتى انى فى بعض الاوقات أضع
يدى على قبره الشريف وأنا فى مصر ثم تعويلى فى الشدائد كلها على الله تعالى ثم على رسوله صلى
الله عليه وسلم ثم جعلى عباداتى كلها مقاصد لا وسائل ثم سترتى لمن دخل علىّ من الفقهاء وقرر
كلام القوم على غير وجهه ثم عدم تزوجى لابنة شيخى اجلالا لها ثم سترتى لمن أطلعنى الله تعالى
عليه أنه ارتكب معصية ولم يتب ثم شهودى أن جميع ما بيدى من الخير انما هو ببركة ملاحظة
أشياخى لى بارادة الله تعالى ثم محبتى لاطعام الطعام لكل داخل علىّ ثم سياحتى فى الجبال
والبرارى حتى وصلت الى مواضع قل من سلكها ثم اقامة العذر للفقيه اذا بادر الى الانكار
على بعض أهل الطريق ثم كثرة أدبى مع المجاذيب وأرباب الاحوال ثم وجود البركة فى رزقى
حتى ربما أقدم للضيف ما يأكله واحد فيكفى العشرين نفسا ثم طاعة الجن لى واعتقادهم
فىّ الصلاح والعلم ثم كراهتى للاكل من طعام العزاء والجمع وتمام الشهر ثم عدم مبادرتى الى
الانكار على من تزيا بزى الفقراء حتى المطاوعة الآن أرى منهم ما يخالف الشريعة ثم عدم
حرمانى للسائل ولو كان قويا على الكسب فربما يكون له عذر ثم تفقد قلبى صباحا ومساء من
دخول الصفات المخالفة للاخلاق الحميدة ثم ندمى فى بعض الحيثيات على كل نومة نمتها فى ليل
أو نهار ثم معرفتى للولى اذا زرته فى قبره هل هو حاضر او غائب وغير ذلك (الباب السادس) وفيه
من النعم نعمة كراهتى للاختصاص عن الفقراء بشئ ولو أنه موقوف علىّ وحدى ثم تعففى عن
الاكل من طعام كل شخص عرف بالكرم فى هذا الزمان ثم حمايتى من أخذ معلوم على فعل شئ
من القربات الشرعية الا ضرورة شرعية ثم عدم قبولى شيأ أعطاه لى الناظر من وقف المرتب
زائدا على رفقتى من المستحقين ولو عزم علىّ به ثم عدم مطالبتى لمن لى عليه حق دنيوى مادمت
أجد الرغيف والخلقة ثم عدم رؤيتى أنى أحق بشئ مما فى يدى من الدنيا من المحتاجين ثم عدم
التفات نفسى الى شئ من الدنيا اذا ضاع منى سواء قل أو كثر الا أن يكون لغيرى ثم عدم
مزاحمتى لشئ مما فيه رياسة دنيوية أو يؤول الى الدنيا من جاه أو نشر صيت ثم كثرة حذرى من
ابليس كلما ترقيت فى مقامات الطريق ثم كثرة تعظيمى لاخوانى عند كل أمير صحبته حتى ربما
يترك صحبتى ويصحبهم ثم انشراح صدرى لتقديم زيارتى لمن يكرهنى على زيارة من يحبنى ثم قصدى
بزيارتى نفعه هو بالاصالة وفيه ذكر سيدى على المرصفى رضى الله عنه ثم حسن سياستى لمن رأيته
ينقص أخاه المسلم حتى يتوب من التنقيص ثم عدم تقديم نفسى على اخوانى فى أمور الدنيا
باختيار منى وطيب نفس ثم عدم شهودى الملك الحقيقى لشئ أعطانيه الله فى الدنيا والآخرة
لانى عبده فى الدارين ثم خفض جناحى لفسقة المسلمين حتى يسمعوا نصحى ثم كثرة نصحى
لاخوانى ثم عدم ترددى الى بيوت الحكام لغير ضرورة شرعية لكن ان بدأنى أحد منهم

بالزيارة كافأنه على ذلك بالتردد اليه مرات وفاء بحقه وبه قال جماعة ثم عدم تكدرى
على شئ فاتنى من الدنيا أو عن صدها عنى عادة ثم انشراح صدرى اذا أصبحت أو أمسيت
وليس عندى شئ من الدنيا ثم عدم مبادرتى للانكار على من رأيته يأخذ مال الولاة فربما أخذه
للضرورة الشرعية ثم شكرى لله عز وجل اذا ضيق على الرزق كشكرى له اذا وسعه على
من حيث خوف الطغيان ثم رضاى عنه اذا قدر على شيأ من المعاصى من حيث علمى بانه حكيم عليم
فأستغفره من حيث الكسب وأرضى عنه من حيث التقدير ثم عدم اعتمادى على شئ من طاعاتى
دون فضل الله عز وجل ثم حسن سياستى للمقاريض فى أعراض الناس ثم عدم اعتقادى
فى نفسى انى من علماء الزمان العاملين ثم نفرة نفسى ممن يمدحنى فى المجالس بنظم أو نثر ثم
موافقة من يمدح عدوى فى المدح ثم عدم المبادرة الى الانكار على من رأيته يسعى على وظائف
الناس ثم حسن سياستى للامير الذى صحبه أحد من اخوانى للخدمة وفيه ذكر حمزة الكاشف
والشيخ أبى المجد الزفتاوى ثم عدم عداوتى لاحد ممن يحضر المواكب الالهية كالمؤذنين
وأضرابهم ثم كثرة أدبى مع قضاة زمانى وعدم قولى ببطلان أحكامهم الا بطريق شرعى
ثم موالاتى لمن والى شيخى أو امامى ثم كثرة أدبى مع الامام مالك وأصحابه لكونه شيخ الامامى
فى الجملة ثم حمايتى من الاكل من طعام المتهورين فى مكاسبهم كالظلمة واضرابهم ثم عدم أكلى من
طعام من يعتقد فى الصلاح خوفا من الاكل بدينى ثم عدم أكلى من طعام العباد الذين لا حرفة
لهم ويأكلون بدينهم ثم حمايتى من الاكل من طعام النذور والعرس والعزاء ونحو ذلك
ثم حمايتى من الاكل من طعام الصنائعى الذى يعمل بالقوت ثم حمايتى من الاكل من طعام
من علمت ان عليه دينا وهو قادر على وفائه فضلا عن كونه عاجزا ثم حمايتى من الاكل من هدية
علمت بالقرائن أن لها قدرا عظيما عند صاحبها ثم كراهتى للاكل وحدى ثم عدم ردى للسائل
المحتاج ثم اعتقاد الجن وكثير من المسلمين والنصارى وغيرهم فى الصلاح ثم كثرة تصديقى
وتسليمى لكل من ادعى ممكنا فى العادة حتى القطبية الكبرى ثم كشف الحجاب عنى حتى سمعت
تسبيح الجمادات ثم عدم قولى بالجهة فى جانب الحق جلا وعلا ثم عدم تسليمى للنفس ما ادعته من
العجز عن القيام الى الصلاة فى المرض الا بعد امتحانها ثم حمايتى من الاكل من طعام من شفعت
فيه شفاعة ثم كراهتى لقبول شئ من هدايا الولاة والعمال ثم عدم مزاحمتى على صحبة أحد من
الولاة وعدم صحبتى للامير اذا لم ترجح صحبته شرعا على تركها ثم كثرة قبول شفاعاتى عند الامراء
ومشايخ العرب والعمال ثم حسن سياستى للامير الذى أشفع عنده وفيه ذكر محمد العبادى
فأقول للامير اذا كان التأديب بلغ حده فى فلان فشفعنا فيه والا فنحن معكم على تأديبه
ثم حمايتى من الاكل من ضحايا الولاة التى يرسلونها الى الزاوية ثم حمايتى من مساعدة الظلمة لى
فى جهاتى الثلاث ثم حمايتى من وقوع مجاورتى بمكة لعجزى عن القيام بآداب المجاورة وفيه
ذكر شروط ذلك ثم حمايتى من الاكل من صدقات الناس ثم كثرة شكرى لله تعالى اذا زوى
عنى الدنيا ثم عدم شهود فضلى على من أحسن الله تعالى اليه على يدى ثم انشراح صدرى للاسرار
بالصدقة والله تعالى أعلم (الباب السابع) وفيه من النعم نعمة عدم تشوف نفسى الى مكافأتى
على هديتى ثم كثرة رحمتى وشفقتى على من غيرو بدل من الفقراء أو رجع الى محبة الدنيا ثم عدم

قطع

قطع برى لمن كفر بوساطتى فى رزقه ثم عدم شح نفسى على الهرة بالدجاجة وعدم تمكينى أحدا
يتبعها اذا خطفتها من السفرة خوفا من ازعاجها ثم حضورى مع الله تعالى حال أكلى وشربى
كما أحضر فى الصلاة ثم عدم التكدر ممن ذهبت الى زيارته فلم يفتح لى الباب وفيه ذكر الخطيب
الشربينى وأدبه ثم صحة توجهى الى الله تعالى فى دفع الدنيا عنى ثم تنبيهى على ما أكلته من
الحرام والشبهات بعلامات أعرفها ثم عدم تقديمى للضيف ما فيه شبهة وعدم تكلفى له ثم كتمانى
لعمل وليمة أو مولد عملتهما عن أصحابى خوفا من أن يتكلف أحد منهم ويساعدنى ثم حمايتى
من التداوى باشارة يهودى ثم شهودى ان الابتلاء الذى يقع لى انما هو بمحبة الحق تعالى لى
ثم تحملى عن بعض المرضى مرضه ثم عدم غفلتى عن الصلاة اذا مرضت ثم ارسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لى رسولا كلما أمرض يبشرنى بالخلاص من ذلك المرض ثم رضاى عن ربى
اذا قسم لى يسيرا من الطاعات ثم أخذى كل كلام سمعته من واعظ أو خطيب فى حق نفسى
دون غيرى ثم فرحى بكل شيخ سكن فى حارتى وانقلب اليه جماعتى حتى لم يبق أحد منهم حولى
ثم حفظى للادب مع أصحاب الوقت من العلماء والصالحين فلا أجلس مجلس وعظ مثلا حتى
أقول دستوريا أصحاب الوقت حتى لا يرتج على الكلام ثم شهودى أن جميع الكرامات التى
تقع على يدى ليس لى فيها تعمد وانما هى كلها فعل الله وحده حقيقة ثم عدم مبادرتى
للانكار على من رأيته يلبس ملابس أهل الدنيا عادة من العلماء والصالحين وفيه ذكر سيدى
محمد البكرى ثم كراهتى للجلوس فى المسجد على حدث أصغر ثم كراهتى اخراج الريح فى المسجد
ثم كثرة تجلى لاخوانى فى غيبتهم وحضورهم ولا أواجه أحدا منهم بنصح فى الملا الا ان كان قد
بايعنى على ذلك ثم محبتى لزيارة جميع أقرانى الا الحسود وفيه ذكر اجلالى للخطيب الشربينى
وسيدى محمد البكرى وكثرة توجهى الى الله تعالى ان لا يعثى أحد منهما الى تعظيما لهما ثم كراهتى
لحضور المحافل الكثيرة التى لم يشرع لنا حضورها ثم حمايتى من النوم على غير وتر ثم عدم اجابته
تعالى دعائى على أحد من المسلمين وسؤالى له قبل ذلك ان لا يستجيب لى فيهم دعوة حال غضبى ثم
عدم مجادلة من جادلنى بغير حق حتى تخمد نار نفسه وينزل الشيطان من على ظهره ثم كثرة
مشاورتى لاصحابى فى كل امر لم يأمرنى به الشارع بخصوصه ثم عدم هجرى أحدا من المسلمين
لحظ نفسى فوق ثلاث ثم حضورى مع الله تعالى حال جماعى كما فى الصلاة فى أصل الحضور وان
تفاوت الحضوران من حيثيات أخر بجامع الامر بكل منهما ثم عدم جماعى مع الغفلة أو وأنا
مخاصم لاحد أو محب للدنيا فربما أتى الولد على صورة والده حال الوقاع وفيه ذكر الشيخ أحمد بن
عاشر ثم عدم بخلى على عيالى باجرة دخولهن الحمام كلما أجامع ولو تكرر ذلك كل يوم ثم تقبيلى
لرجل العالم أو الصالح اذا زرته بحضرة تلامذته بقصد زيادة اعتقادهم يديه فيه ثم أرى فعلى ذلك
من بعض حقوقهم على ثم تحفظى من طول الجلوس عند أحد من اخوانى خوفا من وقوعى
أو وقوعه فى غيبة أحد فقل مجلس طال وسلم من ذلك ثم كثرة سترى لعورات المسلمين الذين لم
يتجاهروا بالمعاصى لاسيما عدوى ثم عدم مبادرتى الى الرد على من أشيع عنه أنه قال ما يخالف
الشرع أو جمهور العلماء وفيه ذكر واقعة الشيخ عبد المجيد النامولى المقيم بالمحلة الكبرى
فى قولنا اللهم صل وسلم على أفضل مخلوقاتك وأنه نهى عن مثل ذلك وبيان ان ذلك كذب عليه

وافتراء ثم مشاركتى لجارى فى الفرح والسرور اذا وادله مولود مثلا ثم عدم منى بالاكل على صاحبى اذا حصل بينى وبينه وقعة ولا أقول له تذكر العيش الذى بيننا وبينك ثم معرفتى بحال قضاة الزمان فى تشوشهم ممن يصلح بين الناس ويعطل محاكهم وأنهم معذورون فى مثل ذلك ثم عدم جمعى بين الضرتين ولو باذن القديمة منهما الان ذلك أمر لا يدوم والله أعلم (الباب الثامن) وفيه من النعم نعمة عدم بغضى أحدا من الاشراف أو الانصار ولو طعن الناس فى نسبهم ثم حفظى لحرمة مشايخى الاحياء والاموات فلا أرى نفسى أهلا لخدمتهم ولو بلغت مقام مشايخ العصر ثم عدم مزاحمتى لاحد من مشايخ عصرى على المشيخة كأخذ العهد وتلقين الذكر ورؤيتى أنهم أفضل منى ثم عدم افتتاحى مجلس الذكر وهنالك من هو أكبر منى سنا أو أحد من الاشراف ولو صغيرا ثم عدم أخذى العهد على مريد نكث عهد شيخه وعدم اظهارى البشاشة له وفاء بحق شيخه الذى نكث عهده ولو لم يعلم بذلك شيخه ثم عدم تقييدى على أحد ممن صحبنى أنه لا يجتمع بغيرى أو لا يصلى الجمعة الا عندى أو انه يجانب أحدا لصحبتى الا لغرض شرعى ثم حمايتى من الوقوع فى شئ يغير قلب شيخى على يوما من الدهر ثم عدم تغير خاطرى على مريدى اذا زار غيرى من مشايخ العصر ولا أظهر له التغير الا بطريق شرعى ثم عدم تكدرى من شيخ عقد له مجلس ذكر تجاه مجلسى ولو فى زاويتى بل أذهب بجماعتى اليه وأكون فى طاعته لكل خير ظاهرا وباطنا وآمر أصحابى كلهم بذلك ثم كراهتى للتميز عن اخوانى فى مجلس علم أو ذكر ولا أجلس على سجادة مثلا الا لعذر شرعى ثم كراهتى للاكل من طعام مريدى الان كان يعتقد أن جميع ما بيده كالملك لى دونه ثم عدم تكدرى ممن صحبنى من الامراء ومشايخ العرب مثلا اذا زار أحدا من أقرانى بل أحسن اعتقاده فى جميع أهل الخير من أقرانى ليصحبهم ويتركنى ثم كثرة ارشادى لاصحابى أن ينظروا فى أنفسهم اذا خالفهم خادمهم أو زوجهم فربما كان سبب مخالفة الخدم والعيال مخالفة الانسان لربه عز وجل مجازاة ثم كثرة ارشادى للمريدين أن يتحملوا كثرة الاذى من الناس ولا يجيبوا عن أنفسهم بجواب الا لغرض شرعى ثم حفظى للادب مع أقرانى حال غيبتهم عنى وذكر مناقبهم ومفاخرهم فى كتاب الطبقات وقل من يفعل مثل ذلك مع أقرانه ثم عدم أمرى للذاكرين بالسكوت آخر المجلس الا بعد قولى بقلبى دستور بالله أسكتهم فانهم ملوا أو وراءهم ضرورات ثم اذن شيخى الشيخ محمد الشناوى لى بانى آخذ العهد على المريدين وأربيهم ثم كثرة محبتى وتعظيمى لاولاد مشايخى من ذكور واناث فى حياة والدهم وبعد مماته وكذلك محبة جميع أصحابهم ثم شهودى فضل معلمى على ولو جاوزت مقامه فى زعمى ثم ارشادى لاخوانى من الامراء والمباشرين وغيرهم اذا عزل أحدهم من ولايته مثلا أن يكثر من الاستغفار ويتفقد ذنوبه التى عملها طول عمره ويتوب منها كلها فان ذلك أسرع فى تحصيل غرض أحدهم ثم عدم غفلتى عن نصح أصحابى اذا سلك أحدهم بنفسه مسالك التهم ثم كثرة احترامى للاولياء بعد مماتهم فلا أتزوج لاحد منهم زوجة ولا غير ذلك مما فيه اخلال بواجب حقوقهم ثم محبة نفسى الجلوس فى طرف الحلقة ثم ذهاب فهمى الى الاتعاظ اذا سمعت القرآن أو الحديث قبل ذهابه الى الاستنباط للاحكام ونحو ذلك ثم عدم احتجابى عن المكروب والملهوف ثم أدبى مع أصحاب الحضرة الالهية فى ليل أو نهار فلا أسبق للوقوف بين يدى الله تعالى قبلهم الا لعذر كأن أعلم ان

ذلك

ذلك أرضى لله تعالى ثم محبتى لجميع الطاعات لكون مجالسة الحق تعالى تحصل فيها وبغضى للمعاصى من حيث حجابى عن الحق تعالى فيها فلا أحب ولا أبغض لعلة ثواب ولا عقاب ثم رؤية نفسى أن لحيتى تحت نعل كل عالم أو صالح زرته فضلا عن كونى أرى نفسى مثله وفيه ذكر جماعة من العلماء يعتقدونى بغير دليل كالطبلاوى والرملى ثم تصديقى للصالحين فى كل شئ يخبرون به فى وقائعهم مما تحيله العقول عادة ثم نفرتى بالطبع ممن يقبل يدى فى المحافل أو يمشى معى الى الباب اذا خرجت من عنده الا لغرض شرعى والله تعالى أعلم (الباب التاسع) وفيه من النعم نعمة كثرة اكرامى لاهل الحرف النافعة ثم عدم ازدرائى لاحد منهم الا بطريق شرعى فأزدرى صفاتهم وأفعالهم لا ذواتهم ثم تخفيفه تعالى على مدة المرض فى الغالب وكثرة ضجيجى الى الله تعالى دون اظهارى التجلد قال سيدى عمر * ويقبح الا العجز عند الاحبة * ثم هروبى من تحمل منن الاخوان وان لم يقع منهم من على ثم محبتى لتحمل بلاء جارى عنه حتى انى أود أن كل بلاء نزل عليه كان نزل على وفاء بحقه ثم كثرة محبتى واكرامى لاهل العلم والقرآن من حيث كونهم حملة شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى ثم سترى لطالب العلم فلا أقول له قط قرر كلام القوم الان علمت منه انه يقرر الكلام على مصطلح القوم خوفا ان يفتضح عند الحاضرين من الفقراء ثم كراهتى للتقدم للامامة فى الفرائض وغيرها خوفا من تحمل نقص صلاة المأمومين ثم مبادرتى للشكر اذا قدر الله لى خيرا أو الى الاستغفار لو قدر على شرا ثم تحملى هم أصحابى اذا خرج أحدهم لزيارتى ولم يجدنى فى البيت ولذلك كنت لا أخرج من بيتى قط الان قلت بتوجه تام اللهم ان كان أحد خرج لزيارتى فعوقنى له وان كان لم يخرج فعوقه عن الخروج حتى أرجع الى بيتى ثم صلاتى للاستخارة كل يوم على مصطلح القوم ثم أقول اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه أو أسكن أو يتحرك فيه غيرى أو يسكن فى حق نفسه أو نفسى أو أحد من المسلمين خير لى فى دينى ومعاشى الى آخره ثم كثرة اجتماعى بالاموات وهم فى قبورهم ثم رؤيتى للاولياء الذين ماتوا فى المنام ومباسطتهم لى كالامام الشافعى وغيره ثم اطلاعه تعالى لى فى المنام على أوقات الحوادث التى تقع فى مستقبل الزمان ثم رؤيا جماعة من الحكام وغيرهم فى المنام ما يزيدهم اعتقادا فى ثم شهودى بعين قلبى تصور أعمالى صورا وهى صاعدة الى المكان الذى منه برزت من عرش أو كرسى أو سماء لا بعين بصرى ثم ترتيب أورادى فأبدأ بالافضل فالافضل وبجوامع الكلم قبل غيرها ثم احترامى لكل من كان له جمعية قلب مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم فأتحمل منه الاذى ما لا أتحمله من غيره ثم عدم دعائى على الشريف اذا وقع منه شئ يؤذينى ثم حصول الفرح والسرور اذا جفانى أصحابى الذين ليس لى بهم نفع بل أعد عدم زيارتهم لى يوم عيد ثم كثرة المعتقدين فى من الفلاحين حتى ان أولادهم يحلفون بى ثم عدم اهتمامى بشئ من أمور الدنيا فلا أعمل قط عرسا وأحضر الطباخين ثم عدم وجود أحد من الزوالق حولى كما هو الغالب على العلماء والفقراء ثم كراهتى لسماع الآلة المطربة ثم حسن ظنى باهل الخرق كالاحمدية والبرهامية والمطاوعة فلا أنكر عليهم الا ما خالف صريح الشرع أو خالف الاجماع ولا أنكر عليهم شيأ من المختلف فيه الا على وجه التنزيه ثم عدم تحجيرى على مريدى أن لا يصلى الجمعة الا عندى وقد مرت هذه أوائل الباب أيضا ثم حفظى لمقام صاحبى أو مقام من

أكلت عنده خبزا وملحا يوما من الدهر ثم نفرتى بالطبع فضلا عن الشرع من كل من ينقل الى نقائص الناس من نفسى أو غيرى بغير غرض صحيح وفيه ذكر الشيخ زين العابدين البلقينى ثم حفظى لمقام العالم أو الصالح اذا خاصمه أحد بغير حق فلا أقول ما لهذا الصالح يتخاصم مع فلان وانما أقول ما لهذا الفاسق يؤذى سيدى الشيخ مثلا ثم صبرى على غضب صاحبى الاحمق اذا أمرته بمعروف وتكدر منى ثم قلة عيادتى للظلمة اذا مرضوا الا لمصلحة شرعية ثم مداواة المريد اذا تكدر من شيخه اذا لم يعده فى مرضه ثم صبرى على عوج زوجتى وخادمى اذا اعتقدت ان أصل ذلك العوج منى ثم خدمة زوجتى اذا مرضت ثم كراهتى للخلوة بالاجنبية ثم عدم معاتبتى لاحد تخلف عن الصلاة على ميتى ثم حسن تدبيره تعالى لى فى الحملات الثقيلة التى أدخل فيها ثم عدم قبولى هدية ممن تحملت حملته ثم كثرة حنينى الى الوحدة وكراهتى لتردد الناس الى الا لمصلحة ثم تفتيشى لجوارحى صباحا ومساء لاشكر الله على عافيتها واستغفره من معصيتها ثم عدم اعتمادى على شئ من أعمالى دون الله تعالى وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم عدم اتعاب سرى فى تحرير كتاب صنفته خوفا من حصول العجب فيه ثم جمعه تعالى فى جميع الاخلاق المذكورة فى هذا الكتاب ثم اطلاعه تعالى لى فى واقعة على جميع ما يتفضل به على فى الدار الآخرة الا ما استثناه الشرع (الباب العاشر) وفيه من النعم نعمة حمايتى من أنى لم أدع أحدا من الصالحين والعلماء الى زفة عرس أو ختان اجلالا لهم وفيه ذكر سيدى محمد البكرى نفعنا الله ببركاته ثم عدم تمكينى لاحد من أصحابى أن يتصدر للرد على أحد من الفرق الاسلامية الا اذا خالف صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها ثم عدم تنفيذ غضبى فيمن غضبت عليه عند القدرة ثم حفظى للادب مع أشياخى وأصحابى فلا أمدح أحدا منهم الا بحضرة من يعتقدهم خوفا ان يسبهم كما يقع للروافض فى حق أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ثم عدم اعتنائى بحضور عمارة بيت أو مركب أو غرس بستان أو شجرة ثم عدم اهتمامى بشئ من ملابس الدنيا والتعنت فى شرائها ثم تعففى عن المبادرة الى اجابة من دعانى الى التنزه فى بستانه أنا وجماعتى خوفا من قطع الثمار قبل كمالها أو تكليف صاحب البستان ونحو ذلك ثم حيائى من الله عز وجل اذا مشيت وحدى فى طريق من شدة هيبة الله عز وجل ثم كراهتى لكثرة تردد الاخوان الى خوفا من العجز عن مكافاتهم وقد تقدمت هذه المنة مرارا بغير هذه العبارة ثم حفظ زوجاتى من حضور الاعراس التى لا تنضبط أصحابها على الشرع ثم محبتى للاشراف ولو كانوا من جهة الام فقط وان كانوا على غير قدم الاستقامة وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم زيارتى كل قليل لاهل البيت المدفونين فى مصر وقراها ولو بعض أعضائهم بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كثرة اهتمامى بشأن الامير الذى يجتمع على أحد من أقرانى اذا حصلت له بلية وفاء بحق صاحبى لاسيما ان كان من المحسنين الى ثم عدم شهودى أنى وفيت بحق الله عز وجل أو حق أحد من عباده فى حال من الاحوال ثم عدم مجادلتى مع من غلب عليه حكم الطبع ومحبة الرياسة ثم حث جميع الاخوان على عمل الحرف والصنائع وتقديم ذلك على حضور مجلس وردى أو وعظى الا لغرض شرعى ثم عدم شهودى أنى بلغت مقام من هو فوقى فى الكمال فى اسلامى أو ايمانى أو احسانى ثم حمايتى من أنى ادعى مقاما لم أبلغه خوف الحرمان له ثم تفويضى الى الله تعالى

فى تربية أولادى وأصحابى لكن مع مناقشتهم فى الافعال والاقوال البارزة على يدهم ووزنها على الكتاب والسنة ثم شهودى الكمال فى صاحبى وشهودى النقص فى نفسى ولذلك كنت لا أحب العزلة عن الاخوان الا بحكم الشرع لا الطبع ثم عدم الركون والميل الى أحد من اخوانى دون الله تعالى وقد تقدمت هذه المنة مرارا ثم شهودى ان الله تبارك وتعالى أرحم بنفسى منى ببادئ الرأى من غير تفكر فى ذلك ثم كونى لا آكل ولا ألبس الآن وجدت ذلك من مالى دون الدين الا لضرورة ثم عدم الاكباب على معاشرة الناس وعدم انقباضى عنهم ثم كثرة صبرى على كتمان سرى وعدم افشائه لاعز أصدقائى الا لغرض صحيح ثم عدم كثرة امتحانى لاصحابى خوفا من ظهور عيوبهم لى ولو بالمكاشفة ثم عدم تنفيرى للاخوان ان يرسلوا الى طعاما من بيوتهم أو هدية من غير استدعاء منى ثم كثرة مسامحتى للاخوان فيما يتعلق بالاخلال فى الادب معى وعدم مسامحتهم فى ذلك فى حق غيرى ثم عدم اغترارى برؤيا صالحة رأيتها أو رؤيت لى ثم شهودى لمحاسن العوام من المحترفين وتفضيلهم على نفسى ثم اقامة العذر باطنا للاخوان اذا أخرجوا أخلاقهم الرديئة على بعضهم بعضا ثم عدم اعطائى الحكمة غير أهلها أو الادب غير أهله ثم عدم مشاورتى للنساء والعباد بغير علم فى فعل شئ أو تركه لنقص عقول النساء وجهل العباد بخلاف العارفين ثم كراهتى لتعلم علم الحرف والرمل والهندسة والسيمياء وغير ذلك من علوم الفلاسفة ثم هروبى من كثرة النصح للاخوان على طريق التجسس خوفا من الاستدراج لى ثم ردى للامانات التى جعلها الحق تعالى عندى اليه تعالى من مال أو علم أو قال أو حال ثم عدم جوابى لمن سألنى مسئلة فى العلم وقلبه غافل عن العزم على العمل بها اجلالا للعلم ومصلحة للسائل ثم اذعانى وخدمتى بالطريق الشرعى لكل من ظهر بمظهر دعوى العلم والمعرفة بطريق القوم ثم شدة حرصى على وقوع ما ينفع الاخوان فى دينهم ودنياهم ثم شدة حذرى من صحبة العارفين والعلماء العاملين مع محبتى للقرب منهم وقد تقدمت هذه المنة فى الابواب السابقة ثم كثرة نصحى للاخوان من التجار والمباشرين وغيرهم وتحذيرى لهم من الاسراف فى مأكل أو ملبس فى هذا الزمان لكساد البضائع وقلة الرزق ثم حرصى على حصول الخير لطلبة العلم والذاكرين بتعليمهم آداب العلم والذكر (الباب الحادى عشر) وفيه من النعم نعمة نفرة نفسى من الصفات التى يكرهها الله تعالى ومحبتى للصفات التى يحبها سبحانه وتعالى ثم تعليمى لمن عزل من ولايته مثلا طريق اقامة الحجة على نفسه دون الله تعالى ودون خلقه ثم معرفتى بطب أرباب الاحوال اذا مرضوا من الحال على اختلاف طبقاتهم ثم سرورى بالمرض اذا جاء وتمنيه بطريقه الشرعى اذا أبطأ طلبا للتكفير سيآتى ثم عدم معاجلتى بالجواب فى مجلس المذاكرة والمناظرة فى العلم ثم عدم طلبى أحدا يساعدنى اذا عارضنى أحد من أرباب الاحوال ثم ميلى الى الدواء اذا حصل عندى مرض فأبادر الى التداوى بكل ما يصفه لى الطبيب المسلم ولا أترك التداوى على زعم التوكل فان التداوى لا ينافيه ثم اخذى بالاحتياط فى عدم كتابتى فى المحاضر التى يبنون عليها تولية أحد من أرباب الولايات ولا أكتب فيها ولا ازكى أحدا من أصحابها الآن غلب على ظنى صلاحيته لتلك الولاية وتعينها على مثله خوفا من أن أكون شريكا له فى ظلمه فى تلك الولاية ثم اعطاء الحق تعالى لى جانبا عظيما من علم الفراسة الناشئة من

قوله الى احد من الخ فى نسخة الى شئ من احوالى

نور الايمان لا على طريقة أرباب الطبائع من الفلاسفة ثم معرفتى بالآفات التى تطرق الانسان
فى اعماله وعقائده وأحواله ثم نظرى الى أدب ذوى البيوت من الاكابر فان معهم من الآداب
مالا يوجد فى كتاب ولا أنظر الى شئ من مساويهم ثم حفظى للادب مع سائر المسلمين على اختلاف
طبقاتهم ثم عدم سماحة فكرى فيما تشابه من آيات الكتاب العزيز ثم حمايتى من كثرة النوم
الزائد على العادة فى الليل والنهار ثم محبتى لمن يبصرنى بعيوبى ونقائصى وتقديمه فى المحبة
على الصديق الذى يداهننى ثم كراهتى من أصحابى أن يكثروا اللغو عندى ويجروا قوافى
الولاة وغيرهم خوفا على دين نفسى وعليهم ثم كثرة ارشادى لطلبة العلم أن لا يكثروا من الجدال
ورفع الصوت عند قراءة التفسير للقرآن أو الشرح للحديث وربما أغار على أحدهم أن يذكر
اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو على غير طهارة ثم مطابقتى بين ما عليه العارفون من
أسرار الطريق وبين ما قاله الائمة المجتهدون ومقلدوهم من معتمد الاحكام الشرعية عندهم ثم
العمل على طهارة ايمانى بالتوبة واصلاح الطعمة ثم عملى على تحصيل مقام الصديقية والشهادة
بحكم الارث لابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم حفظى من الندم على فوات
معصية أو طاعة بطريقه الشرعى ثم نصحى لمن استشارنى فى الاخذ عن أحد من مشايخ العصر
الذين جلسوا بأنفسهم من غير اذن من شيخهم أن لا يأخذوا عنه ثم كراهتى للاكل من الاطعمة
الفاخرة فى أوانى الصينى أو الفرنجى ونحوها ثم تشريفى برؤيا البارى جل وعلا مرتين فى المنام
وبالاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالسيد عيسى عليه السلام مرارا وبالخضر وبالقطب
عليهما السلام مرارا ثم عدم شكوى من يؤذينى الى الله تعالى أو الى نفسى لان ولينا كلنا الله
تعالى وهو يرى ويسمع ما يقع من عباده ثم ايمانى بالغيب من صغرى سواء كان من الغائب عن
بصرى أو عن عقلى ثم جعله تعالى لى محمدى المقام بجمعه مقامات جميع الرسل عليهم الصلاة
والسلام ثم زهدى فى الدنيا من حيث كونها مبغوضة لله عز وجل لا لعلة أخرى وزهدى فيما
بأيدى الناس ليحبونى فيه هو الى عند الله تعالى لا لعلة أخرى ثم حصول مقام التجريد
فى الباطن حتى انى لو تعريت عن لبس ما زاد على العورة لشاكت باطنى ولم يكن على بذلك لوم
ثم حفظى من أكل أموال الناس بغير اذنهم من حين شهدت انهم لا يملكون مع الله شيأ
فى الدارين الى وقتى هذا ثم عدم ادعائى لمقام المحبة المشهور بين القوم ثم خوفى من وقوع
يدى على ذكرى فى ليل أو نهار فى عبادة أو غيرها ثم عدم مبادرتى الى الاخذ للعهد على مريد
طلب منى أن يكون تحت تربيتى واشارتى حتى أعلم صدقه ثم رؤيتى فى نفسى اذا جلست مع
الفقراء فى مجلس خيرا أنى أكثرهم ذنوبا ولذلك أتأثر منهم لما يقبلون يدى ولكن أعذرهم لغيبتهم
عن مشهدى والله اعلم (الباب الثانى عشر) وفيه من النعم نعمة ايثار جناب الحق جل وعلا على
جنابى فلا أمكن مريدى من رسوخ محبتى فى قلبه ثم كثرة ارشادى لفقراء الاحمدية والرفاعية
والبرهامية وغيرهم ان يتلمذوا الشيخ يربيهم من الاحياء ولا يكتفوا بالاموات ثم عدم انكارى
على أحد من أهل الكشف اذا رأيته يضرب انسانا مثلا من غير ذنب ظاهر ثم عدم الجائى لامير
أو شيخ عرب طلب ان يتلمذ لى لعجزه عادة عن استعمال ما أصفه له من الدواء النافع للمريد ثم سلبى
من الحال التى تؤثر فيمن جنى على أو آذانى ثم تربيتى لخواص أصحابى بالنظر من غير قول ولا اشارة

ولا أمر ولا نهى ثم اطلاعه تعالى لى على عدد أصحابى الذين انتفعوا بصحبتى ويحشرون معى
وأحشر معهم ثم تقريب الطريق على الصادقين من أصحابى باشتغالهم بالتوحيد ثم عدم رجوعى
فى شئ خرجت عنه فى سرى لاحد ولو عمامتى أو جوختى ثم عدم اتباعها نفسى ثم كثرة أدبى مع
كل من تزيا بزى القوم لاسيما حال بسطه وممازحته لى فلا أخالطه الا بالادب ثم كراهتى لوقوع شئ
من الخوارق على يدى فى هذه الدار ثم رؤيتى لاولاد كل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعين التى كنت انظر بها الى والدهم لو أدركته رضى الله عنهم أجمعين ثم رؤيته بعض الصالحين
الاثنى عشر اماما من أهل البيت ووجوههم كالقمر وعليهم ثياب نفيسة فقال لهم ما جاء بكم فقالوا
نسلم على عبد الوهاب فانه ليس فى مصر أحد يحبنا الآن مثله ثم تقليدى للعارفين فى كل ما فهموه
من القرآن مما لم يذكره المفسرون ثم وصولى فى مقام الايمان الى حد صرت أتألم كما يتألم أخى
المؤمن وأحس بألمه كما يحس هو بالألم ثم افادتى لكل فقيه جلس الى بالادب عدة فوائد كما جلس
مما لم يكن عنده ثم اعطائى لارباب الاحوال كل ما يطلبونه منى ولو عمامتى ولا أشح عليهم بشئ لى
قدرة عليه ثم عدم تشويشى من الفقير اذا دخل على وتشرط على فى الاكل لاسيما بعد العشاء
الآخرة ثم عدم اصغائى باذنى الى من يقول بكفر الحلاج من صغرى الى وقتى هذا ثم اجتماعى
وصحبتى لاولياء الله الاكابر الظاهرين بالكرامات والخوارق ثم قراءة القرآن على الجنى
فيحترق فى الوقت أو يحجب عن رؤيتى فى الليل والنهار ثم صحبتى لجماعة من الاولياء يجتمعون
بملك الموت وبجبريل فى هذه الايام ثم اخذى الطريق عن امى لا يقرأ ولا يكتب وهو سيدى
على الخواص رضى الله عنه لان علوم الامين علوم وهب ثم تعظيمى للفقير الذى عليه زى
الفقراء بادى الرأى ثم ندائى بقلبى لمن شئت من أصحابى أن يحضر فيحضر من غير لفظ أو يرد من
غير لفظ ثم جعله تعالى لى ممن يحيى السنة ويميت البدعة بعد الفترة التى كانت بعد اشياخى وفيها
ذكر الخطيب الشربينى والشيخ نجم الدين الغيطى وسيدى محمد البكرى وسيدى على المرصفى
رضى الله عنهم ثم عدم الجزم بتفضيل أحد من علماء العصر وأوليائه على غيره ثم اقتدائى
بالسلف الصالح فى كتمان الاسرار التى منحتها بفضل الله تعالى وفيه ذكر سيدى محمد البكرى
ثم معرفتى بأهل الدعاوى الصادقة والكاذبة ثم كثرة شفقتى على الايتام والعميان ثم عدم
مرورى على أحد من العلماء والصالحين أو الفقراء وأنا راكب ثم كراهة نفسى للقرب من
الملوك والامراء الان أعطانى الله تعالى الكشف التام الذى احتمى به من سوء عاقبة ذلك ثم عدم
طلبى لكثرة المريدين الان وطمنت نفسى على تحمل كثرة البلاء الزائد على بلاء جميع الاقران
ثم فلاح ولدى عبد الرحمن وحسن فهمه وعقله وافادته لى عدة فوائد وهو دون سبع سنين وفيه
ذكر سيدى محمد البكرى وسيدى على بن المنير وسيدى زين الدين ابن سيدى على المرصفى
وجماعة من أولاد فقراء العصر ثم عدم عداوتى لاحد من مشايخ عصرى من أقران مشايخى
ثم حمايتى من صغرى الى وقتى هذا من الوقوع فى شئ من اعمال قوم لوط أو غيرهم مما أهلك الله
به الامم السالفة ثم صحبتى لجماعة من الفقراء الكمل فى مقام الايمان بحيث لا يتخللنى فيهم تهمة
اذا ناموا عند عيالى فى غيبتى مع ان ذلك لم يقع لى انما ذلك على سبيل الفرض ثم صحبتى لجماعة
من ملوك الآخرة المطلعين على الاسرار والكوائن التى تقع فى مستقبل الزمان ثم وقوفى

عندما حدة لى شيخي من فعل كذا دون كذا حتى لو نهانى عن صحبة من يصحب الملوك ثم صحبهم
هو توقفت عن صحبته الا باذن جديد ثم عدم خروجى من بيتى فى غالب الايام الى الزاوية أو غيرها
الآن الاان علمت من نفسى القدرة بارادة الله تعالى على آداب الخروج الثلاثة وهى النصيحة
للخلق وترك المؤاخذة لهم على جناياتهم علىّ وعدم السكوت على ترك معروف أو فعل
منكر ثم كونى لا آكل ولا أشرب ولا أجامع ولا أضحك اذا جنى علىّ أحد جناية حتى أتوجه
الى الله تعالى فى سؤال العفو عنه ويلقى فى قلبى انه عفا عنه ثم وصولى بحمد الله تعالى الى مقام
فى الايمان باحوال الساعة حتى لو كشف الغطاء ما ازددت به يقينا ثم اجلالى لحانوت شيخي
سيدى على الخواص رضى الله عنه كلما مررت عليه بعد موته وتأخذنى عند رؤيته رعدة
وهيبة حتى كان شيخي جالس فيه حيا ثم معرفتى بالعمل الواقع على يدى هل هو حسن أو قبيح
لأشكر الله على حسنه عادة واستغفره من قبحه كذلك والله اعلم (الباب الثالث عشر) وفيه
من النعم نعمة كثرة شهودى لاصل ولاة الزمان حال ولايتهم وضخامتهم فلا يحجبنى أحد
الحالين عن الآخر فاشهد الامير ترابا حال كونه أميرا ونحو ذلك ثم خوفى من فعل شئ يغير قلب
أحد من الفقراء الذين ظهروا فى العصر وتعرفوا بنا وتعرفنا بهم ثم اطلاعى على اسرار الحروف
أوائل السور والمفرقة فى الهجا على غير طريق أهل علم الحرف الآن ثم تكرمى بثيابى وما عندى
من الطعام على كل محتاج سواء كان من المعارف أو غريبا من غير توقف ولا اتباع نفس ثم عدم
غفلتى عن نصح الشباب المقيمين عندى فى الزاوية فلا اكاد اغفل عن رعايتهم لانهم بشعبة من
الجنون ثم استحيائى من الله عز وجل ان اقرب من زوجتى أو أكثر من ملاعبتها لاستيلاء سلطان
الغيرة الالهية على قلبى ثم حسن سياستى ونصحى لمن عرف بالفجور فى العبيد والمماليك مع عدم
سوء الظن به ثم كتمى على الاموات من أصحابى ما رأيتهم فيه من العقوبة بعد موتهم ولا أخبر بذلك
أحدا من أصدقائهم فضلا عن غيرهم ثم عدم كونى أتصدى للدعاء للخلق فى زوال ضروراتهم الا
ان اجتمعت فىّ ثلاث خصال جمعية القلب على الله وعدم الالتفات الى غيره ووجود الاضطرار
اليه ثم كثرة تصديقى للاولياء فيما يدعونه مما هو من مرتبتهم عادة ثم عدم مبادرتى بالانكار على
من قام وتواجد ولو كان من الظلمة فان فى لمحة تقع الصلحة ثم عدم رضائى بما يقع من اخوانى
من البغى والفساد على بعضهم بعضا ثم حمايتى من جعلى قاضيا أو كما أو شاهدا الخفاء غالب
القضايا على الحكام والشهود ثم شدة زجرى لاصحابى عن الكذب وتغيظى عليهم بسبب
ذلك ثم عدم قبولى شيأ من النمام مطلقا ولو كان معدودا من مشايخ العصر ثم المبادرة الى
التوبة فورا اذا جرى على قلبى غيبة أحد ولو لم أتلفظ بذلك ثم كسر قفص طبعى حتى خرجت
عن الحياء الطبيعى ثم ارشادى لاخوانى المهمومين ان يامر أحدهم أحدا من المحبين له أن
يؤذن فى اذنه فانه يذهب همه لوقته ثم كثرة زجرى لمن رأيته من أصحابى يتجسس على عيوب
الناس ثم شهودى ببادئ الرأى فضل من قبل صدقتى أو فضل من قضيت له حاجة ثم كثرة رفقى
ورحمتى لمن شكا الىّ كثرة محبته للمعاصى ثم غض طرفى عن رؤيتى النساء الاجانب وما قاربهن
ثم غيرتى على اذنى ان تسمع زورا أو باطلا أو عينى ان تنظر الى محرم أو لسانى أن يتكلم بباطل
لاجل كونى اسمع كلام الله أو أنظر فى المصحف أو أتلوا القرآن ثم شدة ندمى على اجتماعى بأحد من

الامراء وكراهتى للظالم منهم ولو أحبنى ثم اقامة العذر باطنا لمن قدر الله تعالى عليه شيأ من
أمارات الساعة المذمومة وانكارى عليه ظاهرا قياما بواجب الشرع ثم كثرة محبتى لمن
ينصحنى وزيادة محبته على من يحجب عنى ثم موت أبى وامى قبل بلوغى سن التكليف ثم عدم سؤالى
الله تعالى ان يعطينى المنازل العالية فى الجنة الابعد توطينى نفسى على كثرة الصبر على البلاء
لكون البلاء مقرونا بذلك وعكسه ثم اعطائى الخبز حقه من الاكرام والتعظيم وتقبيله ووضعه
على العين ثم عدم اجتماعى بمن دخل فى عهد شيخ قبلى أو بعدى الاان علمت سلامته من الآفات
عند اجتماعه بى ثم رؤية بعض الصالحين ان الائمة الاثنى عشر من أهل البيت دخلوا مصر لزيارتى
وشهادتهم لى بالمحبة لاهل البيت ثم محبتى لعيالى محبة الاخوة فى الاسلام لا محبة الطبع فتزيد
محبتها بالدين عندى وتنقص بقلة الدين ثم عدم مبادرتى لصحبة انسان الابعد مجالستى له أياما
كثيرة ومعرفتى بتعظيمه لاوامر الله عز وجل ثم عدم مطالبتى العارفين والعلماء العاملين بدليل
فى جميع أحوالهم فان مثلهم لا يفعل ما هو بدعة ثم رؤيتى لجملة من مشايخى بعد موتهم
وتعظيمى لهم وخدمتهم ثم حسن ظنى فى الله عز وجل انه يجيب دعائى ولو كنت أكثر أهل الارض
خطايا وفيه ذكر بعض آداب الدعاء ثم عدم اقامتى ميزان عقلى على علماء عصرى وعدم سب
احد منهم الا بطريق شرعى ثم حمايتى من الخديعة والغدر لاحد من المسلمين ثم حفظى من
السرقة والخيانة من منذ وعيت على نفسى ثم حمايتى من أكل الحرام الصرف ثم عدم ذكرى
للامير الذى دخلت عليه شيأ من اخبار الامير الذى كان قبله الا لمصلحة ثم تأدبى مع الامير الذى
كان لى عليه أياد قبل أن يتولى تلك الولاية وعدم طلبى منه انه يدخل تحت حكمى كما كان معى
قبل ولايته ثم كثرة تعظيمى وتبجيلى لكل من زاد علىّ فى كثرة تحمل البلاء من تجريح الناس
فى عرضه ونحو ذلك ثم الهامى اقراءة السور الفاضلة والآيات العظيمة التى وردانها تعدل
ألف آية أو ربع القرآن أو نصف القرآن أو ثلث القرآن اذا ضاق علىّ الوقت فى قيام الليل أو نحو
ذلك ثم عدم رؤيتى حماية نفسى حال طاعاتى من وقوع العذاب علىّ عكس ما كان الحال
فى الزمن الماضى ثم عدم تكليفى لاصحابى ما لا يطيقونه من الاعمال ثم شهودى قرب الحق منى
فى حال سجودى كحال قيامى على حد سواء ثم انشراح صدرى لكثرة ذكر الله تعالى والصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من منذ وعيت على نفسى ثم مطابقة رؤيتى فى المنام ما يطابق
ما جاء عن الشارع وغير ذلك ثم عدم افشائى الاسرار المتعلقة بالتوحيد ودقائق الشريعة
لاحد من الخلق الابعد طول امتحان ثم شهودى ان ذاتى وروحى معى كاليتيم تحت
كفالة وليه ثم حفظى للادب مع السلطان ونوابه فلا اعترض عليهم فى فعل ما هو من ملازمهم
عادة دون كاركابهم الفرنج الخيل ومعارضتهم لنا فى هدم كنيسة ونحو ذلك ثم ملاطفتى
لاخوانى من الفقهاء فلا آمرهم الابفعل ما هو من مقامهم فى الورع الاان طلبوا ذلك منى
وفيه جواز اعارة الكتب المشروط عدم اخراجها لمطالع الطالب فيها فى مسجد آخر مثلا
ثم صبرى على مجالسة الثقلاء والله اعلم (الباب الرابع عشر) وفيه من النعم نعمة كثرة شفقتى
على كل دابة ركبتها وكراهتى حلى سوطا اذا ركبت ثم عدم سبى ولعنى الدابة اذا عثرت ورمتنى
على الارض على وحل أو قذر أو نحو ذلك ثم مواظبتى على الوضوء لكل ما يستحب له الوضوء

ثم عدم غفلتى عن تبغيض كل من صحبنى من الحشاشين فى بلع الحشيشة وعدم زجرى له عن ذلك بعنف ثم شهودى بنور الايمان وسر الايقان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله على الاطلاق فلا أحد من أهل السموات والارض يساويه فى مقام من المقامات ثم عدم مزحى مع أحد وهو فى عبادة من صغرى الى الآن أدبا مع الله عز وجل ثم عدم مبادرتى للانكار على الولاة من أمير أو قاض فى تغاليهم فى شراء المماليك الصباح الوجوه ثم عدم الوسوسة فى الوضوء والصلاة والقراءة فيهما مع أنى بلغت الغاية فى الورع التى لم يصل اليها هؤلاء الموسوسون ثم طيب نفسى بالقراءة على أقرانى واظهارى انى من طلبتهم ثم تعظيمى لاقرانى كلما خفى أمرهم ونفر عنهم المعتقدون ثم حمايتى من أن يكون لى ديوان سر بين أصحابى فى تنقيص أقرانى ثم اذا واجهتهم أكبر بهم كما عليه طائفة اخرى ثم عدم احتقارى من رأيته على معصية الا ان اطلعنى الله عز وجل على سوء عاقبته التى يبعث عليها ثم عدم سب السكران أو ضربه اذا طلع المسجد وخيف عليه من تنجيسه ثم كثرة اهتمامى بامر الضيف وغدائه وعشائه مع كثرة اشتغالى بامور أخر من تأليف وقراءة قرآن وتدريس علم وقضاء حوائج الفقراء عند الحكام غالب النهار وغير ذلك وفيه ذكر سيدى محمد البكرى وسيدى محمد الرملى ثم رؤيتى لمحاسن أعمال العلماء والصالحين وسائر أعمال المسلمين وعدم التعرض لمقاصدهم فى الباطن لان ذلك الى الله تعالى لا الى العبد ثم تفتيش نفسى والتوبة من كل صفة مذمومة كلما قمت الى الصلاة من حسد ومكر ونفاق ورياء وغير ذلك ثم عدم اكلى اذا ركبت حمارة باجرة أو عارية لكونى اصير بالاكل ثقيلا زيادة على ما كنت عليه حال استئجارها أو استعارتها ثم عملى بالامور التى علق الحق زيادة العمر أو الرزق أو الموت على الايمان بفعلها ولا أتكل على ما سبق به العلم ثم كثرة توجهى الى الله تعالى فى حفظ رأس مال عمل كل من بات عندى فى كل مولد عملته من النقص أو الاحباط من مقرئين ومداحين وسامعين خوفا ان يقع أحدهم فى غيبة أو رياء فيحبط عمله أو ينقص ويرجع من مولدى خاسرا ثم عدم ظنى النجاة فى طاعة من الطاعات بعد اذ سمعت قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم تصويبى لكل من زهد فى صحبتى وفارقنى وقولى ان فلانا قد أصاب فى مفارقتى مثلا ثم تنزيل الناس منازلهم فى الاكرام بحسب ما هم عليه من ذل النفس ثم عدم تكديرى ممن أمرته بأمر فلم يمتثل ذلك الامر عملا بقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ ثم مبادرتى الى النظر فى حكمة كل شئ وقع فى الوجود من المعاصى والمخالفات دون الاعتراض فلا اعترض الا بعد ذلك ثم عدم تكديرى ممن لم يحضر مولدى أو لم يساعدنى فيه بماله أو ببدنه ثم شهودى فى نفسى انى دون من اربيه من المريدين فى المقام لانهم مشايخى فى الحال وأنا شيخهم بالقال ثم شهودى فى نفسى انى من جملة العصاة على الدوام اما بوقوعى فى المخالفة واما بتقصيرى فى العبادة ثم عدم تكديرى ممن نفانى من طريق الصوفية وقال فلان ليس هو من أهل الطريق ولا ذاق منها شيأ ثم تسليمى لكل من ادعى من الفقراء انه من أهل الكشف ولكنه تنزه عنه ثم عدم تغييرى ما كنت عليه من الضحك والمزح اذا دخل على من يستحى منه عادة خوفا من النفاق ثم عدم محبتى للبس ثياب مخصوصة دون غيرها لحظ نفسى ثم تحببى لمن أراد من الناس ان يأخذ عن أحد من أقرانى فى الاخذ عنه ثم تكدرى اذا دخل على

أحد

أحد من الامراء والاكابر وأنا فى قراءة حزبى أو محفلى صباحا ومساء مثلا ثم خوفى من المواظبة على الاذكار ومجالس الخير أن يكون ذلك رياء ودوامه استدراجا ثم عدم اخذ اخوانى معى فى الولائم الان غلب الخلاص فى ذلك ثم اخذى كل كلام وعظت به الناس فى حق نفسى أولا وفى حق الناس ثانيا واستغفارى من ذلك ثالثا ثم عدم تمكينى أحدا من الاخوان يمشى بين يدى اذا ركبت فى وليمة أو حاجة ثم شهودى فى نفسى انى عاجز عن رد كيد ابليس عنى فضلا عن رد كيده عن مريدى ثم عدم تمكينى أحدا من الاخوان ان يتفوه بأنى من الاولياء والصالحين لانه غرور وجهل ثم محبتى لكل من انتسب الى هذه الطائفة ثم عدم سؤالى عن ثمن قمح أو حطب أو غير ذلك بحضرة من يساعدنى فى حقه من الاخوان خوفا أن يتكلف معى فى ثمنه ثم عدم تعاطى أسباب تميل خاطر الاغنياء الى الا لغرض صحيح ثم محبتى لكل من كان أكثر طاعة لله منى وتقديمه على نفسى لكون الحق تعالى يحب من أطاعه أكثر ثم انشراح صدرى لتقديم الناس أحدا من أقرانى الذين اخذوا معى على شيخ واحد على فى المقام ثم عدم ميلى لخروجى مع الناس للاستسقاء الا بشرط عدم رؤية نفسى على الناس اذا خصنى نائب السلطان بالخروج بالناس دون أحد من اقرانى ثم عدم امتناعى من الاجابة الى وليمة اذا علمت أن أحدا من اقرانى هناك ثم اذا دخلت قبلت ركبته أو رجله بحضرة ذلك الجمع العظيم وأجعل المجلس كله له ثم عدم تعريضى لاصحابى أن يحملوا كل شئ صدر من افعالى واقوالى على المحامل الحسنة وذلك لعدم عصمتى بل احثهم على أن ينصحونى جهدهم ثم شهودى نقص نفسى اذا سمعت القرآن أو الحديث أو كلام السلف الصالح ولم أبك دون قولى ان البكاء لا يكون الا للناس الناقصين دون الكاملين ثم عدم اغترارى بكثرة أتباعى المعتقدين فى وكلما كثروا رأيت ذلك من جملة الابتلاء وانه قد يكون من الاستدراج واخاف أن اشتغل بهم عن الله عز وجل والله أعلم (الباب الخامس عشر) وفيه من النعم نعمة سماعى للقرآن فى زاويتى ليلا ونهارا على التواصل فى اغلب الاوقات فلا ينتهى قارئ الا ويبتدئ قارئ آخر وكذلك لا يفرغ قارئ كتب الحديث أو التصوف أو الفقه من كتاب الا ويبتدئ قارئ فى كتاب آخر وهذا لا يكاد يوجد الآن فى زاوية من زوايا مصر الا نادرا ثم نعمة ارساله تعالى لنا فى الزاوية شخصا اسمه الشيخ منصور فيطلع المنارة من أول نصف الليل الثانى فلا يزال يذكر الله تعالى بصوت عال يسمعه من بعد من الزاوية حتى يوقظ أهل الزاوية وأهل الحارة فيواصل الذكر والقراءة من حين يصعد المنارة الى ضحوة النهار ثم من جملة قراء الزاوية شخص آخر اسمه محمد الترساوى يقرأ فى الليل قراءة تحن لها القلوب القاسية ويطرب لها الحيوان لا يكاد يغفل ليلة واحدة بجوارى وهذا لا يكاد يوجد الآن عند أحد من قراء مصر ثم تتعاقب بعده جماعة أخرى الى الفجر ثم كثرة وجود الرزق عندى فى الزاوية حتى انه يفيض عن أهلها وأهدى منه الى الاصحاب فى دورهم من ارز وعسل ودجاج واوز وغير ذلك ثم اصلاح زوجاتى الاربع اللاتى تزوجتهن على التعاقب فى أمر دينهن ثم تأهلى لخدمة الفقراء القاطنين عندى للاشتغال بالعلم والقرآن والادب والاوراد من منذ ثلاثين سنة من غير تقلق منى ولا تعب فى تحصيل امر معاشهم ثم محبة الفقراء الطالبين للآخرة فى الاقامة عندى من بلاد شتى ولو بذلوا لاحدهم مالا جزيلا ليفارقنى لم يفعل ثم كثرة تفرقتى على الفقراء كل ما يدخل

الزاوية على اسمى أو على اسمهم فافرق عليهم كل سنة أكثر من عشرين ألف نصف ولا أشاركهم فى شئ سوى اللقمة ثم بلغ من العميان عندى نحو ثلاثين نفسا وزوجت من المجاورين نحو أربعين نفسا وغير ذلك ثم تيسير الفرن الذى يخبز فيه للفقراء فى البيت وتيسير الوقود فيأتينا كذا كذا وسقا فى المركب الى أن ترسى على الزاوية فتصير نساء المجاورين يخبزن بتبن طاهر طول السنة دون الزبل ثم تيسير جميع ما يحتاج اليه فى الزاوية من طعام ولباس وغيرهما من غير سؤال ولا ذل فى طريق الوصول الى ذلك ثم ارسال الحق جل وعلا الىّ كل سنة من العسل النحل نحو عشرة قناطير ومن عسل القصب نحو خمسة عشر قنطارا ومن القمح ثلاث مائة أردب وغير ذلك مما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب ثم ارساله تعالى لنا كل سنة من البطيخ الهندى نحو الفى حبة فنطعم منها الفقراء والضيوف طول السنة حتى يطلع البطيخ الجديد غالبا ثم عدم اعتمادى على وقف أو هدية أو على مخلوق دون الله تعالى ثم حمايته تعالى لى من الاكل من خراج رزقة أو بيت قيل لى ان فى شرائه حيلة لا يقبلها الشرع ثم موافقة اخوانى المجاورين على ردما يأتينا الى الزاوية من هدايا الامراء والظلمة بطيبة نفس ثم حماية أصحابى من الاكل من خبز ابن عمرو بن بغداد لما رتبه فى مصر ثم مطاوعة اخوانى فى عدم القراءة بالفلوس على القبور وفى بيوت الناس وعدم الاكل من طعام العزاء والجمع وتمام الشهر والاعراس الواسعة التى لا تورع عند أصحابها ثم جمعى للفقراء فى الزاوية لاجل نفع نفوسهم دون نفع نفسى الا بحكم التبع وسماعهم لاشارتى اذا قلت لاحدهم لا تأكل من هذه الهدية أو لا تأخذ شيأ من هذه الفلوس أو نحو ذلك ثم كثرة مجالستى لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى مجلس الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنة ثمانية عشر وتسعمائة الى وقتى هذا وهو سنة ستين وتسعمائة والله أعلم (الباب السادس عشر) وفيه من النعم نعمة كثرة سماعى للقرآن والذكر ليلا ونهارا وأنا جالس فى بيتى مما لم يقع للملوك مثله ثم تأدب المجاورين معى اذا عاتبت أحدا منهم على زلة وقعت منه وعدم جوابه عن نفسه الا باذن ثم دوام الاشتغال بالعلم والقرآن فى الزاوية طول السنة على شيخ الزاوية ثم حماية جميع وقف زاويتنا من ظلمة الحكام فى مصر والريف فلا أحد يقف لنا فى طريق مع كوننا لا مرسوم معنا من جهة السلطان ثم عدم وقوفى لاحد من الحكام اذا نازعنى أحد فى بيتى أو رزقتى أو زاويتى بل اسلمها له بمجرد دعواه ولا أقف بنفسى ولا بوكيلى هوانا بأمور الدنيا ثم معرفتى باسم الله الاعظم وعدم تصرفى به ادبا مع الله عز وجل ثم كثرة افاضة الخير علىّ فى الملابس حتى انى كسوت خلقا كثيرا لا يعلم عددهم الا الله تبارك وتعالى ثم بيان جماعة كسوتهم على التعيين ثم ملاطفة المريدين والمعتقدين اول اجتماعهم علىّ فلا امتحنهم فى الصدق قط خلاف ما عليه بعضهم ثم حذرى من مكايد النفس اذا قام علىّ عدو وصار ينقصنى فى المجالس وصرت أنا اثنى عليه خيرا ثم تعظيمى للناس بحسب مراتبهم فى الدين فأقدم العارف بالله وبشرعه على كل من كان بالضد من ذلك ثم جعله تعالى لى من أهل الالهام الصحيح فى أغلب الاوقات ثم حفظى من الخوض فى آيات الصفات من غير علم ثم استئذانى الحق تعالى بقلبى اذا كنت فى عبادة مستحبة وأردت الجماع لاعفاف نفسى أو زوجتى ثم شهودى فى نفسى انها كاذبة فى دعوى

الارادة فضلا عن المشيخة ثم حفظى من الآفات التى تطرقنى اذا أمرت أحدا بخير ثم خوفى من ترك التظاهر بالدعاوى أكثر من خوفى من الدعاوى ثم نصح اخوانى على سبيل الكثرة والفر من غير رؤية نفسى عليهم ثم شهودى خوف كثرة غشى لاصحابى كلما كثروا الانى لو نصحتهم لما كثروا غالبا ثم كونى لا ينصحنى قط ناصح وأرى نفسى مستغنية عن نصحه ثم استئذانى لربى اذا قمت من الليل ولم أجد عندى داعية الى الوقوف بين يديه ثم شهودى أن ضرر نصحى للاخوان أكثر من نفعى لهم لكونى أقيم عليهم الحجة بنصحى يوم القيامة ثم حمايتى من نصرة نفسى اذا غار منى حاسد ثم كونى لا أنكر على أحد شيأ الا بعد شهودى من ناصيته بيده ثم كونى لا أنصح أحدا عن شئ الا بعد تحقق وقوعه فى ذلك الشئ ثم عدم نسبة النقص الى أحد تاب من ذلك النقص ثم فرحى برجوع العصاة الى الله تعالى بلا واسطتى أكثر من فرحى بهم اذا رجعوا بواسطة نصحى لهم ثم معرفتى بنفسى اذا نصحنى ناصح هل أنا من أهل الخير أو من أهل الشر ثم أمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر فى حال تسليمى للقدرة ما فعلت ثم شهودى العلل فى أعمالى ثم موافقة باطنى لظاهرى فى الاعمال ثم ترجيحى للمنع على العطاء افنا اختيارى مع الله تعالى ثم رجائى من الله تعالى انه يحبنى لما زهدت فى الدنيا ثم امساكى الدنيا بعد الزهد فيها على وجه الادب مع الله تعالى ثم ايمانى بان أفعال العباد خلق الله تعالى فى حال نسبتها اليهم ثم اطلاعه تعالى لى على مقام يرفع الخلاف من آيات الصفات وأخبارها ثم على ميزان يرجع جميع أقوال الائمة للشريعة فلا يخرج عنها من أقوالهم قولا واحدا ثم جمعه تعالى فى جميع اخلاق هذا الكتاب والله أعلم (الخاتمة) وفيها من النعم نعمة شهودى فى نفسى أنى دون كل جليس من المسلمين كشفا وذوقا ثم كثرة تحملى للبلايا والمحن الواقعة لى فى الدنيا ببعض ذنوبى حتى كأنى قطب للبلاء ثم قلة ضجرى ممن يؤذينى وفرحى كلما زادنى أذى ثم مبادرتى للشكر كلما آذانى انسان لانه يهدى الىّ حسناته ثم عدم تمكينى أحدا من أصحابى يجيب عنى اذا رمانى أحد بزور أو بهتان وفيها ذكر محن الملوك من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وذكر محن الاولياء والعلماء ثم تنبيهى للشكر لله كلما حسدنى حاسد ونقصنى فى المجالس ثم صبرى على الحسدة والاعداء حين دسوا فى كتبى ما يخالف الشريعة ثم أشاعوا ذلك عنى وذكر بعض وقائع صبرت عليها ولم أقابل أهلها بنظير ما نقصونى به ثم انتصاره تعالى لى كلما أوذيت من أعدائى غيرة منه تعالى من غير سؤال منى فى ذلك ولا دعاء عليهم ثم كثرة محبتى وشفقتى على دين كل من رأيته مقراضا فى الناس وقيامى بواجب حقه اذا ورد علىّ ثم كثرة شفقتى وحنوّى على كل من بالغ فى ايذائى وترجيح محبته على محبة من أحسن الىّ واعتقدنى ثم كثرة شفقتى وخوفى على دين من آذانى أن ينقص بسبب ايذائه لى حتى ان ذلك يشغلنى عن مراعاة التأذى بالشئ الصادر منه لى فأتأثر على نقص دينه أكثر مما يتأثر هو ثم عدم اتعاب سرى فى تدبير حيلة تؤذى من آذانى بقول أو فعل ثم مبادرتى لاقامة العذر لكل من آذانى لكونه ما آذانى الا بعد مخالفتى لهواه أو بعد وقوعى فى ذنب يقتضى عنده ذلك ثم كثرة تعظيمى وتبجيلى لكل عالم أنكر علىّ وبالغ فى الانكار لكونه غار لظاهر الشريعة على قدر عقله ثم كثرة مبادرتى للشكر كلما نقصنى منقص عند أحد من الامراء والاكابر كما أشكر الله تعالى اذا مدحونى وعظمونى عند الاكابر على حد سواء

ثم كثرة محبتى لمن نفر عنى أبناء الدنيا وبجرة حتى عندهم من تجار ومباشرين وأمراء وغيرهم وذلك لكونى لا أمد طرفى الى شئ مما فى أيديهم من الدنيا ولو اننى مددت عينى الى ذلك لكرهت كل من ينفرهم عنى ثم كثرة تحملى لهموم الاخوان وهروبى من هداياهم خوفا على نفسى من الهلاك لانى اذا كنت أكاد أموت من كثرة تحمل همومهم من غير هدية فكيف حالى اذا قبلت هديتهم ثم كراهتى للجواب عن نفسى اذا نقصنى منقص الا لمصلحة شرعية ترجح على السكوت ثم شكرى لله تعالى اذا نقصنى أحد من الاعداء بشئ لم يقع منى لانه نفعنى على كل حال بتحذيرى من الوقوع فيه ثم عفوى وصفحى عن جميع من جنى على فى مال أو عرض أو بدن من جميع هذه الامة المحمدية اكراما لله عز وجل من حيث كونهم عبيده ثم اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونهم أمته لا لعلة أخرى وأشهدت الله تعالى وملائكته على ذلك فلا أرجع عنه ولو جئت القيامة صفر اليدين من سائر الاعمال الصالحة ثم مسامحتى لكل من اغتابنى بعد موتى أو فى حال حياتى ولم تبلغنى غيبته وان لم أكن أعلم ذلك فالله يعلمه ثم مسامحتى لكل من سمع غيبتى وصدق المغتاب فيها من المستهزئين والمتهورين فى دينهم ثم عدم جوابى عن نفسى حياء من الله تعالى لا لعلة اخرى ثم شهودى أن كل ما يؤذينى به الناس من جملة المصالح لى لانه ربما كان عندى عجب بأحوالى فأنتبه لها بذلك الاذى وفى ذلك أيضا ادمان على تحمل أهوال الآخرة ثم شدة كراهتى لكل من ينقل الى أخبار الناس الناقصة التى يستحى أن يواجههم بها لانها كلها غيبة ثم محبتى لان أفدى جميع العلماء والصالحين بنفسى وأود أن كل الناس ينقصونى بكل ما ينقصونهم به ولا يضيفوا النقص الى أحد منهم ثم عدم تكديرى ممن رفع أحدا من أقرانى فوقى ثم كثرة اجلالى للعلماء والصالحين والامراء فلا أدعو أحدا منهم الى وليمة عملتها ثم رحمتى لعدوى وتأثرى اذا نزل عليه بلاء ثم مبادرتى لاقامة الحجة على نفسى دون الله تعالى اذا ظلمنى ظالم ثم حمايتى من الحسد لاحد من أقرانى اذا أقبلت الدنيا وأهلها عليه دونى ثم عدم تكديرى ممن نادانى باسمى المجرد عن اللقب أو الكنية أو السيادة أو المشايخة ونحو ذلك ثم عدم نفرة نفسى من عشرة المخنثين لكونهم أصحاب بلايا وأمراض فأقرب منهم لاداويهم من أمراضهم وأشكر الله تعالى على معافاته لى من مثل أمراضهم ثم توجهى الى الله تعالى فى أن يمحو من قلب مريدى كل علم تعلمه ولم يخلص لله فيه الى آخر التوجهات ثم عزمى على العمل بعلم كل عالم رأيته لا يعمل بعلمه فأساعده على تحصيل ثواب علمه بعملى انابه فربما أثابه الله تعالى على كونه كان سببا فى عملى أنا بعلمه ثم عدم اصغائى الى قول عدو ما لا ينبغى فى حق عدوه ثم مخالطتى لعدوى باطنا اذا ادعى محبتى ظاهرا وعدم اعلامه بأنه يكرهنى خوفا أن يخجل ثم عدم تكديرى من صاحبى اذا عاشر عدوى وحمله على المحامل الحسنة ثم كثرة شكرى لله تعالى وكثرة استغفارى اذا كثر حسادى وأعدائى ثم كثرة اهتمامى بحمل هم عدوى أعظم من اهتمامى بهم صديقى ثم كثرة تحفظى من الوقوع فى غيبة عدوى أكثر من تحفظى من الوقوع فى غيبة صديقى عادة ثم رد كيد أعدائى فى نحورهم من غير توجه منى الى الله تعالى فى ذلك ثم وجود جماعات كثيرة يحبونى واحبهم وأما المعتقدون فى فلا يحصى عددهم الا الله تعالى وبيان الفرق بين المحب والمعتقد ثم كثرة رؤيا جماعة من العلماء والامراء وغيرهم لى المرائى

الحسنة التى تزيدهم اعتقادا فى مع كونى لست بصالح فى معتقدى على الحد الذى أرضاه لنفسى ثم انصافى لكل من تعب لى على تحصيل رزقة أو جوالى أو شئ من أمور الدنيا فأشركه معى فيما أتانى به ثم عملى بالسنة فى النظر الى المخطوبة ولا أترك ذلك حياء نفسانيا وتحرزى من النظر فوق الوجه والكفين ثم أدبى مع كل من علمنى سورة أو آية من القرآن ولا أرى نفسى عليه ولو صرت شيخ الاسلام ثم عدم شهودى فى نفسى أننى فعلت شيأ من النوافل لان النوافل انما تكون لمن كملت فرائضه وأما مثلنا فانما هى جوابر ثم سماحة نفسى بمقاسمة اعدائى فى حسناتى فى الآخرة وأموالى فى الدنيا ثم شدة بغضى لاهل المعاصى ولو أحبونى وأحسنوا الى واعتقدونى ثم محبتى لجماعة من العلماء والصالحين من غير اجتماع ثم وجود جماعة يكرهونى على الدوام ليدوم لى الاجر من جهة صبرى عليهم ثم حملى لمن يكرهنى على أنه انما يكرهنى بحق ثم طرح نفسى بين يدى الله تعالى اذا أطلعنى على وقوعى فى معصية فى المستقبل وأسأله التحويل ان لم يكن حق بها التقدير وزوالها من شهودى وان كانت فى ألواح المحو والاثبات ثم عدم استشراف نفسى لهدية من صاحبى اذا جاء من الحجاز ونحوه وعدم تحديث نفسى بذلك ثم زهدى فى المطاعم والملابس والنساء والفرش الوطيئة وكثرة الروائح الطيبة الخارجة عن العادة وقناعتى بالكسرة اليابسة من غير ادم ثم ذكرى لمناقب جميع الحسدة والاعداء فى كتاب طبقات العلماء والصالحين مع شدة مبالغتهم فى ايذائى ثم مواظبتى أوائل دخولى فى محبة طريق القوم على ذكر الله بلفظ الجلالة أربعا وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة عدد الانفاس الواقعة فى الثلثمائة وستين درجة ثم كثرة تفويضى جميع امورى الظاهرة والباطنة الى الله تعالى وحده وعدم اعتمادى على شئ من أعمالى ثم عدم اتعاب سرى فى تحرير كتاب ألفته الا بنية صالحة لا ليمدحنى الناس على ذلك ثم جمعه تعالى فى جميع هذه الاخلاق التى فى هذا الكتاب تحققا وتخلقا قبل تأليفه ولولا ذلك لكان فعلى يكذب قولى ثم اطلاعه تعالى لى على جميع ما تفضل به على فى الدار الآخرة فى واقعة فى عالم غيب الخيال وذلك بمشهد من الانبياء والاولياء ثم شمى لرائحة المعاصى من نفسى وغيرى اذا وقعنا فى معصية وكذلك ترك الصلاة نسيانا ثم كثرة حلمه تعالى على وعدم معاجلته بالعقوبة مع كون ذنوبى لو قسمت على أهل الارض لاستحقوا بها الخسف والله أعلم (انتهت فهرست أبواب الكتاب بعون الملك الوهاب) ولنشرع فى مقدمة الكتاب فأقول وبالله التوفيق

(مقدمة)

فى ذكر أمور هى كالدهليز الذى يتوصل منه الى عدم الاعتراض على من ذكر مناقبه فى كتاب وهى مشتملة على بيان الطريق الموصلة الى التخلق باخلاق هذا الكتاب وعلى بيان أدلة تقتضى الحث على ذكر العبد ما أنعم الله تعالى به عليه حسب الطاقة فى دينه ودنياه وأنه ان لم يذكر ذلك عصى ربه وعلى بيان أنى لم أذكر من أخلاق هذا الكتاب كلها الا ما تحققت به خوفا ان يقول معترض كيف يدعى فلان التخلق بهذه الاخلاق وأفعاله تكذبه وعلى بيان قرب سندنا بهذه الاخلاق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما يأتى بيانه اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق * اعلم يا أخى

أن الله تعالى قد أمرنا بشكره على نعمته التى أسبغها علينا وجعل ذلك علينا من جملة فرائضه
ولا سبيل لنا الى احصاء نعمه كلها لا بلساننا ولا بجناننا ولا بأركاننا مع انه تعالى قد طالبنا بشكره
باللسان والقلب والجوارح فشكر اللسان لا يكون الا باعترافنا بنعمه انها من عنده مع تركنا
اضافتها الى الخلق الا من حيث كونهم واسطة كالقناة التى يجرى لنا منها الماء فالشكر
حقيقة لمن أجرى الماء فى القناة لا للقناة وفى الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس ومثال
من حصل لنا على يديه خير كالغلام الحامل لطبق الهدية فالحقيق بالحمد من أهدى لا من حمل
وأما شكر القلب فلا يحصل الا باعتقاد العبد جزما أن جميع ما بيده من النعم والمنافع
واللذات والحركات والسكنات من فضل ربه لا من غيره وذلك ليكون شكر العبد بلسانه
مطابقا لما فى قلبه ومعبرا عما فيه اذ ليس للعبد منعم سوى ربه عز وجل وأما شكر الجوارح
فلا يكون الا بجعل العبد جميع حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة كلها فى مرضاة الله
عز وجل حتى لا يجد كاتب الشمال شيأ يكتبه ولا تجد الملائكة فى صحيفته شيأ يفتضح به يوم
القيامة وهذا الشكر قليل فاعله وغاية ما عند غالب الناس من الشكر باللسان دون العمل
وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا ونحن أولى بالشكر بالعمل من أمة داود عليه السلام
ثم لا يخفى عليك يا أخى أن جميع ما أذكره لك فى هذا الكتاب من الاخلاق والمنن انما هو حالى
أيام شروعى فى سلوك الطريق لأن هذه الأخلاق كلها من أخلاق المريدين أوائل دخولهم
فى الطريق فلا تظن يا أخى أنها من أخلاق كمل العارفين كما توهمه من لم يدخل طريق القوم
فانه لا ذوق لامثالنا حين ذاك فى أخلاق الكمل حتى نتكلم عليها لكونها لا تأتيهم الا من
طريق الوهب أو بعد طول المجاهدة العظيمة وكما أنه لا ذوق للاولياء فى مقامات الرسل
فكذلك ليس للمريدين ذوق فى مقامات الكمل وايضاح ذلك أن بداية مقام النبوة يبتدى
من بعد انتهاء مقام الولاية فلا تشترك الولاية مع شئ من أجزاء النبوة انتهى فافهم وقد اطلع
بعض علماء العصر على بعض أخلاق من مسودة هذا الكتاب فطالع فيها أياما ثم أتانى بها
وقال هذه الاخلاق لا تكون الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام اهـ فعذرته فى ذلك وعلمت
انه لم يدخل مبادى طريق القوم اذ لو دخلها لعرف أنها من جملة أخلاق المريدين وكان لسان
حاله يقول شئ لم أذقه أنا مع علمى الذى وصلت اليه فكيف يذوقه جاهل من هؤلاء الناس
فذوقه صحيح وحكمه غير صحيح وسبب ذلك اندراس العمل باخلاق القوم فى هذا الزمن
حتى لا يكاد العبد يجد أحدا من المتمشيخين فيه يتخلق بشئ من اخلاق القوم فكان ذكرى
لهذه الاخلاق الخاصة بالمريدين كالتكذيب لكل مدع فى هذا الزمان فيقال له اذا كنت
قد عجزت عن التخلق باخلاق المريدين فكيف تدعى التخلق باخلاق كمل العارفين فكل
ما ذكرناه فى هذا الكتاب كالسيف الماحق لاصحاب الدعاوى والرعونات ولو أنهم ملكوه
لاحرقوه لكونه يكشف لهم وللناس عن جهلهم بالطريق التى يزعمون أنهم من أهلها ويجلسون
بمجالسهم فيها فأسأل الله تعالى أن يحميه منهم بحوله وقوته ليتم مقصودى بالانتفاع به فاذا رأيت
يا أخى فى هذا الكتاب شيأ من أخلاق الكمل فليس ذلك مقصودا وانما ذلك سبق قلم أو استطراد
أو استشهاد أو تأنيس للمريدين ولم يزل يقع من السالكين هذا الغلط فضلا عن غيرهم فيقولون

عن كل مقام لم يترقوا اليه هذا خاص بالكمل فاذا ذاقوه وترقوا مقاما آخر فوقه عرفوا أن
الاول من مقام المريدين فما برحت الارادة مع السالك فضلا عن غيره فى كل مقام ذاقه الى أن
يلقى الله تعالى فان النهاية منقولة غير معقولة وتنتهى همم العارفين وهم مع الحق تعالى على
أول قدم فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من معرفة الله تعالى ويؤيد ما قلناه ما نقل عن
شيخ الطائفة أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه قال مكثت زمانا وعندى وقفة فى قول
بعضهم ان الذاكر لله تعالى يصل الى حالة لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس الى أن وجدت الامر
كما قاله انتهى ثم ان أكثر من يقع فى الغلط فى ذلك المؤلفون لكتب الرقائق من المتصوفين الذين
لم يذوقوا مقامات الطريق فينقلون عن الولى كل ما بلغهم عنه ولا يعرفون الفرق بين ما قاله
ذلك الولى فى بدايته أو توسطه أو نهايته ويسمون كل ما لم يذوقوه فى الطريق مقاما للكمل
فاذا طالع الكامل فى كتبهم أى أولئك المؤلفين عرف جهلهم ولو أن هؤلاء المؤلفين ذاقوا
مقامات الطريق لم يذكروا عن الولى من مناقبه الا ما عمله أو قاله فى حال نهايته لان هذا هو الذى
يصلح أن يكون منقبة له كما فعلت أنا ذلك فى كتاب طبقات العلماء والصوفية فلم أذكر عن أحد
منهم الا ما قاله أو عمله حال نهايته * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اذا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يسأل ربه الزيادة من العلم فما ظنكم بغيره هذا مع قوله
صلى الله عليه وسلم عن نفسه انه أوتى علم الاولين والآخرين واعتقادنا أنه تعالى أجاب دعاءه
وزاده علما عن علم الاولين والآخرين فعلم أن أحدا لا يصح له مقام النهاية الا اذا وصل الى
حالة لا مقام بعدها لاحد وهذا غير واقع لغيره صلى الله عليه وسلم اذا علمت ذلك فاياك أن تنكر
على فقير سمعته يقول انا أعبد الله الآن لا خوفا من ناره ولا رجاء لثوابه فان ذلك من مقامات
المبتدئين فى الطريق لا من مقام الكاملين وذلك ان المريد اذا واظب على الذكر وأكثر منه
ليلا ونهارا رق حجابه ضرورة واذا رق حجابه رأى الفعل لله تعالى لا للعبد ويسمع نداء الحق تعالى
من قلبه بنحو ما من معناه ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا
لان أعبد فيخجل العبد ويستحى من الله تعالى أن يعبد الله تعالى خوفا من نار أو رجاء لثواب
لان أحدا لا يطلب قط أجرا على فعل غيره وانما يطلب الاجر على فعل نفسه فكل من رق حجابه
من المريدين يشهد أنه لا مدخل له فى وجود أفعاله الا بقدر نسبة التكليف فقط أدبا مع
الشريعة المطهرة ويرى كشفا ويقينا أنه كالآلة التى يحركها المحرك على الفارغ وكما أنه خالق
لذات العبد فكذلك هو خالق لفعله ونظير ذلك أيضا ما اذا سمعت أحدا يقول لا ملك الا لله
وليس أحد يملك معه شيأ فان ذلك مقام يذوقه المريد أول دخوله فى الطريق وليس قائله يدعى
مقام النهاية كما قد يتوهم فان من أول قدم يضعه المريد فى الطريق شهوده الملك لله اذ هو الخالق
لكل شئ وفى عبارة المنهاج للنووى ولا يملك العبد بتمليك سيده فى الاظهر فافهم واذا صح
لعبد شهود الملك لله وحده صح له مقام الزهد فى الدنيا وعدم الشح بها على أحد من الخلق
الا لغرض شرعى ومن علامة ذوق العبد لهذا المقام أيضا أنه لو كان عنده أردب من الذهب
فسرقه أحد لم يتغير منه شعرة واحدة لاجله بل ينشرح لمن يأخذه منه خوفا من الحساب عليه
من حيث المصرف يوم القيامة وصاحب هذا المقام يتساوى عنده عطاء الله تعالى ومنعه له على

حد سواء من حيث عين العطاء والمنع لا من حيث ما على العبد نفسه من نحو الرضا والشكر لانه لا يرى له ملكا مع ربه فى الدارين ولو أعطاه شيأ لا يرى أنه يملكه الا بقدر نسبة العطاء اليه لاجل الشكر لا غير ثم يتبرأ منه الى ربه الذى هو المالك الحقيق له ولذاته * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول متى أعطى الله تعالى العبد شيأ ولم يشهد خروجه عن ملكه الى ملكه تعالى بعد نسبة التحقق بالعطاء على الفور فقد عصى الله تعالى عندنا وادعى الشركة معه فى الملك قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فشمل شرك العموم وشرك الخصوص وكل عن مقامه يترجم انتهى ومن هنا تساوى عند الفقراء الصادقين الذهب والتراب فى عدم ميل القلب اليه من غير ترجيح الذهب عليه لانهم لا ملك لهم مع الله تعالى فهم يأكلون ويلبسون من مال سيدهم ويسكنون فى ملكه فى الدارين رضى الله عنهم أجمعين ونظير ذلك أيضا ما اذا سمعت أحدا يقول لا موجود الا الله فاياك أن تظن به أنه يدعى الكمال فان ذلك من مقامات المريد لان المريد من شدة تعشقه فى الطريق وترحل قلبه عن محبة غير الله تعالى ما عدا من أمره الله تعالى بمحبته يصير قلبه محجوبا عن شهود الاكوان كما يقع لصاحب المصيبة اذا مات له ولد أو تلف له مال فانه من شدة المصيبة يصير يدخل الدار ويخرج ولا يرى صاحبه الجالس على بابه من بكرة النهار ويصير يقول ما رأينا فلانا اليوم فيقولون له ان له من بكرة النهار على بابك فيقول والله من شدة الهم ما رأيته فهذا مثل من صار لا يشهد الا الله لما تعلقت محبته بقلبه فليس مراده فى ذلك أن ينفى وجود العالم كله كما يظنه من لا علم له بأحوال أهل الطريق بل مراده ان الله تعالى قد أخذ حبه بمجامع قلبه حتى حجبه عن شهود الخلق ما عدا ذات المشاهد اذ لو حجب عن شهود نفسه فمن يكون هنالك يشهد الحق تعالى فتأمل وبالجملة فاذا كان النساء اللاتى خرج عليهن يوسف عليه الصلاة والسلام ذهلن عن أنفسهن حتى قطعن أيديهن ولم يشعرن بألم القطع فكيف بمن يشهد معنى جمال رب العالمين فى حضرة الاحسان فتأمل يا أخى فى هذا المحل واسلك الطريق لتعرف المقامات ذوقا وتميز ما كان للمريدين وما كان للعارفين وتعرف ان مقام الارادة قد عز فى هذا الزمان فكيف بمقامات العارفين * وقد روى القشيرى عن الشبلى أنه كان يزور شيخه الحصرى كل يوم جمعة فقال له الحصرى يوما يا أبا بكر ان خطر فى بالك غير الله تعالى من الجمعة الى الجمعة فلا تعد تأتنا فانه لا يجىء منك شئ فجعل خطور غير الله تعالى على باله من الجمعة الى الجمعة من أحوال المريدين ولو عرض مثل ذلك على غالب مشايخ العصر لقالوا هذا خاص بخواص الاولياء ثم لا يخفى عليك يا أخى ان نهاية كل عارف ترجع الى صورة بدايته لكن على غير الوجه الذى يشهده المبتدى ومثاله ان المريد فى حال بدايته يجب عليه عند القوم أن يترك كل شئ يشغله من الدنيا عن الله عز وجل فاذا انتهى الى الحضرة التى ينتهى سلوكه اليها على مصطلح القوم وعرف الله تعالى المعرفة الثابتة التى لا تزلزلها الادلة فهنالك لا يصير شئ يشغله فى الدارين عن الله عز وجل لانه حينئذ يجد الحق تعالى مع كل شئ كان أمر بتركه فى حال سلوكه حين كان ضعيف الحال فمثل هذا يمسك الدنيا بحذافيرها ويتصرف فيها تصرف حكيم عليم ويزاحم الناس على الرياسة ويشاح الناس على جديد نقرة ويؤاخذ الناس بكل شئ فعلوه معه من الاذى ولا يسامح أحدا الا ان رجعت تلك

المسامحة فى الحكم لله تعالى فى اعتقاده وتصير صورته صورة ابناء الدنيا المحبين لها وقصده مختلف مع أن كماله فى ذلك ومتى خالف ذلك نقص مقامه وايضاح ذلك ان العبد اذا تحقق بمعرفة الله تعالى كان مشهده السر القائم بالذوات لا الذوات ولم يصر يرى غير ذلك السر حتى يشتغل به عن الله عز وجل فيقصد بامساكه الدنيا كف نفسه عن سؤال الناس وتحمل منتهم ويقصد بها الانفاق فى سبيل الله والفوز بلذة خطاب الله تعالى لاهل الجدة والغنى بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه لم يخاطب بذلك الا من معه مال وفات الفقير لذة ذلك الخطاب ويقصد بمزاحمته على الرياسة التخلق بها من حيث كونها من أخلاق الله عز وجل لا لشغوف نفسه على الاخوان بل ليقوم بين الناس بالعدل واعطاء كل ذى حق حقه ولو أنه لم يكن عنده رياسة ما سمع أحد كلامه ولا قدر على تخليص حقوق الناس من بعضهم بعضا ويقصد بمشاحة الناس فى المال والعرض تخليصهم من منة المسامحة ونحو ذلك فقد رجعت صورة العارف الى صورة بدايته والقصد مختلف ونظير ذلك أيضا ان المريد فى بداية سلوكه يجب عليه ترك شهوات الدنيا كلها فلا يشرب الماء المبرد فى الكيزان ولا ينام على طراحة ولا يضع جنبه على الارض ثم اذا انتهى سلوكه وعرف الله تعالى المعرفة الثابتة بين القوم أمر بالاحسان الى نفسه لكونه مسؤلا عنها وعن حقها فيأكل الشهوات وينام على أوطا الفرش ويشرب الماء المبرد فى الكيزان ويترك ضد ذلك حتى لا يسمى ظالما لرعيته ومطيته فيا طول ما أسهرها الليالى الطويلة الباردة أو الحارة ويا طول ما أجاعها وأعطشها وألبسها الخشن من المسوح والمرقعات فلما أوصلته الى مقصده من حضرة العرفان كانت كالاجير الذى عمل ما استؤجر عليه فيجب تعجيل الاجرة له وعدم مماطلته مع القدرة قبل أن يجف عرقه وقد كان مأمورا أولا بظلم نفسه فى مرضاة الله تعالى كما أشار اليه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية قال بعض العارفين انما صح لمن يظلم نفسه الاصطفاء لكون ذلك الظلم لنفسه كان فى مجاهدتها طلبا لمرضاة الله عز وجل فليس المراد بها من يظلم نفسه بالمعاصى كما فهم اه فعلم أن المبتدى لو لم يظلم نفسه فى مرضاة الله كما ذكرنا بل أطعمها اللذيذ وأسقاها المبرد وأنامها على أوطا الفرش لكان لم يبرح من مكانه وعدم الترقى جملة كما قالوا ان من خصائص الطريق أن الانسان اذا أقبل عليها بكليته أعطته بعضها وان لم يقبل عليها بكليته لم تعطه شيأ منها كما هو شأن العوام الذين لا يطلبون الترقى عما هم فيه ونظير ذلك أيضا الايثار على النفس فانه مطلوب من المبتدى جزما ليخرج عما فتح عينه عليه من شح النفس وبخلها على نفسها فضلا عن اعطائها شيأ لغيرها ولذلك مدح الله تعالى الصحابى حين آثر غيره على نفسه تشجيعا له ثم انه اذا بلغ السالك النهاية فى السلوك أمر بالاحسان الى نفسه لكونها أقرب جار اليه والاقربون أولى بالمعروف كما ورد وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول فلو أمر المبتدى بالبداءة بنفسه ما ترقى فى الطريق ذرة ولو أن الكامل يقدم على نفسه غيرها لاساء اليها وخرج عن حكم العدل فقد رجعت صورة نهاية الانسان فى تقديمه نفسه على غيره الى صورة حال المبتدى فى تقديمه نفسه والقصد مختلف وسيأتى فى أبواب الكتاب ايضاح ذلك ان شاء الله تعالى فاعلم ذلك وتأمله فانك لا تجد التصريح به فى كتاب ولندخل لباب التخلق بأخلاق هذا الكتاب من طريق الجد

والاجتهاد كما درج عليه السلف الصالح فقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول من طمع أن يدخل طريقنا وهو لم يزهد فى نعيم الدارين فقد رام المحال اه وبالجملة فجميع الاخلاق التى نذكرها فى هذا الكتاب لا يوصل اليها الا باحد طريقين اما بالجذب الالهى واما بالسلوك على يد شيخ صادق ومن لم يدخل من أحد هاتين الطريقين فمحال ان يصل الى شئ من هذه الاخلاق وقد طلب أقوام الوصول الى التخلق بها من غير طريق الجد فكان غايتهم الحرمان لظنهم انها طريق قال بغير حال مثل غيرها من الطرق وغاب عنهم أن طريق التصوف طريق علم وعمل كما يعلم من أخلاق هذا الكتاب وكان الشيخ مفرح رضى الله عنه يقول من علامة الصدق فى أول قدم يضعه المريد فى الارادة ان يعطى ثلاث خصال تقوية لعزمه أن يمشى فى الهواء وعلى الماء وينفق من الغيب فمن لم يحصل له هذه الثلاث فهو ممن لم يشم من الارادة رائحة انتهى وبالجملة فمن أراد أن يحيط علما بما قلناه فليطالع اخلاق هذا الكتاب ويطالب نفسه بالتخلق بما فيه فهنالك يعرف حقيقة علم التصوف وطريقه فان بعض الناس بنى طريقه على ظاهر الفقه ونفى طريق التصوف جملة وقال ليس لنا طريق تقرب الى الله تعالى غير ما نحن عليه من ظاهر الفقه بحسب فهمه هو وبعضهم ظن أن علم التصوف حفظ نقول فقط من غير عمل فاخذ نحو رسالة القشيرى وعوارف المعارف وجلس يدرس للناس فيه بحسب فهمه المخالف لما عليه القوم وظن بنفسه أنه صار صوفيا من غير تخلق بما يدرسه وهذا خطأ ظاهر وغاب عنه ان دائرة الولاية تؤخذ من بعد انتهاء دائرة غيرها كما مر فكما ان دائرة النبوة تؤخذ بدايتها من بعد نهاية الولاية فكذلك علم التصوف يبتدأ من بعد نهاية أهل الفهم والفكر فلا يسمى صوفيا الا من عمل بعلمه على وجه الاخلاص كما عليه الائمة المجتهدون وصالحو مقلديهم ولو ان طريق القوم يوصل اليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل حجة الاسلام الامام الغزالى والشيخ عز الدين ابن عبد السلام أخذ أدبهما عن شيخ مع انهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم كل من قال ان ثم طريقا للعلم غير ما أبدينا فقد افترى على الله عز وجل فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان قد ضيعنا عمرنا فى البطالة والحجاب وأثبتا طريق القوم ومدحاها وقد سلك الامام الغزالى على الشيخ أبى محمد البازغانى وسلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الشيخ أبى الحسن الشاذلى وصار يقول مما يدلك على أن القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك على يد فقيه قط الا ان سلك طريقهم اه قال ذلك لما قطع سلسلة باب القلعة بالكراس الورق كما سيأتى بسطه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى فعلم أن مثال من يحفظ نقول أهل الطريق بغير ذوق ولا تخلق مثال من حفظ له كتابا فى علم الطب على ظهر قلب من غير معرفة الداء والدواء فكل من سمعه وهو يقرأ أو يقول الداء الفلانى دواؤه الشئ الفلانى يقول ما هذا الا طبيب عظيم فاذا قال له أعلمنى باسم هذا الداء الذى فى وأخبرنى باسم الدواء وقال له لا أعلم ذلك يقول انه جاهل بعلم الطب وقد كان علماء السلف الصالح رضى الله عنهم يعملون بكل ما يعلمون على وجه الاخلاص لله تعالى فيه فنارت قلوبهم وخلصت من العلل القادحة فى الاخلاص فلما ذهبوا وخلف بعدهم أقوام لا يعتنون بالاخلاص فى علمهم وعملهم أظلمت قلوبهم وحجبت عن أحوال القوم فأنكروها وبعضهم اذا سمع بشئ من أخلاق القوم

يقول هذا منزع صوفى لا شرعى فيوهم السامعين أن التصوف أمر خارج عن أصل الشريعة والحال أنه لب الشريعة كما يعلم ذلك من طالع فى مثل هذا الكتاب فانه لا يكاد يجد خلقا واحدا مما فيه يخالف الشريعة أبدا لكثرة مناقشات أهل الطريق لانفسهم وأخذهم بالعزائم فان حقيقة طريق القوم علم وعمل سداها ولحمتها شريعة وحقيقة لا أحدهما فقط فينبغى للفقيه اذا قال عن مسئلة هذا منزع صوفى أن يعقب ذلك بقوله لا يقدر أحد من أمثالنا على المداومة على العمل به ليزيل ما فى نفوس السامعين ممن لا يفهم الامر على وجهه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول كثيرا

لا تسلكن طريقا لست تعرفها * بلا دليل فتهوى فى مهاويها

انتهى ولم تزل طريق القوم عزيزة فى كل عصر لقلة صبر من يصبر تحت تربية شيخه ومناقشته فى جميع أعماله ولذلك صار الشيخ يرى الاخلاق المحمدية من ورع وزهد وخشية وخوف من الله تعالى ونحو ذلك فى بد أهل الله تعالى فلا يقدر على الوصول الى التخلق بخلق منها على وجهه لأن طريق القوم كلها مجاهدة للنفس وأين من يقدر على التخلق والتقيد بمخالفتها ايثار الجناب مراد الحق تعالى على مرادها هذا لا ينال الا ببذل الروح فعلم ان الائمة المجتهدين والعلماء العاملين هم الصوفية حقيقة (فان قال قائل) لو أن طريق التصوف أمر مشروع لوضع فيه الائمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم قط كتابا فى ذلك (قلنا) له انما لم يضع المجتهدون فى ذلك كتبا لقلة الامراض فى أهل عصرهم وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك فكان ذلك فى بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب وكان معظم همة المجتهدين اذ ذاك انما هو فى جمع الادلة المنتشرة فى المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التى هى مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الاحكام فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس فى أعمالهم القلبية التى لا يظهر بها شعار الدين وقد لا يقعون فيها بحكم الاصل ولا يقول عاقل قط ان مثل الامام أبى حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد رضى الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجبا أو كبرا أو حسدا أو نفاقا ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبدا ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والامراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم فافهم (وقال القشيرى) رحمه الله وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الاهواء والبدع فى عصر الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فسموا كل من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بهما صوفيا دون غيره قال وقد روينا عن الامام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه انه كان يقول طريقنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فيها (وقال الشيخ محيى الدين) فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم أنه ما تم لنا دليل يرد طريق الصوفية ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا نقلا وانما يطعن فيها من طعن بالجهل انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لاحد التصدر لتربية المريدين الا بعد تبحره فى الشريعة وآلاتها كما عليه السادة الشاذلية فكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وسيدى أبو العباس المرسى وسيدى ياقوت العرشى والشيخ تاج الدين بن عطاء الله لا يدخلون أحدا فى الطريق الا بعد تبحره فى علوم الشريعة بحيث يقطع العلماء فى مجالس المناظرة بالحجج

الواضحة فان لم يتحر كذلك لا يأخذون عليه العهد أبدا وهذا الامر قد صار أهله فى هذا الزمان أعزمن الكبريت الاحمر فعلم ان كل من لم يسلك الطريق على هذه القواعد لا يقدر على التخلق بشئ من أخلاق هذا الكتاب وقد قالوا من ضيع الاصول حرم الوصول (وكان سيدى على الخواص) رحمه الله يقول لا يصح لعبد ابتداء السير فى طريق العارفين حتى يزهد فى نعيم الدارين ولا يكون له محبوب الا الله تعالى ورسوله وكمل ورثته انتهى (وكان) يقول أخذت طريقى هذه عن سيدى ابراهيم المتبولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يقول أخذت طريقى هذه عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام انتهى ولا منافاة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يتبع ملة ابراهيم عليه السلام فى محاسن الاخلاق وان كانت أخلاق ابراهيم عليه السلام هى بالاصالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه نبى الانبياء كلهم وصورة أخذ الاولياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن روحهم تجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم فليس اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم كاجتماع الصحابة فافهم (وكان سيدى أبو العباس المرسى) رحمه الله يقول لا يكمل مقام فقير الا ان صار يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه فى أموره كما يراجع التلميذ شيخه وقد بلغنا ان سيدى محمدا الغمرى لما عمر جامعه بمصر استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة فقال له قل له عمر وتوكل على الله انتهى فلا ادرى أكان ذلك قبل الكمال أو استأذن بالواسطة حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بمقامه فانه كان مشهورا بالكمال (وكان سيدى ياقوت العرشى) رحمه الله يقول من ادعى أنه يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الادب والعلم فاسألوه عن كيفية ماوقع له فان قال رأيت نورا ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلا يقول لى من ذلك النور فى ظاهرى وباطنى لا يختص بجهة من الجهات اسمع لما يأمرك به نبي ورسولى فصدقوه والا فهو مفتر كذاب انتهى فعلم أن مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مقام عزيز لا يناله كل أحد (وقد سمعت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله يقول بين الفقير وبين مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مائتا ألف مقام وسبعة واربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما وأمهاتها مائة ألف مقام وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصح له الاخذ المذكور (وكان سيدى ابرهيم المتبولى) رحمه الله يقول نحن فى الدنيا خمسة لا شيخ لنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجعيدى يعنى نفسه والشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القناوى والشيخ أبو السعود بن أبى العشائر والشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين * واعلم يا أخى انى لا أعلم فى مصر الآن أحدا من الفقراء الظاهرين أقرب سندا فى طريقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رجلان فقط سيدى على الخواص وسيدى ابرهيم المتبولى فقط لجميع أخلاق الكمل المذكورة فى هذا الكتاب المأخوذة عنهما مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصريحا واشارة كما أخبرنى به سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وأخبرنى الشيخ أبو الفضل الاحمدى أن سيدى عليا لم يمت حتى صار يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فبينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه رجل واحد وهذا الامر شبيه

بسندى بالمصافحة فانى صافحت الشيخ ابرهيم القيروانى وهو صافح الشريف الساوى بمكة وهو صافح بعض الجن الذين صافحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال (وقد أحببت) يا أخى أن أذكر لك نبذة من أحوال سيدى على الخواص تأنيسا لك وتعريفا ببعض مقامه لتسلك طريق اتباعه بعزم فانه رجل كان الغالب عليه الخفاء فلا يكاد يعرفه بالولاية الا العلماء العاملون لانه رجل كامل عندنا بلا شك والكامل اذا بلغ مقام الكمال فى العرفان صار غريبا فى الاكوان ولذلك كانت طريقته غريبة لعلوم راقيها وقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث سندها كما مر * اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق هو الشيخ الامام الكامل الراسخ الامى المحمدى صاحب الكشوفات الظاهرة والاحوال السنية المرضية بين أكابر الاولياء سيدى على الخواص البرلسى رحمه الله تعالى * من كراماته رضى الله عنه انه كان يسمى بين الاولياء النسابة لكونه كان يعرف نسب بنى آدم وجميع الحيوانات الى آبائها الاول التى لم يتقدمها أب * ومنها انه كان اذا نظر فى الميضأة التى يتوضأ منها الناس يعرف جميع الذنوب التى غفرت وخرت فى الماء من غسالتها ويعرف أهل تلك الذنوب التى غفرت على التعيين ويميز بين غسالة كل ذنب عن الآخر من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الاولى واطلعنى عليها مرة فى ميضأة المدرسة المزهرية بسويقة اللبن فرأيتها عروقا عروقا متجاورة لبعضها بعضا ولم أر فى غسالة الكبائر أقبح ولا أنتن ريحا ولا أغلظ عروقا من غسالة اللواط والوقوع فى أعراض الناس والتهاون فى الناس والاستهزاء بهم وقتل النفس التى حرم الله قتلها وقد سمع بعض المنكرين سيدى عليا مرة وهو يقول لا جزى الله تعالى من اغتسل فى هذا المغطس خيرا فانه قذره وأنتنه وكان شخص من اعوان الظلمة قد اغتسل فيه وذلك المنكر ينظر اليه فلما سمع كلام الشيخ ذهب الى ذلك الشخص وقال أقسمت عليك بالله تعلمنى ما سبب غسلك آنفا فقال قد وقع منى فاحشة فى عبدى ثم رجع المنكر وقال للشيخ سألتك بالله تخبرنى عن سبب قولك آنفا فى المغطس ما قلت فقال له ما معى اذن أن أهتك سرائر الناس فقبل ذلك المنكر رجل الشيخ واعتقده من ذلك اليوم وهذا أمر ما رأيت أحدا يطلع عليه من فقراء العصر سوى سيدى على هذا وهو كان مقام الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فان له فى الماء المستعمل ثلاثة أقوال أحدها انه كالنجاسة المغلظة الثانى انه كالنجاسة المتوسطة الثالث انه طاهر فى نفسه غير مطهر لغيره ووجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط وهو حمل الغسالة على انها غسالة كبائر ووجه الرواية الثانية الاخذ بالاحتياط المتوسط وهو حملها على أنها غسالة صغائر ووجه الرواية الثالثة الاخذ بحسن الظن بالمتوضئين وهو ان الاصل عدم ارتكابهم الكبائر والصغائر والمكروهات وأنهم لم يرتكبوا سوى خلاف الاولى كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب اليواقيت والجواهر * ومنها انه كان اذا رأى فى دواة الحبر يرى الحروف التى تكتب منها الى أن يفرغ الحبر قال أخى أفضل الدين وقد أرانى مرة ذلك فى دواة مع فقيه وقال أول ما يكتب منها السطر الفلانى فكتمت ذلك عن صاحب الدواة ولكن قلت له أرنى الكلام الذى تكتبه من تلك الدواة أولا فان لى به حاجة فكتب ذلك السطر الذى قاله الشيخ بحروفه لم يخط حرفا واحدا فتحققت صدق الشيخ فى كشفه * ومنها انه كان اذا رأى أنف انسان يعرف جميع زلاته

السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته كما سبق أى ايضاحه أول الكتاب
فى نعمة الفراسة وربما قال عند رؤية وجه الانسان اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت
لكونه كان يرى ما قدر على ذلك الانسان من المعاصى ورآه مرة فقيه وهو يملأ قعاوى الكلاب
ويلامس النجاسات فقال له ياشيخ على لاينبغى لك أن تملأ قعاوى هؤلاء الكلاب وتلامس
النجاسات فقال له الشيخ فى أذنه وكذلك أقول لك انا الآخر لاينبغى لك أن تزنى بامرأة جارك
على قبة الفرن لما سرح زوجها يحصد من الغيط فتغير وجه الفقيه فقلت له مالك فقال أخبرنى
الشيخ بأمر وقعت فيه بنواحى دمياط من منذ خمسين سنة وما كنت أعرف ان أحدا من الخلق
اطلع عليه ثم اعتقد الشيخ من ذلك اليوم وتلمذ له وحصل له خير كبير * ومنها انه كان يرى فى الليل
والنهار معاريج أعمال الناس الى السماء على التعيين ودعوت مرة للامير محيى الدين بن أبى
اصبع لما طال عليه الترسيم فى القلعة فرأى الشيخ معراج دعائى فى تلك الليلة للامير محيى الدين
فارسل يقول لى من الفجر قد عجبت الليلة من دعائك فى حق فلان وقد بقى عليه من مدة الترسيم
خمسة شهور وسبعة أيام فكان الامر كما قال * ومنها انه كان يطلع على مايصنعه الناس فى بيوتهم
من الرذائل فيقول لاحدهم يافلان تب من كذا ولا تغتر بحلم الله عليك فان الحق تعالى غيور
فربما حول النعمة عنك فقاسيت العذاب الاليم فيتوب ذلك الشخص الى الله تعالى * ومنها
انه كان يعرف مدة ولاية الولاة ومتى يولى أحدهم ومتى يعزل فى سائر اقطار الارض * ومنها انه
كان يعرف مدة اعمار الخلائق فيقول يموت فلان فى اليوم الفلانى فلا يخطئ أبدا ورأى مرة
شخصا من جماعة القاضى شرف الدين الصغير ومعه كفن للشيخ عبد الله البتنونى وكان محتضرا
فى تربة يشبك الدوادار فقال له الشيخ ارجع بالكفن فانه بقى من عمره سبعة شهور فكان الامر
كما قال وأصل ذلك ان مطمح بصر الشيخ كان اللوح المحفوظ يعنى من المحو بخلاف غيره فان
مطمح بصره ربما كان الواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا فربما أخبر هذا عن شئ
ثم انه يمحى بعد ذلك ثم ان السامع لم يسأل بعد ذلك عن المحو فربما أساء به الظن وظن انه يخبر عن
غير حقيقة والحال أنه صادق فى اخباره ولو أنهم كانوا سألوه بعد ذلك عن ذلك الامر لاخبرهم
بمحوه ولكنهم لم يسألوه فهو صادق فى الحالتين وأما من كان مطمح بصره اللوح المحفوظ فلا
يصح مخالفة ما أخبر به أبدا * ومنها انه كان يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ويخبر عنه بالامور
المستقبلة فى أوقات معينة فلا يخطئ أبدا من وباء أو قحط أو موت سلطان ونحو ذلك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبره بنزول بلاء فى وقت معين يتأهب لذلك بكثرة الاستغفار
والبكاء والتضرع ويصير لا يأكل ولا ينام حتى ينقضى أمده وكان أولياء مصر اذا شكوا
فى نزول بلاء يرسلون أصحابهم اليه ينظرون هيئته فى الجلوس فى حانوته فان رأوا ظهره الى
الشارع ووجهه لداخل حانوته أو وجدوه فى داره يعلمون ان البلاء نازل * ومنها ما أخبرنى به أخى
الشيخ أفضل الدين رحمه الله ان الله أعطى سيدى عليا الخواص القدرة على استنباط جميع
أحكام القرآن من الفاتحة وكذلك استنباط جميع أدلة المجتهدين منها بل أعطاه القدرة على
تخريج جميع الاحكام الشرعية من أى حرف شاء من حروف الهجاء انتهى وهذا أمر مابلغنا
أنه حصل لاحد ممن تقدمه من الاولياء * ومنها أنه كان يعرف أولياء الاقطار كلها ويعرف أصحاب

النوبة فى كل قطر ومن تولى منهم ومن عزل وأخبرنى ان درك بحر الهند مع الشيخ محمد بن عنان
المجذوب ودرك بحر الروم مع الشيخ محمد الشربينى وانهم يحفظون ادراكهم المذكورة وهم
فى مصر انتهى وقد ذكرنا مناقبه فى الطبقات * وأما بيان أدلة ذكر العلماء العاملين مناقبهم
فى كتاب والاعلان بها على رؤس الاشهاد فأقول وبالله التوفيق من جملة ذلك قول الملائكة
عليهم السلام ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وقول السيد يوسف عليه الصلاة والسلام للعزيز اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم
وقول السيد داود عليه الصلاة والسلام وقول ولده سليمان عليه السلام الحمد لله الذى فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين وقول سليمان عليه الصلاة والسلام أيضا علمنا منطق الطير وأوتينا
من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وقول عيسى عليه الصلاة والسلام انى عبد الله آتانى
الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت الى آخر النسق وقول سيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وسلم أنا أول شافع وأول مشفع وأنا أول من تنشق عنه الارض وأنا سيد ولد آدم يوم
القيامة ولا فخر اه وانما خص النبى صلى الله عليه وسلم سيادته بيوم القيامة لان فيه تجتمع
الاولون والآخرون فلا يكون أحد من بنى آدم غائبا فى ذلك اليوم وهو سيدهم كلهم وانما
قال ولا فخر أى ليس سيادتى وفخرى بعلو قدرى وانما الفخر لى بالعبودية فافهم فاذكر صلى الله
عليه وسلم مثل ذلك الا تحدثا بالنعمة عليه لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (وقال بعض
العارفين) لم يبلغنا ان أحدا من العارفين زكى نفسه رياء وسمعة وانما زكاها لغرض صحيح شرعى
كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فأعلم أمته انه سيد ولد آدم وانه
أول شافع وذلك ليريحهم من التعب فى ذلك اليوم الشديد ومن ذهابهم الى نبى بعد نبى رجاء أن
يشفع لهم وارشدهم انهم يمكثون فى مكانهم وينتظرونه حتى تأتيه النوبة ويقول انا لها أنا لها
فما ذهب الى نبى بعد نبى من الناس الا من لم يبلغه هذا الحديث او بلغه ثم نسيه وكان فى قول كل
نبى قبله لست لها بيانا لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وبيانا لعلو مقامه فهو أفضل الرسل على
الاطلاق انتهى وعلم من هذا التقرير أنه لم يحوج شيخه من المريدين الى تزكية نفسه الا من هو
جاهل بمقام شيخه ولو انه كان عالما بمقامه لم يحوجه الى الوقوع فى تزكية نفسه فقصد الشيخ
بقوله مثلا خذ منى هذا الكلام المحقق الذى لا تجده عند غيرى ان المريد يأخذه باعتقاد واعتناء
ولا يتهاون به وبالجملة فقد أمرنا الله تعالى بالتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أمر
لم يكن خاصا به ومن التأسى به أن نتحدث بكل نعمة أنعمها علينا ولا نكتمها ولا نتحدث
فى سرائرنا بها بل نعلن بها على رؤس الاشهاد (وقد روى) الطبرانى والبيهقى وغيرهما مرفوعا
التحدث بالنعمة شكر زاد فى رواية البيهقى وتركه يعنى الشكر كفر وأخرج ابن جرير فى تفسيره
وغيره عن أبى نضرة الغفارى قال كان المسلمون يرون ان من شكر النعمة اظهارها والتحدث بها
لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فتوعدهم على كفرهم بالنعمة
بالعذاب الشديد وروى الطبرانى مرفوعا من أعطى الشكر لم يحرم من الزيادة (وكان الحسن
البصرى) يقول فى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود أى يعد المصائب التى تصيبه وينسى
التحدث بالنعم وروى أبو نعيم فى الحلية عن وهب بن منبه انه سئل عن سبب سلب بلعام بن باعورا

بعد تلك الآيات والكرامات فقال ان بعض الانبياء سأل ربه عن سبب ذلك فأوحى الله تعالى اليه انه لم يشكرني يوما قط على ما أعطيته ولو شكرني على ذلك مرة واحدة لما سلبته نعمتي ولكن جرى بذلك قضائي وتمت فيه ارادتي ومشيئتي (وروى) الديلمي وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر يوما فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر انتهى (وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي) يقول لا يكمل شكر العبد حتى يرى نعمة ملوك الدنيا دون نعمته هو من حيث انهم مسخرون له وايضاح ذلك ان جميع من هو فوق مقام العبد من جملة نعم الله عليه كالانبياء والملوك فلولا الانبياء ما اهتدى ولولا الملوك ما أمن على نفسه وماله وحريمه فكل من هو فوقه ممن ذكر من جملة نعم الله عليه فكأنهم مسخرون له وهو الرئيس عليهم فافهم ومن هنا ورد سيد القوم خادمهم (وكان سفيان الثوري) يقول من لم يتحدث بالنعمة فقد عرضها للزوال وروى البيهقي في سننه عن الحسن بن على رضي الله عنهما قال لا بأس أن يشكو المريض الى بعض أصدقائه ما هو فيه من الألم كما انه لا بأس بأن يحدث الثقة من اخوانه بما فعله من الخير لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وكان عبد الله بن غالب التابعي الجليل يقول أعلنوا بأعمالكم الصالحة واذكروها لمن لا يعلم بها فان ذلك مما يرضي ربكم عز وجل وكان يقول للناس كثيرا صليت الليلة كذا كذا ركعة وسبحت كذا كذا ألف تسبيحة وتصدقت بكذا كذا درهم فقال له شخص يوما لو انك تخفي ذلك عن الناس لكان أفضل لك فقال له عبد الله مالك لا تفقه أما تقرأ قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث لو أنك أمرتني باظهار أعمالي لكان أفضل لك ولي فان نعمة الله تعالى على العبد في دينه من أعظم النعم وهي أولى بالتحدث بها من التحدث بالنعم الدنيوية كقولك ان الله تعالى أعطاني الليلة ألف دينار مثلا انتهى (وكان السري السقطي) يقول لا فرق بين قول العبد ان الله خلقني ورزقني وصورني وعلمني العلم والقرآن وجعلني مباركا وبين ان يقول أنا ولي الله وأنا من العلماء العاملين ونحو ذلك لان كل مؤمن ولي لله تعالى قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ولا يخلو العالم قط من العمل بعلمه ولو في مسئلة واحدة فيشكر الله تعالى الذي جعله من العلماء العاملين ومن نفى عن نفسه الولاية والعلم مطلقا فقد قل شكره انتهى (وكان الامام الليث ابن سعد) يقول أنا أعرف شخصا من منذ وعى على نفسه ما عصى ربه قط فكان أصحابه يتحدثون فيما بينهم انه يعني بذلك نفسه لان أحدا لا يعرف ذلك من غيره الا بوحي من الله تعالى وغمز رجل قدم أبي العباس السياري أحد رجال رسالة القشيري فقال له ابو العباس اتغمز قدما ما مشى الى معصية الله قط (وكان الشيخ عبد القادر الجيلي) يقول قدمي هذه على رقبة كل ولي لله عز وجل يعني من أهل عصره (وكان أبو القاسم الجنيد) يقول لا يكمل أحد في مقام الشكر لله تعالى حتى يرى نفسه انه ليس بأهل أن تناله رحمة الله عز وجل وانما رحمة الله تعالى له من باب المنة والفضل وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي يقول صحبت ستمائة شيخ ثم وزنتهم فرجحتهم وكان أبو العباس المرسي يقول والله ما سارت الابدال من ق الى ق الا ليصادفوا رجلا مثلي يربيهم ويرقيهم الى مقامات الرجال وكان يقول والله لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة واحدة ما عددت نفسي من جملة المسلمين وكان يقول كثيرا والله لو علم أهل العراق والمغرب

والشام

والشام ومصر ما تحت هذه الشعيرات ويشير الى لحيته من العلوم والاسرار لأتوها ولو سعيا على الوجوه وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يقول ما بقي بحمد الله عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده وانما ننظر في كلام غيرنا لنعرف ما من الله به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم فنشكر الله على ذلك (واخبرني الشيخ علي الشاذلي ربيب الشيخ أبي المواهب) قال سمعت سيدي أبا المواهب يقول كنت وأنا مريد أتكدر من مدح الشاذلية نفوسهم وأقول كيف ينبغي لفقير أن يزكي نفسه بين الناس حتى وصلت الى مقامهم الذي مدحوا منه نفوسهم فرأيت ان ذلك من أوجب الواجبات على العبيد وانه لا يكفي الانسان أن يشكر ربه في نفسه فقط من غير لفظ وانما عليه أن يشيع ذلك بين العباد حتى يعلم به الخاص والعام فانه تعالى يحب من عباده أن يشكروه ويذكروا فضله واحسانه عليهم بين عباده ويصفوه بالجود والكرم والفضل انتهى ورأيت بخط الشيخ جلال الدين في كتابه التحدث بالنعمة ما نصه أنا أعلم خلق الله الآن قلما وفاتم قال فان اعترض علينا معترض قلنا له هذا موكول الى تخصيص العقل ذلك بعالم زماننا أو بلدنا أو اقليمنا لا غير وعلى ذلك حمل العلماء قوله تعالى في بني اسرائيل وأني فضلتكم على العالمين وقالوا لا يدخل في ذلك الانبياء ولا الملائكة قال الشيخ جلال الدين ولولا اعتبار هذه القاعدة التي ليس عنها براح لكان التلقيب بقاضي القضاة واقضى القضاة محرما غير مباح لانه شامل لكل نبي بل ولرب العالمين انتهى (وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي) يقول كثيرا لاصحابه اعلنوا بطاعاتكم اظهار العبوديتكم كما يتظاهر غيركم بالمعاصي وعليكم بالاعلام للناس بما منحكم الله تعالى من العلوم والمعارف فهذه بعض نقول من كلام السلف الصالح تؤذن بان العلماء والصالحين ما مدحوا انفوسهم فخرا ورياء حاشاهم من ذلك وانما بنوا أمرهم في ذلك على قواعد صحيحة واغراض شرعية فاياك يا أخي ان تبادر الى الانكار على أحد من العارفين اذا مدح نفسه وتحمله على الاغراض النفسانية بعد اطلاعك على هذه الادلة والنقول التي ذكرناها وعليك بحملهم على أحسن المحامل وقد مدح الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بقوله أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول عليكم بالاعلان بما تفضل الله به عليكم فان الله تعالى يستحي من عبده اذا قال أعطاني الله كذا وكذا أن يسلب منه ذلك لئلا يخجله بين عباده وسمعته أيضا يقول التحدث بنعمة الله تعالى من غير فتنة ولا اغراض نفسانية خاص بالاكابر من الاولياء في كل عصر بخلاف غير العارفين فربما دخل الرياء على أحدهم في تحدثه بما أنعم الله به عليه انتهى قلت وايضاح ذلك ان للعبد في اظهار أعماله ثلاث حالات احداها أن يظهر أعماله رياء وسمعة كما هو شأن بعض العوام والعباد الذين ليس لهم شيخ يربيهم ويرقيهم الى مقام توحيد الافعال لله رب العالمين أو لم يحفهم توفيق فان من وصل الى مقام توحيد الافعال لله ذهب عنه الرياء والسمعة والعجب والكبرياء بأعماله جملة واحدة كما ستأتي الاشارة اليه في مواضع من هذا الكتاب لانه حينئذ يرى الفعل لله وحده لا شركة له في الفعل الا بقدر نسبة التكليف لا غير ومعلوم ان أحدا لا يرائي الا بما يشهده فعلا له وأما ما يراه فعل غيره فلا يصح له الرياء به أبدا الا ان الناس يكذبونه كما في العارفين بالله يكذبونه اذا رأى الفعل لنفسه حقيقة وهذا هو مذهب الجبرية بعينه فان

الجبرية قوم وصلوا بالعقل الى مقام توحيد الافعال لله وحده ولم يصلوا الى مقام الكمل فى اضافتهم الافعال الى الخلق فأخطؤا الشرائع من اضافتها الافعال الى العباد بنحو قوله تعالى يعملون يفعلون يكسبون فلذلك ذمهم أهل السنة لكون ذلك يؤدى الى أن الله تعالى يؤاخذ العبد بما ليس من كسبه ولا من فعله جملة واحدة ولا يخفى ما فى ذلك من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى وان كان الحق من مرتبته أن يفعل ما يشاء وله مؤاخذة من لم يذنب لكن لم يفعل ذلك بل رتب الاسباب والمسببات وهذا المذهب وان كان يدخله الخطأ فهو أحسن من مذهب المعتزلة على كل حال لتأييده بنحو قوله تعالى الله خالق كل شئ وبنحو قوله والله خلقكم وما تعملون ولم يأت لنا شرع بأن العبد يخلق افعال نفسه استقلالا بغير اذن من الله أبدا فافهم فعلم ان من كمال ايمان العبد أن يشهد العمل لله تعالى ايجادا وللعبد اسنادا كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى الحالة الثالثة * ثانيها يعنى الاحوال أن يحس من نفسه شهود اخلاص العمل لله تعالى خلقا لا شركة لغير الله فيه من غير أن يتمكن فى المقام فهذا يخاف على نفسه من اظهار اعماله للناس كما يخاف من أنها تحبط لرائحة اعتماده عليها دون الله تعالى كما هو شأن العباد سلفا وخلفا فهذا لا يقدر على اظهارها * ثالثها يعنى الاحوال ان يحس بنفسه يقينا الخلاص من الرياء بالكلية حين تمكن من حقائق التوحيد فهذا لا يخاف من اظهار شئ من عمله لانه يشهده لله تعالى وحده كما يشهد ذاته خلقا لله تعالى على حد سواء فكما انه لا يقدر على شئ من كون ذاته خلقا لله تعالى وحده كذلك لا يقدر على أن يصف شيأ من اعمال نفسه لنفسه بل يراها لله رب العالمين ما عدا نسبة التكليف ثم اذا اتقى المحظور وأخلص العبد عمله لله رب العالمين لا شريك له فحينئذ يؤمر باظهار كل ما أجراه الله تعالى على يديه من الاعمال وكساه له من الاخلاق اعترافا له بالنعمة وهذا هو حقيقة الشكر التى ينتهى اليها الصديقون فان جميع الاعمال التى يرى العبد ان يشكر الله بها من جملة نعمه عليه أيضا فصاحب هذا المشهد يرى نفسه كالآلة الفارغة التى يحركها المحرك على الفارغ ويرى نفسه عبدا غارقا فى فضل سيده ونعمته سداه ولحمته نعم فعلم انه يجب على صاحب هذا المقام اظهار جميع نعم الله عليه والتحدث بها وان ذلك أفضل فى حقه من الاسرار بها لعدم خوفه على نفسه من آفات الاظهار وعلم أيضا أن كل من لم يصل الى هذه الحالة الثالثة ذوقا وتحققا فكتمان الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة فى حقه واجب أو أولى خوفا عليه من دخول الآفات وأما شهوده نسبة العمل له من حيث التكليف فلا يقدح حينئذ فى هذا المقام لانه أمر لا بد منه وقد أجمع أهل التوحيد على انه لا يقدح فى توحيد العبد شهوده نسبة الفعل اليه كما أشار اليه نحو قوله تعالى واياك نستعين فافهم وبما قررناه يعلم أن من قال ان اخفاء الاعمال أولى مطلقا اخطأ أو اظهارها مطلقا أفضل اخطأ ومن فصل فى المسئلة فقد أصاب (وسمعت) سيدى عليا الخواص يقول الناس فى اظهار الاعمال واخفائها على أقسام فمنهم من علانيته أفضل من سريرته ومنهم من تساوت سريرته وعلانيته ومنهم من رجحت سريرته فى الخير على علانيته ومنهم من غاب عن ذلك كله فالاقسام الثلاثة الاول قد يطرق صاحبها الرياء والسمعة لشهوده الترجيح بخلاف من غاب عن ذلك كله أى عن التقيد بشئ من هذه الاقسام الثلاثة بحكم اختياره الطبعى بل بحكم الاختيار الشرعى فيكون فانى

الاختيار فى اختيار الحق تعالى فخارج الشرع اظهاره رجح هو اظهاره وما لا فلا قال وعلى هذه الحالة الرابعة يحمل حديث الاخلاص سر من أسرارى أودعه قلب من شئت من عبادى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا شيطان غوى أو ما هذا معناه انتهى (وقد أجمع) الاشياخ على أن من شهد فى نفسه الاخلاص احتاج اخلاصه الى اخلاص (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص يقول ارجح الناس ميزانا يوم القيامة من كان فى اعماله كالدابة المحملة لا تعلم بنفاسة ما هى حاملته ولا بخسته ولا تعلم هو لمن ولا تطلب مع ذلك أجرا وهى مع ذلك صابرة على ثقل ما حملت منكسة الرأس لا تدرى أين تذهب انتهى وفى كلام ابن عطاء الله ادفن نفسك فى أرض الخمول فان ما نبت من الحب من غير دفن لا يتم نتاجه يعنى لعدم تمكنه لان الرياح ربما عصفت فقلعت عروقه من الارض فمات بخلاف ما دفن فان نباته يشق الارض ويخرج فلا تزعزعه الرياح فعلم بما قررناه ان من يخاف محظورا من اظهار اعماله فكتمانه لها أولى كما مر ومن كان قصده باظهارها اقتداء الاخوان به أو اظهار فضل الله تعالى وكرمه عليه أو غير ذلك من النيات الصالحة فلا حرج عليه فى اظهارها (وسمعت) سيدى عليا الخواص يقول اذا علم العبد كشفا ويقينا انه عبد مستحق للعقوبة وان جميع ما عنده من الكمالات من فضل سيده عليه عارية عنده ليس له منها شئ جازله الاعلان بالنعم والتحدث بها على رؤس الخلائق لانه لا يرى له بها فخرا على أحد من خلق الله تعالى انتهى وهذا مشهدى الآن بحمد الله تعالى كما سيأتى بسطه آخر الخاتمة ان شاء الله تعالى فانى والله ثم والله أرى نفسى فى بعض الاحيان قد استحقت الخسف بى من سنين لولا فضل الله تعالى وحلمه على ثم والله لا أرى أحدا على وجه الارض أكثر اقتحاما للمعاصى منى ولا أقل حياء منى ولو أن أحدا من المعتقدين فى أقام لى الادلة على ضد ذلك ما أصغيت اليه وكثيرا ما أشهد أن جميع ما يقع على مصر وقراها من البلاء انما هو بسبب ذنوبى وحدى وان ذنوب غيرى كلها مغفورة لا أعقل غير ذلك فيصير جسمى ذائبا كالذى شرب رطلا من السم وهذا أمر لا يذوقه الا أهل هذا المقام كما سيأتى بسطه فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى ووالله ثم والله انى اود أن يكون لى ذوات وجوارح بعدد ذوات الوجود وكل ذات وجارحة تفعل فعل اخواتها وتعبد الله بعبادة أهل السموات والارض اضعافا مضاعفة من افتتاح الوجود الى انتهائه ثم مع ذلك لا أرى نفسى تستحق ذرة واحدة مما تفضل الله تعالى به عليها فى الدنيا والآخرة بل أرى انى لو عبدت الله تعالى بعبادة الثقلين الى يوم الدين لا أرى انى قمت بشكره تعالى على تمكينى أن أقف بين يديه خلف كل عاص على وجه الارض ولو غافلا عنه وكيف أقوم بذرة من شكره وهو خالق لذاتى ولاعمالها فما بقى شكر للعبد الا بالاعتراف بالنعم لا غير فافهم ووالله ثم والله انى لم أقصد بذكرى لاخلاقى ومناقبى فى هذا الكتاب فخرا على الاخوان وانما قصدت بذلك اقتداءهم بى فى تحصيلها والتخلق بها بعد ان سمعت بعضهم مرارا عديدة يستغرب قيام أحد بهذه الاخلاق ويقول ما بقى أحد من فقراء هذا الزمان يصلح أن يقتدى به فى شئ من أخلاق القوم لعدم تخلقه بها (ووقع لى) مرة انى قلت لواحد من اخوانى أحب لك أن تزهد فى الدنيا فقال حتى أجد من يزهد فيها فأتبعه فلما سمعت مثل ذلك من الاخوان من ظنهم ان أخلاق القوم قد فقدت بالكلية

أبرزت لهم نبذة من أخلاق المريدين التى منّ الله تعالى بها علىّ أوائل صحبتى للقوم رجاء ان أحدا يتبعنى على ذلك وقطعا للحجة الكسالى اذ الداعى الى خير ان لم يكن فاعلا به فدعاؤه ناقص وان كان ذلك ليس بشرط فيه فان لسان حال المدعو يقول للداعى انصح أنت نفسك وربما صرح بذلك بالقال فلذلك صرحت فى هذا الكتاب بامور كان الاولى لنا كتمها لولا الامر لى باظهارها ولولا اقامة الحجة علينا من المدعوين فانهم اذا رأونا متخلقين بما ندعوهم اليه اذعنوا لكلامنا ضرورة وان لم يعملوا به وكذلك لم أقصد بقولى فى كثير من الاخلاق وهذا الخلق لم أره فاعلا الفخر على الاخوان وانما أقصد به بيان عزته ليلتفت الاخوان بالهم الى الاهتمام به لتحصله والتخلق به لاغير ومعاذ الله أن أؤلف كتابا وأهديه الى حضرة الله عز وجل وهو مشتمل على ذنب ابليس الذى أخرج به من الحضرة وطرد ولعن مع انى بحمد الله قد خرقت ببصيرتى الى الدار الآخرة وشهدت يوم الحساب وعرفت بميزان الشريعة من هذه الدار ما يصح ان يقبل من الاعمال وما يرد وصار ذلك عندى كأنه رأى عينى فاياك أن تظن فىّ انى وضعت هذا الكتاب على غفلة عن شهود الآخرة وأحوالها فانى انما وضعته عن حضور وأرجو من فضل الله دوام الحضور والشهود الى طلوع روحى وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب الاول فى أمور يجب عند ائمة الطريق فعلها قبل طلب طريق القوم وذلك حتى لا يصير عند الطالب التفات الى غيرها ويجمعها كلها التبحر فى العلوم الشرعية ثم المجاهدة للنفس على يد شيخ صادق وما زاد على ذلك فهو من التوابع والكمالات كما ستراه ان شاء الله تعالى

(فمما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ من فضله) شرف نسبى وان كان ذلك لا ينفع الامع التقوى غالبا فقد يقع غيره تفضلا من الله تعالى فى الجملة كما أشار اليه بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا فلولا أن يكون والدهما صالحا ما دخلا فى هذه النعمة وما كان للتصريح بصفة الصلاح فيه كبير فائدة فأنا أحمد الله تعالى حيث جعلنى من أبناء ملوك الدرنى بحمد الله تعالى فانى بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن احمد بن على بن احمد بن محمد بن زوفا ابن الشيخ موسى المكنى فى بلاد البهنسا بأبى العمران جدى السادس ابن السلطان احمد ابن السلطان سعيد ابن السلطان قاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زوفا ابن السلطان ريان ابن السلطان محمد بن موسى ابن السيد محمد بن الحنفية ابن الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لكن رأيت فى نسبتنا القديمة اسمين مطموسين قبل السيد محمد لا أدرى من هما وكان جدى السابع الذى هو السلطان أحمد سلطانا بمدينة تلمسان فى عصر الشيخ أبى مدين المغربى رضى الله عنه ولما اجتمع به جدى موسى قال له الشيخ أبو مدين لمن تنتسب قال والدى السلطان أحمد فقال له انما عنيت نسبك من جهة الشرف فقال أنتسب الى السيد محمد بن الحنفية فقال له ملك وشرف وفقر لا يجتمعن فقال له ياسيدى قد خلعت ما عدا الفقر فرباه فلما كمل فى الطريق أمره بالسفر الى صعيد مصر وقال له اسكن بناحية هو فان بها قبرك فكان الامر كما قال رضى الله عنه فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) وأنا صغير ببلاد الريف حفظ القرآن وأنا ابن ثمان سنين

وواظبت على الصلوات الخمس فى أوقاتها من ذلك الوقت فلا أتذكر اننى أخرجت صلاة عن وقتها الى وقتى هذا الا نسيانا مرة واحدة نسيت الظهر فى طريق الحجاز حتى دخل وقت العصر من غير نية تأخير وكثيرا ما كنت أصلى بالقرآن كله فى ركعة وأنا دون البلوغ فالحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) وأنا دون البلوغ انى عمت بحر النيل أيام الوفاء فتعبت ونزلت فى قعر البحر لاموت فأرسل الله تبارك وتعالى لى تمساحا فوقف تحت رجلى حتى استرحت وكنت أحسبه حجرا حتى شرع ثم عام حولى يساندنى حتى وصلت الى ساحل البحر الآخر ثم غطس وهذا من جملة نعم الله علىّ مع كونى اذ ذاك صغيرا لا اعرف طريق معاملته فحمانى باللطف من التلف بالمتلف وذلل هذا الوحش تحت رجلى حتى استرحت وكذلك تعرض لى بعض الفسقة بكلام فاحش فابتلاه الله تعالى بالجذام بعد سبعة أيام حتى صار الناس يتقذرونه الى ان مات وكذلك تعرض لى شخص آخر فسافر الى الروم فأسره الفرنج وتنصر عندهم ووقايعى فى مثل ذلك كثيرة مع انى كنت يتيما من الابوين فكان الحق تعالى هو وليى وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرتى من بلاد الريف الى مصر ونقله تعالى لى من أرض الجفاء والجهل الى بلاد اللطف والعلم وقد أشار الى نحو ذلك السيد يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو فذكر أن مجىء اخوته من البدو من جملة احسان الحق تعالى اليه واليهم بحكم التبعية فكأنه عليه الصلاة والسلام أثنى على الحق تعالى بما فعله مع اخوته ومعه وفى الحديث مرفوعا من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وكان مجيئى الى مصر افتتاح سنة احدى عشرة وتسعمائة وعمرى اذ ذاك ثنتا عشرة سنة فأقمت فى جامع سيدى أبى العباس الغمرى وحنن الله تعالى علىّ شيخ الجامع وأولاده فكنت بينهم كانى واحد منهم آكل مما يأكلون وألبس مما يلبسون فلا يجازيهم عنى الا الله تعالى فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها وحللتها على الاشياخ ولم أزل بحمد الله محفوظا الظاهر من الوقوع فى المعاصى معتقدا عند الناس يعرضون علىّ كثيرا من الذهب والفضة والثياب فتارة أردها وتارة أطرحها اباحة فى صحن الجامع فيلتقطها المجاورون وكنت كثيرا ما أطوى الايام وأنا دون البلوغ تعففا عما فى أيدى الناس وخوفا من هوانى فى أعينهم كما سيأتى بسط ذلك فى نعمة مجاهدتى لنفسى بلا شيخ ان شاء الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) حفظ متون الكتب فحفظت أولا أبا شجاع ثم الآجرومية فى بلاد الريف وحللتهما على أخى الشيخ عبد القادر بعد وفاة والدى ثم لما جئت مصر حفظت كتاب المنهاج للنووى ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقى ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم ارتفعت الهمة الى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه اجمع كتاب فى مذهب الامام الشافعى فحفظت منه الى اثناء باب القضاء على الغائب اواخر الكتاب فلقينى بعض أرباب الاحوال بباب الخرق خارج باب زويلة فقال لى مكاشفا قف على باب القضاء على الغائب ولا تقض على غائب بشىء انتهى فما

قدرت بعد ذلك على حفظ لوح واحد منه لكننى طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة وكنت أقرأ محفوظى للمتن فى الشرح وأنظر كل شئ توقفت فى فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندى نصب عينى كما سيأتى بيانه فى النعمة بعد ثم لقينى الشيخ احمد البهلول رضى الله عنه فقال لى مكاشفا أقبل على الاشتغال بالله ويكفيك من العلم ما قد علمته فشاورت فى ذلك مشايخى فقالوا لا تدخل طريق القوم الا بعد شرح محفوظاتك كلها على الاشياخ فاذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم وكان أشياخى كلهم من الجامعين بين العلم والعمل والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شرحى لمحفوظاتى السابقة على المشايخ الذين عرضتها عليهم وهم نحو خمسون شيخا ذكرنا مناقبهم فى كتاب الطبقات فقرأت على الشيخ أمين الدين الامام والمحدث بجامع الغمرى شرح المنهاج للجلال المحلى وكان أعرف أشياخى بنكت هذا الشرح لكونه قرأه على أعيان طلبة الشيخ جلال الدين كالفخر المقسى والشمس الجوجرى والشمس ابن قاسم وكنت أطالع على درسى هذا القوت للاذرعى والقطعة والتكملة للاسنوى والزركشى والقطعة للسبكى والعمدة لابن الملقن وشرح ابن قاضى شهبة وشرح الروض للشيخ زكريا واكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين والصق فيه أوراقا حتى ربما تصير الحواشى أكثر من الكتاب ثم اقرؤها كلها عليه وذلك كله لضيق يدى عن شئ أشترى به هذه الكتب وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين وحاشية الشيخ كمال الدين بن أبى شريف كاملا وكان قد قرأها على مؤلفها وقرأت عليه أيضا شرح ألفية العراقى للجلال الحافظ السخاوى ويقال انه للحافظ ابن حجر ظفر به السخاوى مسودة فى تركة الحافظ ابن حجر أو غيره فضبطه وبيضه وأبرزه للناس وقرأت عليه ايضاح شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل وكنت أطالع عليها شرحها للاعمى والبصير وشرح التوضيح للشيخ خالد وشرح المكودى وشرح ابن المصنف وشرح ابن أم قاسم وشرح الشواهد للعينى واكتب زوائد هذه الشروح على ابن عقيل ثم اقرؤها كلها وقرأت عليه أيضا الكتب الستة فى الحديث والغيلانيات ومسند عبد ابن حميد وكتبا كثيرة وأجازنى بجميع مروياته وكان له السند العالى أخذ عن الحافظ ابن حجر وغيره وقرأت على الشيخ الامام العلامة شمس الدين الدواخلى رضى الله عنه هذا الشرح المذكور آنفا وطالعت عليه الكتب المذكورة بعد الشيخ أمين الدين وكان فقيها صوفيا أصوليا نحويا محققا للابحاث وقرأت عليه أيضا شرح الارشاد لابن أبى شريف وكنت أطالع عليه شرح البهجة الكبير للشيخ زكريا وشرح الارشاد للجوجرى والقوت للاذرعى والتوسط والفتح له أيضا وقرأت عليه أيضا شرح الروض الى أثناء باب الجهاد فحصل لى مرض فلم أتمه عليه لكنى أتممته على غيره وكنت أطالع على هذا الشرح كتاب الخادم وكتاب القوت وجميع المواد التى استمد منها شارحه وكنت أتتبع نقوله بذكر سوابق الكلام ولواحقه وألحق ذلك بالشرح حتى ان حواشى هذا الشرح صارت أكثر من الشرح وكان يتعجب من سرعة مطالعتى لهذه الكتب وكتابة زوائدها ويقول لولا انك تلخص زوائدها لقلت انك لم تحقق تطلع على بعضها وقرأت عليه أيضا شرح الالفية لابن المصنف وشرح التوضيح للشيخ خالد وكتاب المطول بحواشيه وشرح ألفية العراقى للمصنف وللسخاوى وكتاب شرح جمع الجوامع بحاشيته لابن أبى شريف وغير ذلك

وقرأت على الشيخ شمس الدين السمانودى المفتى والخطيب بجامع الازهر كان نحو النصف من شرح المنهاج للمحلى ثم مات رحمه الله رحمة واسعة وقرأت على الشيخ الامام العلامة شهاب الدين المسيرى قطعة من شرح جمع الجوامع ونحو النصف من شرح المنهاج للجلال المحلى ثم مات وقرأت على الشيخ الامام المحقق الشيخ نور الدين المحلى شرح جمع الجوامع بحاشيته وكثيرا ما كنت اقرأ عليه الشرح والحاشية من ذهنى وهو يمسك على الاصلين فيتعجب من جودة حفظى وتوقيعى الحاشية على الشرح مع صغر سنى وقرأت عليه أيضا شرح العقائد للتفتازانى وحاشيته لابن أبى شريف عليه وشرح المقاصد وكتاب سراج العقول لابى طاهر القزوينى وهو كتاب نفيس مشتمل على أربعين مسئلة من مشكلات علم الكلام عقد لكل مسئلة بابا جمع فيه نقول المتقدمين والمتأخرين وما رأيت فى علماء الكلام أطول باعا منه وقرأت على الشيخ نور الدين الجارحى المدرس بجامع الغمرى رحمه الله شرح الفية العراقى للمؤلف وشرح الشاطبية لابن القاصح والسخاوى صهر الشاطبى وقرأت على الشيخ الامام العلامة الشيخ نور الدين السنهورى الضرير الامام بجامع الازهر عدة كتب منها شرح الشذور ومنها نظمه للآجرومية وشرح نظمه لها وشرح الالفية للمكودى وغير ذلك وقرأت على الشيخ الامام المحقق المفنن فى العلوم ملا على العجمى بباب القرافة عدة كتب فى الفقه والنحو وقرأت على الشيخ جمال الدين الصانى قطعة من المنهاج وقطعة من الالفية فى نحو شهر ثم مات وقرأت كذلك على كل من الشيخ عيسى الاخنائى والشيخ شمس الدين الديروطى والشيخ شمس الدين الدمياطى الواعظ صاحب البرج بدمياط قطعة من شرح المنهاج وقطعة من شرح الالفية فى النحو ثم مات وقرأت على الشيخ العالم الصالح المحدث المقرئ الشيخ شهاب الدين القسطلانى شارح البخارى غالب شرحه على البخارى وقطعة من المواهب اللدنية وقرأت على الشيخ مجلى رحمه الله قطعة من شرح المنهاج للجلال المحلى صحبة قراءة الشيخ أبى الحسن البكرى عليه ثم مات رحمه الله تعالى وقرأت على الشيخ صلاح الدين القليوبى قطعة من شرح جمع الجوامع ثم مات ولم اكمله عليه وقرأت على الشيخ العالم العلامة نور الدين بن ناصر نحو ثلاثة أرباع المنهاج وكان أحفظ الناس بنقول المذهب كأن المذهب نصب عينه وقرأت على الشيخ نور الدين الاشمونى قطعة من المنهاج وقطعة من ألفية ابن مالك ونظمه لجمع الجوامع ثم مات وقرأت على الشيخ سعد الدين الذهبى شرح ألفية العراقى للمؤلف وقرأت قطعة من شرح المنهاج للمحلى مع مطالعة كتاب القوت وكتاب الخادم ومراجعته فى المشكلات وقرأت على شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الششينى الحنبلى قطعة من تفسير البغوى الى أواخر البقرة ثم مات سنة ثمان عشرة وتسعمائة وقرأت على شيخ الاسلام الشيخ برهان الدين القلقشندى قطعة من المنهاج وقطعة من الفية ابن مالك ومسند عبد بن حميد والغيلانيات ثم مات وكان عالى السند فى الحديث وقرأت على شيخ مشايخ الاسلام الشيخ زكريا شرحه لرسالة القشيرى كاملا وشرحه لمختصر المزنى ولم يكمله وشرح آداب البحث وشرح التحرير وشرح الروض الى أثناء باب الجزية وشرح مختصره لجمع الجوامع مع حاشيته على شرح الجلال المحلى وقرأت عليه تفسير البيضاوى كاملا ونشأ من قراءتى عليه حاشيته التى وضعها عليه وغالبها بخطى وخط ولده الشيخ جمال الدين وذلك بعد أن كف بصره وطالعت له

حاشية الطيبي على الكشاف وحاشية الشيخ سعد الدين وبعض حواش كحاشية الشيخ جلال الدين السيوطي والبابونى وغير ذلك ولما شرح البخارى كنت أطالع له حال التأليف فتح البارى وشرح العينى وشرح البرماوى وشرح الكرمانى وشرح القسطلانى حتى صار غالب هذه الشروح نصب عينى من كثرة مطالعتها له وتكرار الكلام حتى يأخذ منه المعنى الذى يضعه فى شرحه ولما قرأت عليه شرح الروض كنت أطالع عليه شرح المهذب والخادم والقوت وشروح المنهاج والمطلب والكفاية لابن الرفعة وتتبعت جميع المواد التى استمد منها فى شرحه ونبهته على اثنى عشر موضعا ذكر فى شرحه أنها من زوائد الروضة على الروضة والحال أنها مذكورة فى الروضة فى غير أبوابها فضرب على كونها زائدة ونبه على أنها مذكورة فى غير أبوابها ثم انى رأيت الزركشى نبه على هذه المواضع فى كتابه خبايا الزوايا ففرح بذلك رضى الله عنه وكان أعظم أشياخى فى العلم والعمل والهيبة ولازمته عشرين سنة فكأنها من طيبها كانت جمعة وكان فى بعض الاوقات يقول لى هلا تذهب بنا الى بحر النيل نشم الهواء فأقول له ياسيدى مجالستكم عندى أعظم من شم الهواء فيدعولى وحكى لى مرة أن يحيى بن يحيى الاندلسى جالس الامام مالكا سنين فمر يوما الفيل فقام الطلبة يتفرجون عليه فقال له الامام مالك أما تنظر الى الفيل فانه ليس فى بلادكم فقال ياسيدى أنا مارحلت من بلادى لاتفرج على الفيل وانما رحلت اليك لانظر الى أفعالك وأقوالك وأهتدى بهديك فأعجب مالكا ذلك وسماه عاقل أهل الاندلس انتهى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وقرأت على الشيخ الامام المحقق علامة الزمان الشيخ شهاب الدين الرملى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب نعمته الهامعة كتاب الروضة من أولها الى أثناء كتاب الجراح فحصل لى رمى دم فلم أكمله عليه وكنت أطالع على كل درس قرأته عليه كتاب القوت وكتاب الخادم وكتاب شرح الروض للشيخ زكريا ولابن سولة والمطلب والمهمات والكفاية لابن الرفعة وشرح المهذب والرافعى الكبير والقطعة والتكملة وشرح ابن قاضى شهبة على المنهاج وشرحى الارشاد للجوجرى ولابن أبى شريف وشرح البهجة للشيخ زكريا وأكتب زوائد هذه الكتب على الحواشى وربما ألصق فيها أوراقا حتى تصير الحواشى أكثر من ألفاظ الاصل ثم أقرؤها كلها عليه وكان ينهى على المفتى به من غيره فأقيده على الحاشية وكان يتعجب من سرعة مطالعتى لهذه الكتب فى نحو اليوم والليلة ويقول لولا أنك تكتب زوائدها على الحواشى وتترك الكلام المتداخل لقلت انك لم تحقق تطالع هذه الكتب فضلا عن تحرير ما تكتبه منها بعد حذف المتداخل يعنى تركه من هذه الاصول وكان ذهنى بحمد الله سيالا لايسمع شيأ وينساه ولم أزل كذلك حتى ترادفت على الهموم لما بلغت فى السن الى نحو خمس وعشرين سنة وذلك نحو ثلاث وعشرين من القرن العاشر التى دخلت فيها الى مصر لما جاءت دولة بنى عثمان نصرهم الله تعالى وقال لى مرات بدايتك نهاية غيرك فانى مارأيت أحدا تيسر له مطالعة هذه الكتب كلها فى هذا الزمان أبدا وكنت أطالع الجزء الكبير من الرافعى أو الخادم كاملا فى ليلة واحدة فهذا مااستحضرته الآن من الكتب التى طالعتها حال قراءتى على الاشياخ وسيأتى قريبا ذكر أسماء الكتب التى طالعتها لنفسى مع مراجعة الاشياخ فى مشكلاتها ان شاء الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أخذى بالاحوط فى دينى ولا أترخص فى تركه الا بطريق شرعى فكما أن من أخذ بالاحوط فهو على هدى من ربه كذلك من أخذ بالرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها وكنت بحمد الله تعالى حال اشتغالى على الاشياخ أشدد على نفسى فى العمل على الخروج من الخلاف ما أمكن وكل ذلك طلبا لتكون عبادتى صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها ومارأيت أشد على مراعاة للخلاف من صلاة العصر فانى ان صليتها على مذهب الامام الشافعى فى أول وقتها خالفت الراجح من مذهب الامام أبى حنيفة لان وقتها حين صليتها على مذهب الشافعى لم يكن دخل وان صليتها أول الوقت على مذهب الشافعى وأعدتها حين يدخل وقتها على الراجح من مذهب أبى حنيفة يقول الاصطخرى ان العصر لاتعاد وان اقتصرت على صلاتها فى الراجح من مذهب أبى حنيفة قال الطحاوى قد خرج وقتها حينئذ فلما تعذر على الخروج من خلاف العلماء أخذت بما صح فى حديث امامة جبريل من الوقتين * واعلم ياأخى أن من جملة الاحتياط اجتناب المكروه كأنه حرام والاعتناء بالسنن كأنها واجبة ويتوضأ من مس الفرج ان كان حنفيا ومن الفصد ان كان شافعيا ويطهر نجاسة الكلب والخنزير سبعا احداهن بتراب ان كان مالكيا وهكذا فى سائر مسائل الخلاف العالى والنازل من الصحابة ومن بعدهم الى عصرنا هذا فعلم أنه ينبغى للعبد التوبة من المكروه كأنه حرام ومن ترك السنة كأنها واجب تعظيما لامر الله * وقد روى البزار باسناد صحيح ان الله فرض فرائض وفرضت فرائض الحديث ومما يؤيد الاعتناء بالسنة قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول كلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى كلما اعتنى بالتعظيم لامره ونهيه وكلما بعد عن حضرة الله تعالى كلما تهاون بفعل أمره واجتناب نهيه وفى الحديث أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه وروى الحاكم وصححه مرفوعا من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم التعصب لمذهبى من غير علم ولا اجتهاد فلم أتذكر أنى قلت عن شئ من مذهب المخالف هذا ضعيف أبدا بل سداى ولحمتى التسليم للمخالف وقد كان الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الراس والعين وماجاء عن أصحابه تخيرنا انتهى وكذلك نقول ماجاءنا عن الائمة المجتهدين تخيرنا اتباع من شئنا منهم ثم اذا تخيرناه لازمنا العمل بكلامه ولا نفارقه الا بالموت خوفا من وقوعنا فى صورة التلاعب بالدين وانما كنا نسلم للمخالف لامامنا لانه مجتهد وقد قرر الشارع وجوب العمل على المجتهد بما فهمه من السنة فكذلك من ألزم نفسه باتباع مجتهد يلزمه العمل بقوله (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول كل من أنكر على عالم بفهمه فكأنه يدعى انه أعلم من ذلك العالم ولو أنه كان يعتقد فى نفسه انه دونه فى العلم لسلم له قوله وحفظ من الوقوع فى الانكار عليه انتهى وكان يقول اياك والمراء فى العلم فانه يجر الى الاثم قال وحد المراء هو الاعتراض على كلام الغير لاظهار خلل فيه لايشعر به غالب الناس وسببه طلب زيادة الترفع على الاقران واظهار الفضل انتهى وخرج بتقييد شيخنا رحمه الله تعالى الانكار بالفهم مالو كان الانكار

على ذلك العالم بدليل شرعى واضح فانه لا اعتراض على أحد فى الانكار عليه لمعارضته النص بخلاف معارضة الفهم فانه أمر سهل لتفاوت الافهام وعدم عصمتها (وسمعته) أيضا يقول لا اعتراض على الفقيه اذا أنكر على المتصوفة أمرا يخالف ظاهر الشرع كما وقع فى قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام فان ظاهر الشرع هو السيف القاطع بحده كل شئ فاذا رأينا من يدعى أن بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه التكاليف مع وجود عقل التكليف لم نسلم له لانه كاذب على الله تعالى انتهى * واعلم يا أخى ان غالب الانكار الذى يقع بين الفقهاء والصوفية انما هو بين القاصر من كل منهما وبين مثله والا فالكامل من الفقهاء يسلم للعارفين والعارفون يسلمون للعلماء لان الشريعة جاءت على مرتبتين تخفيف وتشديد ولكل من المرتبتين رجال فى حال مباشرتهم للاعمال فمن قوى منهم خوطب بالتشديد والاخذ بالعزائم ومن ضعف منهم خوطب بالتخفيف والاخذ بالرخص فكما أن موسى عليه الصلاة والسلام كان على هدى من الله فكذلك الخضر عليه السلام ولذلك سلم موسى للخضر آخر الامر لما علم أن الشريعة لها مرتبتين مرتبة خاصة بعامة الناس ومرتبة خاصة بخواص الناس فالنبى يفهم من كلام الله مالم يفهمه الصحابى والصحابى يفهم منه مالم يفهمه غيره وهكذا وكل ذلك ينطلق عليه اسم الشريعة وانما قال القوم كل حقيقة تخالف ظاهر الشريعة فهى باطلة نصرة لظاهر الشرع والا فالحقيقة من أصلها لا تكون الا موافقة للشريعة فان طابقت الحقيقة الشريعة ظاهرا وباطنا كانت الحقيقة والشريعة متلازمتين كما اذا حكم الحاكم بشهادة الصادقين فى نفس الامر وان طابقت الحقيقة الشريعة فى الظاهر فقط كما اذا حكم الحاكم بشهادة عدلين فى الظاهر وهما كاذبان فالشريعة والحقيقة حينئذ غير متلازمتين فمراد القوم أنهما متلازمتان حيث توافقتا ظاهرا وباطنا لا ظاهرا فقط فافهم (وسمعت) أخى أفضل الدين يقول ينبغى للفقيه مراعاة علم الباطن وللفقير مراعاة علم الظاهر والناظر بفرد عين أعور من فقيه وفقير والكامل من نظر بالعينين انتهى ومن أدركته ينظر بالعينين الشيخ برهان الدين بن أبى شريف وشيخ الاسلام زكريا والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ شمس الدين السمانودى رحمهم الله تعالى أجمعين فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) حال اشتغالى بالفقه كثرة تأويلى للقوم كلامهم وزجر من يطعن فى طريقهم بفهمه فلم يقع لى قط التجريح فى الطائفة ولا فى طريقهم كما يقع فيه كثير من الفقهاء وهذا من أكبر نعم الله تعالى على حيث حفظنى من الانكار على القوم حتى دخلت طريقهم وكان رفقتى فى الاشتغال يلوموننى على عدم الانكار ويقولون وهل ثم لنا طريق يتقرب به الى الله تبارك وتعالى غير ما نحن عليه فأسكت وأقول الله أعلم وقد أجمع أهل الطريق على انه ما أنكر أحد شيأ من المقامات على أهل الطريق الا حرم ذلك المقام ولو دخل فى طريقهم عقوبة له وكنت أقول لرفقتى اذا كنتم تؤولون كلام الحق تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم مع وسع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وعموم الخطاب به لجميع العباد فكلام الفقراء أحق بالتأويل لضيقه وعدم عموم الخطاب به (وقد بلغنا) عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى انه قال قلت يوما سبحان الله فنادانى الحق تعالى فى سرى هل فى عيب تنزهنى عنه فقلت له لا

يارب فقال فنفسك اذن نزهها عن ارتكابها الرذائل قال فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتخلقت بالفضائل والكمالات فصرت أقول ما أعظم شأنى من باب التحدث بالنعمة انتهى وكثيرا ما ينطق الحق تعالى على لسان بعضهم بكلام لا يليق الا بالله تعالى حال اصطلامهم وغيبتهم فينكر الناس عليهم ذلك ولا ينبغى ذلك الا لو قالوه حال صحوهم وفى الحديث ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم * ومن وصية شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة اياك والانكار على الطائفة فى كل ما يتحققون به وسلم لهم تسلم فانهم تارة يتكلمون حال غيبتهم عن نفوسهم بكلام لا يليق الا بالحق تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم فيظن السامع انهم يشطحون بذلك وحاشاهم من سوء الادب مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حال اشتغالى بالفقه أنى لم أجزم قط بما فهمته من كلام امامى أو مقلديه بأن ذلك مراده أو مرادهم لان التكلم على مراد القائل لا يدرك الا بالكشف وليس كل ما يفهمه المقلد مثلا من كلام المجتهد يكون مرادا للمجتهد قطعا لانه لو كان مراده نصا لم تختلف فى ذلك الافهام كما هو الحكم فى صريح الكتاب والسنة ومن تحقق بهذا الخلق قلت منازعته لاخوانه ومجادلته لهم بغير حق بخلاف من كان بالضد من ذلك فان من لازمه النزاع والجدال (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يتحد اثنان قط فى ذوق ولا مقام لوسع كلام الشارع صلى الله عليه وسلم وما تفرع عنه من استنباط المجتهدين ومقلديهم قال ومن علم ذلك لم يقطع قط بما فهمه وانما يقول الذى فهمته من هذا الكلام كذا وكذا فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى كما كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول وقد يكون من يخطئ غيره فى الفهم غير مصيب فان ذلك انما هو خطأ فى نظره هو لا فى نظر المتكلم به انتهى (وكان) الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى يقول ليس فهم كلام المتكلم أن يفهم الانسان جميع الوجوه التى تضمنها كلامه بطريق الحصر وانما الفهم ان يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه التى احتوى عليها ذلك اللفظ بحسب ما تواطأ عليه أهل اللسان أو بعض تلك الوجوه انتهى فاعرف يا أخى الفرق بين فهم الكلام والفهم عن المتكلم من حيث مراده الذى هو المطلوب فما كل من فهم الكلام فهم مراد المتكلم لا سيما مراد الحق تبارك وتعالى من كلامه (وكان) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا كان أحدنا يعجز عن فهم كلام جنسه من البشر فكيف لا يعجز عن فهم كلام رب العالمين فلا ينبغى أن يتكلم على معانى القرآن الا كمل الاولياء من الائمة المجتهدين وكمل العارفين على ان الحق قد غفر للائمة ما أخطؤا فيه من الفهم والتأويل بل جعل لهم الاجر فى ذلك حيث بذلوا وسعهم ولم يخرجوا عن حد لسان الشارع انتهى (وكان) الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى يقول قد رحم الله هذه الامة المحمدية بكثرة المذاهب والمجتهدين فاذا وجد احدهم ضيقا فى مذهب انتقل الى التقليد لمذهب آخر لكن قد حجر هذه الرحمة على الامة من أمر جميع الناس بالتزام مذهب معين لم يعينه الله ولا رسوله ولا دل عليه ظاهر كتاب ولا سنة لا صحيحة ولا ضعيفة قال وهذا من أشق الكلف على الامة فالذى وسعه الشرع ضيقه هؤلاء اللهم الا أن يخاف على العامى وقوعه فى التخليط اذا

لم يلتزم مذهبا معينا لضعف فهمه عن استخراج الاحكام من الكتاب والسنة فهذا يلزمه التقييد بمذهب معين انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حال اشتغالي بالعلم على الاشياخ حفظي من دعوى العلم والتكبر به على العامة فلا استحضر أني رأيت نفسي قط على أحد من عوام المسلمين وذلك لعلمي بأن جميع ما بيدي من النقول ليس هو على حقيقة وانما هو علم من استنبطه واستخرجه ومابقي معي الا الحكاية نحو قولي رجح فلان كذا قال فلان كذا أفتى فلان بكذا وهذا ليس بعلي حقيقة (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول علم الرجل حقيقة هو مالم يسبق اليه وأما من كان علمه مستفادا من النقل فليس ذلك له بعلم انما هو صاحب اصاحب العالم قال وذلك لان معنى العلم قائم بالحرف والحرف مصاحب للكتابة انتهى وسمعته أيضا يقول كل علم يقبل صاحبه الشبهة فليس هو بعلم انما العلم ما أتى العبد من طريق الالهام والذوق كما قال تبارك وتعالى قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسمعته أيضا يقول لا ينتقل مع العبد الى البرزخ الا العلم الخالص من الرأي الضعيف الذي لا يشهد له كتاب ولا سنة وأما جميع العلوم التي دخل فيها الرأي والرياء فلا يسمى صاحبها عالما ولا يحشر مع العلماء العاملين وسمعته يقول من علامة الاخلاص في العلم أن لا يثقل عليه الاشتغال به عند طلوع روحه ومتى سئل عن مسئلة وهو محتضر فقال اليك عني دل على عدم اخلاصه فلا فرق عند المخلص بين قول من يقول له قل استغفر الله أو سبحان الله وبين من يقول له علمني فروض الوضوء على حد سواء وهذا الخلق قل من يتخلق به من طلبة العلم بل غالبهم يرى الناس كلهم هالكين الا هو فقط فان أمرهم بمعروف يأمرهم بنفس فربما قابلت نفسه الانفس فوقعت الاباية فلم يحصل بذلك ثمرة انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اذن شيخ الاسلام الشيخ زكريا لي في قراءة الفقه وتدريسه وكذلك تفسير الزمخشري والبيضاوي ثم لما درست كنت أعد نفسي مع الطالب كأني جاهل فلا أستحضر يوما انني رأيت نفسي شيخا عليه انما أرى ذلك مذاكرة يفيدني تارة وأفيده أخرى وكان على هذا القدم جماعة منهم سيدي عبد الله المنوفي شيخ الشيخ خليل صاحب المختصر ومنهم الشيخ عبد الحق السنباطي ومنهم الشيخ عبد الرحيم الابناسي رضي الله تعالى عنهم فكانوا يرون اقراءهم العلم انما هو مذاكرة فالحمد لله الذي حصل لي اسوة بهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حال اشتغالي بالعلم عدم المبادرة الى القول بتعارض الادلة أو كلام المجتهدين انما ابادر الى حمل كل كلام على حال خوفا أن أرمي من الشريعة شيأ فيفوتني العمل به ومن هنا كان بعض العارفين لا يذهب الى النسخ بالتاريخ بمجرده لاحتمال أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل أحد الفعلين لبيان الجواز أو الافضلية اللهم الا ان يجمع العلماء على القول بالنسخ فذلك ظاهر قال ومما يحتمل بيان الافضلية والجواز مسحه صلى الله عليه وسلم رأسه كاملا ومسح البعض منه في وقت آخر فلو أخذنا بالنسخ بالتاريخ لكان أحد المسحين منسوخا لانه لابد أن يكون المتأخر واحدا منهما انتهى (وسمعت) شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول ليس في كلام الشارع صلى الله عليه وسلم تعارض لان كلامه يجل عن ذلك

فان اجوبته صلى الله عليه وسلم كانت تختلف باختلاف السائلين ومقاماتهم والا فأين ما يجيب به السيد أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مما يجيب به آحاد الناس من الاعراب وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بأن يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعدادهم كما يشهد لذلك قوله للجارية التي أراد سيدها عتقها عن الكفارة وشكوا في اسلامها أين الله فقالت في السماء أو أشارت الى أنه في السماء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنة ورب الكعبة فأقرها على قولها في السماء وان كان ظاهر حالها انها قصدت التحيز للحق المنزه تبارك وتعالى عنه وفي القرآن العظيم وهو الله في السموات وفي الارض فوافقت الجارية بعض ما أشار اليه القرآن وان كان المعنى الحق في ذلك الاشارة الى انه تعالى لا يتحيز أي فكما هو في السماء كذلك هو في الارض على حد سواء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد أي فكما يطلبه العبد في جهة العلو كذلك ينبغي أن يطلبه في جهة السفل فالسفل للحق تعالى كالعلو من حيث المكانة لا المكان لان كل جهة طلب الحق منها فهي عروج وان كانت في السفليات فافهم فعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية المستحيلة في حق الله تعالى الا لعلمه بقصور عقلها عن التنزيه المحض عن مثل ذلك فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن يتنزل لعقلها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تصورته في نفسها الارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول لكن لما أقرها صلى الله عليه وسلم على قولها انه في السماء وبانت حكمته صلى الله عليه وسلم وقوة علمه علمنا أنه ليس في قوة هذه الجارية أن تعقل خالقها الاعلى قدر ما تصورته في نفسها فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سألها بهذه العبارة السابقة ولذلك قال انها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله تعالى في السماء دون قوله انها عالمة لان العلم هو معرفة المعلوم على ما هو عليه وتعالى الله عن التحيز في جهة الفوق دون السفل (ورأيت) في بعض الكتب ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر على شخص يعمل البراذع وهو يقول في سجوده يارب لو علمت اين حمارك الذي تركبه لعملت له برذعة ورصعتها بالجواهر فحركه المسيح وقال ويحك أو لله تعالى حمار فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام دع الرجل فانه مجدني بقدر وسعه انتهى فمن فهم ما قلناه من تفاوت افهام الخلق سلم لكل انسان فهمه لاسيما ان كان ذلك الشخص مقلدا لغير امام ذلك المعترض والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حفظي أيام الاشتغال من الجدال ورفع الصوت على رفقتي فضلا عن شيخي بل كنت أتلقى جميع ما أسمعه بالادب والتسليم من غير تأويل الا في المواضع التي يتعين فيها التأويل فما أطلعني الله تبارك وتعالى عليه من المعاني قلت به من غير حصر للمعنى في ذلك ومالم يطلعني الله تعالى على علته أكل علمه الى الله تعالى ولا أقف أتفكر فيه لان المحل غير قابل لذلك (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من توقف في فهم شيء جاء بلغته وعلى لسانه فهو علامة على ظلمة قلبه فيجب عليه السعي في تنظيف قلبه من الشهوات والمخالفات ثم بعد ذلك لا يصير يتوقف في فهم شيء الا ان كان ذلك فوق مقامه وما كان فوق مقامه لم يكلفه الله تعالى بالعمل به انما يكلفه بقدر ما فهمه فقط أو فهمه من هو مقلده من العلماء فعلم أن من أراد فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والائمة المجتهدين ومقلديهم فليعمل

على جلاء مرآة قلبه من الصدا والغبار على يد شيخ مرشد ويجمع ذلك كله طيب المطعم والاخلاص والتسليم وخفض الجناح لعامة المسلمين وترك البحث والجدال والدعاوى وعدم اقامة ميزان عقله وفهمه على كل كلام عسر عليه فهمه فان من سلك هذا الطريق نور الله تعالى قلبه وكشف له عن أسرار الشريعة ودقائقها اذ القلب اذا صفا صار كالمرآة الكرة المصقولة فاذا قوبلت بالوجود العلوى والسفلى انطبع جميعه فيها فلا ينسى بعد ذلك شيأ (وكان) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من رحمة الله تعالى بعباده انه لم يكلفهم بفهم علل الاحكام ولا تتبع مشكلاتها وما تشابه منها بل ذمهم بقوله تعالى وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا وبقوله وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الآية وكان يقول أيضا كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فالعمل به تعبد محض اذ العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة لا امتثال أمر الله عز وجل وذلك يجرح مقام العبودية اذ العبد انما شأنه امتثال أمر سيده واجتناب نهيه قياما بواجب حق العبودية وامتثالا لامره تعالى لا لعلة أخرى ثم لا يخفى ان مجموع الشريعة افعلوا كذا واجتنبوا كذا وهذا لا يتوقف فى فهمه أحد انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) كثرة مطالعتى لكتب الشريعة وآلاتها بنفسى ثم مراجعة العلماء لما أشكل على منها دون الاستقلال بفهمى لاحتمال الخطا فطالعت بحمد الله تعالى شرح الروض للشيخ زكريا نحو ثلاثين مرة وشرحه لابن سولة مرتين وطالعت كتاب الام للامام الشافعى ثلاث مرات حتى كنت استحضر غالب نصوصه وطالعت مختصر المزنى مرة واحدة وطالعت مسند الامام الشافعى وشرحه للجاولى ثلاث مرات وطالعت كتاب المحلى لابن حزم فى الخلاف العالى ثلاث مرات ومختصره للشيخ محيى الدين ابن العربى مرة واحدة وهو ثلاثون مجلدة ضخمة وطالعت كتاب الحاوى للماوردى وهو ثلاثون مجلدة ضخمة وطالعت الاحكام السلطانية له مرة واحدة وطالعت فروع ابن الحداد مرتين وطالعت كتاب الشامل لابن الصباغ مرة واحدة وطالعت كتاب المحيط للشيخ أبى محمد الجوينى وكذلك كتاب الفروق له ولم يتقيد فى كتاب المحيط بمذهب معين وطالعت كتاب الوسيط والبسيط والوجيز للغزالى مرة واحدة وطالعت الرافعى الكبير ثلاث مرات وطالعت الروضة سبع مرات وطالعت شرح المهذب نحو خمسين مرة وطالعت تكملة السبكى عليه مرة واحدة وهى مجلدة واحدة وطالعت شرح مسلم للنووى خمس عشرة مرة وطالعت كتاب المطلب لابن الرفعة مرة واحدة مع مراجعة الشيخ كمال الدين الطويل فى مشكلاته وطالعت المهمات للاسنوى ولتعقبات لابن العماد مرتين وطالعت القوت للاذرعى مرة واحدة وطالعت الخادم مرتين ونصفا وطالعت العمدة والعجالة كلاهما لابن الملقن مرة واحدة وطالعت شرح المنهاج لابن قاضى شهبة مرة واحدة وطالعت شرح الارشاد لابن ابى شريف مرة واحدة وشرحه للجوجرى مرة واحدة وطالعت شروح التنبيه لابن يونس والزنكلونى ولابن الملقن وللجلال السيوطى مرة واحدة وطالعت شرح المنهاج للجلال المحلى مع تصحيح ابن قاضى عجلون نحو ثلاثين مرة وطالعت شرح البهجة للشيخ ولى الدين العراقى مرات وشرحها للشيخ زكريا مرة واحدة وطالعت قواعد الشيخ عز

الدين الكبرى والصغرى نحو خمس مرات وقواعد العلائى مرة واحدة وقواعد الزركشى ثلاث مرات ثم اختصرتها وطالعت الاشباه والنظائر لابن السبكى مرة وطالعت الالغاز للاسنوى مرة واحدة وغير ذلك من الكتب المشهورة فى الفقه وتوابعه * وطالعت من شروح الاحاديث كثيرا فطالعت كتاب فتح البارى على البخارى مرة واحدة وشرح الكرمانى مرتين وشرح البرماوى خمس مرات والعينى مرتين وشرح القسطلانى مرة ونصفا وطالعت شرح مسلم للقاضى عياض مرة واحدة وطالعت شرحه للشيخ زكريا نحو خمس مرات وغالب مسودته بخطى كما مر بيانه آنفا وطالعت شرح الترمذى لابن المقرى المالكى ونسخه فى مصر قليلة وفى الاسكندرية نسخة واحدة * وطالعت من كتب التفسير للقرآن غالب التفاسير المشهورة فطالعت تفسير البغوى مرة وتفسير الخازن ثلاث مرات وتفسير ابن عادل سبع مرات وتفسير الكواشى عشر مرات وتفسير ابن زهرة مرة وتفسير القرطبى مرتين وتفسير ابن أبى كثير مرة وتفسير البيضاوى خمس مرات وتفسير ابن النقيب المقدسى مرة وهو مائة مجلدة ضخمة ما طالعت أوسع منه وطالعت تفسيرى الامام الواحدى البسيط والوجيز وتفسيرى الشيخ عبد العزيز الديرينى الكبير والصغير ثلاث مرات وطالعت تفسير الجلالين نحو ثلاثين مرة وطالعت تفسير الجلال السيوطى الكبير المسمى بالدر المنثور ثلاث مرات وطالعت تفسير الامام سعيد بن عبد الله الازدى يروى عن وكيع وهو تفسير نفيس وقد تطلبه الشيخ جلال الدين السيوطى عشرين سنة فلم يظفر بنسخة منه ثم جردت أحاديثه وآثاره فى مجلد وطالعت تفسير الزمخشرى بحواشيه مرة وأعظمها حاشية الطيبى وكان محدثا صوفيا نحويا فقيها أصوليا وقل أن تجتمع هذه الصفات فى عالم وكذلك طالعت عليه كتاب الانتصاف لابن المنير وهو مبين لمواضع الاعتزال منه وكذلك طالعت كتاب الانصاف للعراقى الذى جعله حكما بين الكشاف والانتصاف وقد اختصره ابن هشام فى مؤلف وطالعته كذلك وكذلك طالعت البحر لابى حيان الذى ناقش فيه الزمخشرى من حيث الاعراب وكذلك طالعت عليه اعراب تلميذه أحمد بن يوسف الحلبى الشهير بالسمين وكذلك طالعت عليه اعراب السفاقسى وكذلك طالعت عليه حاشية الشيخ قطب الدين الشيرازى وقطعة من حاشية الشيخ فخر الدين الجاربردى وقطعة من حاشية الشيخ أكمل الدين البابرتى وهى فى مجلدين الى أثناء سورة البقرة ولا أدرى هل أكملها أم لا وكذلك الشيخ سعد الدين لم يتم حاشيته وكذلك السيد الجرجانى فيما أظن وكذلك طالعت عليه حاشية أبى زرعة العراقى وهى مجلدتان لخص فيها كلام ابن المنير والعلم العراقى وأبى حيان وأجوبة السمين والسفاقسى مع زيادة تخريج أحاديثه وطالعت تفسير البيضاوى مع حاشية الشيخ زكريا عليه خمس مرات فهذا ما طالعته على الكشاف وقل من تيسر له مطالعة جميع هذه التفاسير والحواشى وكان الله تعالى قد سخر لى الشيخ شمس الدين المظفرى يأتينى بكل كتاب طلبته من خزائن مصر فجزاه الله تعالى عنى خيرا * وطالعت من كتب الحديث وأدلة المذاهب ما لا أحصى له عددا فمن جملة ما طالعته الكتب الستة وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومسند الامام أحمد وموطا الامام مالك ومعاجيم الطبرانى الثلاثة وكتاب جامع الاصول لابن الاثير وطالعت الجامع الكبير للشيخ جلال الدين السيوطى وكذلك الجامع الصغير

وزيادته وهى عشرة آلاف حديث ولا يكاد يخرج من الشريعة عن أحاديث هذه الكتب شئ الانادرا فهى أجمع كتاب صنف بعد سنن البيهقى فى الادلة وكذلك طالعت السنن الكبرى للبيهقى ثم اختصرتها بحذف السند والمكرر دون الاحكام وكذلك طالعت كتاب المنتقى من الاحكام لابن تيمية وهو الشيخ مجد الدين وليس هو الشيخ تقى الدين صاحب المحنة وهو أصل مسودة كتابى المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة وكذلك طالعت كتاب الهدى النبوى لابن القيم ثم اختصرته وطالعت دلائل النبوة للبيهقى وكتاب المعجزات والخصائص للشيخ جلال الدين السيوطى ثم اختصرتها وغير ذلك مما لا أحصى له عددا من الاجزاء والمسانيد * وطالعت من كتب اللغة صحاح الجوهرى والقاموس والنهاية لابن الاثير وكتاب تهذيب الاسماء واللغات للنووى وقد طالعته خمس عشرة مرة * وطالعت من كتب الاصول والكلام كثيرا فمن جملة ما طالعته شرح العضد وشرح منهاج البيضاوى وكتاب المستصفى للغزالى وكتاب الامالى لامام الحرمين وشرح المقاصد وكتاب شرح الطوالع والمطالع وكتاب سراج العقول للقزوينى وشرح العقائد للتفتازانى وحاشيته لابن أبى شريف وغير ذلك * وطالعت من فتاوى العلماء فى وقائع الاحوال من المتقدمين والمتأخرين ما لا أحصى له عددا كفتاوى ابن أبى زيد المروزى وفتاوى القفال وفتاوى القاضى حسين وفتاوى الماوردى وفتاوى الغزالى وامامه وفتاوى ابن الصباغ وفتاوى ابن الصلاح وفتاوى ابن عبد السلام وفتاوى النووى وفتاوى السبكى وفتاوى البلقينى وفتاوى الشيخ زكريا وفتاوى الشيخ شهاب الدين الرملى وغير ذلك * وطالعت من كتب القواعد قواعد الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى وقواعد العلائى وقواعد ابن السبكى وقواعد الزركشى وهى أجمع القواعد وأوضحها عبارة وقد اختصرتها كلها من غير حذف شئ من أحكامها الصحيحة ثم انى جمعت هذه القواعد كلها فى كتاب واحد وحذفت المتداخل منها فجاء كتابا نفيسا وكذلك فعلت فى كتب الفتاوى وقد سارت الركبان بنسخة من الفتاوى الى بلاد التكرور * وطالعت من كتب السير سيرة ابن هشام وسيرة ابن اسحق وسيرة الكلبى وسيرة أبى الحسن البكرى ونظرت على مواضع منها وسيرة الطبرى وسيرة الكلاعى وسيرة ابن سيد الناس وسيرة الشيخ محمد الشامى التى جمعها من ألف كتاب وهى أجمع كتاب فى السير فيما أظن * وطالعت من كتب التصوف والرقائق ما لا أحصى له عددا فمن جملة ما طالعته كتاب القوت لابى طالب المكى وكتاب الرعاية للحرث المحاسبى وكتاب الحلية لابى نعيم وكتاب رسالة القشيرى وكتاب عوارف المعارف للسهروردى والاحياء للغزالى وكتب اليافعى كلها وكتاب الفتوحات المكية للشيخ محيى الدين ثم اختصرتها وحذفت المواضع المدسوسة على الشيخ فيها وطالعت رسالة النور للشيخ أحمد الزاهد وهى مجلدتان وطالعت كتاب منح المنة لتلميذه سيدى محمد الغمرى وهى ست مجلدات وكتاب منازل السائرين للهروى وشرح الفصوص للقاشانى وكتاب شعب الايمان للقصرى وغير ذلك * فهذا ما استحضرته الآن من الكتب التى طالعتها وما أظن أحدا فى عصرى هذا أحاط بها علما أبدا وقد كتب بعض الحسدة سؤالا يتعلق ببعض كلمات فى كتاب العهود وقدمه الى شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلى الفتوحى رضى الله تعالى عنه فامتنع من الكتابة عليه وقال كيف أكتب على سؤال يتعلق بشخص طالع من

الكتب ما لا اعرف له اسما فضلا عن الخوض فيها مع انه لو ادعى تأليفها لم يجد له فى مصر منازعا انتهى مع ان ما سئل عنه ليس فى شئ من كتبى بحمد الله تعالى انما هو افتراء علىّ وقد كتب بعض المتهورين عليه كتابة كلها خطأ فالله تعالى يغفر له ما جناه ورضى الله تبارك وتعالى عن أهل الانصاف والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) مطالعتى لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبى وذلك أنى لما تبحرت فى مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وارضاه احتجت الى معرفة المسائل المجمع عليها بين الائمة أو التى اتفق عليها ثلاثة منهم وذلك لأجتنب العمل بما منعوه وأمتثل أمرهم فيما أمروا به وان لم يكن مذهبى فأعمل بما أجمعوا عليه أو اتفق عليه ثلاثة منهم على وجه الاعتناء والتأكيد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان لان ما أجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع صلى الله عليه وسلم فمما طالعته من كتب الحنفية شرح الكنز وشرح مجمع البحرين والحدادى وفتاوى قاضيخان وشرح القدورى والبزازية والخلاصة وشرح الهداية وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعى وهو كافل بادلة الحنفية كلها وكنت أراجع فى مشكلات هذه الكتب الشيخ نور الدين الطرابلسى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى والشيخ شمس الدين الغزى الكبير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم * وطالعت من كتب المالكية المدونة الكبرى ثم اختصرتها وهى عشر مجلدات وطالعت كتاب الموطا وشروح رسالة ابن أبى زيد وشرح مختصر الشيخ خليل وكتب ابن عرفة وابن فرحون وكانت مطالعتى للمدونة باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت اراجع فى مشكلات هذه الكتب الشيخ شمس الدين اللقانى والشيخ شرف الدين الحطاب والاخ الصالح الشيخ عبد الرحمن الاجهورى وغيرهم رضى الله تعالى عنهم * وطالعت من كتب الحنابلة الخرقى وعدة مختصرات قالوا ولم يدون الامام أحمد له مذهبا وانما مذهبه الآن ملفق من صدور أصحابه فانه كان مذهبه الحديث وكان يقول أستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتكلم فى معنى كلامه فقد لا يكون ذلك مراده رضى الله تعالى عنه وكان رضى الله تعالى عنه يقول أولا حد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغنا انه وضع فى احكام الصلاة نحو ثلاثين مسئلة

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) انه تعالى أعطانى الفهم فى القرآن العظيم وهو مقام عظيم قل من اعطيه من الفقراء (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول اعطيت استخراج العلوم من القرآن العظيم من فقه واصول ونحو ومعان وبيان وجدل وعروض وغير ذلك فلو جلس الىّ منصف نظيف القلب من الادناس خال من الحسد لبينت له مادة كل علم وأوضحت له ذلك حتى لا يبقى عنده فى ذلك شك ولكن السالم مما ذكرناه قليل وجوده انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة توجيهى وتقريرى لجميع مذاهب المجتهدين حين تبحرت فى علومهم حتى كأنى فى حال تقريرى لها واحد منهم وربما ظن الداخل علىّ وأنا اقرر فى مذهب ذلك الامام انى حنفى أو حنبلى أو مالكى والحال أنى مقلد للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وذلك لاحاطتى بمنازع أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم واطلاعى على

أدلتها وربما قال بعض المتهورين عنى ان فلانا لا يتقيد بمذهب على وجه الذم والتنقيص والحال انى انما اقرر مذاهب الائمة لوسع اطلاعى لا تهورا فى الدين وتتبعا للرخص وأصل ذلك أنى لما صنفت كتب أدلة المذاهب رأيت جميع المجتهدين لا يخرجون عن السنة فى شئ انما هم بين مشدد ومخفف فمنهم من أخذ بصريح الحديث أو القرآن ومنهم من أخذ بمفهومهما ومنهم من أخذ بما استنبط منهما ومنهم من أخذ بما استنبط من ذلك المفهوم ومنهم من أخذ بالقياس الصحيح على الاصل الصحيح فكانت مذاهبهم رضى الله تعالى عنهم منسوجة من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها منها * وقد وضعت فى الجمع بين أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ميزانا ترجع جميع مذاهب المجتهدين وأقوال مقلديهم الى الشريعة المطهرة لم أجد لها ذائقا من أهل عصرى وقد استعارها الشيخ شهاب الدين الشلبى الحنفى فمكثت عنده أياما ثم أتانى بها وقال هذه خصوصية لك فانى لم أقدر أخرج عن دائرة كلام مذهبى فقلت له فهل هى باطلة فقال صولة كلامها ليست بصولة مبطل انتهى وقد عرضتها على سيدنا ومولانا ابى العباس الخضر عليه السلام فأجازها وقال لى هذا امر لا يحيط به الا من نظر الشريعة بعين الكمال واطلع على العين التى يتفرع منها كل مذهب وقليل من أولياء الله تبارك وتعالى من أحاط بذلك انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تأليفى كتبا كثيرة فى الشريعة وغالبها ابتكرته ولم أسبق اليه وذلك ككتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود وكتاب كشف الغمة عن جميع الامة جمعت فيه أدلة المذاهب الاربعة من غير عزو الى من خرجها من الحفاظ اكتفاء بعلم أهل كل مذهب بمن خرج دليلهم ثم صنفت بعده كتاب المنهج المبين فى بيان أدلة المجتهدين عزوت فيه كل حديث الى من رواه فكان كالتخريج لاحاديث كتاب كشف الغمة وكتاب البدر المنير فى غريب أحاديث البشير النذير وكتاب مشارق الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية جمعت فيه أحاديث الترغيب والترهيب وجعلته على قسمين مأمورات ومنهيات فدخل فى المأمور المندوب ودخل فى المنهى المكروه وهو كتاب نفيس وصنفت كتاب لواقح الانوار القدسية فى مختصر الفتوحات المكية وكتاب قواعد الصوفية وكتاب مختصر قواعد الزركشى وكتاب منهاج الوصول الى علم الاصول جمعت فيه بين شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع وحاشية ابن أبى شريف وكتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر وكتاب الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن وكتاب طبقات الصوفية وهى من أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى ختام سنة ستين وتسعمائة ذكرت فيه مناقب كل من كان له كلام أحفظه فى الحقيقة أو الشريعة لا غير وذكرت فيه العلماء الاحياء والفقراء الاحياء الذين وقع لى بهم صحبة ومما صنفته كتاب مفحم الاكباد فى بيان مواد الاجتهاد وكتاب لواقح الخذلان على كل من لم يعمل بالقرآن وكتاب حد الحسام على من أوجب العمل بالالهام وكتاب التتبع والفحص على حكم الالهام اذا خالف النص وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف وكتاب رسالة الانوار فى آداب العبودية وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهى نيف وسبعون سؤالا

فى التوحيد سألنى عنها علماء الجان وكتاب فرائد القلائد فى علم العقائد وكتاب الجواهر والدرر جمعت فيه ما سمعته من العلوم والاسرار من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وكتاب الكبريت الاحمر فى بيان علوم الكشف الاكبر وكتاب الاقتباس فى علم القياس وكتاب تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر وغير ذلك مما سارت به الركبان الى بلاد التكرور والمغرب فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اجازة العلماء من أهل المذاهب الاربعة لمؤلفاتى ومدحهم لها خلاف ما أشاعه بعض الحسدة فى مصر والحجاز وغيرهما من امتناعهم من الكتابة على مؤلفاتى أو رجوعهم عن الكتابة عليها وسبب ذلك أنهم استعاروا منى بعض كتب ليكتبوها فدسوا فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة للاجماع ونسبوها الى ودارت تلك المسائل فى مصر نحو سنة وأنا لا أشعر فحصل بذلك هرج فى البلد وسيأتى فى هذه المنن براءتى عند العلماء مما دسوه حين أرسلت لهم النسخ التى عليها خطوطهم فالله يغفر لهؤلاء الحسدة ما جنوه آمين * فمن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى رضى الله تعالى عنه على كتاب كشف الغمة بعد الحمد والشهادتين وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف الغريب والمجموع العجيب فرأيته كتابا لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان فى أنه ما صنف مثله * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام نور الدين الطرابلسى الحنفى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقف العبد الضعيف على هذا المجموع اللطيف المفرد المنيف وتأملته فاذا هو محتو على نخب حقائق العارفين وزبد كنوز الواصلين ولقد توج مؤلفه بتاج لطائف التحقيق معارف رؤس أهل الطريق وأوضح لهم منها الطريق ولقد أبدع مؤلفه وأغرب وأتى بما هو من العجاب أعجب الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف السعيد والدر النضيد والعقد الفريد فلله دره من مؤلف جل مقداره وطفحت بالسنة أسراره وهمعت من سحب الفضل أمطاره ولاحت فى سماء الشريعة شموسه وأقماره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء فى الدارين وجعلنى واياه من خير الفريقين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى الشافعى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد استجليت هذا الكتاب النفيس فوجدته قد حوى المقاصد الدينية والاصول العلمية فمن العقائد الصحيحة نفيسها ومن آداب القوم مليحها ومن علومهم شريفها ومن السنة ظريفها ومن الاشارات الربانيات لطيفها فجزى الله تعالى مؤلفه أفضل الجزاء ونشر علومه على أهل الدراية والصفاء ولا غرو أن يصدر عن بحره هذه الجواهر وعن مدده هذه النجوم الزواهر فانه علامة الزمان وصاحب المناقب والمفاخر الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى عليه رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقفت على هذا المصنف الشريف البديع التأليف المشتمل على أسلوب عجيب ونظام غريب لم ينسج أحد على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله قد اشتمل على لطائف أسرار ربانية وبدائع حكم الهية أوصلها الكريم الجواد من عنده وأفاضها الوهاب على عبده جعله الله تعالى علما للمهتدين وقدوة للسالكين وبحرا يغترف من علومه ظماء المسترشدين وبدرا

يستضى بنوره طلاب اليقين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام التنوحى الحنبلى رحمه الله تعالى و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف الفريد الجامع بين الطارف والتليد الجامع لفنون من العلوم متفرقة المشتمل على مسائل لم توجد فى غيره محققة فانشرح صدرى به غاية الانشراح لما أودع فيه من المعانى الرشيقة والاقوال الصحاح وأعدت نظرى فيه المرة بعد المرة فاذا تحت كل ذرة منه درة فياله من مؤلف عزيز المثال لم ينسج له فيما أظن قبل ولا بعد على منوال الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ عبد القادر المالكى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة فوجدته كتابا كريما وصراطا مستقيما ونورا ساطعا عظيما ورأيت فيه من غرائب الحديث وعجائبه ما لا تسعه مجلدات كثيرة مع اختصاره فى حجم لطيف وأوراق يسيرة فلله دره من كتاب عظمت فيه المنة وكشف الله به الغمة وهدى به الأمة الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعى رضى الله عنه و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان البديع فى المعانى والبيان فوجدته مشتملا على حقائق هى خلاصة أنظار المتقدمين ودقائق هى نتيجة أفكار المناظرين الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه على كتاب المنهج المبين فى بيان أدلة المجتهدين وبعد فقد اطلع كاتبه على هذا المؤلف الشريف والمجموع اللطيف الحاوى لجميع أدلة المجتهدين والقامع للطغاة والمبتدعين فجزى الله تعالى مؤلفه خيرا وكفاه وصما وضيرا الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين الطبلاوى رحمة الله تعالى عليه وبعد فقد تشرفت باطلاعى على هذا الكتاب العجيب والاسلوب الغريب المسمى بالمنهج المبين فاذا هو كتاب طابق اسمه مسماه لانه قد حوى من السنة ثمرات مقاصد العارفين وانطوى منها على قواعد وفوائد ترشد الحائرين وتوصل المنقطعين قد أتقن فنون الشريعة واستقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فالله تعالى يديم حديث مؤلفه فى العالمين وينشر فضائله فى الخافقين آمين * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين البهوتى الحنبلى رحمه الله تعالى وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العظيم والمؤلف الجسيم المنتقى من أصول كتب الحديث المعتمد عليها فى أحكام الدين ولقد كان لهذه الأمة أجمع حاجة الى ما وعاه هذا المهذب وجمع وأنت خبير بأن الله تعالى قد جمع لمؤلفه بين الحال والقال الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى رحمه الله و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف المنيف والكتاب الشريف الجامع من السنة النبوية والعقائد المرضية ما تقر به أعين المؤمنين وتذهب به ظنون الاغبياء الملحدين فجزى الله تعالى مؤلفه خيرا الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى رضى الله تعالى عنه وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان فاذا هو فلك مشحون بدرر فرائد الفوائد أو فلك مرصع بكل كوكب درى توقد بالنكت والقواعد وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه المحقق الفهامة شيخ الحقيقة وأستاذ الطريقة الجامع بين المنقول والمعقول والمرجع والتعويل عليه فيما يفتى به ويقول سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ أبو محمد عبد الوهاب الشعرانى الشافعى المرشد

المسلك المربى أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وحشرنا فى زمرته الى آخر ما قال ولما اجتمعت به قال لى انما صرحت باسمك ومدحتك تكذيبا لمن أشاع عنى أنى لا اعتقدك رضى الله تعالى عنه وأرضاه * ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى رضى الله تعالى عنه على كتاب العهود وبعد فقد اطلعت على هذا البحر العجاج المتلاطم بالامواج فسبحت فيه وابتهجت بنفائس درره غاية الابتهاج وغصته فظفرت بجواهر فوائده التى أنا لها محتاج ووردته ورود ظمآن أتى اليه من بعد فجاج وتأملته المرة بعد المرة فاذا تحت كل ذرة منه درة قد اشتمل من الفوائد على أدناها وأقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهو مؤلف فريد فى فنه وصنفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يقدح فى معانيه الا جاهل أو معاند أو حائد عن طريق الحق لأجل غرضه الفاسد الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وبعد فقد اطلعت على هذا المؤلف المشتمل على حقائق ورقائق ونكت لطيفة ودقائق حقيقة أن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون وان تشترى بنفائس الارواح لا بنقد العيون لما فيه من الحكم وآداب السلوك وخلاصة الاخلاص المذهبة للاوهام والشكوك وكفى هذا المصنف شرفا أن لسان حاله وقاله ناطق بفضله وعلو شانه بحيث ان الناظر فى تلك العهود يكاد يزق الوف نفسه المعهود وما هى الا منح ربانية ومواهب قدسية خص بها الكريم الوهاب عبده الاواب حشرنى الله فى زمرته ونفعنى فى الدارين ببركته وافاض علينا من مدده وعمر قلوبنا بوده الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه آخر هذا الكتاب لما أشاع بعض الحسدة أن الشيخ ناصر الدين اللقانى رجع عن كتابته على كتاب العهود و بعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبه على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الشيخ فلان باطل باطل فوالله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت فى كلامه شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقاله باق على ذلك وانى أدين الله تعالى بالاعتقاد فى صحة كلامه وولايته والقصد من فضله أن لا يصدق فى أمرى شيأ مما له ينسب الى على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى انتهى بالمعنى فى البعض من جهة الضمائر * ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى رحمة الله عليه وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف الذى هو تحفة المريد وروضة الاحباب فاذا البحر يعب عبابه لانه مترع يحلو لاهل الطريق شرابه فوردت ماء فضله الصافى وترديت برداء محاسنه الضافى فالله تعالى يبقى مؤلفه اماما يصطف خلفه المريدون ليؤمهم بنوافل فضائله وبره ولا برح جيد الزمان حاليا بوجوده والناس ناطقون بحمده وشكره الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين الرملى رحمه الله و بعد فقد وقفت على هذا المؤلف العجيب والمفرد الغريب المشتمل على الالفاظ الرائقة والمعانى المتناسقة لقد بذل مؤلفه فى نصح سالك طريق القوم الغاية وفى ارشاده الى اماتة نفسه وترقيه النهاية الى آخر ما قال ولما أشاع الحسدة أن الشيخ رجع عن كتابته على العهود كتب تحت خطه هذا وبعد فما نسب الى من رجوعى عن كتابتى على هذا المؤلف غير صحيح وكتبه أحمد بن حمزة الرملى * ومن جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى على كتاب الجوهر المصون وبعد فقد وقفت على هذا المصنف العجيب والاسلوب

الغريب الذى لم ينسج على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله وطمعت فيه بصرى وبصيرتى بالتأمل
فى ألفاظه ومعانيه وتدرجت فى كمال مدارجه ومراقيه فوجدته كنزا مملوءا بالمعارف الربانية
والعوارف اللدنية وبحرا يضيق نطاق النطق عن وصفه ويكل لسان الفكر عن ادراك كنهه
وكشفه ولاغرو فى ذلك فان المستفيض عبد منيب أواب والمفيض جواد كريم وهاب أمدنا
الله تعالى بمدده وجعلنا من حزبه وجنده آمين * ومن جملة ما كتبه عليه شيخ الاسلام الفتوحى
الحنبلى وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف العظيم الشان المشتمل على فوائد حسان وروضة
ذات أفنان من علوم القرآن ومعان مقصورات فى الخيام لم يطمثها من قبل انس ولا جان
فسبحان من سهل على مؤلفه طرق العلم والعرفان حتى أتى فيها بما لم يكن فى جنان الى آخر
ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى وبعد فقد وقفت على
هذا المؤلف السعيد والجوهر المصون التليد المستنبط من كتاب الله العزيز فاذا هو مؤلف
لم يصنع أحد شكله ولا جمع أحد فى علوم القرآن مثله الى آخره * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ
ناصر الدين الطبلاوى وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العجيب والاسلوب الغريب والنيل
المسكوب والنيل المكسوب فوجدته مقياس زيادة العلوم باصابع الفهوم وأطال فى ذلك
ومن جملة ما كتبه الشيخ نجم الدين الغيطى رحمه الله تعالى وبعد فقد تشرفت بالنظر فى هذه
العلوم والمعارف وترنحت بالوقوف على ساحل بحر هذه الاسرار واللطائف وتحققت أن ذلك
لا ينال بالجد والاجتهاد والاكتساب وانما هو فيض من الملك الوهاب على عبده المخصوص
لما تفرغ مما سواه وأناخ بتلك الرحاب ومسح لوح وجوده مما نقش فيه وتفرغ لما يلقى عليه
من حضرة مصطفيه فخلى من العلوم والانوار وصار بحر المعارف والاسرار حتى ظهر منه
الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون لازال معوذا بالواحد من شر كل معاند وحاسد
الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ عبد القادر الشاذلى المالكى وبعد فقد وقفت
على هذا الكتاب العظيم الشان الساطع البرهان المشتمل على علوم كتاب الله المكنون فوجدته
بحرا عجاجا لا ساحل له ولا قرار تكل عن ادراك مداه البصائر والابصار وكنزا مطلسما مشحونا
بالعلوم اللدنية والمعارف الربانية والاسرار فاندهل عقلى فيه وحار ورأيته كلاما غريبا غير
مألوف لاحد من الابشار فعلمت انه فيض من الكريم الغفار الى آخر ما قال * ومن جملة
ما كتبه عليه الشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى وبعد فقد وقفت على مواضع من هذا
الكتاب الشريف فاذا هو خلاصة الالباب ومنتهى منازل أهل الخطاب كيف لا وهو تأليف
سيدنا ومولانا خاتمة أهل الشريعة والحقيقة فى عصره الشيخ عبد الوهاب أدام الله عزه وعلاه
وبعين عنايته حرسه وتولاه ومتع بطول حياته الانام وكبت اعداءه الحسدة اللئام فقد
جعله الله تعالى وارثا للاقدام المحمدية وهاديا بسلوكه الى السنة النبوية الى آخر ما قال * ومن
جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى على كتابى المسمى بالجواهر والدرر وبعد فقد وقفت
على هذا المؤلف المسمى بالجواهر والدرر المتضمن أسرار الاعظمية لما كان الناس غافلين عنه
بالخبر وتأملت الفاظه تأملا يشفى السقيم ويهدى من ضل الى الصراط المستقيم ولما أمعنت
فيه التأمل والنظر وجدت تلك الجواهر نفائس لم يحوها انس ولا بشر وتلك الدرر كأنها من

شدة عظمها وصفائها ترمى بشرر فهو مؤلف عديم النظير لم يسبق لوضع مثله صغير ولا كبير الى
آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه عليه الشيخ شهاب الدين ابن الشلبى الحنفى وبعد فقد وقفت على
هذا الكتاب الذى بهرت أنواره وأشرقت ونمت عروس ألفاظه الزاكية لانها فى منابت
العرفان أعرقت وتصفحته ففاح مسكه وقرأته فلفظته فكأنما انقطع سلكه وغصت على
الجواهر فى بحره الذى سطوره فلكه فتارة آخذ منه درة وتارة أقتطف زهرة فلله دره من مؤلف
كلما طالعت فيه استفدت وكلما غازلت عيون معانيه استزدت ولله من أنفاس تسر النفوس
ويا عجبا كم بهذه الطروس من عروس وكيف لا ومؤلفه تاج ومحله الروس الى آخر ما قال * ومن
جملة ما كتبه الشيخ ناصر الدين اللقانى وبعد فقد وقفت على هذا الكتاب الشريف الذى فاق
سائر الكتب فى لطافة نظمها ودقة معناها وكيف لا وهو الجوهر الفرد الذى هو غايتها
ومنتهاها ولا عجب فى ذلك فانها مواهب وهاب لا تحصى عوارفه ولا تستقصى معارفه جعلنا
الله تعالى ممن ذاق مذاقها وتحلى بحلاها وورد مواردها الشافية واهتدى بهداها وحشرنا مع
مؤلفها وسلك بنا طريقته التى ما ضل من اقتفاها الى آخر ما قال * ومن جملة ما كتبه الشيخ
عبد القادر الشاذلى المالكى وبعد فقد وقفت على هذا الكتاب المسمى بالجواهر والدرر
فوجدته بحرا قد زخر يحار فى ادراكه البصر وتكل عن معرفته العقول والفكر اذ هو مشحون
بالنفائس التى لا توجد الآن عند أحد من البشر الى آخر ما قال فهذه نبذة مما كتبه علماء مصر
على مؤلفاتى تكذيبا لما اشاعه الحسدة من ضد ذلك كما مر أول المبحث فرحم الله هؤلاء العلماء
ما كان أكثر محبتهم لى واعتقادهم فى كل من توهموا فيه شيأ من صفات أهل الولاية والصلاح
وتواضعهم له وما وردت قط على الشيخ ناصر الدين اللقانى فى بيته أو الجامع الازهر الا ونزل عن
فرشه وأجلسنى عليه فان أبيت أقسم على بالله ثم يجلس بين يدى على الحصير ولم يفعل ذلك معى
أحد من أهل هذا الزمان وقد تغالى فى التكبر بعده جماعة ممن لا يصلح أن يكون أحدهم من
طلبته الآن بل رأيت بعضهم جالسا على طراحة فى الجامع وهو يجود القرآن على الشيخ أبى
النجاء النحاس والشيخ جالس بين يديه على الحصير وربما أدخل على بعض طلبة العلم الآن فاقبل
ركبته فلا يمد يده الى فالله يلطف بنا وبهم ويرد عاقبتنا الى خير آمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) موت جميع أشياخى فى الفقه والتصوف وهم عنى راضون وذلك من
أكبر نعم الله تعالى على فان رضا الاشياخ على طالبهم ومريدهم عنوان على رضا الله عز وجل
عنه لانهم واسطته فى السلوك وقل مريد أو طالب فى هذا الزمان يسلم من تغيير خاطر شيخه عليه
ولو فى حين من الاحيان وقد راجع بعض طلبة العلم شيخه فى مسئلة من غير أدب فقال له أما
تخشى يا ولدى أن يقال لا نفع الله فلانا بعلمه فوقف ذلك الطالب عن المزيد ولم ينتفع أحد بعلمه مع
انه كان فى الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والنحو أمة من الامم ورأيت مدرسى جامع
الازهر يجلسون فى درسه فيسمعون فوائده ويعجبون بها ثم يقومون من عنده لا يستحضر أحد
منهم شيأ من تلك الفوائد ولولا انى أخشى أن تكون غيبة لذكرته وشيخه وبينتهما فاياك يا أخى
أن تتهاون فى تغيير خاطر أحد من أشياخك عليك أو لا تبادر الى تطييب خاطره أو تنتقل عنه وتقرأ
على غيره مراغمة له فان الحكم للداعى الاول وله الحق الاعظم وايضاح ذلك أن الطالب لا يفارق

شيخه غضبا من نصحه له و يقرأ على غيره الا لحظ نفسه وطالب العلم بغير اخلاص لا يفلح ولو أنه أخلص فى العلم لاحتمل نهر شيخه وزجره له وهجره له فى طريق تحصيله العلم وقد أجمع أشياخ الطريق على أن المريد اذا بلغ مقام شيخه فى العلم فمن الادب أن يقيم تحت تربيته ويجرى الله تعالى على لسان شيخه من العلم والتحقيق ماهو أهله لمكان أدبه وصدقه كما أنه يجرى على لسان شيخه اذا أساء الادب معه عكس ذلك فان الطالب اذا كان قليل الادب مع شيخه فقد يستحق حرمانه من فوائده فيعقد الله تعالى لسان شيخه عن الافصاح له بالتحقيق ويحرم النفع به فيصير العلم موقورا فى قلب الشيخ ولا يقدر على النطق به وان نطق نطق بكلام مشكل غير مفصح له عن المقصود كما جربنا ذلك مع طلبتنا * وممن كان يبالغ فى محبتى ويتحفنى الفوائد والنكت من العلوم لمكان أدبى معه شيخ الاسلام زكريا وكان يقول لى والله انى أود أن لو أسقيتك جميع ماعندى من العلوم فى مجلس واحد وكذلك الشيخ نور الدين المحلى والشيخ امين الدين الامام بجامع الغمرى والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ برهان الدين ابن أبى شريف والشيخ شمس الدين السمانودى والشيخ شهاب الدين المسيرى والشيخ شهاب الدين الرملى فكانوا كلهم يحبوننى رضى الله عنهم أجمعين فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تعالى به على) انشراح صدرى لاتباع السنة المحمدية قولا وفعلا واعتقادا وانقباض خاطرى من ضد ذلك من حين كنت صغيرا حتى انى بحمد الله تعالى أتوقف فى بعض الاوقات عن العمل ببعض ما استحسنه بعض العلماء حتى يظهر لى وجه موافقته للكتاب والسنة او القياس أو العرف المشار اليه بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر بالعرف وقد استدل الشيخ جلال الدين السيوطى على جواز كبر عمامة العلماء زيادة عن طول عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وأمر بالعرف وقال قد صار من عرف العلماء كبر العمامة ليتميزوا عن غيرهم من العامة فيسألوا عن الشريعة وذكر أن كبر العمامة بهذا القصد لا يخرجهم عن السنة لان العرف قد صار من جملة الشريعة بامر الامة باتباعه انتهى وهذا أمر لم أجد له فاعلا من الناس الا قليلا وغالبهم يقدم على الفعل من غير توقف ونظر هل ذلك موافق للشريعة أو لا بخلافى بحمد الله تعالى فانى ان لم أجد ذلك الفعل موافقا للشريعة ولم يظهر لى موافقته لها ولا للعرف توقفت عن العمل به وربما أشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فيلقى الله تعالى فى قلبى الانشراح للفعل أو الترك فأعمل بذلك فكذب والله وافترى من أشاع عنى من الحسدة أنى أشطح فى أفعالى وأقوالى وعقائدى عن ظاهر الكتاب والسنة مع ان أحدا من هؤلاء الحسدة لم يجتمع بى قط ولا ثبت عنده ذلك ببينة عادلة انما بعض الحسدة زين له الشيطان ذلك لما عجز أن يجد مطعنا فى أفعالى الظاهرة فافترى على بعض كلمات ودار بها فى جامع الازهر وغيره واخبرهم بذلك فالله تعالى يغفر له فان من كان متقيدا بالشريعة كما ذكرنا فهو من صدور اهل السنة والجماعة فى عصره فكيف يسمى مبتدعا والله ما ذلك الا من شدة الحسد فانى لا أعلم أحدا من أقرانى أحاط علما بكتب السنة كما أحطت بها وأعرف جماعة الآن فى جامع الازهر من المتهورين اذا رأونى ينظرون الى شذرا كأنهم على السنة وأنا على البدعة وربما كان الامر بالعكس فان من جمع الله فيه مثل هذه الاخلاق المذكورة فى هذا الكتاب من أهل السنة

والورع

والورع بيقين بل يقضى العقل بانه فريد عصره فى اتباع السنة ولكن لنا اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لما انشق له القمر وقالوا هذا سحر فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) الهامى لمجاهدة نفسى بغير شيخ لما تبحرت فى علوم الشريعة وتعذر على العمل بما علمت وقد كان السلف الصالح لصفاء قلوبهم لا يحتاجون فى طريق العمل بعلمهم الى شيخ لعدم الموانع وصار الناس اليوم لهم موانع لا تحصى حتى ان بعضهم يرى الاخلاق المحمدية من زهد وورع وخشية ونحو ذلك فلا يصل لى التخلق بها فلذلك أوجب بعض علماء الشريعة على الطالب أن يتخذ له شيخا يرشده الى طريق ازالة هذه الموانع من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقالوا من لم يجد له شيخا فى بلده وجب عليه السفر فى طلبه ومن لم يستطع السفر وجب عليه مجاهدة نفسه بغير شيخ قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد الى مقام العمل بالاخلاص الذى كان عليه السلف الصالح أو بعضه لا غير فان اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلى أو صام أو حج أو تورع أو زهد كان محفوظا من الرعونات التى تجرح مقام الاخلاص أو تحبط العمل وقد قدمنا فى المقدمة ان حقيقة الصوفى هو عالم عمل بعلمه على وفق ما أمر الله به لا غير وكانت صورة مجاهدتى لنفسى من غير شيخ أنى كنت أطالع كتب القوم كرسالة القشيرى وعوارف المعارف والقوت لابى طالب المكى والاحياء للغزالى ونحو ذلك وأعمل بما يقدح لى من طريق الفهم ثم بعد مدة يبدو لى خلاف ذلك فأترك الامر الاول وأعمل بالثانى وهكذا فكنت كالذى يدخل دربا لا يدرى هل ينفذ أم لا فان رآه نافذا خرج منه والا رجع ولو انه اجتمع بمن يعرفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بين له أمره وأراحه من التعب فهذا مثال من لا شيخ له فان فائدة الشيخ انما هى اختصار الطريق للمريد لا غير ومن سلك بغير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل الى مقصوده لان مثال الشيخ مثال دليل الحجاج الى مكة فى الليالى المظلمة * ومن جملة ما جاهدت به نفسى من غير اشارة شيخ انى كنت جعلت لى حبلا فى سقف الخلوة محررا على عنقى اذا جلست ولا يصل الى الارض لو اضطجعت فكنت أجعله فى عنقى من العشاء الى الفجر فكنت على ذلك سنين ولم يكن لى بحمد الله علاقة دنيوية تعوقنى عن المجاهدة والوصول الى المقصود سوى كثرة وجود العلل فى أعمالى وان كانت العلل لا تنقطع عن العبد اذ هى تدق معه فى كل مقام سلكه فلكل مقام علل تناسبه فافهم وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداى ولحمتى فأغنتنى بحمد الله عن وقوعى فى الذل لاحد من أبناء الدنيا ولم يقع لى أنى باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوى من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقنى من حيث لا أحتسب الى وقتى هذا وعرضوا على الالف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيأ وكانت المباشرون والتجار يأتونى بالذهب والفضة فأنثرهما فى صحن جامع الغمرى فيلتقطهما المجاورون وتركت أكل لذيذ الطعام ولبست الخيش والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين وأكلت التراب لما فقدت الحلال نحو شهرين ثم أغنانى الله تبارك وتعالى بالحلال المناسب لمقامى اذ ذاك وكنت لا آكل طعام أمين ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ولا فقيه لا يسد فى وظيفته ويأكل معلومها ولا غيرهم من جميع المتهورين فى كسبهم وضاقت على الارض كلها ونفرت من جميع الناس ونفروا منى فكنت أقيم فى المساجد

المهجورة والابراج الخراب مدة طويلة وأقمت فى البرج الذى فوق السور من خرابة الاحمدى مدة سنة ومارأيت أصفى من تلك الايام وكنت أطوى الثلاثة أيام وأكثر ثم أفطر على نحو أوقية من الخبز من غير زيادة وضعفت بشريتى وقويت روحانيتى حتى كنت أصعد بالهمة فى الهواء الى الصارى المنصوب على صحن جامع الغمرى فأجلس عليه فى الليل والناس نائمون ثم اذا نزلت من السلم الى الجامع أنزل بجهد وتعب لغلبة روحانيتى وطلبها الصعود الى عالمها فانه لا يثقل الانسان فى الارض الا كثرة الشهوات وهذا هو سبب تحريك الانسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن فكأن الروح تشتاق الى القرب من حضرة ربها اذا سمعت كلامه أو اسمه فتكاد تلحق بعالمها السماوى وقد انشدوا فى معنى ذلك

ولما بدا الكون الغريب لناظرى * حننت الى الاوطان شبه الركائب

ولما غلب علىّ طلب العزلة عن الناس تنكرت منى جميع قلوب أصحابى ونفروا منى حتى كأنهم لا يعرفونى من ضيق وقتى عن مباسطتهم بالكلام اللغو وعدم المجالسة * وكنت كثيرا ما أخرج الى موارد البرك التى يغسل الناس فيها الفجل والخس والجزر والبقل فألتقط منها ما يكفينى ذلك اليوم مما أعرضوا عنه وأشرب عليه من ذلك الماء وأشكر الله تعالى على ذلك * وكنت لا آكل قط طعام فقير لا كسب له من المتعبدين فى الزوايا من غير كبير اشتغال خشية أن يكون ممن يأكل بدينه وهو لا يشعر وكذلك كنت لا آكل طعام قاض ولو كان من أهل الدين لما عساه أن يقع فيه عند الحاجة من قبول هدايا الناس ثم انى تركت أكل طعام كل من يمسك الميزان والكيل والذراع ثم طويت عن طعام جميع الناس فلا آكل الا عند أوائل درجة الاضطرار وذلك حين لا تجد أمعائى شيأ تشتغل به فيلذع بعضها بعضا وكنت اذا افتتحت مجلس الذكر بعد العشاء لا أختمه الا عند طلوع الفجر ثم أصلى الصبح واذكر الى ضحوة النهار ثم أصلى الضحى وأذكر حتى يدخل وقت الظهر فأصلى الظهر ثم أذكر الى العصر ومن صلاة العصر الى المغرب ومن صلاة المغرب الى العشاء وهكذا فمكثت على ذلك نحو سنة وكنت كثيرا ما أصلى بربع القرآن بين المغرب والعشاء ثم أتهجد بباقيه فأختمه قبل الفجر وربما صليت بالقرآن كله فى ركعة وكان نومى غلبة تخطف رأسى خطفة بعد خطفة وخفقة بعد خفقة وكثيرا ما يغلب علىّ النوم فأضرب أفخاذى بالسوط وربما نزلت بثيابى فى الماء البارد فى الشتاء حتى لا يأخذنى نوم وهذه الامور من قاعدة ما اذا تعارض عندنا مفسدتان وجب ارتكاب أخفهما مفسدة ولا شك ان وقوف المحب بين يدى الله عز وجل فى الظلام مع تألم جسمه بالضرب أحسن عنده من نومه عن ربه عز وجل حال تجليه مع صحة جسمه كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ولكل مقام رجال ومن طلب نفيسا خاطر بنفيس فعلم ان المحب لله واد والمذكر عليه فى واد ومن طالع أحوال القوم فى مجاهداتهم سهل عليه ما يكابده فى نفسه فقد وقع للشبلى رضى الله عنه انه كان اذا غلب عليه النوم يضرب نفسه بقضيب الخيزران حتى ربما أفنى الحزمة فى الليلة الواحدة وكان يكتحل بالملح حتى لا يأخذه النوم وكان يطلع على طرف الحائط ويقف حتى يطرد عنه النوم وبلغنا ان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه وأرضاه مكث أيام مجاهدته سنة كاملة لا يأكل ولا يشرب

ولا ينام وكان رضى الله تعالى عنه يقول دعوت نفسى مرة الى قيام الليل فأبت فمنعتها شرب الماء سنة انتهى قال اليافعى رحمه الله تعالى وأعظم ما يجاب به عن هؤلاء السادات فى مجاهداتهم رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم بأنهم ارتكبوا اخف المفسدتين كمن غص بلقمة ولم يجد ماء فأساغها بجرعة خمر انتهى وقد مكثت أنا نحو سنة وعمامتى شراميط من الكيمان وقصاصة الجلود حتى وجدت الحلال وبالغت فى التدقيق فى الورع بحماية الله عز وجل لا بحولى ولا بقوتى حتى كنت لا آكل من فراخ الحمام لأكلها من زرع الناس ما قد لا تسمح به نفوسهم ولا أمشى فى ظل عمارة أحد من الولاة وأعوانهم ولما عمل السلطان الغورى بمصر الساباط الخشب الذى بين مدرسته وقبته الزرقاء تركت المرور من تحته فكنت أدخل من سوق الوراقين واخرج من سوق الشرب وأنا بحمد الله تبارك وتعالى على مقام الورع الى وقتى هذا لان المعرفة لا تطفئ نور الورع ثم اذا حقق المتورع أمره فى نفسه وجد جميع ما تورع عنه لم يقسمه الله له لا ان الله تبارك وتعالى قسمه له فرد نفسه عنه لان ذلك لا يصح فافهم فظنه انه رد نفسه عنه مع القسمة وهم منه وان كان الحق تعالى قد أمر المكلف أن يدافع الاقدار النازلة جهده فذلك ليس هو تكليفا برد الاقدار وانما ذلك ليثيبه ويأجره على تلك المدافعة سواء أوقع فى ذلك المقدر أم لم يقع واذا اعتنى الحق تعالى بعبده حماه من الوقوع فى المعاصى والرذائل بعدم القسمة واستخرج له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات كما يستخرج له اللبن من الضرع والله على كل شئ قدير فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) بعد ذلك الهامى لطلب الاجتماع بأهل الطريق وانقيادى لهم فاجتمعت بحمد الله تبارك وتعالى على خلائق لا تحصى من أهل الطريق فلم يكن لى وديعة عند أحد منهم سوى هؤلاء الثلاثة وهم سيدى علىّ المرصفى وسيدى محمد الشناوى وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهم فسلكت على يد الاولين كل واحد شيأ يسيرا وكان فطامى بحمد الله تعالى على يد سيدى على الخواص أعنى الفطام اليسير المعهود بين القوم والا فالحق أنه لا فطام حتى يموت العبد ولذلك كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول كثيرا لا تكبر تعظم انتهى ولم أتحقق بان الانسان لا بد له من شيخ الاحين اجتمعت بهؤلاء الاشياخ وكنت قبل ذلك أقول كما قال غيرى وهل ثم طريق توصل الى حضرة الله تبارك وتعالى غير العمل بما بأيدينا من الشريعة يعنى على مصطلح غير القوم حتى وجدت الامر بخلاف ذلك وكفى شرفا لاهل الطريق قول السيد موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا واعتراف الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وارضاه لابى حمزة البغدادى بالفضل عليه واعتراف الامام أحمد بن سريج رحمه الله لابى القاسم الجنيد وطلب الامام الغزالى له شيخا يدله على الطريق مع كونه كان حجة الاسلام وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخا مع أنه قد لقب بسلطان العلماء فكان شيخ الامام الغزالى الشيخ محمد الباذغانى وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلى وكان الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه يقول لما اجتمع بشيخه المذكور ضيعنا عمرنا فى البطالة يعنى بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق وكان الشيخ عز الدين رضى الله عنه يقول ما عرفت الاسلام الكامل الا بعد اجتماعى

على الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فاذا كان هذان الشيخان قد احتاجا الى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى وقد كنت قبل اجتماعى بأهل الطريق أتخذ أعمالى كلها وسائل الى تحصيل أغراض فان حصلت تلك الاغراض ثبت على ذلك والا تحولت منه فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لى اجعل أعمالك كلها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ولا تتخذها وسائل فتموت ولا تصل الى مقصودك فقربوا على الطريق فلو لم يكن فى الاجتماع بهم الا هذه الخصلة لكان فيها كفاية * ومما وقع للجنيد مع ابن سريج ان حلقة الجنيد كانت الاصوات فيها ترتفع على أهل حلقة ابن سريج وكان ابن سريج ينكر على الجنيد فتنكر ابن سريج يوما وحضر حلقة الجنيد ثم رجع الى أصحابه فقال لم أفهم من كلامه شيأ الا أن صولة كلامه ليست بصولة مبطل ثم ان ابن سريج قال للجنيد طريقنا أقرب الى الله من طريقكم فقال الجنيد لا بد أن تأتينا ببرهان فقال للجنيد ائت لنا أنت ببرهان فقال الجنيد يا فلان خذ هذا الحجر فألقه فى حلقة الفقراء فألقاه فصاحوا كلهم الله الله ثم قال له ألقه بين هؤلاء الفقهاء فألقاه فصاحوا كلهم حرام عليك أزعجتنا وابن سريج ينظر فقام وقبل رأس الجنيد واعترف بفضله فقال له الجنيد انما الفضل لكم فان أساس طريقنا معكم من العلم فقال ابن سريج بلى لكم الفضل فانكم زدتم علينا بحسن معاملة الله تعالى انتهى * ومما وقع للشيخ عز الدين بعد اجتماعه بالشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه كان يقول من أعظم دليل على ان طائفة الصوفية قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق والمكاشفات ولا يقع شئ من ذلك قط لفقيه الا ان سلك طريقهم انتهى أى لان الكرامات فرع المعجزات وهى علامة على صحة اقتداء صاحبها واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد نقل القشيرى رحمه الله تعالى فى ترجمة أبى على الثقفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه قال لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس كلهم لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يحل الاقتداء به فى تصحيح المعاملات انتهى * ومما وقع لابن أسعد اليافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه قال مكثت خمس عشرة سنة ونفسى تنازعنى هل أدوم على الاشتغال بالعلم أم أنتقل عنه الى صحبة الصوفية واقتفاء آثارهم فبينما أنا يوما أمشى فى شارع من شوارع زبيد اذ لقينى شخص من أرباب الاحوال فقال لى مكاشفا يكفيك ما حصلته من العلم الظاهر واتبع طريق العمل على طريق القوم من اليوم فانها أولى فقلت له وما وجه كونها أولى فقال لى تعال حتى أريك وجه ذلك فدخل زاوية من زوايا الفقراء وأنا معه فجلس وقال لفقير ادع لى العالم الفلانى فدعاه فلما أقبل قال للحاضرين لا أحد يرد على هذا السلام اذا جاء الا بعد قليل بحيث لا يطول الفصل ولا أحد يتحرك له ولا يفسح له فى المجلس ففعلوا فتكدر اذ ذاك وقال يحرم عليكم عدم رد السلام فقالوا والله الفقراء لهم عذر فى ذلك فقال كذبتم ليس لكم عذر فقالوا له بلى لنا عذر وهو انك مستحق للهجر لارتكابك العجب والكبر فقال أنا ما عجبت ولا تكبرت عليكم الا بحق فقال له الشيخ الفقراء فى نفوسهم منك شئ فقال وأنا أيضا فى نفسى منكم أشياء وأشار باصابع يديه كلها فخرج وهو يسب الفقراء ومن دعاه اليهم فقال لليافعى انظر ثمرة علم

هؤلاء ماذا يفعلون ثم قال لفقير ادع لنا الفقير الفلانى فدعاه فلما أقبل قال الشيخ للحاضرين افعلوا معه كما فعلتم مع ذلك العالم من عدم رد السلام على الفور وعدم تفسيح المجلس له ففعلوا فبادر الى نعال الفقراء وجعلها فى عنقه وعلى رأسه ووقف خاضعا ذليلا عند النعال ولم يجر على خاطره ما قاله ذلك العالم من الانكار عليهم بعدم المبادرة الى رد السلام وعدم تفسيح المجلس له بل ولا خطر على باله انه من العلماء أبدا فقال له فقير من الحاضرين الفقراء فى نفوسهم منك شئ فقال أقول استغفر الله تعالى فى حقهم وأسألهم ان يلحظونى بلحظهم فلعل الله تعالى يصلح حالى وصار يبكى وهو واقف حامل نعالهم فقال الشيخ لليافعى انظر ثمرة اتباع طريق القوم قال اليافعى رضى الله تعالى عنه فقوى عزمى من ذلك اليوم فى ذلك المجلس على اتباع طريق القوم حتى كان ما كان انتهى (قلت) وكانت صورة مجاهدتى على يد سيدى على الخواص رضى الله عنه انه أمرنى أول اجتماعى عليه ببيع جميع كتبى والتصدق بثمنها على المحاويج ففعلت وكانت كتبا نفيسة كشرح الروض والمطلب والخادم والقوت للاذرعى وغيرها مما يساوى ثمنها عادة مالا كثيرا فبعتها وتصدقت بثمنها فصار عندى التفات اليها لكثرة تعبى فيها وكتابة الحواشى والتقييدات عليها حتى كأنى سلبت العلم فقال لى اعمل على قطع التفاتك اليها بكثرة ذكر الله عز وجل فانهم قالوا ملتفت لا يصل فعملت على قطع الالتفات اليها مدة حتى خلصت بحمد الله تعالى من ذلك فأمرنى بالعزلة عن الناس مدة حتى صفا وقتى فصرت أهرب من الناس وأرى نفسى خيرا منهم فقال لى اعمل على قطع رؤية أنك خير منهم فعملت فى المجاهدة مدة حتى صرت أرى ان أرذلهم خير منى ثم أمرنى بالخلطة والصبر على أذاهم وعدم مقابلتهم فعملت على ذلك حتى قطعته فرأيت حينئذ انى صرت أفضل مقاما منهم فقال لى اعمل على قطع ذلك فعملت على قطعه مدة حتى قطعته ثم أمرنى بالاشتغال بذكر الله تبارك وتعالى سرا وعلانية وكل خاطر خطر لى مما سوى الله عز وجل صرفته عن خاطرى فورا فمكثت على ذلك عدة أشهر ثم أمرنى بترك أكل الشهوات مطلقا فتركتها حتى صرت اكاد أصعد بالهمة فى الهواء وصارت العلوم النقلية تزاحم العلوم الوهبية ثم أمرنى بالتوجه الى الله تبارك وتعالى فى أنه يطلعنى على أدلتها الشرعية فلما اطلعت عليها وصار لوح قلبى ممسوحا من العلوم النقلية لاندراجها فى الادلة ترادفت على حينئذ العلوم الوهبية وكان ابتداء ذلك بساحل بحر النيل عند بيوت البرابرة وسواقى القلعة فبينما أنا واقف هناك واذا بأبواب من العلوم اللدنية انفتحت لقلبى كل باب أوسع مما بين السماء والارض فصرت أتكلم على معانى القرآن والحديث وأستنبط منهما الاحكام وقواعد النحو والاصول وغير ذلك حتى استغنيت عن النظر فى كتب المؤلفين فكتبت من ذلك نحو مائة كراسة فعرضت بعض ذلك على سيدى على الخواص فأمرنى بغسله وقال هذا علم مخلوط بفكر وكسب وعلوم الوهب منزهة عن مثل ذلك فغسلتها وأمرنى بالعمل على تصفية القلب من شوائب الفكر وقال بينك وبين علم الوهب الخالص ألف مقام فصرت أعرض عليه كل شئ فتح به على وهو يقول أعرض عن هذا واطلب ما فوقه الى ان كان ما كان فهذا كان صورة فتحى بعد المجاهدة المذكورة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على بعد ذلك) دخولى للاطلاع على معانى الكتاب والسنة من بابها

وذلك بتكثير النوافل فان من واظب عليها أحبه الله تعالى واذا أحبه قربه من حضرته واذا قربه من حضرته أطلعه على اسرار شريعته وكان بعض العارفين يقول لا يفتح على سالك قط الا من باب اكثاره النوافل فانه فى الفرائض عبد اضطرار ان لم يصل الصلوات الخمس مثلا عذبه ربه بخلاف النوافل فانه فيها عبد اختيار فلا يتقرب بها خوفا من عقابه وانما ذلك محبة له جل وعلا قال وأعظم النوافل بركة الاكثار من النكاح لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع العبد فيه بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شئ من العلوم الصادرة من حضرة الاسم الظاهر والباطن فلذلك كان اشتغال العبد بنوافل النكاح أتم وأقرب لتحصيل كل ما يرومه وكان محبوبا لله تعالى ومن كان محبوبا لله تبارك وتعالى صار عرشا لاستواء الحق تبارك وتعالى عليه بافاضة العلوم وسماء للنزول وكرسيا لظهور أوامره ونواهيه فظهر له من علوم الكرسى ما لم يكن يره فيه مع أنه كان فيه وهذه الطريق من أجل الطرق وأقربها على السالكين فالحمد لله رب العالمين

* (ومما من الله تبارك وتعالى به على) بعد المجاهدة ظهور أن جميع ما كنت علمته من العلوم كلها ليس فيه شئ من الاخلاص وانما هو مخلوط بالحظوظ النفسانية وذلك ان من علامة العلم الخالص ان يجمع قلب العبد على ربه حال الاشتغال به ولم أر ذلك حصل لى انما كان قلبى متشتتا فى كل واد وغاب عنى العلم بأن جميع ما خلق الله تبارك وتعالى وأنزل على قلوبنا من العلوم انما مراده به ان يجمعنا به عليه ومن أتعب نفسه فى جمع العلوم من غير ان ينظر فى دلالتها على الله عز وجل فاته المقصود الاعظم منها وحجب عن مواضع الدلالة التى فيها على الحق جل وعلا وقد عملت بحمد الله تعالى على كشف الغطاء عن وجه دلالة العلوم كلها على الحق تبارك وتعالى حتى صرت أحضر بقلبى مع الله تبارك وتعالى فى علم الحساب والهندسة والمنطق فضلا عن العلوم الحقيقية الشرعية ومن كشف الله تعالى عن بصره وبصيرته رأى جميع العلوم التى بأيدى الخلائق مقربة الى الله تبارك وتعالى وطريقا الى دخول حضرته ولكن أكثر الناس لم يكشف الله تبارك وتعالى عن بصيرتهم فلم ينظروا فى العلوم من حيث الوجه الدال منها على الحق تعالى ففاتهم الكمال ولذلك ذمهم العارفون رضى الله عنهم وقالوا ان علوم هؤلاء حجاب لحجبهم بها عن ربهم ولو أنهم نظروا فيها من حيث الوجه الدال على الحق لم تحجبهم عن ربهم ولنالوا درجات العارفين

* وقد بلغنا عن الامام الغزالى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة انه لما دخل طريق القوم كان يقول قد وجدنا علوم الفقهاء كلها حجابا فيا ليتنا لم نضيع عمرنا فيها فقال له بعض العارفين ولاى شئ تجعلها حجابا فلو نظرت فيها وفى كل شئ فى الوجود لوجدته دليلا على الله تبارك وتعالى ورافعا للحجب عنك فعمل على ذلك فعرف وجوه دلالتها على الحق جل وعلا فرجع عن ذلك القول وصار يقول العلم نور يكشف عن العبد الحجب وانما يكون حجابا على من لم يخلص لله عز وجل فى تعلمه وتعليمه انتهى وكذلك بلغنا عن الشيخ عبد القادر الجيلى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة انه لما دخل الطريق بعد السياحة ترك تدريس العلم الظاهر كله ووقعت النفرة بينه وبين أهله فلما كمل حاله وشهد وجه دلالة العلوم كلها على الله تبارك وتعالى صار يدرس فى علم الفقه والاصول والنحو وغيرها حتى مات * وقد بلغنا ان الشيخ غانما المقدسى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة كان يسلك مريديه كلهم من طريق علم النحو حتى يوصلهم منه الى حضرة الله تبارك وتعالى انتهى

فاعمل يا أخى على تحصيل ما قلناه

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) بعد المجاهدة اعطاؤه جل وعلا لى الفهم فى القرآن الذى هو علم الحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا وذلك على مصطلح العارفين زيادة على الفهم الذى اوتيته على مصطلح الفقهاء كما تقدم آنفا * قال سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وارضاه وانما قال تعالى فقد اوتى خيرا كثيرا الكثرة تلك الوجوه المبطونة فى الكلمات وايضاح ذلك ان الفهم فى الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم موهوب من غير مادة فالذى وهب من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم وأما المكتسب من المادة فهو الذى يقال فيه فهم وهو تعلق خاص فى العلم فاذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففهم منها أمرا ففيه تفصيل فتارة يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها فى الاصطلاح معانى كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهذا يسمى فهما وتارة لا يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل ولكن يحتمل عنده فيها عدة وجوه يدل عليها الكلام لا يعلم مراد المتكلم من تلك الوجوه ولا يدرى هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه اعطى الفهم فى القرآن وانما يقال فيه انه اعطى العلم بمدلولات تلك الكلمة أو الكلمات وقد اجمع العارفون رضى الله تعالى عنهم على ان كلام الله تبارك وتعالى واسع يقبل جميع ما فسره به المفسرون لانه تعالى قد خاطبهم بجميع ما يقبله استعدادهم فما من وجه مقبول فهمه عباده المؤمنون الا وهو مقصود له تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى فهم من فهم من كلامه تعالى تلك الوجوه المقصودة له تعالى أو لذلك الشخص الذى فهم منها ما فهم حيث لم يخرج فى فهمه عما يؤدى به كلام العرب فان خرج عما يؤدى اليه كلام العرب فلا علم ولا فهم أيضا وهذا من خصائص كلام الله تعالى أما كلام المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب الكلام فاعلم ذلك واعمل على جلاء مرآة قلبك لتفهم كلام ربك عز وجل والحمد لله رب العالمين

(وسمعت سيدى عليا الخواص) رحمه الله تعالى يقول من أدب العبد فى الفهم فى كلام ربه جل وعلا أن يمشى حيث يمشى به الشرع ويقف حيث وقف به فيعقل فيما يقول له فيه اعقل ويؤمن فيما يقال له فيه آمن وينظر فيما قال له فيه انظر يعنى تفكر ويسلم فيما قال له فيه سلم وذلك لان الآيات وردت فى القرآن متنوعة فآيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولى النهى وآيات لاولى الالباب وآيات لاولى الابصار ففصل يا أخى كما فصل لك الحق تبارك وتعالى ولا تتعد الى غير ما ذكره لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خوطب بها واجعل نفسك كأنك المخاطب بها فان فيك مجموع ما تفرق فى اخوانك المسلمين لنعته تعالى لك بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والسمع والقلب الذى هو اللب والابصار وغير ذلك فانظر يا أخى فى كل صفة نعتك بها واظهر بها فى العالم تكن ممن جمع له القرآن واعطى الفرقان انتهى كلامه بالمعنى فى غالبه وذكر نحو ذلك الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تعالى به على) اعطاؤه تبارك وتعالى لى الفرقان بين رجال الله تعالى فانه ما كل الرجال اعطوا الفرقان وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم ذكرهم الشيخ محيى الدين رحمه الله

فى الفتوحات الاول العباد بضم الميم وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة ومن شأنهم انهم لايرون شيا فوق ماهم فيه حتى يطلبوا الانتقال اليه فلامعرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولارائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولامكاشفة لهم ويخافون من ظهور اعمالهم ان تحبط لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى * الصنف الثانى الصوفية وهم رجال فوق هؤلاء العباد فانهم يرون أعمالهم كلها لله تبارك وتعالى مع ماهم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون مع ذلك أيضا ان جميع ماهم فيه بالنظر للمقامات التى فوقهم كلاشئ وفيهم رعونة ونفس بالنظر لاهل الطبقة العليا فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوتهم * الصنف الثالث الملامتية وهم على قدم السيد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومن شأنهم أنهم لايزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يفعلون من العبادات كلها الا مالابد منه ولا يتميزون عن غالب الناس بعبادة يمشون فى الاسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله جل وعلا لايتزلزلون عن عبوديتهم ولايذوقون للرياسة طعما لاستيلاء عظمة الله تبارك وتعالى على قلوبهم وهؤلاء أعلى الطوائف كلها مقاما كما فضل أبو بكر الصحابة كلهم رضوان الله عليهم أجمعين فتامل فى ذلك واطلب المقامات الثلاثة ولاتقنع بشئ دون المقام الثالث والحمد لله رب العالمين

*(ومما من الله تبارك وتعالى به على) بعد المجاهدة اطلاعه تبارك وتعالى لى على ان الله جل وعلا لايضيع أجر من أحسن عملا وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان به يسكن القلب عن طلب الاجر على أعماله وعن طلب الفتح على قلبه فى مقامات العارفين اذ الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لابد منه تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ذلك الفتح هل هو فى الدنيا أو الآخرة ذلك الى الله تبارك وتعالى فاذا رأيت يا أخى عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم يفتح لك فى باطنك مثل مافتح لمن رأيته على قدمك فى العمل فاياك ان تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة فى ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم وعليك بالاخلاص فى أعمالك عبودية وخدمة لربك لالطلب أجرة فانك عبد له ما أنت أجير فلو سجدت على الجمر من افتتاح الدنيا الى انتهائها ما أديت شكره فى جعله لك عبدا دون ان جعلك أجيرا فان من شأن العبد أن لايفارق دار سيده فى حال عمله وفى حال تركه الخدمة ومعه الاذن من سيده بدخوله على حرمه ولا هكذا الاجير فانه اذا فرغ من العمل ترك صاحب ذلك العمل وبعد عن دار السيد وليس معه اذن فى الدخول على حرمه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على بعد المجاهدة) علمى بكون الحق تعالى يكرهنى أو يحبنى وذلك بنظرى الى أعمالى وما أنا مطبوع عليه فان نظرت فى نفسى ورأيتها متبعة للكتاب والسنة مهتدية بهدى السلف الصالح بحسب طاقتها حكمت بأن الحق تبارك وتعالى يحبها وهو راض عنها وان رأيتها مخالفة للكتاب والسنة قليلة الورع قليلة الزهد قليلة الخشوع قليلة الخوف من الله تبارك وتعالى ذاكرة للدنيا ووظائفها ومناصبها ناسية للآخرة ودرجاتها ومراتبها حكمت بأن الله تبارك وتعالى يكرهها فعليك يا أخى بالعمل بهذه الميزان صباحا ومساء ان لم تستطع ذلك فى جميع الساعات لتعلم مالك وما عليك ولا تنتظر أحدا غيرك ينبهك على مثل ذلك فانه مفقود

فى

فى هذا الزمان وقد قال الله تبارك وتعالى بل الانسان على نفسه بصيرة فعلم انه يتأكد على كل شخص ليس له شيخ أو أخ صادق ان يزن أحواله بالكتاب والسنة وكلام الائمة لينظر فى ربحه وخسرانه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) قصدى بتعلم العلم نفع نفسى به أولا ثم المسلمين ثانيا ولا أقصد نفع غيرى به الا بحكم التبعية لى واذا رأيت نفسى عاجزة عن العمل بما علمت أوقفتها عن التعلم حتى تستوعب العمل بكل ما علمت وهذا من أكبر نعم الله تعالى على فان فاتتنى مباشرة العمل لم يفتنى أجر نية العمل وهذا ما كان عليه السلف الصالح كداود الطائى وأبى حنيفة وسفيان الثورى وشعبة وأضرابهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم * وكان الشعبى يقول لعلماء زمانه لستم بعلماء انما أنتم متلذذون بالمسائل ولو انكم كلفتم نفوسكم بالعمل بما تعلمون لتجرعتم المرارات ولكبحتم نفوسكم عن التعلم * وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قد غلط قوم فى طلبهم العلم فطلبوه لغير العمل به فصار علمهم كالجبال واعمالهم كالهباء وكان بشر الحافى يقول والله ما كنا نظن ان نعيش الى زمان صار علم الناس شبكة لهم يصطادون به الدنيا ولما انقطع بشر رحمه الله تعالى عن املاء الحديث أتى اليه اخوانه وقالوا له ما تقول لربك اذا قال لك يوم القيامة لم تركت التحديث بكلام نبى صلى الله عليه وسلم فقال بشر أقول له يارب قد أمرتنى فيه بالاخلاص ولم أجد عند نفسى اخلاصا * وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وارضاه يقول من علامة اخلاص العالم فى علمه انه كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وقلت أمتعة داره انتهى (وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى) يقول كان من آخر العلماء العاملين الامام النووى رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض المرض الذى مات فيه ورجع من الشام الى نوى بلده لم يجد واله متاعا يحملونه الى أمه سوى العكاز والابريق وترك كتبه ومؤلفاته كلها بالشام للفقراء والمساكين انتهى وكذلك بلغنا عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى انه لما غضب من السلطان صلاح الدين فى مصر حمل امتعة داره كلها على حمارته وأركب زوجته عليها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول مررت على حجر مكتوب عليه اقلبنى تعتبر وذلك أياما حتى قال فقلبته فوجدت فى باطنه مكتوبا أنت بما تعلم لم تعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم فوالله ان أحدا لم يطلب العلم الا لاقامة الحجة عليه لاغير ومن ادعى غير ذلك كذبته افعاله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب الثانى فى جملة أخرى من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من حين كنت طفلا عدم اصغائى الى قول من يزعم انه يعرف علم الكيمياء أو يقدر على فتح المطالب وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على فقد تلف فى ذلك مال كثير من الفقراء وطلبة العلم ثم تعدى ذلك التلف على أديانهم فتلفت قلوبهم وخربت من محبة الله ورسوله والصحابة والتابعين وسائر المقربين فانه لايصح المحبة لاحد الا بالتخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم وما أحد من الانبياء واتباعهم الصادقين يحب الدنيا أبدا فمن ادعى محبتهم مع محبته للدنيا فهو كذاب وقد كان لى عدة أصحاب على تقوى وخير فخالفونى وعاشروا النصابين فأتلفوا أموالهم وأديانهم وضيعوا ما كان معهم من المال فى شراء العقاقير والبخورات وأجرة

الحفارين للكيمان والقبور والمغاير والآبار وصاروا لا دنيا ولا آخرة الى أن ماتوا * وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول ثلاثة من الناس لا يرجى فلاحهم لاستحكام المقت فيهم من يحب اللواط ومن يعمل الكيمياء ومن يريد فتح المطالب انتهى وقد أخبرنى سيدى أبو البقاء بن البارزى ان شخصا نصب عليه فأتلف عليه نحو ثلاثين ألف دينار فصار يأخذ منه كل قليل المائة دينار وأكثر ويطبخ فتطلع الطبخة فاسدة فيقول له المرة الثانية تصح ان شاء الله تعالى فما زالت الطبخة تطلع زغلا حتى أفنى جميع ما كان معه من المال فقلت له فأين كان عقلك فقال وهل لمحب الدنيا عقل * وأخبرنى سيدى محمد بن الشيخ أبى شعرة الماوردى أحد أصحاب سيدى الشيخ أبى السعود الجارحى رحمه الله تعالى ان نصابا قال له بلغنى ان فى قاعتك مطلبا عظيما ومقصودى أفتحه لك ولكن يحتاج الى نحو سبعة وعشرين ألف نصف نشترى بها بخورات ونحلى بها الخدام وكان هذا النصاب يعرف علم السيمياء فأخذه وأدخله القاعة وأطلق له عشبا معروفا عنده فانفتح فى مخيلته الفاسدة باب بجانب بيت الخلاء فنزل هو واياه فوجدا كيمان الذهب والفضة كالتلال واذا بملك الكنز نائم على سرير قوائمه من ذهب وهو مغطى بثياب من حرير وعليه شبكة من لؤلؤ فقال له بقى عندك شك فقال لا فقال أعطنى المال لآتى لك بالبخور الذى يبطل الموانع لتصير تجربه كلما تأخذ منه شيأ والا فكل شئ أخرجته منه أخذه منك الخدام فأعطاه جميع ما كان بيده من النقد وأخذ أساور أمه الذهب وعصابة زوجته حتى خلاه على الارض السوداء ثم قال له أنا رائح أسعى لك فى البخور فخرج هو واياه وأغلق باب المطلب فلم يجد له بعد ذلك أثرا الى يوم تاريخه قال وأول ما نصب علىّ انه قال لى هذا الامر يحتاج الى مائة بندقى نشترى بها بخورا من الملك الاحمر من ملوك الجان والقاضى عموش يضمن الجنى الذى يعطيه المائة دينار وهو الآن فى مدينة سكندرية فأخذ منه المائة دينار يعنى النصاب وسكن فى قاعة مرخمة فى السبع قاعات بمصر المحروسة وتزوج امرأة جميلة وصار ينفق عليها مدة سنة حتى فرغت تلك الفلوس ثم طلق تلك المرأة وجاءه ببخور قدر الدرهم الغدار وقال ما وجد الملك الاحمر فى بلاد الجن الا هذا الشئ اليسير ويحتاج الى مائة بندقى أخرى حتى يفتح بها المطلب ويبطل موانعه فأعطاه مائة أخرى ثم تبين لسيدى محمد كذب هذا النصاب فصار يشتكيه من بيوت الحكام فيقول النصاب يا مسلمين شرع الله بينى وبينه ويشكرانه ما أخذ ذلك المال والحلى الذى أخذه منه فلم يصل منه الى شئ من ذلك الى وقتنا هذا ووقع لهذا النصاب أيضا انه نصب على قاض من بعض قضاة العساكر بمصر قال له عندك فى القاعة كنز عظيم ولكن يحتاج الى خمسمائة دينار ذهبا ولا تعطيها لى حتى ترى الذهب بعينك فبخر له ببخور معروف عند أهل علم السيمياء فأراه كيمان الذهب والفضة والملك صاحب الكنز نائم على سريره وقال له رأيت بعينك فقال نعم فقال له أعطنى الخمسمائة دينار فأعطاها له وقال له انتظرنى حتى آتيك بالبخور فخرج فلم يرجع له الى يوم تاريخه وصار القاضى يستحى ان يتكلم بذلك ثم يقول لنفسه كيف تكذب شيأ رأيته بعينك ولم يزل يتحسر على تلك الاموال الى ان سافر من مصر الى بلاد الروم (وأخبرنى) القاضى نور الدين الاشمونى ان شخصا نصب عليه فوضع فى البودقة نحو عشر بنادقة وغطاهم بالنخالة بحيث لا يعلم بها القاضى ثم أرسله الى عطار بينه وبينه لغز فاشترى منه عشبا

بدرهم فأخذه ونثره على النخالة ثم أطلق عليه النار فانسبكت العشرة الدنانير وصارت سبيكة فأخرجها للقاضى وقال هذه السبيكة أصلها كلها بدرهم ولكن ان أردت أن أطبخ لك كذا كذا قنطارا من الذهب فأعطنى مائة بندقى فأعطاها له فطبخ له طبخة بنحو درهمين نقرة وقال له انها فسدت ثم انه وضع له منها نحو عشرين بندقيا فى البودقة وغطاها بنخالة كما تقدم وذر عليها شيأ يشبه دقاق الترمس وأطلق عليها النار فأخرجها سبيكة فقال له اذهب بها الى اليهودى الذى هو جالس على باب الصاغة فبعها له فانه لا يعرف الذهب الخالص الا هو فلما رآها اليهودى قال له من أين لك هذا الذهب العظيم فأعطاه فى كل مثقال ستين نصفا وقال هات لى ثانيا من هذا الذهب وأنا أعطيك فى كل مثقال منه سبعين نصفا قال القاضى ثم أخبرنى الناس انه نصاب وان هذا اليهودى الذى يجلس على باب الصاغة ليس هو يهودى حقيقة وانما هو مسلم قليل الدين يلبسه عمامة يهودى ويعطيه خرجا صغيرا على كتفه ويعطيه كل يوم أجرته ثم ان القاضى طلب فلوسه التى أعطاها للنصاب فراحت عليه الى يوم تاريخه * ثم انه يقال لمن يزعم انه يعرف علم الكيمياء انك يا أخى لا تتخلص من التبعة فى الدنيا وفى الآخرة لمن تعامله بدراهم كيميائك الا ان قلت له هذه الدراهم صنعتى بيدى ولعله لا يقبلها منك أبدا خوفا على نفسه من بيت الوالى وأما أنت فقد عرضت نفسك للشنق أو النفى من جهة السلطان فانك ان عملتها وصحت قتلك وان فسدت قتلك (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول كثيرا بتقدير صحة الكيمياء ورواجها فى المعاملة لابد أنها تخرج زغلا ولو على طول ويصير اثمها على من عملها وكذلك اثم العقوبات التى تقع لمن ظهرت على يديه زغلا وذلك لتميز ما خلقه الله عز وجل من المعادن وما عمله ابن آدم من ذلك بالحيل والتركيب انتهى وقد وقع لأخى الشيخ أبى الفضل ان شخصا من أصحابه اشتغل بعلم الكيمياء على طريقة النصابين فزجره وهجره وقال كيمياء الفقراء انما هو أن يعطيهم الله تبارك وتعالى حرف كن ثم ان سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى قال لحجر كان هناك كن ذهبا فصار ذهبا يلمع حتى رآه صاحبه وتحققه ثم قال له كن حجرا فرجع حجرا انتهى هذا لفظ صاحب الواقعة وقد لعب الشيطان بجماعة كثيرة يدعون التصوف والسلوك فأتلفوا ما كان بأيديهم وأيدى أصحابهم من الاموال وصاروا كلهم فقراء من الدنيا يأكلون بدينهم وصلاحهم ومجالسهم فى الذكر خبزا وطعاما وثيابا فكان الذى يأكل بالطبل والمزمار أحسن حالا منهم لانه قد قيل بحل الاكل بالطبل والمزمار فى الجملة ولعل الباب الذى دخل عليهم ابليس منه انه قال لهم انكم اشتهرتم بالصلاح والزهد فى الدنيا وما بقى أحد يظن فيكم الا الصلاح ولو ضربتم الزغل ولا يكمل الفقير الا اذا كان متعففا عن أموال الناس ثم وسوس للنصابين وقال قولوا لهم نحن نعلمكم صنعة تنفقون وتوسعون منها على أنفسكم وجماعتكم فلما خدعهم بذلك أطاعوه كما وقع لجماعة من فقراء الروم والعجم بمصر أيام السلطان الغورى ونفاهم من مصر بعد قطع أيديهم ولعمرى اذا كان المريد فى بداية أمره يجب عليه فى اصطلاح القوم كما كان مذهب أبى ذر رضى الله عنه الزهد فى الدنيا بأسرها والخروج عما بيده منها فكيف يليق بمن يزعم أنه فى مقام الكمال والمشيخة أن يطلب الدنيا بالحرام فضلا عن الحلال ثم انه لا يقدر أحد على عمل الكيمياء الا فى المغاير والجبال والخرائب من الحارات وذلك من أقوى الادلة على

ان هؤلاء يعرفون ان ذلك زغل ولو انهم عرفوا ان ذلك كان صحيحا لعملوه بحضرة الناس
كما يفعل الصائغ فى الصاغة فى الذهب الحقيقى وكما يفعل الاولياء أصحاب الكرامات
رضى الله تعالى عنهم وأين دعوى هؤلاء الصلاح وهم يخافون من الخلق أكثر مما يخافون
من الله عز وجل ويجعلونه كأنه أهون عندهم من بعض عبيده فعلم ان كيمياء القوم انما
كانت عن حرف كن فيجعل الله لاحدهم فى الدنيا بعض ما يعطيه له فى الجنة فان أهل الجنة
يقول أحدهم للشئ كن فيكون فكان تعجيل الله تبارك وتعالى ذلك لأوليائه فى الدنيا تقوية
لايمانهم بما يعطيه لهم فى الجنة وبعضهم أعطاه الله تبارك وتعالى ذلك فلم يتصرف به فى هذه
الدار وادخره للدار الآخرة كالشيخ أبى السعود بن الشبل واضرابه فلا تظن يا أخى أن كيمياء
السلف كانت بشراء حوائج من العطار وانما كانت أبدانهم تتجوهر من كثرة الاعمال الصالحة
حتى يسرى ذلك الى فضلاتهم فاذا بال أحدهم على حديد أو رصاص صار ذهبا خالصا وانقلبت
عينه كما وقع ذلك لبعض مريدى سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه ولمريدى
سيدى يوسف العجمى رضى الله تعالى عنه وشاع بذلك الخبر حتى شاع الخبر ان مريد السيدى
الشيخ أبى الحسن الشاذلى بال على نحو خمسة قناطير من الرصاص فصارت ذهبا حتى بلغ ذلك
السلطان محمد بن قلاوون فنزل لزيارة الشيخ لظنه ان ذلك من الكيمياء على طريقة النصابين فقال
له الشيخ ليس كل من عرف الكيمياء يقدره الله جل وعلا على العمل بها ويأذن له فيها ولا كل من
تجوهر بدنه وفضلاته تمشى له القدرة ذلك فرجع السلطان بالخمسة القناطير هدية من الشيخ له
فاعمل يا أخى على تجوهر بدنك بالاعمال المرضية على وجه الاخلاص حتى تصعد صحيفتك كل يوم
كأنها مضمخة بالند والعنبر ولا يصير لك عمل يكتبه كاتب الشمال أبدا وهناك يصح لك عمل
الكيمياء بارادة الله تبارك وتعالى ويعطيك الله تعالى ما تؤمله من خيرى الدنيا والآخرة ولعلك
اذا فعلت ذلك زهدت فى الدارين دون الله جل وعلا فضلا عن شئ خسيس أمرك الله عز وجل
بالزهد فيه ✱ وقد بلغنا ان شخصا جاء الى سيدى أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وارضاه
فقال له انى اسمع الناس يقولون عنك انك تعرف صنعة الكيمياء وأنت تلتقط القمح وتأكل
فقال نعم ثم أخذ حجرا ورفعه فى الهواء ثم نزل فاذا هو ياقوت أضاء منه المكان ودخل عليه مرة
شخص آخر وقال أريد أعلمك الكيمياء لتنفق منها على اخوانك فقال له الشيخ أبو العباس رحمه
الله تعالى قد صحبنا أقواما اذا قال أحدهم لشجرة أم غيلان أمطرى ذهبا أمطرت فيلتقطه
الناس فمن وصل الى مثل ذلك لا يحتاج الى كيميائك ودخانها (وأخبرنى) الشيخ أمين الدين الامام
بجامع الغمرى رضى الله تعالى عنه ان سبب تسمية سيدى أحمد الزاهد بالزاهد مع ان سائر
الاولياء لابد لهم من الزهد ان بعض الاولياء علمه الكيمياء الصحيحة وقال له خذ بظفرك ترابا من
أى مكان شئت وذره على أى حجر شئت وقل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصير ذهبا ففعل ذلك فصح
له فأمر بالحجر الذهب فأرمى فى بيت الخلاء وأمر الرائى أن لا يعلم بذلك أحدا حتى يموت الشيخ قال
فأصبح الناس كلهم يلقبونه بالزاهد ولم يكن له هذا اللقب قبل تلك الليلة انتهى (وأخبرنى) سيدى
على المرصفى رضى الله عنه ان مغربيا جاء الى سيدى محمد ابن أخت سيدى مدين رضى الله تعالى
عنهما وقال له أريد منك عشرة أنصاف أشترى لك بها حوائج من العطار وأطبخ لك نحو قنطار

من الذهب ننفقه على هؤلاء الفقراء فقال له الشيخ كل جميلتك واشترد لك وادفع ثمنه من عندك
ففعل ودخل الخلوة فما مكث ساعة الا ووجه ذلك المغربى محرق وذهبت لحيته فقال له الشيخ
نحن لا نعمل شيأ يؤدى الى حرق اللحى والوجوه انتهى (قال) سيدى على المرصفى وكان ذلك من
حال سيدى محمد ألقاه عليه حتى ينفر الفقراء عن الميل الى مثل ذلك ولعل المغربى كان يعرف
الكيمياء الصحيحة انتهى ✱ ومما وقع لى مع الشيخ أبى الفضل وكان مشهورا بعمل الكيمياء الصحيحة
انه جاءنى يوما أوائل صحبتى له وقال مرادى أعلمك صنعة الكيمياء الصحيحة وأعملها بحضرتك
فى نحو خمس درج فقلت له ليس لى ميل الى ذلك فقال هذا أولى من أكلك بدينك فان الفقير اذا
لم يكن له كسب دنيوى أكل بدينه لاسيما وهؤلاء الفقراء الذين عندك كلهم محتاجون فقلت له
لا أعمل شيأ من ذلك فقال لى فماذا تصنع اذا احتاج عيالك الى شئ من الدنيا من مأكل أو ملبس
أو نحوهما فقلت له أو قد تحت دكان طباخ ومهما حصل قسمته بينى وبينهم فولى وهو مظهر للغضب
على ثم جاءنى بعد أيام وقال والله ما كنت أريد أن أعلمك شيأ من ذلك ولو طارت الرقاب وانما
امتحنتك قبل صحبتى لك فانى عاهدت أن لا أصحب أحدا يحب الدنيا وقد ملأت عينى منك من
ذلك اليوم فقلت الحمد لله رب العالمين (قال) وقد امتحنت سيدى محمدا الجعفى لما جئت وقلت له
أنا أعرف علم الكيمياء فصار يخدمنى أشد الخدمة فلما عزمت على الرجوع من الحج تبعنى
وقال علمنى ما وعدتنى فقلت له هيهات كيف أعلمك شيأ يشغلك عن الله تعالى فما زال يقسم
على فلا أجيبه ثم قلت له يا شيخ محمد أين شهرتك بالزهد فى الشام ومصر والحجاز والروم وأنت تحب
الدنيا قال فاستغفر وتاب على يدى وكلح منى انتهى فالحمد لله رب العالمين ✱ وأما فتح المطالب
فحكمه حكم الغول والعنقاء يتحدث بذلك ولا يرى له فاعل ثم انه لا يشتغل بحب ذلك عن الله
تعالى الا من مقته الله تعالى وطرده عن بابه مع ان أصحاب الكنوز قد أخذوا العهد على جميع
الخدام الموكلين بها انهم لا يفتحون ذلك المطلب قط لمن تدين بدين الاسلام الا ان كفر بالله تعالى
فان صح أن أحدا انفتح له ذلك المطلب فلا يكون الا بعد كفره بالله تعالى فليختر من يريد أن يفتح
المطلب دينه أو دنياه وبعض الخدام يستهزئ بمن يريد فتح المطلب ويقول له لا نجيبك الى فتحه
الا ان ائتينا بنملة حامل لها أربعة شهور كما وقع للباشا داود لما فتح المطلب بجامع سمانود البحرى
وبعضهم يدهن دبر من يفتح المطلب فيصير يضرط كالطبل العظيم ثم اذا ضحك أحد من الحاضرين
رجع التراب الى محله كما وقع ذلك للسلطان الغورى فى المدينة المسماة بعين شمس بالقرب من
المطرية فان المطالبية لما حفروا وضرطوا وضحكوا رجع التراب الذى حفروه وقالوا للسلطان
احضر معنا حتى تستحى الناس منك فلا يضرطون فحضر فضرط الآخر (وأخبرنى) الامير يوسف
ابن أبى اصبع انهم لما حفروا فى الرمل ظهر لهم باب عظيم كباب زويلة فلما ضرط الناس رجع
الرمل الى موضعه انتهى ووقع لبعضهم انه طلع للوزير على باشا وأخبره بان بناحية سمانود مطلبا
عظيما وانه يفتح اذا ذبحوا عليه قردا وعبدا اسود فاجتمع على ذلك عسكر السلطان فهرب
النصاب ودخل تحت ستر شيخ حتى رجعوا من غير فتح وانما بسطت لك يا أخى الكلام فى هذه
المنة بعض البسط مبالغة فى نصح الاخوان فقد بلغنى ان جماعة من الفقراء وطلبة العلم باعوا
كتبهم وامتعتهم فى طلب عمل الكيمياء وفتح المطالب وكان عاقبتهم الحرمان (وقد) أخبرنى أخى

الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أن أصحاب فن الكيمياء مأخوذ عليهم العهد من أيام جابر أن
لا يذكروا قط تدبيرا كاملا وانما يذكرون منه أركانا وشروطا ويكلون علم ذلك الى العالم بالفن
وجميع ما يذكرونه من الرموز واللغوز وأسماء العقاقير المراد به غير ما يتبادر الى الأذهان وقد
رأيت انسانا رأى فى كتاب يؤخذ دهن القمح الصعيدى وقاف الراء الاحمر وقشور البيض
والنطرون فاستخرج دهن القمح وخلطه على الزنجفر وسحن على ذلك قشور البيض والنطرون
الذى يبيض به الغزل وجعله فى دن ووضع عليه راوية ماء وصار يحرك ذلك بخشبة فأعلمت الشيخ
أفضل الدين بذلك فضحك حتى كادت عمامته تقع (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى
يقول لا يصح علم الكيمياء من طريق علم جابر الا من صار الذهب عنده كالتراب على حد سواء فانه
من علم الحكمة والحكمة لا تدخل قلبا يحب الدنيا انتهى وسمعته رحمه الله تعالى مرة أخرى
يقول كل شئ فى الوجود اذا أضفته الى شئ آخر على مقدار ووزن معلوم يعلمه أهل الكشف
صار حجرا مكرما فالسر انما هو فى معرفة مقدار ما يضاف من كل جزء الى الآخر وذلك يختلف
باختلاف الاعيان قال وربما صح ذلك مع بعض الفقراء بحكم الاتفاق فيطمع فى عيد العمل
ثانيا وينسى تحرير المقدار الذى كان وضعه أولا على الجزء الآخر فيصير يعمل زغلا الى
أن يموت انتهى مع ان أهل هذا الفن لم يزالوا يبخلون بتعليمه للناس فى كل عصر اما لعزته
عندهم واما لخوفهم على من يعلمونه من القتل فانه ان صح معه وعلمه السلطان قتله وان لم يصح
معه قتله أيضا كما مر (وأخبرنى) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى ان الشيخ بدر الدين التوزى
رحمه الله تعالى كان يعرف الصنعة فكان الامراء بمصر يخدمونه الى الغاية ولم يعلم أحدا
منهم وقال هذا أمر يحتاج الى دماغ ثقيل (قال) رضى الله تعالى عنه على أن طلب الدنيا لا يصح
قط من فقير فطم على يد الاشياخ وانما يقع فى ذلك من كان دعيا فى الطريق ليس له فيها أب فاياك
أن ترى أحدا من أهل هذا الفن ينتسب الى أحد من الاشياخ الماضين فتحسب ان شيخه
كان على ذلك الحال انتهى * ولما أنهيت الكلام على هذه المنة دخل على شخص برسالة
فى التنفير عن هذا الامر من كلام أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه فاحببت
اثباتها هنا لكونها من كلام عارف بالله تعالى وبطبائع الكون وكلها نصح * فأقول وبالله
التوفيق قال الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى ومن خطه نقلت اوصى جميع اخوانى من
المسلمين بالزهد فى الدنيا وعدم الاصغاء الى كلام من يزعم من فسقة المتصوفة انه يعرف علم
الكيمياء فانه كاذب وذلك لان جميع العلوم الحاصلة للعبد من عين الجود والمنة لا يحصرها
عقل ولا نقل ولا يمكن لاحد الاطلاع عليها الا من طريق الكشف ومحب الدنيا محجوب
عن مقام الكشف بألف ألف حجاب ثم ان من خصائص من عرف هذا العلم وصح له العمل
به انه لا ينتفع بجسمه بعد ذلك بل تحدث له أمراض تمنعه التلذذ بشئ من الدنيا المزاحمة الملوك
على حطام الدنيا التى أمره الله بالزهد فيها فعلم ان كل من لم يكن عنده كشف وقنع بعبارة مكتوبا
فى الكتب فهو مغرور هالك لان أهل هذا العلم رمزوه برموز لا يعلمها الا هم ومن أطلعه الله
جل وعلا من طريق كشفه على حقيقة العلم وغايته وعلم جملته وتفصيله * وقد استخرج جابر
ابن حيان الكوفى الازدى صاحب علم الحكمة علم الكيمياء والحجر والخواص من قوله تعالى

كهيعص واستخرج من ذلك زبدة علومه ورئيسها وقطبها الذى عليه مدار علم الحكمة
وهو علم الميزان الذى هو علم الوقت وأشبع القول فى ذلك فى كتابه المسمى بالسبعة وذكر فى هذا
الكتاب أصل الميزان وفى بقية كتبه شروط العمل به غيرة على هذا العلم أن يطلع عليه غير أهله
فما أخطأ من أخطأ فى التدبير الا من حيث جهله بالشروط والموازين وظنه أن المراد بتلك
المسميات ظواهرها المعروفة بين الناس فاذا علمتم ذلك أيها الاخوان فأقول بأعلى صوتى
حسب الاذن الكريم من رب العالمين الى جميع عباده المقلين المفلسين اننا ولو أقدرنا كم على
هذا العلم لم نأذن لكم فى العمل به فان العمل به رفع فى سنة أربعين وتسعمائة كما رفع العلم به
من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ولا يجوز الاشتغال بعلم رفع علمه من القلوب مع عدم أمان
فاعله على نفسه وماله وعرضه وكان الملوك أحق به منكم لعدم خوفهم على أنفسهم وغزارة
عقلهم وحسن أدبهم وكمال أخلاقهم وسماحة نفوسهم بما يصرفونه على تحصيله مع أنهم
اشتغلوا بذلك ولم يحصلوا على طائل وبعضهم قتل النصاب عليه لما أيس من معرفته لذلك العلم
لاجل تضييعه ماله قال وقد سألت الله تعالى أن يطلعنى على هذا العلم من غير طريقه المعتاد
فسمعت هاتفا يقول اقرأ انا أنزلناه فى ليلة القدر فقرأتها فعلمت ان هذا العلم قد ارتفع من
القلوب فسررت بذلك فاياكم أيها الاخوان من الاشتغال بذلك ثم اياكم وعليكم بالصبر على
قيامكم فى الصنائع والحرف التى بها معاشكم وأجركم على الله تعالى ثم اعلموا ان علم الحكمة
ينقسم الى ثلاثة أقسام وهى فى الحقيقة مراتب الاقسام (الاول) علم الكيمياء وهو علم
الجمادات على اختلاف مراتبها وأحكامها (الثانى) علم الحجر المكرم وهو على صورة تدبير
أعيان العالم من حال ظهوره الى حال استوائه من غير نظر الى كثرة الصور المتولدة فى العالم
المستحيلة الحكم والبقاء فى الدنيا والآخرة ويحتاج صاحب هذا العلم الى معرفة عين الحجر المكرم
المأخوذ بدليل البراهين القاطعة وذلك بالكشف الثابت الذى لا يدخله محو ولا تغيير فكل من
ادعى معرفته فامتحنه بما يخطر على بالك فان علم ذلك مع اختلافه وتنوعه فهو صادق والا فهو
كاذب (الثالث) علم الخواص الموضوعة فى المفردات بغير واسطة الطبيعة الكلية وصورها
العنصرية المزاجية لعلوه عن العالم باسره اذ هو محل خزانة الملك وموضع أسراره وليس لهذا
العلم دليل عليه من خارج انما يوصل اليه بالعناية الربانية فيطلع الله تعالى من يشاء من عباده
على خاصية كل شئ وحكمها بلسان تسبيحها فتقول سبحان من جعلنى أنفع لكذا وكذا سواء
الجماد والنبات والحيوان اذ ليس فى العالم العنصرى المزاجى غير هذه الثلاثة أنواع * فأما علم
الكيمياء فطريقه معرفة الميزان من غير تدبير حكمى ويحتاج صاحبه الى معرفة الذوات
وتفاصيلها من حيث الحكم والاثر علما يطابق عين الوصف القائم بذلك الجوهر حكما وأثرا فعلا
وانفعالا ثم معرفة علم الدرجات والدقائق بالاعراض الملكوتية فى الجوهر بسبب انحراف
القطر أو نقص شرط أو علة فى المادة مع تمييز الاعراض وحكمها من الاستحالة أو عدمها ثم
يحتاج بعد ذلك أيضا الى علم معرفة الكم المفصل لتلك الاعراض تفصيلا لا يقبل القسمة الواضحة
بالمثال وذلك كله سهل على من أذن له الحق تعالى فيه بل ذلك أسهل مما كلفنا العمل به والايمان
به من جهة الحق تعالى وكتبه ورسله وملائكته وغير ذلك والضابط الجامع لعلم جميع ما تقدم

قوله المسمى بالسبعة فى نسخة بالشبعة حرره

هو النظر فى ثقل بعضها وخفته وصفائه وكدورته ومشابهة أدناها لأعلاها فى الوصف واختلافها عند امتحانها بالنار فى اللين واليبس الى غير ذلك مما هو معلوم للعارفين * ثم ينحصر علم مجموع هذا القسم فى معرفة رتبة أنواع الجمادات باسرها ثم ينقسم ذلك الى قسمين قسم مازجت أرواحها وأنفاسها أجسادا ثابتة الحكم والاثر لا تقبل ذواتها الاستحالة وهو المعادن السبعة أو قابلة للاستحالة ثابتة الحكم والاثر وهو الياقوت والبلخش وأمثال ذلك وقسم لم تمازج الارواح والانفاس منه أجسادا ثابتة الحكم بل هو سريع الاستحالة حكما أو عينا سواء استحال بواسطة أم غيرها كالاملاح والشبوب والبوارق وأمثال ذلك ثم لا يخفى أن الجمادات كلها بأقسامها تحت رتبة واحدة كما يعرف ذلك كل من فى قلبه نور وأن اعلى مافيها وأكمل هو المعادن السبعة وهى المطلوبة لان تغير أوصاف بعضها الى بعض بواسطة عقار أكمل منها رتبة واثرا وليس ذلك ثم ابدا لما ذكرنا من انه ليس فى جنسها أعلى منها وطالب النتيجة والاستحالة من الكباريت والزرانيخ والاملاح وغير ذلك مما هو داخل تحت هذه الرتبة كالطالب لما لا يمكن وجوده ومثاله مثال من حمل جملا على بغلة أو طيرا على جمل وطلب نتيجة صحيحة خالية من المخالفة والمشابهة وكل من ادعى صحة النتيجة فى ذلك وأقام على ذلك برهانا طالبناه بالامتحان بنار التخليص اما رؤية حقا واما تعليقا فانه يفتضح اذ لا يثبت الا ما كان على الميزان الحق الواقع على يدى ادريس عليه الصلاة والسلام كل ذلك حتى لا يدعى أحد مافوق مرتبته فيكذبه ميزان الحق فاقطعوا أطماعكم أيها الاخوان عن كون ذلك يصح لكم فى هذا الزمان فان العمل بعلم الميزان الحق قد رفع أوائل المائة السادسة كما رفعت الطريقة المسماة بالميزان بين أهل عصرنا أوائل المائة الرابعة كما رفع العلم بها فى أوائل المائة السابعة ومابقى مع أحد علم بها غير أهل الكشف الثابت لا غير لانه ليس عارف يظهره الله عز وجل بين العباد الا بعد أن يغمسه فى طباق ظلمات الطبيعة ليشهد فى نفسه التغير والاستحالة قبل شهودها فى الكون ولولا ذلك لما قدر أن يترجم عن شئ باحسن وصفه أبدا * واما علم الحجر المكرم فهو الذى لا يقبل الاستحالة بوجه من الوجوه اذ لو قبل الاستحالة لفسد نظام العالم وحكمت فيه كلمة الاستحالة فكان الجماد ينقلب نباتا والنبات حيوانا والحيوان انسانا ولو لم يكن ثابتا لم يوصف نحو ثلثى العالم بالبقاء وان كان عين ما ثبت هو عين ما استحال وعكسه عند أهل الكشف الناظرين فى المرآة الكبرى من خلف ظهور الاستواء ومن شهد ذلك شهد صورة العدم وعلم ان كل ماسلم من التغير والتبديل هو الحجر المكرم ومن لم يكشف له عن ذلك لا يعرف الحجر المكرم ولو عبد الله جل وعلا عمر نوح عليه السلام * وايضاح ذلك ان تعلم يا أخى أن كل ماخرج بعد الانسان من جميع مادار عليه الفلك السفلى سالما من تأثير النار والماء والهواء والتراب فهو الحجر المكرم لانه لو أقام فى الطبيعة أبد الآبدين ودهر الداهرين لم يتغير عما خلق عليه أول مرة لا صورة ولا صفة ولاذاتا فهو كالكليات المخلوقة للبقاء ومابعد هذا البيان من بيان * واما علم المفردات المؤثرة بالخاصية دون الطبع تأثيرا أعلى وأثبت من تأثير الطبيعة المضادة فى الحكم والمحكوم به أو عليه وهو عام فى الجماد والنبات والحيوان فليس ذلك لاحد الا لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ومن ورثه فى المقام وهم قليلون فى الاولياء لا يكاد يظهر لهم عين وقد أمروا بكتمه الا عن

افراد ولا يدخل هذا القسم رفع ولا تغيير بل هو على حالة واحدة فرد الفرد ولا ينال بالكسب انما هو هبة من الله تبارك وتعالى سالمة من الاسباب والروابط خارج عن علم الحكمة لان موضوعها اقامة الاسباب واثبات الوسايط فى محلاتها اللائقة بها بخلاف علم خواص المفردات لانه أمر خارق للعادة غير معقول فى نفسه ثم لا يخفى أن هذا القسم ليس من علم الحكمة فى شئ وانما ذكرناه هنا لحكمة أطلعنا الله جل وعلا عليها اذ مامن عبد حقته العناية الربانية الا ويصير يقلب عين كل شئ توجه اليه بقلبه كالاكسير الخالص أو المدبر لصورة المعدن الناقص بل يكون كلامه وسائر أحواله حتى بوله وغائطه اكسيرا ثم لا يخفى أن صاحب هذا العلم يحتاج الى ثلاثة امور (الاول) أن يعطى معرفة الحكمة والاثر على وجه لا يقوم الاثر به الا الحكمة فى العدد (الثانى) انه يعطى الحكمة فى معرفة الوقت الذى يتم فيه وجود التأثير (الثالث) أن يعرف الوقت الذى تقوم فيه الحكمة وكذلك المكان المناسب للقوة المؤثرة أو المعين لها وهذه الثلاثة الامور يجهلها غالب العارفين فضلا عن غيرهم لانه ماثم عارف همته مصروفة الى هذا العلم أبدا حتى يعرف شروط صحته ومعلوم ان صدقات الحق تبارك وتعالى لا تعطى الا للمحل القابل لذلك ولو قدر ان عارفا أعطى شيأ من غير قبول محله لم يثبت عنده قال ويقع لبعض العارفين ان الله تعالى يطلعه على صحة هذا العلم ثم يغفل عنه فيفسد عمله ولا يعلم من أين دخل عليه الفساد مع أنه دخل عليه من ذهوله عن كون ذلك من علم التجربة الذى ليس هو من قدرة البشر اذ ليس فى قدرتهم العلم بما تولد من الكواميش المختلفة باختلاف التراكيب والموازين والعقاقير وقد قيل ان هرمس الاول اخطا احدى عشرة مرة مع ان علمه أخذه من طريق الوحى والكشف فكيف بغيره قال الشيخ أفضل الدين وقد سألت الله تبارك وتعالى وانا دون السبع من السنين أن يطلعنى على معرفة هذه الاقسام الثلاثة المتقدمة على وجه لا يبلغه أحد من بعدى فاعطانيه واقمت فى محل الاستعداد للعمل به نحو أربع سنين ثم سألت الله جل وعلا ان يسلبه منى فسلبه فلله الحمد على كل حال قال وصفة تدابير هذه الاقسام الثلاثة مذكورة فى كتب أهل الفن ولكن نذكر لك يا أخى منها طرفا * فاما القسم الاول الذى هو علم الكيمياء فهو ان تعلم ان الله تبارك وتعالى ابتدأ الاشياء فى عالم الارواح ممثلة على الصورة التى ظهرت فى هذا العالم السفلى فكان لها من الحكم ما للارواح ثم ان الحق جل وعلا استنزلها من ذلك العالم كارهة للفرقة فنفرت أرواحها منها واستترت فى باطن أحد العناصر المستديرة تحت فلك القمر لعدم قوة سلطانها فانحبست فيه كارهة ولم تعلم ان العناصر ما توسطت بين العالم الاعلى والاسفل الا لتعطى الخواص المودعة فيها وتسلمها الى الاعيان المستحقة لها لتظهر الآثار على الاعيان ويتم حكم الافتقار جميع العالم فافتقرت الارواح الى أجسادها افتقار عجز وقهر ودخلت فيها دخول مكره خائف من جور ظلمة الكون عليها فأوجب ذلك فيها هنا الخسة وعدم الشرف والثناء وعدم النفع بها حتى صارت فى حد التراب بل أنزل منه وقصرت نفعها على أجسادها الثابتة النفع فى هذا العالم بحسب طاقتها وثبت من ذلك طائفة من الجمادات فلم تستنكف عن هذا العالم بل قامت فيه قياما تاما بحسب ما قيدت به وصارت ناظرة الى عالمها الاول نظر ذل وانكسار فأوجب لها ذلك العز فى الدنيا والشرف الذى استعبد جميع العالم له الا من شاء الله

قوله عن كون ذلك من علم التجربة لعله عن كون ذلك ليس من علم التجربة

تعالى وصارت هذه الجمادات النافعة محبوبة بالطبع مدخرة عند الملوك معظمة عند العارفين بالله تعالى ثم ان الحق جل وعلا استخلص من تلك الطائفة الثابتة جملة أخرى تثبت لما ثبتت له تلك الطائفة لكن من غير التفاتها الى موجدها فاقبلت على ما أمرت به كانها لم تخلق الا له فقامت فى العالم قياما عم نفعها العالم كله وافتقر اليها افتقارا كليا من غير تكبر ولا تمنى حالة اعلى مما هى فيه مع صبرها على النار وعلى ما يراد منها من الآلات الشريفة أو الخسيسة وانقادت لجميع ما فى العالم من صغير وكبير وعالم وجاهل ومؤمن وكافر ولما علم الحق تبارك وتعالى فى سابق علمه صدق ذلك من قبلها استعبد لها خلقه باحتياجهم اليها وهذه هى حقيقة السيادة لان شرط القائم فى الخلق بحق ان يقوم باطعامهم وحفظهم واكرامهم وقبول سؤالهم ومكافأته لمن يأتى بشئ اليه بأكثر مما أتاه به لايطالب احدا منهم بما عجز عنه من تأدية حقه بل يسامحه فى كل ما ادعى العجز عنه وغير ذلك من اخلاق الله عز وجل مع عباده فانه يرزقهم اطاعوه أم عصوه وقد ورد أن الله جل وعلا عاتب خضر موسى عليه الصلاة والسلام فى قتله الغلام وقال له لو أن الغلام مال بقلبه الى طرفة عين لاخذتك به انتهى فاياكم أيها الاخوان بعد أن سمعتم ماذكرناه لكم فى هذا القسم من أحوال الجمادات ان تطلبوا ان تنقلوا جمادا عن رتبته التى خلقه الله جل وعلا عليها الى أعلى منها فان ذلك غير ممكن ولاينالكم منه الا العناء والتعب وربما قتلكم الحكام بسبب ذلك واعلموا أن جميع تدابير هذا القسم يرجع الى معرفة أصول طرق التدبير وهى العلم باحكام المراتب السبعة وطبائعها التى هى الجمادية المعدنية ومعرفة ما يمكن انقلابه الى الرتبة الذهبية أو الفضية بسهولة من غير واسطة أمر آخر او بأدنى شئ من التدابير ومعرفة مالايمكن انقلابه الى ذلك الا بواسطة شئ أو بكثرة علاج فان الذهب قد جعله الله جل وعلا كاملا فى النشأة وجميع الاوصاف فلا يدخل فى تدبير أبدا الا عند أجهل الجاهلين اذ ليس فيه قوة صابغة زائدة على ذاته فيطلب منه صبغ شئ أو الاعانة عليه اذ لو كان فيه قوة زائدة لم تتماسك أجزاؤه على هذه الصورة وأما الزئبق فهو الواسطة فى حفظ الصورة الاكسيرية وحلها الى المعدن الذى هو من جنسه لكن بشرط ثباته الى القوة الحديدية لان الاكسير للطافته يفرق كثائف المعادن اليابسة فضلا عن غيرها مما عدمت فيه الكثافة حتى صار فى حد المياه وحكمها وأما النحاس فليس فيه قوة خالصة توجب فعلا أو انفعالا لانه كالخنثى لا يجتمع الذكور ولا مع الاناث اشبهه بالذهب والفضة والقصدير والرصاص فلا تقربوه قط فى تدبير ولا فى القاء فانه لا يقلب عينه فضة الا اكسير الحجر المكرم أو نبات بالخاصية وغير ذلك لا يكون وأما الرصاص فذكر ثابت لا يقلبه الى الذهب لا صورة اكسير ثابت من الحجر أو غيره لكن مع واسطة ثبات الزئبق وعقده فى الاكسير واستحالته معه كل ذلك لمجانسة الرصاص للذهب وقربه منه وأما القصدير فهو أقرب الجميع الى الفضة لعدم المانع القائم بذاته من كثائف الاخلاط فمن ابتلى بعدم قبول النصح وترك العمل بهذا الامر فلا يقرب غيره واعلموا ان عيبه هو الرخاوة والنتن والخرير والصرير وموجب ذلك عدم طبخ الحرارة وانحلال اليبوسة وممازجتها له فى محل تكوينه فما كان حارا يابسا من المفردات المجففة عن سيلان الادهان أو المياه الحارة المكررة فهو دواءه لو كان العمل صحيحا فى هذا الزمان وقد يخرق الله جل وعلا العادة بصحته لبعض أوليائه وأما الفضة فهى

كاملة النشأة فى ذاتها ورتبتها وهى بالاضافة الى الذهب أقرب من القصدير ناقصة الرزانة والصفرة وعلاج الفضة أقرب من القصدير اليها لكن من غير واسطة معدن آخر لا كما يفعله الجهلة من ادخال النحاس عليها بقصد صبغها ثم يسلبونه عنها فان ذلك يفسد العمل لكثرة عيوبه ويزيد الذهب صلابة وتكسيرا وسوادا فمن أراد عود الذهب سالما من ذلك فليطفئه بالزيت الحار مرارا ان لم يقدر على تكرير السبك سبع مرات فأكثر ولم أعلمكم بذلك الا لكثرة شفقتى عليكم وخوف تلف الذهب الذى تكلفتم شراءه بدينكم وايمانكم ثم ان تدبير هذا القسم ليس فيه تقطير ولا تنكيس ولا طبخ ولا تحليل ومن عمل شيأ من ذلك فهو زغل لان تدبيره لا يزيد على ثلاثة عقاقير غير الواسطة وهى نفس وروح وجسد بميزانها الموضوع من قبل الحق جل وعلا * وأما صفة تدبير الحجر المكرم فهو ان تعلم يا أخى أن المراد من التدبير الفرقة أو الاجتماع أو السلب والنقص فيه لا فى غيره لانه لا يقام حافظا لاجزائه الامن كان خارجا عن حكم الطبائع البسيطة عليه كما مر فمن عرف الآنية عرف المأنى فيها وهذه سنة الله تبارك وتعالى فى ايجاد الكمل من المخلوقات الاترى الى النطفة كيف نرى خروجها وتقلبها فى المحلات المناسبة لها حكما وطبعا أصلا وفرعا فان تدبير هذا العلم محصور فى تدبير الصور الانسانية من خلقها نباتا أولا ثم اطعامها دما ثم تسويتها نطفة جارية ثم انتقالها الى محل أوسع من محلها الاول فصارت علقة ثم صارت بواسطة الغذاء مضغة ثم بواسطة هيجان حرارة المحل لطبخ الطعام والشراب عظاما ثم بواسطة انحصار دم الحيض وطبخه فى المعدة لحما كاسيا للعظم ثم بواسطة أحوال الابوين روحا مجسدا ثم بواسطة القوة النافخة يكون دفعه الى هذا العالم الاوسع ثم بواسطة الحرارة وفراغ المحل اندفع الدم من المعدة الى الثديين وصار لبنا خالصا ثم لا يزال على هذا التدريج حتى يستقر فى الجنة أو النار المناسبين له بالحكم والطبع وحينئذ يأمن كل فريق من افتراقه من محله المخلوق منه * وأما صفة تدبير المفردات فهو ان تعلم يا أخى ان الطريق اليها كالطريق الى علم الافراد المؤثرة فى العالم بالخاصية وذلك من علوم الوهب لا من علوم الكسب وليس الكلام فى ذلك مما أذن الحق تبارك وتعالى لنا فى افشائه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقد خالف قوم فطلبوا ذلك من غير طريق الوهب فخسروا الدنيا والآخرة ونفرت عنهم أصحابهم الذين كانوا يعتقدون فيهم القطبية وصاروا يصفونهم بانهم زغلية نسأل الله عز وجل العافية لنا ولاخواننا من ذلك اه ماذكره أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فى رسالته (وسمعته) مرة يحذر من طلب فتح المطالب ويقول من طلب فتحها فليقرأ كتاب خواص الحروف المرقومة فى اللوح المحفوظ على الملائكة الموكلين بظهور الاحرف وحفظها ثم يقرأ كتاب سر خواص الازمنة على كاتم سر الشمس والقمر ثم يقرأ كتاب خواص العقاقير المناسب روائحها لارواح الجان الموكلين بحفظ المطالب على شيخ مشايخ هذه الطوائف ابليس اللعين ولا تطلبوا فتح المطالب من غير هذه الطرق اه فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) من حين كنت دون البلوغ تساوى التراب والذهب عندى على حد سواء فى عدم الميل اليه زيادة على التراب وقد أقمت فى هذا المقام نحو سنة ثم أطلعنى الله جل وعلا على الحكمة فى ترجيح الذهب على التراب فرجحته على علم منى برتبته لا بحكم الطبع

كأبناء الدنيا وهذا الحال أكمل من الاول فصورتى الآن صورة محب الدنيا والقصد مختلف لانى انما أضع الذهب عندى فى بعض الاوقات أدبا مع الله تبارك وتعالى الذى جعل البيع والشراء به دون غيره فالمراد بالزهد فى الدنيا حيث أطلق شرعا الزهد فى ميل القلب اليها لافى امسا كها من غير ميل فافهم * وقد بلغت بحمد الله عز وجل فى الزهد الى انه لوأمطرت السماء ذهبا وصار الناس يحثون فى أحجارهم ماتحركت الى ذلك خوفا على نفسى من الوقوف للحساب وأما مانقل عن أيوب عليه السلام انه صار يحثو فى ثوبه من الذهب لما أمطرته السماء فهو معصوم من الحساب على مثل ذلك كما اشار اليه قوله تعالى فى حق سليمان عليه الصلاة والسلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فمن أعطاه الله تبارك وتعالى الامان من الحساب فله أن يقتدى به فى ذلك كما وقع للعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد الى أنى لو مررت على تلال الذهب والفضة ماطأطأت رأسى لاخذ دينار واحد أو نصف واحد الا لحاجة فى ذلك اليوم أو لدفعه فى دين كان على ثم اذا أخذت شيأ لا آخذ قط زيادة على قوت يومى * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد الى انه لو دخلت على بغلة محملة ذهبا من مطلب أو غيره فى ليل مثلا لاخرجتها بحملها وأغلقت بابى خوفا من الحساب واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه جبرائيل عليه السلام جبال الذهب والفضة والزمرذ فردها * وكذلك بلغت بحمد الله عز وجل من الزهد انه لو كتب السلطان لكل واحد من الفقراء ألف دينار وكتب اسمى معهم فعارضنى فى ذلك شخص ومسح اسمى وقال هذا لايستحق ذلك لفسقه مثلا لم تتغير منى عليه شعرة بل أنشرح لسعيه فى حرمانى من الدنيا التى أنا غير محتاج اليها * وكذلك بلغت من الزهد بحمد الله تبارك وتعالى انه لو قدر أنى جمعت من الدنيا أردبا من الذهب فسرقه شخص أو أخذه من بين يدى لا تتكدر منى عليه شعرة ثم انى لا أرى ماذكرته مقاما عظيما لانه من أخلاق المريد أول دخوله فى الطريق فلا ينبغى لاحد من أبناء الدنيا استبعاد ذلك على فقير قياسا على نفسه هو ومن كان بهذه الصفة فهو غنى عن عمل الكيمياء والتعب فى حفر المطالب والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من شئ أعطيته على اسم كونى من الصوفية أو على اسم كونى من الصالحين وكذلك لم آكل قط من خبز الخوانق المشروطة للصوفية لان اسم الصوفى عرفا لايطلق الاعلى من كان على قدم الصوفية المذكورين فى رسالة القشيرى وغيرها من الزهد والورع وحفظ الجوارح كلها عن الحرام بحيث يشهد له أهل العقل من العلماء بذلك وأما من تكون له سريرة سيئة لو ظهرت للناس لمقتوه وازدروه فليس له أدبا أن يأكل مما وقف على الصوفية وهذا هو الباب الذى دخل منه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى لما قام عليه صوفية الخانقاه البيبرسية وسعيد السعداء ولكن كان عليه بعض لوم فى طلبه منع المحتاجين من ذلك وانما كان الادب أن يعرض ذلك عليهم فمن شاء تبعه على ذلك ومن شاء أخذ منه وأكل بقدر الحاجة (وقد كان) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى لا يأكل الا من خبز الخانقاه سعيد السعداء ويقول انها عمرت باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان واقفها من الصالحين فى الملوك اه فان كنت يا أخى فى مقام الشيخ زكريا فى التصوف فكل والافالورع

الترك فان الشيخ زكريا والشيخ جلال الدين واضرابهما كانوا من الصوفية بلاشك اذ الصوفى هو كل عالم عمل بعلمه كما مر تقريره أوائل الكتاب وانما امتنع الشيخ عبد الله المنوفى رحمه الله تعالى شيخ الشيخ خليل المالكى من سكنى الخانقاه وقال ان هذه موقوفة على الصوفية وأنا لست بصوفى تواضعا منه والافقد اجمع الخلق على جلالته وعلمه وأنه من أكابر أولياء مصر فاعلم ذلك * ولما خرجت جهات زاويتنا أيام التفتيش لجهة السلطان قال لى جماعة الديوان قد سمح لكم بذلك الباشاه الذى هو نائب السلطان والآن قد صرتم تأكلون حلالا وفرح بذلك المجاورون ولم أفرح أنا بذلك لعلمى بأن الباشاه لولاسمع بى أنى صالح لما أعطانى ذراعا من أرض بعد أن طلع ذلك للسلطان بقرينة ما يفعلون مع من لم يشتهر بصلاح فلاتسأل يا أخى ما أنا فيه الآن بسبب الحذر ان آكل كما قدا كل عيالى من ذلك من حيث انه أكل بالدين الذى هو أعظم اثما من الاكل بامور الدنيا فانتقلنا من الاخف الى الاشق فان لكل مسلم شبهة حق فى بيت المال فله الاكل منه ولاهكذا الاكل بالدين فانه لم يؤذن لاحد فيه فاسأل الله جل وعلا حمايتى واللطف بمن أكل من ذلك من عيالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتى على جميع المسلمين وولاة أمورهم حتى انى ربما أمرض لمرض ولى أمرى وأشفى فى وقت شفائه ومن شفقتى على المسلمين وولاة أمورهم أنى أحوطهم فى كل يوم وليلة بما ورد فى الاخبار والآيات مما يدفع عنهم الآفات المعلقة على ذلك حتى انى أحوط جسورهم أيام زيادة النيل خوفا من انها تنقطع قبل وقتها أو يقطعها العصاة كذلك فيعدم الناس رى أراضيهم أو بعضها وكذلك أحوط زروعهم من الدودة والهياف والفار ونزول المطر الذى يحرق الزرع بعد اشتداد حبه ونحو ذلك الى طلوع الثريا لما ورد مرفوعا اذا طلع النجم يعنى الثريا أمن الزرع من العاهة اه وكذلك احوط زهر الفواكه والخضراوات خوفا من البرد والحر الشديدين لانه يسقط الزهر فيخسر الناس الذين يزنون المال على ذلك معجلا وكذلك احوط من يغفل عن الله عز وجل من رعاع الناس فى مثل يوم خروج المحمل أو خروج الحجاج أو دخولهم أو كسر النيل أيام الوفاء أو دخول نائب جديد البلد أو عمل مولد أو عرس أو نحو ذلك كالتفرج على البهلوان فأحوط جميع هؤلاء واحوط دورهم وحوانيتهم خوفا ان تسرق اللصوص مافيها حال غيبتهم * وقد رأيت فى واقعة وأنا شاب أنى فى أرض من بلور واسعة وعليها سور شاهق نحو السحاب وليس له باب وأنا خلف الشيخ نور الدين الشونى شيخ مجالس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصر وقراها بل وجميع أقطار الاسلام بمقتضى أنه هو أول من وضع صورتها فبينما نحن نمشى اذ نزل من السماء قربة من ماء فى سلسلة من ذهب الى ان وقفت بقدر ما يصلها الفم فقط من القائم فشرب الشيخ نور الدين منها ثم أعطانى الفضلة ثم جاوزته ماشيا وتركته حتى غاب عنى فنزل لى شئ يشبه اللوح وهو فى سلسلة من فضة الى ان وقف بقدر ما يصل اليه الفم كذلك فرأيت فيه ثلاث عيون تنفجر ماء باردا أحلى من السكر ورأيت مكتوبا على العين العليا مستمد هذه العين من حضرة الله تعالى وعلى العين التى تحتها وهى الوسطى مستمد هذه العين من العرش وعلى العين السفلى مستمد هذه العين من الكرسى فألهمنى الله تبارك وتعالى انى أشرب من عين العرش فقصصت ذلك على الشيخ شهاب الدين

الهرامزى الواعظ المعبر فقال لا أعبر لك ذلك الا بدينار فأعطاه الشيخ نور الدين الشونى دينارا فقال لى هذا يتخلق بالرحمة على جميع العالم لان الحق تعالى ماذكر انه استوى على العرش الا باسمه الرحمن اه من ذلك اليوم وانا أرحم جميع الخلق فلكل مخلوق عندى رحمة تناسب حاله من مؤمن وكافر وهذا الخلق من أعظم اخلاق الفقراء ولم أر له فاعلا من اخوانى فى مصر وقراها الا قليلا وغالبهم انما يحمل هم نفسه أو هم من يلوذ به فقط وقد تقدم فى هذه المنن أن مقام تحمل هموم المسلمين ليس هو لكل فقير وانما ذلك لبعض افراد كسيدى ابرهيم المتبولى وسيدى على الخواص وتقدم أيضا ان من علامة من يحمل هم المسلمين ان لا يفطر أيام همومهم ولا يضحك ولا يدخل حماما ولا يبخر له ثيابا ولا غير ذلك بل يكون حاله كحال صاحب المصيبة العظيمة يوم موت أعز أولاده أو اخوانه أو خراب دياره أو عزله من ولايته وتقدم أنى أمرض كثير المرض أصحابى أو لمرض ولى الامر من سلطان أو نائبه ولما مرض السلطان سليمان مرضت أيام مرضه بمثل مرضه وكذلك الباشاه على الوزير فى سنة ستين وتسعمائة فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مدحى لاصولى وفروعى عند من لا يعرفهم الا لغرض صحيح شرعى فقد قالوا من اعتمد على جده فاتته الفضائل وقد رأيت من الفقراء من عايروه بجده وقالوا فلان ليس له أصل فى المشيخة ولا كان أحد من آبائه شيخا وانما أخذ المشيخة باليد فتشوش لذلك وعمل لابيه تابوتا وسترا ليصير له أصل فى المشيخة * ودخلت على بعض المتمشيخين مرة فرأيت أفعاله بعيدة عن أفعال الاولياء وأولادهم الذين يزعم انه أخذ عنهم أو انه منهم فلما استشعر منى ذلك خاف من احتقارى له فصار يقول ما رأيت أحدا فى هذا الزمان على قدم والدى فى العبادة ولا مشايخ الزوايا فانه كان لا يمل من صيام النهار ولا من قيام الليل اشارة الى انه عريق فى المشيخة ثم قال والله انى عجزت ان أفعل مثل فعله يوما واحدا فما قدرت مع أن والده رجل مستور ليس له شهرة بالصلاح مثل ولده المذكور فصار المعتقدون فى ولده هذا يقولون اذا كان سيدى الشيخ ادعى العجز عن عمل والده فوالده أمر عظيم فليتفقد من يمدح والده أو جده نفسه فربما كان ذلك لحظ من حظوظ النفس * ورأيت شخصا من المتمشيخين عمل له مدفنا وقبة عظيمة صرف عليها جملة من المال ورأيت آخر عمل له مدفنا ومقصورة فى حال حياته وبعضهم عمل له مقصورة وتابوتا فانكر عليه أهل حارته وسرقوا ستره بعد موته وكسروا تابوته وقالوا هذا لم يكن شيخا فكيف يحاكى بالمشايخ * وقد أدركت نحوا من مائتى شيخ ما رأيت أحدا منهم اعتنى بشئ من ذلك وانما المعتقدون هم الذين يصنعون له ذلك بعد موته تعظيما له واكراما (وقد كان سيدى) الشيخ نور الدين الشونى المذكور فى النعمة السابقة المدفون بباب زاويتنا يقول كثيرا كم من ضريح يزار وصاحبه فى النار نسأل الله عز وجل العافية فاياك يا أخى ثم اياك من الافتخار بجدودك أو باعمالك فانك لا تعلم ما اليه مصيرك انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تمييزى حظ نفسى من حقوق البارى فاطعم نفسى وأسقيها وألبسها من حيث كونها أمة الله عز وجل لا لما أجده من اللذة والتقوى بذلك مع الغفلة

وكذلك لا أحب أن يعفو الله تعالى عنى مثلا لاجل ما فى ذلك من راحة نفسى وانما أحب العفو من حيث ان الحق جل وعلا أخبر عن نفسه أنه يحبه فلولا محبة الحق تعالى للعفو ما أحببته وان كان فى جزء دقيق يحب العفو من حيث راحة البدن فهو ضعيف جدا وهذا مشهد ما رأيت له ذائقا من أهل عصرى الا قليلا وقد تقدم نظير ذلك فى مواظبتى على الوضوء بالماء البارد فى الشتاء لا أقاسى الالم من البرد حتى اذا طلبت النفس اسباغ الوضوء فى أيام الصيف وتلذذت بالماء البارد قلت لها انما تلذذك الآن بالماء لموافقة حظ نفسك لا امتثالا لامر الشارع صلى الله عليه وسلم لك بالاسباغ وهنالك تندحض حجة نفسى اذا كانت كاذبة فلولا تألمها بالماء أيام الشتاء ما عرفت تميز حظ الشرع من حظ نفسها أيام الصيف فاعمل يا أخى على هذا الخلق ونظائره فان كل شئ لا يكون القصد به محض امتثال أمر الحق جل وعلا فهو مضمحل فقس على هذا الخلق جميع الافعال والاقوال ولا تحب شيأ ولا تبغض شيأ الا تبعا للحق جل وعلا ولا يقدح فى ذلك شوب الباعث عليه بحب دخول الجنة وان كان بمحض الامتثال أكمل فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم بداءتى بالزيارة لمن أعلم منه المكافأة لى خوفا من تكليفه بزيارة نظير البداءة بالهدية لمن أعلم منه المكافأة عليها فان البداءة بالهدية والزيارة ما شرعت بالاصالة الا لتأليف القلوب المتنافرة وأنا بحمد الله تعالى أحب جميع المسلمين ولا أكره أحدا منهم الا بطريق شرعى واضح كالشمس ثم لا أبغض من أخى المسلم الا صفته المذمومة لا ذاته ومتى تاب عن ذلك الفعل المذموم أحببته ذاتا وصفة * وممن أترك كثيرا زيارته من اخوانى مع شدة الاشتياق اليه خوفا من تكليف نفسه بمكافأتى فى الزيارة الاخ الصالح العالم الورع الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى المفتى بجامع الازهر وشارح المنهاج والتنبيه والشيخ الصالح الشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى والشيخ العلامة الشيخ نور الدين الطندتائى نفعنا الله تعالى ببركاتهم فاعلم ذلك واياك أن تحب ترددا أحد من العلماء والصالحين اليك فانك لا تقدر على أن توفيهم حق طريقهم فى المشى اليك فافهم ذلك والله عز وجل يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم نصبى على الناس بايهامهم انى أعرف علم الكيمياء بقصد ائتلاف قلوبهم على حتى أرشدهم الى سلوك طريق القوم كما عليه جماعة ممن برزوا فى هذا الزمان من فقراء العجم بغير اذن من أشياخهم فضلا عن وقوع الاذن لهم من الشارع صلى الله عليه وسلم فان ذلك خروج عن الطريق وضلال للاتباع وقد أجمعوا على ان فساد الانتهاء من فساد الابتداء وربما تمادى الامر بالشيخ فتلف بالكلية وصار زغليا وقد أتلف هذا الباب خلائق لا يحصون وصار أصحابهم يجلبون أولاد المباشرين والتجار والعلماء الى أشياخهم ويقولون لهم شيخنا يقلب الاعيان ويجعل الرصاص ذهبا فيترك الاشتغال بالعلم أو بالتجارة التى بها قوام معاشهم ويصير أحدهم يجعل له عذبة وجبة بيضاء ويطلب من ذلك النصاب ما لا يصح له كالذى يطلب نتاجا من ركوب جمل على بغلة لا تلد فاياك يا أخى أن تفعل مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) الهامى جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار والصلاة على

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتغل بذلك اذا عزب عن علمي ما ورد عن الشارع صلى الله عليه وسلم فى ذلك لاسيما كلما ضاق عمرى أو ضاق زمن قراءة وردى فى الليل أو النهار * فمما ألهمته لما دخلت سنة تسع وخمسين وتسعمائة انى أقول أول ورد الليل بسم الله الرحمن الرحيم على ايمانى واسلامى واحسانى ألف مرة فقلت لملك الالهام فى نفسى لم قدمت لى الايمان على الاسلام ومرتبة الاسلام عند العلماء تكون قبل الايمان فقال لى اعمال الاسلام قد مضى حكمها وأنت فيها طول عمرك ومابقى الا الاعمال القلبية اذ الحكم لها عند طلوع الروح فقلت له فهل أنا من أهل الاحسان فقال نعم وكل مسلم له من مقام الاحسان نصيب كما فى سائر مقامات الاولياء فلا يمكن تجرد مسلم من مقام من المقامات بالكلية وانما الناس لما قرنوا مقام الادنى بمن هو فوقه قالوا فلان ليس عنده خوف من الله أو ليس هو بزاهد فى الدنيا أو ليس هو بخاشع لله ونحو ذلك والحال ان له نصيبا من كل مقام لكن بحسب ما أعطاه الله تعالى اه فقلت له هل يخرج شئ من الدين عن هذه المقامات الثلاثة الذى رقيناها ببسم الله الرحمن الرحيم ألف مرة فقال لا جميع ما يقرب الى الله جل وعلا يرجع الى الاسلام والايمان والاحسان فانها الاهى وتوابعها فمن لقى الله تعالى بواحدة من هذه الثلاثة نجا من شدة العذاب بفضل الله تعالى واما مقام الايقان فليس ذلك مقام عمل * ومما ألهمته فى السنة المذكورة أن أقول ألف مرة اللهم انى أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وان تشغلنى بك فى الدارين على وجه الكشف والشهود دون الحجاب * ومما وقع لى فى السنة المذكورة انه عزب عن علمى جميع ما ورد من أذكار الركوع فلم أستحضر من ذلك سوى قوله صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب وما عرفت بأى صيغة أعظمه فقيل لى قل سبحان من كان جميع ما عرفه الخلق كلهم من عظمته كذرة من البحر المحيط بالنسبة لما جهلوه أو كذرة فى فضاء ليس له سماء ولا أرض * ومما ألهمته حين عزب عن علمى ما ورد من صيغ الاستغفار اللهم ان ذنوبى قد رجحت على ذنوب الاولين والآخرين ولكنها فى جنب عفوك كلا شئ * ومما وقع لى حين عزب عن علمى صيغة الاستغفار لاخوانى المسلمين اللهم انى أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وان تغفر لنا ما مضى وان تحفظنا فيما بقى اللهم ان الاولين والآخرين حطوا رحالهم على ساحل بحر جودك وكرمك ينتظرون فضلك واحسانك فأجزل لنا ولهم المغفرة فان عظم المغفرة تابع لعظمة الذنب اللهم ان الاولين والآخرين من المسلمين قد غرقوا فى بحر جودك وكرمك من حين أخرجتهم من العدم فلا تخرجهم منه أبد الآبدين ودهر الداهرين * ومما وقع لى وأنا طائف بالكعبة حين عزب عن علمى ما ورد من أذكار الطواف فقيل لى قل اللهم انى أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وأن تجعل جميع حركاتى وسكناتى فى حق نفسى وفى حق غيرى سعيدة وكذلك فافعل بجميع اخوانى اه قلت والمراد بملك الالهام ملك مغيب يعلمه العبد ولا يرى له شخصا بخلاف ملك الوحى فان النبى يراه ويسمع صوته كما مر تقريره مرارا فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حين دخلت سنة احدى وستين وتسعمائة ترادف رؤيتى للمشايخ الذين ادركتهم من علماء وصالحين وأمرهم لى بالتهيء للسفر الى الدار الآخرة حتى

صرت لا اتهنى بنوم ولا بأكل ولا بشرب ولا أغسل عمامتى الا بعد أمرهم لى بغسلها من شدة الوسخ فرأيت سيدى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله عنه وقال لى تهيأ للسفر وأكثر من التزود فانك راحل عن قريب ولا تستكثرن لك عملا فى جنب مرضاة الله عز وجل فقلت له فما رأيتم من الله عز وجل فقال كل خير أعطانى الله تعالى مقاما عرفت منه تفاضل اعمال الخلائق فقلت له وما هو قال جعلنى بواب البرزخ فلا يدخل أحد بعمل الى البرزخ الا عرفته وما رأيت فى الاعمال الواردة على أنور ولا أضوء من عمل أصحابنا اه ورأيت الاخ الصالح الشيخ عبد القادر وقال لى تهيأ للسفر فاننا كلنا نموت على رأس الثلاث والستين سنة ورأيت الشيخ الصالح سيدى أبا الحسن الغمرى رضى الله عنه وقال لى قم معى نسافر فأجبته الى السفر ثم أتانى ثانى مرة فقال تهيأ ما أنا أخذك الا فى السفرة الآتية ورأيت والدى سيدى خضرا الذى كفلنى يتيما وقال لى شد مئزرك للسفر واشترلك محزمين كل محزم ثلاثة أذرع وأخبرنى بما وقع له من كرم الله عز وجل وكان كثير القيام فى ليالى الشتاء الطويلة وما رأيت أحدا من هؤلاء الا وحصل لى من قوله رعب فان القدوم على الله تبارك وتعالى شديد على كل الناس فانه ان كان محسنا ندم وخجل من الله جل وعلا الذى لم يبذل طاقته كل البذل فى مرضاته وان كان مسيأ ندم وخجل وصار كالمجرم الذى فسق فى حريم الملك ثم أتوه به بعد سنين ليعاقبه على ما فعل من القبائح والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) نظرى الى الوقت الذى أنا فيه دون الماضى والمستقبل فان الماضى قد ذهب بما فيه من خير او شر وختم على صحيفته والمستقبل لا يدرى العبد ما الله صانع فيه ومابقى الا الحالة الراهنة ولا يخلو العبد فيها من أن يكون مخاطبا فيها باحد ثلاثة أمور اما أمر يمتثله واما نهى يجتنبه واما قدر يرضى به وقد قال القوم الصوفى ابن وقته وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه استفدت من الصوفية طول صحبتى لهم شيئين قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك وقولهم ان لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر اه أى لانها لا تترك نفسها مهملة طرفة عين من حين كلفت والمهتدى من هداه الله تعالى وقال تعالى فألهمها فجورها وتقواها أى ألهمها فجورها لتجتنبه وألهمها تقواها لتعمل بها ثم لا يخفى ان تفكر العبد فيما مضى من سيآته ليستغفر منه لا بأس به للمريدين بخلاف العارفين لان من اشتغل بالماضى ضيع وظيفة الوقت فان على العبد فى كل نفس عبودية يؤديها وصاحب هذا المشهد لا يرى شيأ من عباداته يقضى اذا فات وبه قال بعض المالكية قال لان الوقت اذا ذهب فارغا ختم على صحيفته فارغة فلاى شئ يطلب تفريغ محل ليملأ به محلا آخر والكل مناقش عليه ومحاسب به فلكل دقيقة من الدرج من عمره دائرة ولكل ثانية منها دائرة ولكل درجة دائرة ولكل درجتين دائرة ولكل ساعة دائرة ولكل يوم دائرة ولكل جمعة دائرة ولكل شهر دائرة ولجميع عمر الانسان دائرة فلا يصح دخول عمل دائرة فى دائرة أخرى كما يعرف ذلك أهل الكشف فوالله لقد خلقنا لامر عظيم وما منا أحد وفى بآداب عبوديته ولو ان العبد جعل بقية عمره كله استغفارا لما بقى ربما أنه لا يجبر خلل الذنوب الماضية فضلا عن الآتية فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى لا أنصح أحدا من أصحابى الا بما وردت به السنة ولا

اقرهم قط على بدعة لايعرفون موافقتها للشريعة وهذا من أكبر نعم الله تعالى على خلاف ما أشاعه الحسدة عنى وهم معروفون بين أصحابنا بالحسد حتى ان بعض طلبة العلم استخفى وجلس عندنا بعض أيام وليالى فلم يجد عند أصحابنا شيأ من البدع المنكرة وانما هم على الكتاب والسنة ثم انه ذهب الى مكان هؤلاء الحسدة فرآهم لا أوراد لهم لا صباحا ولا مساء وليس عندهم أحد يقرأ القرآن بل هم ينامون عن صلاة الصبح الى ضحوة النهار وهم غافلون عن الله تعالى فى أكثر أوقاتهم مشغولون ببطونهم وفروجهم وملابسهم ونومهم على الفرش الوطيئة فقال لهم كذبتم والله فيما أضفتم الى فلان وأصحابه فانهم على السنة وأنتم على البدعة فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم ورميتم الناس بحجارتكم اه * وقد كنت كتبت لاصحابى عدة وصايا لايكاد يخرج شئ منها عن ظاهر الكتاب والسنة منها قولى لهم اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ونزهوا ربكم عن كونه تعالى ينساكم بلا رزق ولا تتهموا وصدقوه ولا تشكوا واصبروا على شدائد هذه الدار ولا تجزعوا واثبتوا على ذلك ولا تملوا واسألوا عن اللقمة وفتشوها ولا تسأموا وانتظروا فرج الله لكم عند البلايا ولا تيأسوا وتواخوا على الصفاء ولا تتباغضوا وازهدوا فى الدنيا ولا ترغبوا واجتمعوا على مجالس الخير ولا تفرقوا واسهروا فيها ولا تناموا وطهروا صحائفكم من الذنوب ولا تتدنسوا وتتلطخوا وتزينوا بطاعة ربكم وعن بابه لاتبرحوا وأقبلوا على حضرة ربكم وعنها لاتتولوا وعليكم بالتوبة عقب كل ذنب ولا تسوفوا واعتذروا الى ربكم ولا تغفلوا ويجمع هذه الجملة كلها أن تعملوا بعلمكم خالصا وعن نفوسكم لاترضوا اه فان كان هذا كلام مبتدع فما بقى على وجه الارض أحد من أهل السنة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فرارى فى جميع الشدائد الى الله تعالى قبل جميع الخلق لعلمى بأن بيده ملكوت كل شئ على الكشف والشهود وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان غالب الناس لايرجعون الى الله تبارك وتعالى الا بعد الوقوف على الخلق على اختلاف مراتبهم فاذا وقفوا ولم يجدوا بيدهم قدرة على دفع ما نزل بهم رجعوا حينئذ الى الله عز وجل كما انهم اذا وقعوا فى معصية يشهدونها أولا من نفوسهم فاذا ندموا وذابوا من الخجل تذكروا ان ذلك كان مقدرا عليهم قبل ان يخلقوا انخفف عنهم ذلك البلاء وهذا شأن عامة الناس الذين لم يدخلوا طريق القوم واما ما قلناه أولا فهو خاص بمن دخلها * ومن جملة نعم الله جل وعلا بالمريد أنه يحبسه فى كل مقام حتى يتحقق به ثم ينقله الى أعلى منه وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول لعامة من حضر مجلسه وهو على الكرسى اذا نزلت باحدكم شدة فليتحرك فى دفعها بنفسه أولا فان لم تندفع استعان بغيره من الخلق كارباب المناصب وأبناء الدنيا فان كانت الشدة مرضا فى بدنه فليعرض نفسه على الاطباء من المسلمين فان لم يجد عند أحد من الخلق خلاصا رجع الى ربه عز وجل بالتضرع والدعاء والبكاء قال ومادام أحد لم يجد عند نفسه نصرة فلا حاجة الى الخلق ثم ان رجع الى ربه جل وعلا ولم يجد امارات النصرة استطرح بين يديه بالافتقار والذل والبكاء والتضرع اه فانظر كيف خاطب العامة بالطريق البعيدة لانه لو أرشدهم الى الله ابتداء لم يقدر والغلبة استنادهم الى الخلق دون الخالق وسيأتى فى هذه المنن

أن من أعون شئ على قضاء الحوائج من طريق الخلق ازال الحاجة بمن بصره مقصور على الدنيا وشهواتها من العباد والامراء وغيرهم فاذا سئل أحدهم فى حاجة توجه اليها بكل شعرة فيه لانه محجوب عن أحوال الآخرة بخلاف ازال الحاجة بمن خرق ببصره الى الدار الآخرة حتى رأى ما أعد الله تعالى فيها لمن صبر على الشدائد من الاجر والثواب العظيم فان كل شعرة فيه تصير تطلب دوام ذلك البلاء على ذلك الشخص ليحصل له ذلك الاجر والثواب العظيم فى دار البقاء وليس هذا مطلوب غالب الناس انما قصدهم قضاء حوائجهم فى الدنيا ولو نقص ذلك من درجاتهم فى الآخرة فافهم ذلك قال وقد يقع لبعض الاولياء انه يشتكى بعض المتجبرين للحكام شفقة منه عليه خشية ان يشكوه الى الله تعالى فيهلكه ويصير بعض الناس يعترض ويقول لو كان هذا من أولياء الله تعالى مارفع امره الى الحكام غفلة من المنكر عن مراد الاستاذ والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تربيته تعالى لى فى النوم واليقظة برؤيتى للعبر فى الدنيا فلا يقع بصرى على شئ الا واعتبر به من صبر وضجر وزهد ورغبة وشهود وغفلة وقد قست ليلة فوجدت قساوة فى قلبى لم أعرف لها سببا فقيل لى فى المنام ان أردت حياة قلبك الحياة التى لاموت بعدها فاخرج عن الركون الى الخلق ومت عن هواك وارادتك فهنالك يحييك الله عز وجل حياة لاموت بعدها ويغنيك غنى لافقر بعده ويعطيك عطاء لامنع بعده ويريحك راحة لاتعب بعدها ويعلمك علما لاجهل بعده ويطهرك طهارة لاتدنيس بعدها ويرفع قدرك فى قلوب عباده فلا تحقر بعدها قد ذهبت أيام المحن لك باجمعها وأتت أيام المنن باجمعها وهنالك يتحرك عليك الحساد من كل مكان فعليك بالصبر انتهى فترانى بحمد الله تبارك وتعالى أرى نفسى فى يد القدرة كالطفل الصغير فى يد الظئر أو كالميت فى يد الغاسل أو كالصولجان فى يد الفارس وأصل نظرى للعبر كان على يد والدى الذى كفانى يتيما كان يقول لى ما ثم شئ أبرزه الله تعالى الى هذا الوجود الا وفيه حكمة بالغة وأمرنى يوما بالوقوف على من يقوم الرماح على النار فوقفت فقال لى ما رأيت فقلت ما رأيت شيأ فقال ياولدى أما تنظر أنه لايعرض على النار الا المعوج وأما المستقيم فلا يعرضه على النار فأخذت من ذلك العبرة فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نفرة نفسى من الدنيا وابنائها فلا أتمنى قط أن يكون شئ مما بأيديهم فى يدى ولا ان يكون لى مثل ذلك أبدا وهذا من أكبر نعم الله تعالى على فان غالب الناس ينظر الى ظاهر الدنيا دون ما فى باطنها من السموم القاتلة والاباطيل والخداع والمصايد ولذلك تزاحموا عليها وتحاسدوا وتباغضوا وانقبضوا لفقدها وانشرحوا لوجودها ويعد أحدهم اليوم الذى يقوم فيه من النوم ويجد عند رأسه شكارة فيها عشرة آلاف دينار ذهبا يوم عيد وأنا بحمد الله تبارك وتعالى بالعكس من ذلك فانقبض اذا دخل على شئ من الدنيا فلا انشرح الا ان خرج وقد كان السلف الصالح كلهم على هذا القدم فكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول قد صرت اتقذر الدنيا كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر عليها مخافة ان تصيب ثوبه انتهى (وقد ذقت) بحمد الله عز وجل هذا المقام ولذلك ما أعلم أحدا يكرهنى قط الا حسدا فانى لم يقع لى انى زاحمت أحدا على تدريس علم ولا وظيفة ولا تزوجت له امرأة فى حال حياته ولا غير

ذلك فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من كثرة الاتباع من الرعاع الذين يدعون محبتى وربما يتعصبون بالباطل على اقرانى ويفضلونى عليهم ولا ينتفعون منى بادب يسمعونه أو يرونه وكراهتى الشديدة لاجتماعهم حولى اذا ركبت فى حاجة وفى ذلك عدة مفاسد منها اقامة الحجة عليهم عند الله تعالى بما يسمعونه أو يرونه منى ولا يعملون به (ومنها) ظهور شرفى على اقرانى بذلك عند الناس فان غالب الناس ليس عندهم شيخ عظيم الامن كثرت اتباعه وربما كانت اصبع ذلك الفقير الذى ليس حوله أحد أفضل من ذلك الشخص الكثير الاتباع (ومنها) تعرض من كثرت اتباعه للنفى من بلده بحكم القانون فان بداية الخارجين عن طاعة السلطان الاعظم كان أولها كذلك فيتبع الناس الشيخ فى حجة الوعظ والتسليك فاذا تم انقيادهم له وصاروا يفدونه بارواحهم جاءهم أبو مرة فزين لهم معارضة السلطان فى احكامه فى بلاده وأثاروا الغوغاء حتى ربما قتل أحد من جماعة السلطان فارسل السلطان بنفى ذلك الشيخ من بلاده أو بقتله مع جماعة من بلده كما وقع للشيخ على الكازوانى فى حلب فلذلك كنت أحب لمشايخ العصر كلهم قلة الاتباع واكره لهم كثرتهم خوفا عليهم من حصول الضرر لعدم وجود حال يحميهم من تصريف الولاة فيهم (وقد قالوا) من لم يكن له حال يحميه فليس له التظاهر بالشفاعات عند الولاة ولا معارضتهم فى احكامهم على ان الشيخ الصادق لو فتش اتباعه فى جميع مصر ما وجد فيهم ثلاثة صادقين بدليل انه يلقن الالف نفس مثلا فلا يصح له واحد منهم فى الطريق فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة اعتقادى فى أهل عصرى من العلماء والصوفية ولا أطالبهم قط بكرامة اذ لا يطلب الكرامة الا الشاك فيهم وانا بحمد الله تبارك وتعالى ليس عندى شك فى علمهم ولا صلاحهم (ومعلوم) انه لا يطالب بالكرامة الا من قال لنا أنا صالح فاعتقدونى وأنا ما سمعت أحدا منهم قط يقول لاحد تعال اعتقدنى ولا أنا صالح ولو قدر أن احدا دعا الناس الى اعتقادهم فيه لربما كان يسوغ للمتعنت ان يقول لاحدهم اظهر لى كرامة حتى اعتقدكم لانى بشر وأنتم بشر مثلى وما ثم تمييز الا باظهار الكرامات (وتأمل) يا أخى فى قول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه تجد ذلك القول لم يقع الا من عنده شك فى دينه (وانظر) كيف رد الله تعالى عليهم بقوله قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ولم يبلغنا ان أحدا من المصدقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعنت عليه وطلب منه معجزة أبدا وهذا الخلق غريب فى أكثر اخواننا من الفقهاء سلفا وخلفا فلم يزل الواحد منهم يقول لا اعتقد فلانا الا ان أظهر لى كرامة من المكاشفة بما فى سرى أو من المشى على الماء أو طى الارض أو نحو ذلك وهذه كرامات لا يطلبها الا من عنده شك فى دينه من المبتدئين فى الطريق فيقوى بتلك الكرامة يقينه وأما من يعلم صحة شرعه فلا يحتاج الى نحو ذلك انما كرامته الاستقامة على الشريعة

لاغير فهذه هى أعظم الكرامات كما قاله الجنيد وغيره فمن أراد من الفقهاء ان يصحب أحدا من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر فان رأى أفعاله وأقواله على الكتاب والسنة وعقيدته صحيحة فليصحبه والا فليتركه بعد ان ينصحه وبالجملة فلم يصد ابليس أحدا من الصالحين بمثل الانكار عليهم فترى أحدهم يرى صورة نفسه فى مرآة الصالح فيظن ان تلك الصفات الناقصة صفات الصالح والحال انها صفته هو (وممن أدركناه) من العلماء يعتقد مشايخ عصره من غير مطالبتهم بكرامة الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى والشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى والشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى والشيخ كمال الدين الطويل والشيخ زكريا والشيخ نور الدين بن ناصر والشيخ عبد الحق السنباطى والسيد الشريف بزاوية الحطاب والشيخ شهاب الدين القسطلانى (فرأيت) أحدهم اذا دخل على الفقير الذى لا يصلح ان يكون من طلبته فى العلم يجلس بين يديه كالطفل يلتمس منه الدعاء حتى ان الشيخ ناصر الدين اللقانى قال لى يوما والله ما نصحب مثلكم الا ليأخذ بيدنا فى عرصات القيامة ولم أدخل عليه قط الا ونزل من على فراشه واقسم على بالجلوس عليه ويجلس بين يدى فعلم أن كل من أقام الميزان على فقراء عصره حرم مددهم وربما مقت فلا يفلح بعدها أبدا وكان الفقراء يعتقدون العالم من غير مطالبته بدليل على صلاحه وعمله بعلمه فكذلك ينبغى له كذلك ان يفعل معهم وفى عصرنا هذا جماعة من الصوفية والعلماء العاملين ربما يكون المنكر عليهم لا يصلح تلميذا لهم كسيدى محمد ابن الشيخ أبى الحسن البكرى والشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ناصر الدين الطبلاوى والشيخ زين سبط سيدى على المرصفى وقد عرضت هؤلاء على بعض المنكرين فقال لا اعتقد فى واحد من هؤلاء الاان رأيت له كرامة فقلت له وأى كرامة أعظم من العلم والعمل فلم يرجع الى قولى فتركته (ولعمرى) من يرى مثل سيدى محمد البكرى ويسمع ما يتكلم به من العلوم والاسرار التى تبهر العقول مع صغر سنه ولم يعتقده فهو محروم من مدد أهل العصر كلهم فان سيدى محمدا هذا كسيدى عبد القادر الجيلى فى عصره من حيث الناطقة وعلو المرتبة فأسأل الله تبارك وتعالى ان يلهمنا زيادة الادب مع علماء عصرنا وأوليائه ولا يخالف بنا عن طريقهم آمين والحمد لله رب العالمين وسيأتى بسط هذا الموضع فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تقديم زاوية غيرى على زاويتى اذا شاورنى أحد فى وقف شئ على الفقراء فأقول له زاوية فلان أحق بذلك وأقيم له الدليل على ذلك كما وقع لى مع ابن عمر وابن بغداد لما أرادا ترتيب الخبز فقلت لهما ان جامع الغمرى وزاوية سيدى على المرصفى أحق وكما وقع لى ذلك مع الواقف على زاويتى القاضى عبد القادر القادرى فقلت له ان جامع المغاربة وجامع الميدان أحق ولم أر لهذا الخلق فى مصر فاعلا غيرى وذلك لان كل انسان مأمور بالنصح للامة فليس له أن يقدم نفسه بصدقة الا ان كان احوج اليها ومتى قدم نفسه من غير ان يكون احوج فقد غش وخرج عن الشريعة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) غناى عن التطلع لما فى أيدى الخلائق من المناصب والمطاعم والملابس والنقود وغير ذلك وهذا من أكبر نعم الله تعالى على وربما يدعى بعضهم ذلك

والحال بخلافه فليمتحن المدعى لهذا المقام نفسه فان رأى نفسه تحب التردد عليهم وتكره الانقطاع عنهم وهى طامعة فيما فى ايديهم ان يعطوها منه شيأ فهى كاذبة فى دعوى الفناء عن الخلق وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول من علامة الولى ثلاث الفناء عن الخلق والهوى والارادة مع الله تعالى ثم يقول فعلامة الهوى الاعتماد على الكسب والتعلق بالاسباب وعلامة الفناء عن الارادة أن لا يريد مرادا قط مع الله تبارك وتعالى فيكون مراده مراد الله تعالى وميزان الشريعة بيده لا يرميها من يده فيهلك انتهى وفى الحديث يقول الله عز وجل أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى أى الذين كسرت اراداتهم البشرية وازيلت شهواتهم الطبيعية واستؤنفت لهم ارادات ربانية وشهوات مستعارة اضافية كما قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فاخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك أضيف اليه بعد ان خرج عنه وزال عنه (فعلم) ان الحق تعالى لا يكون عندك الا بعد أن يكسر هواك وارادتك فانه هنالك يجعل لك ارادة وهوى لا اختيار فيه لنفسك كما قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به انتهى فمعنى المنكسرة قلوبهم من أجلى أى صار وامنكسرين القلب دائما تحت قهر ارادتى طوعا منهم لا ينجبر لقلبهم كسر أبدا حتى يلقونى فعليك يا أخى بالقناعة والاشتغال بالله تعالى عن نعيم الدارين فانه هو النعيم المطلوب للاكابر الباقى كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فافهم ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) دوامى على التقشف من اول عمرى الى وقتى هذا الذى هو أواخر عمرى وقل فقير يصح له ذلك لان الغالب بعد مجاهدة الفقير نفسه حصول الرياسة واذا حصلت الرياسة انقاد الخلق الى صاحبها وأتته الدنيا وهنالك يقول له أبو مرة يا طول ما تعبت وسهرت وجعت وعطشت فتندلق النفس على كثرة الاكل والشرب كما قيل فى المثل بدوى مقروح ورأى تمر مطروح وقد عدوا من فسق العارف تبسطه فى المطاعم والملابس والمناكح بعد العرفان وقالوا أيضا ان نور المعرفة لا يطفئ نور الورع وفى بعض الآثار ما وسع الله على عبد دنياه الا نقص ذلك من مقامه فى الآخرة وان كان عند الله كريما وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا أبغض الله عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وجماعة ممن خرج عن هذه القاعدة فيأكلون ويلبسون ويتمتعون بالدنيا ولا ينقص لهم بذلك رأس مال كما يأتى ايضاحه أواخر الكتاب مع ان سيدى عبد القادر كان يقول كلما ارتفع الفقير فى مقام العرفان وجب عليه التفتيش فى مطعمه وملبسه واعماله أكثر لان من عظمت مرتبته كبرت صغيرته وكان رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه اذا اكل أحدكم أو شرب أو لبس فليفتش ولا يغفل وليحذر ولا يركن فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم افشائى ما اطلعنى الله تعالى عليه من طريق الكشف فى مستقبل الزمان من تولية الولاة أو عزلهم أو حصول غلاء أو قحط فلا يكاد أحد يأخذ منى تعيين الوقت الواقع ذلك الامر فيه أدبا مع الله جل وعلا الذى اطلعنى على مثل ذلك وكان

سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول اذا اطلعك الله تعالى على سر فلا تخبر به أحدا فان الله عز وجل كل يوم هو فى شان فى تغيير وتبديل وتحويل وأخبرنا انه يحول بين المرء وقلبه فربما يزيلك عما أخبرت به ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه فتخجل عند من اخبرته بذلك بل احفظ ما أطلعك الله تعالى عليه فى قلبك ولا تعده الى غيرك فان كان الثبات والبقاء علمت انه موهبة من الله عز وجل فتشكره وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تسلقى على مقامات الصالحين وعدم تفعلى فى تحصيلها بالرياضة واستعمال الاسماء الالهية ونحو ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لان فعلى ذلك مع غيرى من الخلق مذموم فكيف بالحق جل وعلا ومن أين للزبال أن يطلع الى السلطان ويقول اجعلنى أميرا عندك مع جهله بآداب الملوك ودنس ثيابه (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقبح الذنوب عند الله تعالى القيام بين يديه فى الاسحار بالتملق والخداع على نية أنه تعالى يعطيه مقاما فوق ما هو فيه وقد قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ فنكر تعالى شيأ فشمل كل شئ من جميع المخلوقات حتى الارادة والهوى والشهوة فانها من خلقه تعالى بيقين فلا يريد ولا يهوى شيأ دون الله تعالى فيكون مشركا وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (قال) السيد عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ليس المراد بالشرك فى هذه الآية عبادة الاصنام فقط وانما المراد ما هو اعم من ذلك من متابعة الهوى وان يختار العبد مع ربه شيأ سواه الا باذنه سوى الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها فان كل ما سواه عز وجل فهو غيره فاذا ركن العبد الى غير الله تبارك وتعالى من مقام أو حال فقد أشرك بالله غيره (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه يقول كان نبينا عليه الصلاة والسلام أكثر عبادة من موسى عليه الصلاة والسلام وأكثر شوقا الى رؤية الله عز وجل بما يتقارب ومع ذلك فلم يقل رب ارنى انظر اليك بل لزم الادب حياء من الله تعالى حتى دعى للرؤية وأرسل له الملك بالبراق هذا وان كان ثم مقام فى الرسالة يقتضى طلب الرؤية فثم مقام رفيع وارفع وذلك أنه قد يكون عرض الملك على عبده الشئ خديعة ليرتب عليه ما سبق فى علمه انتهى (وفى كلام) سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه فى كتابه فتوح الغيب اذا أقامك الله تعالى فى حالة فلا تطلب الانتقال منها الى ما هو اعلى منها أو أدنى بل تربص حتى يكون الحق تعالى هو الذى ينقلك بغير ارادة منك واذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول الى الدار واصبر حتى تدخل اليها بعد تكرر الاذن لك بالدخول واياك أن تقنع بمجرد الاذن لك بالدخول مرة واحدة لجواز أن يكون ذلك مكرا وخديعة من الملك فاذا كان الدخول جبرا محضا وفضلا من الملك فحينئذ لا يعاقبك الملك على الدخول وانما تتطرق العقوبة اليك بشؤم اختيارك وشرهك وقلة صبرك وسوء أدبك وتركك الرضا بحالتك التى أقامك الحق تعالى فيها ثم اذا أدخلك الملك الدار بالاذن فكن مطرقا برأسك غاضا بصرك متأدبا ناظرا ما تؤمر به من الخدمة فتبادر الى ذلك غير طالب للترقى الى الدرجة العليا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية فنهاه عن الالتفات

الى غير الحالة التى هو فيها ثم ان العبد الطالب للانتقال من حال الى حال لايخلو اما أن يكون ذلك الامر قسم له أو قسم لغيره أولم يقسمه الله لاحد بل أوجده الله تعالى فتنة فاما المقسوم فهو واصل الى العبد لامحالة فى الوقت الذى جعله الحق تعالى فيه فلا ينبغى له أن يظهر الشره وسوء الادب فى طلبه وأما المقسوم لغيره فلم يتعب نفسه فيما لاينا له ولايصل اليه وان كان لم يقسم لاحد وانما جعله الله تعالى فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة ويستحسنها فاذن الخير والسلامة فى حفظ الحال ثم اذا رقيت بعد الدار الى الغرفة ثم منها الى السطح فكن كما ذكرنا من الادب والاطراق بل يتضاعف ذلك منك لانك صرت أقرب الى حضرة الملك فاياك وطلب الانتقال الى محل أقرب من ذلك الان أعلمك الملك ان تلك الدرجة أو المقام الذى تطلب الانتقال اليه قد وهبه الحق تعالى لك بعلامات وآيات انتهى كلام سيدى عبد القادر رضى الله تعالى عنه وأرضاه وهو كلام فى غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) وقوع الخوف منى تارة بعد أخرى من الله عز وجل حتى أكاد أهلك ووجود الرجاء منه حتى أكاد لا أخاف وأهل الطريق يسمون ذلك من تجلى الجلال والجمال يعنى الجلال الممزوج بالجمال والافغير الممزوج لايطيقه أحد فى الدنيا وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا تجلى على قلبه الجلال يصير يسمع من صدره أزير كأزيز المرجل فى الصلاة من شدة الخوف ونقل مثل ذلك عن السيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أيضا وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وارضاه فكان يسمع من صدر الخليل صوت كغليان القدر على النار من مسيرة ميل وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش وكان اذا تجلى لقلبه صلى الله عليه وسلم شئ من تجلى الجمال يمتلئ نورا وسرورا وملاطفة وأنسا وكل وارث من أمته صلى الله عليه وسلم له نصيب من هذين التجليين فتجلى الجلال يورث الخوف والقلق والوجل المزعج وتجلى الجمال يورث الانس والسرور وقد عجل الله عز وجل لخواص عباده نصيبا مما جعله لهم فى الجنة من تجلى الجمال رحمة بهم لئلا تتفطر مرائرهم فيهلكوا أو يضعفوا عن القيام بآداب العبودية لما عندهم من شدة الشوق والمحبة فالحمد لله الذى من علينا باقتفاء آثارهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة الاستغفار اذا وافقت نفسى فى هواها المباح خوفا من أن يجرنى ذلك الى مكروه ولعلمى بأن النفس عدوة لله عز وجل فمن أطاعها عصاه الكون كله ومن خالفها وأطاع ربه أطاعه الكون كله لانه كله يرضى لرضا الله جل وعلا ويغضب لغضبه الا من شاء الله ممن لاعبرة به وقد أوحى الله تبارك وتعالى الى داود عليه السلام ياداود كن خصمالى على نفسك فاذا فعلت ذلك حقت موالاتك لى انتهى وقد قال رجل لابى يزيد أوصنى فقال عاد نفسك فان بذلك تصح موالاتك لله وعبوديتك له وتأتيك الاقسام هنيأ مريأ وأنت عزيز مكرم وتخدمك الاشياء وتعظمك لانها بأجمعها تابعة لربها موافقة له ونقل عن أبى يزيد انه قال رأيت ربى فى المنام فقلت له يارب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال قال أبو يزيد فانسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها انتهى والمراد بترك النفس ترك العمل بخواطرها المذمومة فى الشرع فان عرضتها على الشرع فلم يظهر لك موافقة ولامخالفة فتوقف عن العمل

ولاتبادر

ولاتبادر اليه لانك لاتدرى ماعاقبته ومايؤل الامر اليه فيه ولاهل الحق علامات فى كل خاطر يعرفونها بقلوبهم وان خفى ميزانها على غيرهم فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) حفظه تعالى لفرجى عن الفواحش والاحتلام من حين بلغت حد الشهوة الى ان صار عمرى نحو ثلاثين سنة وذلك لانه لم يكن لى وقت اسعى فيه على العيال لاشتغالى بالعلم وقل من يقع له الحفظ عن الفواحش فى مثل هذه المدة فالحمد لله الذى حمانى من ذلك حتى تزوجت فاصبر يا أخى على العزوبة مستندا الى قوة الله تعالى لا الى نفسك فانه لابد للصابر من أحد الشيئين اما بأن يعطيه الله سؤله واما بأن يحول من قلبه شهوة ذلك ثم ان رأيت يا أخى الشهوة غالبة عليك فتزوج ولو بالدين حفظا لنفسك من الوقوع فى الفواحش وان استطعت الصوم كان ذلك أعون لك وافضل من التزوج بالدين وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يأمر العازب بالجوع وتارة يعطيه حبلا يشد به وسطه فمادام وسطه مشدودا به لايحتاج الى نكاح وان قال له الشخص أريد أن لاتنتشر لى جارحة مدة عمرى مسح على ظهره فلا تنتشر له بعد ذلك جارحة وكذلك كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يفعل على ان الشيخ كان لايفعل ذلك الامع من كشف له عنه انه ليس فى صلبه ذرية وقال له رجل مرة أريد أن أتزوج فقال له هل تزوجت فقال نعم وطلقتها فقال حصلت السنة لاتتزوج فقال له فقيه تنهاه عن السنة فقال له الشيخ ماتذكرت الاكونه سنة اما تنظر الى مايقع فيه من أكل الحرام والشبهات ثم قال من أشار على شخص بالتزوج فى هذا الزمان وليس له كسب فكأنه يعلمه خطف عمائم الناس والنصب والحيل والغش وان كان متعبدا أكل بدينه فاعمل يا أخى على تحصيل الكسب من الحلال وتزوج والافعش عزبا والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم اشتغالى بالنعمة عن المنعم سبحانه وتعالى وذلك من أكبر نعم الله عز وجل علىّ فقل من لاتشغله النعمة عن المنعم والمعين لى على ذلك شهودى عدم ملكى لما خولنى الله تعالى فيه من الاطعمة والملابس انما أنا عبد آكل من مال سيدى وأسكن فى داره ولا أتذكر قط انى بنيت دارا وأعجبتنى ولا لبست جوخة وأعجبنى سخافها ولالونها بحيث يشغلنى ذلك عن ربى وفى كلام سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه احذر أن تشتغل بما أعطاك الله من المال عن طاعته فيحجبك بذلك عنه دنيا وأخرى وربما سلبك ذلك المال وأفقرك وغيرك عقوبة لك واعلم انك اذا اشتغلت بطاعته تعالى عن ذلك المال فهو موهبة من الله تعالى لك وليس هو من المال المذموم فيكون المال خادمك وأنت خادم المولى جل وعلا فتعيش فى الدنيا مدللا وفى الآخرة مكرما انتهى فاياك ان تسأل الله تعالى دنيا الامع التفويض الى الله عز وجل لتأمن من الآفات وأما اذا أعطاك الله تعالى شيأ من غير سؤال فذلك مبارك وعاقبته حميدة وليس عليك فيه حساب ان شاء الله تعالى يوم القيامة كما قال به بعضهم لكونه جاء من غير استشراف نفس والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ دائما من صغرى) عدم اختيارى جلب نعمى أو دفع بلوى وذلك لعلمى بنور الايمان وسر الايقان أن النعمى ان كانت قسمت لى فهى واصلة الىّ ولورددتها لاترتد

وكذلك البلوى هى حالة بى لامحالة ان كان الحق تعالى قد قضاها على لاترتد بالرد ومابقى الا الصبر والتجلد لما قدر الله تعالى على العبد وان كانت المدافعة مشروعة ثم بعد ذلك ان حصلت النعمى وجب على العبد الشكر وان حصلت البلوى وجب عليه الصبر واياك أن تطلب رفع الاقدار بالدعاء الاجما ورد واطفئ نار البلوى بماء الصبر و برده فليست نار البلية أعظم من نار جهنم وقد ورد فى الحديث ان جهنم تقول للمؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وايضاح ذلك ان نور المؤمن الذى يطفئ به نار جهنم يوم القيامة هو نوره الذى كان معه فى الدنيا فيطفئ به لهب البلوى مادام فى دار الدنيا ثم لايخفى ان البلية لم تأت العبد فى دار الدنيا لتهلكه وانما اتته لتختبره وتحقق صحة ايمانه عند نفسه وتؤيد قاعدة يقينه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من حين بلغت سن الاربعين سنة عدم شهوة أعضائى للمعصية أو تحديث نفسى بها وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فتسترخى مفاصلى كلها اذا جلست عندى امرأة جميلة معطرة وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول مرارا لايكمل الفقير فى مقام الحفظ من الله تبارك وتعالى حتى يكون سمعه عند الغيبة والفحش كأنه أصم خلق على ذلك وبصره عند رؤية مالايحل له كأنه معصوب أو مرمودا وأكمه مطموس وشفتاه عند القبلة كأنهما مقرحتان كالدمل ولسانه عند الكلمة القبيحة كأن به خرسا واسنانه عند مافيه شبهة من الطعام والشراب كأن بها ضربانا أو بثورا ويداه عند ارادة البطش الغير حق كأن بهما شللا ورجلاه عند المشى لما لايحل كأن بهما رعدة وارتعاشا أو وجعا وفرجه عند الزنا كأن به عنة أو دماملا قرحته فلا يستطيع احدا أن يلمسه وبطنه عند ارادة الشبع من الحلال كأن به امتلاء وارتواء وعقله عند التفكر فيما لايحل له كأنه مخبول مجنون وجملة الامر ان يرى جسده كله عند مالايحل كأنه ميت اه وهذا كله هو معنى قول الجنيد رضى الله تعالى عنه وأرضاه ليكن بدنك حيا عند طاعة الله تعالى وميتا عند معصية الله جل وعلا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من انتظار رزق معين يومى أو جمعى أو شهرى أو سنوى انما يتدئنى الحق جل وعلا بالرزق من غير تطلع الى حصوله اللهم الا ان علمت بالالهام الصحيح انه رزق ليس لاحد فيه نصيب فحينئذ لى أن أطلبه بواسطة و بلا واسطة اذا احتجت اليه تعجيلا لشهودى فضل ربى على متجردا الاعلة أخرى وهذه النعمة من أكبر نعم الله عز وجل على ولايصل العبد لها الا بعد خلوصه من الاعتماد على الخلق والاسباب والحرف والصنائع لان العبد مادام متكلا على الخلق لايستحق عادة ان يبدأه الحق تعالى بفضل ولا نعمة الا استدراجا والعياذ بالله تعالى اذ الخلق حجاب ومادام العبد واقفا مع الخلق راجيا لعطائهم وفضلهم سائلا لهم مترددا الى أبوابهم معرضا عن التوكل على الله تعالى فهو مشرك بالله عز وجل خلقه فى رزقه حتى الناظر والجابى اذا طالبهما بمعلومه بقلبه ولم يشهد ذلك من فضل الله تبارك وتعالى حال المطالبة هو شرك بالله تعالى فى طريق الارتزاق ومثل هذا يستحق ان يعاقب بحرمان الاكل من حيث لايحتسب أو من عمله الحلال كالتجارة بمال حلال أو عمل الحرفة السالمة من الغش ثم اذا تاب العبد من الاعتماد على الكسب وخلص من هذا الشرك استقبله شرك آخر أخفى منه

وهو اطمئنان قلبه الى الكسب الحلال ونسيان ان ذلك من فضل الرب وهنالك ربما عاقبه الله تعالى بحجابه عن شهود فضله وعن البداءة به ثم ان تاب من ذلك وأزال ذلك الشرك من الوسط ورأى الفضل والنعمة من الله تبارك وتعالى وحده من غير شهود الواسطة من قوة أو كسب بأن يرى طريق التكسب لاأثر لها فى تحصيل رزقه و وصوله اليه فهنالك يبدؤه الحق تعالى بالعطايا والمنح وهذا هو رزق المؤمن الكامل الذى يأتيه من حيث لايحتسب وهو معتمد على سبب من الاسباب فيشرك بالله تعالى من حيث لايشعر ثم هذا الامر لايكون الا للخواص عباده لانه تعالى يغار عليهم أن يعتمدوا أو يلتفتوا الاحد سواه الاعن اذنه فيصير رزقهم فى الدنيا كحالهم فى الجنة على حد سواء ليس لاحد من الخلق فيه منة فأسأل الله سبحانه وتعالى من فضله أن يثبتنا على هذا المشهد الى الممات والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) معرفتى له سبحانه وتعالى المعرفة الثابتة التى لاتزلزلها الادلة ويعبر عن ذلك بالوصول الى حضرة الله عز وجل ومعنى ذلك وصول العبد الى حضرة يشهد فيها ان لافاعل الا الله عز وجل ولارازق الا الله تبارك وتعالى ولامحيى ولامميت الا الله جل وعلا وهكذا ويفنى عن شهود الخلق والهوى ولايشهد فى الكون الا أفعاله وخلقه وحده لامشارك له فى ذلك فليس الوصول الى الله جل وعلا مثل الوصول الى خلقه كما قد يتوهمه أصحاب العقول الضعيفة المحجوبة بسبعين ألف حجاب ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فعلم ان كل من ادعى معرفة الله جل وعلا وزلزلته الادلة فهو لم يشم من المعرفة رائحة لانه كل وقت يترك اعتقادا ويعتقد آخر كالمجتهد اذا اظهر له وجه الدليل فى أمر آخر فانه يتركه ولو انه قبل له اثبت على الاول لايقدر والفرق بين معرفة أهل الله عز وجل ومعرفة غيرهم ان جميع تعرفات أهل الله تعالى يرضى بها الله جل وعلا لانها بتعريفه بخلاف تعرفات الافكار لان الافكار لاتقدر ترقى عن الكون أبدا فافهم على ان لكل مخصوص تعريفا على حدة لايشاركه فيه غيره فله تبارك وتعالى مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لايطلع على ذلك أحد غير صاحبه حتى انه قد يكون للمريد سر لايطلع عليه شيخه وللشيخ سر لايطلع عليه غيره * وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا بلغ المريد مقام العرفان هل يستغنى عن شيخه فقال اذا بلغ المريد مقام شيخه أفرد عن شيخه وقطع عنه فيتولاه الحق جل وعلا فيقطعه عن الخلق جميعا ماعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لايمكن رفع واسطته أبدا ويصير الشيخ بعد فطام الحق جل وعلا لهذا المريد كالظئر والداية ويؤيده حديث لارضاع بعد الحولين فقلت له فاذن الشيخ يحتاج اليه مادام عند المريد هوى او ارادة دون الله عز وجل فقال نعم ليكسرهما عنه فاذا كسرهما عنه وزالا فلا كدورة هنالك ولانقصان انتهى ثم من علامة صحة الوصول على ماقررناه وبيناه كون العبد لايصير عنده خوف من الخلق كلهم لامن سلطان جائر ولاحية ولاسبع ولانحو ذلك ولايرى لغير ربه ضرا ولانفعا ولاعطاء ولامنعا بل يصير أبدا آمنا مماسوى ربه ناظرا الى فعل ربه مترقبا لامره مشتغلا بطاعته مباينا لجميع خلقه دنيا وأخرى من حيث ترك اعتماده عليهم دون الله تعالى لايعلق قلبه بأحد منهم فالخلق كلهم عنده كرجل كتفه السلطان وصلبه ثم جلس على كرسى مملكته أو غيره وأمر جميع عبيده أن يضربوا ذلك المكتوف

بالنشاب والرماح فهل يليق بعاقل ان يترك السلطان ويسأل ذلك المصلوب فى حاجة من هو أنجح أو يخافه أو يرجوه لا والله فهكذا الصادقون لا يخشون أحدا الا الله جل وعلا فليفتش من يدعى العرفان نفسه فربما كان يعول على الخلق فى شئ من اموره وقد أنشدوا

وكل يدعون وصال ليلى * وليلى لا تقر لهم بذا كا

فنعوذ بالله من العمى بعد الابصار ومن القطع بعد الوصل ومن الصد وبعد القرب ومن الضلالة بعد الهداية ومن الكفر بعد الايمان انه هو المنعم المنان والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كتمان ما يصيبنى فى باطنى من البلايا والمحن عن الخلق فلا أذكر ذلك لعدو ولا صديق وفى بعض الاوقات يقع الحريق بباطنى حتى يصير الدخان يخرج من انفى ومن فمى مثل دخان الحطب والحلفاء فلا اطلع أحدا منهم على سببه وكثيرا ما يأتونى بالطبيب فلا يعرف أن يشخص لى مرضا وكان على هذا القدم سيدى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله عنه وأرضاه مكث ملقى على ظهره فى مرض الموت سبعا وأربعين يوما حتى انتثر لحم ظهره وصار النمل يدخل فى لحمه طوائف طوائف وما سمعته قط يقول آه ولا سأله أحد كيف حالك الا قال أنا طيب بخير انتهى والرجال لا تظهر مراتبها الا فى الشدائد (واعلم) يا أخى ان قولك أنا طيب أى طيب الاعتقاد مع شدة المرض والالم أو أنت كاذب خير من شكواك من ربك وأنت صادق فكم من نعمة عندك لربك وأنت لا تعرفها وفى الحديث الشريف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تسكن الى أحد من الخلق ولا تستأنس به ولا تطلعه على ما أنت فيه الا من أذن لك فيه شرعا ولكن انسك بالله وسكونك اليه وشكواك منه اليه فانه ليس فى يد أحد سواه ضر ولا نفع ولا جلب ولا دفع ولا عز ولا ذل ولا خفض ولا رفع ولا غير ذلك من سائر الامور الواقعة فى الكون انتهى (فاياك) يا أخى أن تشكو ربك عز وجل وأنت معافى أولك قدرة على تحمل ذلك البلاء بالقوة التى قواك الله تعالى بها فتقول ليس عندى قوة ولا قدرة أو تشكوه لخلقه وعندك نعمة أنعم بها عليك وتقصد بتلك الشكوى الزيادة من النعمة وأنت متعام عما عندك من النعمة والعافية احتقارا لهما فانه تعالى ربما غضب عليك وحقق شكواك وأزال عنك النعمة والعافية وضاعف عليك البلاء وشدده عليك بل مقتك وقلاك واسقطك من عين رعايته فاحذر من الشكوى للخلق جهدك ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض ان أردت أن تكون من أهل هذا المقام والسلام فان أكثر ما ينزل بابن آدم من البلاء من جهة شكواه وكيف يشكوا لعبد من هو أرحم به من والديه فارض بما قدره عليك وتأمل قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم الآية فطوى عن العبد علم حقائق الامور وعواقبها وحجبه عن ذلك فأبقى معه الايمان بأنه أرحم به من أمه فلا ينبغى له ان يسىء الادب فيكره بنفسه ويحب بنفسه بل يجب عليه اتباع الشرع فى جميع ما ينزل به ان كان فى حالة التقوى التى هى المرتبة الاولى كما انه يجب عليه اتباع الامر الالهى ان كان فى مقام الولاية وهو القدم الثانى كما انه يجب عليه الرضا بالفعل ظاهرا وباطنا ان كان فى مقام العرفان فتنح يا أخى عن طريق القدر وخل عن سبيله فان الله تبارك وتعالى أعلم بك وبمصالحك واحمد الله رب العالمين على كل ما أنزله عليك (واعلم) يا أخى أنه لا يطأ بساط الحضرة من

هو متلطخ بالذنوب والسيآت والمعاصى والخطيآت كما لا يدخل حضرة ملوك الدنيا من ثوبه متلوث بالانجاس والنتن والاوساخ فقد يريد ربك بانزاله البلايا والامراض بك أن يطهرك من الانجاس والادناس حتى تصلح لدخول حضرته فانك تدنست بالذنوب بيقين ولا يمكنك دخول الحضرة وأنت متلطخ بالقذر لانها حضرة لا يدخلها الا طيب طاهر مطهر من سائر المخالفات حتى من درن الدعاوى والهوسات (فاياك) ان تتكدر من البلايا والمحن فانها مكفرات مطهرات وتجلد لها يا أخى ولا تضجر كما تتجلد لشرب الدواء الكريه لما تعلم من تنقية باطنك من الطبيعة القذرة المنتنة التى يصعد بخارها الردىء الى رأسك فيصدعه فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى لا أعد أحدا بوعد الا مع التفويض الى الله تبارك وتعالى وطلبى منه ان يعيننى على الوفاء به * وفى وصية سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه اذا كنت ضعيف الايمان واليقين وعدت بوعد فوف بوعدك ولا تخلفه لئلا يذهب ايمانك ويضعف يقينك بخلاف ما اذا قوى يقينك وتمكنت فيه وعلمت رضا الله تعالى عنك بوجود رضاك عنه فى كل أمر قدره عليك فلك حينئذ ان تعد بالوعد لا مانك من الخلف فان الله عز وجل يعامل العبد بحسب ما يعامل العبد به ربه جل وعلا فكن يا أخى ابراهيمى المقام ثم عد فان الحق تبارك وتعالى يعينك على الوفاء ولا يكذبك لانك حينئذ محبوب له وسيأتى ان مما من الله تبارك وتعالى به على عدم الاكل مما وعدت به قبل حضوره لانه قد لا يجىء الا مع استشراف النفس الى حضوره بسرقة الطبع فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل مما فيه شبهة فى الغالب فتقوم نفسى منه فلا أقدر أسيغه وربما تناولته فى بعض الاوقات فلعبت نفسى منه فاتقايا وربما أسهو فآكله أو أشربه ثم اعلم به فاتقاياه قبل ان يجرى فى العروق وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فلم يأذن لنا فى تناول شئ فيه ريبة سواء اجتمع ما فيه ريبة مع ما لا ريبة فيه أم حضر بين يدينا وحده لكن فى صورة الاجتماع يجب علينا الاخذ بالعزيمة وهو الاكل مما لا ريبة فيه وترك ما يريب وأما فى صورة تجرد المريب وحده فالادب الوقف عنه الا فى وقت الضرورة فنأكل منه بقدر الحاجة فقط وان كان عندك يقين وصبر فلا تأكل وقل يا رب انى قد جعت وقد منعتنى عن الاكل من مثل هذا فارزقنى شيأ من الحلال اتبلغ به فانه تعالى يقدر لك ان شاء الله تعالى شيأ تأكله أو يقويك على الجوع حتى تجد الحلال وقد وقع لى مرة انى لم أجد شيأ حلالا آكله فقلت اللهم اجعل لى فى هذا التراب طعما ثم اكلت منه فوجدت له دسما كدسم اللحم واكتفيت به ثلاثة أيام وهذا من قاعدة ارتكاب أخف المفسدتين اذا تعارضتا وذلك لان التراب مضر فى البدن دون الروح والحرام مضر فى كل منهما فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) توالى الآلام على جسدى من منذ عرفنى الناس واعتقدونى فلا انفك من بلاء الا ويعقبه بلاء آخر وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على لان ذلك البلاء ان كان عقوبة على ذنب سلف فهو خير وان كان كفارة له فهو خير وان كان رفع

درجات فهو خير ولا يخلو البلاء عن هذه الثلاثة احوال الا ان يكون اختبارا من الله تبارك وتعالى حتى أعرف مقامى فى الصبر ودعواى المحبة له سبحانه وتعالى فاما أشكر واما استغفر وفى كلام سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه انما كان الحق تعالى يديم على أنبيائه وأوليائه البلايا والمحن ليكونوا دائما بقلوبهم فى حضرته لا يغفلون عنه دائما لانه تعالى يحبهم وهم يحبونه فهم لا يختارون قط الرخاء لان فيه بعدهم عن محبوبهم بخلاف البلاء فانهم يختارونه لانه صفاء لقلوبهم وقيد لنفوسهم يمنعهم من الميل الى غير مطلوبهم فاذا دام عليهم البلاء ذابت أهويتهم وانكسرت قلوبهم فوجدوا الله أقرب اليهم من حبل الوريد كما قال تعالى فى بعض الكتب الالهية أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى يعنى على الكشف منهم والشهود والا فهو تعالى عند كل عبد انكسر قلبه أم لم ينكسر فافهم (واعلم) يا أخى ان البلاء كلما اشتد على العبد كلما قوى القلب واليقين وضعفت النفس والهوى وقرب العبد من حضرة ربه عز وجل كما مر فافرح يا أخى بنزول البلاء لكن مع الاستعانة بالله تعالى عليه خوفا أن يقع منك سخط فتهلك مع الهالكين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رضاى بالدون من كل شئ تحبه النفس من شهوات الدنيا ولذلك لم يقع منى قط منازعة أحد من أهلها فى شئ واستراح بدنى وقلبى من التعب فى تحصيل شئ من امورها فان رزقنى كسرة من الشعير قنعت بها وشكرته عليها وان رزقنى خيشة لبستها وشكرته عليها هذا اساسى الذى بنيت أمرى عليه فكلما جاءنى بعد ذلك من أمر زائد اكثرت من شكر الله تعالى عليه بالاعتراف له بعدم استحقاقى لذلك ولم أزل بحمد الله جل وعلا عندى الثياب والطعام زائدا عن حاجتى فا كل من ذلك والبس واعطى الزائد الفائض عنى لغيرى وهذا الخلق فيه راحة عظيمة ومن لم يتخلق به فلا يزال فى تعب قلب وبدن فى تحصيل رزقه وكلما ترقى فى الرزق لدرجة لاح له أخرى فيتعب فى تحصيلها الى أن يموت ويفوته عمل الآخرة كما هو مشاهد فيمن شابت لحيته وأشرف على معترك المنايا وهو يتاجر ويسافر الى الشام وحلب والروم وبلاد التكرور والغرب ولا يشبع ولا يقنع ولا يبر نفسه بشئ مما يجمعه فضلا عن ان يتصدق به أو يفعل به لغيره خيرا انتهى فافهم ذلك

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قولى فى دين الله عز وجل برأيى فاذا لم أجد فى المسئلة نصا صحيحا من الشارع توقفت عن العمل بها كما مر أوائل الباب الثانى انتهى ولا أقدم عليها الا ان رأيت فيها نصا أو اجماعا أو قياسا جليا (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك ان تقول فى دين الله بهواك فانه يرديك ويظلم عليك قلبك ويسلبك ايمانك ومعرفتك ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك بالاذى حتى شهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك فى الدنيا ويطيل عقابك فى الآخرة انتهى (وايضاح ذلك) ان الله تبارك وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ جميع ما أنزل اليه من ربه فما ترك صلى الله عليه وسلم شيأ مما فيه سعادتنا الا وبينه لنا وما سكت عنه فهو رحمة لنا وتوسعة كما أشار اليه حديث وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها (ومنها) منع بعض العارفين من القياس قال لانه طرد علة وما

يدريه لعل الشارع لم يرد طرد تلك العلة ولو أرادها لأبانها لنا ولو فى حديث انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة شكرى لله تعالى اذا زوى عنى الدنيا وأعطاها لاقرانى وجعل لهم المنزلة والجاه عند الامراء والاغنياء والاكابر وأخمل ذكرى بين الناس وأجاعنى وأعرانى وعترنى وفرق عنى الدنيا ولم يجمع لى شملا بها ثم انى أسأل الله تبارك وتعالى أن يعافى أقرانى من فتنة الدنيا التى أعطاها لهم ومنعنى منها حتى لا أقع فى تمنى السوء لاحد من المسلمين ولو باللازم فافهم ويالهذه من لذة ما أعظمها لو ذاقها من يتقلب فى النعمة الظاهرة ليلا ونهارا لترك جميع ما هو فيه وذلك لان الله تبارك وتعالى بالرأفة عامل جميع أهل البؤس والضراء دون أهل النعمة والعافية ومن حصل على مجالسة الحق تعالى لم يفته شئ من الدنيا والآخرة (وقد كان) سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول لو تعلم الملوك ما نحن فيه لضاربونا عليه بالسيوف وكذلك نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه أنه كان يقول ذلك وايضاح ذلك ان الدنيا انما هى دار عبور لا دار اقامة فليس لعاقل أن يمسك منها الا بقدر زاد الراكب المسافر * وبالجملة فكل مؤمن زوى الله تبارك وتعالى عنه الدنيا فهو عنوان على رضاه تبارك وتعالى عنه فى الدنيا والآخرة وعلامة على طيب أرض ايمانه وشدة طراوتها فلذلك كثر الطل والندى النازل على ورقها ومغرسها فصاحب الايمان الكامل بما وعد الله فى الجنة لا يبنى الا فى الجنة ولا يغرس الا فى الجنة فلا تزال شجرة ايمانه تورق وتثمر وتنمو وهى فى زيادة يتنعم ببؤس الدنيا وجوعها وعطشها وعريها عكس ما عليه أهل الدنيا فلا يزال فى زيادة من الاعمال الصالحة حتى يجهل أهل الدنيا عمله لشدة اخلاصه ومشاهده وعلوم مراقبه وهو الذى يعطى فى الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نظير ما كان يعمل فى دار الدنيا من الاعمال المرضية التى جهل الخلق قدرها من علوم شاهدها ولاحظها وراقبها وأما من أعطاه الله عز وجل الدنيا ووسع عليه فى مطاعمها وملابسها ومناكحها ومراكبها وشغله بها عنه فهو عنوان على أن محل أرض ايمانه بالآخرة وما أعد الله جل وعلا للمؤمنين فيها سبخة خبيثة أو صخر لا يكاد ينبت فيها ماء ولا ينبت فيها شجر فلذلك احتاجت لصب الماء عليها كثيرا ليبس أرضها وهى مع ذلك لا تورق ولا تثمر الا شيأ ضعيفا فلولا كثرة صب الماء عليها لماتت أصلا وجفت أشجارها وانقطعت ثمارها وخربت الدنيا ومعاشها وهو تعالى يريد عمارها فعلم ان شجرة الغنى بالدنيا ضعيفة المنبت سريعة الهلاك وشجرة الفقير الذى يده خالية من الدنيا قوية المنبت باقية ببقاء الله تبارك وتعالى فكانت مداواة الحق تعالى لشجرة الغنى بكثرة صب الماء عليها رحمة به والا فلو يبست وجفت أغصانها وانقطعت ثمرتها ربما كفر أو جحد لقلة صبره وعدم رضاه بالدون فالتحق بالمنافقين والمرتدين والكفار ويؤيد ذلك الحديث ان من عبادى من لا يصلح له الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان من عبادى من لا يصلح له الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله فالحمد لله الذى عافانا من مثل ذلك وأعطانا الرضا منه ولو زوى عنا نعيم الدارين والحمد لله رب العالمين (ومن وصية) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه اياك ان تشره عينك فتتمنى ما ليس لك أنه يكون لك فانه لا يخلو اما أن يكون قسمه الله لك أو لم يقسمه فان كان قسمه لك فهو صائر اليك لا محالة اما

بمشيك اليه واما بمجيئه هو اليك من غير مشى وأما ان لم يكن قسمه الله لك فلا يمكنك الوصول اليه بحيلة من الحيل فاشتغل عن ذلك باحسان الادب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك فى وقتك الحاضر فقد نصحتك وعلمك ببذل طوقك و جهدك فى طاعته معتذرا مفتقرا خاشعا مطرقا غير ناظر الى عوض من دنيا أو أخرى فانك عبد والعبد لا يستحق على خدمة سيده شيأ لانه من حقوق السيد انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايته لقلبى ان تقيم فيه محبة أحد من الخلق الا عن اذنه وقد ضمن الله عز وجل حراسة كل قلب ليس فيه غيره فيعطى ذلك العبد سيف التوحيد والعظمة والجبروت و يجعله بواب قلبه فكل من دنا من ساحة صدره لباب قلبه قطعت رأسه فاذا تمكن العبد فى حراسة قلبه ضربت حول قلبه سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت وأقام الحق جل وعلا دون قلب ذلك العبد حراسا من جنده كيلا يخلص الشيطان أو النفس أو الهوى الى قلبه وحفظه من سائر الدعاوى الكاذبة الناشئة عن النفس والهوى فلا ينقص له رأس مال باقبال الخلق عليه ولا بترادف نعم الدنيا عليه وان تزوج امرأة كانت له عونا على طاعة الله عز وجل وان جاءه ولد كان صالحا لا يحصل له ذل فى طريق معاشه أبدا بل يرزقه الله رزقا واسعا حلالا من حيث لا يحتسب و يأمره الله تعالى بتناوله وأخذه وجمعه ويثيبه على أخذه وانفاقه منه على نفسه وغيره كما يثيبه على فعل الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج (ثم اعلم) يا أخى ان لمن ادعى حب الله عز وجل علامات ان وجدت فيه صدقناه وذلك أن نراه على الشريعة البيضاء النقية لا تلبيس عنده ولا تخليط ولا يشك فيما وعد الله أو وعد به فى الدار الآخرة بل هو صابر على البلاء راض بالقضاء حافظ للحال حامل للذكر ساكن ساكت صامت مطرق رأسه مغمض عينيه عن كل ما يشغله عن الله سبحانه وتعالى حتى يموت فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حث أصحابى كلهم على كثرة ذكر الله عز وجل وتوحيده محبة فى الله تبارك وتعالى ومحبة فيهم فان بذلك يحصل تنظيف القلب مما سواه تعالى من الشهوات التى تحجب العبد عن ربه جل وعلا لان القلب اذا خلا من الشهوات كان بيتا للحب الرب واذا سكن فيه حب الشهوات كان بيتا للنفس والهوى والشيطان والحق تبارك وتعالى غيور لا يحب أن يرى فى قلب عبده المؤمن غيره فاذا خرجت الشهوات من القلب و بقى فيه توحيد الرب وحده صار محلا للمعارف والموارد الغيبية والاسرار والعلوم (وايضاح ذلك) أن القلب لا يسع اثنين قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أى فيشتغل الرجل بشغلين مقصودين فى آن واحد اذ كل قلب لا يتصرف الا لمقصود واحد وان وقع لشخص صورة اشتغال بشغلين كان أحدهما فقط مقصودا لمن حقق النظر كأن اتفق ان شخصا يذكر الله تعالى ويخيط ثوبا فهل يحمل أن الاهم عنده ذكر الله تعالى والخياطة تابعة أو يمشى على حبل ويراعى ميزانه بيده فالمشى هو المقصود حقيقة ومراعاة الميزان انما هى وسيلة لاصلاح المشى وقال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (وقد جرب) جميع أشياخ الطريق رضى الله عنهم سائر العبادات فما وجدوا عملا أسرع

فى تنظيف القلب مما سوى الله من التوحيد فعليكم أيها الاخوان بكثرة ذكركم لربكم لتصيروا من أهل مجالسته فانه لا يصطفى أحدا لحضرته وفيه شهوة من الشهوات أو علة من العلل أو بقية من المجاهدات (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول مرارا لا تطمع أن يفتح لك الباب وقد بقيت فيك بقية من المخالفات أو من محبة الدنيا كما أنه لا يصح لك الخروج من كير السبك وفيك بقية رعونة فاصبر حتى تخلص من الدنس و يعرضوك على الملك وتنظر هل يقبلك ويصطفيك أو يردك و يقصيك انتهى كلامه فافهمه ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) سرورى بالفقر اذا أقبل وخوفى منه اذا أدبر لكن من وجهين مختلفين وذلك أن الفقر من شعار الانبياء والصالحين فيفرح به المؤمن من حيث انه سلك به طريقهم ويحزن ويخاف من حيث الامتحان الذى يقع فيه للعبد فانه ان لم تحفه العناية الربانية والا هلك دينه من حيث لا يشعر (وقد كان) الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول ما فزعت من الفقر قط وذلك لعلمه رضى الله تعالى عنه بأنه محفوظ من آفاته (وأما) سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه فكان يستعيذ بالله من الفقر و يقول لان أجمع عندى أربعين ألف دينار حتى أموت عنها أحب الى من فقر يوم ووقوعى فى سؤال الناس والوقوف على أبوابهم وكان رضى الله عنه يقول انما خاف الاكابر من البلايا والمحن لما يطرق أهلها فيها ثم يقول والله ما أدرى ماذا يقع منى لو ابتليت ببلية من مرض أو فقر فلعلى أكفر ولا أشعر انتهى وهذا من باب الاتهام لنفسه رضى الله تعالى عنه والاحتياط لها والا فاذا لم يكن مثل سفيان الثورى يحمل البلاء فمن يحمله ويؤيد سفيان حديث كاد الفقر أن يكون كفرا فان الله عز وجل اذا ابتلى العبد ببلية ولم يمن عليه بالصبر واخذ فى السؤال والتضرع ولم يكشف ذلك عنه بل أدام عليه المرض والفقر مع قلة الصبر فربما وقع فى السخط وانقطع عنه مدد ايمانه وكفر بالاعتراض على مقدور ربه فيموت كافرا بالله جاحدا لآياته ساخطا على تقديره عليه فيكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة كما أشار اليه حديث وان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة انتهى فافهم ذلك واعمل عليه ترشد فالحمد لله الذى من علينا بالنظر بالعينين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تدبيرى مع الله تعالى اذا نزل بى بلاء ولا أقول لاحد من الخلق ايش أعمل وايش تكون حيلتى بل أصبر تحت ذلك البلاء حتى ينصرف فانه كالسحابة السائرة فاما يسبقنى واما أسبقه وكثيرا ما اسامح نفسى بالمباح فى تدبيرها حال حجابها تنفيسا لها من الحصر وكثيرا ما أضطجع والقى سلاح التجلد والصبر اذا رأيت الحمل قابلا لا لاظهار العجز ولدفع البلاء قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله أى فى ترككم الصبر فلا تصبروا فافهم وسيأتى بسط الكلام على هذا المحل فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه وتعالى وفى بعض الكتب المنزلة يقول الله عز وجل من طلب محبتنا فليصبر على بلائنا فانا لا نحب عبدا الا بعد أن نبتليه و يصبر انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من حين كنت صغيرا أنى لا أبغض أحدا من المسلمين بحكم

الطبع ولا أحبه بحكم الطبع بل أعرض حاله وأعماله على الشريعة فان وجدتها موافقة للكتاب والسنة أحببته فى الله عز وجل وان وجدتها مخالفة لهما أبغضته لله عز وجل فان الله تبارك وتعالى يحب من يعمل على الوفاق ويكره من يعمل على الخلاف (وكان سيدى) الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول اذا وجدت فى قلبك بغض شخص فاعرض اعماله على الكتاب والسنة فان كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك لله ولرسوله وان كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم انك ظالم عاص لله ولرسوله يبغضك اياه فتب الى الله عز وجل من بغضك اياه واسأل الله أن يحببك فى جميع أحبابه لتكون موافقا له عز وجل فى محبته وكذلك افعل فيمن تحبه اعرض أعماله على الكتاب والسنة فان كانت محبوبة فيهما فأحببه وان كانت مبغوضة فيهما فأبغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك لما شرعه الشارع صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا الخلق لم أرله فاعلا من أقرانى الا قليلا ولا يقدر على التخلق به الا من آثر رضا الله عز وجل على رضا نفسه وصار هواه تبعا لما جاءت به الشريعة على أن بغضك لاهل الخير أشد اثما من حبك لاحد من عصاة المؤمنين لاحتمال أن يكون ممن سامحه الله تعالى أو يبدل سيئاته حسنات بالتوبة فالحمد لله رب العالمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من صاحبى اذا فارقنى وعادانى بل آخذ ذلك من الله عز وجل من باب الفضل والمنة لانى أرجو حينئذ أنه تعالى لولا أنه يريد بى الاصطفاء مانفر عنى صديقا ولا أمات لى ولدا ولا ألقى العداوة بينى وبين أحد من المسلمين فانه تعالى غيور لعبده وعلى عبده فانه جل وعلا ما خلق عبده الا له وعبده المحجوب عن ذلك يريد أن يكون لغيره وفى القرآن فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (وفى كلام الجنيد) رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله أن يحب عبدا لم يذر له مالا ولا ولدا وذلك لانه اذا كان له مال أو ولد احبهما فتشعبت محبته لربه وتجزأت وصارت مشتركة بين الله وبين غيره والله عز وجل لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وهو تعالى قاهر غالب لكل شئ فربما أهلك شريكه وأعدمه ليخلص قلب عبده لمحبته تبارك وتعالى وحده ثم اذا تنظف القلب من الشركاء والانداد من الاهل والمال والولد واللذات والشهوات والولايات والرياسات ولم يبق فى القلب ارادة ولا امنية فحينئذ لا يضر القلب ملاحظة الاسباب من المال والولد والاهل والاصحاب لان القلب حينئذ صار كالاناء المنكسر الذى لا يمسك ما يمكث فيه لانه قد انكسر بفعل الله جل وعلا فكلما اجتمعت فيه ارادة لشئ غير الله تعالى كسرها فعل الله فلم يتركها تصل الى القلب بل تكون خارجة والله تعالى لا يغار من شئ يكون خارج القلب بل يعطيه للعبد على وجه الكرامة له بين عباده فيطعم منه الواردين والقاطنين ولا حساب عليه فى الآخرة ان شاء الله تعالى قال الله عز وجل فى مثل ذلك هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب فافهم ذلك واعمل على التخلق به فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من صغرى مخالطة العلماء العاملين مع خوفى من عدم

القيام

القيام بواجب حقهم والبعد عن كل من لا يعمل بعلمه وما امثل نفسى بين يدى العالم العامل الا كأنها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه صلى الله عليه وسلم لو كان فى عصرى لم يرشدنى بغير ما أرشدنى به ذلك العالم الذى هو وارث له وقد قالوا ليس فوق منزلة العالم العامل الا منزلة النبوة فعليك يا أخى بمجالسة كل من رأيته يعمل بعلمه واياك ان تخالفه أو تنافره أو تجانبه أو تعاديه فان السلامة فيما يقوله من النصح وفى مخالفته الضلال والهلاك (واعلم) يا أخى ان النفس من شأنها انها تحب الاطلاق والسراح وتكره التحجير عليها ولو من الشارع صلى الله عليه وسلم وقل من الناس من نفسه تحب التحجير من الشارع وايثاره على هواها وتأمل يا اخى ما يقع لك من الملل اذا أكثرت من الصلاة والوقوف بين يديه تبارك وتعالى أو ما يحصل منك من المزاحمة على الدنيا ورياستها وجاهها أو نومك على طراحة فى الثلث الاخير من الليل تجد نفسك بالضد مما ذكرنا فقد آثرت هواها على ما يرضى ربها فالعاقل من فتش نفسه وجاهدها حتى صار هواها هو ما يرضى ربها سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صبرى على جفاء من دعوتهم الى خير فأبوا ولم يمتثلوا واحسانى اليهم مع ذلك بالكلام الحلو فى وجوههم وفى غيبتهم لمن يبلغهم فان العامى المقصر فى التعلم لا لسان له ولا قلب بل هو غالبا من حثالة الناس الذين لا ميزان لهم فمن طلب من مثل هذا استقامة القول والعمل من غير علاج فلا يجاب الا ان حفت العناية الربانية ذلك العامى فكان من أهل هذه الخصوصية وقليل ماهم وهو حين ذاك ليس من العوام المقصرين بل هو من ثالث الاقسام الآتية * وقد قسم بعض العارفين الناس الى أربعة رجال (أحدهم) هذا العامى المقصر وهو لا يستقيم الا بالعلاج والمبارقة شيأ فشيأ لعدم استقامة قلبه ولسانه (الثانى) من له لسان ولا قلب له كالذى ينطق بالحكمة ولا يعمل بها ويدعو الناس الى الله جل وعلا ويفر هو منه ويستقبح عيب غيره ويفعل هو ما هو أعظم فى العيب ويظهر للناس النسك والعبادة ويبارز ربه بالعظائم اذا خلا به ذئب من الذئاب ولكن عليه ثياب وهذا هو الذى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان جاهل القلب فمثل هذا ابعد عنه يا أخى وهرول لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار معاصيه ويقتلك بنتن باطنه وقلبه اللهم الا ان تكون آمنا من وقوعك فيما يقع فيه وقصدت بالقرب منه نصحه فمثل هذا لا يضرك القرب منه بل ينفعك وهذا الامر الذى ذكرناه واقع كثيرا لمن برزوا للوعظ فى هذا الزمان حتى ان بعض الناس يحضرون مجلسه وكلما يعظهم بأمر يقولون له قل هذا لنفسك (الرجل الثالث) من كان له قلب من غير لسان وهو المؤمن الكامل الذى ستره الله تعالى عن غالب الخلق وأسبل عليه كنفه وبصره بعيوب نفسه وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والمنطق فهذا رجل من أولياء الله تعالى ستره الله عز وجل وحفظه من الآفات وأعطاه العقل الوافر فدونك يا أخى ومصاحبة هذا ومخالطته وخدمته لتسرق من صفاته الحسنة فتصير مثله ولا أعلم فى مصر الآن من اخوانى على هذا القدم الا قليلا كالشيخ كمال الدين بن الموقع والشيخ شمس الدين البرهمتوشى الحنفى والشيخ سليمان الحانوتى والشيخ ابراهيم بجامع الملك خارج الحسينية كثر الله تعالى فى هذه الامة من أمثالهم (الرجل الرابع) من كان له

لسان وقلب وهو العالم العامل المتقدم ذكره المتصدر لارشاد الامة وهدايتها نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشرنا اليه فى النعمة قبله ومثل هذا يجب القرب منه ومخالطته وخدمته والاخذ عنه والتخلق بأخلاقه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم سخطى على مقدورات ربى عز وجل اذا نزل بى ما أكره وعدم اعتراضى عليه أو اتهامى له اذا أبطأ عنى الوصول الى رزقى أو أخر عنى كشف كربى وذلك لعلمى يقينا بأن لكل اجل كتاب ولكل بلية نهاية ومنتهى ونفاد لا يتقدم شئ من ذلك ولا يتأخر وأوقات البلايا لا تنقلب عافية وأوقات البؤس لا تنقلب نعمة وأوقات الفقر لا تنقلب غنى وان عجزت عن الوصول الى مقام الرضا بالقضاء صبرت وانتظرت الفرج الى أن يبلغ الكتاب أجله فتسفر تلك الحالة عن ضدها كما تنقضى الليلة فتسفر عن النهار فمن طلب ظلمة العشاء فى النهار أو نور النهار فى الليل فقد جهل ولم يعط ما طلب لانه طلب الشئ فى غير وقته وحينه وقد مدح الله عز وجل الصابرين بقوله جل وعلا ان الله مع الصابرين أى بنصرهم وتثبيتهم جزاء لما نصروا الله تبارك وتعالى به على أنفسهم وهواهم قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فكل من نصر الله تعالى هكذا كان الله تبارك وتعالى له ناصرا ومعينا فكن يا أخى خصما على نفسك على الدوام ينصرك الله عز وجل على الدوام وان كنت خصما لها فى بعض الاوقات نصرك فى بعض الاوقات ففتش نفسك فان الله سبحانه وتعالى يعامل عبده بحسب ما برز منه جزاء وفاقا فاعمل على ذلك الخلق ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) من صغرى الى وقتى هذا انه لم يجعل الدنيا أكبر همى فلا أصبح وامسى قط وأنا مهتم بشئ من أمرها بل جعلت الآخرة رأس مالى وجعلت الالتفات الى ما احتاج الى الاقتيات به فى الدنيا كالربح فأصرف زمانى اول ما أصبح فى أمر الآخرة من علم أو ذكر أو غيرهما ثم ان فضل بعد ذلك من زمانى شئ صرفته فى طلب معاشى الذى أمرنى الحق سبحانه وتعالى به وهذا الخلق عزيز فى أبناء الدنيا بل حالهم بالعكس مما ذكرنا فجعلوا دنياهم رأس مالهم وآخرتهم ربحهم فان فضل عن طلب دنياهم زمان جعلوه لآخرتهم والا فاتهم عمل الآخرة بالكلية * وفى الحديث ان الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا وايضاح ذلك ان اعمال الآخرة كلها يحبها الله عز وجل واذا أحب الله عز وجل عبدا أحبه الوجود الصامت كله وغالب الناطق اذ الخلق كلهم تبع للخالق الا من حقت عليه الشقاوة كمن يكره الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الاولياء ومن جملة الصامت الدنيا فهى تسعى خلف الزاهد فيها الراغب فى الآخرة ولو انه تركها لسعت خلفه خادمة له وحكم الراغب فى الدنيا بالعكس وهو هروب الآخرة منه لان الله تبارك وتعالى يغضب على محب الدنيا ومن غضب عليه الرب تعاصت الدنيا عليه وتعسرت وأتعبته فى تحصيل ما قسم له منها الا انها ما لم تكرمه الله تهين من عصاه وتكرم من أطاعه ومن يهن الله فما له من مكرم فاعمل على ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ملاطفتى لمن رأيت عنده حسد الاخيه المسلم وضربى له الامثال لعله يتوب من خفة العقل وهذا الداء قد كثر فى غالب الناس اليوم فترى أحدهم يحسد

جاره على مطعمه أو مشربه أو ملبسه أو منكحه أو مسكنه أو على الكل وغاب عن هذا ان ذلك مما يضعف ايمانه ويزيده مقتا من الله عز وجل ثم ليتأمل الحاسد فى الوجه الذى يحسده عليه فانه لا يخلو أن يكون الحسد واقعا على قسم المحسود أو على قسم الحاسد فان كان على قسم المحسود الذى قسمه الله تعالى له فى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فقد ظلمه بذلك الحسد فانه رجل يتقلب فى نعمة مولاه عز وجل التى تفضل بها عليه وقدرها له من غير تفعل منه ولم يجعل لاحد فيها نصيبا فاوجه حسده وان كان حسدك يا أخى له على اعطائه قسمك الذى قسمه الله تعالى لك فهذا لا يصح قط فان قسمك لا يعطى لغيرك ولا ينقل منك اليه أبدا فقد جهلت يا أخى بهذا الحسد غاية الجهل وظلمت أخاك به غاية الظلم وسيأتى بسط هذا الخلق فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) الاطلاع على بعض المنعمين والمعذبين فى قبورهم ثم حجب ذلك عنى رحمة بى فان صاحب هذا الحال يموت فى اليوم والليلة موتات كما أشار اليه حديث لولا ان تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر وهذا أمر لا يحصل للعبد الا بعد غلبة روحانيته على جثمانيته حتى يكون كالروحانيين والا يخاف عليه افشاء الاسرار * وفى كلام الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه لا تطمع ان تدخل فى زمرة الروحانيين وتسمع ما يسمعونه من الاسرار الا ان عاديت جميع جوارحك وتفردت عن وجودك حتى صرت فى مثل الحالة التى كنت عليها قبل نفخ الروح فيك لان جميع ما حصل بعد نفخ الروح هو حجاب لك عن ربك فان أردت الاطلاع على ما ذكرناه فتجرد حتى تصير روحا منفردة سر السر وغيب الغيب والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم امنى من مكر الله عز وجل بى فى ساعة من ليل أو نهار فانه تعالى لا يدخل تحت التحجير وله حضرة تسمى حضرة الاطلاق يفعل فيها ما يشاء كما ان له حضرة تسمى حضرة التقييد لا يخلف فيها الميعاد قال الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وقد يقرب الله تعالى عبده المؤمن ويجتبيه ويفتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والانعام فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من مطالعة الغيوب فى ملكوت السموات والارض ومن تقريب وكلام لطيف ووعد جميل ودلال واجابة دعاء وتصديق وعد ووفائه وكلمات حكمة تفاض على قلبه قذفا من بعد فتظهر على لسانه ويسبغ عليه مع ذلك نعما ظاهرة على جسده وجوارحه فى المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود وكثرة العبادات الظاهرة ويديم جميع ذلك على هذا العبد برهة من الزمان حتى اذا اطمأن الى ذلك واغتر به وظن دوامه فتح عليه جملة من أبواب البلايا والمحن فى النفس والمال والاهل والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان فيه من النعيم قبل ذلك فيبقى متحيرا حسيرا منكسرا مقطوعا به ان نظر الى ظاهره رأى ما يسوءه وان نظر الى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه وان سأل الله تبارك وتعالى كشف ما به من الضر لم ير اجابة وان طلب وعدا جميلا لم يجده سريعا وان وعد بشئ لم يصل اليه وان رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها وان رام الرجوع الى الخلق لم يجد الى ذلك سبيلا وان عمل برخصة تسارعت اليه العقوبات وتسلطت

أيدى الخلائق على جسمه وألسنتهم على عرضه وان طلب الاقالة مما دخل فيه والرجوع الى الحالة الاولى التى كانت له قبل التقريب لم يقل وان طلب الرضا والتنعم بما هو فيه من البلاء لم يعط وحينئذ تأخذ النفس فى الذوبان والهوى فى الزوال والامانى والارادات فى الرحيل والاكوان كلها فى التلاشى ويدام عليه ذلك مدة حتى تفنى جميع أوصافه البشرية فاذا صار روحا مجردا وتعطف الحق تبارك وتعالى عليه يسمع النداء فى باطنه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب كما قيل لايوب عليه السلام وحينئذ فيمطر الله تبارك وتعالى على قلبه ماء رحمته ورأفته ولطفه ومنته ويزيل عنه سائر البلاء ويطلق السنة العباد بمدحه والثناء عليه ويذل له الرقاب ويسخر له الملوك والارباب ويسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة فكن يا أخى على حذر اذا نزل بك بلاء واسأل الله تعالى السلامة من فتنته فانه لابد لمن يريد الله تبارك وتعالى اجتباءهم واصطفاءهم من تجربتهم بالبلاء قبل ذلك ليصفيهم به من خبث الهوى والميل الى الخلق والسكون اليهم والفرح باقبالهم عليه فما برح العبد عن البلاء فى حال النعمة وفى حال النقمة فافهم ذلك واعمل على التخلق به وسيأتى بسط ذلك فى مواضع ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم التمادى فى استحسان شئ من أفعال نفسى وأقوالها وجميع أحوالها العلى بعجزها عن الوفاء بحقوق ربها عز وجل وعن الوفاء بما كلفت به ولو قدر ان معونة الله تبارك وتعالى صاحبتنى ففوق ذلك المقام مقامات لا تحصى * وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول للنفس حالتان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فان كانت فى بلاء فمن لازمها غالبا الجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق تعالى من غير صبر ولا رضا ولا موافقة بل محض سوء أدب وشرك بالخلق والاسباب وان كانت فى عافية ونعمة فمن لازمها غالبا الاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما نالت شهوة تبعت اخرى وازدرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومسكون ومنكوح ومركوب وتظهر فى كل نعمة من هذه النعم عيوبا ونقصا وتطلب أعلى منها مما لم يقسم لها وتقول ان مثل هذه النعمة لا تكفينى ولا تعفنى وتطلب ما لم يقسم لها كلما تعطى ما طلبت فتوقع صاحبها فى تعب طويل لا غاية له فى الدنيا ولا منتهى * وقد قالوا من أشد العذاب على النفس طلبها ما لم يقسم لها * واعلم يا أخى ان من شأن النفس انها اذا كانت فى بلاء لا تتمنى سوى انكشافه عنها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة فاذا عوفيت وشفيت من ذلك رجعت الى رعونتها واشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها جل وعلا وانهماكها فى معاصيه وتنسى كل ما كانت فيه من البلاء فربما تعاقب فترد الى أشر ما كانت فيه من البلاء والضر عقوبة لها وذلك من رحمة الله عز وجل بها ليفطمها بذلك ويكفها به عن المعاصى فى المستقبل لانها لا تصلح لها العافية والنعمة فكان البلاء والبؤس أولى بها ولو انها كانت تابت وندمت ولم ترجع الى نقائصها ورذائلها لحماها الله تعالى من العقوبات دنيا وأخرى لكنها جهلت ولم تعلم كل ما فيه صلاحها وذلك لان الله تبارك وتعالى قد طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به وأعطاهم بدل ذلك ميزان الشريعة فما كان من محمود فهو من المصالح وما كان من مذموم فهو من المفاسد فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الحاجة الى سؤال الناس طول عمرى الى وقتى هذا وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على فلم يحوجنى تعالى قط الى كتابة قصة فى طلب وظيفة أو غيرها بل لم يزل يرزقنى ما يستضر ورتى من غير سؤال (وقد قال) أهل الحق رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ما سأل أحد الناس الا لجهله بالله عز وجل وضعف ايمانه ويقينه وقلة صبره وما تعفف متعفف الا لوفور علمه بالله عز وجل وقوة ايمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه جل وعلا وكثرة حيائه منه انتهى ثم ان كان العبد ولا بد سائلا فليسأل الله عز وجل كما أشار اليه حديث اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فان اجابه فذاك وان أبطأت عنه الاجابة يعنى قضاء الحاجة فلا ينبغى له أن يتكدر لذلك بل الواجب عليه ان يفرح بذلك لان الله عز وجل انما لم يستجب لعبده فى كل ما سأل لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك ويترك فعل الاوامر ويقع فى المناهى فكان عدم استجابة دعائه رحمة به لان خوف المؤمن ورجاءه كجناحى الطائر لا يتم الايمان الا بهما مع أن العارف لا يسأل ربه قط فى شئ الا ان علم أنه مأمور بذلك فلا يزيده السؤال الا قربا وأدبا كما لو سأل الزيادة من العلم والصلاة والصوم ونحو ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طمأنينة نفسى الى دوام النعمة على لعدم استحقاقى لها ولشهودى التحويل والتغيير فى غيرى ليلا ونهارا فلا يخلو صاحب النعمة قط من حصول ما ينغص عليه عيشه اما عاجلا واما آجلا من الامراض والاوجاع والمصائب فى النفس والمال والولد والاهل والاصحاب وهذه الامور لا تفارقنى بحمد الله عز وجل الا قليلا ثم اذا حصل للعبد تنغيص العيش حجبته الحالة التى هو فيها عن تذكر شئ من النعيم السابق ولذلك قال تعالى فى حق من قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون لانهم ما قالوا ذلك الا بلسان الحالة التى هم فيها فظنوا انها تدوم معهم اذا خرجوا ولو علم أحدهم انه اذا رد الى الدنيا يرد اليها بحكم القبضتين ما قال ذلك (وسمعت سيدى) عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما التذ عاقل بنعمة فى الدنيا قط لان الحقوق التى عليه فى تلك النعمة تحجبه عن التنعم بها فانه مكلف بانفاقها على المحتاجين اليها من نفسه وأهله وجيرانه وعامة المسلمين وليس له حبس شئ عنده من الدنيا وهو يعلم ان فى الحبس مديونا أو فى البلد مريضا لا يجد ما يصرفه على مرضه أو عريانا لا يجد ما يستر به عورته بين الناس ونحو ذلك لكن اذا عمل العبد بما أمره الله تعالى به فى ماله من الصدقات والخيرات لا بد أن الله تعالى يتفضل عليه بطيب العيش فى أواخر عمره ويعطيه الراحة والدلال والعز بين الناس * وقد قالوا من صبر على بلاء الدنيا حل له نعيمها اواخر عمره انما يعطى الاجير أجرته بعد عرق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته واذلال نفسه وكسر هواه كما هو الشان فى خدمة المخلوقين فلا يكاد يطيب له عيش الا بعد تجرعه فى خدمتهم هذه المرارات كلها فاذا تجرعها اعقبت له طيب طعام وادام وفاكهة ولباس وراحة وسرور وتلذذ بالبلاء (وقد كان) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول لا يعطى الله تبارك وتعالى مقام التلذذ بالبلاء لعبد الا بعد بذله المجهود فى مرضاته فان الابتلاء على ثلاثة احوال تارة يكون عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها أو معصية اقترفها وتارة يكون تكفيرا وتمحيصا وتارة يكون لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ولكل من هذه الاحوال

علامة فعلامة الابتلاء على وجه العقوبة والمقابلة عدم الصبر عند وجود البلاء وكثرة الجزع والشكوى الى الخلق وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصا للخطايا وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا اظهار جزع ولا ضجر الى الاصدقاء والجيران وعدم ثقل الطاعات على بدنه وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا والموافقة وطمأنينة النفس وخفة الاعمال الصالحة على القلب والبدن انتهى فاعمل على التخلق بذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) فزعى لذكر الله عز وجل والى الصلاة اذا احتجت الى شئ من أمور الدنيا ولا أشتغل بالسؤال عن الذكر والصلاة وذلك عملا بحديث يقول الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزنه أمر فزع الى الصلاة ويقول ارحنا بها يا بلال انتهى والسائلون على اقسام ولكل قسم مشهد فان الله عز وجل اذا أراد أن يصطفى عبدا من عبيده سلك به فى الاحوال وامتحنه بأنواع البلايا والمحن فيفقره مثلا بعد الغنى ويضطره الى مسئلة الخلق فى الرزق بعد سد جميع جهات رزقه عليه ثم انه يصونه بعد ذلك عن مسئلتهم ويضطره الى القرض منهم ثم انه يصونه عن القرض ويضطره الى ذل المكاسب ويسهل عليه ذلك فيأكل من كسبه كما هو السنة ثم انه يعسر عليه الكسب ويلهمه السؤال للخلق بامر باطن يرى انه يعصى بتركه لا يذوقه الا هو ليكسر بذلك نفسه وهواه وهو حال الرياضة للنفس ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالقرض منهم أمرا جازما لا يمكنه تركه ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم ويجعل رزقه فى السؤال له تعالى فقط فيسأل ربه جميع ما يحتاج اليه فيعطيه عز وجل ذلك ولا يعطيه له ان سكت وأعرض عن السؤال ثم ينقله من السؤال باللسان الى السؤال بالقلب فيسأل بقلبه جميع ما يحتاج اليه فيعطيه له حتى انه لو سأله بلسانه لم يعطه شيأ أو سأل كذلك الخلق لم يعطوه شيأ ثم انه تعالى بعد ذلك كله يغنيه عن السؤال ظاهرا وباطنا ويصير الحق تبارك وتعالى يبدؤه بجميع ما يحتاج اليه ويصلحه من المأكول والمشروب وغير ذلك من غير أن يخطر ذلك بباله وحينئذ يتحقق بولاية الله تبارك وتعالى له قال تبارك وتعالى ان ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ويتحقق أيضا بمعنى قوله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تقديمى الاهم فالاهم من المأمورات الشرعية من حين كنت صغيرا الى وقتى هذا ولذلك لم أعول قط على علم من غير عمل ولا على نافلة قبل العمل على اكمال الفريضة الكمال النسبى الذى يصل اليه أمثالنا وقد قالوا من اشتغل بالنوافل عن الفرائض فهو أحمق ومثاله من دعاه ملك الى حضرته فقال له اصبر حتى أفرغ من خدمة غلامك أو مثال حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هى ذات حمل ولا هى ذات ولد أو مثال من يجود بما لا يجب عليه ويترك وفاء الديون أو وفاء الزكاة مثلا (وفى كلام) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه من الفرائض التى يجب تقديمها على الاشتغال بالعلم والكسب ترك الحرام وعدم الشرك الخفى بالله فلا يشرك به خلقه فى جلب نفع أو دفع ضرر الا بقدر نسبة التكليف اليهم من غير وقوف معهم (ومن ذلك أيضا) ترك الاعتراض على أقداره واجابة الخلق الى المعصية

والاعراض عن أمر الله تبارك وتعالى وطاعته عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فالحمد لله الذى هدانا لذلك والحمد لله على كل حال

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم محبتى للشبع من الحلال فضلا عن الحرام والشبهات وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان أكل الحرام أو أكل الحلال الزائد على الحاجة يجلبان النوم والنوم أخو الموت لانه يورث الغفلة عن جميع المصالح وقد قالوا الخير كل الخير فى اليقظة والشر كل الشر فى النوم والغفلة (وقد قال) الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه من شبع من الحلال كثيرا شرب كثيرا فنام كثيرا فندم كثيرا فواته الخير الكثير (وقد قال) بعضهم أكل القليل من الحرام فى الظلمة كأكل الكثير من الحلال لان الحرام يغطى محل الايمان ويظلمه كما يظلم الخمر العقل ويغطيه فاذا أظلم محل الايمان فلا صلاة ولا عبادة ولا اخلاص ومن أكل من الحلال كثيرا لم يجد الامر كما كان فى النشاط والعبادة ان أكل منه قليلا ولم يشرب عليه فاذن الحلال نور فى نور والحرام ظلمة فى ظلمة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم صبرى على البعد من حضرته تعالى وطيرانى اليها كلما اغفل وأخرج منها ولا أعرف اسرعة الطيران شيأ أعون عليه من هذين الجناحين أحدهما ترك اللذات والشهوات المحرمة والمباحة وترك الراحات كلها الثانى احتمال الاذى والمكارة وركوب العزائم والشدائد والخروج عن الخلق والهوى والارادة والمنى الدنيوية والاخروية فان هذه الامور تخرج أصحاب الحضرة من الحضرة فمن استعملها خارج الحضرة منعته الدخول (وكان) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه يقول كن طيارا الى الحضرة كلما تغيب عنها ولا ترض بالقعود عنها ثم اذا من الله تعالى عليك بالدخول فأحسن الادب ولا تغتر بما أنت فيه من النعيم الاوفر والعز الدائم والكفاية الكبرى والدلال والغنى فى الدنيا والاخرى فمن اغتر بذلك قصر فى الخدمة ضرورة واخلد الى الرعونة الاصلية من الظلم والجهل فأخرج بذلك من الحضرة فى أسرع من لمح البصر فاحفظ يا أخى قلبك من الالتفات الى ما تركته قبل دخول الحضرة من الركون الى الخلق والهوى والارادة والتدبير ورؤية النفس على أحد من المسلمين وتعام عن رؤية ما سوى الله تعالى ولا تر له نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا (وكان) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول اجعل الخلق كلهم والاسباب كلها عند حصول الاذى والبلية لك كسوط ربك عز وجل الذى يضربك به واجعلهم عند النعمة والعطية كيده تبارك وتعالى التى سخرها لك من عبيده ليلقمك بها الحلوى ولله المثل الاعلى انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رمى الدنيا الزائدة عن حاجتى حتى الحالة الراهنة فى بداية أمرى وكراهتى لامساكها ودوامى على ذلك عدة سنين حتى تحققت بخروجها من قلبى وصرت أنقبض لدخولها على وأفرح للفقر وضيق اليد ثم انى الآن أجمع منها ما يكفينى ومن تلزمنى كفايته يوما وليلة اظهارا للفقر والحاجة ولعلمى بأن الله تبارك وتعالى غنى عن جميع الخلق وما خلق ما خلق الا لخلقه لينتفعوا به فكان من الادب أخذ الدنيا ثم استعمالها فيما شرعت له

(ومن هنا) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى وغيره ان الزاهد فى الدنيا يثاب بسببها مرتين الاولى برميها بعد أن فتح عينه على محبتها تبعا لجمهور الناس الثانية بأخذها بعد رميها وخروج محبتها من قلبه فقد رماها هذا باذن وأخذها باذن فان لسان اشارة الحقيقة تقول للمؤمن وما تلك بيمينك أيها المؤمن فيقول هى دنياى انفق منها على نفسى وعيالى وأهلى واخوانى والواردين على فيقال له ألق ما فى يمينك فيلقيها فيراها حية تسعى كعصا موسى فيقال له خذها ولا تخف كما وقع لموسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام فهو ممتثل أمر الله تبارك وتعالى فى الحالين لا اختيار له معه وهذا الخلق قليل من اخواننا من تخلق به على وجهه فهو ممسك للدنيا بقلبه ويده كالعوام فاعمل يا أخى على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى عند نزول البلاء بساحتى أو عند توقف اجابة دعائى فى حق نفسى او فى حق غيرى الى تفتيش نفسى فيما ارتكبته من الذنوب أو تركته من الاوامر الظاهرة أو الباطنة أو فيما نازعته من الاقدار ونحو ذلك اذ الغالب ان العبد انما يبتليه الله تبارك وتعالى مقابلة ثم ان لم ينكشف البلاء مثلا بادرت الى التضرع والاكثار من الاعتذار والاعتراف بنحو قولى اللهم أنى أعترف بين يديك بأنى لا أعلم أحدا على وجه الارض من المؤمنين أكثر عصيانا ولا مخالفة ولا أسوأ حالا ولا أقل حياء منى (وقد قال) بعضهم قد يبتلى الله تبارك وتعالى عبده ليرده بالبلاء الى السؤال فيجيب سؤاله فاذا سأل أحب تبارك وتعالى اجابته وذلك ليعطى الله تعالى الكرم والجود حقهما لانهما يطالبانه عز وجل عند سؤال عبده بالاجابة وقد تحصل الاجابة بقوله تعالى لبيك عبدى ولكن يؤخر كشف المرض والبلاء مثلا لتعويق القدر لا على وجه عدم الاجابة والحرمان والصد عنه فاعلم ذلك واعمل على التخلق به فانه نفيس والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث فى جملة من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق)

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) ردّ نفسى فورا اذا اشمأزت من تقدير الله تبارك وتعالى عليها فى أمر من الامور الى الرضا بقضاء الله تعالى وقدره طلبا لرضا الله تعالى عنى برضاى عن ربى فان العبد لا يعرف رضا الله تبارك وتعالى عنه الا بوجود الرضا منه عن ربه عز وجل كما قاله الجنيد وغيره ومن رضى بقضاء الله وأفنى فعله فى فعله واختياره فى اختياره تعالى حصلت له الراحة الكبرى والجنة المعجلة فى الدنيا فان أهل الجنة هكذا يكونون فيها وهذا هو باب الله الاكبر الذى هو سبب الرضا عن العبد ومادام العبد يرى نفسه تطلب غير مراد ربها فالحق تعالى غير راض عنها وقد قالوا من رضى الله تعالى عنه فى الدنيا وأحبه لم يعذبه فى الآخرة والدنيا لقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم أى لو كنتم كما تزعمون ما عذبكم لان الحبيب لا يعذب محبوبه فافهم وهذا الخلق قل من يراعيه من المريدين فيشتغل أحدهم بالطاعات والعبادات مع العلل غافلا عن قصده بذلك رضا الله عز وجل انما هى لتخلص له نسبة كمالها لتطلب أجرها من الله تعالى وذلك من الجهل وانما الواجب عليه العمل على تنقيتها من العلل طلبا لمحبة الله عز وجل له ورضاه عنه وقد اجمع أهل الله عز وجل على ان من ادعى انه يحب الله عز وجل واختار مع ربه غيره أو طلب عوضا على عبادة ربه فهو مغتر

كذاب غير مخلص لله عز وجل فان المخلص هو من يعبد الله عز وجل ليعطى الربوبية حقها فانه عبد والسيد يستحق على عبده الطاعة والخدمة له فكيف يطلب العبد عوضا على ذلك بل الواجب عليه الشكر لله الذى أهله للوقوف بين يديه ولم يطارده كما طرد غيره من العبيد السوء والله انى لا أرى الفضل لله الذى أهلنى لان يمر اسمه تبارك وتعالى على لسانى ولا أرى أنى كافأته على ذلك ولو عبدته بعبادة أهل الدنيا كلهم وبالجملة فقد جعل الله تعالى دونه خنادق من لم يقطعها لم يدخل حضرته أعظمها على المريدين الاشتغال بالحظوظ التى قسمت أو لم تقسم فانها ان كانت لم تقسم له فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهل وعقوبة وان كانت قد قسمت فالاشتغال بها شره وحرص وشرك فى باب العبودية والمحبة والحقيقة اذ الاشتغال بغير الله عز وجل شرك وذلك ينافى طريق الولاية التى يزعمها ثم كيف يطلب العاقل رضا الله جل وعلا بالاشتغال بغيره وهو يرى خلقا كثيرا كلما كثرت عندهم الحظوظ وتواترت وتتابعت زاد تسخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بنعمه وزادهمهم وغمهم وفقرهم الى امور لم تقسم لهم وحقروا وصغروا ما عندهم من النعم فليقل العاقل لنفسه غايتك أن تكونى مثل هؤلاء فى الجهل والغفلة عن الله تبارك وتعالى اذا اشتغلت بغيره فان الامور تجر بعضها الى بعض * وتأمل يا أخى فى الزهاد لما نظروا الى أن الدنيا ليس لها حد يقف أحدهم عليه ثم يشتغل بعد ذلك بربه جل وعلا كيف أخذوا منها الكفاف واشتغلوا بربهم عز وجل وبذلك صاروا أعقل الناس كما قال به الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فكان يقول كثيرا لو أوصى شخص بشئ لأعقل الناس لصرفته الى الزهاد فى الدنيا انتهى ومن تامل وجد الفقير القانع أكثر نعيما فى الدنيا من الملوك لانه رضى عن ربه جل وعلا ورأى ان ما بيده من الدنيا كثير على مثله والملوك لا يرون أن ما بيدهم من الدنيا كثير بل يطلب أحدهم ان تكون معه مملكة غيره زيادة على مملكته فلم يزل فى تعب وغم وهم وقتال وحرب (وقد رأيت) مرة شخصا من أهل الوراقين يسحن مسكا وعليه ثوب أبيض رفيع وعبد يروح عليه بالمروحة وهو يقول أسأل الله ان يريحنا من هذه العيشة فقلت للعبد ما السيد متكدر فقال قال لهم فى البيت اطبخوا كشكا فطبخوا شوربة فقلت له فى اذنه تذكر وتفكر فى المقيدين فى الحبوس فى الحر والجوع فقال أستغفر الله العظيم انتهى وأصل ذلك أن العبد كلما غمرته النعم يجهل مقدارها ولا يعرفها غالبا الا بالتحويل وهذا الداء قد كثر فى أبناء الدنيا اليوم فترى احدهم يحتقر ما قسم له ويقلله ويقبحه ويعظم ما بيد غيره من التجار ويكثره ويحسنه فى عينه ويطلب أن يكون له مثل ذلك زيادة على ما بيده مع ان ذلك لم يقسم له فذهبت أعمارهم وانحلت قواهم وكبر سنهم وصارت لحية أحدهم بيضاء من كثرة الهم والتعب فتعبت أجسادهم وعرقت جباههم واسودت صحائفهم من كثرة الذنوب والآثام التى يقعون فيها بسبب تحصيل الدنيا ثم أنهم بعد ذلك لم ينالوها فخرجوا من الدنيا مفاليس فلاهم شكروا ربهم جل وعلا فيما أعطاهم ولاهم نالوا ما طلبوا انما هو فى يد غيرهم فضيعوا دنياهم وآخرتهم (وقد سئل) الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه عن شر خلق الله من هم فقال من اشتغل بالدنيا عن الآخرة ثم لم ينل ما طلب فهذا شر خلق الله وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقلا وبصيرة انتهى ويشير لذلك قوله

تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد رأيت من معه نحو ثلاثين ألف دينار يشاح بأنع الفجل على نخلة ورأيت من يملك مائة ألف دينار ذهبا يحلف بالله تعالى يمينا مغلظا على ستة انصاف عند قاض ونفقته كل يوم عشرة انصاف وهو الآن فى سن الشيخوخة وليس له ولد فلو أن هؤلاء جلسوا يأكلون بقية عمرهم مما جمعوه لكفاهم وفضل عنهم ولو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء واشتغلوا بطاعة ربهم لكانوا ممن لم يشغلهم القيام فى الاسباب عن ربهم وبتقدير تركهم الاسباب فلابد أن الله تبارك وتعالى يبعث لهم من الدنيا ما يكفيهم من غير تعب ولا عناء ثم ينقلون اذا ماتوا الى جوار المولى جل وعلا فيجدون عنده فوق ما كانوا يؤملون كما درج عليه السلف الصالح جعلنا الله تبارك وتعالى منهم وجميع اخواننا وأحبابنا وأصحابنا آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طلبى لشئ من مناصب الدنيا من حين وعيت على نفسى فلم أزل بحمد الله تعالى أحب الزهد فى الدنيا وشهواتها الهاما من الله تعالى من غير سلوك على يد شيخ كما مر أوائل الباب الثالث وغيره فليس لى بحمد الله تعالى علاقة فى الدارين تعوقنى عن الاشتغال بربى جل وعلا ولذلك لا أطلب منى أحد شيأ مما هو بيدى الا أعطيته اياه الا أن يمنعنى الشرع منه وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على (وقد قال) العارفون رضى الله تعالى عنهم من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد فى نعيم الآخرة فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربه عز وجل ويشتغل بالله وحده خالصا مخلصا لا يطلب على عبادته وخدمته عوضا فى الدارين وسيأتى فى هذه المنن أن هذه النعمة لا يعطاها العبد الا بعد دخوله طريق القوم فليس لغير من دخلها غالبا قدم فى ذوقها انما هو يطلب العوض على عبادته فى الدنيا أو الآخرة ولذلك كان اسمه عند القوم عبد الدنيا أو عبد الآخرة لا عبد الله جل وعلا وقد انشد سيدى على بن وفا رحمه الله تعالى

محب الله لا يهوى خلافه ✱ ولو أعطى على ذاك الخلافه

فعلم انه مادام فى قلب العبد شهوة من شهوات الدنيا أو لذة من لذاتها فهو محجوب عن الآخرة كما انه مادام فى قلبه شهوة من شهوات الآخرة فهو محجوب عن ربه عز وجل (وقد عد) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه من شهوات الدنيا طلب العلم لغير العمل به كأن طلبه لولاية أو رياسة وعد من شهواتها أيضا قراءة القرآن بالروايات من غير مطالبة نفسه بالعمل به وقراءة النحو واللغة والبلاغة والفصاحة الزائدة على الحاجة فليس صاحب هذه الامور بزاهد حقيقة لان كل خصلة من هذه الخصال فيها لذة للنفس وموافقة للهوى وراحة للطبع وكل ذلك من الدنيا يحبب للانسان البقاء فيها ويحصل لديه السكون والطمأنينة اليها (فليفتش) العالم نفسه أو مدعى الزهد فى الدنيا نفسه ويأخذ فى مجاهدة نفسه ورياضتها حتى يخرج من قلبه كل شهوة دنيوية أو أخروية فيحب الجنة لكونها دار المشاهدة والمجالسة للحق تعالى لا لشئ يأكله أو يلبسه أو ينكحه فان ذلك انما خلقه الله تبارك وتعالى بالاصالة لعبيده والاشتغال بالحاصل تضييع للوقت فاعمل يا أخى على تحصيل كل مرتبة قبل طلب ما بعدها والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تسليمى للنفس ما تدعيه من تركها الحظوظ النفسانية فى الدنيا والآخرة لان لها غوائل فى طلبها قل من يتنبه لها ولذلك طالت الطريق على المدعين ولم يدخل أحد منهم حضرة الله تبارك وتعالى لعدم تفتيشه نفسه وتوبته من الصفات التى تمنعه من دخول الحضرة (وقد كان) سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول لا يدخل أحد من عتبة الولاية حتى يسمع المنادى من قلبه ينادى الا من أراد دخول حضرة الحق جل وعلا فليترك الحظوظ كلها ويخلع نعليه وهما دنياه واخراه ويتجرد عن الاكوان كلها ويتعرى عن جميع الامانى فلا يكون له ميل ولا محبة لشئ الا بأمر الله عز وجل ثم يدخل بعد ذلك ومن لم يتجرد كما ذكرنا فلا يصح له ان يطأ بساط الحضرة أبدا ثم اذا دخل فله أدب آخر وذلك أن يكون مطرقا لا ينظر يمينا ولا شمالا أى لا ينظر يمينا الى الآخرة ولا شمالا الى الدنيا وحينئذ يتهيأ لان يخلع عليه الخلع انتهى وكان رضى الله تعالى عنه يقول تترك الحظوظ ثلاث مرات ثم يؤمر العبد بأخذها فان لم يأخذها عصى أمر ربه (المرة الاولى) أن يترك الحرام والشبهات (المرة الثانية) أن يترك الحلال خوفا أن يشغله عن الله عز وجل (المرة الثالثة) أن يسمع من قلبه النداء اترك كل شهوة فى الدارين ثم يؤمر بأخذ النعم والتلبس بها وينهى عن ردها لشهوده أن فى رد نعم الملك فى تلك الحضرة سوء أدب وافتياتا على الملك واستخفافا بالحضرة وحينئذ يتلبس بالنعم ويراها فضلا من الله تعالى ونعمة بعد أن كان يتلبس بها بهواه ونفسه وهو غافل لان العبد كلما نزل منزلا تعددت نعمته قال رضى الله تعالى عنه ولا يسمى صالحا الا من وصل الى هذا المقام وصار بالله لا بنفسه وهواه اذ الصالح هو من تولى الله تعالى أموره ولم يبق عنده فى نفسه طلب لجلب مصالح ولا لدفع مفاسد بل هو كالطفل الرضيع مع الظئر أو الميت مع الغاسل فتتولى القدرة تربيته وتجلب له مصالحه وترفع عنه مضاره من غير أن يكون له اختيار أو تدبير (فهذه) هى صفات الصالح التارك للحظوظ على الحقيقة فاعمل على التخلق بذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تسليمى لكل من ادعى أنه تخلص من حظوظ نفسه من الفقراء بأن صار يريد بارادة الله عز وجل ويدبر بتدبيره ويختار باختياره ويشاء بمشيئته ويرضى برضاه على الكشف والشهود وكذلك نسلم له دعواه أنه خرج عن النفس والهوى والامانى والارادات دنيا واخرى وأن الله اصطفاه واجتباه وذلك لانه ادعى ممكنا راجعا الى الباطن لا يطلع عليه الا الله تبارك وتعالى ثم صاحبه فنسلم له ما يدعيه ثم ان كان صادقا فقد صدقناه ووصل لنا الثواب وان كان كاذبا رجع اثم ذلك عليه وحرم الوصول الى ذلك عقوبة له (وفى كلام) سيدى احمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه لا يكمل الرجل حتى يكون محوا فى صفات الله تبارك وتعالى انتهى (قال بعضهم) ومراده ان العبد اذا زالت أهويته وارادته وخرج عن جميع الحظوظ صار لا يرى لغير الله تبارك وتعالى وجودا ولا فعلا بل هو فى نفسه فعل الله عز وجل ومراده ولذلك لا يضاف الى صاحب هذا المقام صدق فى وعد ولا خلف فى وعد لان الوعد أو الخلف انما يكون ممن له هوى وارادة فحكمه هذا مع الله عز وجل اذا وعد احدا حكم رجل عزم على فعل شئ فى نفسه ونواه ثم صرفه الى غيره انتهى وهنا امور يذوقها العارفون رضى الله تعالى عنهم لا تسطر فى كتاب لعدم طاقة غالب الناس على تحملها انتهى والحمد لله رب العالمين

(وبما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تنبيهى بتصاريف القدرة فى بما أكره على وجود ذكر الحق تعالى لى فأشكر الله تعالى على كثرة تصاريف الاقدار فى لعلمى بأن الحق تبارك وتعالى اذا اعتنى بعبد تعرف اليه بما تهوى نفسه وبما تنكره نفسه ليعطى كل وارد عليه حقه من الشكر أو الاستغفار وليرده عما تسبح فيه نفسه من الحظوظ وأما اذا لم يعتن به فانه يجعله تجرى عليه تصاريف الاقدار وهو عن ذلك غافل كالبهيمة (وتأمل يا أخى) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممحوق الهوى والارادة كيف قال الله تعالى له ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير عقب قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أى ألم تعلم أنك فى بحر القدرة تقلبك امواجه تارة كذا وتارة كذا فيوحى اليك بوحى ثم ينسخه ويوحى اليك بأمر آخر فلم يتركه تعالى نبيه على حالة واحدة محبة فيه صلى الله عليه وسلم ليصير الحق تبارك وتعالى له على بال ولا ينساه لحظة واحدة ومن هنا تعلم يا أخى أن فى قول الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ان الخواص يصلون الى حالة لا يكونون فيها تحت أمر ولا نهى نظرا الان يريد حالة يزول عنهم فيها عمل التكليف وذلك لانه اذا كان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين لم يترك لنفسه هملا فى وقت من الاوقات فكيف بغيره فلا بد أن يكون العبد المكلف تحت حكم الاوامر والنواهى ولو بلغ الغاية فافهم واياك والغلط (ومن هنا تعلم) أيضا ضعف قول من قال ان الفرق بين الانبياء والاولياء كون الانبياء يملكون أحوالهم والاولياء لا يملكون أحوالهم لانه لو صح ذلك ما خر موسى صعقا فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وبما من الله تبارك وتعالى به على) حسن ظنى بربى اذا قسى قلوب عباده على وأطلق ألسنتهم بذمى وكف لسانهم عن حمدى والثناء على وأرجلهم عن السعى الى وأقول لولا أن الله تبارك وتعالى أراد تقريبى منه لما جفانى عباده لانه ربما اذا خلى الميل الى من أحبنى ومدحنى وواصلنى بالنعمة قهرا على فينقص ذلك من محبتى لله عز وجل وأشتغل بعبيده ومراعاتهم وأغفل عنه تبارك وتعالى وأنسى كون ما وصل الى على يد عبده هو من نعمته تبارك وتعالى على لا من نعمة عبده وهو تعالى غيور لا يوحد عبدا فى المحبة الان وحده العبد كذلك فى المحبة قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فكان فى كف ايدى الغير عن مواصلتى وعدم حمدهم أو مشيهم الى فى حال مرضى مثلا سعى فى كف بصرى عن رؤية النفع أو الضر من غيره فيجتمع قلبى عليه تعالى وأفرده بالمحبة قال صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من احسن اليها زاد فى رواية وبغض من أساء اليها ثم لا يخفى أن العبد لا يصطفيه الحق جل وعلا وهو يرى نفعا أو ضرا من غيره أبدا فأحسن الظن بربك يا أخى وانظر الى من هو ناظر اليك وأقبل على من هو مقبل عليك وأحب من يحبك وأعط يدك لمن ينشلك من سقطتك فى الوحل ويخرجك من ظلمات الجهل وينجيك من ورطات الهلاك ويطهرك من الانجاس وينظفك من الاوساخ ويبعدك عن الاقران المضلين لك عن سواء السبيل من شيطانك وهواك وخلانك من الجهال القطاع لطريق الحق تبارك وتعالى الحائلين بينك وبين كل شئ ينفعك (وكان سيدى) عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يحذر أصحابه من خلطة الناس ويقول الى متى عادة الى متى خلف

الى متى هوى الى متى رعونة الى متى دنيا الى متى أخرى الى متى الاشتغال بغير الله تعالى تعس والله وانتكس من اشتغل بالاكوان عن المكون سبحانه وتعالى فتدرج يا أخى فى قطع العلائق شيئا بعد شئ واشكر ربك تبارك وتعالى على كل شئ منعك من الدنيا والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وبما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بعدا واقمن رأيته يتسخط اذا سأل الله تعالى شيئا ولم يعطه الحق له سواء كان ذلك فى حق نفسه أو غيره فان سوء الادب مع الله تبارك وتعالى لا يحتمله محب لله عز وجل ابدا بل يراه كفرا بالله جل وعلا فاذا سمعت يا أخى أحدا يقول قد سئمت وأنا أدعو الله تعالى فى الشئ الفلانى فلا يعطيه لى فقل له أنت حر أم عبد فان قال أنا حر لست بعبد له فقل له كفرت يا عدو الله وان قال أنا عبد فقل له فاذن العبد ليس له مع سيده اختيار انما يدعو سيده عبودية واظهارا للفقر والحاجة وسيده يفعل ما يشاء فان لم يرجع عن الاعتراض فقل له أمتهم ربك فى كمال حكمته وعلمه باحوال عباده أم غير متهم فان كنت متهما له فى ذلك فأنت كافر وان كنت غير متهم فعليك بالشكر على منعه لك من حظوظ نفسك وان كان لا بد لك من الاتهام وسوء الظن باقدار ربك فاتهم نفسك الامارة بالسوء العاصية لربها عز وجل فان ذلك أولى لك لانها عدوة الله وعدوتك وحبيبة الشيطان ومصافية له وهى خليفته عندك وجاسوسه فكن خصما مع الله تعالى عليها ومجادلا لها نيابة عن الله عز وجل وجندا من جنود الله عليها فان كان بالضد من ذلك فهو عدو الله عز وجل فالحذر الحذر منها ولا ينبئك مثل خبير ثم لا يخفى انه يجب على كل داع الى الله تبارك وتعالى أن يعلم الناس الادب مع الله جلا وعلا قبل الادب مع عباده فان سؤال الحق تعالى من جملة الادب معه لان فيه اظهار الفاقة والحاجة وترك السؤال اظهار للغنى عنه وذلك لا يصح وقد قال تعالى واسألوا الله من فضله فأمرنا بالسؤال ثم ان كان المسؤل فيه مقسوما فلا بد أن يسوقه تبارك وتعالى الى السائل فيزيده ذلك ايمانا ويقينا وتوحيدا ورجوعا الى الله فى جميع أحواله وان لم يكن مقسوما أعطاه الله تعالى الغنى عنه فى الباطن والرضا عنه بالفقران كان المسؤل فيه غنى أو أرضاه بالمرض ان كان المسؤل فيه ترك المرض أو قلب عنه قلب صاحب الدين ان كان المسؤل فيه طلب شئ يوفى به دينه أو صبر صاحب الدين عليه أو ثبطه عن مطالبته أو ألهمه اسقاطه عنه أو بعضه ثم ان لم يعطه الحق تبارك وتعالى شيئا مما سأل فى الدنيا فسيعطيه فى الآخرة ثوابا أعظم من ذلك فلا بد للسائل من حصول فائدة عاجلة أو آجلة والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وبما أنعم الله تبارك وتعالى به على) منازعة النفس لى بعد أن طعنت فى السن وميلها الى الشهوات واعانته تعالى لى على مجاهدتها وذلك ليكتب الله تعالى لى ثوابا دائما ونعيما متجددا فى الجنة وغالب الناس اذا طعن فى السن خمدت نار نفسه وكفى الله المؤمنين القتال ففاته ثواب المجاهدة وفى الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يعنى مجاهدة النفس لان جهادها دائم مستمر وعليه ينزل قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فان الله تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة حتى يأتيه الموت فافهم وانما كانت العبادة مجاهدة لانها كلها مبنية على مخالفة النفس اذ جميع العبادات تاباها النفس من أصلها ولولا لطف الله تبارك وتعالى

بها وانما كان كل من جاهد نفسه وغلبها وقتلها بسيف المخالفة يحييها الله عز وجل ليكتب له ثوابا دائما مستمرا كما مر فان قال قائل كيف أمر الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم بالعبادة وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الهوى كما أخبر عنه البارى جل وعز بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * فالجواب ان الله تبارك وتعالى ما خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الا ليقرر بذلك شرعه فيكون عاما بين أمته الى أن تقوم القيامة والا فهو تعالى قد أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم القوة على النفس والهوى فلا يضرانه ولا يحوجانه الى المجاهدة والمحاربة بخلاف أمته فاذا دام المؤمن على مجاهدة نفسه حتى أتاه الموت ولحق بربه عز وجل ولقيه بسيفه المسلول الملطخ بدم النفس والهوى أعطاه تبارك وتعالى ما ضمن له من الجنة بقوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ثم اذا أدخله الله تعالى الجنة واستقر فيها وأمن من النقلة وغرق فى النعيم طلب العود الى دار الدنيا ليجاهد نفسه ثانيا فيجدد الله تبارك وتعالى له كل ساعة نعيما الى ما لا غاية له من الطعام والشراب والحلى والحلل على حسب ما كان فى دار الدنيا من تجدد المجاهدة لنفسه كل ساعة عكس حال الكافر أو المنافق أو العاصى اذا مات من غير توبة فان هؤلاء لما تركوا مجاهدة نفوسهم كل ساعة ووافقوها فى هواها وشهواتها وكفرها حتى أتاهم الموت على غير الاسلام أدخلهم الله عز وجل النار فاذا دخلوها وجعلها الله مقرهم ومصيرهم وأحرقت جلودهم ولحومهم جدد الله لهم جلودا ولحوما غيرها ليذوقوا العذاب المتواتر المضاعف فعلم ان ساعات المجاهدة للمؤمن هى التى كانت سبب نعيمه وساعات ترك المجاهدة للكافر أو العاصى هى التى كانت سببا لتعذيبه فضوعف على كل قسم ما يناسبه من النعيم والعذاب وهذا هو معنى حديث الدنيا مزرعة للآخرة وكل ميسر لما خلق له فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى لا أسأله تعالى شيأ من أمور الدنيا والآخرة الا مع التفويض ورد العلم فيه اليه تعالى عملا بعموم قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فأقول فى دعائى اللهم أعطنى كذا وكذا ان كان فيه خير لى واصرف عنى كذا وكذا ان كان فيه شر لى ثم كل شئ وقع بعد هذا التفويض كانت عاقبته محمودة من عطاء أو منع وهذا الميزان واجب على العبد ما دام له ارادة واختيار مع الله تبارك وتعالى فاذا فنيت ارادته واختياره وتفرغ قلبه لمحبة الله عز وجل كان اختياره باختيار الله تبارك وتعالى وارادته بارادة الله جل وعلا وكان فى سؤاله ذلك ممتثلا لأمر الله عز وجل فلا يقع له الا ما يسره لموافقة مراده مراد ربه تبارك وتعالى سواء كان السؤال فى أمر الدنيا أو الآخرة وعلامة صاحب هذا المقام انه ان اعطى شكر وان منع شكر ولم يتغير على ربه جل وعلا بباطنه فاعلم ذلك واياك أن تدعى ذلك من غير تحقق به وعليك بسؤال الله عز وجل الامور التى لا بد لك منها وعاقبتها حميدة على الدوام لا يدخلها مكر ولا استدراج أبدا كسؤالك المغفرة للذنوب السالفة وسؤالك الحفظ فى المستقبل والتوفيق لحسن المعاملة ثم ختام ذلك بخاتمة الخير وهى أن تموت وأنت حسن الظن بالله عز وجل فان ذلك محط رحال

الاولين والآخرين فعليك بالاكثار من سؤال الله تعالى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى لشكر ربى اذا حفظنى من مضلات الفتن دون العجب بذلك على من وقع فى الفتن وهذه من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان العجب يورث المقت واحباط الاعمال كما ورد لا سيما ان سمع الناس الذين يقتدى بهم يقولون ليس فى مصر الآن على الطريق المستقيم فى العلم والعمل مثل فلان وحصل له جاه بذلك فى قلوب الخلق دون اقرانه فانه يهلك بالكلية ومن هنا أخفى بعض الفقراء كثيرا من اعمالهم الصالحة خوفا من ميل النفس الى مدح الناس لهم عليها فيهلكوا من حيث لا يشعرون ثم لا يخفى عليك يا أخى ان العجب لا يكون الا عن شهود العبد نفسه فاعلا لذلك الامر الذى يعجب به أو مشاركا لله تبارك وتعالى فيه وقد يشير الى ذلك القرآن العظيم حيث قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فالاولياء رضى الله تعالى عنهم كشف الله تبارك وتعالى لقلوبهم عن كون ذلك ظلما يعنى للنفس فتركوه من هذه الدار وغيرهم لم يكشف الله تبارك وتعالى لهم عن ذلك فلا يظهر لهم الا يوم القيامة فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مداومتى على الاعمال التى كنت أعملها فى حال بدايتى وصبرى على الشدائد التى تصيبنى فى حال كهولتى وقد قيل للجنيد رضى الله تعالى عنه تراك تدمن امساك السبحة وقد وصلت الى مقام لا تحتاج الى من يذكرك بربك من الخلق فقال شئ وصلت به الى حضرة ربى لا أقطعه انتهى * وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح على عقد أصابعه ويقول انهن مستنطقات يعنى يوم القيامة بل أنا بحمد الله تبارك وتعالى أحب كثرة الاعمال الصالحة ولو رضيت النفس بدون ذلك فان الله جل وعلا قال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله فطلب منا كثرة الاعمال فالعاقل يعلم ان نفسه وان رضيت بالدون لا يرضى الحق تبارك وتعالى منها بذلك قال تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون ومن ذاق ذلك علم ان الحق تبارك وتعالى أشفق عليه من نفسه وان المنازل فى الجنة لا تشيد ولا ترفع الا بالاعمال فى الدنيا لانها مزرعة الآخرة * ثم اعلم يا أخى ان مراد القوم رضى الله تعالى عنهم بالبداية حيث أطلقت فى لسانهم هو خروجهم من المعهود الى المشروع كما ان مرادهم بالتوسط خروجهم عن ظاهر المشروع الى الاطلاع على المقدور كما ان مرادهم بالنهاية الرجوع الى المعهود بشرط حفظ الحدود فصورة الكامل فى الاعمال صورة المبتدى والقصد مختلف لان المبتدى يشهد مشاركة نفسه لربه تبارك وتعالى فى الفعل والمنتهى يرى الفعل لربه وحده وربه هو الفاعل به فيه وقل من يخرق سور الشرع الى شهود الحقيقة الا ويحصل له الزندقة فيستبيح المحرمات ويستهين بالمأمورات فالحمد لله تبارك وتعالى على حفظنا من ذلك ثم لا يخفى عليك يا أخى ان اعمال الاكابر من الانبياء والاولياء بعد أداء الاوامر واجتناب النواهى انما هى الصبر والرضا والموافقة فى حال البلاء فيكون غالب أعمالهم قلبية فلا يقدر على اتباعهم فيها من أصحابهم الا القليل لعلو مراقيها عكس اعمالهم أوائل أمرهم فان الغالب عليها كونها جسمانية ليقتدى جمهور قومهم بهم فيها ومن الاكابر من ختم أمره بالاعمال الجسمانية زيادة على القلبية علوا لمقامه كنبينا صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم فقاموا

حتى تورمت منهم الاقدام ليقتدى بهم الاكابر من بعدهم مبالغة فى النصح فلا يقال فكيف ابتلى الله تبارك وتعالى الاكابر فى حال كمالهم وانما الابتلاء لهم يكون فى مقام الارادة ومن كان مرادا فلا يحتاج الى الامتحان أصلا لانا نقول ان كل محبوب محب فهو تبارك وتعالى يبتليه من حيث كونه محبا وينعمه من حيث كونه محبوبا * وفى الحديث الشريف أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان صفات نفسى المؤفة باقية معى الى أن اموت وأنه يجب على استصحاب التحفظ من ارتكاب الفواحش والحمية عنها الى حين لقاء الله عز وجل ويؤيد ذلك قوله تعالى فى حق يوسف على نبينا وعليه وعلى بقية الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آلهم وصحبهم أجمعين كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ولو أن حكم الطبع يزول من غير المعصوم لالتحق بالملائكة كالمعصوم وانخرم النظام وبطلت الحكمة فكان من كمال الولى ابقاء حكم الطبع فيه ليستوفى به ما قسم له من الحظوظ المأذون له فيها قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فانه صلى الله عليه وسلم لما فنى عن الدنيا ومافيها ردت اليه أقسامه المحبوسة عنه فى حال سيره الى ربه جل وعلا حال بدايته فاستوفاها موافقة لربه تبارك وتعالى وامتثالا لامره فكمل مقامه بذلك ولم ينقص وهكذا الولى يرد الله اليه أقسامه وحظوظه بعد الفناء مع حفظ الحدود بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم شهوتى لشئ من المطاعم والملابس اذا دخلت السوق فأنا بحمد الله تبارك وتعالى لو رأيتها أراها ببصر راسى لا ببصر قلبى وأراها رؤية فجأة لا رؤية شهوة وانظرها نظر صورة لا نظر معنى كما أنظرها نظر الظاهر لا نظر الباطن وهذا الخلق نادر فى المريدين اليوم فربما غلبت أحدهم نفسه فاشترى لها ما اشتهته وربما لم يجد معه شيأ فيشتريه فى الذمة ولو برهن أو ضامن ويقول مررت على الشئ الفلانى فأعجبنى وما رأيت معى شيأ من الفلوس وخفت أن يأخذه غيرى بينما أذهب الى البيت وأرجع وهذا كله من غلبة الشهوة والحرص وفوق هذا المقام الذى ذكرناه مقام آخر خاص بالكمل رضى الله تعالى عنهم وهو تخلقنا بالرحمة على أهل الاسواق اذا دخلنا اليها أو مررنا فيها وغيبتنا بامتلاء قلوبنا بالرحمة عليهم عن الميل الى شهوة من الشهوات بل لم يزل صاحب هذا المقام من حين يدخل السوق الى أن يخرج منه يحس بقلبه انه محترق عليهم من غلبة الشفقة والرحمة فلا يزال يدعو لهم ويشفع فيهم عند ربه تبارك وتعالى حتى يخرج ثم انه يشكر الله عز وجل على كونه تعالى غمرهم بنعمته مع غفلتهم عن الشكر عليها ولم يسلبها عنهم جزاء لكفرانهم وقد بلغنا ان ذلك كان من خلق الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه فكان اذا دخل السوق لم يزل يتضرع ويدعو لاهل السوق وتغرغر عيناه بالدموع حتى يخرج منه فرضوان الله على كل فقير وصل الى هذا المقام فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة غضبى باطنا على كل من ادعى عندى دعاوى كاذبة

ومباسطتى له ظاهرا ثم اعلامى له بينى وبينه بكذبه ان رأيت نفسه تحمل مثل ذلك كان يدعى الرقى أو يحب من يرقيه الى مقامات الصالحين رضى الله تعالى عنهم وهذا الخلق فيه جمع بين الغيرة لله تعالى والنصح لذلك العبد وقل من يجمع بين هذين الشيئين وقد دخل على مرة شخص لابس عمامة صوف وله عذبة بحضرة أخى الشيخ أفضل الدين فاطلع على باطنه فرآه مملوأ كذبا ورعونة وشركا لله فى الافعال والاقوال واضمار السوء للمسلمين ثم صار يمدح نفسه ويزكيها فصاح فيه الشيخ أفضل الدين وقال له كذبت وأمر باخراجه وقال له كيف تدعى السلامة مع هذه العلل والمعاصى الظاهرة والباطنة فلا تسأل يا أخى مافعل لابس ذلك الصوف بالشيخ أفضل الدين بعد ذلك فى المجالس فمقت وانسلخ من جميع ما كان يدعيه وصارت أفعاله الظاهرة تكذب ما يدعيه من الاخلاق الباطنة وذلك انه تبع من يزعم انه يعرف صنعة الكيمياء وطائفة العرجان وترك جميع ما كان فيه من الكسب والعبادة الى وقتنا هذا فأخذت أنا عبرتى من ذلك اليوم وصرت ولو أطلعنى الله عز وجل على معاصى جليسى الباطنة لا أفضحه بها وانما أذكر ذلك فى معرض وقائع سايح بن رايح أو اذكرها لصاحبها فى أذنه ثم أصير أجيب عنه اذا أضاف أحد اليه تلك النقائص وأقول ما رأيت عليه الا خيرا وهذا الكلام الذى قيل عنه انما هو من اشاعة الحسدة عنه وذلك لا يقدح فى مقام العلماء والصالحين فليحذر من أطلعه الله تبارك وتعالى على سريرة أحد من المتلطخين بالمعاصى ان يكتم ذلك عن صاحبه ويحكيه لغيره فان فى ذلك عدة مفاسد وربما انتصر بعض المحجوبين له ونسبوا ذلك الشيخ الى غيبة الناس ويصيرون يقولون لا يجوز لفلان انتهاك اعراض المؤمنين بما يزعم ان الله تبارك وتعالى أطلعه عليه كذبا وزورا وحاشا أن يكون هذا من أولياء الله عز وجل وهو يقرض فى اعراض الناس ونحو ذلك وان كان ولابد لذلك الشيخ من اظهار ما كشف له فليكن بنية صالحة ان يصدقه على صحة كشفه فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) طلبى لكل حاجة احتجتها من باب الله تبارك وتعالى دون باب أحد من عبيده ولا أنظر الى باب غيره الا من حيث كون الخلق كالقناة التى يجرى لنا منها الماء لا غير فالفضل لصاحب الماء الذى أجرى القناة لا للقناة فنشكر الوسائط امتثالا لامر الله عز وجل من غير وقوف معها وفى كلام الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه تعام يا أخى عن الجهات كلها حال طلبك حاجة من ربك ولا تنص على جهة معينة منها بغير علم فان ربك غيور فلا يفتح لك باب فضله وأنت ناظر الى جهة أحد من عبيده فسد يا أخى الجهات كلها بتوحيدك وامحها بيقينك ثم بفنائك ومحوك وحينئذ يفتح تعالى فى قلبك عينا تنظر بها الى جهة الجهات وهى جهة فضل الله تعالى فتراها بعينى رأسك بشعاع نور قلبك وايمانك ثم يظهر ذلك النور من باطنك الى ظاهرك كنور الشمعة التى فى البيت المظلم فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه وتسكن النفس والجوارح الى وعد الله وعطائه دون عطاء خلقه ووعدهم فمن لم يصل الى ما ذكرناه فمن لازمه الاعتماد على الاسباب والوقوف معها وذلك شرك عند أهل الحقيقة رضى الله تعالى عنهم انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم استبعادى على نفسى وقوعها فى الكبائر فضلا عن الصغائر ولو صارت يقتدى بى فى مثل هذا الزمان المبارك فان من وصية سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه اياك أن تستبعد وقوعك فى أكبر الكبائر ولو توالت عليك المراقبة لله آناء الليل وأطراف النهار لان باب العصمة مسدود على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل أتباعهم على الصحيح فلا أمان لنا مادمنا فى هذه الدار وقد أغوى ابليس خلقا كثيرا حين ظنوا بأنفسهم الخير ووقعوا فى أكبر الفواحش وبعضهم أوقعه فى عمل الزغل وشنقوه أو نفوه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول ليس لابليس حيلة يوقع بها الفقراء فى المعاصى أكبر من ظنهم بأنفسهم الخير والصلاح فيصرعهم من حيث لا يشعرون لامانهم وعدم حذرهم منه انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وفى القرآن العظيم فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * وفى كلام سيدى احمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه من لم يحاسب نفسه فى كل نفس ويتهمها بالسوء فلا يكتب فى ديوان الرجال انتهى وقد درج السلف الصالح كلهم رضى الله تعالى عنهم على الخوف حتى ماتوا حتى ان بعض رجال رسالة القشيرى أوصى أهله وقال اذا خرجت من هذه الدار على دين الاسلام ومت فشيعوا جنازتى بالدف والمزمار أى الحلال فلما مات فعلوا معه ذلك ولا اعتراض على مثل ذلك فان الموت على الاسلام أعظم سرورا عند العاقل من تزويج ولد أو ختانه وقد رأينا بعض العلماء والصالحين يعطون الزامر وغيره فى الدعوات الفلوس على ذلك واختلاف الائمة رحمة وبالجملة فكل شئ دخل به المجرمون بيت الوالى جائز وقوعه من سيدى الشيخ فليكن على حذر (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا يصح لفقير أن يحفظ من الوقوع فى المعاصى الظاهرة والباطنة الا ان صارت حضرة الاحسان مقره لا يبرح منها ليلا ولا نهارا كالانبياء والملائكة والا فهو معرض للوقوع اذا خرج منها فى وقت من الاوقات فعلم ان أحدا لا يحفظ الا مادام يعبد الله كأنه يراه أو يعتقد هو انه بين يدى الله تبارك وتعالى وانه تعالى يراه ومتى غاب عنه هذا المشهد خرج من الحضرة وتعرض لكل سوء وأجلب عليه ابليس بخيله ورجله انتهى * وكان أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول لا بد للعبد من اسدال الحجاب عليه حتى يقع فى المعصية والا فعصيان العبد ربه تعالى على الكشف والشهود بأن الله تعالى يراه لا يصح أبدا وهذا من جملة رحمة الله تبارك وتعالى بعصاة الموحدين فان مجاهرة الحق تبارك وتعالى بالمعصية على اعتقاد انه تعالى ساخط عليه فى ذلك الفعل قلة احترام للجناب الالهى فكانت العقوبة تشتد عليه ويؤيد هذا حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى اذا نفذ فيهم قضاؤه وقدره رد عليهم عقولهم ليعتبروا أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا ان ابليس قال يارب كيف تؤاخذنى بترك السجود لآدم ولم ترد وقوعه منى فقال الله عز وجل له متى علمت انى لم ارد وقوعه منك أبعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بل بعدها فقال له بذلك اخذتك انتهى فاذا كان ابليس الذى يوقع الناس بالوسوسة اصطاده فخ القدرة الالهية فكيف بغيره فتأمل (وذكر) الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية أن الاسباب المانعة للعبد من الوقوع فى المعاصى أربعة لا خامس لها

اذ

اذ بوجود أحدها فى المؤمن يستدل على عدم تقدير تلك المعصية على ذلك العبد (الاول) المحبة لله تعالى (الثانى) دوام الحياء من الله تعالى على الكشف والشهود بان الله تبارك وتعالى يراه (الثالث) دوام خوفه من مؤاخذة الله تعالى له اذا عصاه وصحة ايمانه بذلك (الرابع) الرجاء لمغفرة الله تبارك وتعالى وثوابه اذا ترك ذلك الذنب فما دام يشهد ذلك لا يقع فى معصية ابدا قال والى ذلك الاشارة بحديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى لانه لو انتفى عنه الخوف من الله تبارك وتعالى كان معه ثلاثة من الاسباب المانعة له من الوقوع فى المعاصى أو واحد منها وكذلك القول فى بقية الثلاثة غير الخوف كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه انتهى أى فان الانسان لا يخالف محبوبه ولا من يستحى من مخالفته ولا من يرجو احسانه ولا من يخشى سطوته وهو كلام نفيس ما أظنه طرق سمعك يا أخى أبدا (وقد تقدم) فى هذه المنن ان العبد لا يقع فى معصية قط الا بعد تأويل أو تزيين ولو تحقق ان الله تبارك وتعالى يؤاخذه ما عصى أبدا كما لو اجج الوالى لاحد نارا وقال له ازن بهذه المرأة وأحرقك بهذه النار لا يزنى بها أبدا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) دوام اعتمادى على الله تبارك وتعالى وحده فى الشدائد دون شركة أحد معه فى ذلك من الاصحاب والمحبين والمعتقدين وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فان حكمى بين الحسدة كحكم البهلوان الذى يمشى على الحبل العالى بقبقاب وجميع الحسدة والاعداء والمبغضين من أهل مصر واقفون تحتى ينتظرون لى زلقة حتى أنزل الى الارض متقطعا فما تغيب الشمس على كل يوم أو تطلع وأنا لم أقع فى شئ يشمتون بى فيه وفى عينى قطرة وتعظم الشماتة عند الحسدة وتصغر بحسب النعمة فان عظمت النعمة على العبد عظمت الشماتة فيه وان قلت بالنسبة الى نعمة أخرى فى العدد مثلا صغرت الشماتة فيحتاج صاحب هذا المقام الى العكوف فى حضرة الله عز وجل على الدوام ومتى خرج منها لتناول شهوة ولو مباحة فقد عرض نفسه للزلقة من فوق الحبل * وكان الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه يقول حكم العارف اذا تناول الشهوة مع الغفلة عن ربه جل وعلا حكم القمر اذا كسف ثم من أعظم النعمة التى يعطاها العبد فى دار الدنيا قيام الجاه عند الحكام وكثرة المعتقدين فيه الصلاح فمن جمع بين هاتين الصفتين صار كل حسود فى بلده ينتظر له زلقة لكونهم لا ينظرون الا لظاهر الدنيا ولو انهم أنصفوا ونظروا الى امور الآخرة لكانوا يحسدونى على مجالسة الله عز وجل ومجالسة رسوله صلى الله عليه وسلم ولو لحظة فى النهار فان ذلك أولى بالحسد لانه لا نعيم فى الدارين أعظم من ذلك * ولما طلعت للوزير على باشاه فى ضرورة الى القلعة وأكرمنى تحرك على الحسدة من كل جانب وصاروا يفترون على أمورا لم تقع لى قط فتعجبت منهم غاية العجب فان منهم من يدعى انه أعلم من فى مصر ومنهم من يدعى الولاية فكيف يحسدونى على اكرام جندى من عبيد السلطان ولا يحسدونى على جلوسى فى حضرة الله تبارك وتعالى فى مجلس الذكر صباحا ومساء ولكن قد عرفت بذلك عدم صدق دعواهم العلم والصلاح ثم ان بعضهم اذا وقع له مصيبة يأتينى فيحملنى حملته فأقاسى فيها الموت دونه ولا أتخلف عنه فان عندنا

ان الحملة تخف بحسب الاعتقاد وتثقل بعدمه وقد جاءني مرة شخص من أهل العلم ليلا وحلني حلته وقال ان بعض الحسدة أرشى شخصا في الحبس كان محبوسا على دين قيل ان فيه شبهة لذلك العالم وقالوا له اكتب فيه قصة للباشا واخبره انك هدمت عنده حائطا فوجدت فيه قدرتين من الذهب وعمودين من الفضة كل عمود طوله ذراع فأشرت عليه ان يسامح ذلك المديون بما سطروه عليه فتوقف فاشتد غضب المديون فكتب بذلك قصة ووصلت للباشاه وأمر الوالي بالقبض عليه فلما جاءني ابلا قاسيت في حملته ما لا طاقة لي به لكونه يرى انه أتم رأيا مني فأمرته بطلوع القلعة قبل أن يطلبه الوالي فطلع وأيقن الحاضرون كلهم بالترسيم عليه فصرت أسأل الله عز وجل وأنا في البيت تحويل قلب الباشا وان يطلعه على الحق في المسئلة فخلا بكل من الخصمين ساعة ثم قال ظهر لي ان دعوى كل منكما باطلة ثم قال للعالم سامح خصمك بما في المسطور وقال للآخر ظهر لي انك كذاب فلو ان هذا العالم كان سمع الاشارة بانه يسامحه بما في المسطور من غير توقف في الباطن لقضيت حاجته من غير ارعاب ولا خوف فالله تبارك وتعالى يصبرنا على هؤلاء الحسدة ويعيننا على دوام الاعتماد عليه ليحمينا من شماتتهم فقد فرت الانبياء من شماتة الاعداء كما في القرآن العظيم والحديث الشريف آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) تعظيمي لولاة الزمان ظاهرا وباطنا من قاض ووال ومحتسب وكاشف وشيخ عرب فان هؤلاء قد رفعهم الله تبارك وتعالى علينا في هذه الدار بين الناس والادب معهم مطلوب شرعا أو عرفا بحسب استقامتهم واعوجاجهم وهذا الخلق قل من يفعله من الناس مع ولاة الزمان باطنا أو خاليا عن العلل وربما قام بعضهم لمن هو عنده فاسق واذا استشعر ان أحدا ينكر عليه قال الضرورات تبيح المحظورات ولا هكذا تعظيم مثلي لهم لاني انما أعظمهم وفاء بحقهم علينا * وكثيرا ما كنت أسمع سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ينبغي لنا ان نعظم الولاة ونكرمهم أدبا مع الله عز وجل الذي ولاهم رقابنا وحكمهم فينا انتهى * وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في باب الوصايا من آخر الفتوحات المكية ما نصه ينبغي للفقير أن يعظم كل وارد عليه من الولاة لان أحدهم لم يطلع لزيارة ذلك الفقير حتى خلع كبرياء نفسه وعظمتها ورأى نفسه دون ذلك الفقير ولو انه كان نظر الى عظمة نفسه وان ذلك الفقير من جملة رعيته لما كان يطلع له زاويته ولكان أرسل اليه ليحضر ومن خلع عظمته قبل أن يصعد الينا فما القينا الا وهو فقير حقير فوجب على الفقراء اكرامه انتهى فان اعترض معترض لا معرفة له بنيتنا ولا مصطلحنا وقال ان ذلك الامير مثلا ظالم لا ينبغي اكرامه قلنا ونحن كذلك ظالمون لانفسنا بالمعاصي ولغيرنا ولو بسوء الظن به في وقت من الاوقات فظالم قام لظالم وأكرمه فلا مزية لذلك الشيخ عليه لو انصف لاسيما ان كان لذلك الامير عليه منة بهدية أو مساعدة له على تمشية جواليه أو مرتبه أو رزقته اذا توقف الولاة فيها ونحو ذلك وقد رأيت شخصا له عمامة صوف وعذبة أرسل نقيبه ليسأل له شيأ من أمير أرسل له عسلا وعدسا وأرزا حتى كفى مولده فلما حضر ذلك الامير تشاهم عليه ولم يقم له فتعجبت من مثل ذلك فان التشاهم انما يكون ممن لا يقبل من الظلمة شيأ ولا يحتاج اليهم في شيء كالاشياخ الصادقين

الذين

الذين رضوا وأما النصاب فلا يناسبه مثل ذلك * وكان من خلق سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه تعظيم الولاة بطريقه الشرعي ويقول انما نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن التواضع للاغنياء اذا طمعنا في دنياهم أو علمنا بأن تعظيمنا لهم يزيدهم طغيانا وغفلة عن الله تبارك وتعالى وأما اذا تعففنا عما في أيديهم وتعاطينا الاسباب التي تميل قلبهم الينا حتى يحبونا ويقبلوا شفاعتنا في مظلوم مثلا فلا حرج علينا في ذلك والاعمال بالنيات انتهى * وكان رضي الله تعالى عنه اذا زاره أحد من الاكابر يمشي معه الى خارج باب داره يشيعه ويقول له حصل لنا سرور برؤيتكم اليوم واذا أرسل له هدية ردها عليه ويقول له ارسلها الى أحد من المحتاجين اليها فاني غير محتاج ثم يقول اذا عظم صاحب ولاية هذا أدبنا مع ولاة أمورنا في هذه الدار وسيعلمنا الله تبارك وتعالى الادب مع أكابر الدار الآخرة اذا انتقلنا اليها ان شاء الله تعالى كما تقدم ايضاح ذلك مرارا ومر ابن موسى المحتسب أيام السلطان الغوري على الشيخ وهو في حانوته فنزل الشيخ وقبل ركبته وهو راكب ودعا له فأنكر بعض الفقهاء على الشيخ فقال له الشيخ انما قبلت ركبته أدبا مع الله تعالى الذي ولاه وجعل الناس يسمعون قوله فاذا خفت البضائع من السوق يبعث مناديه ينادي للناس الذين يحتكرون الطعام عن المحتاجين أخرجوا ما عندكم فيخرجون البضائع حتى يمتلئ السوق أفتقدر أنت يا فقيه على مثل ذلك فسكت الفقيه ثم حكى لي ان بعض الفقراء رأى سيدي عبد الله بن أبي حمزة الشاذلي رضي الله تعالى عنه وهو جالس على كرسي وعليه خلعة خضراء والانبياء والاولياء واقفون بين يديه غاضون طرفهم فاستنكر ذلك وقال كيف يقف الانبياء بين يدي واحد من الناس فقص ذلك على بعض الاولياء فقال له لا تستنكر ذلك فان أدب الانبياء ليس هو مع لابس الخلعة وانما هو مع الله عز وجل الذي ألبسه فزال الاستنكار ثم قال له أما رأيت أكابر الدولة وهم راكبون امام بعض غلمان السلطان اذا ألبسه خلعة أدبا مع السلطان لا مع الغلام انتهى ثم لا يخفى ان التردد للاكابر مع السلامة منهم ليس هو لكل فقير انما هو لكمل العارفين وقد طلبت مرة انني أذهب الى زيارة أمير بلغني انه عازم على زيارتي حملا للمشقة عنه فنهاني أخي العبد الصالح الامير شجاع كيخية الغرب وقال لي ان هؤلاء لا يحملونك على انك تزورهم أدبا مع الله عز وجل الذي ولاهم ولا يعرفون لذلك طعما وانما يحملونك على زيارتهم طلبا للدنيا هم أسوة غيرك من النصابين فتذل نفسك بزيارتك لهم وتحملهم الاثم من جهتك فمن ذلك اليوم ما ذهبت الى أحد من ولاة الزمان وانما أراسلهم في حوائج الناس خوفا على دينهم لا غير * وبالجملة فمن أراد اكرام الولاة له وتعظيمهم له واعتقادهم فيه فلا يأكل لهم طعاما ولا يقبل منهم صدقة ولا هدية الا ان كانوا صادقين في المحبة له بحيث يشهدون الفضل له اذا أكل من طعامهم أو قبل هديتهم فان مثل هؤلاء ارتفعوا عن درجة المعتقدين الذين لا ينبغي أكل طعامهم لان الاكل من طعامهم أكل بالدين والفرق بين المحب والمعتقد ان المحب يطعمك كالوالد سواء كنت صالحا أو غير صالح وأما المعتقد فلا يطعمك الا لاعتقاده فيك الصلاح فاذا أكلت طعامه كانك أكلت بدينك ولا بد أن تعتقد خلل ما تأكله وتسلك طريق الاستقامة مع الله تبارك وتعالى وانا أضمن لك حصول التعظيم والاعتقاد التام وأما من يخالف ما ذكرناه

فان حصل له عندهم جاه واعتقاد فانما ذلك بطريق نصب وحيل وخداع يسأله الله تبارك وتعالى يوم القيامة عنه * وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أراد اجلال الله تبارك وتعالى له فى قلوب عباده فلينظف باطنه من الرذائل وليجل الله تعالى بقلبه حتى لا يتحرك ولا يسكن الا وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى يراه وأما من يظهر للناس خلاف ما يضمر من النفاق والخداع فان الناس يعاملونه بمثل ذلك فيعظمونه خداعا ونفاقا فى وجهه فاذا غاب عنهم وصفوه بما يعتقدونه فيه و يقطعون فروته من ورائه * وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول كيف يقبل الفقير هدايا الظلمة و برهم واحسانهم ثم يطلب له المقام فى قلوبهم هذا أمر لا يكون وهو من قلب الموضوع لانه صار معدودا من عائلة الظلمة وكيف تطلب العائلة ممن يعولها انه يخضع لها و يقبل يدها ورجلها ثم يحكى ان بعض الامراء كان يعتقد سيدى محمدا الحنفى رضى الله تعالى عنه اعتقادا زائدا فأرسل الامير اليه مرة نحو نصف ويبة فضة فدخل بها القاصد والشيخ جالس على الكرسى فصار يحفن منها و يرمى للناس حتى فرغت الفضة فأخبر القاصد بذلك سيده فركب وجاء الى الشيخ وقال له انما أرسلتها لك لتتوسع أنت بها فقال الشيخ للامير خفف ثيابك واملأ لى دلوا من هذا البئر أتوضأ منه ففعل فثقل الدلو عليه فما أطلعه الا بجهد فنظر فيه فاذا هو ذهب أحمر فقال له الشيخ صبه فى البئر واملأ غيره فطلع الدلو كذلك ذهبا حتى فعل ذلك معه ثلاث مرات فقال له قل للبئر ان محمدا يطلب منك ماء للوضوء فطلع الدلو ماء فقبل الامير رجل الشيخ واستغفر ثم يقول سيدى ابراهيم رضى الله تعالى عنه فلو ان سيدى محمدا أخذ الفضة لنفسه أو شكر فضله على ذلك لما قام له فى قلبه جاه بعدها ومن هنا قالوا الوزن الذى يقبل هدايا الامراء مقام نفسه قبل أن يأخذها ومقامه بعده لما وجد مقامه بعده يجىء قيراطا من مقامه قبل الاخذ ومن شك فى قولى هذا فليرد من أتاه بشئ من الذهب مع حاجته اليه فانه يحس بأن مقامه عظم فى عين صاحب الذهب بيقين عكس ماله اذا قبله وقد بلغنى عن بنى بغداد أنهم يقولون قد سئمت نفوسنا من كثرة ما يسألنا الفقهاء والفقراء و بعضهم جعل نزوله كل سنة الى مولد سيدى أحمد البدوى حجة فى سؤالنا وقبول صدقتنا وربما أنه لم يدخل قبة سيدى أحمد مطلقا فيضرب خيمته خارج الملقة و يصير يأخذ ما يأكل هو وجماعته و بهائمه ثم اذا انقضى المولد يأتى الى محلة المرحوم يسألنا بحاله و بقاله و يزعم انه انما نزل لزيارتنا وشوقا الينا وهو كاذب فانا لسنا من العلماء حتى يستفيد منا علما ولا من الصالحين حتى ندعو له ولا عندنا شئ من الحلال حتى يأخذ منه ما يطلبه فما بقى الا انه نصاب فاسق انتهى فاياك يا أخى من وقوع مثل ذلك منك وسمعت جماعة الوزير على باشاه يقولون قد سئمت نفسنا من كثرة ما يسألنا هؤلاء المشايخ ونعطيهم من العدس والعسل والفلوس ثم انهم يقولون عنا انا ظلمة فلاى شئ يأخذون منا ولو ان مثل هؤلاء شموا رائحة الطريق لتعففوا عما فى أيدى الخلائق فكانوا يعظمون فى عيوننا وطلب بعض الفقراء من خازندار الباشاه الزيارة فقال ان زاره استاذى زرته تبعا له وان زار هو استاذى لم ازره لانه مريد من جملة مريدى استاذى فأنا وهو سواء فى الدرجة انتهى فاياك يا أخى أن تخذ صلاحك و لبسك الجبة وارخاء العذبة شبكة تصطاد بها الدنيا فتخسر مع الخاسرين وعليك بالورع تفوز مع الفائزين

فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لولاة أمور المسلمين ومشاركتى لهم فى الهموم والامراض لاسيما السلطان الاعظم وقد مرضت لمرضه مرتين وضربت على مفاصل رجلى مرات آخرها فى شهر رمضان سنة احدى وستين وتسعمائة لما سافر لقتال الروافض ومكثت مريضا من أول رمضان الى آخره فلما شفى السلطان شفيت وجاءنى فى المنام وضرب خيامه من الخليج المجاور لبيتى الى نحو بولاق وكانت خيمته خضراء من ياقوت وفتح طاقة بيتى وقال شكر الله فضلك ثلاث مرات ولقى شخص من أرباب الاحوال الشيخ نور الدين الشربينى وقال له لولا ان عبد الوهاب حمل عن السلطان وجع الرجل فى سفره مالقى خيرا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لتردد أحد من الاكابر الى من علماء وفقراء وامراء فأنا بحمد الله تعالى أتشوش من ترددهم الى تعظيما لهم لاسيما ان أتى احد منهم ماشيا كما يفعله الشيخ العالم الصالح الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى والشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى فسح الله تبارك وتعالى فى أجلهما ونفعنى والمسلمين ببركتهما فانى أكاد أذوب من الحياء منهما لعجزى عن مكافأتهما بنظير ذلك ولعلمى بانهم ما ترددوا الى الا لظنهم فى الصلاح والبركة وأنا أعرف انى لست بصالح وان صفات نفسى أنجس من ماء خرارة المذبح وكان ذلك من خلق سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهما فكانا يقولان اسع الى اخوانك قبل أن يأتوا اليك ولا تنقطع عنهم بحيث يستوحشون اليك فيأتون لزيارتك واياك أن تحب ان أحدا يتردد اليك من غير أن تتردد أنت اليه كما يفعله بعضهم ممن لم تربهم الاشياخ فان جميع ما مع الفقير فى هذا الزمان من المدد قد لا يجىء من طريق واحد يمشى اليه * وقد رأى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه شخصا يقول لفقير ما عدنا ننظركم فزجره وقال لاى شئ ما تذهب أنت اليه اذا اشتقت اليه * وكان رضى الله تعالى عنه اذا بلغه ان أميرا عازم على زيارته يذهب هو الى بيته و يزور ذلك الامير و يقول أنا أقل كلفة فى المجىء اليك من مجيئك الى ولامه بعض الناس على ذلك فقال انما ذم السلف الوقوف على أبواب الامراء لمن يخاف على نفسه الفتنة أو وقف يطلب منهم شيأ ونحن بحمد الله لا نركن اليهم اذا دخلنا عليهم لزيارة أو عيادة ولو أنهم اعطونا شيأ لا نقبله منهم وانما نأتيهم لنسوق اليهم خيرا وتقدم قريبا ان محل طلب زيارة الفقير للامير ما اذا لم يترتب عليه محظور فراجعه واعلم يا أخى ان لصاحب هذا الخلق علامة وهى أن ينشرح صدره اذا تركه الاكابر الذين كانوا يترددون اليه وترددوا الى أحد من أقرانه و ينقبض خاطره اذا تركوا أقرانه وترددوا اليه فان الصادق يحب غفلة الناس عنه ونسيانهم له خوفا أن يشتغل بهم عن ربه عز وجل والكاذب بالعكس وقد رأيت شخصا انقطع فى بيته وزاويته يعتب على بعض الناس عدم تردده اليه فقلت له عتابك للناس على ترك ترددهم اليك يخالف ما أشعته عن نفسك فى مصر من محبة العزلة والانقطاع الى الله تبارك وتعالى فما درى ما يقول فعلم ان كل ما فيه تفعل من العبد غالبا فهو مذموم وهو الى صفة النفاق أقرب بخلاف ما ليس بتفعل وانما دعاه الى ذلك صدق التوجه الى الله تبارك وتعالى كالشيخ

شاهين حين انقطع فى الجبل وكالشيخ دمرداش حين انقطع فى الصحراء فمثل هؤلاء كانوا يفرحون اذا غفل الناس عنهم وقد سمعت مرة الشيخ شاهين رضى الله تعالى عنه يقول والله مالى حاجة فى توسعة مطلعنا الى الجبل حتى يطلع الينا الناس بالدواب ولا بعمارة مسجد عندى لان ذلك يجمع الناس ويكثر الزائرين والعقل يشهد بصدقه رضى الله تعالى عنه فرحم الله تبارك وتعالى من تبعه فى ذلك الرحمة الواسعة آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ردى كل ما يأتينى من مال الولاة فان أبوا أن يقبلوه رميته لكل من كان حاضرا من الناس ولا أقبل منه نصفا واحدا لنفسى ولا لعيالى وكثيرا ما يرسل الاكابر الى مالا مرة الا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فأخرج به للفقراء وأفرقه عليهم ولا أمسك منه درهما واحدا ولا لولدى ولم أر أحدا من أقرانى يفعل مثل ذلك بل رأيت من يقبل المال على اسم الفقراء ويسمى لقاصد صاحب المال أسماء خلائق على غير مسمى ويوهمه انه يفرق ذلك المال عليهم فقال له بعض القصاد يوما أماتأخذون لعيالكم شيأ فقال قد عاهدت الله أن لا آكل من مال الولاة أبدا فتفرس فيه القاصد الكذب فأمر غلامه أن يتخلف بعده حتى ينظر ايش يفعل سيدى الشيخ فى ذلك المال فرآه اعطاه لخازنداره فتسامع الفقراء فأتوا الشيخ فلم يعط أحدا منهم نصفا وقال هذا مال أرسله الباشالى بالخصوص فأخبر الغلام بذلك استاذه فتعجب من ذلك وأخبر بذلك الباشا فقطع عنه بره وصلته فاياك يا أخى أن تفعل مثل ذلك فتخون الله ورسوله وتخون نفسك وصاحب الصدقة والفقراء ولما بلغ بعض الحسدة انى اردمال الولاة قال هذا ليس بقائم عندنا فبلغ ذلك الامير محمد الدفتردار فأرسل الى ذلك الحاسد بالمال الذى رددته أنا وكان ذلك بحضرة جماعة فرده وقال هذا شئ ما فعلته قط فلما رد القاصد الى الدفتردار قال الذى ألقاه الله فى قلبى ان هذا متفعل ولم يرد ذلك الاخوفا من لوث الناس به ولكن خذ هذه الصرة وأعطها له ليلا فى جامع الازهر وجعل فى الصرة رملا وشقفا فلما دخل القاصد بها الى الجامع وجده تحت دكة المؤذنين فأعطاها له فقبلها وانشرح وانبسط وقال سلم على الامير وقل له جزاك الله تعالى عن الفقراء والعلماء خيرا فقال له القاصد يابطال ترد الذهب فى النهار بحضرة الناس وتقبل الشقف والرمل ليلا فخجل وافتضح ووقع لى أيضا ان الامير أحمد الدفتردار زارنى وعرض على ألف نصف فرددتها فخرج ثم أرسلها الى مع غلامه وقال أعطها له بينك وبينه بحيث لا يراك أحد لظنه انى رددتها عليه حياء من الناس فلما جاءنى بها قلت له يا أخى شئ لم أقبله من استاذك أقبله من غلامه ورددتها عليه ثانيا فتحقق انى ما رددتها الا تورعا فاعتقدنى غاية الاعتقاد وقضيت عنده بعد ذلك عدة حوائج للناس وهذا الامر قد أعطاه الله تبارك وتعالى لى من حين كنت صغيرا لا أعرف الرياء ولا النفاق انتهى وانما ذكرت لك يا أخى هذه الوقائع لتقتدى بى فيها وترد الدنيا خالصا الا لعلة والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم خوفى من أحد من الولاة بسبب كلام نقله لهم بعض الحسدة فى حقهم عنى أو نحو ذلك الا ان كان الخوف منهم يرجع الى الخوف من الله عز وجل كما اذا خفت من الله تبارك وتعالى أن يسلطهم على بذنوبى فان ذلك لا يقدح فى كمال مقام المؤمن وقد وقع لموسى عليه السلام وغيره الخوف من الخلق ويجب حمل ذلك جزما على ما قلناه لان

الاكابر لا يشهدون الامور الا من الله تبارك وتعالى اصالة وان شهدوها من الخلق فانما ذلك بحكم التبعية وأيضا فان فى كل مؤمن جزأ يخاف من الخلق ويجب على كل مؤمن كف الضرر عن نفسه قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وانما كنت لا أخاف من الظلمة لعلمى بأنهم لا يسلطون الا على من يحب الدنيا بقلبه وأنا أعلم من نفسى انها لا تحب الدنيا وليس فيها بحمد الله تعالى الا محبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الاولياء والصالحين رضى الله تعالى عنهم وساكن البيت يحميه من كل ظالم واعتقادى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمينى باذن الله عز وجل من كل سوء فى الدنيا والآخرة فعلم أن من لم يحب الدنيا فلا يسلط عليه أحد من الظلمة سواء كان خالى اليد منها بالكلية أو عنده مال لكن فى يده لا فى قلبه فلو أراد الظالم أن يؤذى مثل هذا لما أقدره الله تبارك وتعالى عليه وتأمل يا أخى المجاذيب لما تحقق الولاة منهم تركهم للدنيا كيف صاروا يقبلون أقدامهم ويخافون منهم ومن تغير خاطرهم عليهم وقد قال لى صاحبنا الامير خضر الكاشف بالشرقية والقليوبية لقينى مرة الشيخ على البراسى المجذوب فى طريق قليوب ومعى العسكر فقبض على طوقى وانزلنى من فوق الفرس وصار يصفعنى ويضربنى على عمامتى حتى هدمها فى عنقى بحضرة عسكر السلطان وصرت أرعد من هيبته وأنا خائف منه ثم سألنى أن أطيب خاطره عليه هذه حكايته لى عن نفسه فلو أن أحدا من المحبين للدنيا أراد أن يفعل بالكاشف مثل ذلك لم يقدر ولو قدرانه فعل ذلك لكانوا يضربونه ويحبسونه أو يقتلونه أصلا فعلم ان كل من تحقق بالزهد فى الدنيا حكمه الله تبارك وتعالى فى الولاة ولم يقدر الولاة أن يحكموا فيه ولو كانت عمامته عمامة قاض وثيابه ثياب أمير فافهم ذلك ترشد ومن هنا تصدر العلماء العاملون لازالة منكرات الولاة كالشيخ محيى الدين النووى والشيخ تقى الدين الحصنى ونحوهما لكمال زهدهم فى الدنيا ولو انهم كانوا يحبون الدنيا ومناصبها لما قدر أحد منهم على مخاصمة أحد من الولاة ولا ساعدته القدرة الالهية على مثل ذلك وقد حكى السخاوى فى مناقب النووى رضى الله عنه ان النووى أنكر على نائب الشام لما أراد أن ينقل كتب العلم التى فى خزانة الجامع الاموى الى بلاد العجم وأغلظ عليه القول فأراد نائب الشام ان يبطش به وكان فى فرش نائب الشام جلود نمار وسباع فأشار الامام النووى اليها فقامت سباعا ونمارا بقدرة الله عز وجل وكشرت بأنيابها على نائب الشام فخرج منها هاربا هو وجماعته ثم صالح الشيخ وقبل رجله وكذلك بلغنا ان الشيخ تقى الدين الحصنى رضى الله تعالى عنه هدم وكالة عمرها نائب الشام واخرج حائطها فى طريق المسلمين فارسل نائب الشام اليه من يقتله فلما جاء وجد عند كتف الشيخ سبعا عظيما قدر الفيل فخاف ورجع الى نائب الشام ولم يقدر ان يفعل فيه شيأ فهكذا كان العلماء العاملون رضى الله تعالى عنهم وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول كل من لم يقدره الله تبارك وتعالى على حماية نفسه من الولاة فليس له ان يتعرض لازالة منكراتهم خوفا ان يقتلوه أو ينفوه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حملى للعلماء الذين يدخلون على الامراء ولا ينصحونهم ولا يأمرونهم بمعروف انهم لم يتركوا ذلك الا عجزا أو انهم لم يروا عندهم منكرا وقد كان سيدى

ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه من ادرك منكم النصف الثانى من القرن العاشر فلا يشدد فى ازالة منكرات الولاة لان فى ذلك الزمان تترادف علامات الساعة التى أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم ومن شدد فى منع وقوعها أصلا فكأنه ساع فى خلف ماوعد به الشارع ولا يخفى مافيه قال وعلى ذلك يحمل حديث الطبرانى مرفوعا اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليكم بخويصة أنفسكم ودعوا عنكم أمر العامة انتهى قلت لكن قواعد الشريعة تشهد لوجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مطلقا ولو كان ذلك الامر من علامات الساعة الا ان يخاف الانسان على نفسه من ذلك حصول ضرر شديد لا يحتمله عادة وقد كان الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه يقول لو كشف لولى ان فلانا لابد أن يزنى بفلانة أو يشرب الخمر مثلا وجب عليه النهى لان نور الكشف لا يطفئ نور الشرع غايته ان الله تبارك وتعالى اطلع بعض أوليائه على تقديره على عبده وجميع ما أوجب سبحانه وتعالى علينا ان ننهى عنه كله من تقديره باجماع أهل السنة فالايمان بأن ذلك من تقدير الله تعالى أو مشاهدته من طريق الكشف لا يسقط الامر بالمعروف لان الله تبارك وتعالى قد تعبدنا بازالة المنكرات ولو شهدنا كشفا بانها بارادته وخلقه تعالى * وفى كلام الشيخ أبى المواهب الشاذلى رضى الله تعالى عنه اياك ان تخرق سور الشرع يامن لم يخرج عن عادة الطبع فان الذى أشهدك ان كل شئ فى الوجود خلقه هو الذى أمرك بازالة المنكر انتهى فعلم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا ينافى التسليم لله تبارك وتعالى فالعبد يسلم لربه تعالى من حيث تقديره على عباده ويقوم بما كلف به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأنه ليس للعبد أن يقف مع ظاهر الحديث السابق ويقول قد وجدت العلامات التى أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم ومابقى على أحد وجوب فى أمر غيره بمعروف وانما يترك العبد ذلك اذا خاف على نفسه ضررا شديدا من قتل أو نفى من بلده أو اخراج وظائفه التى بها معاشه ونحو ذلك ولعله مراد الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله فعليكم بخويصة أنفسكم أى لانه يخاف عليكم حينئذ من الضرر الذى لا تطيقونه ولا تجدون معينا يعينكم عليه هذا لا يبعد فليس فى الحديث تصريح باسقاط أصل الامر بالمعروف انما فيه الامر بعدم التشديد فيه لان أمر الشارع صلى الله عليه وسلم لا يترك اختيارا الا اذا نسخ ولا ناسخ لامره صلى الله عليه وسلم بعده الى قيام الساعة حتى ان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فتأمل ذلك وحرره والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم خوفى من مخلوق مطلقا من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جن أو غير ذلك وانما أتحرز من هذه المذكورات عملا بالشرع من حيث انه تعالى قد أمرنى أن لا ألقى بنفسى الى التهلكة كما مر تقريره قريبا لا خوفا من ذلك المخلوق مع غفلتى عن كون ذلك من الله تبارك وتعالى وهذا الامر قد أعطاه الله لى من حين كنت دون البلوغ فلا اهاب سبعا ولا سفرا فى ليل مظلم وان وقع منى خوف من جهة الجزء الذى فى نشأة كل انسان فذلك الجزء ضعيف لا يكاد يظهر له صورة لغلبة عسكر اليقين والتوكل على الله عز وجل على ذلك الجزء فافهم وقد وقع لى انى نمت فى شيخ مدفون فى قبة مهجورة وكانت القبة كلها ملآنة أجحارا

فيها ثعابين كبار لا يتجرأ أحد منها ان يزور الشيخ لا ليلا ولا نهارا الا من خارج القبة فدخلت الشيخ فى ليلة مظلمة أيام الشتاء ونمت فيها فصار الثعابين يدورون حولى الى الصباح ولم يتغير منى شعرة فلما طلع النهار وجدت مكان سحبهم فى السباخ يشبه ذراع الآدمى فى الغلظ فتعجب أهل البلد من ذلك وقالوا لى كيف سلمت فى هذه الليلة فقلت لهم اعتقادى أن الثعبان لا يلسع الا ان ألهمه الله تعالى ذلك فيقال له بلسان القدرة اذهب الى فلان فالسعه فى المكان الفلانى من جسمه ليمرض أو يعمى أو يموت ولا يمكن الثعبان أن يلسع أحدا بلا ارادة الله عز وجل ومن نظر الى السوابق لم يخف من اللواحق وقد سبقنى الى نحو ذلك شجاع الكرمانى رضى الله تعالى عنه كان يذهب الى الغيضة فينام بين السباع الى بكرة النهار ليمتحن نفسه فى اليقين فكانت السباع تشمه وتمشى حوله ولا تضره وكان رضى الله تعالى عنه يقول ما أمثل نفسى فى الليلة التى أنام فيها بين السباع الا بليلة عرسى ونومى مع العروس * ومما وقع لى فى سنة تسع عشرة وتسعمائة انى سافرت الى الصعيد فتبع مركبنا تماسيح نحو سبعة كل تمساح قدر ثور ففزعت الناس كلها من الجلوس على حافة المركب خوفا من ان تخطفهم التماسيح فجعلت فى وسطى مئزرا ونزلت البحر بين التماسيح فهربت كلها منى فطردتها فى البحر ثم رجعت الى المركب فتعجب الناس من ذلك * ومما وقع لى مع الجن ان جنيا كان يدخل على فى بيتى الذى فى مدرسة أم خوند فى الليل فيطفئ السراج ويصير يرمح فى البيت فكان العيال يفزعون منه فكمنت له ليلة وقبضت على رجله فصار يصيح وترق رجله فى يدى وتبرد الى ان صارت كرقة الشعرة الباردة ثم خرجت من يدى فمن ذلك اليوم ما ظهر ونمت مرة عند شخص من أصحابى فى قاعة مهجورة كلها جن فأوقد السراج بعد العشاء وأغلق على الباب وتركنى وحدى فجاء جنى واطفأ السراج ومعه جماعة كثيرة من الجن فصاروا يرمحون حولى الى الصباح وقلت لهم وعزة الله ان قبضت على أحد منكم ما يقدر أحد أن يطلقه منى ولا الملك الاحمر ونمت وأخذنى النوم من غير فزع (ووقع لى) انى دخلت مغطس ميضأة جامع الغمرى ليلا لا توضأ منه وكانت ليلة مظلمة فخبط شئ فى المغطس يشبه الفحل الجاموس وغطس فصعد الماء حتى فاض ونزل ناحية الحنفية فنزعت ثيابى ونزلت عليه فى المغطس فزهق من تحتى فلم أجده وانما كنت لا أخاف من المؤذيات لانى كنت فى مقام التدريج فى اليقين وكذلك لا أخاف من اللص لانه لا يطلب منى الا الثياب أو غيرها من امور الدنيا وأنا بحمد الله تبارك وتعالى اذا رأيته سمحت له بها بطيبة نفس ثم أبرأت ذمته فى الدنيا والآخرة حتى لا يلحقه اثم من جهتى فلم ذا يضربنى أو يؤذينى وأنا أعلم انه لا يضربنى الا ان قلت له ما أعطيك ثيابى مثلا وبالجملة فلى ان اقاتله ولى ان استسلم له بالطريق الشرعى ولا يجب على قتاله الا ان كان معى مال للغير وديعة مثلا أو حريم لى أو لغيرى ولم يمتنع عن الفجور الا بالمقاتلة وأما المال اذا كان لى فهو عندى أخس من ان اقاتل مسلما لاجله فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تنبيهى فى المنام على الامور التى تقع منى فى المستقبل من خير أو شر لآخذ حذرى منها اذا لم يكن الامر مبرما قد حق به القدر وذلك معدود من وحى الحق تبارك وتعالى الى المؤمن ولا يعرف ذلك ويعتنى به الا الاولياء الكمل وقد كان صلى الله عليه

وسلم اذا صلى الصبح يقول لاصحابه من رأى منكم رؤيا يعنى اعبرها له فكان صلى الله عليه وسلم
يحب أن يرى أثر الوحى فى أمته وان اختلف المقام وتفاوتت المراتب ولى أمارات أعرف بها
جنس ما يقع منى لاعينه وأعرف بها عظمة الذنب وصغره بالنسبة لما قرره العلماء من صغير وكبير
ومكروه فاذا رأيت اننى أمشى حول شجر التين أعرف انى حائم حول خصلة دنيئة أريد أن
أفعلها كما فى قصة آدم عليه السلام واذا رأيت انى آكل من الشجرة أعرف انه لا بدلى من
الوقوع فى تلك الخصلة وان رأيت أحدا يجنى التين ويطعمه لى أعرف انه يساعدنى على تلك
الخصلة كما وقع لحواء مع آدم عليهما السلام وان رأيت أنى مجالس للاموات أعرف ان قلبى
مات عن فعل الطاعات وان رأيت أنى مصاحب لاعمى أعرف انى عميت عن طريق حق فأرجع
وان نمت عن وردى ولم أتأثر لهو انه عندى أرى فى الليلة الآتية ان راحلتى ضاعت منى وأنا
مسافر فى أرض كثيرة الوعر والشوك وان نمت عن قيام الليل مع الاوائل أرى نفسى مسافرا
لمكة وقد انقطعت عن الحجاج بنحو مرحلة أو أكثر أو أقل بحسب ما تخلفت فى الزمان وان نمت
عن وقت التجلى الالهى أرى نفسى مضطجعا مع الاموات وان تخلقت بشئ من اخلاق البهائم
أرى نفسى مخالطا للبهائم فى زريبة وربما رأيت نفسى معانقا لذلك الحيوان الذى تخلقت
بأخلاقه من آدمى أو بهيمة وان نمت على غير وتر أرى نفسى تلك الليلة وأنا واقف على باب الوتر
من الجنة فاريد أن أدخل منه فيمنعنى الملك من الدخول ويقول لى أنت نمت على غير وتر وقد
امرت ان لا أفتح هذا الباب الا لمن نام على وتره وأرى الكتابة التى على عتبة الباب الفوقانية
وصورتها باب الوتر وان رأيت قلة صفاء معاملتى مع الله تبارك وتعالى أرى كأنى أتطهر من ماء
منتن الرائحة وهو قليل لا يكفى للطهارة وان رأيت الى كثرة عملى أرى الليلة الآتية انى
ألعب مع المحبطين وان فعلت خصلة من خصال المنافقين أرى نفسى حاملا خشبا عظيما غليظا
أو متوسطا أو رفيعا بحسب تلك الخصلة أصغرها حطب الطرفاء الشعشاع وان وقع منى غيبة
فى المسجد أرى كأنى أشرب فيه الخمر وأرى نفسى كأنى آكل فى لحم رجل مشوى أحمر وأنا
أستحلى ذلك اللحم كالحلاوة فأعرف انى استلذيت بغيبته وان نمت عن قيام ليلة أرى نفسى فى
مركب وهى منحدرة بى الى جهة دمياط وان نقصت من قيام الليل أرى نفسى منحدرا الى ميت
غمر أو سمانود أو غيرها بحسب ذلك النقص وان انحدرت عن بلدى ساقية أبى شعرة أعرف
أنى نزلت فى المقام عن الحالة التى كنت عليها فى الريف قبل مجيئى الى مصر وكأنى لم أترق فى مصر
بعمل من الاعمال التى عملتها وان نمت عن وردى حتى قرب طلوع الفجر أرى نفسى فى الليلة
التى بعدها كأنى تركت صلاة العصر حتى كادت الشمس ان تطلع وان نمت فى الليل وختمت
وردى قبل انصراف أهل الحضرة من بين يدى الله تبارك وتعالى أرى كأنى صليت الجمعة
وحدى قبل الناس ثم انصرفت الى بيتى وان نمت عن قيام الليل فى الليالى الفاضلة أرى نفسى
فى مكة المشرفة وقد تخلفت عن الجمعة حتى كاد الخطيب ان يفرغ من الخطبة الثانية وان كان
تخلفى بسبب الاشتغال بلهو أو عمل لا اخلاص فيه أرى نفسى فى مكة وأنا واقف على مجالس
اللهو والخطيب يخطب فى الحرم لم أحضره وان تركت قيام الليل ليلتين متواليتين أرى نفسى
جاوزت دمياط ودخلت البحر المالح وان نمت ثلاث ليال أرى نفسى فى الليلة الرابعة انى

مضطجع معانق شخصا أعمى مزمنا أكتع يخط برجله فى الارض وبصاقه سائل على لحيته فاعرف
ان مقامى فى النهضة للعبادة كحال ذلك الشخص وان سترت عورة أحد من المسلمين أرى تلك
الليلة كأن لحيتى مضمخة بالمسك والعنبر والغالية والكافور وان رأيت انى آكل طعاما
مخلوطا بغيره أعرف انى مخلط فى اعمالى تلك الايام وان رأيت نفسى فى حارة الباطلية أعرف
انى ارتكبت باطلا فأرجع عنه وان رأيت نفسى تائها فيها أعرف انى لا اهتدى للخروج
من ذلك الباطل الا بعسر وان رأيت سيدى الشيخ أبا الحسن الغمرى رضى الله تعالى عنه
وهو متبسم أعرف انى فعلت شيأ حسنا وان رأيته معبسا أعرف انى فعلت شيأ قبيحا وان
رأيت الشيخ أمين الدين رضى الله تعالى عنه معبسا اعرف انى عزمت على فعل شئ فيه خيانة
للدين فارجع عنه (وقد) عزمت مرة على منع أولاد أخى الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه
ان يخرجوا من باب قاعتى وقلت لهم من باب السر فرأيت تلك الليلة الشيخ أمين الدين وقد فتح
بابا من خلوته يطلعون منه الى بيته فعرفت انى خرجت عن وصية الله تبارك وتعالى على الايتام
فرجعت عن ذلك لما رأيته فتح بابا من خلوته التى هى محل ماله وحوائجه التى يخاف عليها خوفا
من كسر خاطر اليتيم وان خضت مع أحد فى مجالس اللغو أرى تلك الليلة كأنى عائم فى بحر
مع أعمى اخاف الغرق أنا واياه وان اغتاب أحد عندى شخصا برياً وحصل عندى شك فى أمر
ذلك الشخص أراه تلك الليلة وعليه ثياب نقية البياض فأعرف كذب ذلك المغتاب له وان
رأيت انى لابس ثيابا خضرا ملطخة بحبر أعرف ان أحدا ينقصنى فى مجلس ويقبل بعض
الناس ذلك منه فان لباس الاخضر لباس الصالحين ولكنه لم يسلم ممن يجرح فى صاحبه وان
سمعت غيبة فى أحد ولم أردعنه أرى نفسى تلك الليلة وأنا كأنى اسمع الآلات المحرمة فى مجلس
الخمر مع أهل ذلك المجلس وقد صب الخمر على ثوبى فدنسه وان نفرت نفسى من فعل خير
أرى كأنى منحدر فى مركب وهى سائرة كالحجر المرمى فى المشرعة وان وقعت فى معصية
رأيت نفسى فى ناحية برشوب الصغرى أعرف صغر تلك المعصية أو ناحية برشوب الكبرى
أعرف كبر تلك المعصية وان الله تعالى غضبان على وان رأيت نفسى تائها فى أزقة هاتين
البلدين أعرف انى لا أخرج عن تلك المعصية الا بعسر وان رأيت نفسى فى مركب قد أرست
على برشوب أعرف انى أقع فى شئ عاقبته رديئة وان رأيت انى فى الصالحية أعرف ان الحق
تبارك وتعالى رضى عنى وعفا عنى فى ذلك الذنب وان رأيت نفسى مقلعا من الصالحية
فى مركب نحو مصر أعرف انى شرعت فى الرجوع الى المقام الذى نزلت منه بفعل ذلك
الامر القبيح وان رأيت نفسى مقلعا من مصر العتيقة الى ناحية الصعيد أعرف انى شرعت
فى الرقى عن مقامى قبل فعل تلك المعصية مثلا وان رأيت نفسى خارجا من باب النصر الى
الصحراء أعرف انى غير منصور فى تلك الحركة التى أنا فيها فى ذلك الوقت وان رأيت نفسى
داخلا من باب النصر أعرف انه لا بد من نصرتى وان وقعت فى تقريب شخص أو فى فعل
عاقبته رديئة وأنا أحسب أنه حسن أجد نفسى وأنا أغرس شجرة التين التى هى كناية عن
حصول الندم بعد ذلك ثم ان غير الله تعالى الحال أجد ذلك الشجر قد تحول خسا أو قلقاسا ونحو
ذلك من الخضراوات وان جلست فى مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبى

يتفكر فى شئ من أمور الدنيا أرى تلك الليلة ان بستانى الفاكهة تحول الى شجر شوك وأثل وسدر وان غفلت عن الحضور مع الله تبارك وتعالى أرى شجر بستانى كله قد اصفر من العطش بقدر ما غفلت فيه من مرات الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو مرات من الذكر وان عظمت الغفلة تلك الليلة على قلبى ولم أحضر الا قليلا أرى انى موسق مركبا ترابا من بلاد الريف وأنا مقلع بها الى مصر التى هى بلد السلطان فأعرف ان عملى تلك الليلة لا يصلح هدية للملوك بوجه من الوجوه وان رأيت أحدا من العصاة المغفور لهم ورجحت نفسى عليه أرى تلك الليلة انى على الصراط وذلك العاصى يحاذينى على الصراط خوفا أن أقع منه فأعرف أنه أحسن حالا منى عند الله تبارك وتعالى فأستغفر فى حقه وان تلاهيت عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو عن ذكر الله عز وجل لاجل كلام أحد من الكشاف أو مشايخ العرب الذين يدخلون على وأنا فى المجلس أرى تلك الليلة أن بستانى الفوا كه ليس فيه سوى صف واحد بجانب الزرب من شوك وأثل وصفصاف واشجار غير مثمرة والباقى كله قاعا صفصفا ليس فيه شجر فمن نظر الى البستان من بعيد يعتقد انه مغروس كله ومن دخله لا يجد فيه شيأ فاعرف ان عملى فى ذلك المجلس لم يحصل منه شئ سوى الصورة فقط كبساتين أهل سبا وكثيرا ما أرى الصف الذى عند الزرب كله شجرتين فاعرف شدة الندم يوم القيامة وان لم أتدارك أمرى فى الدنيا لم أتداركه فى الآخرة وان مالت نفسى الى جاريتى من وراء زوجتى الممكنة نفسها منى أرى تلك الليلة انى صاحبت كلبة جرباء ضعيفة تأكل الذباب الطائر وتلتقطه من الهواء فاذا عطست طار من انفها بصاق فأصاب ثوبى فأحتاج الى غسله فأعرف ان نفسى عند ذلك كنفس الكلبة المذكورة فى الدناءة والقذارة وطيب نفسها بأكل الذباب الذى يورث القرف والمرض ولما زوجت جاريتى دام السرور وامتنعت من رؤية وجهها نحو سنتين فرفعت طرفى لها مرة بحضرة زوجها فرأيت تلك الليلة كأننى فى جامع الحاكم وبين يدى قطعة من دم أسود نحو القنطار معجونة بخمر فأنا اريد أن ألحس منها مع انى بحمد الله تبارك وتعالى لم أنظر الى وجهها بشهوة واعلم ان حكم الامة المزوجة مع سيدها حكم المحارم فى النظر فعلمت بذلك كثرة اعتناء الحق تبارك وتعالى فى منعى من النظر الى جاريتى المزوجة ولو بغير شهوة وشكرته تعالى على ذلك وان أكثرت الكلام فى العلم وأنا غافل عن العمل به أرى نفسى تلك الليلة وأنا أعاشر جماعة من الفقهاء المشهورين بعدم العمل بالعلم وان عظمت غفلتى بالتلاهى مع أحد من الخلق أرى نفسى تلك الليلة وأنا فى المقابر أتفرج على أهل السخرية فأعرف انى نسيت الموت والاعمال الصالحة واشتغلت بما لا يعنينى وان سكنت الى خلق مذموم أرى نفسى ساكنا فى المحلة فى بيت أحد من الفسقة وان أكلت طعاما من غير تفتيش على حله أو التبس على وجهه مع التفتيش أرى ذلك الطعام تلك الليلة وقد قدم لى وهو مطبوخ بلحم كلب أو خنزير أو ميتة أو لحم حمار ونحو ذلك فأعالجه بالتقيء فان لم يخرج اكثرت من الاستغفار (ومما وقع لى) ان محمد بن اخت خضر أتانى بطعام قلقاس حامض بلحم ضانى وقال كل هذا فان هذا من طعام شخص يعتقدك تزوج الليلة فأكلت منه فرأيت تلك الليلة كأنه يقدم الى طعاما فيه لحم كلب وخنزير وهما معا مطبوخان وأولئك الجماعة الذين أكلوا معى يأكلون معى

فى المنام فبحثت عن ذلك فوجدته طعام عبد تزوج ويسرق من مال سيده شيأ فعمل به العرس وسيده من مباشرى الظلمة فكأنه حرام بعد حرام من حيث كسب سيده ومن حيث سرقته وان اشتغلت عن الطاعات من أوراد بشئ من الدنيا أرى تلك الليلة ان اللص قد نقب جدار دارى وأراد الدخول الى قعر الدار (والوقائع) فى ذلك كثيرة وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فينبهنى حتى اتدارك ما يمكن تداركه قبل موتى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لرفع صوتى بالذكر محبة فى الله عز وجل وطلبا لاحد يذكر الله عز وجل بذكرى وتنهض الهمم الاخوان لا لعلة أخرى من حظوظ النفس فأنا أحب اذا قلت لا اله الا الله أن يسمع بها أهل المشرق والمغرب من انس وجن ومسلمين وكفار وقد بلغ الكتمان حده لكونى الآن فى معترك المنايا وما بقيت نفسى بحمد الله تبارك وتعالى تطلب مقاما عند الخلق ولا شيأ سوى رضا الله عز وجل عنها ويا طول ما كتمنا العبادات ويا طول ما أمرت قيم المسجد أن يغلق شبابيك المسجد حتى لا يسمع أحد صوتنا بالورد فى ذكر الله تعالى ولو مرة واحدة وأنا الآن أحب اقيم المسجد أن يفتح الشبابيك كلما نذكر فلعل أحدا من المارين يسمع صوتنا فيذكر الله تعالى ولو مرة واحدة محبة فى الله عز وجل ومحبة فى حصول الخير للمارين الغافلين وانما كنت أخفى أعمالى قبل أن يشتهر اسمى فى مصر وغيرها وقد بلغت الشهرة حدها والله انى لا طلب فى بعض الاوقات الخفاء فلا يتيسر لى وأشتاق الى بعض الاخوان فلا أقدر على الخروج اليه لكثرة ما يشير الناس الى بالاصابع فأخاف أن أكون معدودا من شر الناس كما ورد ولذلك لبست الطيلسان وصرت أرخيه على وجهى حتى لا أعرف فلم يزل الناس يسألون من يقود بى الحمارة عنى حتى صاروا يعرفونى ولو غطيت وجهى فتركت الطيلسان ثم انى قصدت بارخاء الطيلسان على وجهى الآن كف البصر عن فضول النظر وان وقع ان أحدا عظمنى أجد ذلك من باب فضل الله تبارك وتعالى لا من باب المكر والاستدراج هذا قصدى الآن وازيد فى اعمال الشكر لله تعالى (وقد علم) مما تقرر ان ما ورد من ذم الشهرة فى نحو حديث من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من النار وما ورد من ذم التسميع فى نحو حديث من سمع سمع الله به محمول على من فعل ذلك رياء وسمع الناس باعماله لغير غرض صحيح وسيأتى زيادة على ذلك فى نعمة ارخائى الطيلسان على وجهى حياء من الله عز وجل ومن الخلق فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى للتقليل من مجالسة الاكابر كلهم من العلماء والصالحين وقضاة العساكر والامراء والكبراء خوفا من وقوعى فى الاخلال بواجب حقهم لا لعلة أخرى فان حقوق الاكابر يعجز أمثالنا عن الوفاء بها والقاعدة ان كل من كثرت مشاهدة الناس له هان فى العيون ولذلك قالوا أقل الناس نفعا بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول الى معرفة قلبه وما فيه من الاسرار والمشاهد النفيسة انتهى (وتأمل) أهل مكة لما كثرت مشاهدتهم للكعبة كيف تجدهم لا يعظمونها كل ذلك التعظيم الذى يقع من الآفاقى ومن هذا الباب أيضا احتجاب الخطيب فى خلوة الخطابة انما عمل به العلماء طلبا للتأثير وعظه فى قلوب السامعين لان التأثير تابع لشدة

الهيبة ولوان الخطيب جلس يمزح ويلغو ويستغيب الناس الى ان امر بالصعود الى المنبر على اثر تلك الغفلة واللهو والمعصية لما اثر وعظه فى قلوب السامعين من أهل ذلك المجلس وربما وعظهم بشئ فقالوا له بلسان الحال أو المقال قل هذا لنفسك (فعلم) ان مجالسة الاكابر لاتطلب شرعا الالمصلحة ترجح عن البعد عنهم لاسيما ان كانوا امراء (وقد) قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه اياك والدخول على الامراء ولو أمرتهم ونهيتهم فان ذلك لايتيسر لك المداومة عليه انتهى وكم ينظر الفقير الجالس عند الامير محرما فى ما كله ومدخله ومخرجه وملبسه وملابس غلمانه وهو ساكت لاينهاهم عن ذلك لاتصريحا ولاتعريضا بل قد رأيت من كان يأخذ البلص على يده للامير ثم ان الامير يستشهد به فى أنه لايقبل بلصا فيشهد له بذلك ويقول حاشا كم من ذلك حاكم الله من مثل ذلك فالبعد أولى والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تعظيمى للشرفاء وان طعن الناس فى نسبهم وأرى ذلك التعظيم من بعض مايستحقونه على (وكذلك) من نعم الله تبارك وتعالى على تعظيم اولاد العلماء والاولياء واكرامهم واجلالهم بطريقه الشرعى ولو كانوا على غير قدم الاستقامة ثم من أقل ما أعامل به الشريف فى الاجلال والتعظيم ان أعامله مثل ما أعامل نائب مصر أو قاضى العسكر وهذا خلق عظيم غريب فى هذا الزمان قل من يعمل به من الناس (ومن جملة الادب) مع الشرفاء ان لايجلس أحدنا على فرش أو مرتبة أو صفة والشريف بضد ذلك وان لانتزوج لهم مطلقة أو زوجة ماتوا عنها (وكذلك) لانتزوج شريفة الا ان كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وان يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يقتر عليها فى الماكل والملبس دون قدرتنا ونقول ان جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار ذلك (وكذلك) لانمنعها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعلها اذا قامت واحتاجت ونقوم لها اذا وردت علينا لانها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك) من الادب ان لانرى لها بدنا ولو لبيع أو شراء الا ان تعين ذلك علينا شرعا ولا ننظر رجلها اذا كان أحدنا بائع اخفاف ولا نمعن النظر اليها فى الازار اذا مرت علينا فان ذلك يغضب جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآنا نفعل ذلك (وكذلك) من الادب مع الشريف ان لايطلب منا شيأ ونمنعه ولو قوت يومنا أو عمامتنا أو جوختنا النفيسة الا لعذر يقبله منا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها فى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذرة من التراب (وقد) أوضحنا الكلام على حقوق الشرفاء فى كتاب البحر المورود وتقدم أيضا فى هذه المنن اننا لانفتح مجلس ذكر فيه شريف بل نسأله أن يفتتح بنا ثم نكون تبعا له فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بصوت الشريف وتمييزه عن غيره ولو من وراء حجاب (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به على معرفتى لكلام النبوة وتمييزه عما ادرج فيه (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به على معرفتى بالمساطير الزور وتمييزها من غيرها فأرى الحرف مينا لاروح فيه عكس الحرف الذى وضع بحق (وكذلك) مما من الله تبارك وتعالى به

على معرفتى بشهادة الزور فأعرف ذلك من نطقه بالكلمة ثم انى توجهت بقلبى الى الله تبارك وتعالى فحجب عنى جميع ذلك فى سنة خمسين وتسعمائة أدبا مع الشريعة المطهرة (وكان) على هذا القدم سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وكذلك أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وربما نازعهما أحد فى ذلك فيخبرانه بأوقات كل معصية وأنها تكررت منه كذا كذا مرة أولم تتكرر فيرجع اليهما ويستغفر (وكان) على هذا القدم أيضا الشيخ محسن المجذوب المدفون بتربة جانم الحمزاوى بالقرب من الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه كنت جالسا عنده وكان برجله اليمنى اكلة فقال له انسان الذى طلع فى هذه ان شاء الله يطلع لك فى الرجل الاخرى مازحا معه فقال له الشيخ مايستحق ذلك الا الذى أمسك امرأة جاره فوق الفرن فى بلده فى الوقت الفلانى فاصفر لون الرجل فقلت له مالك فقال هذا الامر صحيح وله سبع وخمسون سنة ثم صار يتعجب ويقول كان هذا الشيخ فى أين وأنا فى اين (ثم) من فوائد معرفة صوت الشريف من غيره مبادرتنا الى تعظيمه والادب معه ولا نتوقف على اظهار علامة خضراء فى عمامته او ثبوت نسبه عند حاكم (وكذلك) من فوائد معرفتى لكلام النبوة من غيره أنى أبادر الى العمل به من غير معرفة ما قاله المحدثون فيه من صحة أو حسن أو ضعف وأقدمه على ماشككت فيه (وكذلك) من فوائد معرفتى بالكلام الزور عدم تصديق قائله وعدم الاكل من غلته أو اجرته ان كان مكتوب رزقة أو بيت وهذه الامور قد اعطاها الله تبارك وتعالى لى من حين كنت صغيرا (وقد كنت) وأنا صغير أسمع الخطيب يروى حديثا يقول فيه الليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير ايهما واعلموا ان احدا لايموت حتى يرى حسن عمله وسوء عمله فكنت اقول فى نفسى تركيب هذا الكلام ليس فيه فصاحة لركاكته حتى رأيت الحافظ المنذرى نبه عليه فى الترغيب والترهيب وقال فى اسناده من لايوثق به فلا تسأل يا أخى عما حصل عندى من السرور لما وافقنى الحفاظ على ما كان عندى من طريقتهم الظاهرة فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من الصدقات الخاصة الالضرورة شرعية لظهور المنة فيها بخلاف العامة كالموقوف على الفقراء والمساكين فلا أكره الاكل منه لكن بشرط الحاجة وسيأتى فى هذه المنن كراهة أكلى من خبز الخوانق الموقوف على الصوفية لعزة اجتماع شروط الصوفية المنطاق اليها الاسم فى عرف أهل الطريق كالجنيد واضرابه فراجعه (وأما) دراهم الزكاة المفروضة فلا أتذكر أنى أكلت شيأ منها ولا لبست وعلى ماتقدم ذكره أوائل الكتاب من أنى من ذرية محمد بن الحنفية رضى الله عنه فأنا شريف فيحرم على الصدقات وبتقدير انى لست بشريف فلى التعفف عن اوساخ الناس وان قبلت شيأ من الزكاة فى السنين الخالية فانما كان على اسم المحاويج من الفقراء والارامل والعجائز (وقد) منع الناس زكاة أموالهم فى سنة تسع وخمسين ومابعدها فلم يأت الفقراء شئ منها لقلة المكاسب وضعف يقينهم فأسال الله تبارك وتعالى أن يرزقنا القناعة حتى نلقاه آمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) استئذانى بقلبى لربى جل وعلا أو لرسوله صلى الله عليه وسلم أو لاحد من المجتهدين رضى الله تعالى عنهم أو غيرهم اذا كنت أقرأ فى قرآن أو حديث أو علم

وأردت أن أكلم أحدا فى حاجة فأقول بقلبى ولسانى دستور يارب أكلم عبدك فى حاجة كذا أو دستور يارسول الله أو دستور يامحمد يا ابن ادريس مثلا أن أكلم فلانا فكل ذلك مراعاة للادب مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع العلماء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولهذا الادب حلاوة عظيمة يجدها صاحبه لا يعادلها حلاوة ثم ان غفلت عن الاستئذان وكلمت انسانا فلابد من استغفارى لله تبارك وتعالى حتى يلقى الله تعالى فى قلبى أنه قبل استغفارى (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه اذا كلم انسانا غافلا وهو يقرأ القرآن يستغفر الله عز وجل ألف مرة وان كلم أحدا وهو يقرأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله تبارك وتعالى أكثر من سبعين مرة وان كلم شخصا وهو يقرأ فى كلام أحد من العلماء رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم يستغفر الله جل وعلا ثلاث مرات ولم أر لهذا الادب فاعلا الآن من أقرانى غيره فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) جعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة بينى وبين الله تبارك وتعالى فى كل حاجة طلبتها الا انه صلى الله عليه وسلم كبير الحضرة الالهية فسؤال الرب جل وعلا بلا واسطته سوء أدب معه صلى الله عليه وسلم ولانا لا نعرف الأدب مع الله تبارك وتعالى لعدم احاطتنا به عز وجل بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك (وفى كلام) سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه اياك ان تحذف واسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الله عز وجل بلا واسطته فانك تكون اذا مبتدعا لا متبعا والكامل لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه أبدا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لمد رجلى فى ساعة من ليل أو نهار الا بعد قولى دستور يا الله أمد رجلى لأريحهما من القرفصاء ثم أمدها بعد ذلك وكذلك الحكم فى مدها نحو المدينة المشرفة أو نحو ولى من الاولياء لا أمدها ناحية أحد منهم حتى أقول دستور ياسيد المرسلين أو دستور ياسيدى عبد القادر ياجيلانى أو ياسيدى أحمد يا ابن الرفاعى أو ياسيدى أحمد يابدوى أو ياسيدى ابراهيم يادسوقى ونحوهم من الاولياء الاحياء والاموات كل ذلك لشهودى أنى بين يدى الله تبارك وتعالى أو بين يدى رسوله صلى الله عليه وسلم أو أئمة دينه رضى الله تعالى عنهم على الدوام شعرت بذلك أو لم أشعر فان لم يكن ذلك كشفا كان ايمانا (ولهذا) الادب حلاوة عظيمة لا يقدر قدرها ثم انى اذا حصل لى وجع من كثرة ضم رجلى بحيث أنى أعرف أن مثل ذلك الوجع يعذرنى الله تبارك وتعالى فيه بقرينة قواعد الشريعة فحينئذ لا يتأكد على الاستئذان (وقد رأيت) الام اذا خافت على ولدها من القرفصاء تصير تمد رجلى ولدها كلما قبضهما رحمة به مع ان رحمتها بولدها دون رحمة الله تبارك وتعالى بعبده بيقين فاذا كانت الام تمد رجلى ولدها مع ضعف رحمتها فالله تبارك وتعالى أرحم وأشفق ولم أر لهذا الادب فاعلا من أهل عصرى الا قليلا فاعمل على التخلق بذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى للنوم على حدث أكبر أو أصغر ظاهر على

الجسد أو باطن من حقد أو مكر أو خداع أو غل أو حسد أو تنقيص أحد من المسلمين الا بطريق شرعى كل ذلك مراعاة للادب مع الحضرة التى تنتقل اليها بعد النوم فان الارواح اذا ارتفعت عن الجسم الى السماء لا يؤذن لها فى السجود بين يدى الله تبارك وتعالى الا اذا نامت على طهارة ظاهرة وباطنة فان لم تكن طاهرة كما ذكرنا منعت من السجود والدخول لحضرة الله عز وجل فتصير واقفة خارج الحضرة لا تقدر على السجود ولو أنها سجدت خارج الحضرة على حدث لم تقبل فى عالم الارواح فصلاتها باطلة وتأثم بذلك انما يشا كل مقام صاحبها ويستروح لما قلناه بقوله صلى الله عليه وسلم فى خروج النساء لصلاة العيد والحيض يعتزلن المصلى مع أن المصلى ليس هو بمسجد انما ذلك لكونه محلا يسجد الناس فيه فافهم وما يعقلها الا العالمون (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لسيدى أفضل الدين اياك أن تنام على حدث ظاهر أو باطن من محبة الدنيا وشهواتها فربما أخذ الله تعالى بروحك تلك الليلة فتلقى الله تعالى وهو عليك غضبان بحسب قبح ذلك الذنب الذى نمت عليه (وقد قال) تعالى أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض الآية (وفى) الحديث أيضا مرفوعا يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وفى) الحديث أيضا ان الله تعالى من منذ خلق الدنيا لم ينظر اليها أى نظر رضا عنها وعن محبها والا فهو تبارك وتعالى ينظر اليها نظر تدبير ولولا ذلك لذهبت فى علم الله جل وعلا ولم يبق لها وجود فافهم ذلك فمن نام على محبة الدنيا ومات فى تلك النومة حشر مع مبغوض لله لم ينظر اليه منذ خلقه (وهذا) الامر قل من يتنبه له حتى يتوب منه بل غالب الناس لا يعد محبته للدنيا ذنبا أبدا وغاب عن هؤلاء قول المسيح عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فلم يخرج عن محبتها خطيئة واحدة انتهى (وكذلك) ينبغى للانسان مراعاة التوبة من جميع الذنوب والشهوات أيضا اذا استيقظ من منامه فربما مات بغتة فلم يمهل عليه ملك الموت حتى يتوب (وقد كان) مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يجمع أصحابه ويقول لهم تعالوا نستغفر من الذنب الذى لا يهتدى أحد للتوبة منه وهو محبة الدنيا فواظب يا أخى على التوبة من ذلك وواظب على النوم على طهارة الظاهر والباطن كما ذكرناه لك ولا تترخص تندم فى الآخرة والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى للنوم فى الثلث الآخر من الليل أشد من كراهتى للمعاصى الظاهرة وكذلك أكره النوم ليلتى العيدين وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان أو ليالى القدر ونحو ذلك الا غلبة لا اختيارا وربما نمت جالسا لحرصى على اليقظة وذلك لا ينقص رأس مال الفقير بخلاف نوم الاختيار (وهذا) الخلق من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على ومن أين لمثلى أن يوقفه الله تعالى بين يديه فى الظلام مع أوليائه وأصفيائه وان لم ألحق بهم فان صفوف المواكب الالهية على هيئة صفوف الدنيا ولله المثل الاعلى فيقف الاكابر فى حضرة الشهود الكبرى التى ما فوقها مرتبة ومن دونهم قريبا منهم وهكذا الى آخر من يحضر وربما تأخرت عن المبادرة الى موقفى المعتاد فيقول لى جارى فى الموقف قد تخلفت هذه الليلة عن عادتك وهناك شخص لم يزل يمزح معى ويقول اذا رآنى قد جاء المتملق على الله لكثرة ما يسمعنى أدعو لنفسى ولاخوانى (واعلم يا أخى) ان الموكب الالهى تارة ينصب من أول النصف الثانى

وتارة ينصب من أول الثلث كما يعرف ذلك أرباب القلوب الا ليلة الجمعة فانه ينصب من غروب الشمس الى خروج الامام من صلاة الصبح كما ورد فى حديث رواه الامام سنيد فى تفسيره فينبغى لكل مسلم أن لا يغفل عن سؤال ربه ليلة الجمعة من الغروب الى صلاة الفجر وذلك لان الملك ما كل وقت يتجرأ عبده على سؤاله فاذا رفع الحجب عن قلوب عباده وقال لهم هل من سائل هل من مبتلى هل من مستغفر ونحو ذلك فقد أذن لهم فى السؤال وما أذن لهم فى ذلك الا وهو تبارك وتعالى يريد أن يجيب دعاءهم كما صرح به فى الحديث فلا يغفل عن الدعاء فى ذلك الوقت الا كل محروم (وتأمل) يا أخى أصحاب السلطان اذا رأوا من يتخلف عن طلوع الموكب كيف يقطعون جامكيته ويمحون اسمه من ديوان عسكر السلطان فيصير معرة بين الناس (وكذلك) حكم الفقير اذا نام فى وقت المواكب الالهية ربما يمحون اسمه من ديوان الولاية (وكان) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه يقول ما من ليلة الا و ينزل فيها انشار من السماء فيفرق على المستيقظين و يحرم النائمون انتهى (وقد) مكث ابن المؤذن بناحية منية أبى عبد الله أربعين سنة لا يضع جنبه الارض فكان سيدى محمد السروى يقول لم يدع ابن المؤذن مددا ينزل من السماء فى ليل أو نهار الا وله فيه نصيب فاعمل على التخلق بذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع فى ذكر جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة ثنائى على الله تبارك وتعالى اذا نزل على ما يسوءنى عادة لعلمى بأن تقديراته تعالى كلها على عباده عين الحكمة لا بالحكمة لانها لو كانت بالحكمة لكانت افعاله تعالى معلولة تحت الحكمة (ومن هنا) كان لا يجوز السخط على شئ من افعاله تعالى قط ومن سخط فهو جاهل ولو كشف للعبد عما يسوءه من الواردات الالهية ورأى ما اعد الله تبارك وتعالى له فى نظير صبره عليها لكان هو يسأل الله تبارك وتعالى وقوع ذلك (وأيضا) فان كل واقع فى الوجود بارادة الهية وسبق علم فلا يصح تغييره (وفى الحديث) اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ومعلوم ان الانبياء والاولياء محبوبون له تبارك وتعالى وما يفعل الحق بمحبوبه الا ما يقربه اليه (وايضاح ذلك) أن الحق تعالى متعرف متعطف بكل شئ ورد من حضرته ليعرف أهل حضرته مقدار الوصل والهجر ومقدار النعمة والبلاء ومن تأمل الداء بعين الاستبصار وجده دواء وخيرا هذا فى البلايا فى الجسد والمال والولد ونحوهم وأما البلاء فى الدين فذلك مؤذن بغضب الله تبارك وتعالى على العبد فافهم واياك والغلط (وقد) قلت فى هذا المقام

يارب لا أحصى عليك ثناء * فى كل أمر سرنى أو ساءا
أنت الحكيم وعين فعلك حكمة * قد عمت السراء والضراءا
بكليهما متعرف متعطف * فالداء فى الدنيا نراه دواءا

فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا اتداوى قط من مرض الا ان اشتد بحيث يشغلنى

الالتفات اليه عن كمال الاقبال على الله تبارك وتعالى والحضور معه ومادمت اقدر على الحضور النسبى فى عباداتى فلا اتداوى ثم لابد لى مع التداوى بشرطه من مراعاة نية التداوى لحق الغير لا لخروج عن حظ نفسى من محبة العافية بالطبع لا لكون الحق تبارك وتعالى هو المالك لجسمى اذ العارف انما يتداوى لاجل كون ذاته أمة لله تبارك وتعالى لا لنفسه هو ولولا انها ملك لله تعالى ما اعتنوا بها فى التداوى كل ذلك الاعتناء ففرق بين من يتداوى قياما بواجب حق ربه عز وجل وبين من يتداوى قياما بواجب حق نفسه وما يعقلها الا العالمون (ونظير) ذلك محبتى للعفو من قبل الحق تبارك وتعالى ولولا انى اعلم محبة الحق تعالى له ما طلبته منه ومن مقام الاكابر انهم لا يعتنون بشئ الا ان رأوا وجها فيه للحق تبارك وتعالى دون أنفسهم فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى لخطاب الحق جل وعلا ومناجاته اذا تلطخ ثوبى أو بدنى عذرة ولو من مرض حصل أو نحوه الا ان وجب ذلك الخطاب تعظيما لحضرة مناجاة الحق جل وعلا لا سيما ان حصل لى ادرار بول أو مشى بطن فمن خاطب الله تبارك وتعالى فى حال تقذر بدنه أو ثيابه فهو خارج عن أدب الاكابر وكثيرا ما أرسل الى أحد من الاخوان ليحادثنى بامور الدنيا ويشغلنى عن مراقبة الحق تبارك وتعالى فى تلك الحالة القذرة حتى لا استحضر أنى بين يدى ربى تعظيما لجنابه عز وجل لا لعلة اخرى (ومن هنا) يحرث الاكابر ثيابهم للجمعة والجماعات وبسطوا لصلاتهم السجادات النفيسة المبخرة تعظيما لحضرة خطاب الله تبارك وتعالى المشار اليها بنحو حديث ان الله فى قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه وخوفا ان يدوس أحد برجله فى محل يتخيل فيه وجود قرب الحق تبارك وتعالى حين يصير يعبده كأنه يراه ففرش السجادة مطلوب ليتوقى الماشى الدوس برجله اذا رآها مفروشة فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) حضورى مع الله تبارك وتعالى عند أكلى الفاكهة والحلوى وغيرهما من الشهوات كالمناكح والملابس فلا أفعل شيأ من ذلك غافلا عن الله تبارك وتعالى وانما افعله بحضور ونية صالحة كنية مداواة النفس بها لتوافقنى فيما أريد منها من طاعة الله عز وجل فان لسان حالها يقول لصاحبها كن معى فى بعض اغراضى والا صرعتك (وهذا خلق) غريب قل ان يوجد فى الناس اليوم بل اذا رأى أحدهم الشهوة جذب قلبه اليها ونسى ربه (ومن هنا) منع الشرع من الاكل فى الصلاة لان شهوة الاكل ولذته تصرف قلبه عن الله تعالى فلا يقدر على كمال الاقبال عليه (فعلم) ان كل من ادعى ما ذكرناه من الادب والحضور قل حجابه عن الله عز وجل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) زيادة اكرامى لليتيم ومراعاتى له بعد موت والده أكثر مما كنت أراعيه لاجل والده وكذلك أزيد فى الغض عن النظر الى المرأة التى غاب عنها زوجها أكثر من غض طرفى عنها اذا كان زوجها حاضرا لاسيما ان كان زوجها مجاورا بمكة أو المدينة أو كان شريفا أو كانت المرأة شريفة أو من بنات الاولياء فانى أزيد فى غض الطرف عنها أكثر مما أغض اذا سافر زوجها لغير مكة والمدينة لكون زوجها يصير فى حضرة الله تبارك وتعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم والشريفة بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت الولى

ملحقة به نحن نعرض لحرمه أو حرم الاولياء فقد تعرض لعقوبات الله عز وجل (وهذا خلق غريب) لم أر من تخلق به من اقرانى الا القليل وايضاح ذلك انه يتأكد على العبد زيادة التعظيم والاكرام لكل من كان فى كفالة الحق جل وعلا المحضة أكثر من تعظيم من كان فى كفالة الحق تبارك وتعالى المخلوطة بكفالة الخلق عادة (فلابد) من تمييز الحق جل وعلا بزيادة تعظيم وكل من راعى اليتيم أو غض عن النظر الى المرأة التى غاب عنها زوجها مثل مراعاته لها حال حياة الوالد أو حضور الزوج فقد ساوى فى التعظيم بين الله وبين خلقه وأساء الادب (وقد وقع لى) أننى ساويت فى الغض عن رؤية وجه جاريتى دام السرور حين غاب عنها زوجها لحضوره فلم أزد فى الغض حين سافر فعوتبت على ذلك فى المنام وقيل لى ميز الحق تعالى بزيادة غض على ما كنت عليه حين حضور زوجها فقلت سمعا وطاعة فاذا كان من لم يزد فى الغض يعاتب فكيف بمن يخون زوجة جاره ويفسق فيها او يسارق النظر اليها كالمتلصص نسأل الله تعالى العفو والعافية والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نفرتى من كثرة اعتقاد أحد من الامراء وغيرهم فى وان وقع ان أحدا مدحنى عند أمير حتى رفعنى فوق جميع اقرانى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى ان يحرك لى أحدا من الاعداء فينقصنى عنده وسألت الله تبارك وتعالى ان يحول باطنه عن الاعتقاد فى حتى يصير لا يلتفت الى بوجه من الوجوه وذلك فتحا لباب الراحة لنفسى وسدا لباب تنقيص أحد من اخوانى برفعتى فوقه عند ذلك الامير (وهذا) الخلق لم أجد له فاعلا من اقرانى فاعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اجابتى لمن دعانى الى التصدر لصلاة الاستسقاء ودفع الوباء لما فى ذلك من تحريك نفس الحسدة من الاقران وقد أرسل الى مرة الباشا محمد قصاده أن أطلع مع العلماء الجبل المقطم لدفع الوباء والبلايا فى سنة احدى وستين وتسعمائة بشرط أن أكون أنا الداعى والناس كلهم يؤمنون فلم أجبه الا الى الحضور خوفا من تحرك نفس بعض الناس على ومع ذلك فلا تسأل يا أخى ما حصل من قول الباشا لا يدعو الا فلان من الغيبة والتنقيص لى عند الباشاه وهؤلاء وان كانوا صادقين فى تنقيصى وتنفير الاكابر من الاعتقاد فى لكن ما كل أحد يحتمل مثل ذلك وقد تقدم فى هذه المنن ان مما من الله تبارك وتعالى به على محبتى لمن ينفر الولاة عنى اكثر ممن يحببهم فى وانه خلق غريب لا يكاد يوجد فى أحد من أقرانى وقد شكرت فضل من غير اعتقاد الباشا محمد فى جزاه الله تعالى عنى خيرا فى الدنيا والآخرة فانه سترنى بين العباد فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع شيخى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه ومع شيخى الشيخ نور الدين الشونى رضى الله تعالى عنه فى دوام السهر معهما فلا اتذكر اننى نمت فى وقت يكون أحدهما مستيقظا فيه وذلك من أكبر نعم الله تعالى على لكونه وسيلة الى دوام السهر بين يدى الله عز وجل ومن لم يحكم مقام السهر بين يدى شيخه لا يصح له مقام السهر بين يدى الله عز وجل وقبيح على المريد أن ينام وشيخه جالس بين يدى الله تبارك وتعالى فى مثل ليلة الجمعة أو غيرها بل ذلك علامة على كذبه فى محبة الله جل وعلا فضلا عن محبته للشيخ فانه لو كان يحب

الشيخ

الشيخ لاستغنم أوقات الخلوة به كما انه لو كان يحب الله عز وجل المحبة المعروفة بين القوم لما أخذه نوم الا بعد ان يصرع كذا كذا مرة (وقد) أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى انتهى فشهد الحق تبارك وتعالى على من نام فى الليل اختيارا بكذبه فى محبته (وفى زبور داود) عليه السلام يا داود جعلت النهار للمعاش وجعلت الليل للسمر معى فاشتغلتم عنى فى النهار ونمتم عن مجالستى فى الليل فلا أنتم فى النهار معى ولا فى الليل انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اظهارى لنظام الطريق اذا دخل على أمير أو كبير فلا أقول للمداح الذى ينشد للفقراء أسمعنا شيأ بحضرة ذلك الامير الا بنية صالحة ولا أقول للامير اذا دخل بعد ان انفض أهل مجلس الذكر وقراءة الورد مثلا سبحان من جعل للفقراء نعيم الجنان فى الدنيا فى مجالس ذكرهم وقد نزل على الفقراء فى هذا اليوم رحمة حتى عمتهم وحصل مدد كبير وكنت أود انك دخلت قبل انفضاضهم ليحصل لك الرحمة وربما كان ذلك القول من شيخ الزاوية للامير رياء وسمعة لظنه فى الامير انه ظن انه قليل الذكر والاشتغال بالله عز وجل حين رأى مجالسا لافقراء عنده ولا ذكر (وهذا) يقع فيه كثير من المتمشيخين بالنصب اذا زارهم الامراء ولو انهم كانوا صادقين لم يذكروا مثل ذلك للامير لانه ليس بمريد لهم ولا سألهم هل قرأتم وردكم اليوم ولا قال أسمعنا شيأ من كلام القوم والفقراء فاى أمر ألجأ سيدى الشيخ أن يقول ما قال فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مشاركتى لكل من بلغنى انه فى ضيق فى جميع ما يصيبه وينزل عليه من البلايا والمحن لاسيما السلطان الاعظم فانى مرضت لمرضه مرات عديدة وجاءنى وشكر من فضلى واطلع على ذلك أهل الكشف وصاروا يتحدثون فيما بينهم أننى لولا حملت عن السلطان وجع رجله لما سافر لقتال الروافض ما كان حصل له خير (وذلك) من علامات صحة ارتباطى مع امامى (وربما) يقع لى انه اذا كان عندنا امرأة فى المخاض أحس بانى أطلق مثلها اذا بلغنى ماهى فيه من الوجع وكذلك اذا بلغنى ان أحدا يعاقب فى بيت الوالى احس بالمقارع والكسارات وعصر الرأس ووضع الخودة المحماة بالنار على رأسى حتى انى احس بسيلان دهن رأسى وهو نازل ناحية أذنى فاضع يدى أمسحه لاعتقادى انه سال وخرج الى ظاهرها وهذا أمر عزيز وقوعه فى الفقراء ولا يعرف هذا الحال الا من ذاقه (وكان) ذلك من وظيفة سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه (وورثت) ذلك من سيدى على الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه وسبق سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تبارك وتعالى عنه الى مثل ذلك سفيان الثورى رضى الله تبارك وتعالى عنه وميمون بن مهران رضى الله تبارك وتعالى عنه والفضيل بن عياض رضى الله تبارك وتعالى عنه واضرابهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين فلا تطلع الشمس ولا تغرب على صاحب هذا المقام الا وبدنه ذائب كأنه شرب رطلا من السم ووالله انى لأحس فى بعض الاوقات ان جسمى كله من فرقى الى قدمى كالدمل الذى قرب انفجاره (وقد حكيت) ذلك مرة لاخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فقال لى والله ان لى منذ عشر سنين وأنا أحس بان جسمى فى طبق

من نحاس على نار من غير ماء ولحى ودهنى يطشطش على النار وأنا صابر فقلت لهم ذلك فقال من كثرة توجه الناس الى فى شدائدهم انتهى (فعلم) أن أهل هذا المقام لم يزل أحدهم مريضا لتواصل وجود البلاء فى الوجود على اختلاف طبقاته فلا يستريح الا فى وقت لم يتوجه اليه مكروب ويتعين ولم يبلغه ان أحدا فى بلاء ولا عقوبة يتعين عليه مساعدته فيها هذا هو حظه من الراحة فى الدنيا (ومن اعظم) علامة على صاحب هذا المقام وجود الصداع والضارب الشديد فى رأسه حتى يحس بأن شخصا اقوى شديد يضرب رأسه بطبر او دقماق ليلا ونهارا أو أن رأسه مرضوض بين حجرى معصرة فيتمنى الموت فلا يجاب (ومن أدلة ذلك) مارواه الطبرانى وغيره مرفوعا من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم وحديث الترمذى وغيره مرفوعا مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا مرض منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (وممن روينا) عنه انه كان اذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض له أياما السيد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه والشعبى رضى الله تعالى عنه فكانوا يمرضون ويعادون كما تعاد المرضى فاذا ارتفع ذلك الهم أو البلاء عن المسلمين خلصوا من المرض لوقتهم حتى كأنه لم يكن بهم مرض (ويقع) لى بحمد الله تبارك وتعالى مثل ذلك كثيرا فربما أوتى بالطبيب فيصف لى دواء فبطول جلوسه عندى ساعة فأشفى من المرض كأن لم أكن مريضا فيتعجب الطبيب من ذلك (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه اذا نزل بأحد بلاء يقول له أكثر من الاستغفار ليلا ونهارا و يقول ماثم أسرع لرفع البلاء من كثرة الاستغفار قال الله تبارك وتعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وأقل الاستغفار الدافع لغالب البلاء عندى الآن ألف مرة صباحا وألف مرة مساء (وسمعته) رضى الله تبارك وتعالى عنه مرات يقول من ضحك أو جامع زوجته أو لبس ثوبا مبخرا أو ذهب الى مواضع التنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء انتهى ومثل حال أهل هذا الزمان مثل ماحكى ان شخصا مر على شخص خرج مصرمه وهو مدلى من دبره فقال له اعطنى هذه القطعة النازلة أطعمها القطط فانه جيعان انتهى (ولعمرى) ليس عند مثل هذا من تحمل هم أخيه ذرة واحدة وسيأتى ايضاح ذلك ان شاء الله تبارك وتعالى فى مواضع من هذا الكتاب فاعلم ذلك وراجعه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مساعدتى لاصحاب النوبة فى سائر أقطار الارض فى حفظ ادراكهم من برارى وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال فأطوف بقلبى على جميع أقطار الارض فى نحو ثلاث درج (وايضاح ذلك) ان حكم القلب حكم المرآة الكرة المعلقة بين السماء والارض فيرتسم فيها جميع العلويات والسفليات ويصير البصر القلبى يدركها كلها على التفصيل فالمدار على قوة وسع دائرة البصر لاغير وان شككت يا أخى فى ذلك فامتحن ذلك بمرآة صغيرة تضعها فوق منارة عالية فانك اذا قابلتها بمدينة مصر كاملة تجدها كلها مرتسمة فى تلك المرآة الصغيرة فاعمل يا أخى على جلاء مرآة قلبك من الصدأ والغبار ان أردت العمل بهذا الخلق فانك تطوف أقاليم الارض كلها فى مقدار ساعة (ومما) وقع لى ان شخصا من بلاد الحبشة أسلم عندنا فى مصر فسألته عن بلده وعن الكنيسة الكبيرة التى فى آخر زقاق داره وعن شجرة

النبق التى فى دار جاره فصدقنى على ذلك ثم قال للحاضرين هذا صالح لاطلاعه على بلده ودار جاره مع انى مارحت اليها قط بجسمى وانما نظرت اليها بقلبى (وكذلك) وقع لى مع خادم نبى الله لوط عليه السلام لما قدم علينا مصر فقلت له مافعل شجر الليمون المغروس تجاه مقام السيد لوط فقال موجود لم يقطع منه شئ مع انى لم أره الا بقلبى (وفى كلام) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه ان القلب اذا انجلى من محبة الدنيا وشهواتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس واذا صدأ قلب الفقير حدثه بأباطيل يغيب معها رشد الرجل وعقله انتهى (وصورة طوافى كل ليلة) على مصر وجميع أقاليم الارض انى أشير باصبعى الى أزقة جميع المدائن والقرى والبرارى والبحار وأنا أقول الله الله الله فابدأ بمصر العتيقة ثم بالقاهرة ثم بقراها حتى أصل الى مدينة غزة ثم الى القدس ثم الى الشام ثم الى حلب ثم الى بلاد العجم ثم الى بلاد التركية ثم الى بلاد الروم ثم اعدى من البحر المحيط الى بلاد المغرب فأطوف عليها بلدا بلدا حتى أجئ الى اسكندرية ثم أعطف منها الى دمياط ثم منها الى أقصى الصعيد ثم الى أقصى بلاد العبيد ثم الى بلاد الرجراج وهى اقطاع جدى الخامس ثم أعطف الى بلاد التكرور وبلاد السكوت ومنها الى بلاد النجاشى ثم الى أقصى بلاد الحبشة وهى سفر عشر سنين ثم منها الى بلاد الهند ثم الى بلاد السند ثم الى بلاد الصين ثم أرجع الى بلاد اليمن ثم الى مكة ثم اخرج من باب المعلى الى الدرب الحجازى الى بدر ثم الى الصفراء ثم الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنه عند باب السور ثم أدخل حتى أقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فأصلى وأسلم عليه وعلى صاحبيه وأزور من فى البقيع ثم أقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وما أرجع الى دارى بمصر الا وأنا الهث من شدة التعب كأنى كنت حاملا جبلا عظيما ولا أعلم أحدا سبقنى الى مثل هذا الطواف (وكان) ابتداء حصول هذا المقام لى فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فرأيت نفسى فى محفة طائرة فطافت بى سائر أقطار الارض فى لحظة وكانت تطوف بى على قبور المشايخ من فوق أضرحتهم الا ضريح سيدى أحمد البدوى وضريح سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله تبارك وتعالى عنهما فان المحفة نزلت بى من تحت عتبة كل من أحدهما ومرت من تحت قبره ولم أعرف الى الآن الحكمة فى تخصيص هذين الشيخين بذلك نفعنا الله تعالى بهما والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) استئذانى أصحاب النوبة نفعنا الله ببركاتهم كلما خرجت من بيتى أو بلدى أو دخلت وذلك لاكون تحت نظرهم حتى أرجع سالما ان شاء الله تعالى (وكذلك) لاأطلع القلعة أو أدخل بيت حاكم فى شفاعة مثلا حتى أقول بتوجه تام عند أول عتبة تلاقينى من أعتاب القلعة أو ذلك الامير دستورا يا أصحاب النوبة جبهتى تحت نعالكم اليوم فلاحظونى مع هذا الامير أو هذا القاضى أو هذا الظالم مثلا فلا أخرج بحمد الله تعالى من عنده الا منصورا مكرما مبجلا كما وقع لى ذلك مع الباشا على كما مر ايضاحه اللهم الا ان أكون مبطلا والعياذ بالله تعالى فان أصحاب النوبة لايساعدوننى فليحذر صاحب الحاجة نفسه ان طلب النصرة على يد أصحاب النوبة رضى الله تعالى عنهم (وهذا) الذى ذكرناه قل من يتنبه له من فقراء هذا الزمان بل رأيت بعضهم ينكر وجود أصحاب النوبة أصلا وهذا يدل على

انه لم يدخل دائرة الولاية قط فانه لو دخلها لعرف أهلها على اختلاف طبقاتهم كما يعرف جماعة السلطان بعضهم بعضا وبعضهم يظن ان أصحاب النوبة هم الاولياء المرصدون لتربية المريدين وذلك جهل عظيم اذ لا يلزم من كون أحدهم ممسكا ان يكون بيده تصريف كما يعرف ذلك من له أدنى خلطة بأهل الطريق (وقد كان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه معه ثلاثة أرباع التصريف فى مصر وقراها (وكان) يرسل الحوائج فى بعض الاوقات الى أصحاب التصريف فى الربع الباقى رضى الله تعالى عنه (وكان) كثيرا ما يرسل الحوائج للشيخ محيسن المجذوب لكونه كان من أصحاب التصريف فى الربع الباقى فى مصر وقراها (وجاء شخص) من تجار بحر الهند الى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يأخذ خاطره ويسأله بالله تعالى ان يحفظ مراكبه ببحر الهند فقال له اذهب الى الشيخ محيسن فانه صاحب درك بحر الهند وأعطه نصفا فان قبله منك فهو دليل على انه دخل فى الجملة وان رده فاحتسب ما فى مراكبك عند الله تعالى فذهب اليه فقبل منه النصف وسلمت مراكبه تلك السنة (وكان) الشيخ محيسن اذ ذاك جالسا فى رميلة مصر (ورأيت) مرة بعض أشياخنا بمصر ذهب الى دكان الشيخ بركات الخياط وكان من أصحاب النوبة فوضع على دكانه حجرا فى غيبته فلما جاء الشيخ بركات عرف الحجر ومن جاء به والحاجة وقضاها وكانت الحاجة ان شخصا كتبوه الى اصطنبول سركن لما دخل ابن عثمان الى مصر وكان محسنا للشيخ المذكور كثيرا فسلك الشيخ الادب مع أصحاب النوبة وسألهم فى قضائها ولو أنه سأل الله تعالى بلا واسطتهم لربما أجيب لصلاحه وولايته (ثم) لا يلزم من مشاورة الولى الكبير لاحد من أصحاب النوبة أن يكون ذلك نقصا وأيضا فان الكمل مقامهم منزه عن مشاركة الغير فى التصريف دنيا وأخرى بخلاف أرباب الاحوال فالكامل كشيخ الاسلام وصاحب الحال كخفير البلد ولكن هكذا أهل الادب (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه اذا شاوره أحد فى السفر من مصر الى الريف مثلا يقول له اذا أردت الخروج من سور البلد أو من عمرانها فقل بقلبك دستور يا أصحاب النوبة اجعلونى تحت نظركم حتى ارجع ثم اذا رجعت فاستأذنهم أيضا فى الدخول فانهم يحبون من يسلك معهم الادب (وقد) أعطاهم الله تبارك وتعالى معرفة الخواطر التى تمر على قلوب أهل أدراكهم فضلا عن معرفة أعمالهم ومعاصيهم فى قعر بيوتهم ولهم التأديب على كل زلة وقعت فى أدراكهم لان قوسهم موتور على الفساق وعلى الفقراء الغافلين عن الادب مع الله تبارك وتعالى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه وأرضاه مرارا يقول لا يخرج أحدكم الى السوق الا وهو على طهارة فان أصحاب النوبة يحبون من يراعى الطهارة فى أدراكهم انتهى (ومما وقع لى) تصديقا لكلام الشيخ رضى الله عنه انى أخرجت ريحا بنواحى شون السلطان بمصر العتيقة واذا بشخص أسمر جالس فى دكانه يحبك الشدود فرفع رأسه الىّ وقال كنا محتاجين اليك قوى فى فسائك فى دركى وحارتى فعلمت انه من أصحاب النوبة (وكذلك) مما وقع لى انى كنت مارا تجاه سوق الصاغة بخط بين القصرين وأنا غافل فبينا انا كذلك اذ أحسست بكل شعرة فىّ قامت تمشى وأحسست بأن خلفى تمساحا كبيرا يريد أن يبتلعنى فالتفت فاذا بشخص أشعث الشعر أحمر العينين كاد فمه أن يصل الى كتفى فقال لى لا تعد تمشى فى خطى وأنت غافل عن الله تعالى ما يجرى لك خير فمن ذلك اليوم ما أتذكر أننى مررت

فى ذلك الدرك غافلا أبدا فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فى هذا الزمان حفظى من تصريف أصحاب النوبة فى عرض أو سلب حال أو نحوهما مع كثرة مزاحمتى لهم فى الشفاعات عند الحكام وكثرة معارضتى لهم ان يشفع عند الحكام من غير واسطتهم ومع كونهم أتم نظرا منى فلم يزالوا يسامحونى بشفاعتى عند الحكام وأنا غافل عنهم أو غير مستوعب لهم فى الاذن فان من لم يستوعبهم فى الاستئذان فربما انقسموا فيه فريقين أحدهما يعارضه فيقاسى من الشدائد والاهوال ما لا يعبر عنه وقل من يسلم من عطبهم من الفقراء والعلماء ثم ان جرح من طعنوه لا يلتئم جرحه الا بعد موت صاحبه (وقد) تشفع الشيخ على الخواص رضى الله تعالى عنه مرة عند الامير خاتم الحمزاوى من غير استئذان أصحاب الثلث الذى لا تصريف له فيه من مصر فطعنه انسان بخنجر فى مشعره فلم يزل به حتى مات بعد عشرين يوما وهو يقول آه من حرارة هذه الضربة انتهت (وقد) سبق لى أنا معهم وقائع كثيرة أوائل دخولى طريق القوم رضى الله تعالى عنهم حتى كدت أن أهلك ولكن بحمد الله تبارك وتعالى كلهم يحبونى اليوم ولا أعرف أحدا منهم يكرهنى ولذلك رتبت لهم الدعاء عندى فى الزاوية فى قراءة الاسباع والكرسى وغير ذلك (فمن) وقائعهم الماضية معى أن ثلاثة منهم عارضونى فمكثت تسعة أيام بلياليها لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أضع جنبى الى الارض حتى صار بدنى كله كالدمل الذى قرب انفجاره ثم حصل لى الفرج على يد الشيخ محمد البهوتى بباب زويلة العريان وقال لابن عمى عبد السلام قد عرضوا نكاية عبد الوهاب على ثلاثين نفسا فأبوا أن يعملوها ولكن أنا أحملها الله تبارك وتعالى (وأخبرنى) ان الذى عارضنى ثلاثة من العجم كانوا يجلسون تحت المدرسة البرقوقية بخط بين القصرين ثم قال لى تبخر هذه الليلة ببخور حصا البان وان شاء الله تعالى تنام هذه الليلة ويخف العارض ففعلت فكان الامر كما قال (ومن جملة) من لم يحمل عنى سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وقال لاخى الشيخ أفضل الدين رضى الله عنه اياك أن تحمل شيأ عن عبد الوهاب مما هو فيه ودعه يدمن على البلاء الآتى (وأما) الشيخ شعبان المجذوب والشيخ محمد الجوهرى المكشوف الرأس فطلعا الى البيت وأمرانى بالصبر ونقش لى الشيخ شعبان فى الحائط بسكين يقول الله عز وجل فى التوراة يا عبدى تحمل ما يرد عليك منى واصبر وقال لى الشيخ محمد الجوهرى سبحان من حمل عنك يا ولدى فانهم كانوا قاتليك ولكن كان فى قنديلك الزيت فان أصحاب النوبة اليوم يا ولدى من العجم لا يحبون أحدا له اسم من أولاد العرب انتهى (ومما وقع لى أيضا) أن شخصا جاء من الفقراء الى مصر ليدخلها على نية الاقامة فمنعه أصحاب النوبة فجلس تجاه قبة يشبك الدوادار خارج باب النصر وصار كل من مر عليه يقول له كيف يمنعونى من دخول مصر ويمكنون عبد الوهاب فصار الناس يخبرونى بكلامه فمكث أربعين يوما ثم مد الشيخ محمد الصوفى المقيم بالفيوم يده من الفيوم فضربه فمات وقال أنا مذهبى ان كل من قتل أحدا من أصحابى فقتله عندى حلال انتهى (وقد كان) الشيخ حسن العراقى المدفون بكوم أبى الريش المطل على بركة الرطلى يقول لا يأذن أصحاب النوبة لفقير أن يسكن فى مصر الان كان تحت نظرهم مراعيا للادب معهم والا أخرجوه الى القرى أو الى خارج السور انتهى (ومما وقع لى معهم أيضا) أن شخصا التف فى عباءة ونام فى مجاز

الزاوية ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب وأنا لا أشعر فدخل على الشيخ حسن الريحانى فأخبرنى به
وقال كيف يجلس فى زاويتك شخص يقصد معارضتك اذا وجد عندك غفلة ولا تحس به ثم
خرج اليه وضربه بعصاه وأخرجه من الزاوية فصادف الشيخ حسن بعد مدة فطعنه فى فخذه
بسكين وقال انما طعنتك لكونك عارضتنى فى عبد الوهاب وكان ذلك آخر معارضة الفقرا الى فلم
يعارضنى منهم بعد ذلك أحد الى وقتى هذا (وقد) أخبرنى سيدى على الخواص رضى الله تعالى
عنه ان شخصا تبع فقيرا من بلاد الشام الى مصر يريد ان يقتله بالحال فلم يجده غافلا عن الله
تبارك وتعالى فى وقت فاجتمع هو واياه مع الفقرا فى جامع عمرو آخر جمعة من رمضان فوجده
غافلا فطعنه فمات انتهى (وقد أخبرنى) أخى الشيخ أبو العباس الحريثى رضى الله تعالى عنه
قال لما طفت بلاد الغربية دخلت جامع اصطنها فبينما أنا جالس والناس حولى اذ أحسست
بمشاقة فى بطنى فكدت أهلك فقلت لهم ائتونى بشئ أتقايا فيه فأتونى بجفنة كبيرة فلأتها قيحا ودما
ثم ان شخصا تحرك من جانب الجامع وكان نائما مغطى بملاءة من عفرة وقال والله لولا انك
ضعيف الحال وأنت ضعيف ما تركتك تخرج من الجامع الا للقبر كيف تطلع بلاد الناس
وأنت غافل عن الله مثل انتم كالبهائم قال فقلت له التوبة فتبت ومن ذلك اليوم ما طلعت بلدا
حتى أستأذن أصحاب دركها قبل ان أطلع اليها انتهى (وكذلك) وقع لى وأنا فى مولد سيدى أحمد
البدوى رضى الله تعالى عنه وأنا جالس فى ركن القبة فمد شخص من الطائفين بقبر سيدى أحمد
يده الى معاليق قلبى وقبض على قلبى فكدت أن أهلك وكان متقلدا بقوس فشكوته الى سيدى
أحمد البدوى فاتهم بتهمة أومسكه الكاشف وأرسل يستغفر الله تعالى فسألت سيدى أحمد فيه
فخلاص ولم يشعر بهذه الواقعة أحد من أصحابى (وكان) سيدى محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه
يقول لا يؤخذ الفقير ويسلب العالم الا عند رؤية أحدهما نفسه على اخوانه أو غفلته عن الله تعالى
(ثم حكى لى) عن سيدى محمد بن هرون بمدينة سنهور أنه مر على صبى قراد وهو ماد رجله فقال
الشيخ فى نفسه ان هذا الصبى لقليل الادب يمر عليه مثلى ولم يضم رجله فسلب لوقته حتى صار
لا يعرف الفاتحة ثم طلب الصبى فلم يجده وكان صبيا للقراد فسأل عنه حتى وصل الى الرميلة فلما رآه
القراد الكبير قال أقم رأسك ها هو غريمك قد جاء فلما فرغوا من اللعب بالقرد والدب والحمار سلم
عليه القراد الكبير وقال مثلك فى هذه الشهرة العظيمة بالعلم والصلاح يخطر على باله انه خير من
أحد من المسلمين فقال التوبة فتاب الشيخ محمد وقال القراد الكبير للصبى أين وضعت علم هذا
وحاله فقال فى قلب السحلية التى كنت أقلى ثوبى على باب جحرها فى بلده فليذهب اليها ويقول
لها يقول لك قريعزان صبى القراد ردى على الوديعة التى عندك للشيخ محمد فخرجت السحلية
ونفخت فى وجه الشيخ فرد الله عليه حاله وعلمه وقال فى نفسه كيف تفتخر على الناس بشئ حملته
السحلية فى قلبها فمن ذلك اليوم ما رأى نفسه على أحد حتى مات انتهى (وقد ذكرنا) فى كتاب
العهود المحمدية حكاية سلب شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين البلقينى على يد الحشاش الذى كان
يبيع الحشيش فلا يأخذها أحد منه الا ويتوب منها لوقته (وكذلك) ذكرنا فيه سلب الفرغل
لشيخ الاسلام ابن حجر وغير ذلك فراجعه فاياك يا أخى ورؤية نفسك على أحد من المسلمين الا
بطريق شرعى خال عن الكبر فان كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب (ووقع)

للشيخ حسن الغزاوى وكان من أهل الكشف انه ذهب الى الشيخ محيسن بناحية بولاق يريد
مناقلته فلما أقبل على الشيخ عرف ما فى نفسه فقام له الشيخ محيسن وعظمه وقال خاطرك على
يا شيخ حسن ولما قام قدم له نعله فرأى الشيخ حسن نفسه بذلك فسلبه الشيخ محيسن حاله كله فلما
أحس بذلك جاءه مستغفرا فقال أنت الظالم فانك أنت الذى جئتنى ولم يزل مسلوبا فضاقت عليه مصر
فسافر وانقطع عنا خبره فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اعانتى على الاحتما من الذنوب وتناول الشهوات أيام
تحملى البلاء عن الاخوان وتوجهى فى قضاء حوائجهم عند الله تبارك وتعالى فان من لم يحتم عن
مثل ذلك فلا يصلح للتصدر لقضاء حوائج اخوانه ولا لتحمل البلاء عنهم وللتحمل والاحتماء شروط
(الاول) أن يتخلق بوصف الذل والانكسار والفاقة فلا يرى له شفوف نفس على أحد من المسلمين
ولا يكون معتمدا على أحد غير الله تبارك وتعالى حتى انه لا بد يرقط حمله فى قضاء تلك الحاجة
(الثانى) كثرة الملازمة والوقوف فى المواكب الالهية ليلا ونهارا وذلك بين الاذان والاقامة
وحين يدخل نصف الليل الثانى فان الموكب ينصب من ذلك الوقت الى طلوع الفجر وفى أوقات
يبقى الى انصراف الامام من صلاة الصبح وتأمل يا أخى وزراء السلطان لا يهتمون بقضاء حاجة
أحد الآن لا زمهم زمانا طويلا ويقولون لو انه كان محتاجا للازمنا فى كل موكب
(الثالث) صدق التجاء صاحب الحاجة الى الفقير الذى جعله واسطة فى قضاء حاجته وعدم شركة
أحد من الفقرا معه فى ذلك واستحقاق المشفوع فيه للشفاعة بأن تكون العقوبة فيه قد بلغت
حدها ومن علامة صدق صاحب الحاجة فى الالتجاء أن لا يحتاج فى طريق قضاء حاجته عند ذلك
الامير مثلا الى غرامة فلوس لاحد من الوسايط الذين هم حول الولاة ومتى احتاج الى وزن
فلوس فهو غير صادق فى الالتجاء (الرابع) أن يأمر المتحمل صاحب تلك المصيبة مثلا بكثرة
الاستغفار حتى تخف العقوبة فاذا خفت أو انقضت كلها صحت الشفاعة حينئذ كما يشفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجماعة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال ويقول يا رب أمتى
ويقال له انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم يعنى وقعوا فى معاصى أهل
الاسلام ثم اذا ذهب الغضب الالهى يشفع فيهم ويخرجهم من النار فما يشفع فيهم الا بعد بلوغ
العقوبة حدها فافهم (وكثيرا) ما يأتى المحبوس أو المعزول عن وظيفته مثلا الى الفقير ويقول
له حبسونى أو عزلونى لا ذنب لى ولا جريمة فيتحرك الفقير الساذج بل الابله الى التوجه الى الله
تبارك وتعالى فى الافراج عنه أو رده الى وظيفته فلا يجاب فيكاد الفقير يموت من ثقل تلك الحملة
ولعل ذلك المحبوس أو المعزول وقع فى الزنا أو شرب الخمر أو غير ذلك مما لا يحصى فليتنبه الفقير
لما ذكرناه من الاستغفار وأخذ العقوبة حدها ثم يشفع (الخامس) أن يرى ذلك المعزول مثلا
ان الله تبارك وتعالى قد جعل بيد ذلك الفقير الولاية والعزل ليتوجه قلبه الى ذلك الفقير جزما
من غير تردد ومتى تردد فى ذلك بطل عمل الفقير ولو كان قطبا (وبالجملة) فمتى ظن انه لولا فلوسه التى
غرمها لذلك الامير وحاشيته مثلا أو لولا قراءة ورده مثلا ما قدر الفقير على توليته تلك الوظيفة
فهو غير صادق فى الالتجاء الى ذلك الفقير فيا طول تعب ذلك الفقير ويا بعد ولاية ذلك المعزول
ولعل ذلك الفقير يرمى حملته على طول حتى تتمزق همته (السادس) ان لا يتبل الفقير الحامل من

المحمول عنه هدية ولا يأكل له طعاما ليكون قلبه متوجها الى الله تبارك وتعالى فى حقه خالصا ومتى قبل منه شيأ بطل توجهه وخرب باطنه وتوقف قضاء حاجته لان الفقير يصير يقابله عوضا عن دنياه التى أهداها له وأهل الدنيا لا تنفذ لهم همة فى أحد هذا مذهبنا وأما مذهب غيرنا من الاكابر فربما أخذ على ذلك هدية ونفذت همته مع ذلك فله أن يشترط فى تحمله أخذ العوض من المحمول عنه ومتى طلب منه ذلك الفقير الذى تحمل حملته شيأ من ثيابه او أمتعته ومنعه فلا يلزم ذلك الفقير قضاء حاجته لانه فى ذلك كالاجير فى الاعمال الظاهرة وفى ذلك اعطاء الفقير بدنه حقه فى تعبه وعتق المحمول عنه من منته عليه (ومما) وقع لسيدى محمد السروى رضى الله تعالى عنه انه حمل حملة شمس الدين بن عوض لما نقم عليه السلطان الغورى فجاء الى الشيخ يستعجله فى الحملة فقال له اخلع لى هذه الجوخة الحمراء والصوف والعمامة التى عليك حتى أحمل حملتك بقلب واخرج أنت بالقميص والقبع فقط فشاور نفسه وتوقف فأخذ الشيخ قدرة فخار كبيرة كانت قريبة منه فرماها من الطاقة فى الخليج وقال روحى يا حملة ابن عوض (ثم) قال أنا أدخل معك بالروح وأنت تشح على بخليقات عندك فى الدار غيرهم فسلموه تلك الليلة للمقوبة فخلقوا رأسه وكتفوه وملؤا الخفا خنفسا وألبسوه على رأسه وربطوا القحف من تحت لحيته فصار الخنفس يحفر فى دماغه حتى صارت رأسه حفرا والدم نازل على وجهه ولحيته فلو انه كان أعطى الشيخ الثياب لكان حمل عنه هذا العذاب (السابع) كف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الاولى أو خطور ذلك على باله وهذا أعظم الشروط فان منع الجوارح من شهواتها من أشد العقوبة عليها فاعلم أن من لم يكف جوارحه المذكورة عما ذكرناه فليس هو بأهل ان يجيب الحق تبارك وتعالى دعاءه لانه كما نهاه فلم يجتنب وأمره فلم يمتثل فكذلك دعا ربه فلم يجبه جزاء وفاقا ولو انه أجاب أمر ربه لكان أجابه تبارك وتعالى فاجابته تعالى لدعاء عبده على قدر مبادرته لامتثال أوامره سرعة وبطأ بحسب حال العبد (الثامن) عدم تناول شئ من شهوات النفس المباحة فضلا عن المكروهة فضلا عن المحرمة أيام التحمل لان تناول هذه الشهوات يعمى البصيرة ويمنع من دخول حضرة الله تبارك وتعالى لحديث البخارى وغيره مرفوعا وحفت النار بالشهوات ومن ادعى من المتصوفة ان تناول الشهوات المباحة لا يؤثر فيه فهو جاهل بطريق الله عز وجل غافل عن الاهتمام بأمر المسلمين (وقد كان) سيدى على الخواص رضى الله عنه يقول من شرط من يتحمل عن اخوانه أن لا يجلس قط على حدث الا لضرورة ولا يجامع حليلته مدة التحمل الا أن يكون ممن يحضر مع الله تبارك وتعالى فى جماعه كما يحضر فى صلاته وكذلك لا يشم رائحة طيبة ولا يدخل حماما بغير ضرورة ولا يضع جنبه الى الارض فى ليل أو نهار ولا يضحك ولا يغفل عن الله تعالى لحظة ولا يبيت على دينار ولا درهم انتهى (وقد جاء شخص) الى سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه ليسأله الدعاء فى قضاء حاجته فقال له سيدى أحمد اذهب فان عندى الآن قوت جمعة فاذا بلغك انه ليس عندى قوت يوم فتعال ادع لك فان لى حينئذ اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليعقوب الخادم يا يعقوب ان الرجل اذا كان عنده قوت غدا وشبعان فدعاؤه خداج لعدم اضطراره وصدق التجائه (وقد ذكر) الغزالى رضى الله تعالى عنه ان من شرط من له حاجة

أن لا يفطر ذلك النهار حتى يقضيها ولو عند غروب الشمس (قال وقد) جربناه فصح قال لان الانسان اذا شبع كان دعاؤه كالسهم الذى يخرج من غير وتر مشدود انتهى وسيأتى فى الشرط الذى بعده ما يؤيده (التاسع) أن لا يفطر أيام التحمل بل يكون صائما وذلك ليستنير قلبه ويقرب من حضرة الدعاء فان الشبعان قلبه محجوب عن الله تبارك وتعالى بنحو سبعين ألف حجاب (العاشر) أن لا يكون الفقير الذى يتحمل قد خرق بصره الى الدار الآخرة فان من خرق بصره كذلك تصير همته فاترة فاذا اطلع على ما فى ذلك البلاء من الاجر والثواب والقصور والدور والبساتين فتصير كل شعرة منه تطلب دوام ذلك البلاء على ذلك السائل أو دوام عزله عن ولايته واذا فترت الهمة كذلك بطل توجهه فيجب عليه أن يرشده الى غيره من الفقراء المحجوبين عما ذكرناه ممن بصره مقصور على الدنيا فقط فانه أسرع اجابة ولذلك كان دعاء الولاة والاغنياء مقبولا فى هذه الدار أكثر من بعض الفقراء الصادقين لما قررناه (الحادى عشر) أن يعمل الفقير على الوصول الى مقام التخلق بالرحمة حتى يكون أشفق على أخيه من نفسه فاذا حمل حملة من مات ولده مثلا وحم بالنار من فرقه الى قدمه فيكون أحم منه وأكثر حزنا على ذلك الولد من والديه فان لم يصل الى ذلك فليأمر الوالدين بأن يسألا الله تبارك وتعالى لانفسهما فان ذلك أسرع اجابة لهما من دعاء ذلك الفقير (وقد توجهت) الى الله تبارك وتعالى مرة فى التحمل عن سيدى أبى الفضل وزوجته بنت سيدى محمد الحنفى لما ماتت ابنتهما وحصل لهما حزن عظيم فكاد لحمى وعظمى أن يذوب حتى وصلت الى مقام فوقهما فى الحزن ثم دعوت لهما (وبالجملة) فلم أر لهذا الخلق فاعلا بعد سيدى على الخواص غيرى وغاية غالب الناس اذا شكى له أحد مصيبة نزلت به أن يتوجع له باللسان ساعة أو يدعو له من غير استجماع هذه الشروط بكلام يشبه كلام الغائبين العقل وربما كان ذلك الفقير وكذلك المشفوع له مرتكبين شيأ من المعاصى الكبيرة فضلا عن غيرها فلا الشيخ أهلا لان يدعو ويقبل دعاؤه ولا المريد أهلا لان يشفع أحد فيه وربما دخل سيدى الشيخ الحمام ذلك اليوم ولبس الثياب المبخرة بعد أن تلذذ بزوجته وسريته على الفراش وأكل الاطعمة اللذيذة ونام على طراحة وغفل عن الله تبارك وتعالى فضلا عن ذلك المحمول عنه وما عند أهل الجنة خبر من أهل النار فأسأل بالله تبارك وتعالى جميع اخوانى أن لا يأخذوا فى أنفسهم على اذا كلمونى ورأونى معبس ضيق الصدر فربما أكون فى ذلك الوقت مشاركا لمن ضرب فى بيت الوالى مقارع وكسارات أو لمن مات ولدها من النساء أو لمن كانت فى الطلق فان صاحب هذا الحال لا بصيرة له وجهة لغير ما هو فيه فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) الهامى لان آتى الى قضاء الحوائج من أبوابها التى جعلها الله تبارك وتعالى لها فاذا قضيت من الادنى لا أسأل الاعلى أدبا معه وذلك أنى اسأل فيها أصحاب النوبة أولا فان لم تقض على يدهم توجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم فان لم تقض توجهت الى الله عز وجل فان لم تقض أكثرت من الاستغفار وعلمت ان المحل ما هو قابل أو أن من سألنى لا يستحق قضاء تلك الحاجة (واعلم) يا أخى ان أصحاب النوبة الآن فى مصر وذلك سنة ستين وتسعمائة سبعون رجلا وهم مفرقون فى بيوت الحكام فلا يوجد حاكم الا وعنده

واحد منهم أو أكثر فاذا دخلت يا أخى الى حاكم فى حاجة فتوجه بقلبك الى صاحب النوبة فى داره واسأله أن يعطف قلب ذلك الحاكم عليك فانه يفعل ان شاء الله تبارك وتعالى ومن لم يتوجه اليه فربما عارضه فى حاجته عند ذلك الحاكم وقسى قلبه عليه لسوء أدبه (فعلم) ان من أنكر أصحاب النوبة رضى الله تعالى عنهم أو اعترف بهم ثم تعداهم الى الحكام فهو مظلم القلب ليس له فى قدم الصدق لطريق الفقراء نصيب ولو انه كان من أهل الطريق لعرف أهلها ولزم الادب معهم (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول كم من كامل لا تصريف له وكم من ناقص بالنسبة اليه يتصرف فى الوجود ليلا ونهارا فلا تظن يا أخى أن صاحب التصريف أعلى مقاما ممن لم يتصرف (قال وقد كان) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول ان الشيخ أبا السعود بن الشبل أعلى مقاما من شيخه الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنهم لانه عرض عليه مقام التصرف فأبى وقال قد تركنا الحق تبارك وتعالى يتصرف لنا والشيخ عبد القادر عرض عليه مقام التصريف فتصرف وكان الاولى له أن يتركه حتى يؤمر بالتصريف فهنالك يتصرف بأمر انتهى (وتأمل) يا أخى فى مقدم الوالى كيف يتصرف فى المجرمين بالعقوبة فيهم والافراج عنهم ولا يقدر على ذلك شيخ الاسلام مع انه أعلى رتبة عند الله عز وجل ان شاء الله تعالى من المقدم بيقين بل ربما سئل شيخ الاسلام فى حاجة عند الوالى فيسأل هو المقدم فيها ولا يقدر على اطلاق متهوم بحرام أو فجور أبدا بخلاف المقدم قال الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها (وقد خالف قوم) وتصرفوا بغير واسطة أصحاب النوبة فقتلوهم بالحال وقد أوصانى سيدى الشيخ أبو الفضل شيخ بيت بنى الوفا رضى الله تعالى عنهم وقال اياك أن تدخل فى جملة أحد من ولاة هذا الزمان ويحن عليه قلبك فلعلك تقتل تحتهم ولا تجاب فانهم ظلمة ولسان حالهم يقول يا سيدى الشيخ دعنا نظلم العباد والبلاد واحمنا من العقوبة التى استحقيناها فليكن الفقير حاذقا فانه فى النصف الثانى من القرن العاشر انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياكم أن تسألوا فى حوائجكم الاولياء الذين ماتوا فان غالبهم لا تصريف له فى القبر وأما غير الغالب كالامام الشافعى رضى الله تعالى عنه والامام الليث رضى الله تعالى عنه وسيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه وأضرابهم فربما جعل الله تبارك وتعالى لهم التصريف فى قبورهم بحسب صدق من توجه اليهم (قال وقد) استدارت أبواب جميع الاولياء رضى الله تعالى عنهم الى الغلق وما بقى مفتوحا الا باب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه فمن كان له حاجة فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة بتوجه تام ثم يسأله فى قضاء حاجته فانها تقضى ان شاء الله تعالى (ولما وقع) التفتيش فى مكاتيب الرزق خرج بعض جهات الزاوية اقطاعا للسلطان فأشغلت الفقراء بالقرآن فقرؤا نحو ثلثمائة ختمة وأهدوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لاصحاب النوبة رضى الله تعالى عنهم وللسلطان نصر الله به الاسلام والمسلمين فافرج عنهم الباشا على ولم يقع ذلك لاحد فى مصر غيرنا ولذلك رتبت الدعاء لاصحاب النوبة فليس أحد من جماعتنا الذين بزاويتنا يدعو عقب صلاة أو قراءة الا ويدعو لاصحاب النوبة رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) قضائى الحوائج عند الحكام من غير وقوع نقص فى دينى بسبب ذلك وذلك أنه اذا كان لى حاجة عند الباشا فمن دونه أتوجه الى الله عز وجل وأسأله أن يسخر ذلك الامير لى فى قضاء تلك الحاجة فيصبح الامير متهيأ لذلك فأول ما يقرأ القصة أو يسمع كلام القاصد يقضى الحاجة لوقتها بخلاف غيرى فربما يظهر النسك والعبادة ويقول للوسايط اذكروا الفقراء عند الامير أو اذكروهم عنده بما أنتم أهله من الخير وربما وقع فى الرياء والنصب والحيل الآن يكون من كمل الاولياء الذين لا رياء عندهم فى اعتقادنا كسيدى أحمد الزاهد فقد كان يقول لصاحب الحاجة اذا سأله قضاء حاجة عند من لا يعرفه انظر أحدا يسبق الى بيت الامير ويعظمنى عنده حتى نقضى حاجتك فانى لا يسعنى أن أزكى نفسى عنده وان لم أزكها لا تقضى لك حاجة انتهى والاعمال بالنيات (قلت) وقد قضيت عند قضاة العساكر والكشاف ومشايخ العرب حوائج من المهمات وما رأيت أحدا منهم ولا جالسته ولا أرسلت له من يعرفه بى ولكن يحتاج صاحب هذا الخلق الى قوة توجه فانهم قالوا تحويل الجبل بتوجه الفقير أهون عليه من تحويل قلب أمير وذلك لان الجبل لا روية عنده ولا تأمل بخلاف الامير فانه ربما ظهر له أن الصواب فى مخالفة الفقير فعمل به ولا كذلك الجبل فافهم (ويقع لى) فى بعض الاوقات انى أتوجه الى الله تعالى فى قضاء حاجة وأنا ساجد فأحس بجسمى وعظمى قد ذاب فأرجع الى جنبى من غير تشهد ولا سلام فما أفيق الا بعد ساعة وأعرف انى لو زدت فى السجود وطولت فيه مع الحضور لاحترقت (وهذا أمر لا يذوقه الا أهله) فأين من له عظم يثبت من أمثالنا فى حضرة هى أقرب الحضرات ولكن من أراد أن يحيط بما قلناه علما فليطل السجود ويقول يا الله يا أرحم الراحمين حتى ينقطع نفسه مرارا بحيث لا يبقى فيه متسع لان ينطق بكلمة واحدة وكل شئ خطر فى باله من غير الله عز وجل يصرفه عنه حتى لا يبقى فى ذهنه الا الله وحده فانه يحس بجسمه انه يكاد يحترق لو زاد فى التطويل (ثم) ان كل من صح له الثبوت هنالك أجيب دعاؤه بوقته لانها حضرة لا يرد فيها سائل لارتفاع الحجب والوسايط فيها الا ما استثنى شرعا انتهى فاعمل على التخلق بذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجهى لكلام الائمة المجتهدين ومشايخ الصوفية وحمل كلامهم على أحسن الوجوه وكذلك كلام اتباعهم فأحمله على محامل حسنة وقد يتفق لى ذلك مع بعضهم ولو علمت انهم لم يصلوا الى ذلك المشهد كل ذلك سدا للباب الوقيعة فيهم وللتحقيق موضع آخر (فمن ذلك) ما اذا سمعنا شخصا من الاكابر يقول اللهم احبس عنى ألسنة عبادك مثلا حتى لا ينتقصونى لا نحمل ذلك على انه قصد بذلك تعظيمه عند الناس لغرض نفسى وانما نحمله على انه قصد بذلك عدم تنقيصه حتى لا يتوقف اتباعه فى قبول نصحه ووعظه أو حتى لا يرتكب أحد معصية بغيبته ونحو ذلك كهضم نفسه تواضعا فكأنه يقول للناس مثلى لا يقدر على تحمل الكلام فيه ونحو ذلك (وقد) نقل ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب احبس عنى ألسنة عبادك فقال يا موسى هذا شئ ما جعلته لنفسى قد قالوا فى ما قالوا انتهى (ومعلوم) أن موسى عليه السلام لا يطلب مقاما عند الخلق لحظ نفس قط لعصمته فكذلك القول فى الاولياء رضى الله تعالى عنهم لحفظهم فما سأل الاكابر فى حبس ألسنة الناس عنهم

الاخوفا من عدم قبول اتباعهم نصحهم اذا نقصوا فى أعينهم وقد كلفوا بهدايتهم فيتعبون فى ذلك ومن هنا قال العارفون رضى الله تعالى عنهم يشترط فى كمال الداعى الى الله تعالى أن يكون محفوظ الظاهر من الزيغ عن الشريعة حتى لا يجد المدعو فيه مطعنا ونظير ماقلناه أيضا قول هرون عليه السلام ولا تشمت بى الاعداء فانه انما قصد بذلك عدم وقوع قومه فى الاثم بسبب شماتتهم به فان من شمت بنبى كفر وهذا الباب الذى قصصناه لك قليل من الفقراء من يعرفه بل غالبهم يسارع الى الانكار اما لقلة العلم واما لغير ذلك فينكر بمجرد رؤيته لشئ رآه أوسمع به أو أشيع من غير تثبت وقد جاءنى مرة شخص من جامع الازهر فقال لى ما عدت أعتقد فى العالم الفلانى أبدا فقلت له لماذا فقال سمعته يقول أنا أعلم من جميع علماء مصر الآن بل أعلم من جميع من على وجه الارض من العلماء فقلت له يحتمل انه يريد أنا أعلمهم بزلاتى ومخالفتى أو بما فى بيتى من الامتعة أو أعلمهم بيدن زوجتى ونحو ذلك قال وسمعته أيضا يقول العالم الفلانى لا يجئ فى قلامة ظفرى ولا شعرة منى فقلت له صحيح انه لا يجئ فى قلامة ظفره ولا شعره بل هو أجل وأعظم من ذلك وكان لسان حالك أنت تقول بل هو يجئ كذلك قال وسمعته أيضا يقول ونحن فى طريق بولاق سبحان من شرف هذه البقاع بمشينا فيها فقلت له هو قول صحيح فان النوع الانسانى أشرف من التراب لانه خلاصة الوجود فهو أشرف ممن هو دونه خصوصا اذا أنعم الله عليه بذكره وهو مار قال وسمعته يقول أيضا أنا أفضل علماء مصر الآن فقلت له يحتمل انه يريد بذلك أنا أفضل منهم عند نفسى الخبيثة وهى مخطئة فى تلك الدعوى والحال انهم أفضل منى قطعا انتهى (فانتحل) يا أخى لاخوانك الاجوبة الحسنة وان كانت بعيدة فانه أخلص لك وأسلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يسوغ الانكار شرعا الا اذا لم يقبل ذلك الامر التأويل انتهى (وكان يقول) أيضا من كمال الفقير أن يحمل كلام الاكابر على أحسن المحامل لخروجهم عن مقام التلبيس والرعونات النفسانية وان عجز عن الجواب عنهم فى قول قالوه أو فعل فعلوه فليسلم لهم وليكف عن الانكار لان منازعهم دقيقة على عقول أمثالنا لاسيما الائمة المجتهدون وكبراء مقلديهم وأنى لامثالنا أن يتصدى لرد كلامهم (وقد) تصدى شخص للرد على الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعمل فى ذلك كراسة وأتى بها الى يعرضها على فطردته ولم أصغ الى قوله ففارقنى ووقع من سلم بيته وكان عاليا فانكسر صلبه وخرج زره وركه من مكانه فهو الى الآن مكسور يبول ويتغوط على نفسه نسأل الله تبارك وتعالى العافية (وقد أرسل لى مرات انى أعوده فلم أفعل أدبا مع الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ان أوالى من أساء الادب معه (هذا التأويل) فى حق الائمة الماضين أما الاحياء فلا أقبل فى أحدهم كلاما قط حتى اجتمع به وأفاوضه فى ذلك الكلام فربما نقل الحسدة عنه كلاما باطلا أو حرفوه عن مواضعه على خلاف مراده ليشنوا الغارة عليه عند المتهورين فى دينهم من باب التعصب والباطل بقصد انهم يطفؤن نوره فى البلاد ويابى الله الا أن يتم نوره (وهذا الامر) قد كثر نقله بين الاقران وذلك من قلة الورع فى المنطق فان الورع فى المنطق فى كل زمان أعز من الكبريت الاحمر وقد كان شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه اذا رفع اليه سؤال عن أحد من علماء

العصر يقول لا أكتب عليه الا ان اجتمعت به وسألته عن مراده وتارة يقول ان ثبت ذلك عن قائله بطريق شرعى لا تعصب فيه فالحكم كذا وكذا انتهى (وقد دريت) انا هذا الباب كثيرا مع حسادى فبكل قليل يحرفون عنى مسائل لم أقل بها قط ثم يكتبون بها سؤالا ويستفتون عنها العلماء فيفتون بحسب السؤال ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لى من ذلك أجور لا تحصى من كثرة الوقوع فى عرضى بغير حق فلو أنى كنت مؤاخذا أحدا من هذه الائمة لما رضيت يوم القيامة بأعمال الواحد منهم طول عمره فى غيبة واحدة (هذا) وما أحد من المستفتين على اجتمع بى طول عمره ولا بلغه ذلك عنى ببينة عادلة ولو أنهم كانوا يقصدون الخير لاجتمعوا بى وأخذوا منى الجواب فاما أن أتبرأ من ذلك الكلام فلا يجوز نسبته الى بعد ذلك وأما ان أرد تحريفهم بتبيين مرادى على الوجه الشرعى لكن العدو ماقصده الا الاذى ويخاف ان أجيب عن نفسى فلا يروج له أمر فيما افتراه على فالله يغفر له (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لفقير أن يؤاخذ احدا من الفسقة بكلام قاله فى حقه لانه ليس مع الفاسق اعمال صالحة فى الآخرة يعطى شيأ منها الاحد من أخصامه أو معه ولكن لاتنى بما عليه ثم ان الفقير ان وضع من أوزاره شيأ على ظهر ذلك الفاسق بعد نفاد أعماله الصالحة وقع فيما يقدح فى مروءته فما بقى الا المسامحة وان كان ولا بد له من المؤاخذة فليؤاخذ العلماء العاملين المخلصين لان غير المخلصين لا يصل لهم عمل الى الآخرة حتى يأخذ حقه منها لاحباطه بالرياء والعجب مثلا فى دار الدنيا انتهى (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا سامحت أحدا فى حقك من مال أو عرض فاجعل ذلك من جانبك لا من جانب الحق تبارك وتعالى من حيث انها كحرمة الله عز وجل وتعدى حدوده بالكلام فى المؤمنين بغير حق فان ذلك ليس هو اليك وانما هو الى الله تعالى يفعل فيه مايشاء انتهى (فعلم مما قررناه) انه لا ينبغى لمفتى أن يبادر الى الكتابة على سؤال متعلق بأحد من الاحياء لاسيما ان كان يعلم ولو بالقرينة ان ذلك المستفتى منه عدو للمستفتى عنه فيحصل بتلك الكتابة ضرر كبير اذ الاستفتاء على شخص كالكتابة والعلامة على قلة دينه فهو كالتقرير له (وقد وقع) فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ان شخصا ممن لا يخشى الله تبارك وتعالى زور على انى ادعيت الاجتهاد المطلق كأحد الائمة الاربعة فلا تسأل يا أخى عن كثرة مالات الناس بعرضى ولعل شبهتهم فى ذلك كثرة أجوبتى عن الائمة فيروننى أوجه هذا المذهب وهذا المذهب كما يوجهه أصحابه فربما يفهمون من ذلك بفهمهم المعكوس مافهموه مع انى بحمد الله تبارك وتعالى لم أجب عن امام قط بالصدر وانما أجيب عنه بعد اطلاعى على دليله كما يعلم ذلك من كتابى الذى ألفته فى بيان أدلة المجتهدين (وممن توقف) عن الكتابة على ذلك السؤال تورعا الشيخ ناصر الدين اللقانى والشيخ شهاب الدين الرملى والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ شمس الدين البرهمتوشى وسيدى محمد الرملى وقال ائتونى بالكتاب الذى فيه هذه الدعوى أو بينة عادلة تشهد عليه بذلك فأعجزهم وأما الشيخ نجم الدين فسح الله فى أجله فأجاب عنى بنحو خمسين جوابا وقال للحسدة بتقدير ثبوت ذلك عنه فليس فى ذلك محظور لان من شرط القاضى أن يكون مجتهدا انتهى ولما بلغ ذلك الشيخ ناصر الدين الطبلاوى قال ان ثبت ان فلانا ادعى ذلك فانا أول من

يقلده انتهى وقد أشاعوا مثل ذلك عن الشيخ جلال الدين السيوطى والحال ان الشيخ لم يدع الا
الاجتهاد المنتسب لانه على قسمين اجتهاد مطلق مستقل كالائمة الاربعة وهذا لم يدعه أحد بعد
الائمة الاربعة الا ابن جرير الطبرى ولم يسلم له ذلك واجتهاد مطلق منتسب كما عليه المزنى والقفال
والشيخ أبو محمد الجوينى والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد واضرابهم رضى الله تعالى عنهم
أجمعين فكل هؤلاء مجتهدون منتسبون لا مستقلون هكذا رأيته بخط الشيخ جلال الدين
السيوطى وقال انى لم أدع الا الاجتهاد المطلق المنتسب فظن الحسدة انى أعنى المطلق المستقل
انتهى على ان الاجتهاد عند أهل الطريق يحصل للمريدين فضلا عن العارفين وعبارة الشيخ
محى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية فى كتاب الجنائز واذا بلغ المريد
مقام الاجتهاد فهل يقيم تحت حكم أستاذه أو يخالفه قد قال بكل منهما جماعة (قال) والذى أراه
انه يقيم تحت حكم شيخه حتى يرقيه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين انتهى وذلك فوق
مقام الاجتهاد بيقين اذ غاية الاجتهاد فى الفروع الظن فالله تبارك وتعالى يحمى جميع اخواننا
من الوقوع فى الانكار على أحد من الائمة ومقلديهم كما وقع لى فانى لا أعلم بحمد الله تبارك
وتعالى أحدا من أقرانى أكثر أجوبة عن الائمة رضى الله تعالى عنهم وعن مقلديهم منى خلاف
ما أشاعه الحسدة عنى فلو أن أحدا سالما من التعصب جلس عندى وعرض على أقوال جميع
المذاهب المتضادة عند غيرى لجمعت بينها من غير تكلف انتهى وقد رايت وأنا شاب الامام
الاعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه والامام مالك جالس عن يساره وأنا واقف بين يديهم فقال
الامام مالك رضى الله عنه للامام أبى حنيفة ما أحد أجاب عنا مثل هذا الشاب فسررت بذلك
غاية السرور وقد حبب الى أن أذكر لك يا أخى جملة من المسائل التى اختلف فيها الائمة رضى
الله تعالى عنهم فى الوضوء والصلاة تأنيسا لك (فربما) تستبعد اقدار الحق تبارك وتعالى لمثلى
على الجمع بين الاقوال المتضادة فأقول وبالله التوفيق (وجه) قول من قال لا يصح الوضوء بالماء
المستعمل فى فرض الطهارة كون الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يجمعوا المستعمل
فى أسفارهم القليلة الماء ليتوضؤا به ثانيا بل عدلوا عنه الى التيمم ولان الخطايا قد خرجت فيه
بنص الحديث وما تخرج فيه الخطايا فهو مستقذر شرعا فلا ينبغى لمؤمن أن يتطهر به لان من شأن
مقام الطهارة انها تزيد الجسد طهارة وتقديسا والوضوء من غسالة الخطايا يزيد الجسد تقذيرا
فلو كشف الحجاب عن العبد لرأى الماء المستعمل فى الميضأة التى يردها الناس كالذى وقع فيه
جملة من الحيوانات الميتة كالكلاب والخنازير والحمير والحشرات على حسب تفاوت المعاصى
التى خرجت من زنا ولواط وشرب خمر وغيبة ونميمة ومرافعة فى الناس عند الحكام وغير ذلك من
كبائر وصغائر ومكروهات فرحم الله الامام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث عمم بأقواله
الثلاثة الكبائر والصغائر والمكروهات فان له قولا ان حكم الماء المستعمل فى حدث حكم
النجاسة المغلظة وله قول آخر انه كالمتوسطة وله قول آخر انه طاهر غير طهور (وجه) كونه
كالنجاسة المغلظة الاخذ بالاحتياط فربما وقع ذلك المتطهر فى شئ من الكبائر ووجه كونه
كالنجاسة المتوسطة كون الغالب فى الناس وقوعهم فى الصغائر وهى حالة متوسطة بين
الحرام والمكروه ووجه كونه طاهرا غير طهور ان الاصل عدم ارتكاب الناس الصغائر

والكبائر

والكبائر فما بقى الا ارتكابهم المكروه الذى أباحته الشريعة (ويؤيد) ماذكرناه فى تقسيم
الغسالة قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة لما قالت له حسبك من صفية كذا تعنى قصيرة لقد قلت
كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته اى لو وقعت فى البحر لغيرته كله وأنتنته فاذا كان مثل هذه
الكلمة يغير ماء البحر الاعظم لو وضعت فيه فما ظنك يا أخى بغسالة الذنوب العظام اذا سقطت
فى فسقية صغيرة فرحم الله تعالى أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث أشاروا الى
منع الوضوء من فساقى المساجد فانها بالنسبة للبحر المحيط كقطرة صغيرة فهى أولى بالتقذير
والتغيير * وأما وجه من جوز الطهارة بالماء المستعمل فهو لان تقذير الماء بالخطايا المعنوية
أمر غير مشهود الا لاهل الكشف ولا ينهى الانسان الا عن الطهارة بالماء الذى يشهد قذارته
وتغيره على اختلاف المقامات فى ذلك ويؤيد ذلك تسمية الماء طهورا أى تتكرر به الطهارة
عند من جوزه * وأما وجه من منع الوضوء بالماء المعتصر من النبات والاشجار فهو لان
مشروعية الطهارة انما جعلت لانعاش البدن ليقوم العبد الى مناجاة ربه ببدن حى ومعلوم
ان الماء المعتصر ضعيف الروحانية لان الروحانية التى كانت فيه قد انتقلت الى الحبة والنواة مثلا
حتى اخضر ذلك الزرع وكثرت أوراقه وأغصانه فصارت روحانية ذلك الماء ضعيفة لا تنعش
بدن المتوضئ ومن شك فى قولى فلينظر بدنه اذا توضأ بماء البئر الذى لم يستعمل وماء الفساقى
فانه يجد بدنه ينتعش بماء البئر أكثر * وأما وجه من منع صحة الوضوء اذا لم يذكر اسم الله عليه
فلان كل ما لم يذكر اسم الله عليه غير مبارك أو يحمل ذلك على الكمال لقوله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد (وأما) وجه من أوجب الترتيب فى أعضاء الوضوء وأبطل
الوضوء اذا لم يرتب فلانه لم ينقل الينا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ غير مرتب أبدا وقد قال صلى
الله عليه وسلم كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد فالترتيب مأمور به أولا ثم نهض به الى الوجوب
اجتهاد المجتهد وأما وجه من صحح الوضوء اذا لم يرتب فانه جعل الواو فى آية الوضوء لغير الترتيب
والمقصود غسل جميع هذه الاعضاء قبل أن يقوم للصلاة ويدخل فيها ويؤيده ما روى عن على
رضى الله تعالى عنه لا أبالى بدأت برجلى أو بوجهى * وأما وجه من أوجب الموالاة من حيث
الاعتبار والحكمة فلان الطهارة انما شرعت لانعاش البدن مما تولد من وقوع صاحبه
فى المعاصى أو الشهوات أو الغفلات حتى كاد البدن أن يموت أو يضعف أو يفتر فلو لم يوجب
الموالاة لادى الى زيادة البطء فى زمن الطهارة كأن يغسل وجهه قبل طلوع الشمس مثلا ثم
يغسل بقية أعضائه قبيل العصر مثلا مع وقوعه فى الغيبة والنميمة وكثرة الضحك وأكل
الشهوات وكثرة الغفلات بين الوقتين حتى صار بدنه من كثرة الضعف كأنه لم يتوضأ وبذلك
يذهب المقصود من حكمة الوضوء وهى انعاش البدن قبل الدخول فى الصلاة فيقوم للصلاة
قبيل العصر مثلا ببدن ميت أو ضعيف أو فاتر فالموالاة من أصلها مأمور بها ونهض بها
الاجتهاد الى الوجوب كما مر فى الترتيب وأما وجه من قال ان النية لا تجب فى الوضوء وتجب
فى التيمم فهو ان الماء يحيى ما سرى اليه بطبعه ولو بلا نية فعل فاعل كالارض التى سال عليها الماء
من غير فعل انسان فانها تحيا وتصلح للزرع وتنبت الحب الذى بذر فيها فكذلك القول فى حياة
الاعضاء وأما وجه من قال بوجوبها فى التيمم فلان التراب ضعيف الروحانية بالنسبة للماء

فاشترط معه النية المقارنة للقصد تقوية لروحانيته من حيث ان لهمة تؤثر فيما قابلها * وأما وجه من قال انه يصلى بتيمم واحد ماشاء من الفرائض فلان الشارع صلى الله عليه وسلم سكت عن ذلك ولو أنه كان لايؤدى به غير فرض لبينه الشارع ولو فى حديث وأما وجه من قال لا ينقض مس الفرج فلان الناقض حقيقة انما هو الخارج لا المحل ولذلك ورد فيمن مس ذكره مايعطى عدم النقض فى حديث هل هو الا بضعة منك وأما وجه من نقض الوضوء بمسه فهو زيادة فى التنزه وذلك خاص بالاكابر دون الاصاغر وأما وجه من نقض الوضوء بالنوم ولو ممكنا مقعدته فلان النوم أخو الموت كما ورد وهذا خاص بالاكابر أيضا دون الاصاغر وأما وجه من لم ينقض بنوم ممكن مقعدته فلامنه حينئذ من خروج الريح وذلك رخصة وأما وجه من نقض الوضوء بمس الفرج باليد الى المرفقين ظهرا او بطنا فلان اليد تطلق على ذلك كله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أفضى أحدكم بيده الى فرجه الخ وأما وجه من نقض بباطن الكف فقط فهو عمل بما عليه أهل اللغة من تخصيص الافضاء ببطن الكف دون غيره وأما وجه من لم ينقض الطهارة الا بالجماع فلان اللمس يطلق على الجماع نظير قوله تبارك وتعالى وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن اى تجامعوهن وأما وجه من نقض بالدم الجارى وبالقهقهة والغيبة ومس اليهودى أو الصليب أو الاجذم ونحو ذلك فهو لكون المكلف مأمورا بالتنزه عن كل ما تولد من الاكل المشغل بلذته عن الله تبارك وتعالى حالة فعله وأما وجه من لم يوجب الغسل بالجماع من غير انزال فلخفة اللذة فيه بخلاف من أنزل فانه لايكاد يقدر على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال جماعه أبدا لعموم اللذة لجسمه كله ولذلك أمر بالغسل لبدنه كله وأما وجه من أباح وطء الحائض اذا انقطع دمها وغسلت فرجها فقط فلان الوطء انما حرم للأذى الذى يخرج من الفرج وقد زال وحكم غسل بقية البدن انما هو زيادة تنظيف وقس على ذلك بقية المسائل التى تركناها (وأما توجيه) أقوال الائمة رضى الله تعالى عنهم فى الصلاة (فوجه) من قال يجب على المصلى استحضار أفعال الصلاة وأقوالها كلها فى حال التكبير فهو لان المصلى الحقيق يدخل حضرة الله عز وجل بالروح دون الجسم وذلك سهل على مثله فهو خاص بالاكابر وأما وجه من قال لايجب ذلك لعسره فهو فى حق من غلبت جسمانيته على روحانيته من غالب الناس فانه لايتعقل أمرا الا بعد شهود ما قبله وهكذا وذلك يؤدى الى زمن طويل بخلاف الروح فانها تدرك الاشياء جملة فى آن واحد فهذا فى حق قوم وذاك فى حق قوم وأما وجه من امر المصلى بالاستعاذة فى قراءة كل ركعة فلان غالب المصلين ضعيف الحال ليس له عزم يطرد به ابليس عنه باستعاذته مرة واحدة أول قراءته فأمر بالاستعاذة فى كل ركعة بخلاف قوى العزم فان ابليس يطرد عنه باستعاذته فى الركعة الاولى فقط فلا يحتاج الى الاستعاذة ثانيا لعدم حضور ابليس عنده بعد الاستعاذة الاولى ويؤيده ظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولاشك أن فى كل ركعة قراءة جديدة لتخلل الركوع والسجود بين كل قراءتين وأما وجه من أوجب البسملة فى قراءة الفاتحة فى كل ركعة فهو للاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند من أوجبها ومن لم يوجبها فلعدم ثبوت حديثها عنده وأما وجه ذلك من حيث الاعتبار فهو لان ذكر الاسم انما يكون فى الغيبة عن مشاهدة صاحب الاسم

فمن شاهد الحق تبارك وتعالى بقلبه كفاه مناجاته من غير ذكر اسمه فلكل مجتهد مشهد * وفى مواقف الشيخ محمد النفرى أوقفنى الحق تبارك وتعالى بين يديه فى المنام وقال لى اذا لم ترنى فالزم اسمى فأمره تبارك وتعالى بلزوم اسمه الا اذا لم يره ومن هنا ألغز بعض العارفين رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته وامداداته فى شعره بقوله * بذكر الله تزداد الذنوب * اى لان حضرة المشاهدة حضرة بهت وخرس وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وعلى ذلك يحمل قول الشبلى رضى الله تعالى عنه لما قيل له متى تستريح فقال اذا لم أر لله ذاكرا وذلك فى حضرة الشهود فكانه تمنى لجميع أهل محله دخولها الكتفى عن الذكر بالشهود هكذا وجهه أهل الطريق وأما وجه من قال يرخى يديه بجنبيه دون أن يضعهما تحت صدره كما ورد فذلك فى حق من شغله مراعاة كون يديه تحت صدره لا ينزلان عنه عن كمال مناجاة الله تبارك وتعالى واقباله عليه لان من شأن النفس العجز عن مراعاة شيئين معا فى آن واحد الا بقوة يمدها الله تبارك وتعالى العبد بها واذا تعارض معنا أمران راعينا الافضل منهما ولاشك ان اقبال العبد على خطاب ربه عز وجل من غير التفات الى غيره أولى من ان يشتغل بيديه خوفا أن ينزلا الى سرته أو ينفكا عن وضع اليمين على اليسار وأما وجه من قال انه يضع يديه تحت السرة فهو لان اليد اذا طال وضعها على الاخرى يغفل المصلى عن مراعاتها فتنزل الى أسفل السرة وأصلها انما كانت فوق السرة فربما رآها بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فظن ان أصل وضعها كان كذلك فقال به واتباع ما صح فى الاحاديث أولى فعلم أن وضع اليدين تحت الصدر خاص بالاكابر الذين لا يشغلهم عن الله تبارك وتعالى شاغل وارخاؤهما خاص بالاصاغر كما قررناه وبهذا حصل الجمع بين مذهب الامام مالك والامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما فان الشارع أمن المجتهد على شريعته وأمته فلا يخالف ظاهرها الا لامر يعلم رضا الشارع به فافهم وأما وجه من قال لا تصح الصلاة الا بفاتحة الكتاب دون غيرها من القرآن فالاحاديث الصحيحة فى ذلك وأقواها دليلا على تعين قراءتها فى كل ركعة حديث مسلم وغيره قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ثم فسر ذلك بقوله فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل ذكرنى عبدى واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدنى عبدى الى آخر الحديث فانه جعل الفاتحة جزأ من الصلاة وأما وجه من قال يجزئ المصلى قراءة ما تيسر من القرآن فلان القرآن صفة من صفات الله عز وجل وصفاته تعالى لا تقبل التفاضل من حيث نسبتها اليه تعالى وانما التفاضل راجع الى القراءة والقارئ لا الى المقروء وصاحب هذا المذهب يقول فى نحو حديث لا صلاة الا بفاتحة الكتاب اى لا صلاة كاملة ففيه نفى الكمال لا نفى الصحة (وسمعت) بعض العارفين رضى الله عنه يقول وجوب الفاتحة انما هو على الاكابر الذين أشهدهم الله تبارك وتعالى بجميع معانى القرآن فيها فكأنهم صلوا بالقرآن كله فى كل ركعة وعدم وجوبها خاص بمن عجز عن تعقل جميع معانى القرآن فيها انتهى وأما وجه من أمر المصلى بمراعاة الانغام فى القراءة فهو فى حق الاكابر الذين أقدرهم الله تبارك وتعالى على رفع الصوت بين يديه من غير اشتغال بذلك عنه تعالى وأما وجه من قال انه يقرأ ساذجا فهو فى حق العاجز عن الاقبال عن الله عز وجل مع الاشتغال

بالانقام وهو حال أكثر الناس سلفا وخلفا وأما وجه من منع صحة الصلاة اذا لم يعتدل اعتدالا كاملا أو لم يطمئن فى الركوع فهو أن المبالغة فى ذلك خاصة بالاكابر أما الركوع فلان الضعيف لما كان قائما وتجلت له عظمة الله تعالى نخضع وركع فربما لم يقدر على كمال الطمأنينة لشدة ما تجلى له من عظمة الله عز وجل فيرجع الى القيام بسرعة وهو الاعتدال من غير تطويل وكذلك القول فى السجود بل ذلك أولى بالرجوع الى الجلوس بين السجدتين عن قرب لان السجود أقرب حضرة يدخلها ذلك المصلى فربما حكمت عليه الهيبة من الله تبارك وتعالى فار تعد فكاد عظمه ولحمه أن يذوب فأسرع بالرجوع الى الجلوس تنفيسا له ورحمة بنفسه وفى القرآن العظيم ان الله بالناس لرؤف رحيم وأما وجه من قال انه لا بد من المبالغة فى الاعتدال عن الركوع والسجود فذلك خاص بالضعفاء الذين لا يقدرون على طول الخضوع من شدة الهيبة التى طرقتهم ولا على توالى عظمة الله عز وجل على قلوبهم فتخفيفهما خاص بالاقوياء فيكفيهم أدنى اعتدال يتنفسون به فما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه خاص بالاكابر وما نقل عن الشافعى رضى الله تبارك وتعالى عنه خاص بالاصاغر فكان صلى الله عليه وسلم يطول الاعتدال والركوع تارة ويخففهما أخرى ليقتدى به الاقوياء والضعفاء وفى الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس بين السجدتين كأنه جالس على الرضف اى الحجارة المحماة يعنى فيرجع الى السجود بسرعة لقوته صلى الله عليه وسلم فانه ابن الحضرة واخو الحضرة وأبو الحضرة لا أحد من البشر أكثر جلوسا فيها منه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا وانما كان يخفف صلى الله عليه وسلم رحمة بأمته (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما اشترط بعض الائمة كمال الاعتدال من الركوع والسجود رحمة بالضعفاء من الامة الذين لا يقدرون على توالى شهود عظمة الله تبارك وتعالى فى حال ركوعهم وسجودهم فلو أراد أحدهم أن ينزل الى السجود من غير اعتدال ربما زهقت روحه وخرجت من حضرة الله عز وجل قهرا عليها فلذلك شرع له الشارع الاعتدال ليستريح فيه من ثقل تلك العظمة التى كادت تفصل أعضاءه وقال لا صلاة لمن لم يقم صلبه فى الصلاة وفى رواية لا ينظر الله الى صلاة من لم يقم صلبه فى الصلاة أى لا صلاة كاملة أو لا صلاة أصلا أى لان عجزه عن تحمل تلك العظمة يفسخ مقام اقباله على الله تبارك وتعالى حتى يكاد يخرج من حضرته فيفوته كمال الصلاة ووجه لا صلاة أصلا كون روحه خرجت من الحضرة بالكلية من شدة ضعفه وعجزه فعلم أن أصل الاعتدال عن الركوع والسجود لا بد منه لكل مصل من أكابر وأصاغر لعجزهم عن توالى عظمة الله عز وجل فى الركوع والسجود من غير اعتدال أصلا وأن العبد كلما ضعف خوطب بزيادة الطمأنينة فى الاعتدال أكثر وكلما قوى خوطب بزيادة الطمأنينة فى السجود أكثر (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما ثنى السجود دون الركوع لان السجدة الاولى امتثال للامر عكس ما وقع لابليس والثانية شكر لله تعالى على حصول امتثال الامر انتهى ووجه ما قررناه آنفا أن من وصل الى محل القرب فى ركوعه أو سجوده فقد حصل المقصود فلا يرجع الى محل البعد عادة الذى هو القيام والجلوس بين السجدتين الا لحكمة وهذا الذى ذكرناه هو من حكمة ذلك فتأمله فانه نفيس وأما وجه مشروعية

جلسة الاستراحة فهو ان العظمة التى تجلت للمصلى فى حال سجوده لا عظمة فوقها الان حضرة السجود تقرب من حضرة قاب قوسين او أدنى كما أشار الى ذلك حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فلو أن المصلى المستحضر لعظمة الله عز وجل طلب أن ينهض الى القيام من غير جلسة الاستراحة لما قدر وكان كالتكليف بما لا يطاق فلذلك شرعت جلسة الاستراحة رحمة بالعباد (ومن شك) فى قولى هذا ممن صلاته صورية لا حقيقية فليلزم نفسه فى حال سجوده ويجمع حواسه كلها بين يدى الله تبارك وتعالى بحيث لا يصير فى ذهنه الا الله تبارك وتعالى وحده ولا يصير شئ من الكون فى خاطره الا ما يدء ربه لا جله فانه لو أراد ان يقوم الى القيام من غير جلوس لا يقدر أبدا ولو كان خطور الاكوان على قلوب الضعفاء حال سجودهم من جملة رحمة الله عز وجل لهم والا انقطعت مفاصلهم وماتوا عن آخرهم لان كل من تجلى له من عظمة الله تبارك وتعالى ما هو فوق طاقته مات فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فافهم فاذا كان من هو من اولى العزم خر صعقا فكيف بغيره (فعلم بما قررناه) أن من قال طول القيام أفضل من تكرار الركوع والسجود فهو فى حق الاصاغر الذين لا يطيقون تجلى عظمة الله عز وجل لهم فى الركوع والسجود ومن قال بالعكس فهو فى حق الاكابر الذين يحملون تلك العظمة فافهم ويؤيد ما ذكرناه من أن خطور الاكوان على قلب العبد بين يدى الله تبارك وتعالى من جملة الرحمة به ما ورد فى بعض طرق حديث الاسراء من قوله صلى الله عليه وسلم فسمعت صوتا يشبه صوت أبى بكر يقول قف ان ربك يصلى الحديث فآنسه الحق تبارك وتعالى بصوت أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه لان تلك العظمة التى تجلت له لا يطيقها غيره من الخلق أبدا فتأمل (وقد) بسطنا الكلام على أسرار الصلاة فى كتاب مستقل فراجعه (وأما وجه) من لم يوجب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد الاخير فهو أن حضرة الصلاة خاصة بالله تعالى بالاصالة فربما قويت هيبة الله عز وجل على قلب المصلى فلم يكن له التفات الى أحد من أكابر الحضرة الالهية فجعل بعض العلماء رضى الله تعالى عنهم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى حق مثل هذا مستحبة لا واجبة بخلاف الاكابر الذين يشهدون الله تبارك وتعالى مع خلقه لا يشغلهم شهود الله عز وجل عن شهود خلقه ولا عكسه فان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بين يدى الله تبارك وتعالى واجبة عليهم لانه واسطتهم عند الله تعالى لا يمكن أحدا منهم أن يقرب من حضرة الله عز وجل فى عبادة من العبادات الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامهم فيها (وفى كلام) الجنيد رضى الله تبارك وتعالى عنه الكامل من الرجال من لا يحجب بشهود الله تعالى عن شهود خلقه ولا عكسه بل يعطى كل ذى حق حقه اه فعلم أن من قال بعدم وجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فليس ذلك استهانة بمقامه صلى الله عليه وسلم وانما ذلك لعظمة ما تجلى لقلب المصلى من الهيبة (وقد نقل) القشيرى رضى الله تعالى عنه عن أبى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه أنه أذن مرة فلما أتى للشهادتين وقف وقال وعزتك وجلالك لولا أنك أمرتنى بذكر رسولك صلى الله عليه وسلم لما استطعت أن اذكره اه ولعل هذا كان من الشبلى رضى الله تعالى عنه قبل كماله (وأما وجه) من قال تجب نية الخروج من الصلاة فهو أن المصلى كان فى حضرة الله تبارك وتعالى الخاصة ومعلوم عند أهل الادب منا أن أحدهم اذا كان مجالسا كبيرا فلا بد

في الادب أن يستأذنه في المفارقة تعظيما له واستمالة لقلبه فالله سبحانه وتعالى أحق بذلك وتأمل
يا أخي ان قام جليسك من مجلسك من غير استئذان كيف تجد في نفسك منه وحشة لاخلاله
بالتعظيم والادب عكس ما تجد من الانس اذا استأذنك وما كان أدبا مع الاكابر من الخلق
فالحق تعالى أحق وأولى به (وأما وجه) من لم يوجب نية الخروج من الصلاة فنظر الى سعة
رحمة الله تبارك وتعالى ومسامحته عباده في مثل ذلك ولو أن ذلك كان واجبا لامرنا الشارع
به ولو في حديث (وأما وجه) من قال ينصرف من الصلاة عن يمينه فهو خاص بالاكابر الذين
توالت عليهم المراقبة لله تبارك وتعالى وأنهم بين يديه تعالى في سائر أحوالهم فهم لا ينتقلون
ـقيقة من حضرة الله تبارك وتعالى الى غيرها وتلك الحضرة مقدسة واللائق بها اليمين وأما من
ليس لهم هذا المشهد فهم ينتقلون من حضرة الله تبارك وتعالى الى غيرها واللائق بمثل هؤلاء
اليسار بدليل ما ورد من الامر بالبداءة بالرجل اليمنى في دخول المسجد وباليسرى في الخروج منه
فرحم الله تبارك وتعالى أئمة الدين رضوان الله عليهم أجمعين ما كان أنور قلوبهم وما كان
أعرفهم بطريق الادب ومنازع الاحكام وما فيها من الحكمة فتأمل يا أخي في هذا المحل وتدبره
واشكر من نبهك على ذلك عند ربك جل وعلا وهو كلام ابن وقته واياك وتضعيف أقوال الائمة
رضي الله تعالى عنهم ببادي الرأي اذا خالفوا مذهبك من غير معرفة ادلتهم وما فهموه من
الحكمة وشهدوه من الاسرار واسلك طريق القوم على يد شيخ تعرف ذلك ذوقا والله تبارك
وتعالى يتولى هداك (وأما الجواب عن السادة الصوفية) رضي الله تعالى عنهم فغالب مؤلفاتي
جواب عنهم فانها طريق عزيزة وغالب الناس لم يدخل حضرتهم فيقل الانكار ويكثر من
الناس بحسب دخولهم حضرة القوم فمن دخل كثيرا أنكر قليلا ومن دخل قليلا أنكر كثيرا
ولذلك ألف القوم كتبا في بيان اصطلاحهم ومرادهم لمن لم يدخل حضرتهم شفقة عليه ليقل
انكاره عليهم فلا يقع في الاثم والجهل ويحرم من ذوق ما انكره فان كل من أنكر شيئا على
القوم بغير دليل عوقب بحرمان ما أنكره فلا يعطيه الله تبارك وتعالى له أبدا * ومن خاصية طريق
القوم ان الصادق من المريدين اذا دخل طريقهم يعرف جميع ما اصطلحوا عليه بالخاصية
من أول قدم يضعه في طريقهم حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح وليس ذلك لغير الصادقين
في طلب الطريق ولا لغيرهم من أهل سائر العلوم فلا بد لهم من شيخ يوقفهم على مصطلح أهل ذلك
العلم كما هو مقرر في كتب المتكلمين والمناطقة وأهل الهندسة ثم انه قد يكون ذلك
الكلام الذي أنكره بعضهم على ذلك الولي مثلا مدسوسا عليه في كتبه أو مفترى عليه كما وقع
ذلك في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فانهم دسوا عليه جملة من
الامور المخالفة لظاهر الشريعة في كتاب الفتوحات المكية التي ألفها رضي الله تعالى عنه
وفي الفصوص أيضا الذي ألفه رضي الله تعالى عنه كما قاله الشيخ بدر الدين بن جماعة وغيره وكما
وقع لي في بعض كتبي كما مرت الاشارة اليه أوائل هذا الكتاب (وقد) يكون سبب الانكار جهل
المنكر بمصطلح القوم رضي الله تعالى عنهم وعدم ذوقه لمقاماتهم كما في كلام سيدي عمر بن الفارض
رضي الله تعالى عنه في التائية وغيرها فالعاقل من ترك الانكار وجعل ما لم يفهمه من جملة
مجهولاته لاسيما ولم يبلغنا عن أحد من الاولياء رضي الله تعالى عنهم انه أمر الناس بترك وضوء

أو صلاة أو صوم أو غيرها مما يخالف الشريعة ابدا بل رسائلهم كلهم طافحة بالامر بالتقيد على
الكتاب والسنة وعلاج أخلاقهم وأعمالهم وتنقيتها من الدسائس والعلل القادحة في الاخلاص
وتحمل الاذى وترك الاذى والزهد والورع والخوف والخشية وربما كان المنكر عليهم بالضد
من هذه الصفات كلها وربما تكلم العارف في نظمه أو غيره على لسان الحق تبارك وتعالى
وربما تكلم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وربما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم ان
ذلك على لسانه هو فيبادر الى الانكار فافهم وربما أنكر العالم على بعض الصوفية في بعض
الاوقات رحمة بالعوام والمحجوبين خوفا أن يتبعوه في ذلك الامر بالجهل فيهلكوا الا ردا على
ذلك الصوفي بالكلية كما وقع للشيخ برهان الدين البقاعي في كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله
تعالى عنه وكما وقع لغيره في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه ونعم ما فعلوا
فان هؤلاء القوم قد ماتوا والانكار عليهم الآن لا يضرهم بل يزيدهم اجورا وثوابا ولا هكذا
العوام والمحجوبون فانه يجب على كل عالم انقاذهم من الهلاك لامكان تداركهم وتقريرنا لهم
على ما فهموه من كلام القوم على غير مراد القوم يضرهم وربما ضر القوم أيضا في قبورهم
ولذلك كان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول لا يبلغ الكامل مقام الكمال حتى
لا يخدش كلامه شيأ من ظاهر الشريعة فان الشارع صلى الله عليه وسلم قد أمنه على شريعته
(وكان) رضي الله تعالى عنه يقول الكامل لا يستر له كلاما ولا يرمزه بل يتكلم بكلام يسع أفهام
العلماء والعوام اذ التستر والرموز من بقايا النفوس انتهى (وما رأيت) في كلام القوم أوسع
من كلام السادة الشاذلية رضي الله تعالى عنهم أبدا (وقد سمعت) شيخي الشيخ أمين الدين
الامام بجامع الغمري رضي الله تعالى عنه يقول قد وضع الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله
تعالى عنه كتاب الحكم وجعل كل كلمة وحكمة منها تحتوي على معاني جميع الكلام السابق
واللاحق وقل من الصوفية من يقدر على استخراج تلك المعاني السابقة واللاحقة من كل حكمة
انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أدنى اقل درجات الادب مع القوم
ان يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم انتهى فافهم ذلك (وكان) سيدي علي بن
وفا رضي الله تعالى عنه يقول التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم والانكار عليهم سم ساعة
في اذهاب الدين وربما تنصر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله العافية انتهى (فان أردت)
يا أخي عدم الانكار فاجل مرآة قلبك فانك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقل انكارك
والا فمن لازمك كثرة الانكار لانك لا تنظر في مرآتك الا صورة نفسك فافهم (اذا علمت ذلك)
فما نقل عن الشيخ أبي يزيد قوله طاعتك لي يارب أعظم من طاعتي لك أي اجابتك لي يارب دعائي
في نحو قول اغفر لي وارحمني واعف عني ولا تؤاخذني أعظم من اجابتي أنا الامتثال أمرك
واجتناب نهيك لانك عظيم وانا حقير وأنت سيد وأنا عبد ولذلك ستر أهل الادب مع الله تبارك
وتعالى مثل ذلك وسموه دعاء لا أمرا للحق تبارك وتعالى ونهيا وان كان اللفظ يؤدي ظاهره الى
ذلك (وأول من أحدث هذا الاصطلاح) الحكيم الترمذي رضي الله تعالى عنه فعلم انه ليس
مراد أبي يزيد ان الحق تبارك وتعالى تحت طاعته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عنده وعند
جميع المسلمين وعلى ما قررناه ينزل معنى ما نقل عن أبي يزيد أيضا أنه قال طاعة الله لي أكثر من

طاعق له هكذا أوله بعضهم (ومما نقل) عن أبي يزيد أيضا انه قال بطشي أشد من بطش الله بي لما سمع قارئا يقرأ ان بطش ربك لشديد فصاح حتى طار الدم من أنفه وقال بطشي أشد من بطشه بي ومراده رضي الله تعالى عنه ان بطش الله عز وجل بي لا يكون الا مخلوطا بالرحمة لان رحمته بعبده غلبت غضبه عليه فهو ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة ولا هكذا بطش أبي يزيد فانه محض انتقام لا يشوبه رحمة لان غضبه غلب رحمته لضيقه فكان بطشه بأخيه أشد من بطش الله جل وعلا به لاسيما عدوه اذا قدر عليه فانه لا يكاد يرحمه في الدنيا ولا في الآخرة هكذا أوله الشيخ محيي الدين وغيره (ومما نقل عنه أيضا) انه قال لبعض مريديه لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة ومراده ان المريد ليس له قدم في معرفة الله جل وعلا اذا رآه فانه يراه ولا يعلم انه هو فلا يعرف يأخذ عنه علما ولا أدبا بخلاف أبي يزيد فانه ينتفع به ويعلمه الادب مع الله تبارك وتعالى حتى يرقيه الى معرفة ربه جل وعلا والله تعالى أعلم بمراده رضي الله عنه (ومما نقل عنه أيضا) سافرت من الله الى الله ولعل مراده سافرت في طريق الله تعالى فضلا من الله الى أن عرفته أو سافرت في حب الله من باب قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وليس مراده رضي الله تعالى عنه بذلك مسافة تعالى الله عند العارفين عن التحيز ويصح ان يكون مراده ابتدا سفري الى انتهائه بحول الله وقوته لا بحولي ولا قوتي (ومما نقل) عن الجنيد رضي الله تعالى عنه قوله العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار انتهى أنكر ذلك بعضهم وقال قد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت أي تذوق الموت عند انتهاء أجلها في الدنيا فكيف الحال (والجواب) كما قاله بعضهم ان مراد الجنيد ان العارفين لما جاهدوا نفوسهم في حال سلوكهم حتى ماتت عن جميع تصرفاتها وشهدت التصريف لله وحده فكأنها ماتت في حال حياتها لان حكمها اذ ذاك حكم الاموات في عدم اضافتها الفعل الى نفسها (وقد ورد) في الحديث من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر انتهى أي لان التسليم لله تبارك وتعالى محق نفسه حتى صارت كنفس الميت (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول طلوع الروح يهون ويصعب على العبد بحسب كثرة مجاهدته لنفسه وقلتها فان صعب على عبد طلوع روحه فانما ذلك لبقية مجاهدة بقيت عليه من الميل الى شهوات الدنيا وعلاقاتها بخلاف من لم يبق عنده ميل الى شيء من ذلك فلا يحتاج الى جذب روحه بشدة بل حكمه حكم من ينتقل من دار الى دار اللهم الا أن يكون من الانبياء أو أكابر الاولياء فان صعوبة طلوع روحهم ليست بسبب ميلهم الى الدنيا وانما ذلك لحبهم لطاعة الله تعالى في دار الدنيا والقيام بشعار دينه حبا فيه تعالى أو اهتماما بقومهم الذين كانوا يرشدونهم الى طريق الله تعالى حيث ماتوا ولم يبلغوا بهم مرتبة الكمال ونحو ذلك من الاغراض الصحيحة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده (ومما نقل عن الشبلي) رضي الله تعالى عنه انه كان يقول ان ذلي عطل ذل اليهود ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ان ذلي لله تبارك وتعالى أعظم من ذل اليهود له تعالى اذ الذليل يكون على قدر معرفته بعظمة من ذله ولا شك ان الشبلي رضي الله تعالى عنه أعرف بعظمة الله تعالى من اليهود فذله لله أعظم من ذل اليهود له والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده (ومما نقل عنه أيضا) انه قال ما في الجبة الا الله انتهى وضبط بعضهم الجبة بالجيم

والباء الموحدة وبعضهم بالجيم والثاء المثلثة التي هي البدن ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ما ثم في جسدي فاعل الا الله تبارك وتعالى نظير قول بعضهم ما في الكونين الا الله تعالى فليس مراده نفي الكونين ولا أن الله سبحانه وتعالى يحل في خلقه لانه أثبت وجودهما كما ترى ولكن جعل الله تعالى خالقا لهم ولافعالهم وكم في الكتاب والسنة من كلام يحتاج الى تقدير كما في قوله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي أشربوا حب العجل وفي الحديث أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * فافهم (ومما نقل عن الامام الغزالي) رضي الله تعالى عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان ولعل مراده رضي الله تعالى عنه ان جميع الممكنات ابرزها الله تعالى على صورة ما كانت في علمه تعالى القديم وعلمه القديم لا يقبل الزيادة (وفي القرآن) العظيم أعطى كل شيء خلقه فلو صح ان في الامكان أبدع مما كان ولم يسبق به علمه تعالى للزم عليه تقدم جهل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وهذا) هو معنى قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه في تأويل ذلك ان كلام حجة الاسلام في غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق الى ما لا يتناهى عقلا فلا يرقى عن رتبة الحدوث الى رتبة القدم أبدا انتهى (وقد رأيت) مؤلفين للشيخ برهان الدين البقاعي رضي الله تعالى عنه في تأويل هذه الكلمة عن الغزالي رضي الله تعالى عنه وكلاهما لم يحم حول هذا الحمى فالحمد لله رب العالمين (ومما نقل) عن الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه انه قال حدثني قلبي عن ربي أو حدثني ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه تعالى بارتفاع الوسائط ليس مراده ان الله تعالى كلمه كما كلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما مراده ان الله تعالى يلهمه على لسان ملك الالهام بتعريف بعض أحوال فهو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن في أمتي محدثون بفتح الدال المشددة فعمر (وايضاح ذلك) ان من الفرق بين وحي الالهام الذي يكون للاولياء رضي الله تعالى عنهم وبين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلق بتشريعهم لانفسهم أو لاممهم ان النبي يشهد الملك ويسمع كلامه فيجمع بين الرؤية وسماع الكلام ولا هكذا الولي فانه ان سمع كلام الملك لا يرى شخصه وان رأى شخصه لا يسمع منه كلاما والسر في ذلك كون النبي مشرعا والولي تابعا يتعبد بشرع نبيه صلى الله عليه وسلم الثابت المقرر عنده فلا يحتاج الى مزيد انكشاف أمر وأما النبي فيريد ينشئ شرعا جديدا وينسخ شرعا آخر فلذلك احتاج الى مزيد تأكيد وانكشاف أمر ففرق يا أخي بين وحي الالهام وبين وحي الكلام تكن من العلماء الاعلام هكذا اقرره الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه (ومما نقل) عن القوم رضي الله تعالى عنهم قولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف ليس مرادهم نفي اللوح المحفوظ وانما مرادهم ان قلب العارف اذا انجلى ارتسم فيه كل ما كتب في اللوح المحفوظ نظير المرآة اذا قابلها لوح مكتوب فافهم (ومما نقل أيضا عن القوم) رضي الله تعالى عنهم قولهم دخلنا حضرة الله خرجنا من حضرة الله ليس مرادهم بحضرة الله عز وجل مكانا خاصا معينا فان ذلك ربما يفهم منه التحيز للحق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما مرادهم بالحضرة حيث أطلقوها شهود أحدهم انه بين يدي الله عز وجل فما دام يشهد انه بين يدي ربه جل وعلا فهو في حضرته فاذا حجب عن هذا المشهد

خرج من حضرة الله تعالى والناس فى ذلك بين مقل ومكثر كما سيأتى ايضاحه فى هذا الكتاب فمنهم من يحضر فى صلاته أو بعضها ومنهم من يحضر فى صلاته وغيرها مقدار درجة أو درجتين أو ثلاث وهكذا الى ان يستغرق الليل والنهار فى الحضور الا ما يسامح الله تبارك وتعالى به عبده فى غفلته عنه ونيل بعض شهواته رحمة به فان مراقبة الله تبارك وتعالى مع الانفاس كلها ليست من مقدور البشر كما صرح بذلك المحققون رضى الله تعالى عنهم (ومما لم يصح نقله) عن الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه واشاعه بعضهم عنه قولهم عنه انه قال ان لله عبادا لو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وان لله عبادا لو سألوه ان يقيم الساعة الآن لأقامها فان مثل ذلك كذب وزور على الامام حجة الاسلام رضى الله تعالى عنه وارضاه يجب على كل عاقل تنزيه الامام عنه لانه يرد النصوص القاطعة الواردة فى مقدمات الساعة فيؤدى ذلك الى تكذيب الشارع صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وان وجد ذلك فى بعض مؤلفات الامام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة (وقد رأيت كتابا) كاملا مشحونا بالعقائد المخالفة لاهل السنة والجماعة صنفه بعض الملحدين ونسبه الى الامام الغزالى فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب عليه كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب الى حجة الاسلام انتهى (وكذلك) ذكر الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس فى اللغة ان بعض الملاحدة صنف كتابا فى تنقيص الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه واضافه اليه ثم أوصله الى الشيخ جمال الدين بن الخياط اليمنى فشنع على الشيخ أشد التشنيع فارسل اليه الشيخ مجد الدين يقول له انى معتقد فى الامام أبى حنيفة غاية الاعتقاد وصنفت فى مناقبه كتابا حافلا وبالغت فى تعظيمه الى الغاية فأحرق هذا الكتاب الذى عندك أو اغسله فانه كذب وافتراء على انتهى (وكذلك) مما لم يصح عن الشيخ ابى يزيد رضى الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من انه قال ان آدم عليه السلام باع حضرة ربه بلقمة انتهى فان الشيخ أبا يزيد من جملة مشايخ رسالة القشيرى الجامعين بين الشريعة والحقيقة فكيف يصدر عنه مثل هذا الكلام الجافى فى حق السيد آدم عليه السلام فافهم (وكذلك مما لم يصح نقله عنه) رضى الله تعالى عنه ما نقله بعضهم من أنه قال لو شفعنى الله تعالى فى الاولين والآخرين لم يكن ذلك عندى بكبير غاية الامر انه شفعنى فى لقمة طين انتهى فان ذلك كلام من لم يشم رائحة الادب فانه يبطل خصوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وقد فتحت لك) يا أخى باب الاجوبة عن علماء الاسلام من الفقهاء والصوفية رضى الله تعالى عنهم أجمعين فقس على ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم قطعى البر الذى جعله الله تعالى على يدى للفقراء اذا كفر أحد منهم واسطتى وكذلك لا أقطع تعليمه العلم والادب الا بطريق شرعى وذلك لانى أعلم ان من لم يشكر من أحسن اليه فقد وفر له الاجر عند الله تعالى ومن شكره فربما جعل الله تعالى ذلك الشكر فى مقابلة احسانه وتعليمه ولا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من عامل الله تعالى دون خلقه وأما من يعامل الخلق فمن لازمه غالبا ان يقطع بره وحسنته وتعليمه عمن اساء معه الادب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك ان تطلب من العبيد مجازاة على احسانك اليهم فانك تخسر أجرك عند الله تعالى وانما الادب ان تعاملهم بالبر والخير لكونهم

عبيد الله تعالى لا غير وما ألذها من معاملة اذا اطلع الحق تعالى على قلبك ووجد الباعث لك على اكرام الخلق انما هو كونهم عبيد الله تعالى (وفى القرآن العظيم) ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (وكذلك) القول فيمن يحسن الى الخلق ليجازوه بنظير فعله فانهم اذا لم يجازوه يندم ويتأثر فأحسن يا أخى الى من كفر بنعمتك التى كنت واسطة له فيها ولو كرهت نفسك ذلك فان فيه من رياضة النفس ما لا يخفى (وقد عاتب) الله تبارك وتعالى السيد أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما قطع نفقة مسطح وشفع تعالى فيه عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه بقوله عز وجل وليعفوا وليصفحوا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طلبى الثواب من الله تبارك وتعالى على شئ من الاعمال التى أبرزها عز وجل على شئ من جوارحى الا من باب المنة والفضل لعلمى بان نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك وتعالى الا لنا لانه غنى عن العالمين فمن الادب طلب ذلك الثواب الذى جعله فى مقابلة تلك الطاعة اظهارا للفاقة والحاجة ومن لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الادب لاظهاره الغنى عن فضل ربه جل وعلا فافهم (وقد شنع العارفون) رضى الله تعالى عنهم على من قال لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له الى الله حاجة اه لان ظاهره وصول العبد الى الغنى المطلق وذلك محال اذ العبد لا يستغنى عن الله تعالى طرفة عين ولو لم يكن الا خروج النفس ودخوله فتارك النفس يموت (ويصح أن يجاب) عن ذلك بان مراده الاكتفاء بعلم الله تعالى فيه وبما قسمه له وان الحق تعالى قد أغناه عن السؤال بالقسمة الالهية والله سبحانه وتعالى اعلم (ووالله) انى لارى الفضل لله تعالى الذى أهلنى للوقوف بين يديه ولو خاف جميع العصاة المارقين الفاسقين رجاء أن يصيبنى شئ من الرحمة التى لعلها ان تنالهم وأنى لمثلى ان يقف بين يدى رب العالمين فى صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة فالحمد لله الذى لم يطردنى كما طرد تارك الصلاة فلم يمكن أحدا منهم ان يقف بين يديه (وفى بعض الكتب الالهية) يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يليق بأحد من أمثالنا ان يسأل الله تعالى ثوابا على عبادته وانما اللائق به ان يسأل العفو عما جناه فى تلك العبادة من سوء الادب وعدم الخشوع فيها لما ورد ان الصلاة اذا لم يكن فيها خشوع تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها (وسمعته أيضا) رضى الله تعالى عنه يقول لا يصح لعبد ان يسأل ربه ثوابا على أعماله من باب المنة والفضل الا ان أحكم مقام التوحيد لله تعالى فى الفعل والا فمن لازمه غالبا طلب الثواب فى مقابلة عمله كما عليه طائفة العباد الذين لم يسلكوا الطريق فيقول الحق جل وعلا لاحدهم ادخل الجنة برحمتى فيقول بل بعملى كما ورد ولو ان أحدهم ذاق التوحيد لم يقل لربه مثل ذلك لانه جهل وخروج عن أدب العبيد فان من شأن العبد ان يخدم سيده قياما بواجب حق السيادة لا لعلة أخرى من علل النفوس (وايضاح ذلك) ان من شهد الفعل لله تعالى كشفا زال عنه طلب الثواب على طاعاته جملة واحدة لان أحدا لا يطلب ثوابا قط على فعل غيره (وسمعته أيضا) رضى

الله تعالى عنه يقول انما شرع صلى الله عليه وسلم للمصلى حين يسلم من صلاته ان يقول
أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله ثلاث مرات لينتبه المصلى على نقص صلاته وعدم الحضور
مع الله فيها وكثرة الغفلة وحديث النفس وغير ذلك اذ الاستغفار لا يكون الا عن ذنب أقل
ماهنالك شهوده نسبة الطاعة اليه مع كونه غافلا عن شهود كون الحق تعالى هو الخالق لها وما
قال عارف قط اياك نعبد واياك نستعين الا على وجه التلاوة فقط لا على وجه كونه له شركة فى الفعل
الا بقدر نسبة التكليف فقط تعالى فعل الله عز وجل عنده أى العارف عن الشركة فافهم وبالجملة
فمن تأمل وجد حكم وقوف أمثالنا بين يدى الله تبارك وتعالى حكم العبد المجرم الذى فسق فى
حريم الوالى وعرضوه عليه ليعاقبه فلا يكاد يخطر على باله قط أنه يخلع عليه خلعة وانما يسأل ربه
عز وجل فى العفو عنه وترك العقوبة وما أبردها على كبد ذلك المجرم اذا سمع بأن الوالى عفا عنه
وترك معاقبته وحرقه بالنار ووضع الخودة المحماة على رأسه فالحمد لله رب العالمين
(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكديرى اذا قدر على السهو والنسيان حتى صليت
صلاة بلا طهارة مثلا بل أشكره تبارك وتعالى الذى من على بصورة الوقوف بين يديه ثم أشكره
ثانيا على ذلك السهو أو النسيان لانه كان سببا لامرى بالوقوف بين يديه ثانيا بطهارة أو لطول
مناجاتى له سبحانه وتعالى بسجود السهو أو تدارك ماسهوت عنه مثلا ولو أنى صليت الاولى
متطهر الربما لم أكن أقف بين يديه تبارك وتعالى ثانيا فى ذلك الوقت بل من شأن المحب من
الخلق اذا غضب عليه أستاذه أن يعمل الحيل التى يتوصل بها الى الوقوف بين يديه بالقصد ليفتح
باب الكلام معه فافهم ثم انى بعد ذلك أكثر من الاستغفار حيث غلبت على الغفلة عن الطهارة
حتى قمت بين يدى رب العالمين من غير طهارة وقد يؤاخذ العبد بالنسيان فى بعض فروع الشريعة
ويحتاج صاحب هذا الخلق الى عينين عين ينظر بها الى نعمة الوقوف بين يدى الله تبارك وتعالى
ولو محدثا وعين ينظر بها الى تقصيره واشتغاله بامور الدنيا حتى غفل عن صلاته بلا طهارة فافهم
ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم طلب نفسى مقاما عند الخلق وذلك من أكبر نعم الله
تبارك وتعالى على لان من طلب مقاما عند الخلق عدم المقام عند الله تبارك وتعالى وعند الخلق
ومن طلب المقام عند الله تعالى حصل له المقام عند الله عز وجل وعند الخلق هذا فيمن يطلب
المقام عند الناس لغير غرض صحيح والا فقد كان سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه يقول
لمن سأله فى حاجة عند أمير لا يعرف مقامه اذهب يا أخى وخذ معك أحدا من أبناء الدنيا وانتظرنى
عند دهليز ذلك الامير فاذا رأيتمانى جئت فهرولا وقبلا يدى واعضدانى من تحت ابطى ليبادر
غلمان ذلك الامير الى تعظيمى تقليدا لكما فيدرى بذلك الامير فيعظمنى كذلك تقليدا فتقضى
حاجتكم بخلاف اذا شفعت عنده وهو لا يعرفنى فانه يتعبنى فى تحويل قلبه اه وتقدم فى هذا
الكتاب ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على قضائى للحوائج عند الامراء والا كابر من غير تقدم
تعريفهم بى وقل من يقع له ذلك الا بنقص دين فى طريق قضاء تلك الحاجة من اظهار عبادة
أو ورع أو زهد بحضرة جماعة ذلك الامير ليوصلوا علم ذلك اليه بل بعضهم سمعته يقول اذكرنى
بخير عند الامير وقل له هذا ما هو من الفقراء النصابين فى هذا الزمان وما بقى فى مصر أقدم

هجرة منه فى طريق الفقراء اه فليحذر الشافع عند الامراء من دخول الرياء فى مثل ذلك وليحرر
نيته لمصالح العباد كما قدمناه عن سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه وصورة شفاعتى عند
من لا يعرفنى أنى أتوجه الى الله تبارك وتعالى فى تحويل قلب ذلك الامير فاذا وجدت أثر الاجابة
ذهبت اليه والا توقفت عن الشفاعة الى محل قابل فى وقت آخر فان من لم تكن له همة تنفذ
فليس فى شفاعته الا بخس مقامه عند ذلك الامير وأضرابه واقامة الحجة عند الله تعالى على ذلك
الامير فأساء فى حقه وسيأتى ايضاح ذلك فى عدة من المنن (وكذلك) حكمى فى مكاتبات الاكابر أنى
لا أكاتب أحدا منهم الا ان حصل لى علامات القبول بأن تصير كل شعرة فى توقن بقبول شفاعتى
فان لم تحصل تلك العلامة فلا أكاتب أحدا فى ذلك وربما يقسم على صاحب الحاجة بأن
أكتب له ولو بلا وارد فأكتب له كتابا فلا تقضى له حاجة لان الوارد اذا لم يحصل عند الفقير فلا
فرق بينه وبين آحاد الناس من العوام فلا يقرأ الامير له كتابا فضلا عن العمل به (وقد جربت)
ان كل من لم يذهب بكتابى على أثر الوارد لا تقضى له حاجة لاشتغالى عن صاحب الحاجة بأمر آخر
بخلاف من ذهب بالكتاب على أثر الوارد فانى أصير الاحظه حتى يقف بين يدى الامير فأساعده
بالهمة فى قضاء حاجته (ومما جربته) ان كل من أخذ لذلك الامير كتابا آخر من أحد مع
كتابى لا تقضى له حاجة فليستخر صاحب الحاجة ربه فى جميع أهل بلده مثلا فكل من ترجح عنده
فى الاعتقاد أخذ من اسلته فان حاجته تقضى ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا ولو سألنى
الولاة فى ذلك لعلمى بأن مال بيت المال انما هو معد لمصالح عسكر الاسلام من علماء ومقاتلة تسافر
فى التجاريد وليس لى قدرة على السفر لمثل ذلك ولا أنا معدود من العلماء العاملين الذين يحمون
الدين لضعف يقينى وشوكتى وأيضا فان أحدا لا يتوصل الى ترتيب المرتب والمسموح الا بذل
النفس فى طريقه عاجلا وآجلا وأيضا فان الله تبارك وتعالى قد رزقنى القناعة فلو انى وجدت
كسرة يابسة قنعت بها ومن كان كذلك لا يحتاج الى مال السلطان وهذا كان مذهب جمهور
العلماء والصالحين سلفا وخلفا فبهداهم اقتده ولا تغتر يا أخى بكثرة من يترخص فى مثل ذلك من
أهل زمانك فانها طريق تجر الى العطب هذا والآ عطى مثل ذلك وهو فى بلده من غير سؤال فكيف
بمن يسافر لاجل ذلك من مصر مثلا الى الروم ويزاحم عسكر السلطان (وقد رأيت) شخصا
صغير العمامة ينكر على فقيه كبير العمامة ويقول هذا اسراف وله أربعون نصفا مسموحا فى
الشأم من جهة السلطان ثم يسافر الى بلاد الروم يطلب أن يرتبوا له شيأ آخر مع أنه ليس عنده
فقراء مجاورون ولا عليه واردون فلما وصل الى الروم جلس فى طريق اصطنبول وأرسل وراء
الوزير ليحضر عنده دون أن يذهب هو اليه فقال الوزير سبحان الله يسافر من بلاد الشأم الى هنا
فى طلب الدنيا ويتكبر علينا مع دعواه الولاية ويطلبنا نذهب الى عنده مع عدم حاجتنا اليه
وعدم رياضة نفوسنا ثم عاكسه فيما طلب ورده الى مصر من غير قضاء حاجة فعاتبته وقلت له
كبر أنت عمامتك مثل الفقيه واقنع بالاربعين نصفا كل يوم فانه أفضل لك من تصغير العمامة
وارخاء العذبة وأنت تحب الدنيا فما درى ما يقول وافتضح (وقد أدركت) بحمد الله تبارك
وتعالى جمعا كثيرا من مشايخ الطريق وعلماء الاسلام كانوا كلهم يردون عطايا الولاة

احتياطا لانفسهم وكانوا يقنعون بالخبز والملح اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بوصيته فى قوله صلى الله عليه وسلم ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وقد كان مالك ابن دينار رضى الله تعالى عنه يأكل الخبز بالبقل وبالخل وبالملح ويقول من رضى بهذا من الدنيا لم يحتج الى الناس ولا الى الوقوف على أبواب الولاة فعلم ان كل فقير لم يقنع بما ذكرناه فى لازمه طلب الدنيا غالبا بلسانه أو بقلبه لاجل ملابسه ومطاعمه ومشاربه وسراريه وخدامه الا أن يزرع أو يتجر أو يعمل حرفة كما كان السلف الصالح يفعلون وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الىّ من ان آكلها بدينى ودخل عليه الخليفة مرة فرسم له بألف دينار فردها فقالت امرأته من الخباء دع منها للصبيان قوت يومهم فلم يفعل ثم قطع بساطا باليا كان تحته نصفين وقال اشتروا بهذا طعاما كلوه اليوم وما مثلى ومثلكم الا كبعير ند من أهله فصار كل من قدر عليه طعنه فأكلكم من ثمن هذا البساط خير لكم من ان تطعنوا فضيلا اه ولما رأى الناس قد أقبلوا عليه بهداياهم لاجل تجرده من الدنيا اشترى له جملا بمكة فكان يسقى عليه ويتقوت هو وعياله منه حتى مات رضى الله تعالى عنه وقد ارسل زين الدين الاستادار الى الشيخ جلال الدين المحلى رضى الله تعالى عنه ألف دينار فلم يردها ووضعها عند شخص وصار يرسل له المحتاجين واحدا بعد واحد الى أن صرفها كلها على المديونين والمحتاجين والعاجزين عن الكسب وأوهمه انه قبلها لنفسه وما علم الناس بذلك الا بعد موت الشيخ رضى الله تعالى عنه ورحمه اه وكان الشيخ له دكان تحت الربع يبيع فيه القماش ويغلقه من الظهر ثم لا يخفى عليك يا أخى ان طالب المسموح لابد أن ينهى فى قصته انه من أهل العلم والخير والفقر وليس له ما يقوم به ولا بعياله والمترددين اليه وينسى كون الحق تبارك وتعالى يطعمه ويسقيه الى أن شابت لحيته من حيث لا يحتسب لم ينسه يوما واحدا فانظر يا أخى كيف زكى نفسه بالعلم والخير وشكا ربه تبارك وتعالى لعباده بغير حق لاجل زيادة شهوات الدنيا وربما كان فى ذلك اليوم الذى شكا ربه عز وجل فيه أوسع من بيت النبوة وربما كان حاله بخلاف ما أنهى من الخير والعلم والفقر ثم ان الحيلة التى يعملها صاحب المسموح بعد أن أعطيه لا تخلصه عند الله تبارك وتعالى فان المعصرة التى يؤجرها للمعاصرى أو الدكان الذى يؤجره للقصاب مثلا كل يوم بنحو أربعين نصفا ولا توفر ما كان أصحاب جملة الوزر يأخذونه ما أعطى تلك الاجرة أبدا ولو حبس أو ضرب لكنها لم تتوفر له بل أخذها صاحب المسموح منه وكان لسان حال صاحب المسموح يقول للمعاصرى أو الجزار أعطنى ما كان أصحاب جملة الوزر يأخذونه منك لانى شيخ أو عالم وقد سألنى الامير جانم الحمزاوى لما سافر الى الروم أنى أكتب له قصة معه للسلطان ليأتينى بمرسوم للمعصرة الموقوفة علىّ فلم أجبه فراجعنى فى ذلك وقال هذا هو ليس لك وانما هو للفقراء فكتبوا القصة فلما رأيتها وجدت فيها ان فلانا فقير وعليه الوارد كثير وليس له ولا لأولاده ما يقوم بهم وقالوا لابد فى الانهاء من ذلك فقطعت القصة لاجل ذلك اه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) حمايتى من الاكل من هدايا الظلمة وأعوانهم من العمال ومشايخ العرب والكشاف وشيوخ البلاد والمباشرين وهذا الامر قليل من يقع له الحماية منه

فى هذا الزمان ثم من أقل ما يحصل لمن أكل من هداياهم أو لبس منها الركون اليهم بالقلب وكراهة عزلهم من ولاياتهم ولو ظلموا وأهلكوا الحرث والنسل وقد قال تبارك وتعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فنهانا عن الركون وأوعدنا بامساس النار فقل من يأكل طعامهم مثلا يريد أن يعمل بوصية الله تبارك وتعالى فلا يقدر على قلبه يطاوعه وفى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فلا يخرج عن ذلك الا من كان يرى احسان الناس له من جملة احسان الحق تعالى اليه كما عليه أهل الله تبارك وتعالى فانهم لا يرون محسنا الا الله تعالى فمثل هؤلاء لا يضرهم ما يأخذونه من الظلمة الا ان علموا انه حرام مثلا لانهم يرون الخلق مستخلفين كالوكلاء للحق تبارك وتعالى فى انفاق رزقه على عباده على الوجه الشرعى فلذلك جبلت قلوبهم على حب الله وحده فلا يضرهم ما يأخذونه من الظلمة بشرطه لعدم وقوفهم معهم دون الله تبارك وتعالى فافهم وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول اياكم أن تأكلوا من طعام من يعتقد فيكم الصلاح من الامراء وغيرهم فانكم تأكلون بدينكم وكان رضى الله تعالى عنه يرد هدايا الولاة ويقول لهم انما صحبناكم لنأخذ بيدكم فى الشدائد واذا أكلنا من طعامكم المخلوط بالحرام والشبهات عجزنا عن تحمل ما يصيبكم من الشدائد وعدمتم النفع بنا فيرضون منه بذلك اه وقد أرسل الباشا قاسم الى شيخنا الشيخ محمد الشناوى رحمه الله تعالى نحو خمسمائة دينار وبعض ثياب فردها عليه وقال لو أنى بعت ما عندى من روث بهائمى لجاء أكثر من هذه الهدية فرضى الله تعالى عن أهل الصدق ومما وقع لى ان شخصا من جند السلطان أرسل لى فى رمضان صحن كنافة مجمرة ونثر عليها السكر والفستق فأكلت منها لقمة فقسا قلبى جمعة وعجزت عن اخراجها بالقىء وكذلك وقع لى أنى أفطرت عند شخص من مباشرى القلعة فى رمضان فرأيته صنع طعاما كثيرا نحو خمسة عشر لونا فعلمت أنه متهور فى مكسبه فأكلت لاجل خاطره ثلاث لقم بورق فجل فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى استعد لمن يحاذيك على الصراط من أجل الثلاث لقم التى أكلتها الليلة بورق الفجل فأردت أن أتقيأ ما أكلت فلم يتيسر لى ذلك فاذا كان هذا فى مثل ثلاث لقم بفجل فكيف الحال فيمن يشبع فأسأل الله تعالى من فضله أن يحمينى واخوانى من مثل ذلك بقية أعمارنا آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) انصافى لكل من عاملنى ببيع أو شراء أو استئجار رزقة فى ملكى المجازى فلا أطلب منه شيأ زائدا على القيمة بل ان بعته شيأ سامحته بشئ من الثمن وان اشتريت منه شيأ زدته فى الثمن ولو قدر أن المشترى أعطانى شيأ زائدا على السعر الواقع لا أقبله منه ولو قال لى انه بطيبة نفس أقول له أنا أعرف ذلك ولكن خاطرى أنا ما هو بذلك طيب وهذا كان من خلق سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وفيه الهروب من تحمل منن الناس ومن الاكل بالدين فانه ما سامحنا بزيادة عما يعطيه للناس مثلا الا لاعتقاده فينا الخير والصلاح ونقل مثل ذلك عن الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى شارح المنهاج كان اذا أعطاه البائع شيأ زائدا لا يأخذه فلما عرفه السوقة وعرفوا صلاحه كان يرسل غيره فيشترى له ويقول اياك أن تقول هذا لجلال الدين فانى لا آكله وكذلك لا آخذ خراجا قط ممن زرع فى رزقتى وحصل للزرع جائحة من دودة أو فأر أو هباف أو استأجرها التروى فشرقت تلك السنة لانه قد

خمير عمله وبذره ولم يستقدمن ورائى شيأ لاسيما ان أغنانى الله تعالى عن أ كل ماله فكيف أستحل ماله قلت ومما وقع لى ان بعض التجار كان يشكر على فبعث له جبة فاشتراها بزيادة عن ثمنها بعشرة أنصاف فرددت عليه العشرة فردها وقال ان خاطرى بذلك طيب فلم أقبلها فاعتقدنى من ذلك اليوم وهو صاحبى الى الآن فالحمد لله الذى جعلنى أولى باخوانى من أنفسهم ورائة محمدية وكذلك لا آخذ من المعاصرى والنوتى أجرة أيام بطالة الدواليب والمراكب لعدم الحب الذى يعصره أو لعدم من يحمل فى المركب شيأ فى الشتاء ولو قدر الانسان ان المعصرة كانت تحت يده هو أو المركب من غير أحد يستأجرها فماذا كان يصنع وكذلك لا أقبل شيأ من الاجرة المعجلة ولو بطيبة نفس المستأجر وانما أصبر حتى يحصل له الانتفاع بتلك المعصرة المستأجر تمثلا ثم آخذها منه على العادة فى مثل ذلك وذلك لاحتمال أنى أموت أو هو يموت قبل الانتفاع فتشتغل ذمتى وذمة ورثتى ويقع بينهم وبين ورثة المستأجر النزاع وربما هاف الزرع أو أكله الفأر وربما مات ولم يقدر ورثته من بعده أن يزرعوا تلك الرزقة وكذلك لا أضع فى عينى لبن امرأة أجنبية الا ان أخذت قيمته منى من جديد أو رغيف وذلك مكافأة لها على هديتها أو لما فى اللبن من رائحة حق الولد الرضيع لاسيما ان كانت مستأجرة للارضاع أو قليلة اللبن ولا يمكن معرفة طيب نفسه ولا عدم طيبها لعدم نطقه وصغره وهذه الاخلاق لم أجد لها فاعلا من أهل عصرى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع ما أقاسيه من الشدائد والاهوال فى حقى أو حق غيرى انما هو من رحمة الله تبارك وتعالى بى اذ هو كالتأسيس والادمان لتحمل الشدائد والاهوال التى بين أيدينا يوم القيامة والانسان لا يهوله شئ الان ورد عليه جديدا انما لم يكن له به عادة وأما من ذاق شدائد الدنيا وأهوالها فان أهوال يوم القيامة تهون عليه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لفقير أن يكثر من تحمل الشدائد عن اخوانه اذا دخل النصف الثانى من القرن العاشر فانه يسئ فى حقهم الادب ولا يشعر وذلك لان البلاء يكثر فى ذلك الزمان حتى يعم القرى والامصار وكل بلاء وقع فى ذلك الزمان فانما هو كالادمان لتحمل البلاء الذى يأتى بعده فمن الاحسان للمريد باطنا ان يتركه شيخه يتقلب فى بلائه حتى يخرج بنفسه هو منه ولكن يحتاج صاحب هذا المقام الى كشف صحيح وميزان دقيق ليعرف أعمار الناس الذين يتحمل حملتهم أو يتركها فقد يحمل عن انسان يظن ان عمره طويل فيموت فى ليلته وكان الاولى له أن لا يحمل عنه فقد فاته أجر التحمل فلا يحمل الا عن من عرف طول عمره الى حصول بلاء آخر فانه هو الذى يحتاج الى الادمان وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول ينبغى للشيخ اذا رأى عند المريد ضجرا وسخطا على المقدور أن يتحمل عنه بقدر ما يزول به الضجر فان ذلك أولى من وقوعه فى الضجر وسوء الادب مع الله تعالى اه فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من شفعت عنده شفاعة أو من طعام من شفعت فيه شفاعة أو قبول هدية على ذلك لاسيما ان وقع ذلك قبل الشفاعة

أو قبل قبولها ولكن ان حلف انه لا يستردها أطعمتها للفقراء والمساكين أو بعتها وفرقت ثمنها عليهم وكذلك قد حمانى الله تبارك وتعالى من قبول هدية أهداها لى من سألت الله تبارك وتعالى فى قضاء حاجته وقضيت وهذا الخلق وما قبله قد صارا غريبين فى هذا الزمان بل بعضهم يأخذ الهدية قبل أن تقضى الحاجة ويأكلها ويتوسع فيها وقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول من شفع لاخيه شفاعة فأهدى له على ذلك شيأ فقبله فقد أتى بابا من الكبائر اه وقد وقع أنى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى قضاء حاجة لانسان فقضيت فأعطانى مالا جزيلا فلم أقبله منه وقلت له لا يخلو ما سألت الله تبارك وتعالى ان يفعله لك من أحوال اما أن يكون كتبه عليك أولك أو لم يكتبه عليك أصلا فان كان كتبه عليك فى الازل فلا أقدر ان أرد عنك ما قدره الله تعالى عليك وان كان كتبه لك فلم أعمل لك شيأ أستحق به أجرة وان كان لم يكتبه عليك ولا لك فما هنالك شئ فعلته لك أصلا وما بقى الا ان الحق تبارك وتعالى كتبه عليك وجعلنى واسطة فى دفعه عنك بدعائى وتوجهى من باب توقف المسبب على السبب فلا أطلب أجرى الا من الله تبارك وتعالى وما أرضى أن يكون أجرى أمرا يفنى ويضمحل فى هذه الدار فأخذ الرجل ماله وولى وصار يقول شئ لله المدد ما كنت أعرف مقامك ثم ان المرض اشتد بولده فدخل عليه شيخ لا ينبغى تعيينه فقال اخرج لى عن خمسين دينارا وأنا أضمن سلامة ولدك من هذا المرض فأعطاه الخمسين دينارا فأصبح الولد ميتا فطلب منه الخمسين دينارا فلم يعطها له الى وقتنا هذا اه وكذلك وقع لهذا الشيخ انه دخل على صلاح الدين ناظر الخواص لما انكسح فقال له أعطنى مائة دينار واشتر لى رزقة خراجها مائة دينار وأنا أخلصك من الكساح فى هذا الوقت فانى أنا الذى كسحتك لما رددت شفاعتى فى الوقت الفلانى فشاغل الشيخ بالكلام وأرسل قاصده يقول لى ان سيدى يقول لك ان فلانا ادعى انه هو الذى كسحه ويطلب منه مائة دينار ورزقة خراجها كذلك فهل تعلم ان له قدرة على مثل ذلك فأعطيه ما طلب وعليك الدرك فقلت له الامر راجع الى اعتقادك أنت فيه فان كان اعتقادك فيه القدرة على ذلك فاعطه والا فلا تعطه وخفت انى أقول له انه نصاب ويكون سبق فى علم الله انه يعافيه على يده فأكون سببا فى منع شفائه أو أقول ان له قدرة على ذلك فاكذب وربما بلغه انى قلت انه نصاب فيسلط على الزوالق الذين حوله فالله يغفر له ما جناه من هذا النصب وقد توفى الى رحمة الله تعالى فى هذه السنة واستراحت العباد والبلاد منه فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى هدية أعلمنى بها صاحبها قبل أن يحضر بها وذلك لعلمى بان من شأن النفس انها تصير مستشرفة لما وعدت به كأنه حق لازم على الذى وعد فلا تزال تستشرف لتلك الهدية حتى تحضر وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أخذ كل ما استشرفت له النفس وهذا خلق لم أره فى عصرى هذا فاعلم ان صاحب تلك الهدية ان غلبنى وأدخلها بيتى لا آكل منها شيأ وانما أطعمها للفقراء والمساكين والمترددين وقد بلغنا ان شخصا قال لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قد خرجت للفقراء عن سلة عنب فأرسل معى أحدا من الفقراء يحملها فأبى الشيخ وقال نحن لا نأكل شيأ أعلمنا به قبل أن يحضر عندنا فالحمد لله الذى جعل لنا بهذا الشيخ اسوة وكذلك بلغنا عن سيدى أبى الحسن أيضا انه كان

قوله سبق فى علم الله المراد بعلمه تعالى اللوح المحفوظ اه

لا يقبل قط رزقه ولا مرتبا وقال لا أربى أصحابى الا على التوكل والا كل من حيث لا يحتسبون بشرطه فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم البخل بشئ دخل يدى على مستحقه من النقود والطعام والثياب وغير ذلك وهذا الخلق قد أعطاه الله تعالى لى من حين كنت صغيرا قبل ان أعرف ماجاء فى ذم محبة الدنيا وقبل ان أعرف رميها انفا قا ورياء للناس وهو خلق غريب لا يوجد اليوم الا فى افراد من المشايخ ثم لا يكون اهم الا بعد مجاهدة طويلة على يد شيخ صادق بعد ان يحكم مقام الزهد فى الدنيا ويصير ينشرح اذا أدبرت وينقبض خاطره اذا أقبلت (وقد) أوصى لى الشيخ خضر رحمه الله تعالى الذى ربانى يتيما بخمسمائة دينار فلم أقبلها (وكذلك) أوصت لى زوجته بنحو مائة دينار ذهبا ففرقتها على الفقراء والمساكين ولم آخذ لنفسى منها فلسا (وعرض على) بعض الاكابر ثلاثة آلاف دينار على انى أتزوج ابنته فلم أفعل (وأوصى لى) القاضى شمس الدين بن محاسن قاضى اسكندرية بثلث ماله وكان أربعة آلاف دينار فرددتها الكون ذلك من مال قاض لا لعلة أخرى فأوصل الى الفقراء بالزاوية خمسين دينارا لتقروا له بها قرآنا فأمرتهم بردها فردوها وقروا له احتسابا (وسألنى) مرة فقير بالقرافة فى شئ لله فأعطيته ثيابى كلها وكانت جوخة وصوفا ومضربة بعلبكية وعمامة ورجعت الى جامع الغمرى بفوطة فى وسطى فوجدت شخصا هو سيدى يحيى بن صالح من تجار الخانقاه ينتظرنى بقميص ومضربة بعلبكية وعمامة فلبستها وشكرت الله تعالى (وسألنى مرة) شخص فى عنقه جنزير من حديد شيأ فأعطيته جميع ثيابى فظن انى سكران فتبعنى من بعيد حتى وصلت الدار فطلع لى بالثياب فرآنى غير سكران وقال رضيت منك بنصف فضة فقط فلم أجبه الى ذلك وخرج بالثياب فباعها فاشترى منها يحيى بن العامل صوفا بمائة وستين نصفا ولم أزل بحمد الله تبارك وتعالى من حين كنت صغيرا يأتينى الناس بالذهب والفضة فأرميها فى جامع الغمرى فيلتقطها المجاورون وهو خلق بحمد الله الى الآن وربما كنت أحوج منهم الى شئ من ذلك ولكنى أفعل ذلك هوانا بالدنيا فى عيون الحاضرين حتى يقتدوا بى فى ذلك (وكان) بعض الحسدة يقول ما رأيت نصابا مثل عبد الوهاب أبدا انما يرمى الذهب والفضة ليتسامع الناس بذلك فيعتقدوه ويأتوه بما يطلب فقال له بعض الاخوان فارم أنت الآخر مامعك فلم يقدر على ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رجوعى على نفسى باللوم اذا قدمت نفسى على خصمى فى الراحة بل اوثره على نفسى بالراحة وأتكلف أنا المشقة وكثيرا ما تتعارض المصلحتان فتصير مصلحتى تضره فأؤخرها ولو كانت مصلحته تضرنى فلا بد فى المعروف من تقاضى واحد منا وهو خير الرجلين نظير ماورد فى حديث المتشاحنين وخيرهما الذى يبدأ بالسلام (وقد حكى) أن شخصين كان بينهما مركب شركة نصفين فتعاندا فأراد أحدهما أن يوسق نصفه ملحا وأراد الآخر أن يوسق نصفه ماء ومعلوم ان مجاورة الماء للملح تذيبه فما فصل بينهما الا الحكام فاعمل يا أخى على ما ينفع خصمك وأجرك على الله تبارك وتعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اقامة العذر لزوجتى اذا تزوجت عليها أو تسريت ولا أطالبها بالصبر جزما لعلمى بان ذلك لا تطيقه غالب النساء (وقد وقع) لزوجتى أم عبد الرحمن انى

مزحت

مزحت معها يوما وقلت لها أنا أسبق الى الجنة بضرتك تفرش لك بيتك وتعلق لك الاباريق وننتظرك حتى تجيئى الينا فحلفت بالله العظيم انها لو دخلت الجنة ورأت ضرتها هناك رجعت وأقامت خارج الجنة أبد الآبدين حلفا لا تورية فيه انتهى فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) غلبة الحياء من الله تبارك وتعالى أو من عباده حتى ربما جعلت الطيلسان على رأسى وأرخيته على وجهى حتى لا أرى وجه أحد ولا يرانى وان كانت رؤية وجوه المؤمنين شفاء (وقد كان) أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وأبو يزيد البسطامى وانس بن مالك رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم بارديتهم غالبا ثم ان انس بن مالك رضى الله تعالى عنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدمن من لبس البرنس وقال انه يكف البصر عن فضول النظر انتهى ويقع لى فى بعض الاوقات انى أستحى أن أمر فى شوارع مصر راكبا ولا أقدر على المشى فأرخى الطيلسان بحيث لا يعرفنى أحد وأعطى مقود الحمارة لشخص (ونقل) مثل ذلك عن الشيخ محمد المغربى شيخ الجلال السيوطى كان اذا مشى يضع يده على كتف شخص ويصير شاخصا الى السماء لا ينظر الى وجه أحد حتى يرجع الى بيته وللفقراء فى ذلك مشاهد صحيحة فاياك والمبادرة الى الاعتراض على من يفعل مثل ذلك فتقع فى الاثم والجهل أما الاثم فلكونك تظن بهم انهم يفعلون ذلك تمشيخا ومحبة لان يعرفوا وأما الجهل فلكونك جهلت انه من سنة السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم (فعلم) أن صاحب هذا المشهد غائب عن قصد التمشيخ بذلك أو عن قصد دفع حر او بردوا ما قصد التمشيخ بذلك فهو حرام يبعد وقوعه من الفقراء والعلماء وأما دفع الحر والبرد فانه حاصل فى ضمن نية كف البصر عن فضول النظر ونية الحياء من الله عز وجل فلا نحتاج الى نية أخرى (وسمعت) الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى يقول شرط الطيلسان المشروع أن يكون نازلا قبالة وجه الانسان حتى يصير لا ينظر من الارض الا موضع مواقع قدميه فقط انتهى وانما صح جعلنا الطيلسان بقصد الحياء من الله تعالى وان كان الحق تعالى لا يحجبه شئ لان الشرع قد تبع العرف فى مثل ذلك حال الصلاة وغيرها فأوجب على العبد أن يستر عورته ولا يكشفها الا لضرورة شرعية واستحب للعبد أن يستتر فى الغسل ولو كان خاليا أو فى ظلام وقال الحق تعالى أحق ان يستحيى منه فلما رأينا استحباب ذلك حياء من الله تعالى قسنا عليه الطيلسان اذا غلب على صاحبه الحياء من الله تعالى أو من خلقه فان العبد بين يدى الله تعالى على الدوام شعر بذلك أو لم يشعر فمن لم يصل الى مقام شهوده ذلك فليكن معه الايمان بذلك (وقد كان) عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه اذا اراد دخول الخلاء يتقنع بردائه حياء من الملائكة الكرام الكاتبين ولا شك ان الله تبارك وتعالى احق منهم بالاستحياء منه (وكان) اخى الشيخ ابى العباس الحريثى رضى الله تعالى عنه لا يغتسل خاليا الا فى ثوب مهلهل كما يفعل بالميت اذا غسل (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول الفقير كالمرأة المخدرة لا ينبغى له أن يكشف يده او رجله او ساعده بحضرة اخوانه الا لضرورة او حاجة وعلى ذلك اكابر الدولة مع من هو اكبر منهم انتهى (ومن هنا) ادمن المباشرون وغيرهم لبس الخف وضيقوا اكمامهم واتخذوا الاطواق التى تستر اعناقهم ايام دولة

الجراكسة انتهى فافهم يا اخى ذلك واعمل على التخلق بهذه الاخلاق المحمدية والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من ضيافة الوقف الذى تحت نظرى او نظر غيرى وعدم استقرارها فى باطنى اذا اكلت منها فلا آكل منها وان جعلها الواقف لى الا ان علمت طيب نفس الفلاح بذلك من حيث محبته لى لا لعلة اخرى لا تبعة فيها ومتى علمت ان علة محبته بالضيافة لكونى ناظرا على ذلك الوقف وانى متى عزلت منه لا يأتينى بشئ فلا آكل من ضيافته شيأ وما جعل الفلاحون المتقدمون الضيافة لاستاذيهم الا لما كانوا يجدونه منهم من البر والاحسان وكف مظالم الكشاف وشيوخ العرب عنهم وهذا امر قد تودع منه ما بقيت الدنيا (وقد رأيت) وانا صغير الفلاح اذا جاء لاستاذه بضيافة يصير يطبخ له الطعام الطيب والحلو والارز الى ان يطلب السفر فيعطيه الكسوة والهدية اكثر مما جاء هو به فيصير يمدح استاذه بين الفلاحين ثم يأتيه بعد ذلك بضيافة اعظم من تلك الضيافة لما وجد من بره واحسانه فأين هذا ممن يجيئه فلاحه بالضيافة فلا يعلق على حمارته ولا يطبخ له طعاما ويطعمه الطعام البائت وان عزم الفلاح على احد من معارفه واتى به الى بيت استاذه قامت عليه القيامة ثم يصير يسمعه الكلام الجافى حتى يسافر بلا حسنة فى مقابلة تلك الضيافة بل رأيت شخصا من العلماء اتاه فلاحه بضيافة الاوز فوجد فيها واحدة هزيلة فردها عليه فسافر بها الى البلاد ليرسل له واحدة مكانها فاذا كان هذا فعل حامل القرآن فكيف بالظلمة فعلم ان من طلب ان يأكل ضيافة الفلاح ويتحكم فيه فليفعل معه كما كان السلف يفعلون (وقد قال لى) فلاح عتيق كنا نعد الايام التى نأتى لاستاذنا فيها بضيافة كأنها أيام عيد وكان يطعمنا الحلوى والاطعمة الفاخرة التى لا نجدها فى اليوم اه فتنبه يا مدعى الدين لنفسك وخلص نفسك من تبعات الفلاح واحمه من الكشاف ومشايخ العرب وأحسن اليه ثم اقبل ضيافته كأنها جعالة لك على دفع الاذى عنه والا فنزه نفسك عن الاكل من ضيافته فانها من قسم الشبهات بيقين فان الفلاح ربما اتى بها خوفا منك ان تغالطه فى الحساب أو تسلط عليه من يؤذيه بل افتى بعضهم بان اخذ الجعل على كف المظالم حرام لانه يلزم القادر على دفع الظلم ان يدفعه مجانا فان لم يقدر على دفع الظلم عن الفلاح فاوجه اخذ الضيافة منه (وهذا) خلق غريب ما رأيت له فى مصر كلها فاعلا غيرى فالحمد لله الذى من على بالشفقة على الفلاح واقامة العذر له فى هذا الزمان اذا ترك الضيافة واتانى بلا ضيافة فان غالب الفلاحين قد صار لا يحصل له من زرعه بعد وزن المغارم عنه طول سنته الا القوت وبعضهم لا يحصل له القوت فكيف يؤخذ من هذا ضيافة بل مثل هذا لا يلزمه ضيافة الوارد عليه ولا تستحب له (وكان) اخى الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى يرد خراج رزقته الزائد على خراج مثلها ويرد الضيافة ويقول ليس لفقير أن يأخذ خراج رزقته مثل ضريبة طين السلطان وله رد الضيافة ولو كانت حلالا صرفا انتهى فاعلم يا اخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اذا زرعت فى طين وقف تحت نظرى اولم يكن تحت نظرى ان اجعل الحظ والمصلحة للوقف فان جاء الزرع اكثر من الخراج عادة جعلت الزائد بينى

وبين الوقف وان جاء الخراج اكثر لم اندم على اعطائه لهم كاملا وذلك لان حكم ارض الوقف عندى اذا كنت ناظرا او زارعا من غير نظر حكم مال اليتيم تحت يد الوصى مثلا فلا انظر اليه الا بالحظ والمصلحة (فليحذر) الناظر من محاباة نفسه فيزن الخراج لجهة الوقف الذى هو تحت نظره بانقص مما يأخذه هو من الفلاح (وليحذر) من ان يسخر الفلاح فى الحرث والحصاد مثلا بغير طيب نفس كما يفعل الامناء ومشايخ العرب فيساعدون استاذهم خوفا من شرورهم وكذلك فلاح سيدى الشيخ ربما يساعده خوفا من شره وذلك من قسم الظلم الذى هو ظلمات يوم القيامة (ثم) ان هذا خلق غريب قل من يفعله الآن مع الفلاح والمستحقين واصل الاخلال بذلك قلة دين الناظر وعدم شفقته وكثرة محبته للدنيا مع ان ذلك ممحقة للبركة كما جرب ولم ازل بحمد الله تبارك وتعالى ازرع فى طين الوقف والكلفة من مالى ثم اعطيه كله للفقراء وآكل منه كاحدهم لا احاسبهم قط على شئ لى مما رجحته انتهى فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الخامس فى جملة اخرى من الاخلاق)

فاقول وبالله تبارك وتعالى التوفيق

(مما انعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من صدقة او هدية علمت ان فى بلد المتصدق او المهدى او حارته من هو احوج الى ذلك منى من الفقراء والمساكين والارامل ومن ارتكبتهم الديون ثم ان قدر أنى قبلتها صرفتها فيما اراه ارجح فى ميزانه من اكلى منها وذلك انه كما قصد نفعنا بدنياه فينبغى لنا ان ننفعه بزيادة دينه كذلك ولا ننقصه من الاجر فان فى ضمن اكلنا من تلك الصدقة او الهدية زاحمة حق لذلك المحتاج الذى تعداه وجاء الينا من حيث ان الشارع امره ان يبدأ فى صرف صدقته او هديته بالمحتاج او الاقرب دارا او رحما فلا نساعده على مخالفة السنة بتقديمه لنا على من هو اولى منا من قريب او محتاج او جار ثم انا اذا قبلنا من ذلك شيأ بشرطه لا نقبله الا بنية نفعه بما هو اولى بالاجر والثواب ونجعل نفع نفوسنا بالتبعية لا بالقصد الاول كل ذلك لتكون حركاتنا فى نفوسنا أوفى حق اخواننا فى ديوان الحسنات ويكتب لنا اجر القائمين فى مصالح العباد وتحصل محبة الحق تعالى لنا فان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله كما ورد (وقد رددت) بحمد الله تبارك وتعالى كثيرا من الذهب والفضة والطعام على من تعدى جيرانه أو قرابته او المحتاجين من اهل حارته واتى بذلك الى خوفا على دينه ان ينقص لا لعلة اخرى (ويؤيد) ذلك قوله صلى الله عليه وسلم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم اى لان فقراء كل بلد ناظرون الى صرف صدقة اغنيائهم عليهم (ومن هنا) حرم بعض العلماء نقل صدقة أغنيائهم عليهم من بلد الى اخرى الا لعذر شرعى وهذا الخلق ما رأيت له فاعلا الى وقتى هذا غير أخى الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى فاعلم ذلك يا أخى واعمل بالتخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لشئ يقيم فى قلبى من محاب الدنيا الا سهوا او غفلة سواء كان ذلك المحبوب زوجة أو ولدا او مالا او غير ذلك ومن ذاق هذا المقام استراح من مزاحمة الناس على الدنيا واستراح الناس منه لان من كانت الدنيا فى يده دون قلبه فمن شأنه الفرح

والمرور اذا فاتته خوفا من ان تشغله عن ربه جل وعز وقل من تخلق بهذا الخلق من اقراننا ولذلك يقع بينهم وبين غيرهم الشحناء والبغضاء والحسد لان حب الدنيا في قلوبهم ساكن ولو أنهم كانوا محبين لله عز وجل ما مكنوا اعدوه يسكن في قلوبهم فانه تعالى غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده المؤمن محبة سواه الا باذنه واصاحب هذا المقام علامة وهو أنه لا يطلب احد منه شيأ ويمنعه منه الا لعذر شرعي فلا يمنعه قط بخلا لان البخل من ثمرة سكون محبة المال في القلب فافهم (فعلم) ان المذموم من محبة الدنيا انما هو اذا كان بحكم الطبع لا بحكم تحبيب الله تبارك وتعالى له ذلك لغرض صحيح لان ذلك غير مذموم بل هو محبوب شرعا كما سيأتي بسطه في هذا الكتاب فان أكابر الاولياء يحبون المال حبا جما لينفقوه في مرضاة الله عز وجل لا ليبخلوا به على احد من عباده الا لحكمة لانهم محفوظون من آفات المال (ونقل) عن بعضهم انه كان يقول اني احببت المال لا فوز بلذة خطاب الله لي بقوله اقرضوا الله قرضا حسنا فانه لم يخاطب بذلك الا اهل الجدة وكثرة الاموال دون الفقراء الذين لا يملكون عشاء ليلة وعلى ذلك يحمل حال ايوب عليه السلام حين صار يحثو في ثوبه من الذهب حين امطرته السماء فان الله تعالى اوحى اليه الم أكن اغنيتك عن مثل هذا فقال بلى يا رب ولكن ليس لي غنى عن بركتك انتهى وكذلك وقع للعباس رضي الله تعالى عنه وارضاه عم النبي صلى الله عليه وسلم حين امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل في بردته ما شاء من الذهب فجعل فيها ما لم يقدر على حمله فصار كلما اراد ان يحمله لا يقدر على حمله فان مثل العباس رضي الله تعالى عنه انما فعل ذلك محبة في الانفاق لا محبة في الامساك انتهى (وبالجملة) فمن خالط الاكابر بالادب والتعظيم لهم حملهم على احسن المحامل وعرف مقامهم ونزههم عن محبة الدنيا لغير غرض صحيح فان منهم من يأخذ الدنيا اذا ساقها الله تعالى اليه تبركا بفضل الله تبارك وتعالى وبعضهم يأخذها اظهارا للفاقة وكلما أكثر من المزاحمة عليها كلما اظهر فاقته وعجزه وكثرة حاجته الى فضل ربه تعالى فيزداد بكثرة الدنيا فاقة وحاجة حتى يصير سداه ولحمته حاجة وفاقة ويصير عاكفا في حضرة ربه تبارك وتعالى لا يخرج منها قال تبارك وتعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وربما اعطى الله تبارك وتعالى العبد قوت سنة وا كثر ليطرده عن الوقوف بين يديه بفضله وربما قتر على عبد رزقه حتى يصير واقفا بين يديه تعالى ليلا ونهارا (وكان) الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول لابد للفقير في بداية امره من رمي الدنيا والزهد فيها للخلاص من محبة ما سوى ربه بحكم الطبع فاذا تخلص لمحبة ربه وحده وسكنت محبته في قلبه قيل له خذ برنا وفضلنا وحسنتنا لك بشدة وعزم وهزاحمة عليها واستعمل ذلك فيما خلقناه لاجله من القربات الشرعية فكما القاها أولا باذن كذلك اخذها آخرا باذن انتهى (قلت) ولولا ان الحق تبارك وتعالى امر المريد في بداية امره بالزهد في الدنيا لما قدر على السير في الطريق ولا ترقى الى مقام من المقامات لانه فطر على الاستفادة لا على الافادة فانفتح عينه الا على محبتها ثم رأى جمهور الناس على ذلك فازداد محبة لها (فعلم) انه في أصله مجبول على الشح بالدنيا حتى يود ان كل شئ في الوجود يكون له وذلك من أكبر القواطع عن الله تبارك وتعالى فلا يصح له دخول طريق اهل الله تبارك وتعالى الا بعد فطامه عن الدنيا ثم بعد ان يقوى في المقام بحيث لا يصير شئ يشغله عن

الله تبارك وتعالى يرجع الى جمع الدنيا لمصالح نفسه وغيره ويصير صورته صورة من يحب الدنيا والقصد مختلف فلا يكاد يعرف احد انه من الصالحين لاحتجابهم عنه بشهود مزاحمته على الدنيا ومشاحته على الجديد مع انه يعطي الالف دينار وا كثر وكانه اعطى بعرة فيشاح على أقل القليل ويعطي الكثير بشاهدة صحيحة فان اعطى الكثير شهد حقارته وان اخذ اليسير بغير حق شهد كثرته من حيث المطالبة به يوم القيامة حين تتقاسم الناس حسنات بعضهم بعضا وان شاح في القليل فهو لاجل عتق غيره من المنة لو سامحه ومن شرط الكمل ان لا يكون لهم حركة ولا سكون الا وهم فيها تحت الامر الالهي وبذلك نفذت عهودهم ووصاياهم الى مريديهم في سائر اقطار الارض فان احبوا الدنيا فذلك بحق وان كرهوها فذلك بحق وان احبوا اولادهم فذلك بحق وان كرهوهم فذلك بحق وان احبوا الرياسة فذلك بحق وان كرهوها فذلك بحق وان احبوا الخفاء فذلك بحق وان احبوا الظهور فذلك بحق وهكذا الى سائر احوالهم رضي الله تعالى عنهم وارضاهم فاعلم ذلك يا أخي واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة اضافتي للفعل المذموم الذي فعلته انا الى نفسي قبل ابليس ببادئ الرأي وكثرة اضافة ما فعله الاخوان معي الى ابليس قبل اضافته اليهم فاضيفه الى ابليس ببادئ الرأي واذلك قل غضبي عليهم وتحملت منهم اثقال الجبال من الاذى من غير مؤاخذة لهم كما مر ايضاحه اوائل الباب الثالث وذلك لان ابليس هو الذي وسوس لهم وزين لهم ان ما يفعلونه معي من الاذى خير ونصرة للدين مثلا فابليس في ذلك اصل وهم فرع منه وارسال العداوة وسوء الظن على الاصل اولى من ارسالهما على الفرع هذا في الاصل والفرع من الخلق اما في حق الحق تعالى فلا يجوز ارسال ذلك له على الاصل فان فيه اقامة الحجة على الله تبارك وتعالى ولا يخفى ما في ذلك من سوء الادب قال الله تبارك وتعالى ما أصابك من حسنة فمن الله اي ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك اي اسنادا لا ايجادا فافهم وهذا الخلق قل من يتخلق به بل غالب الناس يرسل العداوة وسوء الظن الى اخيه المسلم ببادئ الرأي اذا آذاه اخوه او آذى غيره أو عصى ربه ولا يرسل ذلك الى ابليس الا بعد تفكر وتدبر وبذلك كثر ازدراؤهم بعضهم لبعضهم وذلك حرام بخلاف من ازدرى ابليس أو بغضه فانه لا يقع في حرام وبخلاف من يضيف الامور الناقصة الى ابليس ببادئ الرأي ولا يضيفها الى الخلق الا بعد ذلك فان ازدراءه وبغضه للناس يقل ومن هنا قالوا اذا صحبت فاصحب العارفين فانه ليس لكثير الطاعات عندهم كبير امر حتى يعظمونك لاجله لعدم اعتمادهم عليها دون الله تبارك وتعالى وللقبيح عندهم وجوه من المعاذير (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اضافة المذمومات الى النفس والشيطان اولى من اضافتها الى الحق تبارك وتعالى بحكم الخلق والتقدير فان ذلك تحصيل الحاصل واحكام التكليف انما هي دائرة مع نسب المكلفين لانه الباب الذي يؤاخذون منه (وسمعته) رضي الله تعالى عنه مرة اخرى يقول من اضاف المذمومات الى الله تعالى ووقف مع ذلك دون اضافتها الى الخلق وقع في اعلى طبقات سوء الادب مع الله تعالى وهلك في دينه من حيث لا يشعر وذلك لانه حينئذ لا يكاد يندم على ذنب فعله أبدا ويقول هذا مقدر علي قبل ان أخلق فايش كنت انا انتهى (وفي كلام) الجنيد رضي الله تعالى عنه لا يضر

فى توحيد العبد للحق تعالى فى الافعال شهوده نسبة الافعال اليه هو بل ذلك واجب لان من لم يضف الى نفسه الاعمال يلزمه هدم اركان الشريعة كلها واسقاط المؤاخذات التى يؤاخذ الله تعالى عليها عباده فى الدنيا والآخرة انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى سوء الظن بأحد من المسلمين وكثرة سترى لما تحققته من عوراتهم وذلك لان الظن أكذب الحديث وأما قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وارضاه احترسوا من الناس بسوء الظن فمراده عاملوا الناس كمعاملة من يسىء بهم الظن فى الحذر منهم لا حثهم على سوء الظن فان سوء الظن لم يأت لنا شرع بالحث عليه فافهم ثم ان الظن فى الحذر منهم لا حثهم على سوء الظن...

ورد فهو مؤول ولا يؤاخذ الله تعالى فى الآخرة عبدا أحسن الظن بعباده المؤمنين أبدا انما يؤاخذ من أساء بهم الظن وسيأتى فى هذه المنن ان العبد لا يصح له حسن الظن بالمسلمين الا بعد تنظيفه باطنه من الرذائل حتى لا يكون له سريرة سيئة قط يفتضح بها فى الدنيا والآخرة وما دام له سريرة سيئة فمن لازمه سوء الظن قياسا على نفسه وصفاتها فان أردت يا أخى أن تكون ممن يحسن بالمسلمين فطهر باطنك أولا من الرذائل والا فلا سبيل لك الى الخلاص فانك اذا كان عندك ميل للزنا بأجنبية مثلا وتود انك تزنى بها فلا تتمكن من ذلك ثم انك رأيت شخصا قد اختلى بها او وقف يحدثها فى زقاق لا تحمله الا على صورة نفسك ولو انك كنت بالعكس لحملته على أحسن الاحوال قياسا على نفسك فحكم من طهر الله باطنه من المعاصى حكم من خلقه الله عنينا فهو لا يعرف للجماع طعما ولو اختلى بأجنبية لا يخطر فى باله فاحشة فتأمل فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها (وقد كان) سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت انسانا بالغا يطوف بشئ يبيعه والناس يصلون الجمعة فاحمله على عذر شرعى فاذا رأيت عالما أو صالحا يأخذ من الظلمة مالا فاحمله على أنه يفرقه على أصحاب الضرورات بالطريق الشرعى ولا يأكل منه شيأ واذا رأيت عالما توقف عن الكتابة على سؤال متعلق بأمور السلطنة فاحمله على خوف الفتنة التى تبيح له كتم العلم أصلا كاخراج من وظيفته التى يتقوت منها هو وعياله عنه أو نفيه من بلده ونحو ذلك واذا رأيت شخصا يسار امرأة فى عطفة فاحمله على انها من محارمه أو زوجته أو انها ممن لا يخاف منها الفتنة انتهى فقس يا أخى على ذلك ولكن بعد تنظيف باطنك كما مر فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مطالبتى بالوفاء بعهدى من لم يوف بعهود الله تبارك وتعالى وعهود رسوله صلى الله عليه وسلم لعلمى بان من لم يصح له الوفاء بعهد الله أو عهد رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح له الوفاء بعهد مثلى مع شهوده نقصى ومماثلتى له وذلك كان أطلب من أحد من اخوانى أنه يراعينى فى الرخاء كما يراعينى فى الشدة أو لا يخالف ما عاهدته عليه من فعل الاوامر واجتناب المناهى ولو أنى طلبت ذلك منهم أو من نفسى لما صح لهم ولا لى فان ذلك راجع الى حكم القبضتين وما دام الحق تبارك وتعالى يخلق المعاصى للعبد فلا يقدر على الوفاء بالتوبة النصوح التى لا ذنب بعدها أبدا بل انما يتوب بعد كل معصية ومن هنا قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وغيره ليس من الادب أخذ العهد على العوام بأنهم لا يقعون قط فى معصية وانما الادب أن يأخذ عليهم العهد انهم كلما أذنبوا يتوبوا على الفور ولا يصروا

قط

قط على معصية لانه اذا كان فى علم الله تبارك وتعالى أنهم يعصون يصير عليهم معصيتان معصية من حيث الشرع ومعصية أخرى من حيث نقض العهد ولو أنه لم يعاهدهم لما كان عليهم سوى اثم معصية واحدة انتهى وهو كلام فى غاية التحقيق (واما مبايعته) صلى الله عليه وسلم للنساء والرجال بترك المعاصى فكان ذلك بوحى الهى أوائل اسلامهم او اسلامهن ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم بايع هذه المبايعة لمن رسخ فى الاسلام أبدا وقد يكون اراد صلى الله عليه وسلم بتلك المبايعة تقبيح الذنوب فى أعينهم لينقادوا لاحكام الاسلام بعدما كانوا فيه من الشرك ويؤيد ذلك ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يبايع وفود العرب ويقول بخفض صوت فيما استطعتم وبايع شخصا على انه يصلى صلاة الصبح والعصر فقط وقال بعد ما ولى سيصلى يعنى بقية الصلوات فعلم من هذا التقرير ان للفقير أن يأخذ العهد بالتضييق والتحجير على من رسخ فى صحبته لعلمه بالقرائن أن الله تعالى يحفظه مثله عن الفواحش وكتب الشريعة طافحة بذلك ومن فهم ما أومأنا اليه حمل نحو قوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وقوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه على حال رعاع الناس دون الاكابر من الانبياء والاولياء وكمل المؤمنين فانا نراهم فى الشدائد والرخاء لا يرجعون فى أمورهم الا الى الله وحده بخلاف رعاع الناس فليس لفقير أن يطلب منهم ان يكونوا معه فى الشدة والرخاء على حالة واحدة فان ذلك لم يفعلوه مع ربهم وخالقهم ورازقهم فكيف يفعلونه مع من هو مثلهم فى الفاقة والعجز (وقد وقع) انه صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على جماعة وكتبوا الوحى زمانا ثم انهم ارتدوا بعد ذلك كعبد الله بن خطل واضرابه وفى القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ فعلى الداعى أن يدعو الى حضرة الله تبارك وتعالى ليميز أهل القبضتين فقط بدعائه وأما الامتثال وعدمه فذلك الى الله تبارك وتعالى لا الى العبد ومن طلب ممن دعاهم أن لا يخالفوا ما عاهدهم عليه مطلقا فقد رام المحال ولا يناله الا العناء والتعب ولما غلبت الرحمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يكره الناس على الايمان فانزل الله تعالى عليه ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية وقال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية والداعون من بعده من أمته على سنته صلى الله عليه وسلم (فمنهم) من غلبت عليه الرحمة ورأى سعة الاطلاق فدعا الى الحق تعالى وأخذ العهد على كل من طلب منه ذلك (ومنهم) من توقف عن أخذ العهد على من لم يعلم قدرته على الوفاء بذلك العهد وهى طريقة الجنيد وأتباعه الى عصرنا هذا (وقد كان) الشيخ ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه لا يأخذ العهد على مريد قط ويقول ماهى طريقتنا وكان يقول لو أردت ذلك لاخذت العهد على جميع من فى الاسكندرية وكثيرا ما كان يقول العهد صار الآن يؤخذ برغيف انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى لا يأخذ العهد على فقير الا ان كشف له عن حاله وانه يوفى بالعهد والا لم يأخذ عليه عهدا وهى طريقتنا الآن فكثيرا ما يسألنى أحد فى تلقينه الذكر وأخذ العهد عليه فأتفرس فيه الخيانة فلا أجيبه الى ما طلب شفقة عليه وكثيرا ما أجيب الى ذلك من سأل لغلبة ظنى أنه يوفى بالعهد وعلى ذلك يحمل قول من قال لا ينبغى للشيخ اذا جاءه مريد يطلب أخذ العهد عليه أن يقول له اصبر الى غد

شلالانه يفتر همته ويخمد نار عزومه اللهم الا أن يكون ما قال له اصبر الا بعد ان تفرس منه انه لا يوفى بالعهد وانه يلعب بالطريق والا فكيف يقدر الصياد على صيد ما هو محتاج اليه ويتركه انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجهى الى الله تبارك وتعالى فى تسهيل رزق عيالى الذى قسمه لى من غير حصول منة فى طريقه للخلق فيسخرهم الله تبارك وتعالى لى فضلا منه ونعمة وما فعلت ذلك الا بعد ان غلب على ظنى انه تبارك وتعالى لم يقسم لى عمل حرفة من خياطة أو تجارة او ضفر خوص ونحو ذلك وكثيرا ما أستأجر أرضا واستأجر من يزرعها لى فيأتينى منها بقوتى وقوت عيالى (وقد) حث السلف كلهم رضى الله تعالى عنهم على عمل الحرفة وأشدهم فى ذلك السادة الشاذلية رضى الله تعالى عنهم فكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يحث أصحابه على السبب والسعى على العائلة وعلى أنفسهم ويقول من فعل ذلك وأقام بفرائض ربه عز وجل عليه فقد كملت مجاهدته (وكان) سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه عليكم بالسبب وليجعل أحدكم مكوكه سبحته أو قادومه سبحته أو تحريك أصابعه فى الخياطة أو الضفر سبحته وهذه الطريق وان كانت عظيمة ففيها التحجير على الخلق بشئ لم يحجره الله عز وجل فان الله تبارك وتعالى لم يحجر على العبد الا أن يأكل من الحلال بأى طريق وصل اليه ولم يزل الناس سلفا وخلفا على ذلك فمنهم من قسم الله له حرفة دنيوية ومنهم لم يقسم له ذلك (ولما صحب) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه أراد أن يضفر الخوص فقال له الشيخ ما هى الا قامتك فخالف وضفر فلم يصح له أكل رغيف من ثمنها فاستغفر ورجع (وكان) الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه أواخر عمره يقول طريقنا المداومة على الذكر وترك الغيبة وسوء الظن بعباد الله فمن واظب على ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول كثيرا نحن لا نقول لمن يأتينا اترك سببك وتعال الينا وانما نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقرير كل انسان على ما هو عليه من الحرفة وغيرها لكن نأمرهم بعدم الغش فيها كما فعل صلى الله عليه وسلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليس عمل الحرفة لكل فقير وانما هو للرجال الكمل الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله مع اقامتهم فى التجارة والبيع والشراء والمعاوضات والمحاسبات اما من كان يلهيه ذلك عن الله تعالى فترك التجارة فى حقه أولى قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون وسيأتى فى هذه المنن ان غاية أمر العبد انه يأكل ويلبس من مال سيده ويسكن فى داره وسداه ولحمته من فضله دنيا وأخرى فافهم ذلك يا أخى واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لكل شئ ينكس رأسى بين يدى الله تبارك وتعالى ويورثنى الحياء منه ورؤية الفضل له على وبذلك وهروبى من كل شئ يرفع رأسى ويورثنى الكبر والعجب (وقد سمع) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى شخصا يقول فى دعائه اللهم طهرنى من كل دنس ورجس حتى ألقاك طاهرا مطهرا من كل رذيلة فقال له سيدى على قل اللهم الطف بى

ودبرنى واغفر لى ما جنيته من المعاصى والسيئات واحفظنى بعد ذلك من العجب بأحوالى فان مثلك يا أخى اذا رأى نفسه طاهرا مطهرا من كل رذيلة يطرقه العجب والكبر على اخوانه فيقع فيما هو أشد مما سأل الله تعالى رفعه انتهى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول لا تكمل رؤية العبد المنة لله تعالى عليه الا ان رأى سداه ولحمته ذنوبا فيجب ان يتميز بالنقص المطلق ليكون للحق تعالى الفضل والكمال المطلق انتهى وهذا أمر لا يصح الا بعد أن يأخذ العبد حظه من كثرة الطاعات والاخلاص ويتنصل من شهود الرذائل المحسوسة حتى لا يجد كاتب الشمال شيأ يكتبه عليه والا فلا يقدر على التخلق به فاياك والغلط فقد علمت انه لا ينبغى للعبد أن يقول اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد الا مع سؤاله الحفظ من رؤية النفس بذلك على أحد من المسلمين ولا تقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بذلك فأنا أدعو به اقتداء به صلى الله عليه وسلم لانا نقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من رؤية النفس بخلافك أنت فاسأل الله الحفظ ثم ادع بذلك (وقد سمعت الشيخ عبد الرحمن النقلى بباب زويلة) وكان من أولياء الله عز وجل يقول يا لطيف يا لطيف فقلت له ما لك يا عم فقال سمعت الواعظ يقول حديثا فقلت له وما هو فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه فخفت ان يقع لى ذلك فأرى به نفسى على من حدث نفسه وأرى أنه تعالى غفر لى ما تقدم من ذنبى فيقل خوفى من الله تعالى ويطرقنى العجب فقلت له ان الناس يسألون الله تبارك وتعالى أن يرزقهم صلاة بغير حديث نفس فلا يحصل ذلك لهم فقال صحيح ليس من علم لكن من جهل ثم قال لا ينبغى لعبد أن يسأل الله تبارك وتعالى قط شيأ من الكمالات الا مع سؤاله الحفظ من آفاتها انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) قيامى فى الاسحار مع رؤية المنة لله تبارك وتعالى الذى أقامنى ولم ينمنى كما أنام غيرى ورؤية المنة لله تعالى أيضا اذا لم استلذ بصلاتى أو بمناجاتى لما ورد ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام نعم العبد برخيا فى قيامه بين يدى فى الليل لو لم يكن يسكن الى نسيم السحر فان من يسكن الى غيرنا لا يصلح لنا اه (وشكا) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى الى سيدى على الخواص ما يجده من قساوة قلبه فقال له اشكر الله الذى أطلعك على مساويك وحجبك عن كمالاتك خوف العجب وان كان الكامل يشكر الله تعالى على كل حال فان كشف له عن كمالاته شكر وان سترها عنه شكر انتهى وهذا خلق غريب قل من يتخلق به من اخواننا بل يضيق صدر أحدهم اذا لم يحصل له لذة بقراءته أو صلاته وربما كان الباعث لمثل هذا على قيامه ما يجده من اللذة ولولاها لما قام (وكان) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه يقول خطاب العبد لربه لا لذة فيه لان الهيبة تمنعه من اللذة وأيضا فان الانسان لا يأنس الا بجنسه والحق تبارك وتعالى ليس بينه وبين عباده مجانسة بوجه من الوجوه فان رأيت يا أخى فى كلام أحد ان العبد يأنس بسيده فاعلم انه غير محقق ولو انه حقق النظر لوجد أنسه بما من الله تبارك وتعالى من لذة التقريب ونحوه لا بالله عز وجل قال وهذا الحكم لنا فى الدنيا والآخرة

فانه صلى الله عليه وسلم لم يفصح لنا عن سبب اللذة اذا وقعت لنا الرؤية بل قال فما اعطوا لذة مثل لذة نظرهم الى ربهم ولذة النظر أمر آخر غير الانس فافهم انتهى هكذا قال (وقال أيضا) لا يصح الانس بالله عند المحققين وانما يأنس العبد ويلتذ بلاطفات الحق تبارك وتعالى اقلبه لانتفاء المجانسة بينه وبين ربه تبارك وتعالى ولذلك كان الجن لا يأنس أحدنا بهم بل تقوم كل شعرة من الانسي اذا رآهم انتهى وبالجملة فكل يتكلم عن ذوقه فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم الجهر بالقران في قيام الليل فان حضرة الحق تبارك وتعالى حضرة هيبة وصمت فمن جهر لغير غرض شرعي فقد أساء الادب عند القوم وقد جربت انا ذلك فاذا أسررت حصل عندي الخشوع واذا جهرت ذهب الخشوع ومعلوم ان الخشوع لا يذهب الا من فعل ما فيه سوء أدب فافهم يا أخي ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) نوم عيني دون قلبي بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ذلك لا يقع لي الا ليلة الاحد فقط وسبقني الى ذلك الشيخ أبو الربيع المالقي رحمه الله تعالى فكان له هذا المقام ليلة الاثنين وليلة الخميس فقط وأما الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فأخبر ان هذا المقام له في كل الاسبوع انتهى وكثيرا ما أقرأ القرآن وأنا نائم فأعتد به ثم ابني عليه لكن في غير قراءتي في الصلاة انتهى فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) شهودي عدم كمال الاخلاص في كل عبادة فعلتها ولو بلغت الغاية في خشوع امثالي وفي كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي اذا كان لا يسلم من النفاق من يعمل على الوفاق فكيف يسلم من النفاق من يعمل على الخلاف (وفي الحديث) كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد وربما كانت المؤاخذة للاكابر في صلاتهم أكثر من مؤاخذة الاصاغر لان الاصاغر لا يرون لهم عبادة كاملة قط بخلاف الاكابر فقد يرون كمالها لكثرة ما فيها من الخشوع مثلا فعلى هذا ان كل الاكابر من جهة نقصوا من جهة وان كل الاصاغر من جهة نقصوا من جهة والكامل من نظر الى أعماله بالعينين فشكر الله تعالى من حيث رائحة الاخلاص في اعماله واستغفر الله تعالى من حيث وجود النقص فيها الذي ما سلم منه سوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم الذين يؤدون العبادات على وفق ما أمروا ولذلك كانوا لا يحزنهم الفزع الاكبر لعدم خوفهم على أنفسهم ومن خاف منهم انما يخاف على أمته وأما غيرهم فمن لازمه وجود النقص في اعماله وعباداته كلها شعر بذلك أم لم يشعر (وقد كان) سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تنفر الا عن كمال فرض وكان سيدي أحمد الزاهدي يقول ليس لامثالنا نوافل لنقص فرائضنا عن الكمال وانما هي جوابر وانما النوافل لمن كملت فرائضه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اذا رأيت شخصا عريانا أو جيعانا او مبتلى ان لا ابادر الى الرقة اليه والتوجع له وانما ارق له بعد شهودي وجه حكمة الله تبارك وتعالى في ذلك فانه ارحم بعباده من والدتهم (وقد بلغنا) ان سيدي ياقوتا العرشي رحمه الله تعالى مر على مساكين يسألون الناس فأخذته الرقة فاذا بالهاتف يقول له الله تعالى ارحم بهم منك ولو شاء لاشبعهم

فتب من ذلك قال فقلت له من أنت يرحمك الله فقال انا اخوك الخضر كنت بالصين فقيل لي أدرك فلانا فانه يتكرم على الله تبارك وتعالى ويرى نفسه اشفق على عباده منه انتهى (واعلم) يا أخي انه لا بد لاهل الله تبارك وتعالى في طريقهم من المحن والشدائد لينظر تعالى صبرهم وهو العالم بهم وبسرائرهم فربما يكون ذلك المسكين الذي رأيته في بؤس وشدة في مقام الامتحان فتكسوه او تطعمه فتعارض الحكمة الالهية وتسيء الادب مع الله تبارك وتعالى وان كان يا أخي ولا بد لك من الاحسان الى ذلك المسكين فقل اللهم ان كان احساني لهذا المسكين يضره في طريق سلوكه فاصرفه عنه وان كان ينفعه فأوصل ذلك اليه واحفظني في عاقبته وقد كان بعض العارفين يسأل الناس خلقة او كسرة فلا يعطونه شيأ ثم بعد سنين صار الناس يعطونه بغير سؤال فقال له أصحابه ما هذا الحال فقال ذهبت أيام المحن وأتت أيام المنن فلو أعطانا تعالى الدنيا والآخرة لم يحجبنا ذلك عنه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) شدة قربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطي المسافة بيني وبين قبره الشريف في اكثر الاوقات حتى ربما اضع يدي على مقصورته وأنا جالس بمصر واكلمه كما يكلم الانسان جليسه وهذا الامر لا يدرك الا ذوقا ومن لم يشهد ذلك فربما أنكره والانسان تابع لقلبه لأن القلب تابع للجسم * وفي كلام السيد عيسى عليه الصلاة والسلام قلب الانسان حيث يكون ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء أي تصدقوا بها تصعد الى السماء وتروا ثوابها هنالك * وكان سيدي الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه يقول لو حجبت عني جنة الفردوس طرفة عين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين او فاتني الوقوف بعرفة سنة واحدة ما عددت نفسي من جملة الرجال انتهى فسلم يا أخي للفقراء ما يدعونه من مثل ذلك ولا تنكر عليهم الا ما صرحت الشريعة بمنعه فقد اجمعوا على ان كل من أنكر شيأ من مقاماتهم حرم الوصول اليه انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تعويلي في الشدائد كلها على الله تبارك وتعالى ثم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان بيده تبارك وتعالى ملكوت كل شيء وليس لنا واسطة أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والانسان مع قلبه فتارة يرى نفسه قريبا من حضرة الله تبارك وتعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحتاج الى أحد من الخلق وتارة يحس بنفسه أنه بعيد فيحتاج في قضاء حاجته الى بعض الاولياء الاحياء او الاموات ويطرق توابيت المشايخ * وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول قال لي سيدي الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه أفرد الله يفردك ووحد الله يوحدك والزم فرد باب تفتح لك الابواب واخضع لربك وحده تخضع لك الرقاب وعليك بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تكف أمر الدنيا والآخرة انتهى * وقد جعلت في وردي أني أقول اللهم حبب نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم في ألف مرة كل ليلة وذلك لعلمي بأنه اذا أحبني كفاني بعون الله تعالى هم الدنيا والآخرة انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) جعلي عباداتي كلها مقاصد لا وسائل وذلك من اكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فان كل من جعل عباداته وسائل فاته الجلوس بين يدي الله تبارك وتعالى

حال العمل ثم انه ان لم يحصل له ما قصده حصل عنده أسف وصار ممن يعبد الله على حرف كما مرّ تقريره فى هذه المنن * وقد قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه كنت فى بدايتى اعبد الله تعالى انا وصاحب لى وأقول غدا يفتح علينا بعد غد يفتح علينا فمكثنا على ذلك الحال زمانا ونحن فى تعب عظيم فدخل علينا رجل مهيب المنظر فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله تعالى فقلنا له ما حاجتك فقال جئت انصحكما الله تعالى أن تعبدا الله تعالى لله تعالى ولا تقولا غدا يفتح علينا بعد غد يفتح علينا قال فكشف انا عن أمر كنا عنه غافلين فعبدنا الله لله ففتح علينا فى ثانى يوم فعلم ان من اتخذ عباداته وسائل لتحصيل غرض من الاغراض طالت عليه الطريق وربما رجع من أثنائها كما هو حال غالب المريدين فى هذا الزمان فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اذا كنت أقرر علما ودخل على فقيه أقول له قرروا أنتم فان أبى عزمت عليه الآن كنت اعلم ان عندى من النقول فى تلك المسائل اكثر مما عنده ذلك الفقيه فانى أقرر دونه خوفا عليه من ان يرى نفسه على فيمقت وان لم اعلم أنا بذلك وقليل من الفقهاء من يبدى فى تقريره النقول التى ليست عند اقرانه ويسلم من رؤية النفس والدعوى والرعونة فما عزمت عليه أنه يقرر الا لحسن ظنى به ثم انى اسأل الله تبارك وتعالى بتوجه تام أن يحميه من رؤية النفس * وقد دخل على مرة فقيه وانا أقرر فى بعض المسائل فصار يبادرنى الى التقرير فقلت له قرر أنت فمهل فما قام من المجلس الا ممقوتا وكان تاجرا عليه نحو خمسمائة دينار دينا فطالبه أرباب الديون وحبسوه وباعوا كل شئ فى دكانه وأخلوه وأخذوا خلوه فى الدين وصار أولاده يسألون الناس وقسى الله تبارك وتعالى عليه القلوب فسافر الى الارياف فادعى العلم فضربوه وعرّوه مما كان عليه من الخلقات ثم ابتلى بترك الصلاة واخراجها عن اوقاتها وصار ممقوتا فى العلماء لا يحبه أحد من علماء جامع الازهر فضلا عن غيرهم نسأل الله العافية فشفع فيه بعض الفقراء فرد الله تعالى عليه بعض حاله وكان ذلك تأديبا له من الله تبارك وتعالى ليس لى فى ذلك فعل * وقد حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه ان شخصا من الفقهاء دخل على سيدى الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وهو يدرس العلم فى اسكندرية فصار يزاحم فى التقرير فعزم عليه الشيخ فقرر فرأى نفسه على الشيخ فقال له الشيخ اخرج يا ممقوت فأخرجوه فسلب جميع ما كان معه من القرآن والعلم وصار دائرا فى ازقة المدينة كل من رآه يمقته فدلوه على سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه فشفع فيه عند سيدى الشيخ ابى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه فقال قد رددنا عليه الفاتحة والمعوذتين ليصلى بهما وكان قد حفظ القرآن وثمانية عشر كتابا فى العلم ولم يزل مسلوبا الى أن مات انتهى فاياك يا اخى ثم اياك من مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تزوجى لابنة شيخى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه اجلالا له لا لعلة اخرى فان السلامة مقدمة على الغنيمة وقد تزوج جماعة بنات مشايخهم فجرهم ذلك الى العطب * ولما تزوج سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه ابنة سيدى الشيخ ابى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه مكثت عنده ثلاث عشرة سنة حتى مات

عنها وهى بكر برضاها وكان اذا دخل عليه أحد من أكابر الاولياء وهو يكلمها الا يقطع حديثها لاجله ثم يعتذر اليه ويقول له انى كنت اكلم ابنة شيخى فلا تؤاخذنى يا اخى انتهى ومن قواعد السلف رضى الله تعالى عنهم السلامة مقدمة على الغنيمة فالعاقل لا يتزوج ابنة شيخه الا ان كان يقوم بواجب حقها انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انه ما جلس عندى أحد قط وهو متضمخ بمعصية وأوهمته أنى اطلعت على شئ من أحواله أبدا بل أقول له حلت البركة علينا وأضاء مجلسنا بنورك وأوانسه والاطفه حتى ينصرف من عندى فمن الناس من يعود ومنهم من لا يعود وقد كان سيدى الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يكاشف الناس بما فى سرائرهم حتى ربما قال للرجل يقوم أحدهم الى مجالس الاولياء ويجالس فيها عقب فعله للمعصية من غير توبة اما يخشى ان يمقته الله تعالى وينهر ذلك العاصى حتى يكاد يهلكه ولم يزل ذلك دأبه مدة مجاهدته لنفسه فلما أتاه التعريف من الله تبارك وتعالى واتسع حاله صار يقول نحن لا نحجب الامن يأتينا وهو مختضب بدم المعصية فقيل له فى ذلك فقال طريقنا أيها الشاذلية أن من كانت بدايته التعريف كانت نهايته التكليف ومن كانت نهايته التكليف كانت بدايته التعريف ولنا كانت بدايتى التكليف انتهى * وكذلك حكى عن سيدى على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه تلميذ سيدى الشيخ ابى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه انه قال اصبحت يوما من الايام وأنا اعمى البصر فضاق صدرى ولم أعرف السبب وتمادى بى الحال سبعة أيام ثم قيل لى يا على انما فعل الله تعالى بك ذلك اكراما لك قال فقلت كيف ذلك فقال انك اذا رأيت عباده على معصية تنهرهم لاجله فأعمى بصرك رحمة بك وبهم كى لا تمقتهم قال فاستغفرت الله تعالى وتبت اليه فرد على بصرى انتهى * قال الشيخ تاج الدين رضى الله تعالى عنه فكان بعد ذلك اذا دخل عليه أحد ورأى قلبه اسود يقول له حصلت لنا البركة ويلاطفه ويسأل الله تعالى له التوبة فتخلق يا أخى بأخلاق الله تبارك وتعالى فانه يرى العيب ويستره فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع ما أنا فيه ببركة ملاحظة مشايخى لى بارادة الله تبارك وتعالى فجميع ما أنا فيه من محبة الناس لى ما اعتقده الا من فضل الله تبارك وتعالى على بواسطتهم * وقد كان سيدى الشيخ ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه يقول النظر فى وجه الولى على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة وان كانت مخالطة الصغير للكبير مخاطرة بالروح ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى * وكان رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يقول انا واياى وكوارعى لا تساوى أربعة دراهم نقرة وانما خالطت الاكابر وجالستهم فجملونى بين الناس ثم يقول قالوا الدود القمح لم تنطحن مع الدقيق فقال لما خالطت الاصاغر انطحنت معهم وقالوا السوس الفول لم لا تنطحن مع الفول فقال لما خالطت الاكابر حاموا عنى الآفات انتهى فخالط يا أخى مشايخك بالادب والا كانت صحبتك لهم سما قاتلا لك وانما قلنا ان من شرط المريد أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه لان كل مريد

محبوس فى دائرة شيخه لا يمكنه ان يتجاوزها فلا عبد بعد الا وشيخه واسطة له فيه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى لاطعام الطعام وسقى الماء واغاثة الملهوف وذلك لان بعض المشايخ اجتمع بالخضر عليه السلام وقال عرفنى طريق الوصول الى الله تعالى زيادة على الصلاة والصيام فقال له عليك بهذه الثلاث خصال المذكورة أى أولا وما دخل على بحمد الله تبارك وتعالى أحد الا وعرضت عليه الاكل والشرب وما استغاث بى أحد الا واغثته بطريقه الشرعى وكان ذلك من خلق سيدى محمد بن عنان وسيدى يوسف الحريثى وسيدى عبد الحليم بن مصلح رضى الله تعالى عنهم وما رأيت له بعدهم فاعلا الا القليل بل بعضهم قيل له ان فلانا يطعم العيش كثيرا فى زاويته فقال هذه بطالة يجعل زاويته مناخا لكل بطال فقال له القائل ورأيته أيضا يغيث الملهوف فقال هذا اعتراض على الله تعالى فقال له القائل فقل لى على نفعك أنت فى الوجود فما درى ما يقول وافتضح فاعلم يا اخى أفضل من اغاثة الملهوف فى الدنيا والآخرة اذا كان ذلك خالصا لوجه الله عزوجل فان ابليس بالمرصاد لمثل ذلك فقد يطعم الشخص الناس ليقال أو يسعى لهم فى جر نفع ليقال * وقد حضرت شيخا من مشايخ الشأم كان بمكة مجاورا سنين فجاء مع الحجاج الى مصر فقلت له ما اقدمك الى مصر فقال جئت لاعلم مولانا الباشا ليكتب لى عرضا الى السلطان ليعمر بيمارستان بمكة لاجل الغرباء والمنقطعين وطلب منى ان أجمعه على محمد دفتردار الاموال فجمعته عليه فقال لى سرا هذا ما هو من أهل هذا الامر وانما مراده ان يشتهر بين الولاة بأنه شيخ يسعى فى مصالح المسلمين فقلت للدفتردار ما عهدت عليه الا خيرا فقال أنا أكشف لك حاله ثم أخرج له مائة دينار ذهبا فقال اجبروا بخاطرنا واقبلوها منى لله تعالى وتوسعوا فيها فأخذها الشيخ ثم قال لى الدفتردار سوف تنظر انه ما عاد يذكر لنا البيمارستان أبدا فكان الامر كما قال فصار الدفتردار يقول له حين عزم على السفر اصبروا حتى يكتب لكم العرض فلم يصبر ورجع الى مكة بالمائة دينار فاياك يا أخى ان تفعل مثل ذلك والله تعالى يتولى هداك ويعينك على اطعام الطعام واغاثة الملهوف والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) سياحتى فى الجبال والبرارى حتى قطعت برارى ما أظن أن أحدا يعرفها الآن من أقرانى ثم حبب الله تبارك وتعالى الى الجبل المقطم ثم المساجد المهجورة فى القرافة ثم الخرايب فى مصر وأقمت على سور باب الفتوح فى القصر المطل على خرابة الاحمدى نحو سنة وما من فقير حقق له القدم فى الطريق الا بعد سياحة وذلك لان الانس بالخلق حجاب عظيم فلا بد من قطع هذا الحجاب اما بالمجاهدة واما بجذبة الهية وكتب الصوفيه طافحة بذلك فى حق ذى النون المصرى وابرهيم بن أدهم والخواص والسادة الشاذلية وغيرهم رضى الله تعالى عنهم * وحكى عن الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه انه قال ما جلست للناس حتى سحت خمسا وعشرين سنة فى البرارى وكنت آكل من نبات الارض وأشرب من الانهار وكنت أصبر عن الماء السنة واكثر قال وأعطيت حرف كن وانا سائح فى البرية فكنت أجد الموائد منصوبة فآكل منها ما اشتهى واقطع من الجبل الحلوى وآكل وكنت أشرب من الرمل السكر فاضع الرمل واصب عليه من البحر الملح واشربه حلوا ثم تركت ذلك أدبا مع الله تعالى انتهى

وقال

(وقال) الشيخ على البدوى الشاذلى تلميذ سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنهما مررت فى سياحتى بقبة كبيرة ليس لها باب فاذا هى بيضة رخ قال رضى الله تعالى عنه ودخلت مرة اخرى برية فرأيت فيها نحو ألف فيل وفيهم فيل أبيض يقومون اقيامه ويقعدون اقعوده واذا بطائر أبيض عظيم الخلقة خرج على الفيلة فهربوا كلهم منه وقال ايضا رضى الله تعالى عنه قطعت مع أولياء الله تعالى فى السياحة جبل ق كله ثم قطعنا بحر الرمل بعده وهو بحر عظيم من رمل تتلاطم أمواجه يغلى كغليان القدر قال وكنا أربعين رجلا فمات منا سبعة وثلاثون رجلا فدفناهم هناك ورجعنا ثلاثة أنفس فكان ذلك آخر سياحتنا انتهى قال الشيخ على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وكثيرا ما كان الشيخ ياقوت يوجهنى فى الحاجة من اسكندرية الى بلاد الاندلس فأذهب اليها وارجع فى يوم واحد لسرعة خطاى من غير أن تطوى لى الارض انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول سياحة المريدين بأجسامهم وسياحة العارفين بأرواحهم انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اقامة العذر للفقيه اذا بادر بالانكار على بعض اهل الطريق لانه ما تعدى دائرة علمه وكثير من الفقراء من لا يقيم لهم عذرا بل كان سيدى الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وسيدى ابرهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وغيرهما يقولون ما بيننا وبين هؤلاء المنكرين الذين ينكرون علينا مودة ولا محبة لانه ليس معهم شئ نستفيده ولا يقبلون منا ما معنا من المعارف والاسرار انتهى وقد حكى أن الشيخ على البدوى الشاذلى تلميذ سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنهما كان له صهر ينكر عليه كثيرا فخرج الشيخ الى خارج الاسكندرية فرأى غيطا فيه فواكه فقال للفقراء ادخلوا وكلوا من التين الذى فيه دون الشجر الذى بجانب الخرنوب فلا تأكلوا منه شيأ فدخلوا وأكلوا الا صهره فقال انى صائم فقال الشيخ كلوا بسرعة واخرجوا والا يجئ صاحب الغيط يضربكم فازداد صهره انكارا وقال فى نفسه كيف صلاح هذا وهو يأكل هو وأصحابه حراما بغير اذن اصحابه ثم خرج الشيخ والجماعة من الغيط مهرولين فلما بعدوا عن الغيط واذا برجلين سلما على الشيخ وجماعته ثم قالا ارجعوا معنا الى غيطنا فانا خرجنا لك ولاصحابك عن التين الذى فى الغيط الا ما كان بجانب الخرنوب فانه ليس لنا فالتفت الشيخ الى صهره وقال له فاتك الاكل من التين يا صائم فاستغفر صهره وتاب عن المبادرة الى الانكار على الفقراء انتهى فاياك يا أخى والمبادرة الى الانكار على أهل الطريق والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة أدبى مع المجاذيب وأرباب الاحوال من حين كنت صغيرا فما أتذكر أنى اسأت مع أحد منهم الادب يوما واحدا وذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على (وقد حكى) ان شخصا مر على سيدى الشيخ على البدوى الشاذلى رضى الله تعالى عنه فخطر فى باله أن هذا زوكارى ما هو شيخ صادق فكلمه الشيخ شفاها وقال مالك لا تتأدب مع الفقراء اما تخاف الهلاك ثم حرك الشيخ يده واذا بيد فى بطن ذلك المنكر تجذب مصارينه حتى كادت تنقطع فصاح بأعلى صوته تبت الى الله تعالى فخرجت اليد من بطنه انتهى * وقد كان

الشيخ ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول سلموا على أرباب الاحوال بالقلب دون اللفظ فانهم فى حضرة لا يقدرون على خطاب أحدا هم باللفظ وربما سأ لهم أحد فى الدعاء له فيدعون عليه ويستجيب الله تعالى لهم من باب توقف المسبب على السبب وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) البركة فى رزقى فربما أقدم للضيوف شيأ قليلا فيأ كلون منه ويشبعون وأتانى مرة أربعة عشر نفسا من الفلاحين فقدمت اليهم رغيفا واحدا فأ كلوا كلهم منه وشبعوا (وقدمت) مرة الطاجن الذى نعمله فى الفرن الى سبعة عشر نفسا فأ كلوا كلهم منه وشبعوا (وأتانى) مرة ضيوف صحبة الشيخ شهاب الدين بن داود المنزلاوى رضى الله تعالى عنه بعد صلاة العشاء وليس عندى شئ فطبخت لهم شوربة قمح بلا شيرج ولا دهن بل بالماء فقط فأ كلوا وصاروا يقولون نعمل هذه الشربة كثيرا فى دارنا فما نجد لها طعما مثل هذه فى اللذة فقلت لهم سبحان الله الستار * وكان على هذا القدم سيدى على رضى الله تعالى عنه من تلامذة الشاذلى رضى الله تعالى عنه كان يأمر بوضع الزبادى الفارغة للضيوف ويقول لهم غضوا عيونكم ثم يفتحونها فيجدون الاوانى كلها ملآ نة من الاطعمة المختلفة (وكذلك) بلغنا عن سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه أن اصحابه اشتهوا فى البرية سماطا عيد فى أوانى صينى من سائر الالوان وفيه شوربة ودجاج فأمرهم الشيخ بان ينتشروا ليتطهروا ثم يأتوا فأتوا فوجدوا سماطا ممدودا عند الشيخ كما اشتهوا قال الشيخ يوسف الكردى فأ كلنا ثم ارتحل الشيخ وتركنا السماط ممدودا كما هو انتهى (قلت) وكان على هذا القدم سيدى على المليجى رضى الله تعالى عنه فبلغنا ان السلطان محمد بن قلاوون نزل لزيارته بالعسكر فكفاهم من قدر فيه قدحان من عدس وعلى هذا القدم أيضا عدة جماعة ممن ادركناهم كسيدى الشيخ عبد الحليم بن مصلح رضى الله تعالى عنه وسيدى الشيخ محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه وسيدى الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه (وقد شاهدت) أنا شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه قد جاء بجماعة من الريف نحو خمسين رجلا ثم تسامع بذلك المجاورون بجامع الازهر فأتوا حتى امتلأت زاوية شيخه الشيخ محمد السروى رضى الله تعالى عنهما ثم فرشوا للناس الحصر فى الزقاق حتى أمتلأ الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ فقال نعم طبيخى أنا وزوجتى فقط فقال لا تغرف شيأ حتى أحضر ثم غطى الشيخ الدست الصغير بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى أن كفى من فى الزاوية وخارجها هذا شئ رأيته بعينى (وأما) سيدى الشيخ محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه فكفى نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق وذلك ان سيارة الفقراء أتوه على غفلة فقال لوالدته غطى العجين بهذا الرداء وقرصى منه ولا تكشفيه فملأت البيت والحيرة ونصف صحن الدار حتى أكل الخمسمائة منه وفضل والله ذو الفضل العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم نفرة نفسى من مخالطة الابرص والاجذم وأرباب العاهات فتطيب نفسي بحمد الله تبارك وتعالى ان آكل معهم المائعات وأشرب فضلتهم وكان

على هذا القدم جدى الشيخ على رحمه الله تعالى دخل الى بلده مجذوم تقطر أطرافه صديدا فنفر الناس منه فاخذه جدى وأدخله داره ثم حلب له البقرة وأكل معه فى اناء واحد ثم شرب فضلته فلامه والده رحمه الله تعالى وقال له أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الاسد فقال له جدى أما قال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ثم قال والله ان عدم كسر خاطره مقدم عندى على مالو حصل لى مثله من الجذام فان كسر الخاطر عظيم عند الله تبارك وتعالى ثم حكى عن زوجة الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنهما انها كانت تضع الاناء تحت رجلى الشيخ وقدميه وكان أجذم كسيحا فاذا تحصل منه شئ من الصديد شربته الى أن مات رحمه الله تعالى فاستخلفها الشيخ بعده فكملت أصحابه من بعده انتهى (ومما وقع) لسيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه ان كلبا حصل له جذام فقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده عن داره فأخذه سيدى أحمد وخرج به الى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو واياه ويسقيه ويدهنه مدة أربعين يوما حتى عافاه الله تعالى من الجذام ثم سخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء فقال نعم خفت أن يؤاخذنى الله تعالى به يوم القيامة ويقول أما كان عندك رحمة لهذا الكلب اما كنت تخشى ان أحول ما ابتليته به اليك انتهى فافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) طاعة الجن لى واعتقادهم فى أوائل دخولى طريق القوم فكنت ربما أقول للواحد منهم ارجع عن ركوب فلان أو فلانة فينزل عنها من غير عزيمة وربما دخلوا على فى الليل أفواجا من طاقات القاعة فيصلون معى ويسبحون معى على السبحة ثم يذهبون ويسحب واحد منهم خيط السبحة فقلت له الزم الادب والا لا تعد تجالسنى فتاب (وأتونى مرة) بعدة اسئلة فى التوحيد اشكلت عليهم يطلبون منى أن اكتب لهم عليها فكتبت لهم عليها وكانت نحو خمسة وسبعين سؤالا ونقلت الاسئلة وألفت أجوبتى عليها فى نسخة سميتها كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان ليراجعها من يريد استفادتها فتلقاها العلماء بالقبول وكتب الناس منها نسخا لا أحصيها ونقلت الى الممالك القريبة والبعيدة (وكان) على هذا القدم سيدى أبو الخير الكليبانى رضى الله تعالى عنه وسيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وسيدى على الشاذلى رضى الله تعالى عنه فكانوا يستخدمون الجن فى صورة كلاب (وكان) الشيخ أبو الخير الكليبانى رضى الله تعالى عنه يدخل بهم جامع الحاكم فينكر ذلك عليه الفقهاء انكارا شديدا لاعتقادهم أنهم كلاب وقال له فقيه يوما كيف تدخل الكلاب بيت ربك جل وعلا فقال انهم لا يأ كلون حراما ولا يشهدون زورا ولا يغتاب بعضهم بعضا (وكان) يرسلهم فى قضاء الحوائج فيقضونها ويقول لصاحب الحاجة اشتر له رطلين لحما شوربة ورغيفين ففعل فيذهب معه الى ذلك الضائع من أمتعة أو بهيمة الى أن يقف به على المكان التى هى فيه (وكان) يعمل لهم الوليمة فى بعض الاوقات فى المكان الذى بين الازبكية وباب اللوق ويمد لهم الطعام هناك فى صحاف فيعتقد المارون انهم كلاب والحال انهم جن (قال) الشيخ أحمد البهلول رفيق الشيخ نور الدين الشرنوبى الشاذلى رضى الله تعالى عنهما وأنا ممن اجلسنى الشيخ أبو الخير معهم مرة وقال كل مع اخوانك فاونعنى الاطاعته فلما قام الشيخ

أبو الخير رضى الله تعالى عنه ذهبت لاطهر ثيابى فرجع الى وقال هؤلاء من مؤمنى الجن فقلت انى أطهر ثيابى لظاهر الشرع انتهى (ومما وقع) للشيخ حسن الغزاوى وكان ممن يلازم القعاوى الكلاب باذن سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه فقال له لا تملأ القعاوى التى خارج درب الازبكية مما يلى باب اللوق الا بانا طاهر فانهم من الجن فخالف فصكه واحد منهم فكاد أن يعمى بصره (واعلم) ان هذا الخلق المذكور من جملة ما يتفضل الله تعالى به على من يشاء من عباده من الانس فافهم والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل من طعام العزاء والجمع فى المقبرة لاسيما الاطعمة الفاخرة التى يعملها الاكابر فان أكلها لا يليق بحضرة الاموات انما اللائق بمن دخل مقبرة البكاء والنوح على نفسه وتذكر ما كان فيه هؤلاء الاموات من الغفلة حتى أتاهم الموت على غفلة ويقول لنفسه هكذا يقع لك عن قريب ولم أر اهذا الخلق فاعلا بل بعض الفقراء يذهب فيذكر بمجلس ذكر ثم يجلس هو وأصحابه فيأكلون أطايب الطعام وربما يكونون كلهم غافلين عن الموت وعما اليه مصيرهم وقد نهت الشريعة عن النوم فى المقابر وبلغنا عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه رأى رجلا يأكل بين المقابر فزجره ووبخه وقال أما فى حال هؤلاء الاموات ما يلهيك عن الاكل وفى رواية أنه قال والله انك لمنافق تأكل بين المقابر انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى الانكار على من ينسب الى البدعة كطائفة القلندرية والمطاوعة وغيرهما وانما أنكر عليهم اذا خالطتهم ورأيت منهم ما لا يوافق الشريعة ونهيتهم عنه فلم ينتهوا وذلك لعلمى بأن قلوب الخلق خزائن الله تعالى وربما أسكن الحق تعالى بين هؤلاء المبتدعة أحدا من أوليائه وجلسه بجلاسهم فى الملبس وذلك ليحفظهم بوجوده من نزول البلاء عليهم لكون رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه فربما أحكم على ذلك الولى بأنه منهم والحال أنه ليس منهم فأخطأ فى حقه وربما جرنى ذلك الى العطب كما بلغنى عن سيدى على الشاذلى رضى الله تعالى عنه انه قال أنكرت يوما على النواتية بساحل رشيد حين رأيتهم يكشفون عوراتهم على بعض المذاهب واذا رجل فى الهواء يقول يا على تنكر على النواتية وأنا منهم والعورة مختلف فيها فارتعدت من هيبته وكدت أن أهلك فاستغفرت الله تعالى (قال) ومما وقع لى مع القلندرية المقيمين بالقرب من عمود الصوارى أنى دخلت عليهم يوما فرأيت منهم شيأ يخالف ظاهر الشريعة عند بعض الائمة فضاق صدرى من ذلك فرفعت طرفى الى السماء فاذا شخص جالس فى الهواء وهو يتوضأ فقال تنكر على القلندرية وأنا منهم قال فاستغفرت الله تعالى وتبت عن الانكار على الناس عموما انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم حرمانى للسائل ولو رأيته قويا على الكسب فقد يكون سؤاله لغيره من الارامل والايتام والعميان وقد كنت أعطى شخصا على هذه الصفة وكان بعض الناس ينكر على ويقول لو أعطيت ذلك لاحد من المحتاجين لكان أفضل فتبعت ذلك الرجل يوما من غير علمه فرأيته يفرق جميع ما يأخذه من الناس على العجائز والشيوخ

المنقطعين فى باب اللوق ولا يأكل منه شيأ فحمدت الله تبارك وتعالى على عدم سوء ظنى به كما وقع لغيرى انتهى (وأخبرنى) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه ان جماعة من الاولياء يقيمون فى الجبل المقطم دائما ويرسلون خادمهم الى أقطار الارض ليأتيهم بالقوت الذى قسمه الله تبارك وتعالى لهم وأودعه عند بعض عباده فيستخرجه الخادم ممن هو عنده بالالحاح فربما أنكر ذلك عليه من لم يعرف الحال قال أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وقد أرمتنى المقادير مرة الى سبعة أنفس منهم فى مغارة فأشاروا على أن أجلس فجلست فصاروا يقولون أبطأ فلان أبطأ فلان وأنا لا أعرف الخبر ثم انه دخل عليهم فقالوا له ما أبطأك وعندنا هذا الضيف فقال جبت لكم الارض كلها فلم أجد فيها شيأ من الحلال اللائق بمقامكم الا عند عجوز فى مدينة مراكش بأرض المغرب ومد لهم قليلا من النخالة فقالوا لى تقدم فكل فقلت فى نفسى وما أصنع بهذه النخالة وأنا لا أقدر على بلعها من خشونتها فقال لى واحد منهم هكذا وجدنا الحلال فى هذه الليلة ثم مسح بيده على النخالة فصارت حلوى فأكلت معهم منها انتهى (وأخبرنى) الشيخ حسن الريحانى أنه مر على قوم بالجبل المقطم المطل على بحر السويس فرآهم يأكلون من الحشيش النابت هنالك من المطر وبعضهم يتغذى بنسيم السحر ويصلون كل ليلة المغرب بمكة خلف القطب رضى الله تعالى عنه ونفعنا به فأحسن يا أخى ظنك بالمسلمين فان الله تعالى لا يسألك قط يوم القيامة لم حسنت ظنك بعبادى أبدا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تفقدى قلبى صباحا ومساء من دخول الصفات الرديئة فيه وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وأنا أنبهك على الصفات التى تتوارد على القلب لتعرفها فتشكر الله تعالى أو تستغفره فأقول وبالله التوفيق يتوارد على قلوب العلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم خمسة أشياء العلم والحلم والحكمة والخشية والكرم ويتوارد على قلوب الاولياء رضى الله تعالى عنهم خمسة أشياء الصمت والذكر والفكر والنور وزيادة العقل وعمدة هذه الصفات تحصل من الجوع ومن قيام الليل ويتوارد على قلوب الغافلين خمسة أشياء الغفلة والسهو والضحك والراحة والنوم ويتوارد على قلوب المنافقين خمسة أشياء الهوى والبغض للعبادة والخبث والمكر والنفاق هذه أمهات الصفات وأما الفروع فهى بعدد الخواطر وهى سبعون ألف خاطر فى الليل والنهار وكان سيدى على الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول تفقدوا بيت ربكم وهو القلب وانظروا ما نقص من صفاته وأركانه وأبوابه فان الله تعالى جعل أرضه من المعرفة وسماءه من الايمان وشمسه من الشوق وقمره من المحبة وبابه من الهمة ورعده من الخوف وسحابه من الوفاء وغرته من الحكمة وبهاءه من العلم وبرقه من الرجاء وغمامه من الفضل ومطره من الرحمة ونهاره من الطاعة وليله من المعصية فمن لم يكن فى زيادة تفقد كل وقت لهذه الصفات فهو مغرور وأما أركانه فهى أربعة الانس والتوكل واليقين والصدق وكذلك أبوابه أربعة العلم والحلم واليقين والمعرفة وقد قفل الله تعالى على القلب بقفل لا يفتحه الا هو يوم القيامة وبالجملة فمن لم يكن بوابا لقلبه يعرف ما يدخل وما يخرج فهو فى خسران فافهم ذلك واعمل على

الخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) ندمي من حيث كسبي على كل نومة نمتها في ليل أو نهار لان الخير كله في السهر واليقظة فمن أحب النوم فقد أحب النقص واللحوق بالاموات والغفلة عن عمل الحسنات وفاتته مصالح دنياه وآخرته لان النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز على الله تعالى نوم أبدا لانه نقص وكذلك الملائكة لما قربوا من حضرة الله عز وجل نفى النوم عنهم وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع الاماكن وأطهرها من المعاصي وأكرمها نفى عنهم النوم لكونه نقصا فجميع الخير في السهر وجميع الشر في النوم ولهذا جعل العارفون السهر أحد أركان الولاية قال سيدي علي الشاذلي رضي الله تعالى عنه وقد جربنا فما رأينا شيأ يطرد النوم مثل أكل الحلال وترك الحرام والشبهات فمن أكل الحرام والشبهات كثر نومه وذلك من جملة رحمة الله تعالى به لان أكل الحرام يحرك الاعضاء للمعاصي فيطلب كل عضو منه أن يعصي فيتفضل الله تعالى عليه بالنوم ليريحه من المعاصي كما أنه يتفضل على الطائع بأكل الحلال ليقيمه بين يديه ليلا ونهارا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) معرفتي بالولي اذا زرته في قبره هل هو حاضر أو غائب فان غالب الاولياء لهم السراح والاطلاق في قبورهم فيذهبون ويجيئون وكان على هذا القدم سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه كان اذا رأى انسانا عازما على زيارة بعض الاولياء يقول له اذهب بسرعة فانه عازم على الذهاب الى موضع كذا وفي بعض الاوقات يقول له لا ترح له فانه ما هو هناك اليوم وقد زرت مرة سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه فلم أجده في قبره فجاء الي بعد ذلك وقال اعذرني فاني كنت في حاجة وكان سيدي علي البدوي رضي الله تعالى عنه يقول لا تزوروا سيدي الشيخ أبا العباس المرسي رضي الله تعالى عنه الا يوم السبت قبل طلوع الشمس فانه يكون حاضرا ولا تزوروا سيدي ابراهيم الاعرج رضي الله تعالى عنه الا ليلة الجمعة بعد المغرب ولا تزوروا سيدي ياقوتا العرشي رضي الله تعالى عنه الا يوم الثلاثاء بعد الظهر واذا أنا مت فزوروني يوم السبت بعد الصبح انتهى وهذا أمر لا يعرفه الا من كشف الله تعالى عن بصيرته وأما غيره فهو يزور بالنية وأجره على الله تعالى اذا لم يجده في قبره فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب السادس في جملة من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي للاختصاص عن الفقراء بشيء وقف علي وعلى ذريتي فقط فقد وقف علي شخص ربع رزقة في ناحية برشوب الصغرى وآخر نصف سيرجة ونصف طاحون وغير ذلك فلم أختص عن اخواني بشيء من أجرة ذلك ولا خراجه بل آكل من ذلك كآحاد الفقراء وسبب ذلك اني أفهم من نية الواقف بالقرينة انه لولا انه يعلم مني الكرم وعدم الاختصاص ما وقف ذلك علي بدليل انه لا تسمح نفسه أن يوقف مثل ذلك على من رآه يختص بما دخل يده من الدنيا وهذا الخلق غريب في هذا الزمان بل رأيت بعضهم غير وبدل في كتاب الوقف ما كان للفقراء وجعله باسمه واسم ذريته فلما جاء التفتيش في الرزق لم يقدر

يظهر ذلك المكتوب أبدا وصار يستشهد بالاستئمار والشواهد على المستحقين فالله تعالى يتوب عليه من محبة الدنيا فان ذلك هو الذي أوقعه فيما وقع فيه فالحمد لله الذي حماني من مثل ذلك مع أن مكاتيب هذه الجهات التي وقفت علي وعلى ذريتي قد صرح واقفها بأن ريعها لي ولذريتي من بعدي أستحق ذلك بمفردي ثم ذريتي من غير مشارك وذلك لاني أرى جميع ما يدخل في يدي مشتركا بيني وبين اخواني المسلمين وكل من كان أحوج قدمته من نفسي أو من غيري كما سيأتي بسطه في مواضع من هذا الكتاب فكان في ضمن عدم الاختصاص القيام بواجب حق اخواني وتحقيق ما ظنه الواقف في من عدم التخصيص عن اخواني وقد رأيت شيخا يزعم انني لا أصلح تلميذا له نازعه فقراء الزاوية في اختصاصه بجهة من جهات زاويته مع غناه عن خراجها بما له من المسموح والمرتبات فحضر هو والمجاورون عند القاضي المنصوب للتفتيش ولم يعط جماعته من ذلك شيأ فخرجوا من زاويته وكان ينبغي له أن يشركهم معه في ذلك لانه ما هو شيخ الا بهم ولا أعطوه المسموح الا على اسمهم بانه انه ذلك في قصته وأنا بحمد الله ربما أخلط فيما يخص الفقراء شيأ مما يخصني من غير أن أعلمهم بذلك عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقد طلب ولدي عبد الرحمن أن يختص عن الفقراء بأجرة السيرجة لما تزوج واحتاج فمنعته وقلت له لا تختص بشيء وقف عليك بعدي الا ضرورة وأما وقت الرخاء فلا فأطاعني فافهم والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تعففي عن الاكل من طعام من عرف في هذا الزمان بكثرة الكرم وقرى الضيوف من مشايخ العرب والقرى وفقهاء الارياف وغيرهم وذلك لان من عرف بذلك لا يقدر على تهيئة طعام لكل من ورد عليه الا بتكلف زائد ثم بتقدير أن نفسه تسمح بذلك فالعيال لا يصبرون على تهيئة ذلك من غربلة وعجين وخبز وطبخ كل يوم وربما عجنت المرأة وخبزت وطبخت في اليوم مرتين وتصير تسخط وتقول اللهم أرحنا من هذه العيشة وربما أكرهها زوجها على ذلك وضربها بالعصا ضربا مبرحا ولا يخفى عليك يا أخي ان كل طعام دخله التكلف فالاكل منه مذموم شرعا لا سيما ان كان صاحبه لا يحلل ولا يحرم كغالب مشايخ البلاد وفقهائها واذا لم نجد أحدا نبيت عنده غير من عرف بقرى الضيوف بتنا عنده وكافأناه على كلفته لنا ولدوابنا ثم لا ينبغي لنا أن نأكل عنده الا ان كان بنا جوع مفرط والا طوينا * وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول طعام المتكلفين يورث الظلمة في القلب لانه كطعام البخيل على حد سواء لكونه يطعم الضيف وعنده ثقل من ذلك * وفي الحديث طعام البخيل داء وكان سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كل فقير لا يقدره الله تعالى على أن يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه فليس له أن يمد يده الى طعامه فان أكل من غير امداد ولا مكافأة فقد أكل بدينه ونقص مقامه بذلك انتهى وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي لفقير أن يمد يده لطعام انسان الا ان كان يشاركه في بلاء تلك المدة كلها أو يحمله عنه كله ولما دار بعض اخواننا بلاد الشرقية والغربية ومعه جماعة بكثرة عاب عليه ذلك وأرسل يحط عليه وقال له ان جميع اعمالك كل يوم لا تفي بثمن الطعام الذي تأكله بالمحاباة يوم القيامة وقد أدركت سيدي محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه وسيدي عليا المرصفي رضي الله

تعالى عنه وسيدى محمدا السروى رضى الله تعالى عنه اذا ذهبوا الى طعام أحد يذهبون بجماعة قليلة بشرط اعلام صاحب الطعام بهم قبل الذهاب وانشراح خاطره بذلك والالم يذهبوا واستدلوا بقصة عائشة رضى الله تعالى عنها لما دعى النبى صلى الله عليه وسلم الى طعام فقال النبى صلى الله عليه وسلم وهذه يعنى عائشة فقال لا فأبى النبى صلى الله عليه وسلم ثانيا وثالثا حتى قال له نعم فأخذها معه وذلك قبل نزول آية الحجاب وقد برز شخص من الفقراء فى مصر وصار يحضر الولائم بجماعة كثيرة فأخبرت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه به فقال أسأل الله تعالى أن يفرق شمله فما اجتمع عليه بعد ذلك اثنان الا بتكلف بعد ان كان يركب البغلة وبين يديه نحو مائة شخص وقال رضى الله تعالى عنه ما درج السلف الصالح الا على العفة وعدم الشهرة انتهى وقد عزم شخص من الامراء على الشيخ دمرداش المحمدى رضى الله تعالى عنه فذهب الشيخ اليه وحده فقال الامير أرسل وراء الفقراء فانى عملت طعاما واسعا فقال الشيخ أنا آكله فجلس على السماط وصار يأكل وعاء بعد وعاء الى أن أكله كله وقال جعلنا حسابه عن اخواننا وكان الطعام يكفى ثلثمائة نفس هكذا أخبرنى الشيخ محمد الحانوتى خليفته فعلم أن كل فقير ليس عنده حال يحمى به صاحب الطعام من البلاء أو يمده بالبركة فى طعامه كما تقدم فأكله من ذلك الطعام قلة مروءة وخروج عن طريق أهل الله تعالى الذين يزعم انه على طريقهم (فاياك) يا أخى اذا نزلت بلاد الريف أن تأكل من طعام من لا تكافئه كما عليه مشايخ الحرف والمتهورون فى دينهم من مشايخ مصر فينام أحدهم وجماعته عند من عرف بالكرم ويذهبون من غير مكافأة ولا علم منه ان كان ذلك بطيبة نفس أو بكراهة وأقل ما فى الكراهة أن يطعم الشيخ خوف العتب عليه منه أو من جماعته الذين يأخذون من الحافى نعله وربما أو التقسهم الجملة على من بات عنده وكافوه ورأوا انه حصل لصاحب الطعام الجبر بمبيت سيدى الشيخ عنده وربما قالوا له نصبا وزورا كم شخص عزم على سيدى الشيخ فلم يجبه ولولا انه يحبك مابات عندك وربما كان صاحب الطعام مستندا الى شيخ آخر لا يعتقد غيره فيحصل له بذلك النكد خوفا على تغير خاطر شيخه عليه الذى عمل الطعام لذلك الشيخ الآخر لاسيما ان كان بينه وبينه وقفة فيصير فى غلبة بين مراعاة خاطر شيخه وبين القيام بواجب حق الشيخ الآخر فليكن الشيخ فى هذا الزمان يلحق بلاحق اللاحق فافهم يا أخى ذلك وتمسك بأذيال ما هنالك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تعففى عن الاكل من مال الايتام ومن كل شئ للشرع عليه اعتراض فعلم انه ينبغى لمن مات له صاحب من المشايخ أن لا يبيت عند أولاده القاصرين بعده على جارى عادته مع والدهم أو عند أولاده الرشداء قبل قسمهم التركة بينهم وبين القاصرين الا ان تحقق انهم يضيفونه من مالهم دون التركة فان الاكل من طعامهم قلة ورع ان كان بطيبة نفوسهم وحرام ان كان بغير طيبتها وهذا الامر يقع كثيرا فى زوايا المشايخ فى الريف وفى مصر ويساعد على ذلك نقباء الشيخ الذى مات ويقولون لام الاولاد مثلا نريدان أولادك يطلعون مشايخ ويفتحون عين الزاوية فتظن الوالدة ان أولادها يطلعون مشايخ بذلك فتتكلف نفسها وتطبخ من مال الايتام فليحذر الفقير الخائف على دينه من مثل ذلك والله تبارك وتعالى

يحمينا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايته تبارك وتعالى لى من أخذ شئ من المعاليم المرصدة على شئ من القربات الشرعية ولو ان الواقف صرح فى كتاب وقفه باسمى فلا آخذه الا لضرورة شرعية وذلك كأن لا أجد شيأ غيره واحتاج ثم اذا أخذته بهذا الشرط لا آخذه الا ابتداء اعطاء من الله تعالى لا فى مقابلة فعل ما وقف ذلك عليه من القربات ومحك صدق صاحب هذا المشهد أن لا يعطل الوظيفة ويترك مباشرتها اذا صار الوقف معطلا بل يباشرها حسبة لله تبارك وتعالى ومن محك الصدق فى ذلك أيضا أن لا يطالب بمعلومه ناظرا ولا جابيا لا تصريحا ولا تعريضا الا ان احتاج اليه ولم يجد غيره ومتى فعل ذلك فهو لم يشم لهذا الخلق رائحة * وقد رأيت شيخا له عذبة يشتكى ناظرا فى بيت التفتيش على معلوم وظيفة لم يباشرها لا بنفسه ولا بوكيله مع غناه عن معلومها فقلت له هذا يجرح مشيختك فلم يلتفت الى * ولما عمل القاضى أبو البقاء بن الجيعان لسيدى الشيخ محمد السروى رضى الله تعالى عنه معلوما فى الزاوية الحمراء خارج مصر فى نظير الخطابة والامامة امتنع سيدى محمد من ذلك وقال نحن نفعل ذلك احتسابا وأنت ان شئت أن تعطى الفقراء ذلك احتسابا فعلم ان من ورع الفقير أن لا يأخذ معلوما على نظار مسجد ولا امامة ولا خطابة ولا وقادة ولا فراشة ولا قراءة جزء ولا سبع ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية وعلى ذلك درج العلماء العاملون رضى الله تعالى عنهم ونفذت به وصاياهم فى سائر أقطار الارض كالشيخ أبى اسحق الشيرازى رضى الله تعالى عنه والامام النووى رضى الله تعالى عنه فكانا رضى الله عنهما يوفران معلوم تدريسهما للوقف ويباشران التدريس لله تعالى مع انه بلغنا ان الشيخ أبا اسحق كان يحتاج الى جديد وكان يفت الرغيف اليابس ويسقيه بماء الفول المصلوق ويجعل ذلك اداما فأين هذا ممن يأكل فى بيته الطيبات ويطبخ كل يوم اللحم الضانى ويأخذ معلوم وظيفته التى لم يباشرها لا بنفسه ولا بنائبه وربما يقول ان الله تعالى لم يجعل لى رزقا الا من الوظائف فنقول له صحيح فاننا ما نازعناك فى انه رزقك اذ رزق الانسان هو ما ينتفع به ولو حراما وانما قلنا لك ان طريق الاشياخ كانت هكذا وأنت تزعم انك منهم فباشر وظيفتك لله عز وجل وخذ ذلك المعلوم ابتداء اعطاء من الله جل وعلا لا بيع الثواب تلك القربة لذلك المعلوم كما مر وهذا الخلق لا أعلم له فى مصر فاعلا من أقرانى الا القليل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى شيأ زائدا على اخوانى المستحقين اذا كان لى شئ فى وقف المرتب لا فى مقابلة عمل ولو فاض الوقف عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ولو أن الناظر أعطانى ذلك من غير سؤال على وجه الاكرام رددته عليه أو فرقته على جميع المستحقين وأخذت منه كأحدهم لان من كمال مرتبة الداعى الى خير أن لا يتميز عن المدعوين بشئ ثم ينهاهم عنه أو يأمرهم به فانهم ناظرون الى أفعاله ليقتدوا به وقد رأيت شيخا من مشايخ العصر يتنازع هو والناظر على عدم تميزه عن اخوانه ويقول تجعل رأسى برأسهم والناظر يقول له هذا ما جعله الواقف فقلت له هذا يجرح مقامك فلم يلتفت

الحق وبالجملة فالذى ينبغى للشيخ أن لا يتعاطى شيأ فيه كراهة الله تعالى له بل يراعى كل أمر علم أن الله تعالى يحبه اجلالا لله تعالى لا لعلة ثواب ولا غيره لان عبد الثواب معدود عند كمل العارفين ممن هو فى مقام بعض النساء وان كان له لحية كبيرة وقد رأيت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه مرة يعطى عامل البراس عادته من جباية الظلم الذى على البراس بطيب نفس ويبرئ ذمته مع ان معه مربعة السلطان فيتأبى باعتاقه منها ويقول ان الله تعالى يكره العبد المتميز عن اخوانه حتى فى ترك وزن المغارم التى يجعلها الظلمة على الناس بغير حق انتهى وهذا الخلق لم أر له فاعلا فى مصر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مطالبتى لمن لى عليه حق دنيوى مادمت أجد الكسرة اليابسة والخلقة ولكن ان أتانى بشئ مما لى عليه من غير مطالبة قبلته ابتداء عطاء من الله تبارك وتعالى وان لم يأتنى به لا أطالبه بنفسى ولا بوكيلى بانشراح صدر لذلك استهانة بالدنيا لا لعلة أخرى من حظوظ النفس فعلم ان من أخذ ماله بالمطالبة عند الحاجة اليه فلا يقدح ذلك فى كماله لكون ذلك يكفه عن سؤال الناس ويعتقه من تحمل منة الخلق الذين يفتقدونه بالطعام والشراب واللباس اذا رأوه محتاجا وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يطالب من له عليه حق بنية عتق ذلك المديون من المنة وتقبيحا لعدم اعتنائه بوفاء الدين فى عينه حتى لا يتساهل به ولكل رجال مشهد ثم اذا وقع انى طالبته عند الحاجة وتعلل بضيق اليد فلا أكذبه ولا أحلفه على ذلك بل أسامحه الى وقت ميسرة لله تبارك وتعالى ثم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه معدودا من أمته أو محبة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره وهذا الخلق لم أر له فاعلا مع انه من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما رعى الغنم لخديجة قبل النبوة هو ورجل آخر كان الرجل يقول له يا محمد طالب لنا خديجة بالاجرة فيقول صلى الله عليه وسلم أنا أستحى انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم رؤيتى فى نفسى انى أحق بما عندى من النقود والثياب والطعام وغير ذلك من أحد من اخوانى المسلمين الا ان كنت أحوج الى ذلك منه فأقدم نفسى حينئذ عملا بحديث ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وبحديث الاقربون أولى بالمعروف ولا أقرب الى الانسان من نفسه فهى أقرب جار اليه بل هى حقيقته وهذا الخلق لا يصح لاحد التخلق به الا بعد احكامه مقام الزهد فى الدنيا وبعد تخلقه بالرحمة على جميع خلق الله تعالى ومحك الصدق فى احكامه مقام الزهد انه يصير ينقبض خاطره اذا دخلت عليه الدنيا فوق الحاجة وينشرح اذا ضاقت يده ولم يجد عشاء ليلة وأن يكون بحيث لو سرق انسان قدرة ذهب له كانت معدة للمصالح لم يتغير منه شعرة ولو أن شخصا فتح صندوقه بحضرته وهو ساكت وأخذها لا يقول له اتركها ولا خل لى منها شيأ ومتى رجح من يدعى الزهد شيأ من ذلك على ضده أو رأى ان ترك القدرة أحسن من أخذها فهو لم يشم من الزهد رائحة انما هو متفعل فى ذلك ولا أعلم أحدا من أقرانى تخلق بهذا الخلق فى مصر غيرى الا القليل انتهى فافهم يا أخى ذلك والله يتولى

هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم التفاتى الى شئ ضاع منى أو سرق أو نسيته فى مكان أو وقع ولو كان أردبا من الذهب ولا أبعث قط مناديا ينادى من رأى ذلك كل ذلك هوانا بالدنيا وتنشيطا لهمم الاخوان اللهم الا أن يكون ذلك المال الذى ضاع منى حلالا لا أجد غيره فى ذلك الزمان أو يكون ملكا للغير فمثل هذا لى أن أبعث مناديا يقول من رأى كذا وكذا بل ذلك واجب فى مال الغير كما وقع ذلك لعائشة رضى الله تعالى عنها لما ضاع عقدها كما هو مذكور فى قصة نزول آية التيمم ثم انا اذا لم نبعث مناديا ينادى لذلك لا بد من براءتنا الذمة من وجده فى الدنيا والآخرة حتى انه لا يقع فى أكل الحرام فى زعمه ويستهين بحدود الله تبارك وتعالى حيث لم يعرفه سنة أو أكثر أو أقل بحسب حكم الشرع فى ذلك وحتى لا يكون لنا عليه مطالبة فى الدار الآخرة فانه لا بد من اجتماع الخصم مع خصمه فى ذلك اليوم الشديد وربما تاه الخصم من خصمه فلم يجده الا بعد مقدار سنة أو سنتين لكثرة اجتماع الخلائق ولا يمكن أحدا أن يدخل الجنة الا بعد اعطاء ما عليه من الحقوق فاذا أبرأناه من ذلك أرحناه من طول انتظاره لنا وهذا خلق لم أر له فاعلا من أقرانى انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من صغرى عدم مزاحمتى على شئ فيه رياسة دنيوية أو تؤول الى الدنيا لا سيما ان كان هناك من هو أولى بها منى لكثرة علمه أو ورعه مثلا أو لكثرة تحمله للاذى ممن يترأس عليهم من الاخوان فلا أنازع من يزاحمنى فى الرياسة قط واذا كنت أخطب للناس أو أصلى بهم أو أدرسهم العلم أو أعظهم أو أسلكهم وجاءنى شخص يريد أن يكون مكانى وهو أهل لذلك تركته له بانشراح صدر مع اتهام نفسى فى الاخلاص وذلك لان مقصود الصادقين انما هو اقامة شعار الدين من حيث هو لا بشرط أن يكونوا هم الفاعلين لذلك الا بطريق شرعى ومتى نازعنا من يطلب منا ذلك ولم نتركه له بطريقه الشرعى فنحن محبون للرياسة ليس لنا فى قدم الصدق نصيب بل نحن محبون للدنيا التى زعمنا انا تركناها وهذا أمر لم أجد له فى مصر فاعلا غيرى الا القليل فانى اذا جاءنى احد يطلب الطريق الى الله تعالى أرسله الى غيرى لا سيما الامراء والاكابر الذين حولهم البر وما رأيت أحدا من أقرانى فعل معى مثل ذلك أبدا مع قلة معرفته بالطريق وكثيرا ما أرى عند الشخص قلة اعتقاد فيمن أريد انى أرسله اليه فأحسن اعتقاده فيه جهدى ثم أرسله له فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة حذرى من ابليس كلما ترقيت فى مقامات الطريق لعلمى بأنه لمثل ذلك بالمرصاد لحرصه لعنه الله تعالى على اغواء الخلق فهو لا يفارق الاعوج ولا المستقيم أما الاعوج فانه من جنده وأما المستقيم فيلازمه ويترقب له وقتا يغويه فيه من وقت غفلة أو سهو أو تأويل أو تزيين ولولا ان الله تبارك وتعالى يحفظ الاكابر منه بعصمة أو حفظ لما قدر أحد على رد كيده منه ولذلك شرع الله تبارك وتعالى لنا الاستعاذة به تعالى منه فلم يقل لنا استعيذوا بأحد من الملائكة ولا بأحد من الانبياء من كيد ابليس لعلمه تبارك وتعالى بعجز الخلق عن مثل ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الحكمة

فى استعاذتنا باسم الله تعالى دون غيره من الاسماء كون الانسان لايعرف من أى حضرة يأتيه ابليس من طرق حضرات الاسماء الالهية فلذلك أمرنا أن نستعيذ منه بالاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها لنسد على ابليس كل طريق أتى لنا منها انتهى (وسمعته) أيضا رضى الله تعالى عنه يقول لم يعصم الله تعالى الاكابر من وسوسة ابليس لهم وانما عصمهم من العمل بما يوسوس لهم به فقط فهو يلقى اليهم وهم لايعملون بذلك لعصمتهم أو حفظهم قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته (ثم لايخفى) ان العبد كلما قرب من حضرة الله تعالى اشتدت عداوة ابليس له وكان له أشد ملازمة من غيره وذلك لعلم ابليس بكثرة ضلال الناس اذا ضلت أئمتهم ثم اذا دخل الاكابر الحضرة فان ابليس يقف على الباب ينتظرهم فكل من خرج منهم بغير اذن ركبه كما يركب الانسان الحمار يصرفه باذن الله كيف شاء ومرادنا بالحضرة شهود العبد انه بين يدى الله تبارك وتعالى وهو تعالى يراه ومرادنا بخارج الحضرة حجابه عن هذا المشهد فتى حصل للانسان غفلة عن شهود ان الله تبارك وتعالى يراه خرج من الحضرة فى أسرع من لمح البصر فركبه ابليس كما يركب الانسان الحمار ومتى استحضر ان الله تبارك وتعالى يراه نزل ابليس من على ظهره أسرع من لمح البصر هكذا شأنه مع الخلق دائما والناس فى المكث فى الحضرة والخروج منها متفاوتون قلة وكثرة بحسب علو الدرجة وخفضها فمن الناس من لايدخل الحضرة الا فى صلاة الفريضة فقط ومنهم من يدخلها فى النوافل كذلك ومنهم من يدخلها فى كل عبادة مشروعة ومنهم من يمكث فيها من أول العبادة الى آخرها ومنهم من يخرج فى أثنائها ثم يدخل ومنهم من يخرج فلا يدخل حتى تنقضى تلك العبادة مع الغفلة ومنهم من يدخلها فى الليل والنهار مقدار درجة أو أقل أو أكثر بحسب مقامه ومنهم من يحضر فى أكثر النهار ويغفل فى باقيه ومنهم من يحضر فى الليل كذلك ومنهم ومنهم وهكذا وأكملهم من كان حاضرا مع الله تبارك وتعالى فى ليله ونهاره الا فى الاوقات التى يسامح الحق تبارك وتعالى فيها البشر فانهم قالوا ان مراقبة الحق تبارك وتعالى مع الانفاس ليست من مقدور البشر بخلاف الملائكة وكان سيدى معروف الكرخى رضى الله تعالى عنه يقول لى ثلاثون سنة فى حضرة الله تعالى ماخرجت فأنا أكلم الله دائما والناس يظنون انى أكلمهم والى ماقررناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لى وقت لايسعنى فيه غير ربى فنكر الوقت تشريعا لامته قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد بالوقت العمر كله اى لى عمر لايسعنى فيه غير ربى اى خصنى الله بذلك ويؤيده قوله تعالى وما ينطق عن الهوى فليتأمل وهو اى الوقت فى الحديث يشمل الوقت الكثير والقليل بحسب مقام أمته وقد نقل الجلال السيوطى رضى الله تعالى عنه فى كتاب الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بخطاب الحق تبارك وتعالى والخلق معا فى آن واحد لايشغله أحد الخطابين عن الآخر وأما غيره فان خاطب الحق تبارك وتعالى حجب عن الخلق وان خاطب الخلق حجب عن الحق جل وعلا انتهى ولم أر أحدا من أقرانى تخلق بالحذر من ابليس كلما ترقى فى المقامات الا القليل فان أحدهم بمجرد مايصير يقال له ياسيدى الشيخ يظن ان ابليس فارقه ومابقى له عليه سلطنة بل سمعت بعضهم يقول نحن لانعرف ابليس أصلا وماثم الا الله تعالى فقلت له فهل زال

ابليس من الوجود فى مشهدك أم أنت حجبت عنه فقال حجبت عنه فقلت له فاذن هو مسلط عليك وبالجملة فمن دقق النظر وجد ابليس يترقى معه فى كل مقام سلكه من حيث دوام مجالسته له ولا ينقطع بالكلية فبعد أن كان يوسوس له فى فعل المعاصى الظاهرة صار يوسوس له فى المعاصى الباطنة أو الصغيرة فى عينه الخفية عن شهوده ٭ وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول كلما ترقى العارف فى المقام سدج باطنه وقبل عمل الحيلة من ابليس وقد قالوا من كان كثير الانقياد خيف عليه الفساد وقد قالوا ان أكذب الناس الصالحون اى لانهم لايعتقدون ان أحدا يكذب قياسا على أنفسهم فيرون كل ماسمعوه لاسيما ان حلف لهم انسان بالله تعالى (وقد بلغنا) ان عيسى عليه الصلاة والسلام رأى انسانا يسرق فقال له عيسى الا ترد المتاع الى أصحابه فقال والله ياروح الله ماهو أنا الذى سرق قال عيسى عليه الصلاة والسلام فصدقته وكذبت عينى انتهى فقد بان لك ياأخى ان معنى أكذب الناس الصالحون ظنهم ان أحدا لايكذب لانهم يتعمدون الكذب حاشاهم من ذلك فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تكبيرى باخوانى اذا صاحبت أميرا أو كبيرا فلا أزال أمدحهم عنده فى غيبتهم وأحسن اعتقاده فيهم حتى ربما تركنى وصحبهم ثم انى أفرح بتحويل اعتقاد ذلك الامير عنى واعتقاده فيهم وانكاره على أشد من فرحى بالعكس وهذا الخلق عزيز فى الفقراء من أهل العصر ولم أره فاعلا غيرى الا قليلا فما صحبنى قط أمير ولا كبير الا وأرسلته الى غيرى وحسنت اعتقاده فيه ولم يفعل ذلك أحد منهم معى بل بعضهم جرح فى عند من سبقهم لصحبتى وحكى له عنى ماهو أهله فالله يتوب عليه ٭ واعلم ياأخى أن المعين لى على حصول الفرح بتحويل اعتقاد الامراء والاكابر عنى كونى لاأصحبهم قط لعلة دنيوية من احسان أو بر وانما أصحبهم لصالح العباد لاغير فاذا أعرضوا عنى أقبلت بقلبى على عبادة ربى واشتغلت به وحده دون خلقه وان كان صحبتهم الاخرى فيها الخير لكن ثم مقام رفيع ومقام أرفع فعلم ان كل من لم يصحب الاكابر لله تعالى فمن لازمه غالبا قلة التكبير باخوانه عند ذلك الكبير خوفا ان يميل الى غيره ويقطع عنه بره واحسانه ونحو ذلك وفى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها انتهى فمن كان مشهده أن المحسن له هم الخلق تكدر لفراقهم ضرورة ومن كان مشهده ان المحسن له الحق تبارك وتعالى وحده لم يتغير منه شعرة لو أدبر الخلق عنه أجمعون فافهم ياأخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى لتقديم زيارة من يكرهنى وينكر على على زيارة من يحبنى ويعتقدنى وذلك لان القلب مع من يحبنى فى قرار الجنان ومع من يكرهنى فى طبقات النيران فأنا بحمد الله تبارك وتعالى أخاف على نفسى من كراهتها لمن يكرهنى وأخاف على من تمادى على كراهتى من نقص دينه بسبب ذلك فأبادر لزيارته طلبا لتخفيف عداوته وكراهته لى أو كراهتى له ان وقعت وفى ذلك أيضا من رياضة النفس مالا يخفى على عاقل هذا كله فى حق من يكرهنى لعلة أخرى غير الحسد يمكننى عادة ازالتها أما الحاسد فلا يرضيه منى

الا زوال نعمتى وذلك الى الله تبارك وتعالى لا الى فليس فى قدرة العبد ان يرد ما قسمه الله تعالى له بل من الادب عدم ردها وشكره تعالى له عليها فان ردتم الاكابر من ملوك الدنيا سوء أدب معهم فمع الحق جل وعلا أولى وأنا أعلمك يا أخى ميزانا نعرف به من يكرهك حسدا ومن يكرهك لغير ذلك وهو أن كل من رأيته يكرهك ويحط عليك فى مجالس المستهزئين ولا يقدر على تصوير دعوى صحيحة عليك لا عند حكم من الخلق ولا بين يدى الله تبارك وتعالى فى الدار الآخرة فاعلم أنه حسود خاص فلا تتعب نفسك فى زيارته بقصد أنه يحبك فان ذلك لا يكون * وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك أن تقبل رجل عدوك وتتواضع له طلبا لزوال ما عنده من الحسد فانك تذل نفسك فى غير محل وتكبر نفسه بغير حق انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) قصدى بتقديم زيارة عدوى نفعه هو فى دينه بتخفيف عداوته بالاصالة وتركه التنقيص الموجب للاثم لا نفرة نفسى من تنقيصه لى فى المجالس بقطع النظر عن نفعه هو فان الفقراء يحملون أكثر من ذلك كما سيأتى بسطه فى الخاتمة وفيها ان حكم من يريد تغيير الفقير الصادق بكلام يقوله فيه حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ان تزيله من مكانه وأيضا فلو قدر أن الفقير الصادق تأثر من كلام قيل فيه فهو لغرض صحيح كخوفه على الضعفاء من أصحابه وأتباعه أنهم ينفرون عنه فلا ينتفعون بشئ من نصحه لهم وأيضا فانه يعلم انه ربما يأخذه بحقه لا يغيب عنه مثقال ذرة من كلام عدوه فهو راض بذلك ولو كشف للعبد لرأى نفسه وخصمه بين يدى الله تبارك وتعالى وهو يسمع ويرى ما يصنعه بعض عبيده مع بعضهم وقد أرسل لكل منهما ملكين كاتبين حافظين يكتبان ما يلفظ به كل عبد ضبطا لحقهما اذا نسى أحدهما ما فعله الآخر معه ومن آمن بذلك جزما ذهب تكدره من عدوه جملة واعلم يا أخى ان كراهة المسلمين بغير حق تنقص دين الكاره ثم يقل النقص ويكثر بحسب قلة الكراهة وكثرتها فمن أبغض عشر أهل بلده مثلا نقص عشر دينه ومن كره ربعهم نقص ربع دينه وهكذا من نصف وثلاثة أرباع وأكثر وأقل فمن فهم ما ذكرناه لم يكره أحدا من المسلمين بغير حق أبدا صيانة لدينه هو اذ ينقص منه شئ ويحتاج من يريد التخلق بهذا المقام الى مجاهدة طويلة على يد شيخ صادق ليس عنده شحناء ولا كراهة لاحد من أقرانه وهذا أعز من الكبريت الاحمر الآن وقد خبرت كثيرا ممن جلسوا فى صورة مشايخ العصر فلم أجد أحدا منهم يسلم من الشحناء الا القليل كسيدى الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ابراهيم الذاكر واضرابهم نفعنا الله ببركاتهم وكل ذلك من قلة رياضة نفوس المدعين للطريق ومبادرتهم للجلوس للمشيخة قبل خمود نار بشريتهم وزوال رعوناتها (وقد أدركت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى لا يأذن لاحد فى الجلوس للمشيخة الا بعد الاذن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صريحا بقوله له ائذن لفلان يبرز للخلق وينفع الناس فلما مات رضى الله تعالى عنه صارت مصر كأنها مدينة بطيخ خربت واطلقت فيها البهائم فالعاقل من نصح نفسه وأخذ الطريق عن أهلها ولم يجلس الا بعد اذنهم له ولا أعلم الآن من جلس فى مصر باذن من شيخه الا القليل ولذلك كثرت عداوتهم لابناء الطريقة فتجد أحدهم يكره صاحبه كما يكره الفجار الابرار ولا سيما ان كانوا فى حارة واحدة

حتى انى رأيت كثيرا منهم يموتون فلا يحضر أحد من أقرانهم جنازته ولو أن هؤلاء كانوا فطموا على يد شيخ عن رعونات نفوسهم لاحبوا كل من أطاع الله وكرهوا كل من عصاه برحمة وشفقة شرعيتين كما يظهر الوالد والوالدة لولدهما الصغير الغضب والانفة بالفعل والقول وقلبهما يرحمه وبالجملة فاذا رأيت فقيرا يدعى الكمال وهو يكره فقيرا كذلك ويدعى الكمال فكلاهما كذاب على الطريق أو أحدهما فى نفس الامر وقد كنت أسمع الناس وأنا صغير يقولون لو لم يكن فى اتباع طريق الفقراء من الخير الا قول أحدهم اذا سئل عن أخيه حال غضبه عليه ونعم من ذكرت لكان فى ذلك كفاية فى الحث على اتباع طريقهم بخلاف غيرهم فانك اذا سألته عن أحد من اخوانه حال غضبه عليه يقول بئس من ذكرت فصار غالب الفقراء اليوم يقولون عن اخوانهم لمن رأوه عدوهم بئس من ذكرت ويظهر التكدير على وجهه والعبوسة وقد بلغنا أنه كان بين خالد بن الوليد وبين شخص وقفة فلما ذكروا عنده ذلك الشخص بخير أخذ خالد يمدحه فقيل له فى ذلك فقال ان الذى وقع بينى وبينه لم يبلغ الى ديننا * ومما وقع لى ان شخصا جاءنى يطلب منى ان ألقنه فلم أجد عنده همة ففارقنى ولبس له عمامة من صوف وأرخى له عذبة وجمع له جماعة من الشباب والعوام وقال لهم تعالوا خذوا عنى طريق التصوف فقال له بعض الناس من شيخك فقال أخذت من فلان فكذبه أصحاب ذلك الشيخ فادعى أنه تلقن على شيخ آخر فكذبه جماعته فادعى أن سيدى عليا المرصفى لقنه فى المنام وأذن له وذلك كله كذب وتلبيس ثم انه تخلس بمجالس الفقراء القدماء الهجرة فى الطريق حتى صار كأنه واحد منهم فأرسلت له ورقة أرشده فيها الى أحد من أشياخ الطريق يتلمذ له ويأذن له ان رآه أهلا لذلك فلم يفعل فأسأل الله عز وجل أن يتوب علينا وعليه آمين فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى لمن رأيته يبغض أخاه المسلم بغير حق وذلك باقبالى عليه وبشاشتى له وتقديم طعام له ونحو ذلك مما يميل القلوب الى المحبة فاذا مال الى وأحبنى سارقته بذكر الصفات التى تميل خاطره الى عدوه شيئا فشيئا ولا أقول لاحدهما قط لا تعد تأتينى ما دام فلان غضبان عليك فانه يفهم من ذلك العصبية مع عدوه فلا يصير يسمع لنا نصحا لكوننا جعلنا خصماء له فصرنا نحتاج الى شخص ثالث يصلح بيننا لا سيما والفقير اذا شاع اسمه فى الوجود يصير موردة للناس للعدو والصديق كما يرد على الامير العدو والصديق ولا يمكنه ان يرد واحدا منهما ومن شرط الفقير الاقبال ببشاشته على كل وارد عليه بطريقه الشرعى قياما بواجب حقه وقلبه فارغ من العصبية لاحد الاخصام * ولما قام أهل مصر على ناظر النظار فى سنة تسع وخمسين وتسعمائة بسبب ابطال نظار المساجد كلها صار أهل مصر فرقتين فرقة معه وفرقة عليه وصار كل من الفريقين يرد على فكنت أحبب كل فريق من الفريقين فى الآخر من وراء صاحبه وأنهاه عن فعل شئ يضر عدوه وكان الوزير على باشا مساعد الاهل مصر فجاءنى ناظر النظار يأخذ خاطرى فخطبت عليه وأعلمته بوجوب طاعة ولى الامر عليه فى المعروف وأنه لا يخونه بالغيب فبلغ بعض الحسدة مجئ ناظر النظار الى فطلع للباشا وقال ان ناظر النظار زار فلانا وأكرمه بقصد تغيير خاطر الباشا على فقال له الباشا فاسمعته

يقول له قال لم أعرف ماذا قال له فزجره ولم يصغ الى قوله فكتبت ورقة للباشا خشية على دينه أن ينقص بسببي من مضمونها أنا الذي طلبت الاجتماع بناظر النظار لاعلمه طريق الادب معكم وأخبره بوجوب طاعتكم وتحريم مخالفتكم فرضي بذلك وقال ذلك هو ظني بالفقراء فلما مرض وزرته في القلعة لم أر عنده شيأ من تغيير الخاطر فاياك يا أخي ان تظن بفقير أنه يتعصب بالباطل مع أحد الخصمين كما يفعل أبناء الدنيا فان ذلك ظن كاذب فان الفقراء لا يعيشون بين الناس الا بالمسامحة فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تقديم نفسي على أحد من اخواني في شيء من الامور التي فيها رياسة الا بسؤالهم لي في ذلك بطيبة نفس او لمصلحة أراها ترجح على مصلحة عدم التقديم فلا أفتح مجلس ذكر الا ان سألوني كلهم في ذلك بشرط أن لا يكون هنالك أحد من الاشراف ولا أحد أكبر مني سنا فان كان هنالك من هو أسن مني أو شريف ولو صغيرا قدمته علي ولو سألوني في ذلك أدبا مع من هو أسن مني ومن هو أشرف مني ثم اذا افتتحت المجلس بالشرط المذكور أقصد بذلك المبادرة الى تعجيل سماع الناس ذكر الله تبارك وتعالى محبة في الله تعالى لا لعلة أخرى من ثواب أو غيره وهذا خلق ما رأيت له في عصري فاعلا الا القليل بل رأيتهم يتخاصمون على البداءة بالذكر وبعضهم رأيته يستخدم الشريف ويجعله سجادته لفرشها له وهذا كله جهل بالمراتب وسيأتي بسط ذلك في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكثيرا ما يتنازع عندي اثنان فأكثر فأسألهما أن يفتتحا قبلي فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) أني لا أرى لي ملكا مع الله تبارك وتعالى في شيء أعطانيه بل أقبله من الله تبارك وتعالى ثم اخرج عنه فورا الى المالك الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى وانما كنت أقبله أولا ولا أرده أدبا مع الله تعالى فانه تبارك وتعالى ما خلق كل ما في الوجود الا لعباده لغناه تبارك وتعالى عن العالمين فانا أقبله منه وأبقيه بقدر ما أتحقق بقبوله لاشكره تبارك وتعالى عليه الذي استخلفني فيه ولولا نسبة ذلك العطاء لي لما صح لاحد شكر على نعمة طعام ولا شراب ولا غيرهما وانما كان يشكر على نعمة الايجاد والامداد فقط كالملائكة اذ لم يرد لنا أنهم يحتاجون الى شيء من المطاعم والمشارب والمراكب والمناكح والدور وغير ذلك مما هو خاص بنا وايضاح ما قلناه ان حقيقة العطاء ان ينتقل ذلك من ملك المعطي اسم فاعل الى ملك المعطى اسم مفعول وهذا لا يصح في حقنا مع الباري جل وعلا فان العبد وما يدخل في يده لسيده باجماع ولا يصح ان يتوارد ملك الحق عز وجل والعبد على عين واحدة بحقيقة واحدة لان الله تبارك وتعالى مالك حقيق والعبد مالك مجازا من حيث الحدود المتعلقة بالخلق لا المتعلقة بالله جل وعلا فغاية ملك العبد انه مستخلف فيما بيده يصرف منه بالمعروف على عباد الله من نفسه وغيره لا غير كالوكيل المحض وعبارة المنهاج في مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه تأليف الامام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ولا يملك العبد بتمليك سيده في الاظهر (فان قيل) فاذا كان العبد لا يملك شيأ فمن أين جاء تحريم غصب ماله (فالجواب) ان تحريم الغصب ما جاءنا من جهة

ملك

ملك العبد مع الله تعالى وانما هو من جهة تمليك الحق جل وعلا له ذلك على وجه الاستخلاف دون غيره من العبيد كما مرت الاشارة اليه فلما تعدى الغاصب وأخذ ما لم يستخلفه الحق تبارك وتعالى فيه بما استخلف فيه غيره عوقب بسبب ذلك وكان لسان الحق جل وعلا يقول من أخذ من أحد شيأ بغير طريق شرعي عذبته فالعذاب من حيث أخذه ذلك بغير طريق شرعي لا من حيث ملك العبد مع الله تبارك وتعالى فافهم هذا ما علل به القوم وهو اختلاف في العلة لا في الحكم فان القوم أجمعوا على تحريم الغصب وان كانوا يرون ان العبد لا يملك مع الله شيأ وأنه يستحق العقوبة التي توعد الله الغاصب عليها فقد اتفق القوم مع العلماء على تحريم الغصب وعلى استحقاق صاحبه العقوبة واختلافهم في العلة لا يقدح في الحكم ويؤيد ما قررناه من عدم ملك العبد وأنه لا يشترط في تحريم الغصب لشيء ملك صاحبه له حقيقة ما قاله علماؤنا من تحريم غصب الاختصاصات كالزبل مع أنها لا تملك ثم لا يخفى عليك يا أخي ان مقام شهود العبد ذوقا أنه لا يملك مع الله سبحانه وتعالى شيأ مقام يذوقه المريد أول دخوله في طريق القوم فليس هو بمقام عزيز كما يظنه من لم يسلك الطريق فيقول عن مثل ذلك هذا مقام الخواص ولو أنه دخل طريق القوم لعرف ان المريد يذوقه من أول قدم يضعه في الطريق كما مر ايضاحه في الباب الاول فلا يزال يذكر الله تبارك وتعالى حتى ينجلي باطنه فيشهد ان الملك لله عز وجل والفعل لله تعالى والوجود الحق لله ومحك الصدق في حق من ادعى هذا المقام ذوقا أنه لو كان عنده ألف دينار واحمال من الثياب والامتعة فسرقت من داره لم يتغير منه شعرة لاجل زوال ملكه عنه وانما يتأثر لنقص دين الآخذ لذلك بل يرى ان عبيد الله تعالى أخذوا ما يحتاجون اليه من مال سيدهم دون مال عبده وترجح في اعتقاده شمول مغفرته تعالى للآخذ فلا يتأثر على ما مر تقريره وكذلك من محك صدقه في دعواه انه لا فاعل الا الله تبارك وتعالى أنه لو ضرب به انسان بسيف لم يتغير على ذلك الضارب الا من حيث ما ذكرنا فمن ذاق ما ذكرناه فهو الذي يحسن منه أن يقول لا ملك ولا فعل الا لله تعالى ذوقا وشهودا ولا ينسب ذلك الى الخلق الا بقدر نسبة التكليف اليهم فقط فعلم انه متى تكدر ممن أخذ ماله أو ضربه فتوحيده الملك والفعل لله تبارك وتعالى علم لا ذوق * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول جميع ما بيد العارفين من أمور الدنيا مما أضيف اليهم ملكه حكمه في الاضافة حكم باب الدار وبرذعة الدابة على حد سواء فان كانت الدار تملك الباب أو الدابة تملك البرذعة فكذلك العبد مع الله تبارك وتعالى فما شكر العارفون ربهم على ما أعطاهم الا من حيث تمكينهم من الانتفاع به على الوجه الشرعي لا من حيث ملكهم لذلك نظير ما قررناه آنفا من وجه تحريم الغصب عند القوم هكذا حكم العارفين في جميع ما يعطيه الله عز وجل لهم في الدنيا والآخرة وقد تحققنا بذلك ولله الحمد فلست أرى لي ملكا مع الله تبارك وتعالى في الدارين انما أرى نفسي عبدا غارقا في احسان سيدي آكل والبس وانكح وأنفق من مال سيدي فسواء أعطاني شيأ أو منعني فهو عندي سواء لعدم شهودي الملك معه ما عدا نسبة العطاء اي لاجل الشكر عليه فقط كما مر تقريره * ومما وقع لي أوائل دخولي في الطريق ان شخصا القيني في سوق خان الخليلي لا أعرفه فقبض على طوقي وصار يصكني في عنقي ويقول هذا أفسد امر أخي فلا زال يسحبني

حتى قربت من عطفة الجامع الازهر فنظر فى وجهى وقال أنا غلطت فيك وأقول أستغفر الله
فى حقك ولم يتغير منى عليه شعرة واحدة بل كنت مسرور النظر الى خالق تلك الحركة التى صكنى
بها والقول الذى قاله فعلمت أنى تحققت بتوحيد الفعل لله تعالى ذوقا * وكذلك وقع لى انى
ألزمت باحضار الامير محيى الدين بن أبى أصبع لما استخفى من السلطان أحمد فمسكنى أعوان
الوالى ومدونى للتوسيط بحضرة الوالى فلم يتغير منى شعرة بل صرت أتبسم حتى تعجب الوالى
وقال أطلقوه ثم استغفر فى حقى ثم تحول غضب السلطان على ذلك الوالى فمسك وعوقب فى
البرج ومات بعد ثلاثة أيام انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى
هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) خفض جناحى لفسقة المسلمين كالحشاشين والمقامرين
والظلمة ولا أحتقر فى نفسى أحدا منهم الا من حيث ذلك الفعل المذموم حين التلبس به فقط فاذا
نزع منه وتوضأ وصلى مثلا حملته على انه تاب منه وندم ودليل ذلك قوله تعالى فان تابوا وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * وقد رأيت سيدى الشيخ أبا السعود الجارحى رضى
الله تعالى عنه يتواضع لحشاش فقلت له فى ذلك فقال ربما كان أحسن حالا منى وأصفى قلبا
وأخشع لله منى انتهى * وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى أن
يتواضع للفسقة الا الدعاة الى الله تعالى من العلماء العاملين لأمنهم على أنفسهم من الفتنة
بمخالطتهم بخلاف العامة لانهم ربما مالوا الى محبة أهل المعاصى ووقعوا فيما وقعوا فيه انتهى
فعلم انه لا لوم على الدعاة الى الله تعالى من العلماء العاملين فى تليينهم الكلام للفسقة بقصد
صحيح كأن يقصدوا بذلك تميل قلوبهم الى محبتهم حتى يصغوا لنصحهم فان التكبر على الفسقة
واظهار احتقارهم مما ينفر قلوبهم وتأمل يا أخى الصياد اذا اصطاد سمكة كبيرة وخاف على
خيطه أن ينقطع كيف يخادعها ويرخى لها الخيط حتى تتعب ثم يسحبها مسارقة شيأ فشيأ حتى
تدخل تحت يده ويقبض عليها وكذلك العصاة فانهم مارقون من طريق الاستقامة وقد ضرب
بينهم وبين محبة المأمورات الشرعية بسور فلا يجدون لفعلها طعما بخلاف المعاصى فان
نفوسهم كادت تطبع على محبتها فكأن أهل المعاصى صاروا أعداء لاهل الطاعات * وقد
رأيت مرة فقيها رأى شخصا فى الحمام قد كشف عن فخذيه فحركه برجله على وجه الازدراء
والاحتقار وقال غط فخذك يا قليل الدين فتحركت نفس ذلك الشخص ونزع المئزر من وسطه
ورماه وقال ما عدت أجلس الا عريانا نكاية فيك يا فقيه ولو ان الفقيه كان قال له بشفقة ورحمة
وعدم احتقار يا أخى أنت من ذوى المروآت ولا يعرف كل أحد عذرك فى كشف فخذك وقد
غرت عليك ان أحدا يرى فخذك مكشوفة ممن يكرهك فيزدريك ونحو ذلك لربما قال له جزاك الله
عنى خيرا وغطى فخذه وقد قال المحققون من شرط الداعى الى طريق الله تبارك وتعالى معرفته
بطرق السياسة قبل الدعاء ليدعو كل انسان من الطريق التى يسهل عليه انقياده له منها فيمهد
الطريق للمدعو اولا ولو بارسال هدية اليه أو كسوة أو باطعامه الفاكهة أو الكنافة المجمرة
المبسوسة بالقطر ونحو ذلك مما يميل نفس ذلك المدعو الى محبة الناصح فاذا مال اليه بالمحبة
فحينئذ يسارقه باعلامه بما فى تلك الكتبة من غضب الله تبارك وتعالى ومقته وتعسير الوصول الى

رزقه وعدم حفظه من الآفات حتى ان صاحب الكتبة يبادر الى سماع النصح والعمل به
لما يرى لنفسه فى ذلك من الحظ والمصلحة فى الدنيا والآخرة قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة قال بعض العارفين الحكمة هنا هى غنى
الداعى عن الحاجة الى المدعوين فلا يحتاج اليهم فى مطعم ولا ملبس ولا غير ذلك لئلا يذل لهم
لعلة دنيوية فتذهب حرمته ولا يؤثر كلامه فى قلب أحد من العصاة اذ هو حينئذ معدود من جملة
عيال المدعو والعائلة تحت حكم من يعولها شاءت أم أبت قال وأما الموعظة الحسنة فالمراد
بها تليين القول للمدعو وبيان ماله فى ترك تلك الكتبة من المصالح وما ينصرف عنه اذا تركها
من العقوبات والمضار كما تقدم وهذا باب قد أغفله غالب الناس فترى أحدهم يحتقر الظالم
ويذمه فى المجالس أو يقبل بره واحسانه ثم يريد ان يمتثل أمره اذا وعظه وذلك غلط لانه اذا ذمه
نفر منه واذا قبل بره سقطت هيبته من قلبه لاسيما ان صار يمدح ذلك الظالم على احسانه اليه
ويقول والله ما كنا محتاجين لما أرسله الينا فلان ونحو ذلك * وقد كان الجنيد رضى الله تعالى عنه
يقول لا ينبغى للشيخ أن يأكل من طعام مريده أول صحبته لئلا يهون فى عينه بل يرد كل ما أهداه
اليه ببشاشة وتبسم ويقول له اعطه لمن هو أحوج اليه منا فاننا ما صحبناك يا ولدى لمثل ذلك
فيوهمه الغنى عنه مع عدم تنفيره انتهى * وقد بلغنا ان داود عليه الصلاة والسلام كان ينفر من
مجالسة عصاة بنى اسرائيل غيرة لله تبارك وتعالى فأوحى الله تبارك وتعالى اليه يا داود المستقيم
لا يحتاج اليك والاعوج قد أنفت نفسك عن مجالسته وتقويم عوجه فلماذا أرسلت فتنبه
داود لامر كان عنه غافلا وامتثل أمر الله تبارك وتعالى وصار يجالس عصاة بنى اسرائيل
ويحسن اليهم ويتحفهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة فانقادوا له كلهم الا من حقت
عليه كلمة العذاب وعلم مما قررناه ان محل قولهم يحرم ايناس العصاة ومجالستهم ما اذا لم يكن
ذلك لغرض شرعى فافهم وقد تقدم أوائل الباب ان من شرط الفقير ان يتواضع لاخوانه
المسلمين ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الارض من حيث جهله بالخاتمة فمثل هذا يأمر
العصاة وينهاهم ويرى نفسه مع ذلك دونهم فى التقوى وانه أكثر معصية لله تبارك وتعالى
منهم من حيث عظمة الذنب فى عينه أو من حيث كثرة عدد ما يعلمه من نفسه بالنسبة لما يعلمه
من غيره وسيأتى فى هذا الكتاب ان عطاء السلمى رضى الله تعالى عنه كان يستخدم فى بيته
المخنثين واذا لاموه فى ذلك يقول والله لهم أحسن حالا منى عند نفسى انتهى وفى شرح
شعب الايمان للقصرى لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الارضين السفليات
التى ما بعدها الا ما لا يعقل انتهى وقد طلبت أنا مرة الدعاء من شخص رأيته مرث الثياب
كاصحاب الكتب فعرق جبينه من الخجل والحياء فسألت عنه فقيل لى انه صاحب كتبة لا يرى
نفسه أهلا لان يدعو لاحد ثم انى وجدته بعد أيام وعليه ثياب نظيفة فقال قد أثر فى قولك لى أمس
ادع لى فتبت الى الله تعالى وتركت تلك المعاصى التى كنت مرتكبها انتهى فحال العارفين
فى نفوسهم دائما كحال أعصى العصاة وكثيرا ما أقول فى سجودى اللهم ان حلمك على يرجح على
حلمك على غالب الاولين والآخرين فاجد لذلك حلاوة عظيمة فافهم يا أخى ذلك والله تبارك
وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين.

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة نصحى لجميع اخوانى فلا أتذكر انى لبست على أحد منهم أمرا مذموما ولا سكت عن ذلك الا بطريق شرعى والنكتة فى معونتى على ذلك كونى لا أصحبهم لعلة دنيوية وانما أصحبهم لله تبارك وتعالى وأقدم رضا الله تبارك وتعالى على رضاهم مع تعففى عما بيدهم من الدنيا وأنا أعرف وأتحقق أنى لو صحبتهم لغرض فاسد لربما وقعت فى غشهم والسكوت عن نصحهم خوفا على خاطرهم ان يتكدر منى بل بلغنى ان شخصا خطيبا دعا شخصا الى حضور وليمته فقال بشرط انك تشترى لى برشا آكله فارسل واشترى له ذلك انتهى وهذا خروج عن الشريعة وبالجملة فلو ان أصحابى عملوا بكل ما نصحتهم به لكانوا كلهم علماء عاملين زاهدين هادين مهديين ولكن لم يصح ذلك لداع قبلى ولا بعدى بحكم القبضتين فلا بد فى الوجود من طائع وعاص على الدوام مادام سلطان الشريعة قائما وذلك ليظهر فضل الله تعالى وحلمه على خلقه ويؤجر الداعى على صبره على من خالفه لانهم لو كانوا كلهم طائعين لفاته أجر الصبر ولو كانوا كلهم عاصين لفاته أجر الشكر ولما غلبت الرحمة على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والشفقة وتمنى أن الناس كلهم يؤمنون به وبما جاء به أوحى الله تبارك وتعالى اليه ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية وقال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية وقال تبارك وتعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم ترددى الى بيوت الحكام الا لضرورة شرعية ترجح على عدم ترددى مما ينفعنى أو ينفع أحدا من المسلمين فعلم انه يشترط النية الصالحة فى التردد وعدمه فربما يترك بعض الناس التردد الى الحكام تكبرا عليهم وذلك من الجهل فان قاضى العسكر والمحتسب أكبر منه عند غالب الناس بيقين ويرفعونه عليه غيبة وحضورا ولو أن الواحد منا قال للناس عظمونى مثل ما تعظمون الحاكم الفلانى لسخروا به ولم يجيبوه فالعاقل من عرف مقامه وسيأتى فى هذه المنن ان بعض العارفين كان يعظم ولاة الامور ويقول هذا أدبنا معهم فى هذه الدار وسوف يعلمنا الله تعالى الادب معهم اذا انتقلنا الى الدار الآخرة انتهى فالله تبارك وتعالى يجعلنا واخواننا ممن تكون حركاتهم وسكناتهم محررة على الشريعة تحرير الذهب آمين اللهم آمين فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تعليمى الادب للامراء اذا اجتمعت بهم عند تعين ذلك على فان الناصح لهم أعز من الكبريت الاحمر وغالب الناس يستحى أن ينصحهم هيبة لهم أو خوفا من شرهم ولعدم اكتراثه بذلك ومن هنا كان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يقول لا تدخلوا على الامراء ولو بقصد نصحهم فان سلامتكم منهم مقدمة على آفة الدخول عليهم انتهى ولما دخلت على الوزير على باشا مصر فى خيمته حين برز للسفر سلخ المحرم سنة احدى وستين وتسعمائة تلقانى من خارج الخيمة وعضدنى من تحت ابطى واجلسنى على فراشه وجلس هو دونى وقال لى مهما يكن لكم من الحوائج فارسلوا النايب بها ورقة فى اصطنبول نقضها لكم فانتا هنالك لاهل مصر أحسن من اقامتنا عندهم لقربنا هنالك من السلطان فقلت له ليس للفقراء

بحمد الله تعالى عند الولاة حاجة ولكن ان كان لكم أنتم حاجة فأعلمونا بها نسأل الله تعالى لكم فيها فاطرق مليا ثم قال استغفر الله أنتم تعلقتم بالحق تعالى ونحن تعلقنا ببعض عبيده فكان الصواب معكم لان الحق تعالى بيده ملكوت كل شئ انتهى فكان فى اعلامى له بأن الفقراء محتاجون الى الله تبارك وتعالى لا الى خلقه وانهم يشفعون فى غيرهم من الملوك والملوك لا تشفع فيهم بيان مقام الفقراء وتعليم الباشا الادب معهم وما رأيت أحدا ممن دخل عليه من الفقراء معهم خاطبه بمثل ذلك ولا بين له مقام الفقراء والادب معهم بل قال لى بعضهم اذا دخلت عليه فاسأله شيأ من الدنيا ولا تردها عليه فيسئ ظنه بالفقراء فلا يعود يعطى أحدا منهم شيأ ويقول ان هؤلاء معهم دنيا انتهى فافهم ذلك يا أخى والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى على شئ فاتنى من الدنيا وتكدرى ممن صدها عنى وذلك لعلمى ويقينى بان كل شئ فاتنى فليس هو برزقى ولا قسم لى فكيف أحزن على شئ لم يقسمه الحق تبارك وتعالى لى أو أتكدر ممن صد ذلك عنى بالوهم وهذا خلق غريب فى هذا الزمان وغالب الناس يحزن ويتكدر ممن سعى فى قطع رزقه أو خروج وظيفته عنه وربما عادى من عارضه فى رزقه الذى كان يتوهم انه له أبدا ما عاش (وقد رأيت) خطيبا كان يخطب فى الجامع الازهر فلما دخل السلطان سليم مصر وصلى فى الجامع الازهر قال الناس لا يخطب اليوم الا فلان لفصاحته ومعرفته بالوعظ المناسب للسلطان ومنعوا صاحب النوبة تلك الجمعة لعجزه عن مثل ذلك فلما خطب رسم له السلطان بخمسين دينارا فقال هذه لى ولم يعط صاحب النوبة منها شيأ فمشيت فى الصلح بينهما فلم أقدر ولم تزل العداوة بينهما الى أن ماتا على العداوة فقلت لصاحب النوبة أين قولك فى الخطبة والله ثم والله ما يعطى ويمنع ويضع ويرفع الا الله تعالى فما درى ما يقول وبالجملة فلا يقع فى مثل ذلك الا جاهل محجوب عن الله تعالى فان كان ولا بد للمؤمن من أن يحزن فليحزن على ساعة مرت به لم يذكر الله تعالى فيها فان ذلك محمود ولو لم يمكن تداركه لما فيه من التعظيم لجناب الله تعالى والحزن على فوات مجالسته تعالى والوقوف بين يديه جل وعلا كما هو شأن كل محب مع محبوبه ومن لم يحزن على فوات مجالسة محبوبه فليس له فى مقام المحبة نصيب (واعلم يا أخى) ان الحزن على ما فات من الطاعات انما هو محمود للعبد ما دام محجوبا يختار خلاف ما يختاره له ربه جل وعلا فاذا رفع عنه الحجاب لم يجد شيأ أقسم له ثم فاته أبدا لان ذلك لا يصح عقلا ولا شرعا (وكان) الشبلى رضى الله تعالى عنه يقول وهو فى بداية أمره اللهم ان عذبتنى بشئ فلا تعذبنى بذل الحجاب فلما كمل حاله صار يقول الحمد لله الذى حجبنى فى الوقت الفلانى عن شهوده فانه تعالى ما حجبنى عنه الا رحمة بى خوفا ان لا أقوم بادب الشهود وتارة يقول انى لا أشتهى رؤية الله عز وجل أبدا فقيل له فى ذلك فقال انزه ذلك الجمال البديع عن رؤية محدث مثلى انتهى ولكل مقام رجال فافهم يا أخى ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى اذا أمسيت أو اصبحت وليس عندى شئ من الدنيا وانقباض خاطرى اذا أصبحت أو أمسيت وعندى دينارا ودرهم عكس ما عليه من

يحب الدنيا وكان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمسى وعنده شئ من الدنيا ولم يجد من يقبله من الفقراء والمساكين لايأوى الى بيته تلك الليلة بل ينام فى المسجد انتهى ولم أزل أنا بحمد الله تبارك وتعالى على هذا الحال الى أن دخلت سنة سبع وخمسين وتسعمائة فاطلعنى الله تبارك وتعالى على ان فى كل انسان ماعدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام جزء يضطرب ويهتم بأمر الرزق لايسكن عن ذلك الاضطراب الا ان كان عنده شئ من الطعام أوشئ من الدنيا يشترى به مايحتاج اليه فى دنياه فمن تلك السنة وأنا أجعل عندى تارة طعاما وتارة نحو المائة نصف ونحو ذلك مما هو دون النصاب (وكان) على هذا المذهب جماعة من السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم منهم سفيان الثورى وسليمان بن يسار وأبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم فكان سفيان رضى الله تعالى عنه يقول الدنيا وان كثرت لاتساوى عند الله تعالى جناح بعوضة وما عسى يصيب الواحد منها حتى يزهد فيه أو يأخذه وكان رضى الله تعالى عنه يقول أحب ان لا أخلى بيتى من الذهب والفضة ليلة واحدة (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول لان اخلف بعدى أربعين ألف دينار مع قلة الاهتمام بامر رزقى أحب الى من ان أموت خالى اليد من الدنيا وأمتعتها وأنا مهتم بأمر رزقى فان ذلك يؤذن بالاتهام للحق جل وعلا (وكان) رضى الله تعالى عنه يكوم الذهب بين يديه يذريه فى الهواء ويقول لولا هذا الذهب لتمندل الناس بنا (وكان) أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه يقول ليس الشأن ان تصف قدميك للعبادة وغيرك يفت لك انما الشأن ان تحرز عندك قوتك ثم تغلق بعد ذلك بابك (قال) رضى الله تعالى عنه وقد غلط فى هذا الامر خلق كثير فتجردوا فى الظاهر عن الدنيا ثم تطلعوا الى مافى أيدى الخلائق ليطعموهم ويكسوهم وينفقوا عليهم فأحرز يا أخى قوتك ثم اغلق بابك فحينئذ لاتبالى بأى داق دق الباب بخلاف ما اذا لم يكن فى بيتك شئ فانك تصير تقول اذا دق داق الباب لعل معه شيئا كله انتهى (ويؤيد) ذلك قول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لاتشاور من ليس فى بيته دقيق أى لان عقله مشتت وتدبيره ناقص انتهى (واعلم) يا أخى ان امساك الدنيا والبيات عليها على اسم غيرنا من المحتاجين لايقدح فى مقام الزهد بخلاف الامساك على اسم العبد نفسه فربما كان ذلك أشح فى الطبيعة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لايخلو المدخر للدنيا من حالين اما ان يكشف له ان ذلك من رزقه أولا يكشف له فان كشف له أن ذلك من رزقه فالادب انفاقه على الناس اذا طلبوه منه فيكسب الثناء الحسن ويحبب نفسه اليهم ثم انه يرجع بعد ذلك اليه بطريق من الطرق فلا يقدر احد منهم يتناول منه ذرة واحدة وبذلك يخرج عن ورطة الادخار بغير حاجة وان كان لم يكشف له انه من رزقه فهو مخير فى ادخاره وعدمه وينتظر بعد ذلك فكل من قسم له فهو له (وبالجملة) فلا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من سلك على يد شيخ وصبر تحت تربيته حتى خلقه بصفات العبودية فيرى انه ليس له مع سيده ملك فى الدارين انما هو عبد استخلفه الحق تبارك وتعالى فى ماله لينفق منه على عباده بالمعروف ويتساوى عنده كون جميع أموال الناس عنده أو عند غيره على حد سواء ولهذا الخلق حلاوة يجدها العبد فى نفسه أشد من حلاوة الامساك عند أهل الدنيا كما يعرف ذلك أهل الله تبارك وتعالى (ولما)

ترك ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه الملك ولاموه على ذلك فقال لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لايكمل العبد فى مقام العبودية حتى لايرى له ملكا مع الله تبارك وتعالى فى الدارين انما هو عبد يأكل من مال سيده ويلبس من مال سيده ويسكن دار سيده وحينئذ يخرج من ورطة الامساك والادخار جملة واحدة ولا يصير يشح فى شئ يسئل فيه الا لغرض شرعى انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به يا أخى والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى للانكار على من رأيته يأخذ مال الولاة الابطريق شرعى سواء كان طعاما أوثيابا أو غير ذلك بل أتربص فى ذلك فربما كان ذلك الشيخ يصرف ما يأخذه من الظلمة للمحاويج كالذى ارتكبته الديون وطلع عليه الحب الافرنجى وهو ذو عيال وكالعميان والعجائز والايتام ونحو ذلك ممن لايقدر على التعفف عن مثل ذلك وكذلك لاننكر عليه اذا رأيناه يأكل من ذلك لانه ما أكله الا عند الضرورة الشرعية بخلاف ما اذا رأيناه يجمع مال الظلمة ولا يعطى منه أحدا من المحتاجين شيأ ويتوسع هو به فى مأكله أو ملبسه أو مؤنته فمثل هذا ننكر عليه من غير رؤية شغوف نفس عليه الاعلى وجه النكر لله تبارك وتعالى فننكر عليه شفقة على دينه ولحمه من النار كما أشار اليه حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ثم بعد انكارنا عليه نتوجه الى الله تبارك وتعالى وندعو له بالمغفرة والمسامحة وارضاء الخصوم الذين جمع ذلك الظالم المال منهم ثم نشكر الله تعالى الذى عافانا من مثل ذلك (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يرد مال الولاة الذى يعطونه له ليفرقه على المحاويج ويقول من جمعه فهو أولى بتفرقته ثم قبله أواخر عمره وصار يفرقه على المحاويج وصار يقول ماثم درهم من شبهة الا وفى الوجود من يستحق الانتفاع به من أصحاب الضرورات كالذى طلع عليه الحب الافرنجى فى الشتاء ولا يقدر على عمل حرفة ولا أحد يتفقده ولا عياله برغيف (وبالجملة) فلا يقدر على ترك الفضول وترك المبادرة الى الانكار بغير علم الا من راض نفسه على يد شيخ حتى صار يثقل عليه النطق بالكلام (وأما من شبع) من الشهوات فالفضول من لازمه لايقدر على ترك كثرة الكلام الحرام فضلا عن الفضول بل سداه ولحمته كثرة كلام فرحم الله من أتى البيوت من أبوابها وقد تقدم فى منة حسن الظن ان الانسان لايقدر على حسن الظن بالناس الا ان نظف باطنه من سائر الرذائل والا فمن لازمها سوء الظن قياسا على مافى نفسه هو وان الانسان مادام يسئ الظن بأحد فهو لم يتطهر من الرذائل فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رضاى عن ربى عز وجل اذا قتر على الرزق كرضاى اذا وسع على لعلمى بأنه أعلم بمصالحى من نفسى ولا ما يفعل معى الا ما سبق به علمه وليس لعبد أن يقول لسيده ردنى عما سبق فى علمك ولو سأل ربه فى ذلك لايجيبه اذ لايمكن تبديل ما قسم وأيضا فانه اذا قتر على الرزق فقد سلك بى طريق أنبيائه وأصفيائه واذا وسع على فقد سلك بى طريق أعدائه فى الغالب فان فى الفقر عدم الغفلة عن الله تبارك وتعالى ورقة الحجاب وفى سعة الرزق كثرة الغفلة عن الله عز وجل وكثافة الحجاب وسيأتى بسط ذلك فى مواضع من هذا الكتاب ان

شاء الله تعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رضاى عنه تبارك وتعالى اذا قدر على معصية كما أرضى عنه تعالى اذا قدر لى طاعته لكن من حيث التقدير لا من حيث الكسب لان المعاصى بريد الكفر ومقدمته وهذا هو معنى قول أهل السنة والجماعة رضى الله تعالى عنهم يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى ومعنى قولهم أيضا نؤمن بالقدر ولا نحتج به (وايضاح ماقلناه) من الرضا ان يعلم العبد ان سيده فعال لما يريد لا يتوقف على غرض عبيده فله ان يستعمله تارة فى تقليب المسك وتارة فى تقليب الزبل فالمسك مثال الطاعات والزبل مثال المعاصى وميزان الشرع فى يد العبد لا يضعها من يده لحظة فما كان من طاعة قال الحمد لله وما كان من معصية قال أستغفر الله (فان قيل) اذا كان فعل العبد خلقا لله تبارك وتعالى فكيف سميتموه زبلا فى حق العاصى (فالجواب) قد قال تبارك وتعالى الله خالق كل شئ فخالق الحسن والقبيح ولكن من الادب أن لا يثنى على الحق تبارك وتعالى الا بما هو حسن فى العرف فلا يقال سبحان خالق القردة والخنازير وان كان ذلك حقا فمثال الطاعات والمعاصى مثال صندوقين محشوين مسكا وكتب على ظاهر أحدهما مسك وعلى ظاهر الآخر زبل فهل ينقلب ما فى باطن ذلك الصندوق من المسك زبلا بكتابة الاسم عليه لا والله لا ينقلب بل هو مسك من حيث انه فعل حكيم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من تأمل فى مقدورات الحق تبارك وتعالى وجدها فى غاية الكمال وعلم ان الحق جل وعلا لم يقدر على عبد معصية الا لحكمة اما اختبار له واما لوقوعه فى عجب باعماله أو تكبره بها على أحد من المسلمين ونحو ذلك فان العبد مادام مستقيما فى أحواله كلها فهو محفوظ من الوقوع فى المعاصى جملة وتأمل يا أخى الانبياء وكمل الاولياء لما كان من شأنهم الاستقامة كيف حماهم الله تعالى من المعاصى جملة اما عصمة واما حفظا بخلاف غيرهم فان الله تبارك وتعالى ينوع عليهم الواردات ليخلصهم من ورطة أمور أخر كما قال تبارك وتعالى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون وفى المثل السائر من لم يجئ بشراب الليمون جاء بحطبه فشراب الليمون هنا هو كناية عن الطاعات وحطبه هو كناية عن المعاصى (وفى كتاب) الحكم لسيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا يعنى بالنظر للاثر فان الله تبارك وتعالى ما وضع التكاليف فى عنق المكلف الا ليذل بها نفسه فلما خالف وتكبر بها مثل ابليس كان أثر المعصية من الذل والانكسار أحسن أثرا من أثر تلك الطاعات التى رأى بها نفسه على الخلق فافهم (ويحتاج) صاحب هذا الخلق الى ميزان دقيق يفرق به بين الحق والباطل ليعطى كل واحد منهما حقه فيستغفر ويندم من حيث كسبه ونفسه ويرضى من حيث كون ذلك من تقدير ربه عليه (وكان) سيدى عبد القادر الدشطوطى رضى الله تعالى عنه يقول مادام العبد بعيدا من حضرة ربه فمن لازمه غالبا كثرة الاعتراض على مقدور الحق تبارك وتعالى فاذا قرب من الحضرة أطلعه الله تبارك وتعالى على ما فى أفعاله من الحكمة فلم يطلب قط تغيير شئ برز فى الكون الا بوجه شرعى حياء من الله تبارك وتعالى (وكان) سيدى

عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه يقول لا يقدح فى كمال الولى منازعته للاقدار الالهية اذ من شأن الكامل أن ينازع أقدار الحق بالحق للحق (وفى رواية) أخرى عنه رضى الله تعالى عنه انه كان يقول كل الرجال اذا ذكر القدر أمسكوا الا أنا فانه فتح لى فيه روزنة فدخلت ونازعت أقدار الحق بالحق للحق فالرجل هو المنازع للقدر بالقدر لا الموافق له انتهى وهو كلام نفيس ومعناه ليس الرجل من يكون راضيا بالمعاصى ويحتج بالقدر انما الرجل من يدافع الاقدار حتى لا تقع ثم ان وقعت كذلك أعطاها حقها من الاستغفار والتوبة والندم والحزن (فعلم) ان كراهة العبد للوقوع فى المعاصى لا تقدح فى رضاه عن الله تبارك وتعالى وتسليمه لأقداره بل هو مطلوب شرعا اذ المعاصى موجبة لسخط الله تعالى على العبد ومن فر من مواطن السخط فهو مأمور بذلك كما أن من رأى حائطا قد مالت للسقوط فليس له أن يقف تحتها ينتظر سقوطها عليه ليموت ومن فعل ذلك فحكمه حكم قاتل نفسه وقد توعده الله تبارك وتعالى بالعذاب لانه تعدى على الحق تعالى فى استجلاب الاذى لبدنه الذى هو بنية الله تبارك وتعالى ولا يهدم البنية الا خالقها وأما العبد فالواجب عليه السعى فى حفظها من سائر الآفات الظاهرة والباطنة فهو ولو علم أن الله تعالى قدر عليه معصية يجب عليه مدافعتها حتى تقع بمحض القدر ويثاب على ذلك كما بسطنا الكلام عليه فى كتاب اليواقيت والجواهر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اعتمادى على شئ من طاعاتى دون الله تبارك وتعالى فان كل من اعتمد على غير الله تبارك وتعالى تخلى عنه فى الآخرة ووالله ثم والله انى لا أنصرف من صلاتى وأنا فى خجل من ربى عز وجل أكثر من خجلى اذا عصيته لسوء ما يقع لى فى صلاتى من شهودى سوء الادب والغفلة عما يليق بتلك الحضرة ولا أتجرأ ان أقول فى سجودى أو فى ركوعى اللهم لك سجدت وبك آمنت أو اللهم لك ركعت الى آخره الا أن أعقبت ذلك بقولى سجودا أو ركوعا أستحق به فى اعتقادى المؤاخذة لولا عفوك وحلمك وشفقتك على فلك الفضل الذى لم تخسف بى الارض ولم تمسخ صورتى انتهى فلو نظر العبد لوجد سداه ولحمته ذنوبا بالنظر لما يستحقه جلال الله عز وجل ومن كان هذا مشهده لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأسا وفى منظومة الشيخ اسمعيل بن المقرى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته وامداداته

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة ✽ اذا عددت تكفيك عن كل زلة
تصلى بلا قلب صلاة بمثلها ✽ يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها ✽ بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

الى آخر ما قاله رضى الله تعالى عنه (فعلم) ان من كان ما ذكرناه مشهده فى طاعاته فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها بل لا يتجرأ ان يطلب ذلك من الله أبدا فحكمه كالمجرم الذى أتوا به بين يدى الوالى بسبب قتل أو عمل زغل أو فجور بامرأة أمير أو نحو ذلك فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى للمقاريض الذين يقرضون فى اعراض الناس بغير حق فاقدم لأحدهم الطعام اذا ورد على وابش له فى وجهه وأباسطه وكثيرا ما أعطيه

ردائى أو قميصى أو شيأ من الدنيا ونحو ذلك مما يحبه فى فاذا أحبنى ومال الى ثم سمعته يذكر أحدا
بسوء قلت له وأنا متبسم يا أخى ما هى عادتك تذكر أحدا بسوء فانه يخجل من ذلك ويستحى ان
يكمل الحكاية فاذا خجل من ذلك واستحى وسكت داويناه بنحو قولنا للحاضرين فلان يلتقى من
غير أخينا ولا يلتقى منه ثم نقول للحاضرين لو كان أصحابنا كلهم مثل صاحبنا هذا كانوا بخير فانه
يعجبنى حاله لكونه رجلا حقانيا لا يداهن أحدا فى حق ويقبل النصح من المحبين ونغالطه فى نفسه
فاذا غالطنا فيما قلناه له قد أحببناك يا أخى فى الله واشهدوا على انه أخى دنيا وأخرى ان شاء الله تعالى
ولكن مقصودى ان نتبايع فى هذا المجلس على ان أحدا منا لا يذكر أحدا قط بسوء ولا يقر على
معصية ولا غيبة فى أحد من المسلمين فلا يسع الحاضرين الا أن يجيبوا الى تلك المبايعة ويدخل
ذلك المقراض فى جملتهم ويبايع فاذا بايع تصرفنا فيه بعد ذلك لاجل الشرط شيأ فشيأ حتى يصير
ان شاء الله تعالى لا يذكر الناس فى مجلسنا الا بخير (وهذا) الخلق قل من يفعله من الناس فانهم
اما أن ينكروا على ذلك المقراض ويعبسوا وجوههم فى وجهه فيخرج مقراضا فيهم كذلك واما
أنهم يشاركونه فى الغيبة فى الناس واما أن يسكتوا على تلك الغيبة ومن أدب مجالس
المؤمنين ان لا يذكر فيها أحد بغيبة ولا يشمت فيه بمصيبة ولا خير فى مجلس يقوم أهله كلهم
متحملين الاوزار (وكان) من حسن سياسة أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله انه كان
اذا علم من أحد أنه يغتاب الناس يقول للحاضرين أول ما يجلس عنده مثل صاحبنا هذا هو
الذى ينبغى للفقير أن يتخذه صاحبا لكونه لا يذكر الناس قط الا بخير فيلجمه فى ذلك المجلس عن
الغيبة حتى يقوم لانه يستحى ان يخيب ظن الناس فيه الخير (وقد) تحزب عليه رضى الله تعالى
عنه مرة جماعة بالباطل وجاؤا معهم بجماعة من الزوالق يريدون سب الشيخ فقال لى ايش قلت
فيمن يلجم لك هؤلاء الزوالق فلا يقدر أحد منهم ان يكلمنى بكلمة قبيحة ويخالفون جميع ما اتفقوا
عليه مع أصحابهم فقلت له وماذا تفعل فقال أقول لهم الحمد لله الذى لم تجيبوا معكم الا جماعة
خيرين ديّنين يستحيون أن يتكلم أحد منهم بين اثنين أو يساعد أحدا على الباطل ولو كان أباه
أو أخاه ولم أسمع منهم فى عمرى الا الكلمة الطيبة فالجموا كلهم عن سيدى الشيخ أفضل الدين
رضى الله تعالى عنه فلم يقدر أحد منهم على النطق بكلمة فى حقه وصار أصحابهم يغمزونهم أن
يسبوه كما وعدوهم فلا يستطيعون بل انقلبوا على الذين جاؤا معهم ثم قال سيدى الشيخ أفضل
الدين رضى الله تعالى عنه ايش قلت فى هذه السياسة فقلت له عظيمة فقال انصرناهم وكففناهم
عن الوقوع فى الاثم بسبب ما كانوا أضمروه لى من السب وصاروا نصرة لى على أصحابهم الذين
جاؤا بهم انتهى (فتعلم) يا أخى هذه السياسة واعمل بها بقصد حماية دين أعدائك عن النقص
واياك ان تعلم أعداءك انك تكرههم فانهم يزدادون فيك عداوة ويتعبون سرك انتهى
ووالله انى لاعرف جماعة من الفقهاء كانوا يكرهوننى فصرت أقول للناس انى أحب فلانا
لدينه وخيره فيبلغه الناس ذلك فتنقل عداوته حتى صار من أصحابى ولو انى كنت قلت انى أكره
فلانا لقلة دينه لكان ازداد عداوة وبغضا واذا أردت يا أخى ان لا تتجرئ عليك السفهاء فلا تجبهم
اذا شتموك ولا تقل قط لاحدهم البعداء عندى مثل النعل أو أقل أو أخس فانهم اذا تأدبوا معك
قالوا لك وكذلك أنت الآخر عندنا لانهم اسفه منك بيقين وأقل حياء (وقد قال) الامام الشافعى

رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته وامداداته

اذا سبنى نذل تزايدت رفعة * وما العيب الا ان وقفت اسابيه

(وقال) رضى الله تعالى عنه وأرضاه لا ينبغى للعالم ان يرد على سفيه قط بالسفه فان كان ولا بد
فليجعل عنده سفيها يسافه عنه السفهاء انتهى فاعلم يا أخى ذلك واحمل على التخلق به ترشد والله
سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم رؤيتى فى نفسى أننى معدود من جملة علماء الزمان
بل لم يزل جهلى مشهودا لى على الدوام ولو أن السلطان رسم لاهل العلم والصلاح فى مصر كل
واحد بألف دينار لا تحدثنى نفسى بأنهم يعطونى من ذلك شيأ (وهذا) الخلق من أكبر نعم الله
تبارك وتعالى على وغالب من يدعيه متفعل فيه فيقول أحدهم نحن لسنا من العلماء واذا فرق
السلطان على العلماء مالا فلم يعطوه شيأ تكدر وتغيظ من الغيظ ففعله هذا يخالف دعواه فليمتحن
الناصح لنفسه نفسه بهذا الميزان فان رآها انشرحت لكل شئ فاتها اعماها وعلى اسم العلماء من
وظائف ونقود فليعلم انه صادق فى شهوده فى نفسه الجهل اذ الجاهل اذا بلغه أن السلطان رسم
بمال للعلماء لا تحدثه نفسه قط بأنهم يعطونه من ذلك شيأ وكذلك صاحب هذا المقام كما مر (وقد
رأيت) من يدعى الجهل من طلبة العلم قد كتبوا اسمه فى ديوان صدقات السلطان فجاء واحد
وقال للكاتب امح اسم فلان فانه متورع ولا يأكل قط من مال السلطان فمحا اسمه فلا تسأل
يا أخى ما حصل لذلك الواحد فصار يقول له أنا عظمتك ووصفتك بالورع حماية لك من الشبهات
فيقول له أنا قلت لك انى ورع ولم يزل معاديا له حتى مات (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله
تعالى يقول من نظر فى علوم السلف الصالح حكم على نفسه بالجهل ولم يحدث نفسه قط بانه من
العلماء انتهى (وقد نقل) ابن السبكى رحمه الله تعالى ان كتب خزانة المدرسة النظامية حرقت
فى زمان حياة نظام الملك فشق عليه ذلك فقالوا له لا تخف فان ابن الحداد يملى على الكتاب جميع
ما حرق من حفظه فأرسلوا خلفه فأملى جميع ما حرق فى مدة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث
وفقه وأصول ونحو ذلك (ونقل) أصحاب الطبقات ان ابن شاهين الحافظ صنف ثلثمائة وثلاثين
مؤلفا (منها) تفسيره للقرآن فى ألف مجلد (ومنها) المسند فى ألف وستمائة مجلد وذكروا انه
حاسب الحبار فى استجراره منه الحبر للكتابة أواخر عمره فبلغ ألف رطل وثمانمائة رطل (وحكى)
بعضهم ان الشيخ عبد الغفار القوصى صنف فى مذهب الشافعى بالخيم ألف مجلد (وحكى) الجلال
السيوطى رحمه الله تعالى ان الشيخ أبا الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه ألف تفسيرا استمائة
مجلد قال وهو فى خزانة النظامية ببغداد (وحكى) أيضا رضى الله تعالى عنه عن محمد بن جرير
الطبرى الذى ادعى الاجتهاد المطلق بعد الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه انه كان
يحفظ من العلم وقر ثمانين بعيرا (وحكى) الشيخ تقى الدين السبكى رضى الله تعالى عنه أن محمد بن
الانبارى رضى الله تعالى عنه كان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة (وحكى) أيضا رضى الله
تعالى عنه ان الامام الواحدى رضى الله تعالى عنه كان يحفظ من كتب العلم وقر مائة وعشرين
بعيرا (قال) رضى الله تعالى عنه ومن الغريب ان محمد بن سينا لامه انسان على عدم حفظه
للقرآن فحفظه كله فى ليلة ولم يكن سبق له قبل ذلك حفظ سورة منه غير الفاتحة وقل هو الله أحد

والمعوذتين وكان لا يسمع شيأ الا حفظه من أول مرة وكذلك الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فكان يقول ما سمعت شيأ قط ونسيته بعد ذلك (وروينا) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه انه كان يقول لو شئت لاوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء (وكان) الليث بن سعد الامام رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول لو كتبت ما في صدري ما وسعه مركب انتهى (فانظر يا أخي) الى علمك مع هذه العلوم التي أوتيها غيرك من العلماء الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم تجده لا يجيء قطرة من البحر المحيط وهناك تحكم على نفسك بالجهل (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول من أراد أن يعرف مرتبته في العلم فليرد كل قول علمه الى قائله وينظر في نفسه فما بقي معه بعد ذلك فهو علمه الذي يبعث عليه يوم القيامة ويثيبه الله عليه ويأجره وما زاد على ذلك فله ثواب حمله لا غير (وسمعته) رضي الله تعالى عنه مرة أخرى يقول لا يبلغ العبد مقام الكمال الا ان صارت مذاهب المجتهدين نصب عينيه (وكان) سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يقدر على استخراج جميع أحكام القرآن من أي حرف شاء من حروف الهجاء انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) نفرة طبعي ممن يمدحني في المجالس بنظم أو نثر من حيث خوفي من رؤية نفسي لذلك فأهلك مع الهالكين ثم اني بعد ذلك أشكر الله تعالى الذي أطلق بعض الالسنة بمدحي مع أني لا أستحق ذلك ثم بعد ذلك ايضا أفتش نفسي فربما كان حب المدح كامنا فيها فيورثها المدح بعض زهو وعجب فيجب على الفقير مراعاة ذلك على ان المادح غالبا لا يخلو من مجازفة وكذب ومثال من يفرح بما قاله الشعراء كذبا مثال من سمع شخصا يقول عنه ما رأيت رائحة أطيب من رائحة غائط فلان اذا دخل الخلاء فيفرح بذلك مع علمه بنتنه فهو الى السخرية به أقرب (وكان) الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول من مدحك بما ليس فيك فقد يذمك بما ليس فيك أي فكما أنه لم يتورع في المدح فكذلك لا يتورع في الذم وأيضا فان غالب الحاضرين لمدحك قد يعرفون من عيوبك ما يصدهم عن قبول المدح فيك اما ظنا واما حقيقة (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت نفسك على قدم الاستقامة ثم مدحك انسان فهو تنبيه لك على نقصك ففتش نفسك وتعرف من الله تبارك وتعالى سبب مدح الناس لك فربما علم تعالى من نفسك حب المدح لها على عبادتها مثلا فاعطاك ذلك وجعله حظك منه سبحانه وتعالى كما يفرح الوالد الطفل بالجلاجل والشخاشيخ انتهى (وكان) أخي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه يقول اذا مدحك انسان فقل لنفسك لولا أن الله تبارك وتعالى علم منك عدم الاخلاص وعدم الاكتفاء بعلمه وحده لاخفاك كما أخفى عباده المخلصين ولم يبعث لك من يمدحك اذ لا يحتاج الى الترغيب في الطاعات الا من كان يعبد الله على حرف (وأما) مدح الله تبارك وتعالى للانبياء عليهم الصلاة والسلام فانما هو ليعلمنا الله تعالى بعلو مقامهم وصدقهم لنقبل منهم كل ما جاؤنا به من الهدى من غير توقف لا لترغيبهم في الطاعة خوفا ان يخلوا بها كغيرهم فان ذلك لا يحتاج اليه الانبياء عليهم

الصلاة والسلام لعصمتهم (وكان) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يزجر من يمدحه أشد الزجر غيرة لجناب الله عز وجل ان يشركه في صورة المدح أحد مع أنه كان مشهده ان جميع الصفات التي يمدح بها انما هي بالاصالة للحق تبارك وتعالى فكان يحب أن يتميز بالنقص المطلق وليتميز الحق جل وعلا بالكمال المطلق وان كان لم يزل متميزا كذلك (وكان) رضي الله عنه يقول ليس في حل من يمدحني في غيبتي أو حضوري فان مثلي لو نطقت كل ذرة من جميع الكائنات بهجوه لكان ذلك قليلا انتهى (وهذا) المقام أعلى مما ذكره الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه في حكمه بقوله العارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق والعباد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم ذلك من الخلق انتهى فان الكامل هو من ينظر بالعينين أو العيون لا بعين واحدة فينظر ان ذلك من الحق بأحد العينين فيشكره على ذلك وينظر ان ذلك من الخلق بالعين الاخرى فيخاف ويستغفر فقد يكون ذلك استدراجا وقد تحققت بهاتين العينين ولله الحمد (وكان) أخي سيدي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه يقول من ادعى انه وصل الى مقام لا يؤثر فيه مدح الناس له فليمتحن نفسه بما لو ذموه ونقصوه وكفروه فان كان يتأثر من ذلك فهو يحب المدح انتهى وهذه ميزان تطيش على الذر فزجر المادح أو منعه بسياسة أولى حتى لا يعود لمثل ذلك (وكان) سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله تعالى عنه يقول لا ينبغي للعبد أن يفرح بما آتاه الله تعالى من العلوم والمعارف والجاه الا بعد مجاوزة الصراط وماذا ينفع المدح لمن يسقط يوم القيامة من الصراط في النار انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك عنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) موافقتي على مدح من يكرهني اذا سمعت أحدا يمدحه أو يذكره بخير فاظهر البشاشة وطلاقة الوجه حتى لا يكاد يلحقني أحد الى متعمل بذلك وفي ذلك من حسن السياسة ما لا يخفى على عارف (وفيه) أيضا سد باب الغيبة والنميمة فيّ وفيمن يكرهني فربما اني اذا لم أظهر البشاشة لمدح من يكرهني وانقبضت فهم الناس عداوتي وينفتح للناس باب الغيبة ونقل الكلام بالفساد بيننا وبينه وتكبر الفتنة وتشتد العداوة فيحتاج من يخالط الناس في هذا الزمان الى عقل وافر وسياسة عظيمة والاقال العدو ما شاء من النقائص بخلاف ما اذا قالوا له ان فلانا ظهر لنا منه الفرح والسرور لما مدحناك عنده وتحققنا انه يحبك وجميع ما يبلغك عنه من ضد ذلك انما هو رمي فتن من الناقل وأكثر الناس اليوم لا يكادون يذكرون عن بعضهم ما يؤلف قلوبهم أبدا انما يذكرون ما ينفرهم عن بعضهم ويتفرجون عليهم حتى لا يكاد أحد الشخصين يخالط أخاه ساعة بل سمعت بعضهم يقول اللهم ان أدخلتني الجنة فلا تجعلني جارا لفلان (وقد رأيت) شخصين من المدرسين بينهما وقفة لجمعتهما دعوة لعرس فأول ما دخل أحدهما ورأى عدوه هناك شرع في الرجوع وشرع الجالس في الخروج فعجز الناس أن يجلسوا أحدهما مع جلوس الآخر فلم يقدروا فخرج الجالس ودخل الخارج فتكدر الوقت على جميع العلماء الحاضرين وعلى كل من كان حاضرا وصار الناس يقولون اذا كان هذا فعل العلماء في بعضهم فما بقينا نعتب على الظلمة والعوام وحصل

لصاحب الوليمة كذلك غاية التكدير واذا كان العلم لا يهذب حامله فكيف يتهذب به غيره انتهى (فينبغي) لمن حضر وليمة وكان هناك من يتأذى بمجالسته أن لا يدخل لئلا يقع له كما وقع لمن قدمنا ذكرهما من التعزير أو يصبر حتى ينفض الناس وانه اذا لم يوافق على سماع مدح عدوه فأقل أحواله السكوت (وقد حضرت) مع أخي سيدي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه وليمة وهناك شخص من أشد المنكرين عليه فقام المادح يمدح ذلك المنكر فخلع أخي سيدي أفضل الدين رضي الله تعالى عنه وأرضاه عليه جبته ونقطه بالفضة فزال انكار ذلك الشخص على يدي سيدي أفضل الدين وقام وقبل رأسه وكان الكراهة التي كانت عنده لم تكن وهذا من حسن السياسة (وسمعته) رضي الله تعالى عنه مرة يقول ينبغي للفقير اذا كان في مجلس وهناك من يحط عليه أو يكرهه أن يذكره بخير للحاضرين من ورائه فانه أقوى في تخفيف العداوة من مدحه في وجهه وأكمل في رياضة النفس وكذلك ينبغي له أن يقوم له اذا قام بقصد ازالة المانع بينه وبينه ويؤجر على ذلك ان شاء الله تعالى (وهذا) خلق لا يشم رائحته الا من سلك على يد الاشياخ حتى فطموه عن جميع الرعونات البشرية أو من جذبه الحق تبارك وتعالى الى حضرته بغير واسطة أحد من الاشياخ فلم يلتفت الى مراعاة أحد من الخلق الا ان اذن الله تبارك وتعالى والا فمن لا زمه غالبا مراعاتهم رياء ونفاقا فيعاملونه كذلك رياء ونفاقا ولا يحصل بذلك تخفيف عداوة (وقد دخلت) بحمد الله تعالى الى مقام صرت أكرم فيه جميع المسلمين وأجلهم وأعظمهم من حيث كونهم عبيد الله عز وجل لا لعلة أخرى وصرت أسعى في التأليف بينهم بكل ما يمكنني وربما أتاني النمام بكلام قبيح عن بعض أعدائه فأقابله بكلام حسن وأبلغه له فيتعجب ويقول أنت صادق فيما تقول ولكني أعرف منه سابقا خلاف هذا ولكن القدرة صالحة (ومما وقع لي) أن شخصا من الحسدة صار يذكرني بالسوء في المجالس فصار الناس يقولون لي ان فلانا يقول في عرضك كذا وكذا فأقول لهم أنا عاهدت الله تعالى أن لا أقبل نميمة من أحد وقد فارقته على صفاء وصلح ولم أجتمع به بعد ذلك فلا أصدق فيه قولا الا ان سمعته منه باذني فانقطع الناس عن نقل الكلام الي عنه وأنا أعلم اني لو صدقتهم وقابلته بالسوء لنقلوا اليه كذلك ما يسمعونه مني فان من نم لك نم عليك ومن نقل اليك نقل عنك (ولهذا) الخلق حلاوة يجدها الانسان في نفسه أشد من حلاوة العسل فافهم يا أخي ذلك ترشد واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم المبادرة الى الانكار على من رأيته يسعى على وظائف اخوانه في هذا الزمان بل أتربص وانظر في أمره فربما كانت تلك الوظيفة تحت يد من لا يستحقها شرعا لفقد شروط الواقف أو غير ذلك ثم اذا تبين لنا بعد ذلك انه أخذها من أخيه بغير حق كان لبس على الناظر حتى جوزه في تقريره فعند ذلك ننكر عليه أشد الانكار وأحسن ما يقول الواحد منا اذا رأى طالب علم سعى على وظيفة أخيه أو سمع عالما ينكر على عالم شيأ لم تصرح الشريعة بحكمه اعلم يا أخي ان فلانا اعلم مني وربما يكون أعلم منك بالشريعة فلولا ان له شبهة حق في مثل ذلك لما فعله على ان هؤلاء المنكرين لا ينكرون على ذلك الذي سعى غالبا الا من ورائه ولا أحد يبلغه في الغالب وذلك معدود من الغيبة لا من النصيحة فليتنبه الانسان

لمثل ذلك (وقد بلغ) سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه ان شخصا يسعى على وظائف الناس ثم ينزل عنها لقوم آخرين بفلوس فأرسل وراءه وزجره أشد الزجر وخوفه من سوء الخاتمة بمقتضى الايذاء وحب الدنيا وتحول عنه بالقلب فتاب الى الله تبارك وتعالى ورجع (وبالجملة) فكل من ذاق ضيق العيش في الدنيا أقام لمن يسعى فيها الاعذار وصار لا ينكر على الناس الا ما خالف صريح السنة المحمدية أو كلام أئمتها رضي الله تعالى عنهم (وقد كان) طلبة العلم في الزمان الماضي لهم صدقات وخيرات وهدايات تأتيهم من التجار والاكابر بغير سؤال ويقولون لاحدهم اشتغل بالعلم ونحن نكفيك ما تحتاج اليه من كسوة ونفقة (وكان) كل غني أو أمير يفتقد كل ليلة جميع من في حارته من الفقهاء والفقراء بالطعام مهيأ مطبوخا فصار الاكابر اليوم لا يرى أحدهم حسنة من حسنات الدنيا (وقد قررنا) لاخواننا مرارا ان دعي الفقير وطالب العلم على نفسه في هذا الزمان ليلا ونهارا لا يقدح في مقامه لان جميع ما يحصله بالجري والتعب قد لا يكفي عياله فضلا عن ما يستره ولو سماه الناس دنيويا أفضل من تركه التكسب ولو سماه الناس صالحا وقد يكون الساعي فقيرا ليس له ما يقوم بأوده والمسعى عليه غنيا لا يحتاج لتلك الوظيفة ولا يقوم بها فأراد الساعي سترة حاله وعياله وأكله بتعاطي تلك الوظيفة على الوجه الشرعي وحمايته من أكله الحرام بأخذه المعلوم وتركه المباشرة فهذا من الساعي مقصد حسن لا ينبغي الاعتراض عليه فيه (فاياك يا أخي) أن تنكر على طالب علم يسعى على قوته وتقول ما بقي عند أحد من الناس قناعة بل تربص وتأمل فربما كان ذلك السعي واجبا عليه والواجب لا يجوز لاحد الانكار على فاعله (وقد بلغنا) أن الشيخ أبا عبد الله القرشي المصري رضي الله تعالى عنه مر بأصحابه على صبي يقرط فريكا من الغيط فقال للصبي هذا حرام عليك يا ولدي فقال لاي شيء يا عم والله انه لزرع أبي وحده وقد أرسلني أقرط منه شيأ نعمله فطيرا لاخوتي فخجل الشيخ أبو عبد الله بين أصحابه ومن ذلك اليوم ما بادر بالانكار على أحد الا بعد علم (وكان) أبو عبد الله هذا من أكابر العارفين وهو تلميذ الشيخ أبي الربيع المالقي رضي الله تعالى عنه (وكان) رضي الله تعالى عنه يقول قلت يوما في دعائي اللهم لا تفضحني بسريرتي على رؤس الخلائق فقال له الشيخ أبو الربيع رضي الله تعالى عنه ولاي شيء تجعل لك سريرة تفتضح بها هل نظفت نفسك من سائر الادناس انتهى رضي الله تعالى عنهما فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حسن سياستي للامير الذي خدمه أحد من أصحابنا وصار صاحبي يأكل من طعامه الذي غالبه باص وجرائم وذلك باني أقول له مشافهة أو في كتاب أرسله له وبعد فاني أوصيك يا أخي ان تأكل من طعام الامير الذي اختاره لنفسه ولا تأكل من طعام أحد من البلاصية الذين حوله الا الذين منهم فاني أعتقد من الامير التحرز من اكل الشبهات ومقتضى دينه انه لا يأكل الا ما ظهر له حله فان مثل هذا الكلام حق فاذا سمعه صاحبنا أخذ له منه معنى أو سمعه الامير يأخذ له منه معنى أو سمعه المباشرون أخذوا لهم منه معنى من غير ان نسمي أحدا منهم بلاصا أو انه يأكل حراما الا سيما ان كان نشفع في المظلومين عند ذلك الامير فانه ربما نفرت نفسه من قولنا لصاحبنا لا تأكل من طعامه فيصير يخالفنا في الشفاعات فيتعب سرنا

في تحويل قلبه الى ما تطلب منه اللهم آنت تعلم احتمال ذلك الامير لزجرنا وقبوله نصحنا فلا بأس أذن بالافصاح عن المقصود (وقد كتبت) مثل ذلك للاخ الصالح ابن الصالح سيدى أبي الجد ابن الشيخ أحمد المغربي الرفتاوى نفعنا الله تعالى ببركاته حين عمل اماما وفقيها عند حمزة الكاشف بالغربية فارسلت له اياك ثم اياك والاكل من طعامه أو موافقته على هواه المذموم (وكتبت) للكاشف أوصيك بأن لا تقبل كل ما أتاك به جماعتك واياك أن تغفل عما يفعلونه مع الرعية خوفا من حرقك بالنار (وهذا) دأبي دائما في سياسة الولاة اذا علمت أن أحدا منهم ظلم انسانا لا أجعل ذلك الظلم على علمه أبدا الا بصير يخاصم عن نفسه وانما أقول بلغنا ان جماعتك ظلموا فلانا من غير علمك والمسؤل النظر في هذه القضية ولا تكل أمرها لاحد غيرك وأجر الاخ على الله تبارك وتعالى وكثيرا ما أقول السلام على الاخ العزيز العبد الصالح فلان واقصد بذلك صلاحه لاحدى الدارين الجنة أو النار فربما ينكر على بعض الجهلة ويقول لى كيف تصف شيخ العرب الفلاني أو الكاشف الفلاني بالصلاح وهو يظلم الناس وذلك كذب وليس ذلك بكذب على هذا القصد وهو أيضا أخ في الله عز وجل وعزيز على من يحبه وكثيرا ما أقول للظالم أسأل الله تبارك وتعالى ان يدخلك الجنة بغير حساب وأضمر في ذلك انه يتوب عليه ويرضى عنه خصماءه يوم القيامة من فضله ثم يدخله الجنة بغير حساب وكذلك أقول في حق النصارى واليهود من الظلمة لو وقع منا الدعاء لهم بدخول الجنة لابد ان نضمر الدعاء بوقوع اسلامهم قبل ان يموتوا والا فنحن نعلم قطعا ان الجنة محرمة على الكفار فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم بغضي أو عداوتي أو ايذائي لاحد ممن يحضر المواكب الالهية كقوام الليل والمؤذنين والذاكرين الله كثيرا والميقاتي فربما حفت بهؤلاء العناية الربانية فغفر الله تبارك وتعالى لهم ما جنوه من السيآت في الماضي والمستقبل وصاروا محبوبين للحق تبارك وتعالى فكيف نكره أو نعادي أو نؤذي من يحبه الحق تبارك وتعالى (وهذا) الخلق وان كان فعله واجبا كذلك مع غير من يحضر المواكب الالهية لكنه في حقهم آكد كما قالوا يستحب للصائم أن يكف لسانه عن الغيبة في رمضان مع أن ذلك واجب عليه في غير رمضان أيضا فافهم (وقد تقدم) في هذه المنن اني سامحت جميع من آذاني من المسلمين اكراما لله تبارك وتعالى ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم فدخل في ذلك المؤذنون وقوام الليل وانما نبهنا عليهم هنا زيادة تأكيد لئلا يغفل الاخوان عن مثل ذلك فيعادوا أحدا منهم بغير حق ويتحيل له عذرا لا يقبل عند الله تبارك وتعالى (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يكرم المؤذنين والذاكرين الله تبارك وتعالى غاية الاكرام ويقول ان هؤلاء من خدام الله عز وجل وربما أقبل الحق تبارك وتعالى عليهم في الاسحار بالرضا وجعل دعاءهم مقبولا في حق كل من دعوا عليه وربما كان الذي آذاهم وعاداهم في ذلك الوقت نائما على جنابة (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول اذا تشوش منكم أحد من المؤذنين فصالحوه فورا وقبلوا نعله لئلا يدعو عليكم دعوة في الاسحار فتنفذ فيكم الى سابع ولد (وسمعته) رضى الله تعالى عنه مرة أخرى يقول اياكم أن تعادوا أحدا من خدام المساجد من مؤذن وبواب وفراش وامام وغيرهم لانهم أهل حضرة الله عز وجل

وحضرة الله تبارك وتعالى محرم دخولها على الذى عنده شحناء من أخيه بغير حق واضح كالشمس فمن كان من أهل حضرة الله تبارك وتعالى عرف ما قلناه وأومأنا اليه ومن لم يكن من أهلها فهو كالبهائم السارحة فلا كلام لنا معه حتى يخرج من صفات البهائم (وقد) تكدرت مرة من مؤذن فقمت في الليل اتهجد فلم أجد قلبي معي ولا قدرت على احضاره فالهمني الله تبارك وتعالى السبب فطلعت له المنارة في الليل وصالحته فرد الله تعالى على قلبي ودخلت الحضرة وقد كنت عالجت قلبي قبل ان أطلع له حتى ذاب فلم أقدر على حضوره بل صار كلما يلوح لى بارقة من حضوره تذهب لوقتها وتتفلت من الاقبال على الحضرة (وهذا) أمر لم أر له فاعلا في عصري من أقراني الا القليل وذلك لعدم دخولهم الحضرة فلو دخلوها لعرفوا أهلها وعرفوا المقدم عند الملك فاحترموه حتى لو أرادوا أن يؤذوه بعد ذلك لا يقدرون بل يكرمونه تعظيما للملك كما هو الحكم في جماعة ملوك الدنيا (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لو أن الناس علموا ولاية أحد من الفقراء ما آذوه قط وانما يعتقدون فيمن يؤذونه انه زوكاري نصاب مراء شيطان انتهى وفي هذا الكلام ما يشبه رائحة العذر لهم (وقد دخل) مرة شخص مجهول من جماعة الباشا على الوزير بمصر على بعض المشايخ فكلمه الشيخ بغلاظة وأنا حاضر فقال له أما تعرفني أنا فلان قبجي الباشا على فقام له الشيخ وأكرمه وصار يعتذر اليه كأنه وقع في ذنب عظيم ولو ان انسانا قال له أنا من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أكرمه ذلك الاكرام فتعجبت من ذلك الشيخ كل العجب فالله يغفر لنا وله آمين فاياك يا أخي ان تعادي أحدا ممن ذكرنا اكراما لله تبارك وتعالى فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أدبي مع قضاة هذا الزمان كبارا وصغارا ولا أقول ببطلان أحكامهم في العقود والوثائق كما يقع فيه بعضهم بل أرى عقودهم وأنكحتهم صحيحة أدبا مع أئمة الدين القائلين بصحتها وأدبا مع السلطان الذى ولى أولئك الحكام ولعلمي بأنه أتم نظرا مني ومن أمثالي بل ربما كان أتم نظرا من جميع رعيته وصاحب هذا المشهد لا ينكر على امامه في توليته أحدا وعزله ولا يذمه أبدا من ورائه كما يفعله بعضهم (وقد) قال العلماء رضى الله تعالى عنهم لو ولى السلطان قاضيا فاسقا انفذ قضاؤه للضرورة (وقالوا) أيضا من غلبت طاعاته على معاصيه فهو عدل واعتقادنا بحمد الله تبارك وتعالى في جميع من نعرفهم من قضاة مصر وشهودهم ان طاعاتهم غلبت على معاصيهم (وبلغنا) عن الامام أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه انه كان يقول كل مسلم عدل وان كان المتأخرون من أصحابه قد قيدوه ببعض شروط ويكفي المتعنت في القضاة والشهود الاقتداء بهذا الامام الاعظم رضى الله تعالى عنه ولم أزل بحمد الله تبارك وتعالى على هذا الخلق من حين كنت شابا خلاف ما أشاعه عني بعض الحسدة من اني أقول ببطلان أحكامهم لفسقهم بقبض فلوس القانون وذلك باطل عني وما رأيت قط أحدا منهم وهو يأخذ رشوة لكوني لم أقف على قاض قط الى وقتي هذا وان كان ذلك يقع من بعضهم فلا يجوز لى تعميم الحكم فالله تعالى يغفر لهذا الحاسد ما جناه آمين بل من جملة ما وقع لى اني اطلعت على شخص عقد عقد ابنته على يد قاض ثم انه جاءنا يعقد العقد ثانيا بحضرة الفقراء

فانكرت عليه غاية الانكار وقلت له القاضى أعلى مرتبة فى العدالة من أمثالنا لعدم ثبوت عدالتنا على يد حاكم وقلت له ان كنت تعتقد بطلان أحكامهم فكيف يسوغ لك أن تدعى بالحقوق التى تثبت لك على الناس بشهاداتهم وأحكامهم وتقاريرهم كالبراآت والحجج فاستغفر وتاب فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) موالاتى ان والى شيخى أو الامام الاعظم ومعاداتى لمن عاداهما بغير طريق شرعى ولو لم يعلما بذلك قياما بواجب حقهما وان وقع انى أظهرت المحبة لعدوهما فانما ذلك بنية صالحة كنحو أن يميل الى بالمحبة حتى أعلمه الادب فى حقهما لا خيانة لهما (وكان) على هذا القدم الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وسعيد بن جبير واضرابهما رضى الله تعالى عنهم (ومن وقائع) الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ان الخليفة لما منعه الفتيا أتته ابنته فى الليل عن الدم الخارج من لحم الاسنان هل ينقض الوضوء فلم يجبها وقال سلى عن ذلك عمك حمادا فان امامى منعنى الفتيا ولم أكن أخونه بالغيب (ومن وقائع) سعيد ابن جبير رضى الله تعالى عنه أن الحجاج لما حبسه وصار أولاده يبكون عليه قال له السجان اذهب فنم عند أولادك وأنا أكتم ذلك فقال معاذ الله ان أخالف ولى أمرى فقال له السجان ان الحجاج ظالم ولا يلزمك طاعته فلم يصغ اليه وقال ان الحجاج لو علم ذلك منك لآذاك ولم أكن ممن يجر الى أخيه الاذى ولم أر لهذا الخلق فاعلا فى عصرى من أقرانى الا النادر وتقدم هذا الخلق فى هذه المنن بأبسط مما هنا فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع طلبة العلم من المالكية أكثر من غيرهم من حيث ان الامام مالكا رضى الله تعالى عنه له مشيخة على امامى رضى الله تعالى عنهما فكما كان امامنا يتأدب مع شيخه وأتباعه كأشهب وابن القاسم كذلك ينبغى لمقلدى مذهبه أن يتأدبوا مع اتباعه (وقد نقل) عن الشيخ محيى الدين النووى رضى الله تعالى عنه انه بحث مع بعض المالكية فأغلظ عليه المالكى فقيل للنووى فى ذلك فقال ان امامه شيخ امامى فالادب معه كالادب مع امامه انتهى ولم أر لهذا الخلق فاعلا فى عصرى من أقرانى الا القليل فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام المتهورين فى مكاسبهم سواء دعونى اليه فى بيوتهم أو أرسلوه الى بيتى ثم بتقدير انى أسهو وآكل منه فتلعب نفسى منه واتقايأه فى الوقت قبل ان تنتشر به العروق وقد قدمنا فى هذه المنن ان من علامة المتهورين فى مكاسبهم أن ينوعوا الاطعمة فى بيوتهم فى هذا الزمان فانهم لو تورعوا فيما يدخل بيدهم ربما لم يجدوا شيأ من ذلك الذى نوعوه بل لم يقدروا على الخبز الحاف ومن المتهورين فى المكسب بعض التجار والزياتين ونحوهم ممن يبيع على الظلمة والمكاسين وأكلة الرشا ويأخذ ثمن بضاعته من أموالهم فانه لا فرق فى الحرام والشبهة فى مذهب المتورعين بين أن يأخذوه بواسطة أو بلا واسطة (ومما نقل) عن بعض علماء الحنفية رضى الله تعالى عنهم من أن الحرام لا يتعدى ذمتين سألت عنه الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى شيخ الاسلام بمملكة مصر رضى الله تعالى عنه فقال هذا محمول على

من لم يعلم بذلك أما من رأى المكاس مثلا يأخذ من أحد شيأ من المكس ثم يعطيه لآخر ثم أخذه ذلك الآخر فهو حرام فافهم (وبلغنا) عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه انه زار عمر ابن عبد العزيز أيام خلافته فأخرج له عمر كسرة يابسة ونصف خيارة وقال له كل يا حسن فان هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال السرف انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلى من طعام من يعتقد فى الصلاح ولولا ذلك لما أطعمنى لانه لا يخلو حالى من أمرين اما أن أكون صالحا فى نفس الامر من حيث لا أشعر أو غير صالح فان كنت صالحا فقد أكلت بدينى طعاما وان كنت غير صالح فقد أكلت حراما فى الشرع لانه لو اطلع على ما أقع فيه من المخالفات ليلا ونهارا لم يعتقدنى أبدا بل ربما بصق على وجهى ولم يجالسنى (وقد كان) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول انى أحب ان آكل طعام من يحبنى اذا كان حلالا دون طعام من يعتقدنى فقلت له ما الفرق بينهما فقال لان المحب لا يتزلزل عن محبتى اذا وقعت فى زلة بل يحبنى محبة الوالدة لولدها فهى تسمح بالاحسان اليه سواء اتصف بالصلاح أو لم يتصف وأما المعتقد فانما يحبنى مادام الصلاح فى غائبى وأنا لا أقدر على المداومة على الاستقامة انتهى (وهذا) الامر قل من يتنبه له من الاخوان فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلى من طعام من يأكل بدينه من فقراء هذا الزمان ويجرد الناس ويسلقهم اذا لم يبروه بألسنة حداد لاسيما اذا عمل مولدا كبيرا فانه لا يكاد يحلل فيه ولا يحرم أى لا يحلل الحلال ويعتنى به ولا يحرم الحرام ويجتنبه فالورع ترك الاكل من طعام هؤلاء لانه لولا اعتقاد الناس فيهم الصلاح لم يعطوهم شيأ ومعلوم أن من يأكل الدنيا بدينه أقبح ممن يأكلها بدنياه (وقد كان) الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يسقى على جمل بمكة فيحمل الماء من العين الى دور الناس ويتقوت هو وعياله من ثمن ذلك فقيل له ان فلانا ترك الحرفة فلم يضيعه الله تبارك وتعالى وأقبل على عبادة ربه فقال الفضيل رضى الله تعالى عنه هذا رجل ربما يأكل بدينه خبزا وادا ما ثم قال رضى الله تعالى عنه والله لان آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من أن آكلها بدينى انتهى (وقد سأل) شخص من الامراء أن يعمل مولدا لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى فأبى الشيخ رضى الله تعالى عنه وقال والله ان كسبى من هذا الخوص لا يحتمل الاكل منه فكيف آكل من كسب الامراء أو أدعو الناس الى الاكل منه انتهى وهذا الامر قل من يتنبه له من فقراء هذا الزمان بل رأيت منهم من يسافر البلاد فيجمع آلات طعامه فى ذلك المولد من أموال الولاة والظلمة ثم يدعو الناس اليه فيلطخ بواطن الناس بالحرام والشبهات وربما قال بعض الناس قد حصل لنا الليلة خير لانا أكلنا حلالا من طعام سيدى الشيخ ولا يفتشون على ذلك الطعام من أين جاء به الشيخ (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى لا يجيب قط فقيرا دعاه الى طعامه الا ان علم أن له كسبا شرعيا من تجارة أو زراعة أو صنعة بل قد رأيته مرة أمر فقيرا بالقى ما أكل من طعام متمشيخ عمل مولدا ولا حرفة له وقال رضى الله تعالى عنه كيف تأكل من طعام شخص يأكل بدينه (وقد أخبرنى) شخص من جماعة

الباشا على الوزير فقال قد سئمت نفوسنا من كثرة سؤال هؤلاء المشايخ الذين يعملون لهم موالد فلم يتركوا عندنا عسلا ولا أرزا ولا عدسا ولا بسلة وايش قام على هؤلاء أن يشحذوا ويعملوا لهم موالدا انتهى فأخذت لى من ذلك مشروبا ومن أراد من المشايخ المتجردين عن الكسب بالحرف والصنائع أن يعرف كونه يأكل بدينه أم لا فليقدر نفسه متجردا من جميع صفات الصالحين التى تظاهر بها واعتقده الناس وقبلوا يده ورجله لاجلها وينظر بعد ذلك حاله فكل من أطعمه أو عمل له مولدا فليأكل من طعامه بشرط الحل فى ذلك فان مثل هذا لم يطعمه لاجل دينه وأظن انه اذا تجرد من صفات الصالحين لا يصير أحد يحسن اليه ولا يعمل له مولدا قط كما لا يعمل مثل ذلك لمن لم يظهر صلاحه (وقد كان) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لا أحب ان آكل لاحد طعاما الان كان الطعام حلالا وكان الشخص بحيث لو رآنى أشرب الخمر لم يتغير اعتقاده فى الصلاح انتهى فقلت له هذا باب للامتناع من أكل طعام جميع الناس أو غالبهم فقال مالى ولهم (ومما وقع) ان الامير يوسف بن أبى أصبع اعتقد شيخا من مشايخ الريف وصار يقبل يده ورجله ويعمل له مولدا كل قليل ويدعوا الناس الى مولده ويتشوش ممن لم يحضر ثم بعد ذلك مد الشيخ وضربه علقة وحلق شعره وقال كنت أظن انه صالح فظهر لى انه ليس بشيخ انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك فالحمد لله الذى جعلنى أكره طعام المعتقدين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام النذور والاعراس الواسعة وطعام العزاء والجمع وتمام الشهر فلا استحضر انى أكلت شيأ من ذلك الامرة واحدة ثم تقيأته (وايضاح) كون ذلك لا يليق بأهل الطريق أنه لا يسلم من الشبهة غالبا وأن طعام النذر لا يعمله صاحبه الا بعصار الزامه نفسه به ان شفى الله مريضه مثلا كما أشار اليه خبر ان النذر لا يقدم شيأ ولا يؤخره وانما يستخرج به من البخيل مالم يكن يخرجه وكما ورد (ومعلوم) أن طعام البخيل داء كما صحت به الاحاديث لاسيما ان عملته امرأة من كسبها فان الاكل منه ينافى شهامة الرجل لاسيما سيدى الشيخ الحاضر بجماعته ليأكل ويلحس الصحون حتى لا يخلى فيها لمن بعده شيأ (وقد نقلت) وصايا الاشياخ رضى الله تعالى عنهم بالنهى عن الاكل من كسب النساء فى سائر الاقطار ليرفعوا همة المريد عن مثل ذلك واذا كانوا يمنعونهم من الاكل من كسب غيرهم من الرجال فكيف بالنساء وقالوا من رضى لنفسه بالاكل من كسب امرأة فارفضوا أمره فانه لا يجيء منه شيء فى الطريق وأما ما ورد من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذهب بأصحابه كل يوم جمعة الى دار امرأة يأكلون عندها سلقا تطبخه لهم فهو لا يدخل فى هذا الميزان لان كل ما فى الدنيا ملك له بالاصالة وجميع الخلق يأكلون من رزقه صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه معصوم من تناول ما يحصل به نقص شيء من كماله صلى الله عليه وسلم فافهم (وأما) أطعمة العرس الواسعة فان الغالب على صاحبه التكلف فيه فيطبخ ما ليس من عادته ان يطبخه مما هو فوق طاقته (وقد نهانا) الشارع صلى الله عليه وسلم عن الاكل من طعام المتكلفين والمتباهين والمتفاخرين فترى أبا العريس أو أم العروسة أو أم العريس يبيع أحدهم ثيابه فى عمل الطعام أو يقترض غالب ذلك ولو بالربا ويقول قد تجوزت فى عمل هذا العرس وما بقى الا عمله فيعمل

ذلك الطعام متكرها له متفاخرا به حتى انه بعد ذلك ربما سمع بعض الناس يقول كان طعام فلان أكثر من طعام فلان فيتأثر لذلك (وأما) طعام العزاء والجمع وتمام الشهر فربما دخله المفاخرة كذلك وربما عملوا ما عملوا من الفطير والعجمية والسنبوسك والحلو والارز متكلفين له خوفا من عتب الناس الذين يعزون ويطلعون له التربة وربما كان ذلك من مال الايتام أو بعضهم ولا يتصور منهم اذن وليس لوليهم فعل مثل ذلك شرعا فالعاقل من فتش على كل لقمة دخلت بطنه قبل ان يضعها فى فمه (وكذلك) لا ينبغى لمتورع ان يشرب من الماء الذى يسبلونه عند الدفن ان كان أهل الميت يقيمون ذلك من التركة اللهم الا أن يكونوا بالغين رشداء فلا حرج فى ذلك ولا فى طعام العزاء والجمع وتمام الشهر بطريقه الشرعى (وقد) حمى الله تبارك وتعالى بعض اخواننا من الاكل من طعام العزاء فالله تعالى يديم عليهم ذلك (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول لا يليق بمن له مروءة ان يجلس يأكل من طعام العزاء من الجبن المقلى والفطير وغير ذلك وأم الميت وأبوه واخوته واخواته كأنهم غمسوا فى نار من فرقهم الى قدمهم من شدة الحزن والداهية العظمى خناق المقرئين على الفلوس وانتهاب بعض الطعام وأهل الميت يسمعون ذلك وذلك دليل على خلو باطنهم من مشاركة أهل الميت فى الحزن ولا يخفى ما فى ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له جميع الجسد بالحمى والسهر انتهى (فاياك) يا أخى والاكل مما ذكرناه ثم اياك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام الصنايعى الذى يعمل بالقوت لاسيما ان كان قد طعن فى السن الان كافأته على ذلك باعطائه ثمنه أو بتوجهى الى الله تبارك وتعالى ان ينزل له البركة الخفية فى رزقه بقية عمره وأرى أثر الاجابة لدعائى وسبب التورع عن مثل ذلك كون الصنايعى يقاسى شدة فى كسبه طول يومه حتى يعاين ما يقارب أسباب الموت فلا ينبغى لمن له مروءة أن يأكل من مثل ذلك لاسيما ان كلفته امرأته لعمل أسبوع أو مولد أو نحو ذلك انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من علمت أن عليه دينا حالا وهو مماطل صاحبه مع القدرة على وفائه والعلة فى ذلك كون الواجب عليه أن يصرف ثمن ذلك الطعام فى الدين فنحن أكلنا منه شبهة لكون الحق فيه لغيرنا دوننا وكذلك لا نأكل من طعام شخص عليه دين وهو عاجز عن وفائه بل هو أشد من أكل طعام القادر لما فيه من الاجحاف به ولو انه دعانا بطيب نفس فلا نجيبه لانه جاهل بما قلناه لانه كالطفل فى حجر وليه أو وصيه أو قيمه لا يجيبه الى كل ما تهواه نفسه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من هدية علمت بالقرائن انها عند صاحبها قدرا عظيما كأن أرسلها مع غلامه وقال له لا تسلمها الا الى عبد الوهاب فى يده أو جعل على وعائها قفلا أو خيطه أو علمت أنه فى كل قليل يصير يتذكرها ولو فى نفسه وذلك من علامة أن

نفسه تتبعها بعد ان أرسلها ففيها ضرب من التكلف وقد نهينا عن الاكل من طعام المتكلفين وكذلك من علامة كبر مقدار الهدية عنده كونه ينص على أنى آكلها ولا أعطيها الغيرى فانه تحجير على وكذلك من علامة ان نفسه تبعتها أيضا فان من أعطى لغيره شيأ خالصا فماله وللتحجير عليه وكذلك اذا جلست مع احد على سماطه وصار يحلفني انني آكل ذلك الورك من الدجاجة مثلا وكلما أبعده عنى يقربه منى فانني ازداد فيه نفرة فلا آكله لانه لولا عظمته عنده ما اعتنى به ذلك الاعتناء (وهذا) الخلق والاذان قبله لم أرلها فاعلا فى مصر غيرى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للاكل وحدى كما أكره الصلاة فرادى من غير عذر ويضيق صدرى من الاكل وحدى كما يضيق اذا صليت وحدى بجامع أن الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاكل مع الجماعة كما أمرنا بالصلاة معهم (وفى ذلك فوائد منها) ائتلاف القلوب (ومنها) كثرة البركة فى الرزق والمدد (ومنها) امتثال أمر الشارع صلى الله عليه وسلم وايضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى أمرنا باقامة الدين وعدم التفرق فيه ولا يستقيم ذلك الا بائتلاف القلوب ولا تتألف القلوب غالبا الا بالاجتماع على الطعام والاحسان الى بعضهم بعضا ولعل بعض الناس يرتبط قلبه معك اذا أطعمته أكثر من ارتباطه معك اذا صليت معه جماعة وأكسبته الاجر (فعلم) ان كل من أكل وحده ومنع رفده وأراد من غالب الناس نصرته ولو على الدين فقد أتى البيوت من غير أبوابها وربما اخذلوه ولم ينصروه عناد الكثرة بغضهم له اذا البخيل مبغوض ولو كان كثير العبادة والسخى محبوب ولو كان فاسقا كما هو مشاهد (وهذا) الخلق قد أعطانيه الله تبارك وتعالى من حين كنت صغيرا فكل ليلة لا أجد من يأكل فيها معى لا أتهنا بالطعام فيها ولا أستلذبه وكلما كثرت الايدى وأكلوا أطايب الطعام كلما أفرح عكس البخيل (وكان) على هذا القدم سيدى محمد بن داود رضى الله تعالى عنه والشيخ عبد الحليم بلاد المنزلة رضى الله تعالى عنه فربما عمل أحدهم الدجاجة ففرقها على نحو سبعين نفسا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مباسطتى للخادم حتى صار لا يهابنى اذا قلت له تعال كل معى فان كثيرا من الخدام اذا قال سيده تعال كل معى يقول فضيحة آكل مع سيدى وفى ذلك رائحة علم العبد بفظاظة سيده وتكبره عليه ولو انه كان يعلم منه الرحمة واللين لجلس يأكل مع سيده بلا اذن (وقد بلغنا) أن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه دعا فتى له ليأكل معه فأبى فجلس عمر يبكى وقال لولا انه علم منى الكبر ما أبى انتهى (فاياك) ثم اياك من التكبر على خادمك أو رؤية نفسك عليه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم ردى للسائل اذا كان محتاجا فاعطيه ماسأل ولو كان عمامتى أو جوختى أو همامها لا سيما ان كان أحوج الى ذلك منى ولا أمنعه الا لغرض شرعى لا لبخل ولا لشحة نفس (وهذا) الخلق من أكرم أخلاق الفقراء ولا أحصى عدد من لبس من ثيابى ويجمع ذلك كله أنى لم ارقع ثوبا قط منذ وعيت على نفسى انما يأخذه الناس من أصحابى

وغيرهم كما هو مبسوط فى نعمة ذكر اسماء من كسوتهم من العلماء والصلحاء والفقراء والاقارب ونحوهم (واعلم يا أخى) أن من الغرض الشرعى ان اقدم نفسى لكونها أحوج الى ذلك من السائل وكذلك من الغرض الصحيح عدم اعطائى لذلك السائل ذلك الشئ حتى اجد نية صالحة ولو شهرا أو أكثر فربما استحى الفقير اذا طلب منه شئ بحضرة الناس مما يشح به الناس غالبا فأعطى فاتبعته نفسه وذلك معدود من التهور ومن الرياء وحب المحمدة وكذلك من الغرض الصحيح اذا علم ولو بالقرائن أن سؤاله تعنت لا لحاجة اليه فليتنبه الانسان لمثل هذه الامور ولا يعطى ويمنع الا بحق فان الاموال انما وضعها الحق تبارك وتعالى فى يد العارفين لمنافع العباد من انفسهم أو غيرهم فان رأوا نفوسهم أحوج قدموها أو غيرهم أحوج قدموه (وفى الحديث) ابدأ بنفسك ثم بمن تعول فمن آثر السائل على نفسه بما هو أحق به فقد ظلم نفسه فعليه اثم من ظلم رعيته وشق عليها وما مدح الله تبارك وتعالى المؤثرين على أنفسهم الا ترغيبا لهم وتشجيعا ليخرجوا من ورطة البخل الذى فتحوا عيونهم فى الدنيا عليه فلولا مدح الله تبارك وتعالى لهم على ذلك ما قدروا على الخروج من شح نفوسهم فاذن الايثار من صفات المريدين والبداءة بالنفس من صفات الكمل لان العبد يؤمر أولا بالخروج من الشح فاذا وفى العمل به أمر بالبداءة بنفسه قياما بالعدل اللهم الا أن يكون له أتباع يقتدون به فى الايثار فاللائق به التنزل لمقامهم ويؤثر على نفسه بحضرتهم ولا يخفى ان الكامل على يقين من طريق كشفه أنه من رزقه أو من غير رزقه فان كان من رزقه فهو على يقين من عوده اليه ولا يقدر أحد أن يأكل منه شيأ فيستفيد بايثارهم على نفسه حسن الثناء عليه وفتح باب الاقتداء به والثواب الذى هو الاصل وان كان من غير رزقه فليس له منع صاحبه منه بل اللائق دفعه اليه ومن شأن الكامل ان يعطى كل ذى حق حقه بخلاف غير الكامل فانه ان وفى بمقام أخل بمقام آخر (وفى الحديث) الاقربون أولى بالمعروف ولا أقرب اليك من نفسك فهى مقدمة على جارك اذا كانت محتاجة لما هى أحق به (فعلم) انه لا تعارض بين حديث ابدأ بنفسك وبين قوله تبارك وتعالى ويؤثرون على أنفسهم لان الآية فى حق من عنده اتهام لنفسه فى المنع لبخل وشح فى النفس أو ان يقصد أنه يقتدى الناس به والحديث فى حق من ليس عنده ذلك وتقديم المريد غيره عليه من باب ظلم دون ظلم فسومح بظلم نفسه طلبا للترقى الى مقام آخر اعلى مما هو فيه فعمدته العمل على الخروج من عهدة نفسه وحظوظها ما أمكن ولو انه أمر بالبداءة بنفسه لازداد بخلا وشحا * ولما لام بعضهم سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه على أكله المطاعم اللذيذة ولبسه الثياب الفاخرة والنوم على الفرش الناعمة الوثيرة قال لهم يا طول ما أطعمت نفسى الطعام الكريه والبستها الخشن وانمتها على التراب وقد وفت بما استأجرتها عليه واستحقت ان تأخذ أجرتها قبل ان يجف عرقها وذلك قبل موتها فان عرقها لا يجف الا بالموت انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه وهذا الذى قاله الشيخ رضى الله تعالى عنه لا يكون الا لمن له أتباع يعرفون مقامه أو لمن ليس له اتباع أما من له اتباع لا يعرفون مقامه فمن لازمهم غالبا الاقتداء به فى الترفهات فيهلكون ويقفون عن السير لنقص رأس مالهم بذلك بخلاف الكامل ثم لا يخفى على المريد أن جميع ما يؤثر به غيره ليس هو من رزقه فلا ينبغى له ان يرى له به مقاما على غيره بايثاره لانه ما آثر الغير الا بما هو لذلك الغير

ولوانه كان أمسكه لنفسه لا يقدر على أنه يتناول منه شيأ (ومن هنا) قالوا ما تورع المتورعون وزهد الزاهدون الا فيما لم يقسم لهم انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اعتقاد كثير من الانس والجن واليهود والنصارى فى الصلاح واجابة الدعا مع أنى است من الصالحين عند نفسى ولا عند كثير من الناس (وهذا) من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على ومن أعظم سترة سترنى بها بين العباد حتى انى أنفى الصلاح عن نفسى بحضرة بعض الناس لينفر منى فيقول لى بل أنت صالح فأتعجب من صنع الله تبارك وتعالى وأعرف انه أراد سترى بين عباده ولولا ذلك لكان الامر بالعكس فاقول لهم أنا صالح فيقولون لى تكذب لست بصالح (ثم) ان الناس قسمان قسم يعلم بصلاح نفسه فيكون نفيه الصلاح عن نفسه ايهاما لها وقسم لا يعلم بصلاح نفسه فهو صادق فى نفيه الصلاح عن نفسه وعلى ذلك أكثر السلف الصالح (وقد كان) مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يقول والله لو حلف حالف أنى من الفاسقين لقلت له صدقت (وكان) الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول لو حلف شخص أن اعمالى اعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك انتهى لكن صاحب هذا المقام ربما يقل شكره لله تبارك وتعالى فلا يكاد يرى لله تبارك وتعالى عليه نعمة أو صفة من صفات الكمال ولكن ان من الله تبارك وتعالى عليه بالكمال كثر شكره لله تبارك وتعالى من حيث حلمه جل وعلا عليه وعدم معاجلته بالعقوبة مع شدة خوفه من الله تبارك وتعالى من ذلك لان الكامل يكفى أبا العيون (اذا علمت) ذلك فمن جملة اعتقاد المسلمين فى أنى اعطى أحدهم القشة من الارض اذا طلب منى الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة وأقول له يبخر المريض بها فيفعل فيحصل له الشفاء باذن الله تبارك وتعالى فاعرف أنه لولا شدة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة فان الامور تجرى بها المقادير الالهية سرعة وبطأ بحسب قوة الاعتقاد وضعفه حتى ان بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك فى أن تلك القشة تنفعه فلا تنفعه (وقد جاءنى) مرة فقيه يأخذنى سبا فالصهره لما غضبت زوجته وكان قد جعل لها خمسين دينارا فلم يرضوا أن يردوها له فقلت له خذ هذه القشة وأعطها الصهرك فانه يردها لك بلا فلوس فقال لى لا تمزح معى فانى مكروب فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض الاعتقاد فأخذ القشة فبمجرد ما أعطاها لصهره قال له اذهب نخذ امرأتك فتعجب الفقيه من ذلك وقال أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل (وكذلك) جاءنى الشيخ ناصر الدين بن الطنب المدرس بناحية دمنهور بالبحيرة وهو مكروب فقلت له مالك فقال اشتكانى شخص لى عليه دين للباشاه على نائب مصر وذكر له أن الشيخ هدم جدارا فوجد فيه قدرتين ذهبا وعمود بن فضة وانه أمر الوالى بالقبض عليه فقلت له أبرئ المديون مما عليه والحق تبارك وتعالى يلهم الباشاه انه يكذبه فيما يدعيه عليك من المال فأبى ان يبرئه وكان معه الشيخ سالم الدمنهورى وهو كثير الاعتقاد فى الفقراء فصار يقول للشيخ ناصر الدين أطع عبد الوهاب فيقول كيف ابرئه من مالى فلما طلع القلعة مخالفا للاشارة وعاين اسباب الهلاك قال له الشيخ سالم ابرئه كما قال عبد الوهاب فابرأه فى نفسه فقال الباشاه الذى

ظهر لى ان المسطور الذى كتب على هذا الرجل باطل ودعواه بالقدرتين الذهب والعمودين الفضة باطل وقد كان جماعة الديوان كلهم تيقنوا انه معاقب لا محالة لاجل قدور الذهب وعمد الفضة فما وقع للشيخ ناصر الدين الرعب الامن جهة توقفه عن العمل بالاشارة وطلب العمل برأى نفسه (وقد وقع) ان شخصا جاءنى من حارة جامع ابن طولون يطلب منى الدعاء لابنته وذكر أن بها استسقاء وان الاطباء أيسوا من مداواتها فقلت له أعندك اعتقاد تفعل ما آمرك به فقال نعم فاعطيته قشة فبخرها بها فشفيت من يومها فعلمت صحة اعتقاده وقد بلغ ذلك بعض المنكرين فقال كل هذا سحر فرمدت عينه فصار يصيح ليلا ونهارا فقالوا له اذهب لعبد الوهاب فقال انا لا أعتقد فيه صلاحا فاشتد عليه الالم فجاءنى غصبا عليه وكان بين أيدينا طعام كشك فقلت له كل من هذا الكشك فتوقف وقال هذا منهى عنه فاشتد عليه الالم فقال له الناس جرب الاشارة هذه المرة فأكل من ذلك الكشك فراقت عينه فى الحال فشفى (وكذلك) جاءنى فقيه يشكو القولنج وهو صائم فأطعمته بسلة فسكن القولنج كل ذلك لكونى أقول على ذلك الشئ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم (وقد) قدموا مرة لخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اناء سم وما فاعلمه الناس به فقال بسم الله وشربه فلم يضره (فعلم) مما قررناه ان كل من لم يكن عنده اعتقاد فى اسم الله تبارك وتعالى أنه لا يضر معه شئ فليس له ان يأكل شيأ مضادا لذلك المرض شرعا لانه ربما ضره ووقائعى فى ذلك كثيرة شهيرة ومن جملة اعتقاد النصارى واليهود انهم يطلبون منى كتابة الحروز لاولادهم ومرضاهم فأعطى أحدهم القشة فيبخر بها مريضه فيحصل له الشفاء فأتعجب فى اعتقادهم فى مع اختلاف الدين وكثيرا ما أقول لهم لم لا تسألون رهبانكم وعلماءكم فيقولون أنت أعظم عندنا من البترك ومن جميع أهل ديننا وانما كنت أعطيهم القشة دون كتابة شئ من القرآن أو اسماء الله تبارك وتعالى اجلالا لله تعالى ولكلامه ثم من أعجب ما وقع ان نصرانيا كان يبيع الخمر فى حارتنا وكان اذا بار خمره فى مثل الثلاثة شهور يجيء يأخذ خاطرى ويقول أنا خائف من فلوس الجملة انها تقف على فأقول له يا معلم الخمر عندنا محرم بالاجماع فكيف أقول يا الله ارسل للمعلم من يشترى خمره ويسكر فيقول ادع الله أن ينزل لى البركة فأقول له ان البركة لا تكون فى شئ نهى الله تعالى عنه فقال ادع الله أن يتوب على من بيع الخمر فدعوت له فمات بعد جمعة (ومن جملة) ما وقع لى مع الجن انهم أرسلوا الى نحو خمسة وسبعين سؤالا فى علم التوحيد لا كتب لهم عليها وقالوا قد عجز علماؤنا عن الجواب عنها وقالوا هذا التحقيق لا يكون الا من علماء الانس وسموني فى السؤال شيخ الاسلام فكتبت لهم الجواب عنها نحو خمسة كراريس وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان (وكذلك) أرسلوا الى قصة فيها خطبة غريبة فى شدة الفصاحة واللغات نحو حزب يسألونى فيها أن أخلص ولد شرف الدين بن الموقع لما أسره جماعة من يهود الجان فأرسلت أقول لهم اسألوا غيرى فقالوا قد عجز غيرك عن تخليصه منهم فكتبت له ورقة يحملها فرجعوا عنه وقد ذكرت الخطبة التى أرسلوها والامارات التى ذكروها لى فى كراسة فافهم يا أخى ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تسليمى وترك تكذيبى لكل من ادعى ممكنا فى العادة من سائر المقامات حتى القطبية فان الولاية أمر باطنى لا يطلع عليه الا الله تبارك وتعالى ثم

صاحبه وقد يكون الشخص وليا من أولياء الله تعالى ولا يعلم بنفسه فتصديقنا الكل من لم يدع
مقاما ممنوعا كدعواه النبوة أولى لانه ان كان صادقا فقد صدقناه وان كان كاذبا فكذبه يرجع
عليه لا علينا (وقد) دخل على شخص مرة فادعى القطبية الكبرى فسلمت له فقال لى اكتب لى
خطك بانك صدقتنى على دعواى فقلت هذا لا يكون الا لو علمت قطبيتك من طريق كشفى وأما
من طريق اخبارك عن نفسك بها فذلك لا يحله فى فاقسم على بالله تبارك وتعالى فكتبت له ورقة
فيها ان فلانا أخبر عن نفسه انه قطب دائرته فصدقناه على انه قطب فى أى محل حل فيه أى
لانه حيث ما جلس فرضنا حوله دائرة هو قطبها فرضى منى بذلك انتهى (وقد) كثر دعوى القطبية
فى هذا الزمان وصار كل من سولت له نفسه شيأ يعتقد صحته لقلة ظهور الاشياخ فى العصر
فكل جماعة شيخ يدعون ان شيخهم هو القطب وربما سمعهم وسكت على ذلك ومعلوم ان
القطب لا يكون الا واحدا فى كل زمان ولا يصح أن يكون فى الزمان قطبان أبدا كما لا يكون
للرحى قلبان الا أن يريد القائل انه قطب أصحابه فقط فلا منع فنحن نسلم لكل من ادعى القطبية
لعلمنا بأن من شأن القطب الخفاء دون الظهور ونرد علم حقائق الامور الى الله تبارك وتعالى
(وقد) كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول الانكار فرع من النفاق قال المزنى بل
هو النفاق كله لان الجحد ضد التصديق انتهى فافهم يا أخى ذلك واياك والانكار على أحد يدعى
ممكنا من مقامات الرجال والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كشف الحجاب عنى حتى سمعت تسبيح الجمادات والحيوانات
من البهائم وغيرها من صلاة المغرب الى طلوع الفجر وذلك انى أحرمت بصلاة المغرب خلف الشيخ
الصالح الورع الزاهد سيدى أمين الدين الامام بجامع الغمرى رضى الله تعالى عنه فانكشف
حجابى فصرت اسمع تسبيح العمد والحيطان والحصر والبلاط حتى دهشت وصرت اسمع من يتكلم
فى أطراف مصر ثم اتسع الى قراها ثم الى سائر أقاليم الارض ثم الى البحر المحيط فصرت اسمع
تسبيح السمك وكان من جملة ما سمعته من تسبيح سمك البحر المحيط سبحان الملك الخلاق رب
الجمادات والحيوانات والنبات والارزاق سبحان من لا ينسى قوت أحد من خلقه ولا يقطع بره
عمن عصاه انتهى وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ان الله تبارك وتعالى رحمنى عند
طلوع الفجر وحجبنى عن سماع ذلك التسبيح لما حصل عندى من الدهشة وأبقى على العلم
بذلك من طريق الكشف فتقوى بذلك ايمانى انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والله سبحانه
وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قولى بالجهة فى جانب الحق تبارك وتعالى من حين
كنت صغير السن عناية من الله سبحانه وتعالى بى لا بسلوك على يد شيخ من الاشياخ وقد هلك فى
هذا الامر خلائق لا يحصون فغلب وهمهم على عقلهم وظنوا أن الحق تبارك وتعالى فى جهة
العلو فقط وغاب عن هؤلاء نحو قوله تبارك وتعالى واسجد واقترب وقوله صلى الله عليه وسلم
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فان فى هذه الآية والحديث تصريحا بعدم تحيز الحق
تبارك وتعالى فى جهة دون أخرى أى فكما تطلبونه فى العلو فاطلبوه كذلك فى السفل وخالفوا
وهمكم وانما جعل الشارع صلى الله عليه وسلم حال العبد فى السجود أقرب من ربه دون القيام

مثلا لان من خصائص الحضرة أن لا يدخلها أحد الا بوصف الذل والانكسار فاذا عفر العبد
محاسنه فى التراب كان أقرب فى مشهده من ربه من حالة القيام فالقرب والبعد راجع الى
شهود العبد ربه لا الى الحق تبارك وتعالى فى نفسه فان أقربيته واحدة قال تبارك وتعالى فى
حق المحتضر ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز وجل ونحن أقرب اليه
أى الانسان من حبل الوريد واخبر انه يحول بين المرء وقلبه فاياك وما تراه فى كتب القائلين
بالجهة من الاحاديث المشعرة بالجهة عند ضعفاء العقول فانها كلها مؤولة وكان صورة ما وقع
لى وأنا صغير أنى تفكرت يوما فى الله عز وجل فقسته على ما أتعقله ثم صرفته بليس كمثله شئ
وبقولهم كل شئ خطر ببالك فالله بخلاف ذلك وبقولهم حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق
وانه مباين لخلقه فى سائر الاحوال فذهب عنى توهم الجهة فى حق البارى جل وعلا جملة
واحدة فيا لها معرفة ما ألذها وكأننى خرجت من السجن الى الفضاء الواسع ثم انى عرضت
ذلك على سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فقال هذه عناية عظيمة حصلت لك وان
شاء الله تعالى يزيدك تأييدا فنمت فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى اخرج من حيطة العرش الى
خارجه بعقلك وانظر تجد الوجود الجسمانى كله من العلويات والسفليات كالقنديل المعلق فى
الهواء بلا علاقة فان صعد أبد الآبدين لا يجد جسما آخر يتعلق به وان اهبط أبد الآبدين
لا يجد أرضا يستقر عليها فخرجت بعقلى كما ذكر فعلمت سعة عظمة الله تبارك وتعالى وزال عنى
توهم الجهة من ذلك اليوم وجمعت فى ذلك المشهد بين شهود نفسى فى مكانين فانى كنت داخل
العرش بيقين وأرى نفسى خارجه بيقين فبينما أنا واقف كذلك اذ جاء طير أبيض طويل العنق
ففتح فاه والتقط الوجود الجسمانى كله وطار به فصرت أرى نفسى فى حوصلته وأنا خارجها ثم
جاءت ناموسة صغيرة ففتحت فاها والتقطت الطائر بما حواه وغابت عن العين فقصصت ذلك على
سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه فقال الآن قد خرجت من الورطة كلها ثم قال لى كلما
اتسعت معرفتك بالله تعالى كلما صغر الوجود فى عينك فانك رأيت أولا العرش عظيما ثم اتسعت
معرفتك باتساع الوجود فصغر العرش فى عينك عن المشهد الاول ثم اتسعت المعرفة أكثر لما
رأيت الطائر الذى هو أصغر من العرش ثم اتسعت المعرفة أكثر لما رأيت الناموسة اذ الوجود
المحصور بالنسبة لغير المحصور كالينابيع التى فى الكوة التى فى عين الشمس تراها صاعدة وهابطة
واذا قبضت بيدك عليها لم ترفى يدك شيأ انتهى (وكذلك) قصصت هذا الامر على سيدى الشيخ نور
الدين على الشونى رضى الله تعالى عنه فقال لى هكذا وقع لى ورأيت الوجود كذرة فى الجو انتهى
ثم لما اجتمعت بسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه حكيت له هذه الحكاية فقال صحيح هذا
بالنسبة الى التوحيد والا فالوجود كله عظيم من حيث انه من شعائر الله تبارك وتعالى وقد قال
الله تبارك وتعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فلا يزال العبد اذا وصل الى
شهود الوجود فى عينه كالذرة يتكبر عنده أفراد الوجود شيأ فشيأ حتى يرجع الى الحالة الاولى
التى كانت له قبل الترقى ويصير يعظم الوجود بتعظيم الله تبارك وتعالى ويحقره بتحقير الله تبارك
وتعالى اذ ليس المؤمن كالمنافق ولا الكبش كالكلب انتهى وحاصل المراد من ذلك كله ان
الموجودات من حيث ايجادها تتلاشى فى جنب معلومات الله وأما من حيث مراتبها فاعظمه

الله تعالى وجب تعظيمه وما حقره وجب تحقيره على حد ما فقههم تكليفنا به (فعلم) ان كل من توهم ان الله تبارك وتعالى تأخذه الجهات فليس له فى مقام المعرفة نصيب وانما هو كالمجسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقد كان) سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول ليس الرجل من تقيد داخل الاجرام من العلويات والسفليات انما الرجل من خرج من الاقطار كلها وشاهد خالقها كما يليق بجلاله انتهى أى بحسب استعداد ذلك المشاهد فانه وسعه الذى كلف به وأما قوله صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك أى ما عرفناك على ما أنت عليه فى نفس الامر وفى مواقف الامام النفرى رضى الله تعالى عنه أوقفنى الحق جل وعلا بين يديه فى المنام وقال لى قل للعارفين بى ان رجعتم تطلبون منى الزيادة فى المعرفة فما عرفتمونى لان طالب الزيادة جاهل بى فيما سأل وان رضيتم بالوقوف على حد ما عرفتموه منى فما عرفتمونى وعزتى وجلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه انتهى فتأمل فى هذا المحل واطلب من الحق زيادة العلم به ولا تمل فلو ترقيت فى وجوه المعارف أبد الآبدين ودهر الداهرين لم تقف للمعرفة على قرار ومن هنا قال بعض العارفين سبحان من كان العلم به عين الجهل به والجهل به عين العلم به انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تسليمى للنفس دعواها العجز عن فعل شئ من الطاعات حال مرضها فلا أسلم لها العجز عن القيام فى الصلاة مثلا الا بعد امتحانها بالوقوف ووقوعها مرة بعد مرة قهرا عليها فاذا وقعت صليت حينئذ جالسا بشرطه فان عجزت عن التماسك فى الجلوس صليت مضطجعا وانما أوجبنا امتحان النفس فى مثل ذلك لعلمنا بأن النفس مجبولة من أصلها على عدم الطاعة لله تبارك وتعالى وايثارها هواها على أوامر الحق تبارك وتعالى وقد ورد فى بعض الآثار ان الحق تبارك وتعالى أوقف النفس بين يديه وقال لها من أنا فقالت له تبارك وتعالى فمن أنا فغمسها فى بحر الجوع خمسة آلاف سنة ثم قال لها من أنا فقالت أنت الله خالق كل شئ انتهى فعلم ان من أطاع نفسه فى طلبها الراحة صرعته فلا تزال تسارقه وتجره الى الكسل شيأ فشيأ حتى ترجع الى ابايتها الاصلية قبل ان تغمس فى بحر الجوع وهذا الخلق قل من يتنبه له وغالب الناس يصلى الصلاة جالسا بأدنى وجع ولا يمتحن نفسه وهو تمور فى الدين (وقد كان) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رضى الله تعالى عنه شارح البهجة يصلى النوافل قائما وقد جاوز المائة عام فيصير يميل يمينا وشمالا يكاد يقع من العجز ولا يصلى جالسا فقلت له يوما ان مثلكم لا يطالبه الله تبارك وتعالى بالوقوف فى النوافل فقال النفس من شأنها حب الراحة والكسل وأخاف ان أجيبها الى ما طلبت فأختم عمرى بالكسل عن الطاعات انتهى ووالله انى لا أخرج للصلاة فى بعض الاوقات أجر رجلى جرا من ثقل الوارد الذى يرد على من البلايا والمحن التى تتعلق بى وباخوانى ولا أصلى فى البيت خوفا ان يقتدى بى الكسالى فى مثل ذلك فلا يخرجوا من بيوتهم لصلاة الجماعة (وفى كلام) سيدى احمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتهمها فى جميع أحوالها لا يكتب عندنا فى ديوان الرجال انتهى فما تم اتعب قلبا ولا بدنا ممن جعله الله تبارك وتعالى قدوة للناس انتهى (ومن هنا) بالغ النبى صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا فقطع جميع المجتهدين

بعده ولم يلحقوه مبالغة فى النصح لهم وما كان يصلى جالسا الا حين علم الصحابة رضى الله تعالى عنهم بعجزه صلى الله عليه وسلم فصلى حينئذ جالسا انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من طعام من شفعت فيه شفاعة وقبلت عند أحد من الولاة أو قبول هدية على ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فى هذا الزمان فقليل من الناس من يتنبه لمثل ذلك وقد شفعت مرة فى سيدى محمد العبادى عند الوزير على باشا لما كان عزم على نفيه من مصر وشرع فى بيع عبيده وأمتعته فقبل شفاعتى فيه وانحل عزمه عما كان أراد أن يفعله فأرسل الى جارية فلم أقبلها فملكها لابنى عبد الرحمن فقلت له لا تقبل فملكها لابنى نفيسة فقلت له لا أقبل لها ذلك خلاف أن لا ترجع فمكثت عندى الى ان ماتت على ذمته والنكتة فى ذلك أن الشفاعة من القربات الشرعية وأنا لا آخذ عليها أجرا فى الدنيا وقد وقع انى أكلت مرة سهوا لمن شفعت فيه ثم تفكرت فتقيأته من بطنى وكثيرا ما يأتى الفلاح أو غيره بهدية لأشفع له عند أحد من الكشاف أو مشايخ العرب فأمنع النقيب من انه يدخلها فيصيروا واقفا على باب الزاوية بهديته الى آخر النهار حتى يخرج عنها للعميان والمجاورين وفى أوقات يردها الى بلده أو يبيعها ثم أشفع له لله تبارك وتعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لقبول شئ من هدايا الولاة والعمال لى أو لاخوانى وذلك لاننا ما نصحب الولاة الا بقصد تفريج كرب المكروبين ونحن على حذر من الميل اليهم بسهامنا المسمومة متوجهة اليهم ليلا ونهارا لتصيبهم لكثرة ظلمهم فان سدادهم ولحمتهم من كثرة الظلم والباص وأذى المسلمين ومعلوم أن قبولنا هداياهم والاكل من طعامهم يبطل عمل سهامنا فيهم ونحن لا نرى ابطال عمل سهامنا فيهم بالاكل من طعامهم أو اللبس من ثيابهم مثلا مع ما فى ذلك من التبعات وعدم قبول الشفاعات فان من أكل من طعام رجل أو قبل هديته ذل له وصار معدودا من عائلته وقد أغفل غالب الفقراء هذا الباب فقبلوا من الولاة هداياهم وصدقاتهم وطلبوا منهم قبول شفاعاتهم وانقيادهم لهم وذلك كالمحال ولو أنهم زهدوا فيما فى أيدى الولاة ولم يقبلوا منهم صدقة ولا هدية لعظموهم وقبلوا شفاعاتهم وقبلوا أيديهم وأرجلهم وما أخبرتك يا أخى الا بما جربته فى نفسى قبل دخولى فى محبة طريق القوم وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول من أكل من طعام رجل استحيى منه ضرورة وربما ترك نصحه جملة حياء منه انتهى وفى المثل السائر اطعم الفم تستحى العين انتهى وقد بلغنى ان شخصا من مشايخ العصر يسافر كل سنة لمشايخ العرب من مصر ليسلم عليهم ويقول لهم قد اشتقنا لكم مع ان له اخوانا فى الطريق يرى مكانهم من زاويته ولا يزور أحدا منهم ولا يشتاق اليه وبلغنى أيضا ان بعض مشايخ العرب يقول قد عجزنا فى رضا هؤلاء المشايخ من كثرة ما يشحذون منا وكيف تطيب نفوسهم أن يأكلوا من طعامنا ويقبلوا صدقاتنا مع علمهم بان أموالنا لا تسلم من الحرام والشبهات انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم افشائي سر من صحبته من الولاة اذا قربني وصار يشاورني في أموره فلا أقول لاحد من أصحابي قط ان الامير قال لي كذا أوشاورني في كذا أبدا لاسيما الباشا مثلا فانه ينبني على ذلك مفاسد لا تحصى منها نفرة ذلك الأمير مني وأخذه حذره مني وبعدني عدوا أو مغفلا وذلك يوجب عدم اعتنائه بشفاعتي عنده في المظلومين ومنها الفساد في المملكة وقد قالوا ليس للملك أن يعفو عن ثلاث الاول من قدح في ملكه الثاني من أفشى سره لثالث من أفسد حريمه وهذا الامر قل من يثبت فيه من المجتمعين على الامراء فيفشون أسرارهم ويفتخرون بقولهم قال لي الباشا البارحة كذا وسمعته يقول مقصودي عزل فلان أو قتل فلان أو تولية فلان ونحو ذلك انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم افتخاري بمجيء الاكابر الي من أمير كبير وقاضي عسكر ونحوهما ولا أقول لمن أتاني ولا علم له بمجيء ذلك الامير الي البارحة كان عندنا فلان لان ذلك كالافتخار بأهل الدنيا وهذا أمر يقع فيه غالب المتمشيخين بأنفسهم في هذا الزمان كان أحدهم يقول اعرفوا مقامي عند الامراء والاكابر وكذلك القول فيما اذا زارني ولي كبير أو عالم فان في ذكري للناس أنه زارني اعلاما لهم بان العلماء والاولياء يعظموني ولا يخفى ما في ذلك من الرياء وقلة العقل فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم مزاحمتي على صحبة أحد من الولاة وابناء الدنيا مع حولهم البر والحسنة وان كنت صحبت أحدا منهم ثم طرأ على أحد يزاحمني فيه تركته له بانشراح صدر وقد تقدم أوائل هذا الكتاب أني لا اتشوش ممن نقصني عند أحد من الولاة حتى صار ينكر علي ويبغضني بعد أن كان يعتقدني ويحبني لانه أراحني من ورطة عزله ونفر خاطري من الركون اليه وحماني من احتمال أن تمسني النار التي وعد الله سبحانه وتعالى بها من يركن الى الظلمة ان ركنت اليه وقد كان سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا نفر احد عنه ممن يعتقده من الولاة يقول جزى الله أخانا فلانا خيرا كان الأمير الفلاني مقبلا على مثل الجرف فصده عني وأراحني من تعبه فان الولاة لا يعتقدون فقيرا الا بقصد حمايته لهم من عوارض الدهر ولا يحسنون اليه الا بذلك القصد فلسان حالهم يقول مادام سيدي الشيخ يدعو لنا وهو حامل حملتنا لا نبالي ولو ظلمنا العباد والبلاد فالصادق من يحب كل من نفر عنه ابناء الدنيا والسلام فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) انني لا أصحب أحدا من الولاة الا بعد أن رأيت أن صحبته ترجح على عدم صحبته ثم اني اذا صحبته لمصالح العباد لا أزال اسارقه بتكبير غيري ممن أعتقد أهليته لما أقصد من المصالح وأرفعه في عينه وتحسين اعتقاده فيه حتى يصير يقدمهم علي فاذا صار كذلك تركت صحبته بسياسة بحيث لا يشعر بي أحد ولا يعتقدوا في اني تشوشت منه لكونه صحب غيري وهذا خلق ما رأيت له فاعلا في مصر غيري وقد فعلته مع الأمير محيي الدين بن أبي أصبع ومع محمد بن بغداد ومع كثير من الكشاف فحسنت اعتقادهم لما صحبتهم في غيري وصرفتهم اليه

ولم يفعل ذلك معي أحد من متمشيخي أهل عصري بل ربما نصبوا على صاحبي ليفسدوه علي وأرسلوا له زوالق يجرحوني عنده كما وقع لي ذلك لما تردد الي الدفتردار محمد وصار يثني علي في المجالس فجزاهم الله تعالى عني خيرا وان لم يقصدوا ذلك الخير وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول صحبة الولاة غالبها وخيم وعواقبها رديئة فمن ابتلي بشيء من ذلك وأراد التنصل منهم فليحسن اعتقادهم في أحد من الفقراء الذين في بلده ويسأل الله تعالى أن يدبرهم بحسن التدبير انتهى فعليك يا أخي بتكبير اخوانك عند كل من صحبته من الامراء واذكرهم بالصلاح والخير واياك وتجريح أحد من أقرانك عنده فيقيض الله تبارك وتعالى لك بحكم العدل من يجرحك وينقصك عند ذلك الامير حتى تصير كخرقة الحيض جزاء وفاقا كما وقع ذلك لجماعة من طلبة العلم فذكروا بعضهم بسوء عند الامير الذي صحبوه فاستفاد الامير من كل منهم ان خصمه قليل الدين فقال الله لا ينفعني ببركة أحد منهم ولو انهم كانوا كبروا اخوانهم عنده لخرجوا كلهم من صحبته مستورين انتهى وأنا أوصي جميع اخواني بالتخلق بهذا الخلق فان له حلاوة عظيمة وفيه رضا الله تبارك وتعالى ورضا الاخوان وحكم العكس بالعكس ثم ان أصل تنقيص الناس لبعضهم بعضا عند الامراء انما هو لمحبتهم الدنيا وطمعهم في احسان ذلك الامير لهم فهم يخافون ان يميل ذلك الامير الى غيرهم فيقطع عنهم بره وحسنته أو يمنع عنهم ما كانوا يؤملونه منه فلذلك نفروه عن الميل الى أحد من أقرانهم انتهى ومن أغرب ما وقع لي أن شخصا حط لي عند بعض الامراء لما كنت أشفع عنده فلامه على ذلك بعض الاخوان فقال انما نفرته عنه رحمة به خوفا أن يحسن اليه فيميل اليه ثم انه صحب ذلك الامير بعدي وصار يقبل هديته ويبث محاسنه في المجالس ويصفه بالصلاح فقال له بعض الاخوان لما صحب الامير غيرك وصفته بالظلم ولما صحبته أنت وقبلت هديته وبره صار من الصالحين فادري ما يقول انتهى ولما طعلت للوزير علي باشا بمصر وقبل شفاعتي وأكرمني غار بعض الحسدة من ذلك فارسلوا له قصة وجرحوني فيها بما هو من صفتهم والله يعلم انني منه بريء ثم انهم احتاجوا الى من يشفع لهم عنده فجاؤوني فقلت لهم كيف أنكم تجرحوني ثم تطلبون مني ان أشفع لكم عنده وما ضركم لو كنتم سكتم عن تجريحي فكنت أشفع لكم ثم لم أشفع فيهم عقوبة لهم وعلما بان ما استشفعوني فيه ليس من الضروريات انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة قبول شفاعاتي عند الامراء واعتقادهم في الصلاح من غير مطالبتي بكرامة ولا أعلم الآن أحدا في مصر أكثر شفاعة عند الولاة والكشاف ومشايخ العرب والعمال مني فربما يفني الدست الورق في مراسلاتهم في حوائج الناس في أقل من شهر مع أن في البلد من هو أعظم مقاما مني بل لا أصلح أن أكون تلميذا له وقد بلغنا أن من كان قبلنا من الفقراء لم يزل بينهم وبين الولاة الحرب والمقاطعة ولم يزالوا يطالبون الفقراء بالكرامات حتى يقبلوا شفاعتهم كسيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه وسيدي محمد الحنفي رضي الله تعالى عنه وسيدي ابراهيم الجعبري رضي الله تعالى عنه وسيدي أحمد الزاهد رضي الله تعالى عنه وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم وكانوا ينفخون بطن الظالم منهم حتى يكاد بطنه يتمزق وكانوا يحبسون بول أحدهم حتى يكاد يهلك وأنا بحمد الله تبارك وتعالى لم يطالبني أحد بذلك

ولم يحوجنى الى شئ من هذه الافاعيل وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول من لم يقدر على قتل الظلمة بالحال أو عزلهم لا يصح له دوام قبول الشفاعة عندهم وكان رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يقول ينبغى للعارف أن يحمى نفسه وأصحابه بالحال ولو مرة انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى لمن أشفع عنده من الولاة وغيرهم فيلهمنى الله تبارك وتعالى كلاما لم يمر على بالى قبل ذلك فيخمل غضب ذلك الامير بعون الله تبارك وتعالى وقدرته ولما شفعت عند الوزير على باشا بمصر فى محمد العبادى لما نقم عليه واراد نفيه من مصر واراد ان يبيع عبيده وجواره وأمتعته قلت له قد جئنا نشفع فى محمد العبادى فان كان يستحق أن نشفع فيه فشفعونا فيه وان كان لم يستحق فالفقراء معكم عليه حتى يتأدب فانا لا نوالى من خرج عن طاعة ولى أمرنا فتبسم وانحل غضبه فقلت له حلمكم يسع آلافا من أمثال العبادى وكان قد رد شفاعة من هو أعظم منى قبل ذلك ولما مشى النمامون بين سيدى عبد الله الغمرى رضى الله تعالى عنه بالمحلة الكبرى وبين سيدى الشيخ عبد المجيد الطرينى رضى الله تعالى عنه ولم يقدر أحد على الصلح بينهما فجمعتهما القدرة عندى فى مصر فقلت لا شك ولا خفاء أن كل شيخ منكما له معتقدون يصدقونه فى كل ما يجرح به الآخر فيخل الامر الى بهدلة كل منكما عند الناس وعند الحكام فقالا هذا الامر معقول ما طرق سمعنا قط واصطلحا عندى ولم يزالا على ذلك حتى ماتا انتهى وكذلك لما مشى الناس بين شيخى الشيخ أمين الدين رضى الله تعالى عنه الامام بجامع الغمرى وبين الشيخ شمس الدين الدواخلى رضى الله تعالى عنه بجامع الغمرى وحصلت النفرة بينهما قلت للشيخ أمين الدين يا سيدى سمعت الشيخ شمس الدين يقول أنا ظالم على الشيخ أمين الدين لكونه أكبر منى سنا وكان الواجب على أنى احتمله وقلت للشيخ شمس الدين سمعت الشيخ أمين الدين يقول كان الاولى بى احتمال الشيخ شمس الدين لكونه أصغر منى سنا فدارت الكلمات بينهما فقاما وتعانقا ولم يزالا على الصلح حتى ماتا الى رحمة الله تعالى ورضوانه ثم لا يخفى أن هذا كله انما هو فى وقفة تكون بين اثنين من غير مخالطة حسد اذ الحسود لا يرضيه الاعتذار وانما يرضيه زوال النعمة عن المحسود فمكل العاقل أمر الحسود الى الله تبارك وتعالى ولا يتعب نفسه معه والاثم على الحاسد دون المحسود فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من ضحايا الولاة ومشايخ العرب التى يرسلونها الى الزوايا ونحوهم من المباشرين وأعوان الولاة وان وقع أنى أذنت فى ذبحها عند عدم العلم بها لكنها فى الاصل اطعمها المحاويج الحارة بقصد نفع أصحاب تلك الضحية التى هى على ملكهم فى نفس الامر وقد بلغنا ان الكشاف ومشايخ العرب يأخذون هذه الضحايا التى يفرقونها من أهل البلاد غصبا وأصل مشروعية التضحية انما هو لدفع البلاء عن أهل الدار طول سنتهم كالعقيقة تميط الاذى عن المولود ومعلوم من قواعد الشريعة ان الحرام والشبهات تزيد أهل الدار بلاء فضلا عن كونه يدفع عنهم وربما كانت تلك الضحية لايتام أو فقراء أخذها شيخ البلد منهم قهرا وقال نفرد لكم غنمها على أهل البلد فيكثر التبعاب بذلك وربما لم يفردوا لهم فيأ كل

سيدى الشيخ وفقراؤه حراما بنص الشريعة فالمؤمن الخائف على دينه من يتورع عن مثل ذلك فلا يأكل من تلك الاضحية سواء فردوا غنمها أم لم يفردوه فانه لا وجه لاكله شرعا فليحذر المتدين من ذلك ولا يغتر بقول المتهورين فى دينهم الاصل الحل لان الاصل لا يعمل به الا اذا لم يكن هناك سبب معتبر يحال عليه فى الحرمة أو النجاسة كما هو مقرر فى قواعد الفقه وقد وجد سبب الحرمة هنا وهو ان الولاة يأخذون ضحاياهم التى يفرقونها من أهل بلادهم بغير طيبة نفوسهم ومن شك فى قولى هذا فليسافر الى أهل البلاد ويسألهم هل الضحايا التى يأخذها شيخ العرب منكم تعطونها له بطيبة نفوسكم أم لا يعرف صدق قولى يقينا * ومما وقع لى ان بعض الكشاف بالغربيه أرسل الى خمسة كباش فقلت لقاصده انا لا أقبل شيأ من الكشاف فقال لا أقدر أردهم له فيشوش على فقلت له خذها وأنا أدعو الله ان لا يعلم بها فلم يفعل فقلت للنقيب أخرجها الى من الدار فكل من وجد منها شيأ أخذه فلم يفعل وذبحها فى الليل وفرقها على المتزوجين من الفقراء ففعلت بذلك فأرسلت أخذته منهم وقلت لهم أطعموه للكلاب فأطعموه جميعه للكلاب وشح منهم واحد ان يرمى لحمه للكلاب وعزم على أكله فجاء صغير لا يهتدى لامر ولا نهى فرمى اللحم من الطاقة للكلاب من غير علمه ولو انه كان يتيسر لى معرفة أصحاب الغنم من أهل البلاد لكنت أرسلتها اليهم وهذا أمر ما رأيت له فاعلا فى مصر الا قليلا وعلم من قولنا ان أصل مشروعية التضحية دفع البلاء عن أهل المنزل انه لا ينبغى لتاجر ولا لفقير ان يقدد لحم أضحيته ويخزنه لطعامه طول سنته وكان لسان حاله يقول لا أحد يحمل عنى بلائى ودعونى أحمل بلاء نفسى فان قيل فاذا قلتم ان لحم الاضحية اذا فرق على الناس يتحملون بلاء المضحى فكيف ساغ تفرقة البلاء على الناس من غير علمهم به فالجواب ان صاحب الضحية كالمستغيث باخوانه فى دفع تلك البلايا عنه فلذلك فرقها عليهم فيتوزعونها عنه فيخص كل واحد منهم جزء يسير لا يكاد يحس به هذا ما ظهر لى فى حكمة الامر بالتضحية ومن لم يطلع على حكمة ذلك فيكفيه امتثاله الامر له بالتضحية من غير معرفة علة ذلك ولكن يؤيد ما ظهر لنا من العلة استحباب التصدق بالثلث واهداء الثلث وأكل المضحى الثلث ويكفى الانسان من اخوانه ان يتحملوا عنه ثلثى البلاء النازل تلك السنة على نفسه وأولاده كما أشار اليه قوله تبارك وتعالى وفديناه بذبح عظيم فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من مساعدة الظلمة والولاة لى فى مؤنة الحج كلما أحج مع شدة اعتقادهم فى وطاعتهم لى فى كل ما أطلبه منهم وقليل من يسلم من ذلك بل رأيت بعضهم عرض بمساعدتهم له لما طلب الحج وأرسل لهم النقيب الذى يأخذ من الحافى نعله فأعطاه جملين وسكرا وعمل له الزاد فقال الشيخ جزاه الله عنى خيرا ورأيت بعضهم قبل المساعدة من المكاسين وبعضهم أخذ جملين من شيخ عرب وقال هما عارية مردودة فلما رجع من الحج باعهما فى الرملة وقال قد ماتا منى فى الطريق انتهى وكانت مؤنة حجاتى الثلاثة من ثمن زراعاتى للبطيخ والنيلة وغير ذلك ولا أعلم بحمد الله تبارك وتعالى فى ذلك شبهة وكان معى من العيال والفقراء فى الطريق نحو ثلاثين نفسا وقل من يسافر بمثل هذا العدد الا ويكون فى زاده الشبهة فينبغى للفقير الذى جعله الله تبارك وتعالى قدوة ان يبالغ فى تفتيش زاده من الشبهات جهده وان تحوج فى السفر

وكان فى زاده شبهة فليحرص على الاكل من الحلال من حين يحرم بالحج الى أن يتحلل منه فانها هى مدة الحج حقيقة ومازاد على ذلك فهو من التوابع والوسائل فافهم ياأخى ذلك واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من المجاورة بمكة المشرفة فى حياتى كلها وذلك لعجزى عن القيام بآداب المجاورة والاقامة بها فانها حضرة الله تبارك وتعالى الخاصة فى الارض وهذا الامر قل من يقوم بآدابه من العلماء والفقراء فضلا عن غيرهم بل ربما يرون ان المجاورة هناك من أكبر النعم ولا يفتشون على ما عليهم فى ذلك من الآداب ومن جالس الملوك بلا أدب جره ذلك الى العطب وها أنا أذكر لك بعض آداب ذكرها الاولياء حضرتنى الان لتنتبه بها على غيرها فمنها ان لا يخطر ببال من يجاور معصية قط مدة مجاورته فى مكة ولو فى بيته فضلا عن المسجد الحرام فضلا عن الطواف فضلا عن الصلاة لانه فى حضرة الله تبارك وتعالى التى ما فى الارض بقعة أشرف منها الا تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لم يعلم من نفسه السلامة فلا ينبغى له الاقامة هناك حتى يجاهد نفسه بالرياضة بحيث يصير لا تشتهى نفسه معصية قط قال سيدى الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وممن أقام بمكة خمسين سنة لم يخطر على باله خاطر سوء سيدى سليمان الديلى رضى الله تعالى عنه وفى القرآن العظيم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فتوعد من أراد فيه ظلما بالعذاب الاليم ولو لم يعمل ذلك الظلم فهو مستثنى عند بعضهم من حديث ان الله تعالى تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به الحديث كما هو مقرر فى كتب الاصول وقال بعض المحققين وهذا هو السبب الذى دعا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما الى سكنى الطائف دون مكة فاحتاط لنفسه وان كان وقوع الظلم منه لنفسه أو لاحد من الخلق بعيدا منه لحفظه رضى الله تعالى عنه من الوقوع فى مثل ذلك لانه رضى الله تعالى عنه أعلى مقاما من الاولياء الذين حفظوا من الوقوع فى المعاصى يقينا فافهم وكذلك كره الامام مالك والشعبى رضى الله تعالى عنهما المجاورة بمكة وقالا مالنا ولبلد تضاعف فيها السيآت كما تضاعف الحسنات ويؤاخذ الانسان فيها بالخاطر انتهى ثم لا يخفى عليك يا أخى ان من الظلم سوء ظنك بأخيك المسلم وبغضك له بغير حق كما يقع فيه من لم يكن بيده حرفة هناك ولم يكن معه مال ينفق منه على نفسه فيصير متطلعا لما فى أيدى الخلائق فكل من لم يفتقده بشئ يصير يحط عليه فى المجالس ولو تعريضا ويصفه بالبخل وذلك ظلم منه لاخيه فمثل هذا ربما أذاقه الله تبارك وتعالى العذاب الاليم فيجعله يطمع فيما فى أيدى الناس ويقسى تبارك وتعالى قلوبهم عليه ويلقى عليه الجوع الذى لا يحتمله ولا يصبر عليه فلا هو يقدر على نفسه ترجع عن الطلب ولا هم يعطونه شيئا نسأل الله سبحانه وتعالى اللطف بنا وباخواننا ومنها ان يأكل من الحلال الصرف مدة اقامته وذلك اما بعمل حرفة شرعية كما كان عليه الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه وسفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه وابن أدهم سيدى ابراهيم رضى الله تعالى عنه واضرابهم رضى الله تعالى عنهم واما بتوجهه الى الله تبارك وتعالى ان يستخرج له الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهات فيرزقه من حيث لا يحتسب كطعام الانبياء والاولياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك أن من أكل غير الحلال قسا قلبه وغلظ وأظلم وحجب

عن دخول حضرة الله تبارك وتعالى فلا يقدر على قلبه أن يمكث لحظة فى حضرة الله تبارك وتعالى بل كلما اضطره الى الدخول زهق منه وخرج وتشتت فلا يقدر أن يستحضر أنه بين يدى الله عز وجل زمنا طويلا أبدا واذا حجب عن دخول حضرة الله تبارك وتعالى فما فائدة مجاورته بمكة وهذا من أعظم الشقاء لانه يصير بعيدا فى محل القرب ومنها أن لا يبيت على دينار ولا درهم ولا طعام ولا ثياب وهو يعلم أن فى مكة أحدا محتاجا الى ذلك ومنها أن لا يسأله أحد فى الحرم شيئا ويمنعه منه الا ان كان هو أحوج من السائل لا سيما ان سأله أحد بالله تبارك وتعالى أو قال له أعطنى نصفا بحق رب هذه الكعبة فمن سئل شيئا هناك ومنعه فهو لم يعرف عظمة الله عز وجل واذا لم يعرف عظمته تبارك وتعالى فهو مطرود لا يعبأ الله سبحانه وتعالى به ولو أنه كان جالسا عند أحد من ملوك الدنيا وسأله انسان لاجل ذلك الملك نصفا لربما أعطاه دينارا فليتنبه المجاور بمكة لمثل ذلك فان الحق تبارك وتعالى غيور ومنها أن لا يحن قط الى وطنه وبلاده وأصحابه وأولاده فيصير ملتفتا عن حضرة ربه جل وعلا وظهره اليها ووجهه الى الدنيا ومعلوم أن العطايا والمنح لا تكون الا للمقبلين على حضرة الله تبارك وتعالى فان المدبر عنها فى حضرة ابليس ومنها أن لا يميل قط الى شهوة محرمة ولا مكروهة بل ولا يخطر على باله كما مر ومراعاة ذلك عسرة جدا على من يجاور فى الحرم من غير زوجة ولا أمة وهو شاب ولذلك حج الاكابر من العلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم بزوجاتهم وتحملوا مؤنة حملهن ذهابا وايابا كالشيخ أبى الحسن البكرى رضى الله تعالى عنه والشيخ محمد الشناوى رضى الله تعالى عنه وأضرابهما رضى الله تعالى عنهم كل ذلك خوفا أن تميل أنفسهم الى الجماع هناك وليس معهم أحد من حلائلهم ومنها أن يقلل الاكل جهده ولا يأكل حتى يحصل له مقدمات الاضطرار الشرعى وذلك بأن يحس بأن أمعاءه يأكل بعضها بعضا مع الحرارة لانه ليس هناك طبيعة تشتغل الامعاء بها فى تبريد النار التى تطبخ الطعام وذلك ليشارك أهل الجوع من الزبالع وغيرهم فى الجوع ولا يتخصص عنهم بشئ وكذلك من الادب أن لا يأكل قط وعين تنظر اليه من المحتاجين الا أن يشرك ذلك الفقير معه فى الاكل وذلك هو معظم الاسباب التى امتنعت أنا من المجاورة لاجلها وقد جاءنى الشيخ على الكازرونى رحمه الله تعالى وسألنى فى المجاورة فقلت له ما معى شئ أنفقه ومعى من لا يصبر على تجريدى فقال مثلك لا يحمل هم الرزق اجلس ويأتيك الله برزقك فقال له ولدى عبد الرحمن وكان عمره أربع سنين ان كان سيدى الشيخ يطلب من والدى المجاورة فليشاركه فى كل شئ دخل عليه من جواليه وصره ولا يتميز عن والدى بشئ وهو يجلس فسكت ولم يرد لنا جوابا من ذلك اليوم لعجزه عن القيام بذلك مع أنه معدود من الصالحين عند غالب أهل مكة ومنها أن لا يعانى هناك الملابس الفاخرة الغالية الثمن ولا الروائح الطيبة الا ان علم أنه ليس فى مكة جيعان ولا عريان والا فمن الادب صرف ما زاد عن الضرورة على الفقراء والمساكين وان لبس الثياب الخشنة أو الخليقات أو المرقعات كان أولى وأكثر تواضعا ويجمع ذلك كله أن من أدب المجاورة بمكة أن لا يتميز عن اخوانه المسلمين بأكل ولا ملبس ولا غيرهما حسب طاقته وعزمه ولا يرد سائلا بالله اجلالا لله تبارك وتعالى الذى هو فى حضرته ومنها أن لا يرى نفسه قط انه خير من أحد من المسلمين فى سائر

أقطار الارض فان هذا ذنب ابليس الذى أخرج لاجله من حضرة الله تبارك وتعالى وطرد ولعن الى يوم الدين اللهم الا أن يرى انه خير من حيث نعمة الله تبارك وتعالى عليه بالتوفيق فى الحالة الراهنة أكثر مما أنعم به على ذلك الشخص ويرجو لنفسه حسن الخاتمة من غير أن يعتقد سوء خاتمة ذلك الشخص ولا ان نفسه أولى بها منه فلا حرج عليه ثم لا يخفى ان أهل الحضرة الالهية كلهم مقربون لا ملعونون فمن تعاطى أسباب اللعن أخرج من الحضرة الالهية فافهم ومنها ان لا يبول ولا يتغوط فى الحرم كما كان أبو عثمان المغربى رضى الله تعالى عنه وأرضاه والفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه وسفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه يفعلونه فكانوا يخرجون الى الحل يتغوطون ويرجعون هكذا نقله القشيرى رضى الله تعالى عنه عن أبى عثمان وغيره رضى الله تعالى عنهم أجمعين ومنها ان لا يمشى فى الحرم الشريف بتاسومة الا لضرورة كشدة حر او برد أو جرح ونحو ذلك فان الحرم الشريف محل حياة الاولياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولو كشف للمؤمن الحجاب لم يجد فى الحرم محلا يمشى فيه برجله لكثرة الساجدين فيه ليلا ونهارا وقد وقع ذلك لاخى الشيخ أفضل الدين رضى الله تعالى عنه وأرضاه فكاد أن يذوب من الحياء والخجل من الاولياء الساجدين فتوجه الى الله تبارك وتعالى وسأله ان يرخى عليه الحجاب فحجب عن ذلك حتى طاف وصلى ما كتب له وكذلك وقع مثل ذلك لشخص من مريدى سيدى أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه فى جامعه بالمقسم فصار اذا مشى ينصرف يمينا وشمالا ويقول دستور والناس لا يرون هناك أحدا فأخبرهم بذلك فمنهم من أنكر ومنهم من صدق فرأى مثل ما رأى وصار يقول ما أرى موضعا خاليا من الساجدين من الجن والملائكة انتهى ومنها ان لا يرى له عبادة وقعت هناك على وصف الكمال اعجابا أبدا لئلا يقع فى الزهو والعجب بنفسه فيهلك مع الهالكين أما اعترافا بالنعمة فلا بأس ومن هنا كان أكابر الاولياء رضى الله تعالى عنهم لا يتميزون عن العامة بكثرة صوم ولا صلاة انما يؤدون الفرائض وما لا بد منه من السنن خوفا ان يطرقهم العجب بكونهم فعلوا ما فرضه تبارك وتعالى عليهم وزادوا عليه فلاجل هذا الخاطر تركوا المبالغة فى زيادة النفل مع ان النفل لا يكون الا لمن كملت فرائضه وهو خاص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم من الائمة رضى الله تعالى عنهم وأما غيرهم فجميع ما يفعلونه زائدا على الفرائض فانما هو جوابر لبعض النقص الواقع فى فرائضهم فافهم ومنها ان لا يستحلى قول من قال فى حقه هنيأ لفلان الذى أقام بمكة وأقبل على عبادة ربه جل وعلا فتى استحلى ذلك فهو دليل على عدم اخلاصه وحبه للرياء والسمعة فعمل مثل هذا حابط من أصله وليس معه شئ يحسد عليه فكيف يفرح بمن يغبطه على ذلك فليتنبه المجاور بمكة لنفسه ويحذر من الآفات ومنها ان لا يذكر هناك أحدا بسوء من سكان الحرم أو فى سائر أقطار الارض وقد كنت أسمع أهل مصر يقولون فى شخص أقام بمكة هنيأ لفلان ترك الدنيا واستراح فلما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة جلست معه فى الحرم فشرع يستغيب شخصا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له لو عرف أهل مصر ما تقع فيه هنا ما تمنوا أن يكونوا مكانك فكيف تستغيب فى الحرم الشريف شخصا من جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فى حضرة الله تبارك وتعالى فلا استحييت من الله عز وجل ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم فما اذا حصلت وكذلك وقع لى أنه جلس معى شخص آخر

فى الحجر تحت الميزاب فصار يستغيب الشريف عبد الرحيم البيروتى فقلت له قم واخرج من الحرم كيف تستغيب أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضرة الله تبارك وتعالى والله ان البهائم أحسن حالا منك انتهى ما حضرنى مما يليق وضعه هنا من آداب المقيم بالحرم فى هذا الوقت وقد فتحت لك الباب ففتش نفسك فان رأيتها تقوم بهذه الآداب فجاور بمكة وهنيأ لك وان رأيتها لا تقدر على القيام بذلك فارجع الى بلادك بعد الحج فربما انه أفضل لك من المجاورة وقد حج مع سيدى أبى العباس الغمرى رضى الله تعالى عنه أربعة عشر وليا من أولياء مصر رضى الله تعالى عنهم فاستأذنوه فى المجاورة فقال لهم رضى الله تعالى عنه ان قدرتم على أدبها فجاوروا وبين لهم جملة من الآداب فلم يقدر أحد منهم يجاور ورجعوا رضى الله تعالى عنهم أجمعين فاقتد يا أخى بهؤلاء الاشياخ واعمل على التخلق باخلاقهم ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الاكل من صدقات الناس وزكواتهم ما دمت أجد عندى ما يسد الرمق وذلك لما بلغنى انى من ذرية سيدى محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه اللهم الا أن تكون الصدقات عامة كالاوقاف فلى الاكل منها اذا كنت بصفة المستحقين لذلك الوقف وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وساعدنى على ذلك القناعة التى جعلها الحق تبارك وتعالى عندى ومن يستعفف يعفه الله تبارك وتعالى ومن يستغن يغنه الله تبارك وتعالى وقد كان والدى وجدى وأخى الشيخ عبد القادر على هذا القدم ويقولون نخاف أن نخالف هدى أسلافنا ونأكل من أوساخ الناس انتهى فافهم يا أخى ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة شكرى لله تبارك وتعالى اذا زوى عنى الدنيا كما أشكره اذا وسعها على بل أولى لانه اذا زوى عنى الدنيا يكون لى اسوة بالانبياء والاصفياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واذا وسعها على كان لى اسوة بغالب الجبابرة كقارون وثعلبة والتأسى بالانبياء والاصفياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى الفقر أسلم عندى من توسعة الدنيا وانفاقها وأقل حسابا وقد قال السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم يا طالب الدنيا لتبر بها غيرك تركك لها أبر وأبر انتهى وقال سيدى الشيخ أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه خلو اليد أرقى للعبد عند الله من توسعة الدنيا عليه ولو نوى بها التصدق انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وقال الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا واذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه وشغله بها عنه ثم انه تبارك وتعالى اذا أقامنا فى حالة منهما فليس لنا طلب تحويلها بل يجب علينا الرضا بجميع ما يقضيه علينا وذلك لانا عبيد مستعملون فيما يريد تبارك وتعالى لا فيما نريد نحن ثم ان كان ولا بد لنا من سؤال التحويل لغرض من الاغراض الشرعية فينبغى لنا أن نقول اللهم وسع علينا الدنيا ان كان فى ذلك مصلحة أو ضيقها علينا ان كان لنا فى ذلك مصلحة كما نقول فى طلب الموت والحياة ثم ان كل شئ وقع بعد ذلك كانت الخيرة فيه ان شاء الله تعالى لتفويضنا أمرنا اليه تبارك وتعالى فى الحالين وفناء اختيارنا فى اختياره تبارك وتعالى وقد جرب الصالحون رضى الله تعالى عنهم الدنيا وقالوا قل من كثرت عليه الدنيا الا

وتكثر غفلته عن الله تبارك وتعالى لان العبد كلما كان أكثر حاجة الى الله تبارك وتعالى كلما كان الحق جل وعلا على باله بخلاف ما اذا أعطاه قوت سنة مثلا فان غفلته تكثر حتى ربما كان شيخ الزاوية أكثر غفلة عن الله تبارك وتعالى من التجار اذا خزن قوت سنة وقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل بيته الكفاف وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا والقوت هو الذى لا يفضل منه عن غدائهم ولا عشائهم شئ وذلك ليكونوا متوجهين الى الله تبارك وتعالى صباحا ومساء * وفى كلام الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه لا توسع على عيالك وأولادك بما فوق كفايتهم الا باذن شرعى فان طاعتهم لك بقدر ما يستحضر من حاجتهم اليك انتهى وكذلك القول فى العبد مع ربه عز وجل تكون طاعته لربه تبارك وتعالى بقدر حاجته اليه عز وجل قال تبارك وتعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول ما وسع الله تعالى على عبد دنياه الا ليكثر شكر ربه عز وجل على ما اعطاه وأغناه به عن سؤال خلقه ويكثر بذلك عبادته وانقياده له ولأوامره فعكس العبد ذلك وغفل بما أعطاه ربه جل وعلا عنه واتخذه ذريعة الى المخالفات والشهوات وسمعته مرة أخرى يقول انما اختار صلى الله عليه وسلم التقلل من الدنيا رحمة بضعفاء أمته خوفا أن يتبعوه فى توسعة الدنيا ثم لا يهتدون بعد ذلك للخروج منها ولا يقدرون على القيام بشكرها ولا على تأدية حق الله تبارك وتعالى منها فاحتاط صلى الله عليه وسلم لامته والا فاعتقادنا الجازم فيه صلى الله عليه وسلم انه لو أعطاه ربه تبارك وتعالى الكونين لم يشتغل بهما عنه لحظة لعصمته صلى الله عليه وسلم انتهى وسمعته مرة أخرى يقول لا ينبغى للعارف اذا كان له أتباع ضعفاء أن يتوسع فى أمور الدنيا بحضرتهم فيهلكهم لانهم يقتدون به فى ظاهر الفعل ولا يعرفون ما فى طى ذلك من الآفات والسموم القاتلة انتهى فعلم مما قررناه ان من كان توسعة الدنيا عليه مذكرة له بربه تبارك وتعالى ويشكره جل وعلا وهو قائم بذلك الشكر على مذهب السلف فهو أولى وأعلى ولكنه مقام خطر لا يقوم به خالصا الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء رضى الله تعالى عنهم فلذلك اختار العقلاء كلهم التقلل من الدنيا والزهد فيها اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثم مقام رفيع ومقام أرفع والسلامة مقدمة على الغنيمة وكان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول لو أوصى رجل بمال لأعقل الناس اصرفته الى الزهاد فى الدنيا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم شهود فضلى على من أحسنت اليه وتقليل ذلك فى عينى فلو أنى ملكت ألف دينار مثلا وأعطيتها أحدا فحكمه عندى كما لو أعطيته قشة من الارض فى عدم التفاتى اليها بعد اعطائها وذلك انى أنظر الى الدنيا بالمعنى الذى ورد من انها لا تزن عند الله سبحانه وتعالى جناح بعوضة فاذا عسى أن يخصنى أنا من ذلك الجناح اذا فرق على جميع اهل الارض حتى انى أمن به أو أتذكره أو ألتفت اليه بعد العطاء وهذا خلق غريب فى هذا الزمان لا يوجد الا فى الفقراء الصادقين لان الفقير الصادق على قدم الملوك فى شهامة النفس وكرامتها من تعاطى الرذائل المزرية بالعبد فهو يجل مقامه ان يلتفت الى ما أعطاه لسائل مثلا

امتثالا لامر ربه تبارك وتعالى من حيث ذات ذلك الشئ لا من حيث كون الاعطاء قربة وقد وفقه الله لها فان التوفيق لذلك منة عظيمة يتأكد عليه شكرها ولذلك ورد مرفوعا لا تسألوا الناس شيأ وان كان أحدكم ولا بد سائلا فليسأل الصالحين أو ذا سلطان انتهى أى لان الملوك والفقراء لا يمنون على أحد بما أعطوه له أما السلطان فانه يحتقر ما يعطيه من حيث ما تقدم له وأما الصالح فانه يرى الملك لله تبارك وتعالى فى الوجود ويرى نفسه كالوكيل المستخلف فى مال سيده لينفق منه على عبيده بالمعروف فان كان السلطان ممن يرى انه لا يملك مع الله تبارك وتعالى شيأ فقد حاز الخير بكلتا يديه فليسأله السائل وقلبه منشرح انتهى وسمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه يقول لا ينبغى للفقير فى هذا الزمان أن يفتح باب السؤال للناس ولو كان كل ما أعطوه له يتصدق به على الناس لان ذلك يزرى به ويفوته مصالح أعظم مما فعل الا أن يسألهم زكاة أموالهم الشرعية انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) انشراح صدرى للاسرار بالصدقة أكثر من الجهر بها الا أن تكون صدقة فرض أو لغرض صحيح شرعى وذلك لما ورد ان صدقة السر تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفا ولكن ليس الحامل لى على الاسرار طلب مضاعفة الاجر فانى لا أملك مع الله تبارك وتعالى فى الدارين شيأ وانما الحامل لى على ذلك امتثال الامر الدال على ان الشارع أحب لنا ذلك لا غير وانما ندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى الاعلان بزكاة الفرض اقامة لشعار الصدقة كالصلاة فانها مقرونة معها غالبا فى نحو قوله تبارك وتعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولئلا يلوث الناس بالغنى اذا أخفى زكاته فيقعوا فى الاثم وقد يقتدى به فى ذلك مانعو الزكاة ويوسعون على الفقراء فكان أجر توسعة الاغنياء على الفقراء بسبب اظهارهم الزكاة أكبر من أجر اسرارهم ومضاعفة الاجر لهم اذ الخير المتعدى نفعه أرجح من الخير القاصر على العبد فقدمنا المنفعة العامة للفقراء على المنفعة الخاصة بالاغنياء انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا ورد عليه فقراء المهاجرين يأمر أصحابه بأن يجمعوا لهم فى المسجد شيأ ثم يقسمه عليهم فربما صار فى المسجد كوم من الطعام والثياب والذهب والفضة فما أمرهم صلى الله عليه وسلم بالاعلان بذلك وجعله فى المسجد الا ليقتدى بعضهم ببعض انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من أعظم أخلاق الرجال أن لا يحدث أحدهم نفسه بصدقته أبدا ولا يحب اطلاع الناس عليها بل يتكدر اذا علم أحد بها فان غالب الناس اذا أعطى شيأ تصير نفسه تنازعه فى انه يذكر ذلك للناس تعريضا أو تصريحا اللهم الا أن يكون هناك أحد يسئ الظن بالمتصدق ويظن به البخل أو منع الزكاة فمن الادب حينئذ اظهارها ليخرج أخاه من سوء الظن لا لتفرقه من كونه نقصه فافهم وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه يسر بصدقته حتى كان غالب الناس يعتقد أنه بخيل وقد خالطته رضى الله تعالى عنه عشر سنين فما رأيت فى علماء مصر أكثر صدقة منه انتهى وكان رضى الله تعالى عنه اذا أراد أن يعطى أحدا شيأ يقول له صافحنى لاجل السنة ويضع له فى كفه ما قسم له وتارة يقول هل هنا أحد فان قلت له نعم يقول ان تريد أن يعطيه شيأ

عد البنا مرة أخرى فان لى بك حاجة وهذا الامر لا يثبت فيه الا من صدق مع الله تبارك وتعالى وعامله مخلصا وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من صدقة السر أن تشترى من أحد شيأ وتزيده على الثمن أو تشترى منه بواسطة بحيث لا يشعر البائع انه وكيلك وتأذن له فى أن يعطيه زائدا على القيمة قال رضى الله تعالى عنه وليس فى مسائل الاخفاء أخفى من هذا لكن أعطى صدقته لعامل السلطان فان الفقير لا يعلم من هو المتصدق عليه عينا أبدا انتهى وفى الحديث الشريف السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه انتهى وفى هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ويؤيد ذلك كونها تشهد عليه يوم القيامة ووقوع ما يشير اليه اختلاجها من خير أو شر فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب السابع فى جملة من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل)

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تشوف نفسى الى طلب مكافأتى على هدية أهديتها لاحد من الخلق اذا جئت من سفر الحجاز ونحو ذلك بل أحور النية لله تبارك وتعالى قبل أن أهديها له ثم ان علمت من همته الاهتمام بالمكافأة أرسلت له مع القاصد انى عزمت ان لا أقبل مكافأة على ذلك حتى أريح قلبه من التعب ومن قوله والله ما كان لى حاجة بارسال فلان لى كذا وكذا وأنا فى غنية عن ذلك وهذا الامر قل من يتنبه له من المهدى والمهدى اليه لا سيما من تعود الاخذ من الناس دون ان يعطيهم فربما أعطى شيأ لاخيه ليصطاد به منه ما هو أكثر من هديته هو وربما يعطى ذلك الشخص عليه بالمكافأة فيصير يحدث نفسه بها وربما يرسل اليه نظير هديته من غير زيادة فيقول ما كان لى حاجة بها لكونها دون ما كان فى أمله وبعضهم يحلف بالله تبارك وتعالى رياء وسمعة أنه لا يقبل له مكافأة وهو فى الباطن يحبها كما يقع لاصحاب الانفس الرديئة من التجار الذين يرجعون من سفر الحجاز والشام ولو انهم عملوا بآداب الفقراء فأهدوا احتسابا لله تبارك وتعالى وقبلوا المكافأة على ذلك من الله بقطع النظر عن الخلق أصلا أو مع النظر اليهم من غير وقوف معهم لأفلحوا ولم يقعوا فى شىء مما ذكرنا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة رحمتى وشفقتى على من كان على التقوى من اخوانى ثم غير وبدل وصار فاسقا شريرا مثلا فان أحوج ما يكون أخوك اليك اذا عثرت دابته فالاعوج أولى بالرحمة من المستقيم لا سيما ان صار يحط فى اخوانه الذين فارقهم أو فى شيخه الذى فارقه فانه يتأكد مداواته والا ذهب دينه بالكلية وكذلك اذا اجتمع على شخص ممن يكره شيخه فربما يذهب دينه كذلك كما هو واقع كثيرا فى جماعة الاشياخ فانه بمجرد ما يطرده شيخه يصير يحط عليه وعلى جماعته واذا قال له أحد كيف فارقت شيخك فيقول ما كل ما يعلم يقال ويوهم الناس انه فارقه بحق وان شيخه مرتكب أمورا لو اطلع عليها الخلق ما اعتقدوه وأصل ذلك كونه يصير ممقوتا مكسور الخاطر بين الناس فيريد أن يجبر كسره بما يقوله فيمن فارقهم واعلم يا أخى

ان المريد اذا خرج مطرودا فانما نتأكد مداواته ما دامت قابليته للخير موجودة فان تمكنت منه امارات الخذلان والعياذ بالله تعالى وكلنا أمره الى الله تبارك وتعالى حتى نجد امارات القبول ويسوق علينا السياقات وهناك ينبغى لنا قبوله فان لم يكن هناك امارات وطلب الرجوع الى الزاوية منعناه خوفا من أن يفسد الجماعة ويعلمهم سوء الادب وما أخرج الاكابر من الاولياء فضلا عن الانبياء أحدا مطرودا وأفلح أبدا لانهم لا يطردون أحدا وفيه رائحة خير أبدا ثم اذا طردناه فيكون ذلك بالقلب دون اللسان فانه أقل حياء يقين ممن يكلمه الكلام الجافى من أهل الزاوية أو غيرهم ويتولد من ذلك شرور ومخاصمات وربما ترافعوا للحكام ولا ينسب الى ساكت قول انتهى وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول الفقير هو من يعمل بقلبه دون يده ولسانه ثم يقول رضى الله تعالى عنه كان سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول كل الطيور تقول ولا تفعل والبازى يفعل ولا يقول ولذلك صارت اكف الملوك سدته يجلس عليها انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم قطع برى وحنوى للناس اذا كفروا وساطتى فى ذلك فانى عبد ليس لى فضل على أحد وانما أنا مستعمل فيما أمرنى الحق تبارك وتعالى به وليس لى معه ملك أرى لى به فضلا على أحد من عبيده مطلقا وبتقدير رؤيتى الفضل على العباد فكلما كفروا وساطتى توفر لى الاجر بخلاف ما اذا مدحونى فربما كان ذلك المدح يرجح على ذلك العطاء فلا يبقى لى حسنة وقد كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول أعظم الناس أجرا من يحسن الى من لا يشكره أو الى من يؤذيه من الاعداء انتهى وسمعته أيضا رضى الله تعالى عنه يقول من أراد النصرة على أعدائه فليحسن اليهم وليتأمل فى نفسه الذى يعاقب ولده وتلميذه مثلا بقطع الاحسان اليه يجد الحق تبارك وتعالى يرزقه ليلا ونهارا مع كونه مخالفا له فينبغى للعبد أن يعامل عبيد سيده بالحلم والعفو والصفح وعدم المعاجلة بالعقوبة كما يعامله سيده ثم لا يخفى ان الاثم الواقع لمن يعاقب ولده مثلا بقطع رزقه انما هو من حيث قصده هو والا فالعبد لا يقدر أن يرد ما قسمه الله تبارك وتعالى لغيره أبدا انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) طيب نفسى باعطاء القطة أو الكلب ورك الدجاجة التى بين يدى اذا رأيتها تتوقع الاحسان بالقرائن وكثيرا ما أعطيها الدجاجة كاملة اذا كانت جيعانة فعلم من ذلك انى بطريق الاولى لا أجرى وراءها اذا خطفت الدجاجة المحمرة ولا أمكن أحدا من ان يجرى وراءها لانى قد أعطيها ذلك بطيبة نفس ثم ان جرى أحد وراءها رأيت ان ارعابها وازعاجها يذهب أجر الدجاجة وكأننا لم نعطها شيأ بل ربما لم تكن الدجاجة تفى بضرر ارعابها انتهى واعلم يا أخى ان الهرة ما خطفت الدجاجة مثلا من بين ايدينا الا بعد ان جربت تنافى البخل والشح علينا وبعد ان رأت الواحد منا يجرد اللحم عن العظام حتى لا يبقى عليها جلدة ولا عصبا فما خطفت حتى أيست من احساننا لها مع انها ما أقامت عندنا الا لظنها فينا الكرم والبر وانا نرمى لها شيأ تأكله اذا وقفت بين أيدينا فانها تفهم الامور ولكنها عاجزة عن النطق بما تفهمه وقد

ذكر بعض المحققين أن البهائم ما سميت بهائم الا لابهام أمرها علينا لا لابهام الامور عليها هى ثم قال رضى الله تعالى عنه وتأمل صناعة نحو العنكبوت والنحل فانها تطلعك على ان للحيوانات تدبيرا ورؤية بالهام من الله تبارك وتعالى وان لم تكن مكلفة انتهى وقد كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يوصى عياله على القطيطة لاسيما فى نهار رمضان ويقول ان الناس لا يأكلون نهارا فلا تجد القطة ما تأكله فتضيع مصالحها انتهى ورأيته رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يضع للنمل الدقيق أو الفتات على باب جحرها ويقول رضى الله تعالى عنه نغنى النملة عن الخروج للسعى على قوتها وقوت رفقتها فانها لا تخرج حتى تبايع نفسها على أنها لا ترجع الا بشئ فتعرض نفسها للوقوع حافرا أو نعل عليها فاما تموت واما تنكسر يداها أو ترضخ اضلاعها فتمرض زمانا طويلا وتقاسى من الالم ما لا يقاسى أحدنا لو كسرت يداه أو أضلاعه ونام على قور سبعة أشهر وأكثر انتهى * وقد بلغنا عن الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه انه رئى بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بصبرى عن الكتابة لما جلست ذبابة على القلم تشرب من المداد حتى فرغت فطارت انتهى * ومما وقع لى ان زوجتى فاطمة أم عبد الرحمن حصل لها حادر نزل على قلبها فصاحت والدتها وأيقنت بموتها فحصل لى تشويش عليها واذا بقائل يقول لى وأنا فى مجاز انها لا تخلص الذبابة من ضبع الذباب فى الشق الذى تجاه وجهك ونحن نخلص لك زوجتك فمضيت الى الشق فوجدته ضيقا لا يسع الاصبع فأخذت عودا وأدخلته فسحبت ضبع الذباب مع الذبابة فوجدتها صائحة منه وهو عاض على عنقها فخلصتها منه فخلصت زوجتى وصحت فى الحال وفرحت والدتها انتهى فمن ذلك اليوم ما احتقرت شيأ من الاحسان الى الدواب والحيوانات التى لم يأمر الشارع صلى الله عليه وسلم بقتلها انتهى وقد كان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اذا كان عندكم شئ من العسل أو السكر فصبوا من ذلك شيأ على باب جحر النمل أو فى الموضع الذى تعرفه على اسمها ولا تجعلوا لها قطرانا على الاناء الا بعد ذلك فان من عسر على حيوان طريق الوصول الى رزقه فربما عسر الله تبارك وتعالى عليه طريق رزقه كذلك جزاء وفاقا بحكم العدل الالهى ثم لا يخفى ان أولى الناس بالعمل بهذا الخلق حملة القرآن والعلم لان الناس يقتدون بهم فى ذلك ولا ينبغى لهم أن يتركوا الاحسان الى الدواب والخلق الا بطريق شرعى انتهى * وقد حكى لى الحاج محمد الحلبى قال كنت أطرد القطة كلما وقفت على وأنا آكل فجاءتنى فى المنام وقالت مثلك يطرد القطة ويبخل بأكلها وقد خولك الله تعالى فى النعمة ووسع عليك فقلت أضغاث أحلام وطردتها فجاءتنى فى المنام وقالت لى مثل الاول فقلت أضغاث أحلام وطردتها ثانى مرة فجاءتنى فى الثالثة فصرت أطعمها من كل شئ أكلت منه انتهى * وقد حكى لى بعض الفقراء أنه كان له جار يطبخ ألوان الطعام قال فيدخل له أولادى الصغار فيصير أحدهم واقفا ينظر اليه فلا يعطيه قطعة لحم مثل قطة النقيبه انتهى وكنت لم أسمع بهذا المثل قبل ذلك فاستنبطت من ذلك أنه لولا أن ذلك يتكرر من الفقيه مثلا ما صح ضرب المثل به انتهى فاياك يا أخى من العمل بمثل ذلك وقد صرح بعض المحدثين رضى الله تعالى عنهم باستحباب تربية القط وذلك يستدعى اطعامه وسقيه وعدم الشح عليه واستحباب الاحسان اليه انتهى فافهم يا أخى ذلك واحمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله

رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حضور قلبى مع الله تبارك وتعالى حال أكلى وشربى وشهودى ان ذلك من فضل الله تعالى على لا أستحق ذرة منه بل لا أقوم بواجب حقه تبارك وتعالى على لو سففت الرماد ثم اذا وقع لى أنى أكلت غافلا عن ذلك المشهد أو شربت استغفرت الله تبارك وتعالى حتى يغلب على ظنى أن الله تبارك وتعالى قبل استغفارى فضلا منه وانما لم أقل استغفر الله مرة فقط لان مثلنا ربما لا يقع له حضور فى استغفاره الا بعد سبعين مرة وأكثر وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول ما أسبغ الله تعالى علينا النعم بالاصالة ليمكر بنا وانما أسبغها علينا ليجمع قلوبنا عليه ولا نخرج من حضرته تبارك وتعالى الا لعذر شرعى وكان الحق تبارك وتعالى يقول من كنت كافيه عن الحرف والصنائع التى تحجبه عنى بما سخرته له من الرزق على يد عبادى من حيث لا يحتسب ولا تستشرف نفسه اليه فلاى شئ يخرج من حضرتى (وسمعته) رضى الله تعالى عنه أيضا يقول تيسير استعمال الطعام نعمة كالصلاة فكما ان الصلاة ما شرعت الا لحضور العبد فيها بقلبه مع ربه تبارك وتعالى فكذلك الحكم فى مشروعية الاكل والشرب ما شرعا الا ليحضر العبد فيهما مع من أحسن بهما اليه انتهى * واعلم يا أخى انه ما واظب أحد على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه الا أورثه الله تبارك وتعالى القناعة والزهد فى الدنيا وكفاه شر نفسه انتهى (وسمعت) أخى أفضل الدين رضى الله تعالى عنه يقول اذا عاتبت ولدك أو خادمك على أمر فعاتبه وهو جالس يأكل معك فانه أسرع لانقياده لك فيقول كيف أكون مخالفا لامر سيدى وأنا آكل فى خيره قال رضى الله تعالى عنه وايضاح ذلك أن شكر المتلبس بالنعمة أعظم من شكر من يرجوها قبل ان يتلبس بها انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه فاعمل يا أخى على تحصيل الحضور مع ربك تبارك وتعالى حال أكلك وشربك ولو متقللا كما تفعل فى الحضور معه جل وعلا حال صلاتك فمن واظب على ذلك صار خلقا له ولو على طول لا يتكلف له وما رأيت ألذ من الاكل حال حضور القلب مع الله تبارك وتعالى ولا أقل لذة من الاكل غافلا لكن ذلك لا يكون مطلوبا الا للكمل الذين لا يلهيهم عن الله شئ أما من تلهيه لذة الاكل عن الله تبارك وتعالى فلا يكون ذلك مطلوبا له بل يحضر مع الله تبارك وتعالى بلا أكل أكثر من حضوره وقت الاكل ومن هنا نهينا عن الاكل فى الصلاة ولو كان من أكمل الناس سدا للباب فليفهم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول ما أدمن أحد الحضور مع الله تبارك وتعالى الا قل أكله وصار تكفيه اللقمة واللقمتان ومن هنا قالوا فلان يأكل ولا يشبع كالمجانين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى ممن ذهبت الى زيارته ولم يأذن لى فى الدخول من عالم أو أمير أو صالح أو غيرهم حتى انى لو سمعته يقول من وراء الباب بئس من جاء أو قولوا له فلان ما هو هنا أو ما هو فارغ أو أغلقوا دونه الباب أو نحو ذلك لا أتكدر وهذا الخلق غريب قل من يتخلق به وغالب الناس يتكدر وهو جهل عظيم بالقرآن فانه تبارك وتعالى قال وهو أصدق القائلين وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فشئ شهد الله سبحانه وتعالى

بانه أزكى للعبد فكيف يليق به انه يتكدر اذا حصل ذلك له وبالجملة فلا يحصل هذا الخلق الالمن راض نفسه على يد شيخ صادق حتى ذهبت رعوناتها أو حصل له جذبة الهية والا فهن لازمه غالبا التكدر لمن لم يفتح له الباب ولم يجله بل بعضهم يخرج فيه شاعرا يهجوه فى المجالس ويصير بعض الجهلة يقول له ما كان ينبغى أن يغلق الباب على مثلك ويجعل له الحق على صاحب الدار فيزداد بذلك غيظا وحمقا ولو أنهم قالوا له غيظك منه حمق لان الله تبارك وتعالى قد جعل الامر الى صاحب الدار لا اليك ولو أنه جعل الامر اليك لكان نهى صاحب الدار عن قوله لك ارجع ولعمرى ان الزيارة من مثل هؤلاء الرعاع مذمومة ولو تركوها لكان أولى لهم وللمزور لانها زيارة لغير الله عز وجل وأكثر من يقع فى مثل ذلك أهل الجدال بغير علم وما رأت عينى أحسن زيارة لاخيه فى عصرنا هذا من زيارة الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى وصاحبه الشيخ الصالح المسلمى وسيدى محمد بن الحنفى الشاذلى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ صالح البرهانى شيخ تربة السلطان قايتباى رضى الله تبارك وتعالى عنهم وأرضاهم وكذلك الشيخ زين العابدين البلقينى والشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأرضاهم فما جاءنى أحد قط من هؤلاء السادة الاشياخ ووجد بابى مغلقا ودق الباب أو تكلم أبدا بل يقرأ الفاتحة ويذهب منشرحا وأما غيرهم فربما جاء أحدهم وشره على مقدمه وان رددته ولم أفتح له الباب مزقنى فى الآفاق وان فتحت له أشبعنى من الهذيانات وان أدخلته بيتى وأخرجت له كسرا يابسة أو شيأ يسيرا غضب وقال انى على نية فما يخرج من عندى حتى يخض بدنى ويذوب قلبى ويشغلنى عن ربى عز وجل اذا كنت فى ذلك الوقت ضعيف الاستعداد عن تحمل مثل ذلك وقد جاءنى مرة شخص يدعى العلم وكنت شاربا دواء فقالوا له انه شرب دواء فلم يصغ الى قولهم ودق الباب دقا مزعجا فشوش على تشويشا عظيما فان دق الباب على الفقير كضربه بالسيف كما يعرف ذلك أرباب الجمعية على حضرة الله تبارك وتعالى بقلوبهم وصار يقول أنا أعرفه قبل أن يعمل شيخا وهو يكذب لأنى لم أعمل شيخا ونقلت مؤلفاتى قبل أن يولد فغارت القدرة عليه فعمى بعد أيام من غير دعاء عليه فاياك يا أخى ودق الباب على فقير فانه ربما كان فى حال قاهر يمنعه من لقاء الناس مطلقا وان تكلف وتلقاهم لا يقدر على أن يصفهم فى السلام والبشاشة على جارى عوائدهم قبل ذلك فيحصل لاحدهم التكدير وللفقير كذلك ولا يقدر يحكى حاله لكل من ورد عليه فالعاقل من حمل الفقير على المحامل الحسنة والسلام ومن علامة الحال القاهر أن لا يقدر على الخروج لصلاة الجماعة فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صحة توجهى الى الله تبارك وتعالى فى دفع الدنيا عنى كما اذا بلغنى مثلا أن شخصا أوصى لى بمال فاتوجه الى الله تبارك وتعالى فى دفعه عنى فيدفعه عنى ويلهم صاحب الوصية أن يمحو اسمى ويكتب اسم غيرى أو تشح الورثة على بتلك الوصية وينكرونها بعد أن أكون قد أسقطت حقى منها كما وقع لى ذلك مع الشيخ تاج الدين الطائفى أوصى لى بأربعين دينارا فأنكرها ورثته وجاءنى الشهود وأخبرونى فقلت أنا الذى توجهت الى الله تبارك وتعالى فى دفعها عنى وهذا دليل على صدق توجه الفقير الى الله تبارك وتعالى

فى دفع الدنيا عنه وزهده فيها فان الراغب فيها لا يقدر على أن يوجه قلبه الى الله عز وجل فى سؤال دفع الدنيا عنه انتهى وهذا الخلق لم أر له فاعلا الا القليل وله حلاوة عظيمة يجدها صاحبه أعظم من حلاوة من كان فقيرا فنام واستيقظ فوجد عند رأسه جرابا مملوأ ذهبا فى برية لا يعرف له صاحبا كما جربنا ذلك فالحمد لله رب العالمين (وتقدم) فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على محبتى لمن سعى فى قطع رزقى المتوهم ومعارضته فى وصول شئ من الدنيا الى مع عدم حاجتى اليه ذلك اليوم ومن كان يدعى وصوله الى هذا المقام فليمتحن نفسه بما لو كتب جماعة السلطان اسمه فى ديوان الفقراء وجعلوا له ألف دينار فجاء شخص وقال هذا ليس من الفقراء هذا منافق جاهل مرائى فمحوا اسمه فان انشرح لذلك فدعواه صدق وان انقبض فدعواه كذب انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تنبيهى فى المنام واليقظة على ما آكله من الحرام والشبهة بعلامات جربتها فى أكل الحرام دون الحلال وهى ثلاث علامات (اولها) أن يكون للشرع على ذلك الطعام اعتراض من حيث وضع اليد عليه (ثانيها) وجود الظلمة فى قلبى والثقل فى باطنى بعد أكله حتى كأنى أكلت قطعة من الحجر (ثالثها) ان أقوم من النوم فأمكث ساعة وأنا مخبط العقل كما يقع لمن يأكل الربا فان أخطأتنى علامة من هذه العلامات الثلاث لم تخطئنى العلامتان الاخريان وكثيرا ما اتقيأ ذلك الطعام اذا علمت بحاله قبل أن يستحيل ويقع لى ذلك كثيرا لما آكل من ضيافة الفلاحين أو من طعام أحد من المباشرين (وأما) نحو المكاس والظالم فحمانى الله تبارك وتعالى فى ماضى عمرى كله من طعامه الى وقتى هذا فأغنانى الله تبارك وتعالى بذلك عن هذه العلامات واعلم يا أخى أن من أعظم علامة للشبهة نفرة القلب من ذلك الطعام لقوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون يعنى ان افتوك بخلافه فاعمل بقلبك دون فتواهم وفى ذلك أيضا اخفاء لمقام الورع فلا يدرى بورعه أحد من الناس بخلاف ما اذا تقيأ ذلك الطعام مثلا فافهم فقل من يتنبه لما قلناه من العلامات بل رأيت بعض المشايخ يأكل من طعام مكاس فأنكرت عليه فقال البحر لا تكدره الدلاء فقلت له هذا من جملة الاستدراج ثم انى حكيت ذلك لسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه فقال مثل هذا ربما يكون وقود النار لتهوره فى دينه ثم قال سمعت سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول للقمة الحرام والشبهة أثر عظيم فى قلوب الخلق على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم فأثرها فى العوام وقوعهم فى أعمال مذمومة لم تكن لهم عادة بفعلها وأثرها فى طلبة العلم أو المريدين من أهل الطريق قسوة فى القلب وثقل فى الطبيعة وأثرها فى المتوسطين فى الطريق غفلتهم عما يعود عليهم نفعه من مصالح الدارين وأثرها فى الكاملين كثرة الخواطر التى لا منفعة فيها وأثرها منعهم من الدخول الى حضرة الله تبارك وتعالى بقلوبهم حتى فى الصلاة وأثرها فى القطب والاوتاد والابدال وغيرهم من أصحاب الدوائر أمور لا يعرفها الا أصحابها انتهى وقد ألهمنى الله تبارك وتعالى من نحو أربعين سنة ان أقول اذا قدم الى طعام أشك فى حله اللهم احمنى من الاكل من هذا الطعام فان لم تحمنى منه فلا تدعه

يقيم فى بطنى وان جعلته يقيم فى بطنى فاحمنى من الوقوع فى المعاصى التى تنشأ منه عادة فان لم تحمنى من المعاصى فاقبل استغفارى وأرض عنى أصحاب التبعات التى فى هذا الطعام فان لم ترضهم عنى فاعف عنى فان لم تعف عنى فصبرنى على العذاب يا أرحم الراحمين انتهى فلم أزل أقول ذلك عند كل طعام شككت فى حله الى وقتى هذا فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اطعامى الضيف شيأ فيه شبهة ولو أنه هو طلب منى ذلك منعته منه كما يمنع الطفل من أكل شئ يضره فى الدنيا والآخرة وايضاح ذلك ان المؤمن مؤتمن على أديان الناس وأبدانهم ومن طلب منه أن يطعمه شيأ يضره فهو فى العقل كالطفل ولو أنه كان رشيدا لما أكل ما ينقص دينه وهذا خلق غريب قليل من يعمل به فى هذا الزمان وغالبهم يطعم الضيف الحرام فضلا عن الشبهات وذلك خلاف الشرع فان الشرع ما أمر بالضيافة الا من كان عنده طعام حلال وأما من كان عنده طعام حرام أو شبهة فلم يأمره بالضيافة منه الا ان كان الضيف مضطرا فان أطعم أحدا شبهة كان له المهنا وعلى من أطعمه الحساب * وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة اذا أكل عند أحد من اخوانه يقول اللهم ان كان هذا الطعام حلالا فوسع على صاحبه وان كان فيه شبهة فاغفر لى وله وأرض عنا أصحاب التبعات يوم القيامة آمين * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من جلابيب رحمته الهامعة ونفعنا به والمسلمين يضيف الوارد عليه باللقمة أو التمرة أو بشربة من الماء ويقول يا أخى هذا الذى وجدته لك من الحلال فى هذا الوقت وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه اذا علم من الضيف كثرة الاكل يقدم اليه الشئ اليسير شفقة على دينه كما يفعل مع الاطفال اذا خافت عليهم والدتهم حصول وجع من شدة الاكل (وكان) رضى الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه أكثر ما يفعل مع الناس ذلك فى ليالى رمضان ويقول سر الصوم ومدده انما هو فى الجوع الزائد على الجوع أيام الفطر انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه وهذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من خرج عن الحياء الطبيعى الى الحياء الشرعى ولم يخف فى الله لومة لائم وكان أشفق على الضيف من نفسه فعلم مما قررناه أن كل من قدم لضيفه طعاما فيه شبهة أو قدم له طعاما كثيرا فوق العادة أو قدم له عند فطره مثل ما كان يأكله حال عشائه فى أيام الفطر فقد أساء فى حقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا انتهى ذلك فأشفق يا أخى على دين ضيفك ولا تخف فى الله سبحانه وتعالى لومة لائم ولا تخف أيضا من لومه لك فى الدنيا فانه سوف يشكرك فى الآخرة فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكلفى للضيف ولذلك لم يحصل عندى ملل من الضيف أبدا ولو ورد على كل يوم ألف نفس ومعلوم أن كل من تكلف للناس كره لقاءهم وهرب ولو على طول أو يصير يطعمهم ما يضرهم فى باطنهم من غير طيبة نفس وهذا هو الامر الذى نهى الشارع صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه عن طعام البخيل لاجله وقد ورد طعام البخيل داء انتهى وقد تكلف قوم للضيوف وخالفوا ما قلناه فكان آخر أمرهم الافلاس وضيق

المعيشة لكونهم أطعموا الناس لغير الله تعالى رياء وسمعة ولو انهم كانوا أطعموهم لله عز وجل بطريقه الشرعى لما أفلسوا وكان الله تبارك وتعالى أجرى على يدهم أرزاق الخلائق الى أن يموتوا الى رحمة الله تعالى ويخلف عليهم أضعاف ما بذلوه ثم ان أكثر من يقع فى التكلف أولاد الاشياخ فى الفقه والتصوف فيموت والدهم فيريد أحدهم أن يفعل مثل ما كان والده يفعل من ضيافة كل من ورد عليه فيورد نفسه موارد الغلبة وربما ارتكبه الدين بسبب ذلك وغاب عنهم انه ليس كل فقير يقدر على اطعام كل وارد عليه انما ذلك لبعض أفراد من الفقراء وقد أخبرنى سيدى الشيخ محمد بن عنان رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة ان الشيخ عبود رحمه الله تعالى ونفعنا والمسلمين بامداداته الذى زاويته تحت الجبل المقطم كان عنده فى زاويته أربعة أسمطة كل سماط منها موضوع فى ايوان فكل من ورد عليه يأكل من أى سماط شاء سواء أوجد الشيخ أو لم يجده فلما مات جاء بعده فقير أعلى مقاما منه فلم يقدر يطعم الناس مثل الشيخ عبود وخرج من الزاوية انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اعلامى المعارف بما أريد أن أصنعه من وليمة عرس أو ختان او سلامة من مرض ونحو ذلك خوفا ان أحدا منهم يتكلف ويساعدنى فى ذلك الطعام من غير نية صالحة وان علمت من النقباء الذين حولى انهم يخبرون بذلك أحدا زجرتهم عن ذلك فلا أعلمهم الا بعد عمل الطعام وهذا خلق غريب عزيز قل من يتنبه له من الفقراء بل ربما غضب بعض الفقراء على كل من لم يساعده فى وليمته ويقول فلان ليس هو بصاحب لنا ويقبح فعله بين الناس بل رأيت بعضهم يسافر بنفسه فيجرد مشايخ العرب والكشاف ويسألهم فى مساعدته بنفسه فيعمل فى ذلك المولد بعض ما جرده والباقى يبيعه أو يأكله طول سنته هذا مع انه يزعم انه من الصالحين فاياك يا أخى ان تفعل مثل ذلك وقد قالوا من شهامة مقام الشيخ ان يطعم الناس ولا يأكل لهم طعاما الا لحاجة ضرورية وأعرف جماعة من أصحابى يهربون اذا سمعوا انى عازم على عمل مولد فلا يظهرون حتى يفرغ المولد فجزاهم الله تعالى عنى خيرا فانهم أحسن عندى حالا ممن يحضر خوف العتب ويصير ينقط المداحين بالقشاقش والفلوس رياء وسمعة وربما لحقنى الاثم بسببه لانه ما وقع مثل ذلك الامر الا اعانة لخاطرى على وهمه ودعواه وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه لا يأكل قط من ولائم النسوان ويقول من شهامة الرجل أن لا يأكل من كسب غيره من الرجال فكيف يأكل من كسب النساء قال رضى الله تعالى عنه والنكتة فى ذلك كون القلوب جبلت على حب من احسن اليها فهو را عليها فيصير من يقبل رفق المرأة الاجنبية يميل اليها طبعا مع انه لاحق له فى الاستمتاع بها او بكره له التلذذ بكلامها أو نحوه فيريد من نفسه انه لا يميل ولا يستلذ بحديثها فلا يقدر انتهى ووالله انه يقع لى فى بعض الاوقات ان بعض الناس يعطينى الدراهم وانا محتاج اليها فاردها وأطوى خوفا من تحمل منة الرجال وربما انه كان يعظمنى ويهابنى وينتفع بى فاذا قبلت منه تلك الدراهم صرت بالضد من ذلك وسيأتى فى هذه المنن ان الشيخ اذا علم من مريده انه صار يرى جميع ما يدوانما وصل اليه ببركة استاذه وانه هو وعياله انما يأكلون من مال ذلك الاستاذ فلا حرج على الشيخ

حينئذ فى الاكل من طعام ذلك المريد انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من التداوى باشارة كافر لعدم الثقة بقوله شرعا وقل من يسلم من ذلك فى هذا الزمان وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول فى ضمن التداوى باشارة الكافر نكتة تخفى على كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وهى انه اذا وافق شفاؤه اشارة ذلك اليهودى مثلا يصير يوده بقلبه قهرا عليه فيريد ان يتخذه عدوا كما أمره الله تبارك وتعالى فلا يقدر على نفسه ان يعاديه وقد قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة انتهى قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وانما قال تبارك وتعالى وعدوكم ولم يكتف بقوله عدوى لعلمه جل وعلا بأن فى عباده من لا ينزجر عن مودة الكافر لكونه عدوا لله تعالى وحده فلذلك قال تعالى وعدوكم حتى لا يبقى لنا عذر فى مودتنا للكافر انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع ما ينزل على من البلايا والمحن ليس هو من بغض الحق تبارك وتعالى لى وانما ذلك محبة فى كما وردت به الاحاديث ما عدا المعاصى فان الحق تبارك وتعالى لا يبتلى بها الا من يكرهه ومن شهد هذا المشهد صار يشهد سداه ولحمته نعما من الله تبارك وتعالى عليه ورأى جميع ما يؤلمه به انما هو تاديب له ومصلحة كشرب الدواء الكريه فان صاحب البلاء لا يخلو حاله من ثلاثة أمور كما مر تقريره مرارا لانه اما ان يكفر خطاياه واما ان يرفع درجاته واما أن يكون عقوبة له على ذنب سلف وتأمل يا أخى الوالد كيف يفرك اذن ولده اذا خاف عليه من الوقوع فى بئر مثلا وكذلك الوالدة تغرز الابرة فى بدن ولدها خوفا عليه من وقوعه فى أمر هو أشد من غرز الابرة فى بدنه ويعد العاقل ذلك الفعل من الوالدين شفقة ومحبة لولدهما لا بغضا له فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتى ورحمتى لمن دخلت عليه أعوده من المسلمين حتى انى كثيرا ما أسأل الله تبارك وتعالى تحويل ذلك المرض الى فيصير ذلك المرض يخف عليه وينتقل الى شيأ فشيأ حتى أمرض ويخلص هو من المرض هذا فى مرض يقبل النقل فان كان الامر الالهى قد حق به سألت الله تبارك وتعالى أن يلطف به وانصرفت من غير تحمل ثم ان المرض اذا انتقل الى لا أرى لى بذلك فضلا على المريض لانى لم أتحمل عنه المرض الذى قدره الله تبارك وتعالى على بدنه وانما حملت عنه ما لم يقدره الله تعالى عليه وكانى سألت الله تبارك وتعالى أن يجعل عندى من المرض مثل المرض الذى عند ذلك المريض لا غير فما حمل أحد عن أحد مرضا هو ولغيره أبدا لمن تأمل ذلك وانما المريض لما رأى المرض انتقل عنه بتوجه ذلك الفقير الى الله سبحانه وتعالى ظن انه حمله عنه ونظير ذلك ما اذا رمى انسان على شخص حجرا ليقتله فبادر الى ذلك الحجر شخص وتلقاه عنه فلم يصل اليه فيصير ذلك الشخص المرمى عليه يشكر من فضل من تلقاه عنه ويقول جزاك الله عنى خيرا مع ان الحجر فى الحقيقة انما قدره الله تبارك

وتعالى على من تلقاه فافهم ذلك ترشد وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا دخل على مريض يقول بتوجه تام اللهم ان كان هذا المرض الذى هو فى أخى يقبل النقل فانقله الى وصبرنى عليه وأقدرنى على تحمله انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا دخل على مريض ورأى ان ذلك المرض يرفع درجات ذلك المريض يدعو له بالرضا وبالصبر ثم ينصرف وان رأى ان ذلك المرض يزيد المريض سخطا على مقدورات ربه دعا له بالتحويل انتهى وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة آمين اللهم آمين يقول اذا لم يتحمل الفقير المرض عمن عاده أو يخفف عنه المرض بدعائه فليس فى عيادته كبير أمر غايته انه يتوجع له لا غير ويخرج عن المريض وهو يتجرع الصبر وما هكذا كانت زيارة السلف الصالحين انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ولكل رجال مشهد ويقع لى بحمد الله تبارك وتعالى فى بعض الاوقات انى أدخل على المريض فتسرقنى الرحمة له فأرجع مريضا كأن لى شهرا مريض ولا أقدر على رد ذلك المرض عنى فأمرض يوما وأياما ثم أخلص وتقدم بسط ذلك مرارا انتهى فاعلم ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم غفلتى عن الصلاة فى أول وقتها مدة مرضى أو أوقات حملى مصائب الزمان عن الاخوان أو يوم موت ولدى العزيز عندى أو نحو ذلك وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى به على وكثير من الناس يترك الصلاة أصلا ذلك اليوم أو يخرجها عن أوقاتها غالب أيام المرض وكثيرا ما أكون فى شدة المرض والالم فيدخل وقت الصلاة فيخف الالم عنى وأصحو من المرض حتى أسلم من الصلاة وقد كان صلى الله عليه وسلم يرتاح الى الوقوف فى الصلاة ويقول أرحنا بها يا بلال انتهى وهذا دأبى على الدوام وكثيرا ما أنشد قول بعض عرب البوادى

الأوجاع ما خلين فى بقية ٭ ولا مفصل الا وفيه جراح

فلا أرى لى الآن مفصلا واحدا الا ويطرقه المرض من كثرة تحمل هموم الناس وكثرة توجههم الى فى شدائدهم وقد كانت هذه من وظائف سيدى الشيخ أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى ونفعنا به فما زال يتحمل هموم الناس حتى صار عظاما ليس عليها أوقية لحم رضى الله تعالى عنه وأرضاه وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول وعدنى ربى أنى لا ألقاه وعلى أوقية لحم قال يعقوب خادمه ففنى لحمه كله قبل موته رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة آمين وكيف حال من يشارك المرضى والمعاقبين فى بيوت الولاة فى كل وقت بلغه ذلك من ليل أو نهار وعلامة صحة هذا المقام أن لا يعرف طبيب يشخص له مرضا انتهى فافهم ذلك ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كلما مرضت مرضا فيه رفع درجاتى أو كنت فى جملة أحد من المسلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل لى من جهته من يعودنى تارة على صورة شيخى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وتارة على صورة غيره من الاولياء فاذا دخل على قصاده صلى الله عليه وسلم أعرف انى أشفى من ذلك المرض فأشكر الله تبارك وتعالى على

فسحته لى فى الاجل وكثيرا ما يرسل لى أحدا من أهل بيته وقد كنت فى جملة عظيمة فى سابع عشرى ربيع الاول سنة ستين وتسعمائة فأشرفت فيها على الموت فاتانى الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ومعه شخص لا أعرفه وعليهما ثياب بيض وخضر فوقفا عند رأسى ولم يكلمانى غير ان شخصا ثالثا جاء وبسط بين يدى سجادة خضراء فلا يعلم أحد قدر ما حصل لى من الانس فشفيت لوقتى انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حملى للعلماء والصالحين اذا رأيتهم فرشوا لهم سجادات للصلاة على انهم انما يفعلون ذلك تعظيما لحضرة خطاب الله عز وجل المشار اليها بنحو حديث ان الله فى قبلة أحدكم لا كبرا ولا فخرا وعدم عملى بقرائن التكبر فى مثل ذلك اذ القرائن وان جعلها العلماء احدى الادلة فانما ذلك فى أماكن فيها احتياط للدين وأما العمل بها فى مثل حمل العلماء والصالحين على التكبر فلا يجوز العمل بها لانه مبنى على سوء الظن بهم وذلك حرام باجماع انتهى فافهم ذلك واعمله واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رضاى عن ربى عز وجل اذا قسم لى اليسير من الطاعات كما أرضى عنه اذا قسم لى اليسير من الرزق على حد سواء وهذا مقام لا يثبت فيه الا من تحقق بكمال الاعتماد على فضل الله تبارك وتعالى دون الاعمال فان كل من كان معتمدا على عمله فمن لازمه غالبا التكدر من نقص طاعاته وغاب عنه ان ذلك الذى فاته لم يقسم له أصلا وما لم يقسمه الحق تبارك وتعالى للعبد لا ينبغى له أن يحزن عليه الا بطريق شرعى وكثيرا ما ينظر الانسان الى شخص قسم الله تبارك وتعالى له الطاعات الكثيرة فيتوهم انه لو اتقى بالله وترك الكسل لفعل مثل ما فعله من الطاعات وهو وهم فان ما سبق به العلم الالهى هو الواقع من غير زيادة ولا نقص فعلم ان كل من اعتمد على فضل الله تبارك وتعالى لا يتكدر من نقص طاعاته الا ان كان يطلب الزيادة من الطاعات لاجل مجالسة ربه عز وجل فيها فان ذلك مطلوب شرعا لمن علم من نفسه القدرة على محافظة الادب مع الله تبارك وتعالى فيها (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الحزن على فوات الزيادة من نوافل الطاعات محمود للمريدين دون العارفين لان العارفين قد تحققوا بمقام الرضا عن الله تبارك وتعالى فى كل ما أجراه الله جل وعلا عليهم ولا يخلو ذلك من أن يكون محمودا أو مذموما أو لا محمودا ولا مذموما فان كان محمودا قالوا الحمد لله وان كان مذموما قالوا أستغفر الله وان كان مباحا فهو بحسب مقامهم وقد بلغنا عن سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه وأرضاه انه قال نمت ليلة عن وردى فأصبحت حزينا مهموما فقيل لى فى الليلة الثانية يا ابراهيم كن عبد الله تسترح فان أعمالك ثم وأنت راض وان أعمالك قم وأنت شاكر وليس لك فى الوسط شئ قال ابراهيم رضى الله تعالى عنه فصرت عبد الله فاسترحت انتهى وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقوم الليل كله بالقرآن ثم يقول والله ان النائم أحسن حالا منى لقلة أدبى فى صلاتى انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من شأن الحق تبارك وتعالى ان يرى عبده مقدار الوصل

بتقديره عليه أسباب الهجر انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ووالله انى لاقوم بعد ما ينفض الموكب الالهى فأكاد أذوب من الخجل ثم انى أرى فضل الله تبارك وتعالى على الذى أرانى أهل حضرته وهم راجعون وقد كان سيدى الشيخ محمد السروى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأسبغ عليه من جلابيب مغفرته الهامعة يحضر مولد سيدى أحمد البدوى نفعنا الله تعالى بامداداته فى كل سنة فعاقته القدرة عنه سنة وهو مريض فقال لخادمه احملنى وضعنى على طريق الناس الذين حضروا المولد ففعل الخادم ذلك فصار يمسح وجهه بثيابهم ويتبرك بذلك لكونهم حضروا ذلك الجمع الذى لا يحصى نقطة من بحر حضرة الله عز وجل العظمى الجامعة لارواح الانبياء والاولياء والملائكة وصالحى المؤمنين من المتقدمين والمتأخرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أخذى كل كلام سمعته من واعظ أو خطيب فى حق نفسى بالاصالة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الواعظ أو الخطيب انما هو نائب عنه صلى الله عليه وسلم فمن الناس من قصر بصره على النائب ومن الناس من خرق ببصره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار كأنه يسمع منه فالحمد لله الذى لم يجعلنى آخذ كلام الواعظ أو الخطيب فى حق غيرى كما يقع فيه غالب الناس فيحضرون الواعظ أو الخطيب ثم يخرج أحدهم فيقول أفلح الواعظ اليوم فى الحط على الظلمة والمنافقين والمرائين والذين يغتابون الناس ولا يأخذون لانفسهم من كلام الخطيب كلمة واحدة فى حق نفوسهم فكأنهم لم يحضروا الخطيب وكان من خلق أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى انه يأخذ كل كلام فيه زجر لنفسه سواء سمعه من خطيب أو غيره وسمع مرة رضى الله تعالى عنه تاجرا يقول لعبده تعصينى وأنا أطعمك وأكسوك ولا أؤاخذك على سوء أدبك فخر مغشيا عليه انتهى فعلم أن من كمال العقل أن يأخذ الانسان كلام الخطيب أو الواعظ فى حق نفسه دون غيره وهذا هو السر فى وجوب الانصات للخطيب أو استحبابه فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) فرحى بكل شيخ أو واعظ برز فى حارتى وصار يلتقط أصحابى الذين كانوا حولى واحدا بعد واحد حتى لم يبق حولى منهم واحد وهذا الخلق من أكمل أخلاق الرجال ولا يصح ذلك الا لمن فنيت رعونات نفسه بالكلية وفطم على يد شيخ ناصح أو لمن حصلت له جذبات الهمة أدخلته حضرة العبودية الخالصة فشهد ان الحق تبارك وتعالى هو الذى أبرز هذا الشيخ الذى أخذ جميع أصحابه وحول اعتقادهم عنه اليه بحيث صار لا يعتقد صلاحه أحد منهم فان من شهد هذا المشهد فهو الذى يرضى عن سيده بكل ما أقامه فيه من تقليبه المسك أو تقليبه الزبل وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من احتاط لنفسه لم يطلب أن يكون رأسا فى شئ من الامور الدنيوية أو الاخروية الا ان خلص من الرعونات النفسانية كالرياء والعجب ونحوهما لان كل راع مسئول عن رعيته فيجب عليه أن لا يورد أحدا من رعيته ما يدخله النار ولا تزول قدما داع الى الله تبارك وتعالى حتى يسئل هل وفى بحق

رعيته فى النصح ام غشهم وغفل عنهم ومن آمن بما قلناه فرح بكل من اخذ جماعته من حوله وأحبه وشكر فضله لكونه فرغه لعبادة ربه المحضة وتحمل عنه توبيخ الحق تبارك وتعالى له فى الآخرة ومناقشته له فى يوم تشيب فيه الاطفال ثم من تمام فرحه به تحسين اعتقاد الناس فيه وترغيبهم فى حضور مجلسه والدعاء له بظهر الغيب بأن الله تبارك وتعالى يسدده وان حضر الشيخ القديم مع الناس وسمع وعظه حصل له خير كثير فعلم أن من كان بالضد مما قلناه فهو ممقوت مراء ليس له فى قدم الصدق نصيب وهذا الخلق لم أر له فاعلا الا صادقا من أقرانى بل بعضهم يصير يحط على الشيخ الجديد وينفر الناس عنه ولما انتقل الشيخ العارف بالله تبارك وتعالى الشيخ سليمان الخضيرى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة من القرافة وسكن فى جامع الميدان تجاه زاويتنا صرت أتردد اليه وأقبل ركبته بحضرة جماعته وجماعتى وصار الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله تعالى يقول اللهم انقله من حارتك فانى أخاف عليك أن تتخلف عنك العناية وتتكدر منه حين ينقلب اليه جماعتك فقام عليه أهل حارة الميدان بالانكار لما عمر بيته بجوار المسجد فرجع الى مكانه الاول بجوار جامع ابن طولون فكان الشيخ نور الدين اذ ذاك يستبعد على وصولى الى هذا المقام ويخاف على رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب رحمته الهامعة يا مالك الدنيا والآخرة يارب العالمين آمين اللهم آمين وقد ذكر الامام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى مقدمات شرح المهذب وفى كتاب التبيان ما نصه اعلم ان من أهم ما يؤمر به العالم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره وهذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم وهو من الدلائل الصريحة على عدم ارادتهم بالتعليم وجه الله الكريم انتهى (فينبغى) للعاقل أن يقول لنفسه اذا فارقه تلميذه الى شيخ آخر ان كانت صحبة هذا المريد لنا يحصل بها خير له فهو الذى تركه وان كان يحصل بها شر له فقد استراح منا وان كان لا خير ولا شر فالامر سهل لا يحتاج الى غيظ فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى للادب مع أصحاب الوقت من العلماء والمسلكين سواء كانوا حاضرين أو غائبين عن مجلسى فلا أدرس قط علما ولا أعظ الناس فى كتاب أو غيره الا بعد قولى بقلبى ولسانى دستور يا أصحاب الوقت أدرس أو أعظ بحكم النيابة عنكم فمن واظب على ذلك أمن من ارتاج الكلام عليه فى ذلك المجلس وقد قال العارفون رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بامداداتهم ما ارتج على خطيب أو واعظ قط الا لكون ذلك الوقت فيه من هو أولى بالكلام منه انتهى (وسمعت) سيدى الشيخ عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اذا استأذن الواعظ أو المدرس علماء الوقت بقلبه أو لسانه مدوه كلهم بالعلم والمعارف شعر بذلك أم لم يشعر انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه (وقد علمت) ذلك لبعض الوعاظ وكان كثير الارتاج فلم يرتج عليه بعد ذلك انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان جميع الفضائل والكرامات التى تقع على يدى ليس لى فيها فعل وانما هى لله تبارك وتعالى وحده كسائر أفعالى ما عدا النسبة الشرعية لكونها

ظهرت على جارحتى فسواء أجرى الله تبارك وتعالى على يدى الكرامات أو لم يجرها هو عندى سواء انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول العارف بالله تبارك وتعالى لا يزداد بالسلب الا تمكينا لانه مع الله تبارك وتعالى بما أحب لا مع نفسه بما تحب انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومن كان هذا مشهده أمن من وقوع الاستدراج الواقع لاهل الكرامات اذ الاستدراج لا يقع الا لمن يرى الفعل لنفسه شهودا ولو به ايمانا فيتوارى عنه فى بعض الاوقات انتهى (ومما وقع) لى من الكرامات فى بعض الاوقات انى أقوم للتهجد فى الليل فلا أجد ماء يكفينى لغسل الوجه فأقول بقلبى اللهم انك تعلم انى لم أرد بهذا الوضوء فى هذا الوقت الا تعظيم جنابك أن أجالسك على حدث فيزيد الماء فى الاناء حتى أتوضأ ويفضل منه بقية وفى بعض أوقات أتوجه الى الله تبارك وتعالى فى زيادة الماء فلا يزيد قطرة واحدة فلا ينقص يقينى بذلك ذرة واحدة لان الفعل فى الحالين لله تبارك وتعالى لا الى فعلم انى لا أرى انى سلبت بركة كانت معى لما لم يزد الماء وانما أقول لله تبارك وتعالى فى ذلك حكمة فأصير أتطلبها فربما قصرت فى عمل كان متوجها على لله تبارك وتعالى فتخلف عنى العناية جزاء على فعلى اذ الحق تبارك وتعالى مع عبده على حسب ما يقع له فكان الحق تعالى دعا عبده الى طاعته فتقاعد عنها فكذلك دعا العبد ربه فتخلفت عنه الاجابة والكل من الله تبارك وتعالى حقيقة فله الشكر فى حال زيادة الماء لى وفى حال نقصه انتهى (وكذلك) يقع لى فى بعض الاوقات انى أقوم فاجد الماء باردا فى الشتاء لا أستطيع استعماله لبرده فأقول اللهم خفف عنى برده فأجده كالمسخن بالنار أو لا برد ولا سخونة وفى أوقات أجده باردا على حاله ولو توجهت الى الله تبارك وتعالى فيه على وزان ما تقدم أى جزاء وفاقا من العدل الالهى على عمل تركته فالحمد لله الذى جعلنى ممن يدور مع الحق تبارك وتعالى حيث دار لا مع حظ نفسى وكان أصل ذلك أن نفسى فى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وقع لها تشوق عظيم لوقوع كرامة فتوجهت الى الله تبارك وتعالى فى ذلك أياما فقيل لى فى الليلة الثالثة وأنا نائم فى مسجد الشيخ أحمد الاباريقى فى روضة مقياس النيل لو اطلعك الله تبارك وتعالى على ملكوت السموات والارض وعلى عدد الرمال وأوراق الاشجار وعلى النبات وأعماره والحيوانات وأعمارها وعلى ما يقع لاهل الجنة والنار حال وجودهم فى الدنيا والبرزخ والجنة والنار وأنزل المطر بدعائك وأحيا الميت على يديك وأجرى على يديك جميع ما أكرم الله تبارك وتعالى به عباده المؤمنين فلست من عبوديته فى شئ فاستقم على طاعة ربك عز وجل وقد بلغت الغاية فى الكرامة انتهى فما انقضى هذا الكلام وبقى عندى بحمد الله تبارك وتعالى شهوة لمقام ولا حال بل ذهبت شهوة ذلك من قلبى جملة واحدة وقد صنفت فى شرح هذا الهاتف رسالة وهى من أول تآليفى فى علم القوم نحو عشرة كراريس فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى الانكار على من رأيته من العلماء والصالحين يلبس لبس أبناء الدنيا من المحررات ويركب على نفائس الخيل والبغال وينكح السرارى والمنعمات لان ذلك جائز بالشرع فمن أنكره فهو جاهل مخطئ أو حاسد ممقوت

فصاحب تلك الملابس يتنعم فى مال سيده باذنه والحاسد له شقى محروم وأيضا فان الله تبارك وتعالى عبيدا متواضعين ذليلين فى صورة أغنياء متكبرين جمع الله تبارك وتعالى لهم بين خيرى الدنيا والآخرة (منهم) سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه (ومنهم) سيدى على بن وفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه (ومنهم) سيدى مدين رضى الله عنه (ومنهم) سيدى أبو الحسن البكرى رضى الله تعالى عنه وولده سيدى محمد رضى الله تعالى عنهم أجمعين (فمثل هؤلاء) يأكلون ويتمتعون ولا ينقص لهم رأس مال ان شاء الله تعالى والدليل على ذلك كون علومهم ومعارفهم فى زيادة مع عدم مطالعتهم وانكبابهم على الكراريس بل ينام أحدهم مع زوجته على أوطأ الفراش الى الصباح ثم يقوم تتفجر من قلبه ينابيع الحكمة ولسان حالهم يقول للحسدة لهم موتوا بغيظكم فلو كانت كرامات هؤلاء فى نظير عمل لكانت كراماتهم تبطل اذ ناموا وقصروا فى العمل فافهم مع ان جميع ما هم فيه حصل من غير طلب ولا ذل فى طريقة ابدا بخلاف غيرهم لم يقع ذلك لمثلهم ولما وقع لابى يزيد رضى الله تعالى عنه انكباب الناس على التبرك به والتمسح برقعته لامه بعض الناس على ذلك فقال له أما تفقه يا أخى ان الناس لا يتبركون بأبى يزيد وانما يتبركون بخلعة ربه التى خلعها عليه انتهى فصاحب هذا المقام عبد ذليل فى نفسه سيد فى عيون الناس وكم من صاحب مرقعة هو أكبر نفسا من صاحب ثياب الخز ورفيع الكتان وكم من صاحب مرقعة لبسها بنفس فلم يتبرك احد بها فاحفظ يا أخى لسانك وقلبك عن الانكار على من خالف عوائد العلماء والصوفية فى ملابسه ونحوها ولا تنكر عليه الا ما صرحت الشريعة بتحريمه أو كراهته انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وبما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للجلوس فى المسجد على حدث فى ليل أو نهار وذلك لما ورد ان الملائكة تصلى على أحدكم ما دام جالسا فى المسجد على طهارة وصلاة الملائكة بلا شك مقبولة يعنى استغفارهم لنا لعصمتهم عن الذنوب (واعلم) يا أخى ان من كان مشهده ان الارض كلها مسجد فلا فرق عنده بين الاماكن الا ما خصه الشارع صلى الله عليه وسلم منها فهذا فى مسجد دائما ثم ان هذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من حماه الله تبارك وتعالى من ثقل الغفلة عنه ودامت مراقبته لربه عز وجل فان المسجد حضرة الله جل وعلا الخاصة فاذا كان هذا فى الحدث الاصغر فكيف بمن يعصى الله تبارك وتعالى فى المسجد بغيبة أو نحوها من الفواحش وكان أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من سحائب مغفرته الهامعة لا يقدر على الجلوس فى المسجد ولو طاهرا ويقول والله انى لأتعجب من هؤلاء المجاورين فى قدرتهم على اطالة الجلوس فى المسجد لاسيما وهم محدثون انتهى ثم لا يخفى ان كل عاقل جلس فى المسجد لابد أن يستحى من رؤية الله تبارك وتعالى اليه ولو فى طاعة فكيف اذا كان فى معصية كغيبة ونميمة وسوء ظن بالمسلمين وكبر وعجب وحسد وحقد وغل ورياء وسمعة ورعا مقت الله تبارك وتعالى ذلك العاصى فى حضرته وطرده عنها كما وقع لابليس فلا يفلح بعد ذلك فى خير أبدا ومن تأمل وجد حكم من يعصى الله تبارك وتعالى فى المسجد حكم من دخل عليه ملك جبار شديد البطش فوجده

يفسق فى عياله فانه اما أن يقتله ويمثل به أو ينفيه من حضرته فلا يمكنه من دخول داره الى أن يموت واما ان يصير لا يرى له وجه أبدا فوالله لقد خلقنا لامر عظيم ولولا ان رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه لاهلكنا تبارك وتعالى من أول معصية تقع منا فى بيته فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لخروج الريح فى المسجد منى أو غيرى تعظيما لجناب الله عز وجل كما ان من نعمته على سهولة خروجى من المسجد لاخراج الريح خارجه من غير تكلف وذلك لان الريح من جملة بخار النجاسة الصاعد من المعدة وهو معدود من الرجس حتى ان بعضهم أفتى بانه لو حمل مصرانا فيه فساء وضراط محبوس لم تصح صلاته اه فاذا كان رجسا فاللائق به أن يخرجه فى الخلاء والعامل بهذا الخلق قليل من الناس وغالبهم يخرج الريح فى المسجد ولا يتوقف وربما يخرجه فى المجلس الواحد مرارا لاسيما المجاورون وأعطيك يا أخى ميزانا وهو ان كل شئ تستحى فى نفسك أن تفعله مع الناس فربك أولى بالحياء منه فيه ولا ينبغى لفقيه أن يتساهل فى ذلك اعتمادا على ما يظهر بالقرائن من عفو الله تبارك وتعالى عن مثل ذلك ويقول لو أن الحق تبارك وتعالى نهى عن ذلك لوصل الينا علمه كغيره من الاحكام لانا نقول حلمه تبارك وتعالى وعفوه لا يبيح لنا سوء الادب معه بل هو باق على كونه سوء أدب فى حقنا ولو عفا الحق تبارك وتعالى عنه اذ العفو لا يكون الا عن ذنب فافهم ثم ان كنت يا أخى صاحب ضرورة والغالب عليك الريح فقل دستور يا ملائكة ربى وأخرجه وأنت فى حياء منهم وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول لا تقصر فى حق أخيك اعتمادا على مروأته فمعاملتنا للحق تبارك وتعالى بنظير ذلك أولى بنا وكذلك لا يقال ان من كان جالسا فى المسجد يشق عليه مراعاة هذا الادب والمشقة تجلب التيسير لانا نقول كلامنا فى حق من لا يحصل له بمراعاة ذلك الادب مشقة ظاهرة كمن به سلس الريح مثلا مع ان المحققين من أشياخ الطريق قالوا اذا صدقت المحبة تأكدت شروط الادب فمن ادعى محبة الله تبارك وتعالى فى جلوسه فى المسجد تأكد فى حقه مراعاة الادب أكثر ممن هو خارج المسجد وهذا أولى من قول بعضهم اذا تأكدت المحبة سقطت شروط الادب فافهم فان كتب القوم رضى الله تعالى عنهم طافحة بمؤاخذتهم وعقوبتهم بفعل ما يسامح به غيرهم كما وقع للشيخ الكبير أبى الخير الاقطع المدفون بجانب منارة الديلمية بالقرافة انه قطعت يده فى تناوله شهوة مباحة كان عاهد الله تبارك وتعالى على تركها ووقع لبعضهم انه اشتهى بيضا وسمنا فطلع بلد اليأكل ذلك فألقى الله تعالى عليه شبه لص فمسكه جماعة الوالى فضربوه سبعين خشبة ثم بان لهم انه لم يكن ذلك اللص الذى ظنوه ثم جاءه شخص ببيض وسمن فقال لنفسه كليها بعد سبعين خشبة ومثل ذلك جار على قاعدة قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(وبما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة تجيلى لاخوانى فى غيبتهم وحضورهم ولا أواجه أحدا منهم بما يكره الان كان باعثى على ذلك وفى ذلك رضا الله تبارك وتعالى ورضا الاخوان

وعدم تنفيرهم من سماع نصحى وكثيرا ما أضرب لاحدهم المثل بأمر آخر غير ما وقع هو فيه سترة له وكثيرا ما أقول له كيف تؤلف جاريتى وأنت تدعى انك مريدى وأريد بجاريتى الدنيا فاذا رأيته يحب الدنيا قلت له ذلك أو نحوه الا أن يكون فى المجلس غريب لا يعرف مصطلح الفقراء فلا أقول له ذلك فاياك يا أخى أن تذكر أحدا ممن يابيك على النصح بسوء تنقصه به فى المجالس فانه ربما عاملك بنظير ذلك وصار يقطع فى عرضك وينقصك فى أعين الناس كما نقصته ولو انك كنت كملته لكملك وكثيرا ما يبلغ الشيخ الكبير القدر ان فلانا يقطع فى عرضك فيتكدر لذلك لان الشيخ كالبئر تارة ينزح ماؤه وتارة يوجد الماء ولا يوجد الحبل وتارة يحمل كلام الثقلين فى عرضه وتارة لا يحمل كلمة واحدة فسد العاقل الباب الذى يدخل له منه الاذى أولى لاسيما ان كان الغالب عليه قيام بشريته وثوران نفسه وغالب مريدى هذا الزمان غير صادقين مع أشياخهم فربما عاهد أحدهم شيخه على انه ينصحه سرا وجهرا أى من ورائه لمن يبلغه ومواجهة وهو كاذب فليحذر الشيخ من التهور فى ذلك وعدم التفتيش فربما ظن ان مريده مقيم على العهد ولا غير ولا بدل والحال انه غير وبدل فيفجر على الشيخ كما وقع لى ذلك كثيرا مع أصحابى وصار بعضهم يمزق فى عرضى فى أى مكان حل فيه وبعضهم يصرح فى وجهى بانه ليس من جماعتى ثم انه اذا احتاج الى حاجة عند الولاة يكبرنى غاية التكبير ويجعل نفسه من جملة المريدين حتى تقضى حاجته ويبلغنى عنه ذلك وأقره عليه غصبا على فتارة يجعلنى متفعلا وتارة يجعلنى قطبا وقد كان سيدى الشيخ أبو السعود الجارحى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يجرح أصحابه فى وجوههم وغيبتهم ويقول من لم يصحبنى على انى أفعل فى عرضه ما شئت بحسب ما أراه من المصالح والا فليبعد عنى فقلت له ان وصفكم الانسان بما لم يقع منه لم يحتمله كل أحد فقال انما أصفه بالصدق لانه ان لم يكن وقع فى ذلك الامر فهو معرض للوقوع فيه فأقبحه فى عينه ليأخذ حذره منه انتهى فعلم ان من جرح انسانا بغير غرض شرعى فهو فاسق لاسيما ذكره بالنقص بحضرة الاجانب عن الطريق فان الفقير الصادق ينشرح لمن يذكر له نقائصه والكاذب بالعكس وأكثر الناس اليوم كاذب فى قوله أنا أحب من ينقصنى ويظهر لى نقائصى ومن شك فليجرب وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه وأرضاه يقول لا بد لكل داع الى طريق أهل الله تبارك وتعالى من مدح المستقيم وذم الاعوج ترغيبا وتحذيرا قال رحمه الله تعالى وليس ذلك من باب الغيبة فى شئ ومن ظن بشيخه ذلك فقد خرج عن أدب أهل الطريق كما هو مقرر فى كتب الشريعة وقد نظم بعضهم المواضع التى تجوز الغيبة فيها فقال

استفت عرف تظلم حذر استعن * على ازالة فحش واحك ما ظهرا

وايضاح ذلك ان أصل تحريم الغيبة انما جاء من حصول التأذى بها على وجه التشفى من المستغيب والمحذر ناصح لاخيه خائف على وقوعه فيما ينقص دينه قاصد بذلك دفع أذى آخر أشد دون قصد التشفى فلا يستغنى شيخ عن تحذير أصحابه وترغيبهم أبدا لانه لا بد فيهم من أعوج ومن مستقيم وفى القرآن العظيم فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت فنهاه تبارك وتعالى عن اتباعه ليونس عليه الصلاة والسلام فى غضبه على قومه ودعائه عليهم بنزول العذاب وهذا وان كان مباحا ليونس عليه الصلاة والسلام لكونه معصوما ولكن ثم مقام رفيع ومقام

أرفع فافهم وفى القرآن العظيم أيضا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وفى الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فتركه قال بعض الحفاظ يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم عين له ذلك الرجل الذى كان يقوم الليل وتركه ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لم يعينه لانه ضرب مثل والغرض حاصل من غير تعيين وكان سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى يصير يرضى أن يضاف اليه سائر النقائص التى فى اخوانه ويستر اخوانه رضا بعلم الله تبارك وتعالى وايثارا لهم على نفسه وان تأثر من حيث نقص دين المنقصين انتهى قلت ويستروح لذلك بما ورد ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم كانوا يفدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وكان بعضهم اذا رأى سهما نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض له بصدره فتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان فى ذلك زهوق روحه فسماع الفقير الكلام الذى يؤذيه ويحمله عن أخيه دون أذى ذلك السهم بيقين انتهى وفى قصة ابى الحسين النورى رضى الله تعالى عنه وأرضاه انه لما قدم للقتل وفرش النطع لضرب أعناق اخوانه فى واقعة تقدم للسياف وقال له اضرب عنقى قبل أصحابى فقالوا له لاى شئ فقال لأوثر أصحابى بعدى بحياة ساعة انتهى فاعلم يا أخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لزيارة جميع أقرانى الا الحسود فأترك زيارته شفقة عليه وذلك لعلمى بان زيارته فى الغالب لا تفيده الا زيادة الغم لاسيما ان رحت اليه بثياب فاخرة مبخرة فمن نعم الله تبارك وتعالى على أنى لا أكلف أحدا من أصحابى لزيارتى ولا لعيادتى اذا مرضت ولا أعلمهم بمرضى خوفا ان أحدا منهم يتحمل همى أو شيأ منه وكفانى علم ربى تبارك وتعالى بذلك وان وقع ان أحدا منهم عادنى أو زارنى فانما ذلك تفضلا منه ابتداء على رغم أنفى لعجزى عن مكافأتهم على ذلك ثم لو قدر أنى زرت أحدهم ألف مرة فى نظير زيارته لى مرة واحدة لا أرى انى كافأته على تلك المرة مع انى فى بركتهم حيث كنت وقلبى مؤتلف عليهم ولو لم يزورونى ولم يعودونى وان كان فى جزء يحب تردد الاخوان الى فذلك الجزء ضعيف لا يكاد يظهر له صورة وما طلب الشارع صلى الله عليه وسلم منا الزيارة والعيادة لبعضنا بعضا الا لتأتلف قلوبنا حتى نتعاضد على نصرة الدين المحمدى وهذا المعنى حاصل عندى بحمد الله تبارك وتعالى فلا ينفر خاطرى ممن لم يعدنى فى مرضى مثلا فاياك يا أخى أن تظن بمن لم يزره صاحب هذا المقام انه يكرهه وتصير تقول لو ان فلانا كان يحب فلانا لزاره وعاده فربما كان صاحب هذا المقام هو الذى منعه بقلبه عن المجئ اليه رحمة به وشفقة عليه كما يقع لى ذلك مع صاحبى شيخ الاسلام العالم الصالح الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربينى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومع سيدى محمد بن الشيخ أبى الحسن البكرى نفعنا الله به وباسلافه ورضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ومع كل من كان مشغولا بخير يتعدى نفعه الى المسلمين فأتوجه الى الله تبارك وتعالى فى عدم مجيئه الى حتى لا يفوته فعل ما هو الافضل على ان غالب زيارة الاقران اليوم وعيادتهم لاخيهم تطرقها العلل فربما يكون أحدهم يقصد بزيارته وعيادته المكافأة على ذلك ليحصل له التجميل بين الناس بكثرة من يعوده من

العلماء والصالحين والاكابر وقد رأيت شخصا عاد مريضا فلما مرض هو لم يأت اليه فخرق عرضه فى الآفاق وحلف انه ماصار يعوده أبدا وصار ينشد

من جا اليك فرح اليه ومن قلاك فصد عنه

ولوانه كان عادة لله تبارك وتعالى ماندم على عيادته له فتأمل وقد مرض شخص من مشايخ العصر فطلب من سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه أن يعوده فلم يجبه الى ذلك وقال انما يطلب عيادتى طلبا للشهرة عند الامراء الذين يعتقدونه ويقول الناس ان المرصفى زار سيدى الشيخ اليوم ثم ان ذلك الشيخ صار ينتقص عرض سيدى على المرصفى فلما بلغه ذلك قال قد أذنت له أن يطلع الأذنة ويسبنى ولم يزره الى ان مات وقال انما تركت زيارته رحمة به لارؤية نفسى عليه ولو علمت انه يحتقر نفسه عن زيارة مثلى ولايذكر ذلك للامراء لزرته ثم قال وكان ذلك من خلق الامام مالك رضى الله تعالى عنه فعلم ان من أدب الحاذق أن يزورا خوانه ويعودهم بالنية الصالحة مع عدم طلبه المكافأة على ذلك ولايحوج أحدا منهم لزيارته ولاعيادته بالتعريض لمن يبلغهم انه مريض مرضا شديدا أو بقوله فلان الفلانى أوحشنا كثيرا ومرادى لورأيته قبل موتى ونحو ذلك فانه ربما سمع بذلك فترك أشغاله المهمة وحضر الى ذلك المريض بغيرنية صالحة وربما كان ذلك المريض كاذبا فى دعواه الاشتياق اليه فليفتش كل واحد منهما نفسه وربما ان ذلك المتكلف للحضور كان علم بمرض ذلك الرجل ولم يجد فى نفسه داعية لعيادته وكذلك من التعريض قول المريض بالله عليكم روحوا الفلان العالم وقولوا له اقرأ الفاتحة وادع لفلان فربما كان ذلك الفلانى مشتغلا بعلم يعود على العالم والامة نفعه فيقطعه عن الاشتغال به ويشغله بأمر مفضول وقد قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأرضاه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة فجعله أفضل من وقوف العبد بين يدى ربه ومناجاته بكلامه والركوع والسجود بين يديه فى حضرة قربه فضلا عن وقوف عبد بين يدى عبد مريض لايملك له ضرا ولانفعا اه فان قيل كيف يترك العبد حضرة ربه عز وجل ويخرج لمجالسة عبده فالجواب ان حكم العبد حكم من كان فى حضرة ملك من ملوك الدنيا وقد امره ذلك الملك بالجلوس معه ثم ان ولد الملك وقع فى بئر فقام ذلك العبد من مجلس سيده بغير اذنه لينقذ ولده من الغرق فالقرائن كلها متوفرة على رضا الملك بذلك حتى لوان الملك قال له فارق حضرتى وخلص ولدى فقال لاأفارقك عصى واستحق العقوبة وحكم من يشتغل بالعلم الشرعى المتعين تقديمه حكم من هو مشتغل بانقاذ الخلق من الهلاك بالنسبة لماهو ادون منه مماله تركه من أجله وهكذا من يعود أخاه أويزوره بالنسبة لماينبغى تركه فان الامر فيه سهل انتهى وبالجملة فيحتاج من يعامل الله تبارك وتعالى الى رياضة نفس حتى يخرج من الرعونات والا كانت معاملته معلولة انتهى وقد رأيت بعض جماعة يعودون المكاسين اذا مرضوا ويزورون الظلمة والجبابرة اذا مرضوا ولايعودون أحدا من اخوانهم العلماء خوفا أن يقول الناس عن الزائر انه دون المزور انتهى وقد كان شخص ينسب الى الصلاح يأتى لزيارة سيدى الشيخ نورالدين الشونى المدفون عندى بالزاوية رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر عليه من ينابيع مغفرته الهامعة فرآه بعض الناس فقال له حصل لك الخير حيث تزور عبد الوهاب فلاتنقطع عنه أبدا فقال والله ماطلعت

الزاوية الاللشيخ نورالدين الشونى فقال له الشيخ نورالدين الطندتائى أف على نفسك الخبيثة التى ترى نفسها على أخيها المسلم هاأنا طالع اليه أزوره وماانقصت شيأ ثم ان ذلك الشخص من ذلك اليوم صار يزور الشيخ نورالدين الشونى بعد المغرب خوفا أن يراه أحد ممن يعتقده فيقول انه يزورلى فينقص مقامه فى زعمه فالله تبارك وتعالى يغفرلنا وله ويختم لنا بخير آمين فاعلم ياأخى ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما ابتلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لحضور المحافل التى لم يندب الشارع صلى الله عليه وسلم الى حضورها لاسيما ان علمت ولو بالقرائن ان هناك من يعظمنى فوق مقامى أو يحتقرنى دون مقامى عادة فى المسلمين والا فالفقير لايرى له مقاما عاليا حتى تصح حقارته كما تقدم بسطه أوائل هذا الكتاب ومن علامة احتقاره لى عادة ان يرد السلام على أبناء الدنيا والمكاسين ونحوهم بالبشاشة ويرد على سلامى بالعبوسة وهذا ان الامران اللذان ذكرناهما قل أن يسلم منهما أحد من أهل المحافل وأين صاحب الميزان الصحيحة الذى لايجازف فى تعظيم ولاتحقير على ان غالب من يحضر المحافل انما هم اضداد لبعضهم بعضا وغير الغالب ينتظر مايقع من الغالب ثم يخرجون فيقولون فلان لم يقم له أحد فلان قام له المجلس كله فلان أجلسوه فى الصدر فلان أخروه لما دخل فلان لكونه أعلم منه أو أصلح وفلان كان جالسا فى الصدر فلما دخل المحتسب أخروه وفلان كان جالسا فلما دخل فلان نهض قائما وخرج وحصل للداخل خجلة عظيمة وهكذا وقد شرط العلماء رضى الله تعالى عنهم فى وجوب حضور وليمة العرس أن لايكون هناك من لايليق به مجالسته أومن يتأذى به فافهم والنكتة فى كراهتنا فى الحضور لمن يعظمنا أو يحتقرنا ان من يعظمنا يدخل علينا الاعجاب فى نفوسنا ورؤيتها على اخوانها فيغشها ويلبس عليها حالها ومن يحتقرنا يغلق علينا باب رؤية نعم الله تبارك وتعالى فى ذلك الوقت حتى نرى نفسنا متجردة عن أكثر النعم فيدخل علينا الاذى فى ديننا مع وقوعه فى الاثم بمجازفته فى التعظيم والتحقير ونحن كنا السبب فى ذلك بحضورنا فلا يبعد أن يلحقنا من اثمه شئ انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أخذ الاشياخ علينا العهد أن لانكون سببا لنقص دين أحد من المسلمين هذا ميزان المحافل التى لم يشرع لنا حضورها اما ماشرع لنا حضوره كصلاة الجمعة وصلاة العيد ونحوهما فنحضرها امتثالا لامر الله تبارك وتعالى ونسأل الله سبحانه وتعالى الحفظ لنا ولاخواننا من الآفات على ان مواضع العبادات الغالب على الناس فيها عدم المبالغة فى التعظيم والتحقير لاشتغالهم فيها بعبادة ربهم تبارك وتعالى بخلاف ما كان بالضد من ذلك اه فعلم من جميع قررناه انه لاينبغى لعاقل أن يدخل لغير ضرورة مواضع الجمعيات الا اذا سلم من الآفات كأن أعطاه الله القوة فصار يجمع على نفسه الناس اذا شاء ويصرفهم عنه اذا شاء والله سبحانه وتعالى أعلم وقد دخلت مرة جامع الازهر فى صلاة جنازة فلما انصرفت من الصلاة اكب الناس على بتقبيل اليد والخضوع وتبعونى يشيعونى الى الباب حتى صاروا أكثر من الحاضرين فى الجنازة فخجلت ومن ذلك اليوم صرت أصلى على الجنازة قريبا من باب الجامع وأخرج بسرعة وكثيرا ماأشتاق الى اخوانى فى الجامع فماأقدر على زيارتهم لاجل هذه النكتة ولعل النكتة فى ذلك قلة ورودى اليهم ورؤيتهم لى

فانی أعلم ان فی الجامع كل واحد لا أصلح خادما له ومع ذلك فلم یفعلوا معه مثل یفعلون معی ویؤید ذلك قول سیدی الشیخ أبی الحسن الشاذلی رضی الله تعالى عنه وأرضاه لما دخلت اسكندریة مكثت مدة لم یلتفت أحد الی فدخل البلد زرافة وفیل فانقلب الناس الیهما فقلت یاسبحان الله ابن آدم أكمل مقاما من الفیل والزرافة ومع ذلك فلم یلتفتوا الیه قال رضی الله تعالى عنه وأرضاه ثم انی نظرت فرأیت النكتة فی ذلك قلة رؤیتهم للزرافة والفیل انتهى ونظیر ذلك أیضا قلة تعظیم أهل مكة للكعبة وعدم بكائهم عند رؤیتها بخلاف الآفاق وبالجملة فیحتاج من یخالط الناس أن یكون له عدة أعین عین ینظر بها الى ماجعله الله تبارك وتعالى فی قلوب الناس من تعظیمهم له وعین ینظر بها الى حقارة نفسه فی نفسه لیعطی التواضع لاخوانه حقه وعین ینظر بها الى المواضع التی یحصل للناس بسببه نقص فی دینهم فیتركها وعین ینظر بها الایری له قط مقاما بین الناس وعین یری له المقام بینهم وذلك لما یترتب علیه من الخیر فی انقیاد الخلق له انتهى فتأمل یاأخی ذلك واعله واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى یتولى هداك والحمد لله رب العالمین

(ومما من الله تبارك وتعالى به علی) الحمایة من نومی على غیر وتر تعظیما لامتثال أمر الشارع صلى الله علیه وسلم فی ذلك ومسارعة لحصول مقام المحبة لی من الله تبارك وتعالى لالعلة ثواب ولاغیره انتهى وقد ورد ان الله وتر یحب الوتر وورد أیضا أوتروا یاأهل القرآن ولذلك جعله الامام أبو حنیفة رضی الله تعالى عنه وأرضاه واجبا فوق السنة ودون الفرض فمن نام على وتر فقد فعل ما أمره الشارع صلى الله علیه وسلم به وختم أعماله بعمل یحبه الله تبارك وتعالى فاذا أخذ الله تبارك وتعالى بروحه فی تلك اللیلة مات على دین الذین یحبهم الله تبارك وتعالى فلا یلقى بعد موته سوأ أبدا لان من أحبه الله جل وعلا لایعذبه بل یرضی عنه خصماءه ویغفر له بدلیل قوله تبارك وتعالى وقالت الیهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم یعذبكم بذنوبكم أی لو كنتم صادقین فی انكم أحباؤه ماعذبكم انتهى فتأمل یاأخی ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى یتولى هداك والحمد لله رب العالمین

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علی) عدم اجابته تبارك وتعالى دعائی على أحد من المسلمین فی حال غضبی فلو أذانی أحد الآن كل الاذى فدعوت علیه فلا یستجاب لی وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علی وقد أعطانی الله تبارك وتعالى هذا المقام لما حججت سنة خمس عشرة وتسعمائة فالهمنی الله تبارك وتعالى ان أسأله بین الركن والمقام بأن لایستجیب لی دعاء فی حق أحد من المسلمین حال غضبی علیه فمن ذلك الیوم مادعوت على أحد وحصل له بواسطتی سوء أبدا وانما الحق تبارك وتعالى یغار لعبده فی بعض الاوقات فیظن ذلك الظالم ان ذلك بواسطة الدعاء علیه فیحصل له زجر عن الظلم وقد كنت قبل هذه السنة یستجاب دعائی فی كل من دعوت علیه لوقته وكان من جملة ماسألت الله تبارك وتعالى فیه فی الملتزم سنة سبع وأربعین انه یفرغ علی من الاخلاق المحمدیة ماأتحمل به الاذى من جمیع الانام فلو اجتمعوا بغیر حق على ایذائی بالقول والفعل تحملتهم ان شاء الله تعالى ولم أقابل أحدا منهم بسوء فتأمل یاأخی ذلك واعلمه وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى یتولى هداك والحمد لله رب العالمین

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علی) عدم مجادلة من جادلنی بغیر حق لاسیما حال ثوران نفسه أو نفسی وذلك لعلمی بأنه ماجادلنی الا لما زین له فی نفسه انه الحق ومن وقع له ذلك فمن الادب الاعراض عنه حتى تروق نفسه ثم اذا راقت نفسه جادلناه بالتی هی أحسن غیر طالبین للمغالبة فقد قال الامام الشافعی رضی الله تعالى عنه وأرضاه ماجادلنی أحد الا وددت أن یكون الحق على یدیه دونی انتهى كلامه رضی الله تعالى عنه فعلم أن النفس مادامت قائمة على صاحبها بالرعونات فابلیس راكبها وهو الذی یجیبنا على لسان ذلك الشخص ولاشك انه أقل حیاء منا لعدم مراعاته الشرع بوجه من الوجوه فیظن أحدنا ان الذی یجادلنا هو صاحبنا ویقل حیاؤه علینا هو والحال انه ابلیس فهو یغضبنا ولانقدر نحن نغضبه الا نادرا وكان من سیاسة أخی الشیخ أفضل الدین رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة وأمطر علیه من سحائب مغفرته الهامعة یامالك الدنیا والآخرة یارب العالمین ان یوجه فهم من یجادله حتى یمیل الیه وتسكن نفسه فاذا سكن غضبه قال له یاأخی وهنا كلام أعرضه علیك فان كان صوابا والا تركناه كره ویوهمه انه یتعلم منه فیصغی ذلك المجادل الى سماع قوله ضرورة انتهى وكان رضی الله تعالى عنه یقول كثیرا من أدب الفقیر ان یعذر من جادله ولم یرجع الى قوله من حال نفسه هو فكما أنه هو لایرجع الى مافهمه خصمه فكذلك خصمه لایرجع الآخر الى مافهمه خصمه بل نقول ان رجوعه الى فهم نفسه أولى لاعتقاده الصواب فیه انتهى وكان رضی الله عنه یقول مالمن ثارت نفسه دواء أعظم من موافقته ثم اذا راقت نفسه وقبلت الحق فحینئذ نعلمه بالصواب انتهى وكان من خلق سیدی الشیخ عبد الحلیم بن مصلح المنزلاوی رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة اذا رأى عند أحد قیام نفس أو دعوى للعلم یتلطف به فی السؤال ویعطف علیه الجواب على سبیل المشاورة له فیه ویقول له ماتقول فی الشیء الفلانی فاذا توقف یقول له فلعل الجواب كیت وكیت فان كان صوابا فأعلمونی به اعتمده والا تركته وتارة كان یترقب اصاحب النفس حضور أحد من العلماء ثم یسأله بحضرته السؤالات الواهیة حتى یظهر له وللحاضرین انه جاهل لایصلح أن یكون معلما لصاحب النفس ثم یعطف له الجواب الصحیح على ذلك السؤال الواهی فیفیده العلم من غیر ان یشعر به أحد من الحاضرین أنه أفاده ویقول سترنا أنفسنا وأفدنا أخانا من العلم مالم یكن عنده وقد بان لك ان من الجهل ان یطلب الانسان من خصمه أن یرجع الى قوله هو مع خفاء مدركه علیه بل ربما أدى ذلك الى شدة خصام وسب وغیبة وتنقص فی المجالس وارتكاب آثام فالعاقل من أتى البیوت من أبوابها وأراح نفسه فتأمل یاأخی ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه یتولى هداك والحمد لله رب العالمین

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علی) كثرة مشاورتی لاصحابی فی كل أمر لم یأمرنی الحق تبارك وتعالى به أو لم ینهنی عن فعله بخصوصه ولو كنت أعلم من نفسی أنی أعقل منهم قال تبارك وتعالى لمحمد صلى الله علیه وسلم وشاورهم فی الامر مع انه أعلم منهم بیقین ثم قال جل من قائل فاذا عزمت فتوكل على الله أی لاعلى اشارتهم مع غفلتك عنا (وروى) الطبرانی مرفوعا أنا فیما لم یوح به الی كأحدكم انتهى (ولذلك) رجع صلى الله علیه وسلم فی مسئلة تأبیر النخل الى كلام أصحابه رضی الله تعالى عنهم وأرضاهم لانه لما رأى الناس على رؤس النخل یلقحونه فقال ما لهؤلاء فقالوا

يلقحون النخل فقال صلى الله عليه وسلم ما أرى ذلك يغنى شيأ فترك غالب الناس التلقيح فقل حمل النخل وخرج شيصا فأعلموه بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ما أخبرتكم به عن الله فاعملوا به وما أخبرتكم من نفسى فأنتم أعلم بأمر دنياكم انتهى وكذلك رجع صلى الله عليه وسلم الى قول أصحابه رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم لما نزل فى بدر على غير ماء فقالوا له يا رسول الله ان كنت نزلت ههنا بوحى من ربك فسمعا وطاعة والا فانزل بأصحابك على الماء فانه أقوى لنا على العدو انتهى (فعلم) انه صلى الله عليه وسلم ما رجع الى مشورة أصحابه رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم الا فيما لم يوح به اليه صلى الله عليه وسلم (وكذلك) الفقير منا لا يؤمر بالمشاورة الا فى الامور التى لم يرد فى الشرع لها حكم أما ما ورد حكمها فيه فنفعلها أو نتركها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم من غير مشاورة أحد فيها الا أن يكون أحدنا فى مقام الارادة فيشاور شيخه على تقديمه العمل الفلانى على غيره من حيث ان الشيخ أمين على كل ما يرقى المريد الى مقام العرفان وانما لم تشرع الاشارة فى المأمورات الشرعية بالاصالة لان المأمورات الشرعية لا تدخلها حبالة للمكر الالهى ولا للاستدراج بخلاف كل ما لم يبين الشارع صلى الله عليه وسلم حكمه فانه يحتاج الى المشاورة لامكان دخول المكر والاستدراج فيه انتهى (وكان) سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول من شرط المريد أن لا يشتغل بعلم أو صلاة نافلة من النفل المطلق أو ذكر الا باشارة شيخه فربما كان فى ذلك الامر دسيسة توقف المريد عن الترقى لا يشعر بها من عجب ورياء وسمعة ونحو ذلك (ورأيته) رضى الله تعالى عنه مرة يقول لشخص تلمذ له من أهل جامع الازهر اياك أن تطالع شيأ من العلم واشتغل بالذكر ليلا ونهارا فقلت له العلم مطلوب شرعا وربما كان فرض عين وذكر الله تبارك وتعالى انما هو سنة فقال يا ولدى هذا صاحب نفس فكلما ازداد علما ازداد تكبرا على الناس فأمرته بالذكر فلعل حجابه يرق ويذهب عنه العجب والرياء بعلمه وعمله ثم يشتغل بالعلم بعد ذلك على وجه الاخلاص طلبا لاحياء شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا غير انتهى (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول الاستشارة بمنزلة تنبيه صاحبها من النوم وربما يكون الانسان جازما بفعل شئ وعنده انه صواب فيشاور بعض اخوانه فيه فيقول له ان فعلت كذا وقع لك من الضرر كذا فيرجع بقلبه عن ذلك الامر ويظهر له الخطأ فيه حتى انه لو قيل له بعد ذلك افعل كذا لا يجيب أحدا الى ذلك وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الوسطى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم هجرى لاحد من المسلمين لحظ نفسى فوق ثلاث كما يقع لبعض أصحاب الانفس الغوية من المريدين وغيرهم ثم يزعمون أن هجرتهم تلك لله تعالى لا لحظ نفس والحال ان الامر بخلاف ذلك وأنا أعطيك يا أخى ميزانا تفرق به بين الهجرة لله والهجرة لغير الله وذلك أنك اذا رأيت نفسك تحب من أحسن اليها من العصاة ولا تهجره لعصيانه ثم انها كرهته وهجرته لما أساء عليها فاعلم أن هجرتك لغير الله تعالى وقد رأيت شخصا يثنى على بعض العصاة فى المجالس ثم بعد ذلك رأيته يسبه ففتشت على ذلك فرأيته كان محسنا له حال ثنائه عليه فلما ترك احسانه اليه ذكره بكل سوء وصار يقيم الادلة على وجوب هجرته لله تعالى فمثل هذا حبه لحظ نفسه وكرهه لحظ نفسه وقد كان سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى يقول لا يصلح

هجر المسلم من أمثالنا لغلبة دسائس النفوس علينا وانما يليق الهجر بالعلماء العاملين الغواصين على دسائس النفوس ومكايدها اللهم الا أن يكون الهجر بأمر صريح فى السنة فهذا لا حرج على أحد فى الهجر بسببه انتهى واعلم يا أخى ان مما يخفى هجرتك لاخيك الصالح اذا عاشر أهل الفساد والفسق فربما خالطهم ليسارقهم بالنصح ويتخولهم بالموعظة شيأ فشيأ فاياك والمبادرة الى هجرته قبل تربص وتأمل فاذا لم تجد مسوغا للخلطة أو خفت على صاحبك الفساد فاهجره وأفهمه السبب مصلحة له لينزجر وقد تكون اشاعة الفساد عن هؤلاء القوم الذين خالطهم صاحبك الصالح باطلة أشاعها عنهم بعض الحسدة ليوقعك وأمثالك فى سوء الظن بهم ولو انك تأملت لربما ظهر لك الحق وأن أولئك القوم صالحون ولولا انهم صالحون ما صحبهم صاحبك الذى هو صالح عندك (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ثم اياك أن تصغى فى هذا الزمان لحط أهل حرفة فى بعضهم بعضا الا بطريق شرعية واضحة فان غالب الناس قد أقبلوا بقلوبهم على الدنيا وأحب كل واحد منهم الانفراد فى بلده بالشهرة والسمعة بالعلم والصلاح فأعدى عدوهم من كان عالما صالحا فهو لظلمة قلبه وحجابه من الآخرة يريد أن لا يكون لغيره شهرة بخير فالعاقل من استبرأ منه لدينه ثم هجر أو أحب تبعا لحكم الشريعة (وقد) جاء شخص من أهل جامع الازهر يقرأ على بعض العلماء شيأ من رسائل القوم فلامه بعض الحسدة وقال كيف تقرأ على شخص يحط على العلماء فانقطع عنه زمانا ثم جاء وذكر له ما قاله الحسدة له فقال له قل لهم هل سمعه أحد منكم أو أخبركم عنه ثقة انه يحط على العلماء أم سمعتم الاشاعة فقالوا سمعنا فلانا يقول ذلك فذهب اليه وقال كيف يحط فلان على العلماء قال يوجه كلام كل عالم وهذا يؤدى الى تخطئة كل من خطأ صاحبه فينحل الامر الى تخطئة الكل فقال لهم أما قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه العمل بالحديثين أولى من الغاء أحدهما أما قال أئمة الاصول اعمال القولين أولى من الغاء أحدهما فأعجزهم فانظر يا أخى دسائس الحسدة حيث يقولون عن شخص يجيب عن الائمة وهو متقيد بمذهبه انه يخطئ الائمة بتأويل مخطئ لكلام لا يفهم منه رائحة الحط ولا رائحة قلة التعظيم وبالجملة فلا يفهم مثل ذلك عن هذا العالم الا شخص تعمق واتسكس فى الفهم كل ذلك تنفيرا منه للناس حسدا وبهتانا فلولا ان الله تعالى هدى هذا الطالب لكونهم حسدة لكان هجره بقولهم وظن بنفسه ان هجرة مثله قربة الى الله تعالى فالله يغفر لهم وانما مشينا فيه بالظن آمين فاياك ثم اياك من سوء الظن بأحد من المسلمين فضلا عن غيرهم من العلماء العاملين والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حضورى مع الحق تبارك وتعالى فى حال اجتماعى بزوجتى كما أحضر معه تبارك وتعالى فى صلاتى على حد سواء فى أصل الحضور وان تفاوت الحضوران من حيثيات أخر بجامع ان كلا منهما عبادة مأمور بها وما شرع الحق تبارك وتعالى جميع المأمورات الشرعية الا ليحضر العبد مع ربه فيها حال فعلها وانما لم يصرح الشارع لنا بالامر بالحضور فى الجماع اكتفاء بما أمرنا به من التسمية عنده فان ذكر اسمه تعالى وسيلة للحضور معه تعالى (وكان) سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول لا يتحقق لعارف قط وجه العبودية ذوقا فى شئ من العبادات كما يتحقق به حال الجماع أبدا فانه يشهد نفسه مقهورا تحت حكم

شهوة طبيعية حتى لا يقدر على دفع حكمها عليه ولا يكاد يتذكر شيأ آخر غير ما هو فيه ولذلك كان من شأن القطب الغوث الاكثار من النكاح لما يجده فيه من التحقق بالعبودية التى لا يشوبها دعوى قوة بل محض ضعف انتهى فاياك والاعتراض على من يكثر من الجماع فربما يكون سبب كثرة جماعه الحكمة التى ذكرناها (وقد) رأيت شخصا يدعى القطبية يدخل الحمام فى النهار ثلاث مرات فازددت فيه اعتقادا وتعظيما فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فيما أبلاك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة شفقتى على ذريتى من قبل أن تحمل بهم أمهم وذلك انى لا أجامع أمهم قط وأنا غافل عن الله تبارك وتعالى كما مر فى النعمة قبله ولا أجامعها وأنا غضبان ولا وأنا مقبل على الدنيا ولا وأنا مخاصم أحدا لحظ نفس ولا وأنا حسود أو متكبر على أحد من المسلمين وذلك كله عملا بقول بعض أهل الكشف ان الولد يكونه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التى كان عليها والده حال الجماع من باب ربط الاسباب بالمسببات (وهذا) وان لم يصح فيه شئ عن الشارع صلى الله عليه وسلم فالتحرز منه أولى عملا بكلام أهل الكشف والله غالب على أمره فلا أثر للطبيعة فى تخليق الولد فافهم فعلى ما قاله أهل الكشف ينبغى لمن كان متلطخا بشئ من الصفات المذمومة شرعا أن لا يجامع زوجته أيام توقع الحمل الا بعد أن يتوب من كل ذنب توبة خالصة ثم يجامع (وكان) الشيخ أحمد بن عاشر المغربى شيخ تربة السلطان قايتباى رحمه الله تعالى لا يجامع زوجته من حين تحمل حتى تضع حملها وتفطمه خوفا على الولد من الغيلة الواردة فى الحديث وان قيل بنسخ ذلك وكانوا اذا مدحوه على ذلك يقول وهل ذلك الا أخلاق البهائم فان البهيمة بمجرد ما تحمل لا تمكن الفحل يعلوها أبدا انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول ليتأمل الشخص فى صفات أولاده فان وجد صفاتهم حسنة فهى أخلاقه أو سيئة فهى أخلاقه من حيث ان النطفة نزلت من ظهره بتلك الصفات فلا يلومن الا نفسه (وقد) قلت مرة لشيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه الله تعالى ما سبب تخلف أولاد العلماء والصالحين عن التخلق بأخلاق اسلافهم غالبا فقال لى سببه تصفية ذواتهم من الاخلاق الرديئة اذ الكدر ينزل الى أسفل والصافى يصعد (ثم) قال وتأمل أولاد الفلاحين كيف يشتغلون بالعلم حتى يصير أحدهم شيخ الاسلام لعدم تصفية ظهور آبائهم (ثم) حكى لى حكاية ظريفة وقال كنا نقرأ يوما على شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فى قاعته أيام الصيف واذا بالماء يقطر علينا فقال الشيخ انظروا هذا الماء ما هو فصعد انسان فوجد ولده قد حفر فى السقف وغرز ريش الاوز وقال انى أزرع لنا أوزا فقال الشيخ بأعلى صوته انزل فانت معمل الاوز فى ظهر أبيك انتهى وهى تومئ الى ما ذكرناه عن أهل الكشف لكن يجب اخراج الانبياء من ذلك فلا يقال ما وقع من عصاة بنى آدم كان فى صلب آدم فانه عليه الصلاة والسلام كان معصوما من مثل ذلك ولذلك لم يكن عليه شئ من وزر أولاده بالاجماع انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم بخلى على عيالى بأجرة الحمام كلما قربت منها سواء كانت جنابة بجماع أو نفاس وكذلك لا أبخل عليها بأجرة غسلها من حيض أو احتلام لان ذلك

من جملة المعاشرة بالمعروف الذى أمرنى الله تبارك وتعالى به فمن بخل على زوجته بما ذكرناه لم يعاشرها بمعروف وكذلك لو كلفها الغسل فى الشتاء بالماء البارد (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول من مروءة الرجل مساعدة زوجته فى تحصيل كل ما احتاجت اليه من مصالح الدنيا والآخرة لانها فى حبائله وان لم تأخذ منه حاجتها فمن تأخذ ولا ينبغى له التعلل بعدم ايجاب الشارع صلى الله عليه وسلم عليه ذلك الامر بل كما ساعدته بتمكينه منها على غض بصره وحفظ فرجه وقضاء وطره فكذلك ينبغى له مساعدتها على ما ذكرناه (وهذا) الامر يخل به كثير من الناس فيكثر أحدهم الجماع ويشح على حليلته بفلوس الحمام لاسيما عيال الاكابر فان احداهن تستحى من خروجها للحمام كل يوم أو كل يومين لاجل لوث الناس بها ولحوقهم بجامعتها كل ليلة مثلا ويعسر عليها الاغتسال فى البيت خوف المرض والحوادر التى تنزل على رأسها وربما استحيت من جاريتها أن تأمرها بتسخين الماء كل ليلة أو والدتها أو أختها أو والدها وربما أخرجت الصلاة عن وقتها من هذه الحيثية أو تيممت بدل الغسل من غير حصول العذر الشرعى من شدة الحياء الطبيعى فينتقص دينها بذلك فليختر المكثر من الجماع اما أن يقلل جماعه واما أن يعطى عياله فلوس الحمام أو ثمن الوقود ويساعدها على تسخين الماء فى البيت والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة تواضعى وتعظيمى لكل عالم أو فقير زرته وتقبيلى يده أو رجله بطيبة نفس ثم لا أرى انى قمت بواجب حقه علىّ لاسيما بحضرة أصحابه وتلامذته فان فى ذلك تقوية لاعتقادهم فيه فيعكفون عليه ويقبلون نصحه وتربيته لاسيما ان لى اسما فى المشيخة عندهم فيقولون اذا كان الشيخ فلان يقبل رجل شيخنا فذلك دليل على ان شيخنا أعلى منه مقاما فيزيد اعتقادهم فيه وانتفاعهم به وكثيرا ما أقبل عتبة باب ذلك الشيخ أو باب زاويته بحضرة تلامذته اذا دخلت واذا خرجت وهم ينظرون وان كان ذلك الشيخ دونى فى مقام المعرفة وانما أفعل ذلك مع ذلك الشيخ لعلمى بعكوف أصحابه عليه دونى ولو انى كنت أعلم منهم انى لو عظمت نفسى قدمونى على شيخهم حين علمت انى أعلى مقاما منه ما كنت أقبل رجل ذلك الشيخ ولا عتبة بابه اذ لا فائدة فيه حينئذ بل الفائدة الدينية فى أخذهم عنى حينئذ (وايضاح ذلك) ان العارف كلما علا مقامه كلما كان أعرف بتقريب الطريق واختصارها على المريدين وكل الدعاة الى الله تعالى خدام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونوابه وأمناؤه على أمته فكل من بادر الى ما فيه صلاح لامته وراحة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رغم منه أنف ذلك الشيخ الاول (فعلم) انه ليس لنا ان نمدح نفسنا بالمعرفة ونفضلها على ذلك الشيخ الا بحق والا كان ذلك حراما علينا وغشا للمسلمين وكان أخى أفضل الدين رحمه الله اذا دخل على شيخ ورأى نفسه قائمة يقبل رجله ويسأله الدعاء وان كان لا يصلح تلميذا له ويقول نعلمه التواضع مع اخوانه ودخلت معه مرة على شيخ فرآه ليس له قدم فى المشيخة فصار ينفر جماعته عنه ويقول انظروا لكم شيخا فان شيخكم هذا لا يعرف شيأ من الطريق فقلت له هلا حسنت اعتقادهم فيه فقال ذلك غش لهم ويجب على الفقير اذا علم من شيخ انه عامى فى الطريق كمشايخ الاحمدية

والمتمشيخين بالآباء والجدود من غير سلوك على يد شيخ ان يرشدهم الى طلب شيخ فان لم يجيبوا الى ذلك نفر جماعتهم عنهم مصلحة للفريقين أما أولاد المشايخ فلئلا يصيروا من الائمة المضلين وأما جماعتهم فتقريبا لطريق عليهم انتهى وصاحب هذا المقام دائر مع المصالح لا مع حظ النفس مع انه خلق غريب فى هذا الزمان وما رأيت قط فقيرا تمشيخ يقبل رجل شيخ أو عتبة زاويته فى مصر غيرى ثم لا يخفى ان محل طلب تقبيلى رجلى ذلك الشيخ مالم أخف عليه عجبا أو كبرا فان خفت ذلك عليه ولو بالقرائن تركت تقبيل رجله وعتبة بابه كما يشهد له قواعد الشريعة وقد وقع لى انى قبلت رجل شيخ بحضرة جماعته وبحضرة الامير الذى يعتقده فحصل للشيخ عجب ولى ازدراء واحتقار وصار الشيخ يقول فلان قبل عتبة زاويتنا وطلب منا ان نربيه ويقول الأمير فلان تلميذ لشيخنا ولا فرق بينى وبينه فترتب على ذلك عدة مفاسد ذكرتها فى كتاب المنن الوسطى وخربت دار ذلك الامير ورمى الشيخ بعمل الزغل وغير ذلك فمن تلك الواقعة ماقبلت رجل أحد الى الان علمت ان ذلك لا يورثه زهوا ولا عجبا فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تحفظى من تطويل الجلوس اذا زرت احدا من اخوانى أو ذكرى له أحسن ما عندى من الكلام أو الاحوال وقل من يتحفظ من مثل ذلك فى هذا الزمان اللهم الا ان يترتب على ذلك مصلحة شرعية لى أوله فلا حرج (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ان تزور أحدا أو تمكث عنده طويلا الا ان علمت انه يحفظ لسانه فى حق الناس والافزيارتك الى الاثم أقرب (وكان) رحمه الله تعالى يقول أيضا اياك ان تذكر شيأ لاخيك من محاسنك اذا اجتمعت به الا لغرض شرعى فان السلف الصالح ماتركوا كثرة زيارة اخوانهم الا خوفا من الوقوع فى التزين لبعضهم بعضا (وقد) وقع للفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه انه اجتمع بأخ له فى الله فقال له ذلك الاخ ما أظن اننا جلسنا مجلسا قط أحسن من هذا فقال له الفضيل ما أظن اننا جلسنا مجلسا أشأم من هذا أليس عمد كل واحد منا الى أحسن ما عنده فذكره للآخر (وكان) بشر الحافى رحمه الله تعالى يشتاق الى بعض اخوانه فلا يذهب اليه ويقول أخاف ان أتزين له ويتزين لى اذا اجتمعت به انتهى (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول كان السلف الصالح يحبون المراسلة بالسلام ويقولون هى أحب الينا من اللقاء لانه ربما زكى كل انسان نفسه عند أخيه فيخلو قلب كل واحد منا من النور ويقع كل منا فى ذنب ابليس الذى هو الفخر على غيره انتهى (وقال) لى مرة اياك ياولدى من الاكثار للزيارة للناس الا لمصلحة ثم أنشدنى هذين البيتين

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة سترى لعورات المسلمين الذين لم يتجاهروا بالمعاصى وأرى ذلك من جملة الواجبات على هذا شأنى مع كل من تستر فى معاصيه عن أعين الناس الآن يترتب على ذلك مصلحة شرعية وهذا الخلق قد صار من أغرب ما يكون بين الناس فلا يكاد احد

يستر عورة أحد وبذلك كثر كشف سوآت الخلائق لاسيما ونحن فى زمان قد وعد الشارع صلى الله عليه وسلم فيه بظهور المعاصى والفتن وكثرة الزنا واللواط والقتل وشرب الخمر وغير ذلك (وكان) سيدى أحمد الزاهد رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم من يتجاهر بالمعاصى لبعض الناس فأمروه بالستر فان لم يسمع لكم فلا ترفعوا ذلك الامر الى الحاكم على وجه اقامة الحدود ولا بأس باعلامكم به الحاكم أو غيره على وجه الاستشارة فى طريق نصيحته اذا اعتقدتم انه أوسع تدبيرا منكم ولا تعلموا به من لا يعرفه على وجه الهتك له فان نفس الشماتة بالمعصية معصية أخرى اللهم الا أن يتجاهر بالمعاصى بين الخاص والعام فذلك عبد خلع ربقة الحياء من عنقه واستحق الرفع الى الحكام واعلام الناس به ليحذروه لاسيما ان كان كثير المراودة للنساء فان ذلك يجب على كل مسلم تحذير جيرانه منه نصيحة لله تعالى ولرسوله وللمسلمين ثم اذا رفعنا أمره الى حاكم ليقيم عليه الحد أو التعزير بشرطه فينبغى أن يكون قصدنا بذلك تطهيره من الذنوب لا التشفى فيه فربما عاقبنا الله تعالى بالوقوع فى مثل ما وقع فيه لان التشفى من جنس المعايرة له ومن عاير ابتلى وفى الحديث لو عير أحدكم أخاه برضاع كلبة لم يمت حتى يرضع من تلك الكلبة انتهى وكم يقع الشخص فى معصية ويسترها الله تعالى عن أعدائه وغيرهم ولو انهم اطلعوا على ذلك وحسن عندهم ان يهجروه لهجروه مدا الدهر ولم يجالسوه ثم لا يخفى ان من جملة ستر المسلم ان نغلق عليه بابه اذا رأيناه خارجا وهو سكران ونأمر الاجنبية التى معه فى الخلوة المحرمة مثلا ان تنزل من حائط الجار ان خفنا ان أحدا ينظرها اذا خرجت من المحل الذى هى فيه كل ذلك حتى لا يعلم أحد بعصيان ذلك الرجل لاسيما ان كان جارا لنا وكم يترتب على كشف السوآت مفسدة (فاياك) ياأخى ان تفشى سر أخيك المسلم ولو لاعز اصدقائك فانه يصير يحكى ذلك لكل الناس ان كان ساذجا وان كان حاذقا فيحكى ذلك لبعض الناس ويأمرهم بالكتمان فيصير كل واحد يخبر صاحبه ويأمره بالكتمان حتى تمتلئ البلد وأحدهم يحسب انه كتم ما رأى والحال انه هتك أخاه بين الناس فليتنبه العاقل لمثل ذلك فانه واقع كثيرا فى الاكابر فضلا عن غيرهم وان أراد شيخ الزاوية ان يؤدب الناقل ويأمره بتعيين من أخبره وهكذا الى ان ينتهى الى الذى نشأ منه الكلام أولا ليؤدبه كان أولى وأكثر غيظا لابليس فانه كثيرا ما يوسوس للواحد ويقول قد وقع فلان فى كذا وكذا تارة بالظن وتارة بسماع ذلك من فاسق أو عدو فاذا قيل له سمعت ذلك من اى شخص فيقول له من واحد لا ينبغى ذكره أو من واحد حلفنى بالطلاق انى لا أذكره فتخرب الزاوية بسبب ذلك وهو يحسب انه مصيب فى عدم تعيينه خوف الفتنة والحال ان فتنة الكتمان أكبر لانه اذا عينه فاما يخرج مما قال بطريق شرعى واما يقام عليه حد القذف والتعزير ثم انه لا يكتم مثل ذلك عن شيخ الزاوية الا كل شيطان فانه أشفق على الفقراء من أنفسهم فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى ومطاوعة نفسى فى محبة ستر عورة عدوى وكراهتى لكشفها وتأثرى لذلك وهذا خلق غريب لا يوجد الا فى افراد من الناس والغالب على الناس اظهار الشماتة لعدوهم واظهار عورته واشاعتها للخاص والعام تعريضا وتصريحا بخلاف أنا فانى بحمد الله تعالى أستر عورة عدوى أكثر من عورة صديقى وذلك لانى أرجو من

صديق العفو اذا تبت واستغفرت من كشف عورته ولا هكذا عدوى بل لا يبرئ ذمتى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وقد اطلعت بحمد الله تعالى على عورة كثير من أعدائى الذين يرمونى بالبهتان والزور وأنا استرهم فهم يريدون ان يكشفوا استرتى بالبهتان وأنا أسترهم فى الامور المحققة التى رأيتها بعينى وكثيرا ما أرى أحدهم يعصى ثم اذا سمعت غيرى يذكره بذلك كذبته وقلت حاش لله أنت عدو وكلام العدو لا يقبل فى عدوه مع انى أعلم ان ذلك الغير صادق فيما رأى سد الباب كشف سوآت المسلمين اللهم الا أن يترافعا الى حاكم فلا يجوز الطعن فى شهادة الشاهدين أو الاربع لانهى عن مثل ذلك بخلاف الامر قبل الرفع وقبل قبول الحاكم شهادة الشهود فافهم ومن هنا قالوا اما كل ما يعلم يقال وأكثر ما أتأثر على عورة عدوى اذا رأيته يحط فى وينقصنى لا سيما ان كان معدودا من جملة العلماء أو الفقراء سد الباب الطعن فى خرقة العلماء والصلحاء فان فى ذلك مفاسد لا تحصى أقل ماهنالك ان العامة تتجرأ على المعاصى والحط فى بعضهم بعضا وتقول اذا كان العالم الفلانى أو الصالح الفلانى وقع فى المعصية الفلانية فايش هو أنا وقد حرم المحققون على الواعظ ذكر شئ من مسمى معصية للانبياء لان ذنوب الانبياء انما هى بالنظر لمقامهم كوقوعهم فى خلاف الاولى أو المباح مثلا فيسمى مثل ذلك معصية وليس المراد بمعاصيهم ارتكابهم شيأ من المحرمات لانهم لو ارتكبوه لم يكونوا معصومين وقد ثبتت عصمتهم وقال الشيخ محيى الدين فى الفتوحات جميع من عين حقيقة معاصى الانبياء وخطاياهم فهو مخطئ كما فى قصة خطيئة داود عليه الصلاة والسلام فيعتقد بعضهم انها النظر المحرم الى امرأة أوريا والحق ان تلك الخطيئة انما هى رفع رأسه عليه الصلاة والسلام بغير حضورية صالحة فى الرفع فان حركات الاكابر وسكناتهم لا تكون الا باذن خاص ولا يكفيهم مطلق الاباحة كغيرهم فلما رفع عليه الصلاة والسلام رأسه وقع بصره على امرأة أوريا فصرفه فورا فكان عين الخطيئة رفع بصره بغير اذن خاص لا عين النظر المحرم لعصمته وعلى ذلك ينزل خبر كانت خطيئة أخى داود النظر فانه أطلق النظر فشمل السماء والحائط وغير ذلك ولم يخص شيأ بعينه على ان من عين خطيئة محرمة لا يجد فى ذلك قط دليلا عن الشارع صلى الله عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا وانما نشأ ذلك من بعض اليهود استحلوا أعراض الانبياء بكلام ما أنزل الله به من سلطان قال والعجب وضع بعض المفسرين ذلك فى تفسيره ويصير بعضهم يقول قال المفسرون كذا وذلك لا يجوز انتهى فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى الرد على من نقل عنه بعض الحسدة غلطة تخالف النقل بل أتثبت فى ذلك غاية التثبت لا سيما ان أفضت تلك الغلطة الى التكفير أو التعزير وهذا الامر قليل من يثبت فيه بل يبادر أحدهم الى الفتوى مع انه لم يجتمع بصاحب الواقعة ولا ثبت ذلك الامر عنده ببينة عادلة ولما نقل بعض الناس عن الشيخ عبد المجيد السامولى رحمه الله أنه نهى المصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أفضل مخلوقاتك وانه قال لا تقولوا أفضل مخلوقاتك فان ذلك لم يرد فى حديث الى آخر ما أنهوه فى حقه بادر الى ذلك كل مبادر فمنهم من أفتى بالتكفير ومنهم من أفتى بالتنكير ومنهم من أفتى بالتعزير فأرسلت له مكاتبة الى المحلة أخبرته فيها عما قال الحسدة فى حقه

وأنه يخبرنى بحقيقة الحال فكتب الى وبعد فما نسب الى العبد من نهيه المصلين عن قولهم أفضل مخلوقاتك لم يقع منى وانما صورة ذلك أنه قدم الى سؤال مضمونه هل الافضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ورد من الكيفيات أم الصلاة عليه بالكيفيات التى فيها زيادة التفخيم والتعظيم فأجبت الافضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بما ورد فان الوقوف على حد السنة أولى من تعدى السنة ثم قلت وهذا الذى قلناه لا ينافى اعتقادنا التفضيل الذى أجمع عليه الائمة فقد نقل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين فلا مخلوق أفضل منه فكيف لى ان أخرق الاجماع قال وهذا ما استحضرت انى كتبته على ذلك السؤال ولكن أقول كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قال وكنت أود أنهم لو أطلعونى على ذلك الجواب الذى أشاعوه لازيده بيانا وايضاحا موافقا لما عليه العلماء قاطبة ثم يطلعوني عليه ولم يراجعونى فيه هذا ما وقع انتهى فلما كتب الى ذلك أرسلته للمتعصبين عليه فلم يصغ أحد منهم الى ذلك وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول اذا بلغكم عن أحد كلام وأعلمتموه فأنكره فارجعوا اليه وكذبوا الناقل انتهى وقالوا فى كتب الفقه ان القاضى أو المفتى أو الشاهد اذا أنكر فتواه أو حكمه أو شهادته لا يحلف لانه مؤتمن انتهى فاياك يا أخى والتعصب على أحد الا بعد اجتماعك عليه وسماعك منه ما يخالف ظاهره الشرع واعلامك له بمخالفته فى ذلك ظاهر الشريعة أو كلام الجمهور مثلا ثم بعد ذلك ان صمم على المخالفة فأنكر عليه وشنع رحمة به وبالمسلمين أما هو فلئلا يكون من الائمة المضلين وأما المسلمون فلئلا يتبعوه فى ذلك فيهلكوا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مشاركتى فى الفرح والسرور ان ولد له مولود من أصحابى وان كان فقيرا ساعدته فى عمل اللبابة والسبوع بما أقدر عليه من غسل نحل أو غسل قصب أو ذبح خروفين أو خروف وكذلك أفرح والدته بالنقوط على يد عيالى سواء كان لها علىّ اداين فى النقوط أم لا ولا أشح على عيالى بفلوس النقوط اذا طلبت ذلك منى سترة لها بين النساء ولا أقول لها قط هذا لا يلزمنى لان ذلك من جملة المعاشرة بالمعروف التى أمر الله تعالى بها ومن جبر خاطر أخيه جبر الله تبارك وتعالى خاطره فى الدنيا والآخرة ومن كسر خاطر أخيه فهو بالضد ثم اذا جاءك مولود وطلبت منه أنه يفرح به لا يفرح مجازاة لفعلك معه ولو انك كنت فرحت بولده ونقطته لفرح بولدك ونقطك وقد رأيت من طلبت منه زوجته نقوطا تنقط به ولد جارتها فلم يرض ووقع بينه وبينها الاخير فيه وذلك من جملة البخل والشح وسوء العشرة فاياك يا أخى أن تفعل مثل ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك على بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تعرضى للمن بالاكل على صاحب كان يأكل معى زمانا ثم حصل منه كفران نعمة ممن كان واسطة فى ذلك ولا أقول له قط يا فلان تذكر الخبز والملح الذى بينى وبينك فان ذلك يؤذيه فيبطل تلك الصدقة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وربما قامت النفس على ذلك الصاحب فانكر وحلف أنه لم يأكل معنا ولا لنا عليه فضل وربما حلف على ذلك كاذبا اذا خاف شماتة أعدائه فيه وربما أطلق لسانه بالنقائص

فينا اذا امتننا عليه باللقمة فيحصل على ذلك مفاسد وآثام فعلم ان الذى ينبغى للعبد أن لا يطعم أحدا شيأ الا لله تعالى ثم لا عليه بعد ذلك ان اعترف الآكل بذلك أو انكر فان ذكر الطعام للآكلين فى الخصام عنوان على عدم الاخلاص فيه ودليل على خسة الاصل فان الكريم لا يمن قط بما فعل مع أخيه من المعروف بل يرى الفضل لذلك الاخ الذى كان أكل عنده لا سيما ان كان من المحبين الصادقين ثم حصل منه بعض زيغ فى الصحبة ثم رجع الى المحبة عن قريب فان ذلك المن يصير يكدر الصحبة بعد ذلك كلما تذكر (وقد) كان لى صاحب من طلبة العلم ضريرا أطالع معه العلم ويفيدنى الفوائد الحسنة فتخاصم مع بعض الطلبة فقال له أنت لا تجئ الى فلان الا بقصد الغداء والعشاء فحملت ذلك الصاحب المروءة فحلف بالطلاق من زوجته انه ما عاد يأكل عندى فى تلك السنة فلا تسأل يا أخى عما حصل لى من النكد بسببه فان من شأن الفقير تصديق كل صاحب فيما يدعيه من المحبة الخالصة ولا يجوز له أن يكذبه ولو بالقرائن ولو تأمل الكريم لوجد الفضل عليه ممن أكل طعامه فانه لولا ظن فيه الكرم ما أكل عنده فصاحب يظن بك خيرا ويباسطك ويحمل زادك الى الآخرة وقد يحضره لك أحوج ما تكون اليه كيف تمن عليه بلقمة من رزقه جعلها الله تبارك وتعالى له على يديك هذا خروج عن محاسن الشريعة فاياك يا أخى من فعل مثل ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بحال قضاة الزمان واقامة الاعذار الشرعية لهم فيما يقع منهم فى الاحكام ولا أحط قط على قاض الا اذا لم أجد له محملا صحيحا فى الشرع وقد أخبرنى بعض القضاة الصادقين أنه كثيرا ما يريد أن يفعل مع الاخصام الامور الشرعية على التمام فيقوم له عدة موانع تمنعه من ذلك فأنا أسعى فى نصرة الشريعة جهدى وطاقتى فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم استدلالى بوقوع مريدى هذا الزمان فى النقائص على أن ذلك من نقص شيخهم عملا بقول بعضهم اذا أردت أن تعرف مقام شيخ لم تره فانظر الى أصحابه فانهم يدلونك عليه انتهى فان ذلك ليس بقاعدة كلية فقد يكون الشيخ من أكابر اولياء الله تعالى ولم يقسم لمن اجتمع عليه شئ من أخلاق القوم كما أنه ليس كل من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له الهداية وما كل من سمع كلام الواعظ اتعظ به فاياك يا أخى أن تنظر ممن انتسب الى شيخ من أهل عصرك بسوء أدب فتقول لو كان شيخ هذا متادبا بالظهر على مريده فتقع فى الغيبة فى الاشياخ بغير طريق شرعى فتمقت فاحذره والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى لا أسأل ولا أرد حلالا ولا أدخر فأقبل كل ما جاءنى بغير سؤال منى بالحال أو القال وأنفقه على من احتاج اليه من نفسى أو غيرى على الوجه الشرعى وهذه طريقة الشيخ الكامل أبى الحسن الشاذلى وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وقد عملنا بها فى أيام الرخاء مرارا بخلاف أيام الضرورات فان هذه الميزان تتغير الى حكم آخر وكان سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك

والحمد

والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مدح احدى الضرتين وشكرها بحضرة الاخرى فى جهة تميل خاطرها اليها فان ذلك لا يزيد كل واحدة الا نارا وتقول ان هذه الامور مما تميل خاطر زوجى الى ضرتى فتزداد على ضرتها حقا وغيظا وكذلك لا أجمع بينهما فى منزل واحد ولا أذهب باحداهما الى الاخرى لتطبخ عندها بقصد ائتلافهما عليها فان ذلك أمر مدبج كله تلبيس ولو أن احدى الضرتين أظهرت الرضا عن الاخرى وطلبت الذهاب اليها لا أجيبها فان حكم الضرتين حكم الدنيا والآخرة ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى قهرا على كل واحدة منهما وقد أنشد سيدى الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

تزوجت اثنتين لفرط جهلى * وقد حاز البلا زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا * أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الحال عكس الحال دوما * عذاب دائم ببليتين
رضا هذى يحرك سخط هذى * فلا أخلو من احدى السخطتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى * نقار دائم فى الليلتين
اذا ما شئت ان تحيا سعيدا * من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا وان لم تستطعه * فواحدة تكفى عسكرين

فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن فى جملة أخرى من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى)

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم بغضى لاحد ممن نسب الى الشرف أو كان من الانصار ولو أنه آذانى أشد الاذى احتملته وذلك لان بغضى لاولاد النبى صلى الله عليه وسلم أو لاولاد الانصار أعنى لحظ نفسى معاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح لايمانى ومن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فايمانه لا يخفى حكمه وفى القرآن العظيم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى والمودة هى ثبات الحب ودوامه وفى الحديث الله الله فى أهل بيتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وفى البخارى وغيره مرفوعا حب الانصار من الايمان وفى رواية آية الايمان حب الانصار وما ثبت حكمه للاصل ثبت حكمه للفرع وان تفاوت المقام الا ما أخرجه النص فالحمد لله على ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من الادب ان نجعل كل ما ظلمنا شريف به من باب جرى المقادير الالهية على العباد فاعلى ما نعامل به الحق عز وجل على ذلك الرضا فان لم نقدر على الرضا فبالصبر فان لم نصبر سألنا الله تبارك وتعالى أن يمدنا بالصبر على ذلك الشريف فانه ما بعد الصبر الا السخط على تلك المقادير وذلك لا يجوز انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى لحرمة أشياخى أحياء وأمواتا ولو قدر اننى جاوزت مقام أحدهم فلا أرى نفسى قط عليه بل لا أرى نفسى أصلح خادما له فان جميع ما يحصل للمريد

انما هو من المادة التى أعطاها له شيخه وشيخه دائم الترقى فلا يقف للمريد حتى يلحقه أبدا هـذا ما نعتقده فى أشياخنا ولذلك توقفنا فى صحـة مجاوزة المريد لمقام شيخه بدءا وانما ولو قدر الى آخره وكثيرا ما أزجر من سمعته يرفع مقامى على أحد من أشياخى زجرا بليغا بالقلب واللسان وكذلك أزجر من سمعته يقول عنى انى خليفة لسيدى على الخواص أو سيدى الشيخ نور الدين الشونى أو انى ورثت مقام أشياخى كلهم ونحو ذلك مما هو كالكذب فان من شرط الخليفة ان يرث مقام شيخه كاملا وانا لم أطلع على نهاية مقام أحد من أشياخى حتى أعرف انى ورثته فيه وكذلك أعرف انه قد يكون عند أشياخى من الاخلاق والعلوم والمعارف والاسرار ما ليس عندى فكيف أوافق القائل على أنى خليفتهم * وقد كثر الاغترار فى هـذا الزمان بمثل ذلك من بعض مشايخ العصر وأقروا من يسميهم خلفاء لاشياخهم مع علمهـم بأنهم لم يقع لهـم شئ من الكرامات والخوارق التى كانت لشيخهم وربما كان أحدهم قد جلس بنفسه من غير اذن من شيخه الذى عمل خليفة له (وكان) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يعيب على من يزعم انه خليفة لشيخه ويقول ينبغى للمريد أن ينزه مقام شيخه عن مثـل ذلك ويغار على مقام شيخه ان ينضم بجعله خليفة له * وقد قالوا اذا لم تجتمع بشيخ فانظر حال جماعته فانهم يدلون عليه فليحذر العارف الفقير من مثـل ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين وهو حسبى وثقتى ومغيثى ومعينى ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عـدم مزاحمتى لمشايخ عصرى على شئ من أنواع صفات المشيخة كتلقين الذكر وأخـذ العهد وارخاء العذبة لاحـد من الناس لاسيما ان كانوا أقدم هجرة منى فى الطريق أو أكبر سنا فيها ثم انى ان رأيت أحدهم أعرف منى بالطريق تلمذت له ولو كنت مأذونا لى قبل ذلك من شيخ آخر لان مقامات الطريق ليس لها حد يقف عليه العبد واذا رأيت ذلك الشيخ الذى هو أكبر منى سنا قليل المعرفة بالطريق تأكد على أن أتلمذ له ظاهرا لا سارقه من حيث لا يشعر بالتعليم شيأ فشيأ حيث لم أصل الى تعليمه الابدال وأقول له ينبغى لكم ان تعلموا تلامذتكم الشئ الفلانى فانه من أخـلاق القوم ليتخلقوا به وأوهم المريدين ان شيخهم يعرف الطريق وانما يشح عليهـم بالتعليم لما يراه من فتور همتهـم (وقد من الله تبارك وتعالى علىّ) بفعلى مثـل ذلك مع جماعة من أشياخ مصر فعلمته ورقيته ولم يشـعر هو بذلك ولا تلامذته لكونى أقبل ركبته بحضرة تلامذته وأساله السؤالات الواهية التى تمجها نفوسهم فى بعض الاوقات ولم أجد لذلك فاعلا فى مصر غيرى الا القليل وكثيرا ما أفيد الشيخ منهم الفائدة ثم أغيب عنـه أياما وأجىء اليه فيصير يعلمنى تلك الفائدة التى علمتها له أمس وينسى كونى أنا الذى علمته وكثيرا ما يضيف الفائدة الى نفسه أو الى كتاب عنده فأقول له مقصودى الاطلاع على هـذا الكتاب لانه لم يزل عندى توقف فى هذه المسـئلة فأعجزه واقصد بذلك تنبيهه على كذبه حتى لا يعود لانى على يقين بأن تلك المسـئلة استكرتها بفهـمى أو استكرها أحد أشياخى ولم أجـدها فى كتاب ثم لا يخفى ان المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى وانما تقع من قاصرين أو من قاصر وعارف فيريد القاصر أن يكون شيخا مثـل العارف بجهـله والعارف لا يريد ذلك انتهى فافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما

(ومما أنعم الله تبارك وتعـالى به علىّ) عدم افتتاحى مجلس ذكر جهرا وهناك من هو أكبر منى سنا أو أحد من الاشراف ولو صبيا فلا أفتتح الذكر الا بعد عزمى عليه ان يفتتح عملا بحديث كبر كبر ولكون الشريف بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللعجز من الحرمة والتعظيم ما لا اصل وهـذا الخلق قل من يتنبه له من الفقراء الآن بل ربما تخاصموا على أن كل واحـد منهم يبتدئ وكثيرا ما تدل القرائن على أن بعضهم لا يواظب على الذكر مع الاخوان الا ان جعلوه شيخا عليهم فمن الادب لهم ان يشيخوه عليهم محبة فى ذكر الله تبارك وتعـالى والا تركه وكان لسان حاله يقول لا أذكر الله الا ان كنت شيخا وقـد وقع لى أن ثلاثة وردوا على المجلس فتفرست فى كل واحـد انه يحب المشيخة فسألتهم عن أعمارهـم وقلت ليفتتح من هو أكبر سنا الا أن يكون هناك شريف فصار أسنهم يذكر بنا وكثيرا ما تتقارب أعمارهم فآمر كل واحد منهم أن يفتتح وحده بقوله لا اله الا الله مرة واحدة ثم تذكر الجماعة بعدهم فعليك يا أخى بالعمل بهذا الخلق وأبعد عن التمييز جهدك حتى يجمع الناس ويتفقوا على تميزك عنهم ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم أخـذى العهد على مريد نكث عهد شيخه وجاءنى يجعلنى شيخه وكذلك مما أنعم الله به علىّ عـدم اظهار البشاشة له وفاء بحق شيخه الذى نكث عهده وما بش شيخ فى وجه من نكث على شيخه الا مقت هو وذلك المريد وكان من خلق سيدى على المرصفى والشيخ محمد الشناوى أن لا يأخذ أحـدهما العهد على مريد الا بعـد ان يقول له هل تقدمت لك صحبة مع أحد فان قال نعم قال اذهب الى حال سبيلك واعلم انه ينبغى لكل من برز للمشيخة فى هذا الزمان ان لا يتلاعب بالطريق فيأخـذ العهد على المريد صورة فليس معه مدد يمده به لان ذلك نفاق والمنافق لا يكون داعيا الى الله تبارك وتعالى وفى بعض الآثار لا تقوم السـاعـة حتى تجلس الشـياطين على الكراسى ويعظوا الناس والناس لا يشعرون أن ذلك الواعظ شيطان وكان الشيخ أبو السـعود الجارحى رحمه الله تعالى لا يلقن أحـدا الذكر الا بعد أن يتردد اليه السنة وأكثر ويسوق عليه السياقات وكان يسأله قبل التلقين ويقول له هل لك والد فان قال نعم قال نحن لا نصحب من يكون له أب غيرنا وكان رحمه الله تعالى يمتنع من أخذ العهد على من تلمذ لفقراء الاحمدية أو البرهانية من البيضان أو السودان ويقول له يا ولدى يكفى ميلك الى طريق الفقراء ولبس الزى وتادية الفرائض والسنن المؤكدات وقيامك بالكسب ثم يقول الحكم للـداعى الاول ومن دوغه هؤلاء الفقراء القانعون بالزى لا يصلح فى طريق الصوفية لقصور همتهم انتهى وكان سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول ما أعز الطريق وما أعز من يطلبها وما أعز من يصدق فى طلبها وما أعز من يجد من يدله عليها وما أعز من يصبر تحت تربية شيخه حتى يفطمه انتهى وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى لا يلقن أحدا حتى يقول دستور يا أصحاب الوقت فى تلقين هذا الولد نيابة عنكم فدونى لامده ويحكى ذلك عن فعل شيخه الشيخ محمد السروى رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وقد حكى لى الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى ان جماعة جاؤا الى سيدى أبى العباس الغمرى يطلبون منه تلقين الذكر فقال حرروا نيتكم فى طلب الطريق والا حصل لكم المقت فيا خجرأ

فقير يتقدم اليه منهم وذهبوا وقالوا من لعب بالطريق لعبت به الطرق وقد بلغني ان شخصا ممن ظهر في هذا الزمان لقن شيخ الاسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي فارسلت أعتب عليه وقلت كيف تلقن شيخ الاسلام فالله تعالى يغفر له وجاء شخص من القضاة الى سيدي محمد المغربي رحمه الله تعالى فقال يا سيدي خذ علي العهد فقال له رح واستكف البلاء فانك الآن تأكل وتشرب من أطيب الطعام والشراب وتلبس محاسن الثياب وليس عليك حرج فتريد تدخل نفسك في تحجير لا تطيقه ولم يأخذ عليه عهدا فافهم يا أخي ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك في بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم تعرضي لاحد من الاخوان انه يتقيد على صحبتي أولا يصلي الجمعة الاعندي أو انه يجلب أحدا لصحبتي الابطريق شرعي لا لحظ نفس وقد حدث في هذا الزمان أقوام يصدون الناس عن الاعتقاد في أحد سواهم بغير حق وصاروا يصطادون أبناء الدنيا بالنصب والحيل وتحقير من سواهم من المشايخ وذلك خروج عن سياج أهل الطريق بل بعضهم يقول أصحابه في الدعاء اجعل اللهم ثواب ما قرأناه في صحائف شيخنا القطب الغوث الفرد الجامع ويقرأ أصحابه على ذلك فبعضهم يضحك عليه وبعضهم يستغيبه وكان الاولى له زجر أصحابه عن مثل ذلك أدبا مع القطب وأصحاب الوقت ورأيت بعض جماعة يقفون في أسواق مصر ويدخلون بيوت الامراء ومشايخ العرب كابن عمر وابن عيسى وابن بغداد فيقولون لاحدهم هل اجتمعت بسيدي الشيخ فلان فيقول لا فيقولون مثلك لا يكون له معرفة بالقطب الغوث الفرد الجامع وصاحب التصريف في مصر فلا يزالون به حتى يجمعوه على ذلك الشيخ ثم يقولون للشيخ باتفاق بينهم مرادنا تأخذوا على شيخ العرب مثلا العهد ليصير مريدكم ويحصل له بركتكم وتصيروا تحملوا حملته وتحموه ممن يعزله او يزيد عليه في بلاده فيخجل ذلك الامير أو شيخ العرب ولا يسعه الا أن يجيبهم لاخذ العهد ثم يحجرون عليه ويقولون له اياك ان تجتمع بفلان وفلان فتخرب ديار البعيد فيصير في خوف عظيم من اجتماعه بغيره وقد سمعت بعضهم يقول لشيخ عرب عن جماعة من مشايخ مصر ان مثل هؤلاء لا يصلح تلميذ السيدي الشيخ انتهى وهذا كله نصب واحمري ما رأينا شيخ عرب ولا أميرا قط عمل شيخا في طريق القوم أبدا بل لا يقدر يمشي على شروط المريدين فبأي وجه يحجرون عليه ورأيت بعض مشايخ العرب أخذ جماعة عليه العهد وحجروا عليه فنكث عهدهم وقال أنا لا أقدر على تحجير ولا أطلب ان أكون شيخا وان كان اهم عندي رزق في قمح أو عسل أو بصل فهو يصل اليهم بلا هذا التحجير وقد نقض جماعة كثيرة من مشايخ العرب والاروام عهد أشياخهم لما وقعوا في الشدائد ولم يروا عندهم قدرة على دفع ما نزل بهم فلما جاؤني سترني الله تبارك وتعالى في تلك الشدائد فخولها الله تبارك وتعالى عنهم وصرت أرغبهم في الرجوع الى أشياخهم فلم يفعلوا وطردتهم فلم ينطردوا فافهم يا أخي ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من الوقوع في شيء يغير قلب شيخي علي يوما من الدهر وذلك من أكبر نعم الله تعالى على المريد فان بذلك يدوم الترقي له بخلاف من يسيء الادب مع شيخه فانه ينقطع ترقيه وربما رجع الى حالة هي أنقص مما كان عليه قبل صحبته له لان الادب

مع الشيخ سلم للادب مع الحق جل وعلا فمن لم يتادب مع الوسائل لا يشم رائحة من الادب مع المقاصد فعلم أن اقبال شيخ الانسان عليه عنوان لرضا الحق تبارك وتعالى عنه كما أن رضا الوالدين علامة لرضا الله تعالى عن الولد فان الله يرضى لرضاهما و يغضب لغضبهما ويؤيد ما قلناه من ان سوء الادب مع الشيخ يرد المريد الى أنقص من الحالة التى كان عليها قبل صحبة شيخه قول الجنيد رحمه الله تعالى لو أقبل عارف على الله تعالى مائة عام ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها انتهى أي لان كل لحظة يقبل فيها العبد على ربه عز وجل متضمنة لمجموع الامداد السابقة كلها وتزيد عليها بامداد الوقت فان جود الحق تبارك وتعالى لم يزل فياضا على قلوب المقبلين عليه ثم اعلم يا أخي ان أقل مراتب الشيخ أن يكون كالبواب للملك فمن كان البواب يكرهه فبعيد أن تقضى له حاجة عند الملك لانه لا يستطيع الوصول الى السلطان من غير الباب ومن قال من المريدين انه يقدر على قضاء حاجته عند الله تعالى من غير واسطة شيخه فقد افترى على الله تعالى وكان سيدي على المرصفي رحمه الله تعالى يقول من شقاء المريد في الدنيا وعنوان شقاوته في الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة الى صلحه والدخول في طاعته وقد تهاون جماعة بغيظ استاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبدا لا على يد شيخهم ولا على يد غيره انتهى وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقل ما يحصل من الهلاك لمن خالف استاذه الاشتغال بالدنيا والادبار عن الآخرة فيصير مكبا على جمع الدنيا من أي وجه كان ويعادي كل من صده عنها ولو كان شيخه وكذلك من أسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى وقلة تلاوته للقرآن وقلة عمله بالعلم وعدم تقيده بالاوراد وسهر الليالي وقلة المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس وغير ذلك وربما فارق شيخه وصار مداوما على الاوراد التى كان عليها حال صحبته شيخه لكنها قليلة النفع فهي في عينه كأمثال الجبال وفي عين المكاشفين باحوال الآخرة كالذرة وقد أجمع أشياخ الطريق على ان من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى في حال طاعته أبدا وفي بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين اكتبوا عمل عبدي فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل لياخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضرا معه انتهى فعلم ان من عقل العاقل ان لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلا قالها وقلبه غافل سارح في أودية الدنيا فان ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى وقد بلغنا ان بعض السلف الصالح قرأ سورة طه في الليل فجهر باية منها ليسمع جاره بغيرنية صالحة فرأى بعد ذلك ان القيامة قامت ونشرت له صحيفة تلك الليلة فلم ير تلك الآية فيها وقيل له خذ أجرك ممن رفعت صوتك لاجله انتهى فافهم يا أخي ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم تغير خاطري على مريدي اذا زار أحدا من أقراني ثم ان قدر اني تغيرت عليه فلا يكون ذلك الا لمخالفته الشريعة أو لاطلاعي من طريق الكشف أن فتحه لا يكون على يد غيري فحينئذ اظهر له التكدر ليلازمني الى وقت الفتح مصلحة له وتقريبا للطريق عليه لا لعلة أخرى من حظوظ النفس وعلى ذلك يجب حمل حال الاشياخ الذين منعوا مريدهم أن يجتمع بغيرهم ويحرم حملهم على أنهم انما منعوا مريدهم من الاجتماع بغيرهم لئلا

يتلمذ له دونهم فان الاشياخ منزهون عن مثل ذلك قال الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى وما ساغ شيخ مريده فى الاجتماع بغيره الا فسد حاله وحصل له تردد فى أى الشيخين أعلى مقاما حتى يتلمذ له واذا حصل له التردد دفعه قلب هذا وقلب هذا ولم ينتفع بأحد منهما لان شرط الانتفاع بشيخ جزم المريد بالتقيد فى دائرته لا يخرج منها حتى يحصل له الكمال وحينئذ يصير كالاخ فى الطريق للشيخ وللشيخ عليه حكم الافاضة من غير وقوف معه انتهى وكان سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول كما لم يكن للعالم الهان ولا للرجل قلبان ولا للمرأة زوجان كذلك لا يكون للمريد شيخان وكان رضى الله تعالى عنه يقول كما أن الله تعالى لا يغفر ان يشرك به فكذلك الاشياخ لا يسامحون المريد فى شركته معهم غيرهم ومتى سامحوه كان غشا منهم له قال رضى الله تعالى عنه وتأمل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا انما جعل السموات والارض تنشق وتتفطر والجبال تنهدم الا الشرك بالله وكذلك الشيخ لا يزيل قلبه عن حفظ المريد وتربيته ترك احسان ولا خدمة وانما يزيله ان يشرك به المريد غيره انتهى وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول ليس للشيخ ان يمنع مريدا من الاجتماع بغيره الا اذا اطلع من طريق كشفه أن ذلك المريد لا يكون فتحه الا على يديه فقط فحينئذ يمنعه ليقرب عليه الطريق والا فمنعه انما هو لحظ النفس انتهى واعلم يا أخى ان مثال الحضرة الالهية التى ينتهى اليها سلوك كل مريد مثال الكف ومثال الطريق التى يدخل منها اليها مثال الاصابع ومثال السنين أو الاشهر التى يجاهد المريد فيها نفسه مثال عقد الاصابع فان دخل الى الحضرة فى ثلاث سنين كانت كل عقدة بمثابة سنة وان وصل الى الحضرة فى ثلاثين سنة كانت كل عقدة بعشر سنين وهكذا الحكم فى الزيادة والنقص فاذا سلك مريد على يد شيخ حتى قطع عقدة ثم تركه وسلك على يد شيخ آخر حتى قطع عقدة ثم تركه وأخذ عن شيخ آخر حتى قطع عقدة أفنى عمره ولم يتجاوز العقدة الاولى لانه لا يصح لشيخ ان يبنى على بناء شيخ آخر فلا بد ان يهدم بناء من كان قبله من الاشياخ ولو أنه كان صبر ودام تحت حكم شيخ واحد لربما قطع الثلاث عقد من الاصبع الواحدة ودخل الحضرة الالهية وهذا مثال ما أظنه طرق سمعك قط وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أجمع أهل الطريق على ان الملتفت الى غير شيخه لا يفلح أبدا وسمعت سيدى محمدا الشناوى رحمه الله تعالى يقول قلت يوما لشيخى سيدى محمد السروى مرادى أن أزور الشيخ الفلانى فقال لى يا محمد اذا لم يكن الشيخ يملأ عين المريد فلم يتخذه شيخه فمن ذلك اليوم ما زرت غيره الى أن مات انتهى اللهم الا أن يكون المريد ثابت القدم مع استاذه فله أن يزور غيره ولا حرج لعدم تزلزله وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى يقول كان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول نحن لا نقيد على مريدنا انه لا يجتمع بغيرنا وانما نقول له ان وجدت منهلا أعذب من منهلنا فعليك به قال الشيخ أبو العباس فكنا ننظر فى أقرانه فلا نجد أعلى مقاما منه ولا أعذب منهلا فلذلك قدمناه على غيره انتهى وينبغى حمله على حال المتوسطين فى الطريق أما المبتدئ فى الطريق فانه لا يفرق بين الاعذب من الكلام وغير الاعذب وربما أعجبه كلام شيخ لموافقته لهواه فعمل به فهلك ثم ان هذا الذى قررناه كله فى حق المريدين الصادقين فى طلب الطريق أما من لم يصدق

فى طلب الطريق فانما هو معتقد فى الصالحين يزور هذا ويزور هذا ولا حرج عليه هذا حال أكثر المريدين اليوم فليس لشيخ أن يضيق عليهم بالتقيد عليه وحده ومن شك فى قولى هذا فليمتحن من يدعى الصدق منهم ويأمره بالخروج عن ثيابه وما بيده من الدنيا وينظر فان أطاعه بانشراح صدر فهو صادق وان انقبض خاطره فهو كاذب وهذا محك يظهر زغل المريد وبالجملة فالمريد الصادق فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من شيخ جعل له مجلس ذكر فى الجامع الذى كنت أذكر انا فيه قبله بل أنشرح لذلك وأذهب بجماعتى اليه وأعزم عليه أن يكون هو الذى يفتتح المجلس ثم أقبل يده ورجله مع الجماعة خوفا من تشتت قلوب الذاكرين وأظهر الفرح والسرور بذلك لانه كبر مجلسنا وقوى قلب جماعتنا وان رأيت له قدما فى الطريق تلمذت له وتلقنت عليه أنا وجماعتى وهذا خلق غريب فى هذا الزمان ومخالفته تدل على وجود الرعونات ومن كان صاحب رعونة لا يصلح أن يكون شيخا على جماعة وما عقد الفقراء مجالس الذكر بالاصالة الا محبة فى كثرة ذكر الله عز وجل لا لان يكونوا بذلك مشايخ فالله يحفظنا واخواننا من مثل ذلك وقد رأيت جماعة وقع لهم ذلك فترافعوا الى الحكام وأخذ كل واحد منهم مرسوما بأنه يكون شيخا وانه أشيخ من غيره وذلك كله جهل فان المساجد لله وليس شيخ أحق بالذكر فيها من شيخ ولو كان هو الذى بنى ذلك المسجد وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا فعلم ان كل شيخ تكدر ممن جاء يذكر الله عز وجل تجاه مجلسه فهو دليل على أنه طالب بذلك الرياسة والصيت عند الناس وذلك الى الاثم أقرب وقد تقدم فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على فرحى بكل شيخ برز فى حارتى وانقلبت اليه جماعتى حتى لم يبق حولى منهم واحد ومن تكدر من ذلك فهو خارج عن سياج الفقراء ممقوت فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للتميز عن اخوانى فى مجلس الذكر أو العلم فلا اجلس على سجادة ولا مضربة الا لعذر شرعى ثم أطلعهم على ذلك العذر خوفا من وقوع أحد منهم فى سوء الظن فيهلك فى دينه ومن العذر أن أكون هزيلا أو طلع فى دمامل ونحوها أو أكون معدا لسؤال الاعراب من الفلاحين وغيرهم فأجلس متميزا عن الحاضرين ليسألونى ولا يحتاجون الى سؤال أحد عنى وقد وقع أنه صلى الله عليه وسلم كان يجلس مع أصحابه فيأتى الاعرابى ليسأل عن أمر دينه فلا يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الصحابة عنه فتشاور أصحابه فى أن يجعلوا له شيأ يتميز به فاتفقوا على انهم يبنون له دكانا من طين فبنوه وفرشوا له عليه حصيرا وصار يجلس عليه وكان صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وكان يراعى خواطر أصحابه ويسعى فى كل ما يميل خاطرهم لينقادوا الى نصحه وارشاده فان المريد اذا لم يعتقد فى شيخه الصلاح والتواضع لا يصح له به انتفاع أو لا يكمل وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يخفض جناحه لاخوانه ويرى نفسه دونهم وهناك يبالغون فى تعظيمه وينتفعون به بخلاف من كان بالضد من ذلك فان الامر يكون بالضد فربما يلوثون به فيما بينهم

ويقولون شيخنا يحب الضخامة وتقبيل اليد كما وقع ذلك لبعض اخوانتا مع شيخه فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى لاكل طعام مريدى قبل أن يتمكن فى محبتى ويرى جميع ما بيده ملكى دونه سواء كان ذلك الطعام فى عزومة أو وليمة أو أرسله الى بيتى والحكمة فى ذلك كون الاكل من مال المريد يورثه الادلال على شيخه والاستهانة بجنابه ويصير المريد يرى لنفسه الفضل على شيخه وذلك يبطل انتفاعه بشيخه وقد عم هذا الداء كثيرا من الفقراء فترى أحدهم يندلق على طعام المريد أول صحبته وعلى قبول هداياه وربما كساعيال الشيخ واولاده ولا يلتفت الشيخ لما فى ذلك من نقص المرتبة وغاب عن هذا أن من شرط الشيخ أن يكون له اليد على مريده فى أمور الدنيا والآخرة وجاءنى مرة شخص وقال لى ان فلانا أخذ على العهد على أنى أعطيه كل ما طلبه منى وقال اذا منعتنى مطيتك وعيتك فلا تلم الانفسك فقلت له هذا خروج عن الطريق * وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول مال المريدين حرام على الاشياخ انتهى لكنه محمول على مريد لا يرى الملك لشيخه فيما بيده والافقد أكل الاشياخ الصادقون عند مريديهم كما هو مشهور فى كتب الرقائق من غير توقف فالحمد لله الذى جعل طعام المريد الذى لم يتمكن فى محبتى لا يقيم فى بطنى أبدا ولو نسيت وأكلته وذلك أنى أحس بثقله فى بطنى كأنى أكلت قطعة جبل وتارة تلعب نفسى فأتقيؤه وهذا من جملة نعم الله العظيمة على فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى من شيخ العرب أو الكاشف أو غيرهما من الولاة أو التجار أو المباشرين اذا صحب أحدهم غيرى من الاقران بل أفرح لذلك غاية الفرح كما من أوائل هذه المنن خوفا أن يميل قلبى الى ذلك الظالم مثلا فتقصر يدى ولسانى عنده فى الشفاعات ونحن ما صحبناهم بالاصالة الا لتخليص المظلومين وتفريج كربهم فعلم أن تكدر الفقير من صاحبه الامير اذا صحب غيره فى غاية القبح بل بعضهم يعادى ذلك الامير وذلك الشيخ بسبب ذلك وأصل ذلك أنه صحبه للدنيا من قبول بره واحسانه أو غير ذلك ولو أنه كان صحبه بنية صالحة لم يتكدر لذلك أبدا وقد صحبنى شيخ عرب وليس على على أنه صحب أحدا غيرى فتكدر ذلك الشيخ وصار يقطع فى عرضى وعرض ذلك الامير فلا يعلم عددما اغتابنى به الا الله تبارك وتعالى فقلت لذلك الامير رح اصاحبك لاجل الله وأرحنا من شره فذهب اليه مع انى لم آكل لشيخ العرب المذكور قط طعاما ولا قبلت له هدية الى وقتى هذا فاياك يا أخى أن تصاحب شيخ عرب أو غيره من الاكابر الابعد أن تفتش فربما يكون صحب أحدا قبلك من النصابين فتقوم عليك القيامة كما وقع لى ذلك من جرة محمد العبادى وغيره وابعد يا أخى عن أبناء الدنيا جهدك فان نفوس غالب الناس تميل الى صحبتهم وتزاحم عليها فأف أف ثم أف ثم أف على من لبس زى الفقراء وزاحم على شئ من الدنيا وخالف هدى أصحاب الزى وشاباش لمن حمى زى الفقراء عما يزرى به والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة ارشادى لاصحابى أن ينظروا فى أنفسهم اذا خالفهم خادمهم أو زوجتهم أو وقعوا فى المعاصى والقاذورات أو الاباق والنشوز ويقتدوا فى ذلك

بالسلف

بالسلف الصالح رضى الله تعالى عنهم فكان أبو يزيد البسطامى اذا رأى فى أصحابه نقصا يقول بشؤمى وقعوا الى ما وقعوا فيه وكان الشيخ عبد الحليم رحمه الله تعالى اذا قيل له ان أحدا من المجاورين يتعاطى ما لا يحل له أفا فصحه يقول هل رأيتم قط نجاسة تطهر نجاسة انتهى ودليل القوم فى ذلك قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم انما هى أعمالكم ترد عليكم وقوله صلى الله عليه وسلم عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم وقوله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول انى لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى وزوجتى فيشمص الحمار ويخرج العبد والزوجة عن الطاعة ثم اذا رجعت الى نفسى واستغفرت الله تعالى وقبل توبتى رجعوا الى طاعتى انتهى وقد علمت ذلك الكثير من أصحابى فتركوا الشكوى لى بعد أن كان أحدهم كثير الشكوى من زوجته وعبده وصاروا يرجعون الى نفوسهم فيقومونها فتستقيم رعيتهم الذين قسم لهم الاستقامة واسترحت من كثرة شكواهم لى * وقد كان الشيخ أبو النجا سالم المرور رحمه الله تعالى يقول لاصحابه كثيرا اعلموا أن جميع الوجود يقابلكم بحسب ما برز منكم من الاعمال فانظروا كيف تكونون فان الظل تابع للشاخص فى العوج والاستقامة انتهى وهذه قاعدة أكثرية لا كلية فقد يبتلى الله تبارك وتعالى العبد ابتداء لينظر كيف صبره وهو العالم بما يكون قبل أن يكون ويبتلى عياله بالزنا مع أنه لم يقع هو فيه قط ويعقه ولده مع أنه كان بارا بوالديه ويؤيده قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لكن يؤيد أصل القاعدة قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فى حق الأئمة المضلين وقوله صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث انتهى فتأمل ذلك وافهمه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة أمرى للمريدين بأن يصبروا ويتحملوا الاذى من كل من آذاهم حسب الطاقة ولا يقابلوا أحدا بسوء ثم اذا بلغوا الى حد لا يحتملونه انتقمت لهم باذن الله ممن آذاهم بسياسة ولطف ولم أمكن أحدا منهم يقابل أحدا خوفا عليه أن يجازف فى المقابلة ويزيد فى الاذى فيخسر وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من كمال الفقير أن ينتقم لاصحابه ممن آذاهم للفريقين مصلحة وصورة ذلك أن الفقير يسأل ربه عز وجل أن يؤدب الظالم اما بمرض واما بزوال نعمة واما باخراج وظيفته عنه أو زوال جاهه وحرمته من قلوب الناس ونحو ذلك انتهى وفى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث ويقع لى بحمد الله كثيرا أن همتى تطلب الانتقام لاصحابى فينفذ الله تبارك وتعالى ذلك بمجرد الهمة من غير سؤال الله تعالى وذلك من أشد ما يكون من الانتقام فربما دخل فى قلب ذلك الظالم منهم سهم مسموم فلا يزال به حتى يموت ولا يقدر أحد على مداواته كما وقع لى ذلك فيمن أفسد فى زاويتنا بالفتن ورمى اخوانه بالبهتان والزور وكان مرضه الاستسقاء * وكان سيدى محمد السروى شيخ شيخنا يقول الفقير اذا قوى عليه الحال وتفلت من يده صار كالاسد اذا أفلت يكسر كل من وجده ولو صاحبه وأولاده وكان رحمه الله تعالى يقول أيضا لا يكمل الفقير حتى يقتل الله تعالى بسببه وبسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظلمة الذين يؤذون أصحابه واخوانه المسلمين وكان رحمه الله

تعالى يقول من كمال الفقير ان يحتمل الاذى فى حق نفسه ولا يحتمله فى حق أصحابه قياما بواجب حقهم عليه لانهم ما اجتمعوا عليه الا ليحميهم من ظالم يؤذيهم (قال) وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم الجعبرى وسيدى ابراهيم المتبولى وغيرهما فالحمد لله رب العالمين وكان كثير من القوم الذين أدركناهم يقتلون الظلمة بالحال أو التوجه الى الله تعالى فى ذلك قلت ويجب تقييده بما اذا علموا أن ذلك الظالم قد استحق القتل شرعا والا فعليهم اللوم والله تبارك وتعالى اعلم

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظى للادب مع أقرانى فى حال غيبتهم وتبجيلهم وتعظيمهم كما يدل لذلك ذكر مناقبهم فى كتاب الطبقات التى وضعتها فى حق أهل القرن العاشر وهذا أمر انفردت به فى هذا العصر لاسيما مناقب الجماعة الذين يكرهونى ويؤذونى فانى بالغت فى تعظيمهم وحملهم على أحسن المحامل ضد ما فعلوا معى كما تقدم تقريره أوائل الباب الثالث وغالب الناس لا يقدر على ان يذكر مناقب عدوه أبدا بل ولا تطاوعه نفسه واذا رأيت أحدا من أعدائى قليل العمل بالعلم فى الظاهر وأخاف أنى أمدحه فيكذبنى الناس أقول فى ترجمته فى الطبقات وغيرها والغالب على فلان اخفاء أعماله الصالحة فلا يكاد أحد يعرف له منها شيأ كل ذلك سترة للاخوان ومن جملة ذلك حملى لهم اذا خطؤنى فى فهم على أنهم مجتهدون فى الفهم فلا يكلفون العمل بغير ما ظهر لهم وجهه ولو أنهم شنعوا على فى فهمى فاهم ذلك نصيحة للمسلمين بحسب قدرتهم فالله تعالى يغفر لنا ولهم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تقطيب وجهى وعدم بشاشتى لكل مريد دخل على يزورنى حفظا لمقام شيخه فى غيبته وخوفا عليه أن يميل الى بالمحبة فيجرح مقام شيخه كما تقدمت الاشارة اليه قريبا اللهم الا ان كنت أعلم ثبات اعتقاده فى شيخه فلا أفعل معه شيأ من ذلك بل أبش له وأقدم له الاكل والشرب وأعظم شيخه بمدحى له بحضرته ونحو ذلك كما أفعل بالضيوف وهذا الخلق لم أر له فاعلا فى مصر غيرى الا قليلا بل بعضهم مقت بواجب حقه فلم أخرج لمريده طعاما ولا بششت فى وجهه خوفا على قلبه من التزلزل لما رأيته أقبل على فشكا ذلك الى شيخه فقال يا ولدى أما علمت أنه يكرهنا ويكره جماعتنا انتهى وهو معذور فان هذه الاخلاق غريبة فى أهل هذا العصر والله ما قطبت فى وجه مريده الا حفظا لمقامه عند مريده فكنت بذلك فى المشرق وهو فى المغرب فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أنى لا أسكت الجماعة قط اذا كانوا فى ذكر أو قرآن أو علم حتى أستأذن الحق جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم ان كان حديثا أو العلماء الذين يقرأ على كلامهم فأقول بقلبى ولسانى بخفض صوت دستور يا الله أسكت عبادك وانقلهم الى غير ذلك من الخيرات أو دستور يا رسول الله أن انقل هؤلاء الى الخير الفلانى فانهم ضجروا وملوا من الشئ الفلانى وهذا الادب قل من يراعيه من العلماء والفقراء فربما يسكتون قارئ القرآن أو الحديث أو العلم بلا استئذان وهم غافلون عن هذا المشهد فاعمل يا أخى على التخلق بذلك بكثرة مقدمات المراقبة من الجوع ومخالفة الهوى ونحو ذلك حتى تصير فى أكثر أوقاتك تشهد نفسك بين يدى الحق وبين يدى أهل حضرته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خواص أمته من العلماء والصالحين والا فلا يستقيم لك ذلك وكان على هذا القدم سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى

على

على الخواص وأخى أفضل الدين وأخى أبو العباس الحريثى رضى الله تعالى عنهم ويؤيده حديث الاستخارة المشهور وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ينبغى للفقير ان لا يتحرك ولا يسكن فى أمر مهم الا بمشاورة الحق جل وعلا قال وهو أحق مما أمر نابه من مشاورة اخواننا أو من مشاورة الولد الموفق والده فى اموره قال رحمه الله تعالى وهذا الامر وان لم تصرح به الشريعة فهى تقبله ولا ترده وكل ما كان فعله أدبا مع الخلق ففعله مع الحق تبارك وتعالى أولى انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اذن شيخى الشيخ محمد الشناوى لى فى ان أجلس لتلقين الذكر وتربية المريدين بحضرة الشيخ شهاب الدين بن حجر المقيم بمكة وبحضرة الشيخ على والشيخ أحمد السواح أولاد الشيخ عبد الرازق بناحية كوم النجار وبحضرة الشيخ محمد حسن المحلى المقيم بالمدينة المشرفة وبحضرة الشيخ شهاب الدين الطندتائى وجماعة وذلك فى زاوية شيخه الشيخ محمد السروى ليلة تمام شهره لما توفى الى رحمة الله تعالى ولفظه اشهدوا على أنى أذنت لولدى هذا أن يلقن ويربى المريدين على طريق القوم ثم أنشد هذا البيت رضى الله تعالى عنه

أهيم بليلى ما حييت وان أمت * أوكل بليلى من يهيم بها بعدى

ثم سافر من مصر الى بلاده فصار كل بلد يمر عليها يقول لهم قد أذنت لفلان فمن اراد الطريق بعدى فعليه به فجاءنى خلائق بعد موته رضى الله عنه فتلقنوا على سبيل التشبه بالقوم عملا باذن شيخى ثم تركت هذا الباب الا بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أناس ثم لما اجتمعت بسيدى على الخواص قال لى اعلم يا ولدى أن الخلق الآن صاروا كالحجاج اذا رجعوا من مكة وأشرفوا على أوطانهم ورأوها بعيونهم فمن يقدر أن يقطرهم ويجمع شملهم وقد كانت الهمم فى الزمن الماضى موجودة وكان أحدهم يتطلب الطريق بصدق كالحجاج فى ابتداء سفرهم فانا رأيناهم يعطون جماعة أمير الحاج الدراهم حتى يقطرهم انتهى ولكن حصل لى باذن شيخى غاية السترة بين الفقراء فان غالب الفقراء اليوم صاروا يجلسون بلا اذن من شيخهم وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له فادعى أنه جاءه فى المنام وقال له ابرز للناس وبعضهم ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له وهو بعيد فان بين مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا كذا ألف مقام ما أظن أن هذا حصل منها مقاما واحدا كما مر تقريره فى المقدمة وقد ذكرنا قواعد أهل الطريق فى رسالة خاصة فمن طالعها وجد بعض المشايخ اليوم لم يبلغ مقام مريد فالله تعالى يلطف بنا وبهم ويغفر لنا ما جنيناه آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة محبتى وتعظيمى لاولاد مشايخى فى العلم والطريق وأصحابهم ومن يلوذ بهم فى حال حياة أشياخى وبعد مماتهم قياما بواجب حق أشياخى وأولادهم وأصحابهم وهذا الخلق يخل به كل من لم يقطع على يد شيخ فيكرهون أولاد شيخهم وأصحابه وبالعكس وكيف يدعى أحدهم محبة شيخه ثم يبغض أولاده وأصحابه هذا يشبه طريقة الروافض وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول لما أرى أحدا من أولاد شيخى أو أصحابه أكاد أطير من الفرح وكانى رأيت شيخى ثم يقول * لعلى أراهم أو أرى من يراهم * وكان رحمه الله تعالى يقول لو خدمت أولاد شيخى طول عمرى وأعطيتهم كل ما بيدى من الدنيا ما قمت

لهم بجزاء فان معرفة الطريق التى أطلعنى عليها والدهم لا تقابل بالاعراض الدنيوية فعلم أن كل من لم يقطم على يد شيخ فمن لازمه غالبا الرعونات البشرية والاخلال بواجب الادب مع أولاد شيخه وأصحابه والنكتة فى ذلك ان صاحب الرعونة يطلب من اولاد شيخه ان يتلمذوا له ويربيهم وأولاد شيخه يطلبون منه أن يكون تحت حكمهم كما كان مع والدهم فلا يقدر ولا يقدرون فلذلك كان الغالب على الفريقين العداوة والبغضاء (ولما) مات سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى انقسم أصحابه فرقتين على أولاده ففرقة تكره أولاده وفرقة تحبهم وكذلك وقع للشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى فذهبت الى الفرقة التى كرهت أولاد شيخها فكلمتهم فى ذلك فتابوا واستغفروا . ولما مات سيدى الشيخ مدين رحمه الله انقسم الناس فرقتين فرقة مع ولده سيدى أبى السعود وفرقة مع ولد أخته سيدى محمد شيخ سيدى على المرصفى وشيخ الشيخ السروى وشيخ الشيخ نور الدين الحسنى وشيخ الجماعة فوقع بينهم خصام كثير ثم ضربوا ولد أخته وأخرجوه وأجلسوا سيدى أبى السعود ولد سيدى مدين فما فتح على يديه أحد وما تفرعت الطريق الامن ولد أخته فان الطريق لا تورث الا ان شاء الله لا تختص بالاهل كالارث الظاهر حتى ان بعض الاقطاب سأل الله عز وجل ان تكون القطبية بعده لولده فنودى يا فلان ذلك فى الارث الظاهر من الاموال فاستغفر ذلك القطب فبعد مدة جاءه شخص من أهل المغرب فبات عنده ليلة فمات القطب فتولى القطبية بعده ولما مات شيخى الشيخ محمد الشناوى رحمه الله تعالى عادانى أولاده مدة فغازات بحمد الله أسارقهم وأقدم لهم نعالهم وأبجلهم حتى زال ما عندهم وطلبت من ولده سيدى الشيخ عبد القدوس ان يلقننى بعد والده فابى وتلمذ لى وكان يقبل عتبة زاويتى قبل ان يدخل وصار لا يفعل شيأ حتى يشاورنى عليه فجهز مرة زاده وجماله للحجاز فقال له شخص ليلة السفر وهو فى البركة ان فلانا قال ما كان فى خاطرى انه يسافر فى هذه السنة فركب حمارته وجاءنى وقال والله لو بلغنى الامر وأنا فى نصف الطريق انك أشرت على بالرجوع لرجعت ورأيت ذلك عندى أربح من الحج انتهى وهذا الامر ما فعله معى أحد غيره فرحمه الله تبارك وتعالى الرحمة الواسعة آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى فضل معلمى على ولو بلغت الغاية فى الترقى فانه هو الذى أعطانى مادة الترقى حتى عرفت بها ما عرفت فمن نسى فضل معلمه عليه فهو لئيم كما قاله الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وقد اختار المحققون دوام المكث للمريد تحت طاعة الشيخ وقالوا لو حقق المريد النظر لوجد مقامه دون مقام شيخه ورأى مقام شيخه أرق وأصفى وأنور وغاية أمر المريد انه ساوى شيخه فى جسم العمل لا فى روحه فان الغالب على الاشياخ بعد الكمال ان يكون الغالب عليهم الاعمال القلبية التى كل ذرة منها عند الله ارجح من قناطير من أعمال ذلك المريد وربما كان حضور المعلم مع الله تبارك وتعالى فى الامور العادية أفضل من حضور المريد معه فى الطاعة الشرعية وايضاح ذلك ان الكامل تكون مشاهدته قلبية فلا يكاد يظهر من أعماله الصالحة الا بقدر ما يعرف ان الناس يقتدون به فيها والباقى يكتمه عنهم لئلا يقيم الحجة عليهم عند الله تبارك وتعالى وقد كثرت خيانة هذا الخلق من كثير من الناس فيتعلم أحدهم العلم أو الصنعة ثم بعد قليل يسيئون الادب مع معلمهم ويسعون على وظيفته وينسون فضله عليهم وقد كان

الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول شر الناس اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ونسى فضل معلمه ولاجل ذلك ضربوا المثل وقالوا كل شئ اذا زرعته قلعته الا ابن آدم اذا زرعته قلعك وبالجملة فمن قطع حبل معلمه قطع الله عنه الامداد فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ارشادى لاخوانى من الامراء والمباشرين اذا عزلوا من وظائفهم ودارت رحاتهم شمالا الى فعل ما يرد عليهم ولا يتهم به وذلك لعلمى بان أحدا لا يعزل من وظيفته قط الا بعد أن أخل بشرائطها وهو القيام بواجب حق الله تعالى عليه من ترك المعاصى جملة والقيام بواجب الرعية عليه من قضاء حوائجهم وتفريج كربهم ويجمع ذلك كله ان يكثر من الاستغفار ليلا ونهارا ولا يشتغل بغيره الا لضرورة شرعية فان الاستغفار يطفئ غضب الرب جل وعلا ويرضى عنه خصماءه وقد أغفل ما قلناه غالب الفقراء فتجد أحدهم يدخل فى جملة من زالت نعمته ويتوجه فى قضائها فلا يجد لتوجهه أثرا وذلك لان الحق تبارك وتعالى ما يزيل نعمة عن عبد الا تأديبا له ليرجع اليه بالفاقة والاعتراف بذنبه الذى أحصاه الله عليه ونسيه هو ومادام يقول مالى لا ذنب ولا اسية فهو معزول أو جالس فى الحبس لا يخرج وكثيرا ما تزول النعمة عن بعضهم بالذنوب التى كان يستهين بها لكثرة وقوعها كشرب الخمر والزنا واللواط والتعاون عند الحكام واخراج الصلوات عن وقتها ونحو ذلك فيعتقد أن الله تبارك وتعالى غفرها له من زمان والحال انها باقية عليه وربه عليه غضبان ومن غضب عليه ربه فلا يقدر شافع يشفع فيه الا اذا رأى المحل قابلا للشفاعة كما هو مشاهد فى بيوت الحكام فليفتش الفقير نفسه وليتب من كل ذنب يعلمه الله تعالى ثم يفتش من يريد ان يتحمل عنه الجملة ويأمره بالتوبة من كل ذنب يعلمه ثم بعد ذلك يشفع فربما كان الشيخ نفسه له ذنوب لم يتب منها فلا يصلح أن يكون شافعا فى غيره كما مر فى شروط من يتحمل جملة الناس وربما كان المحمول عنه له ذنوب كذلك فلا يفيد توجه الفقير فى اطلاقه أو أن يرد له وظيفته مثلا فالعاقل من أتى البيوت من أبوابها فافهم ذلك فانه نفيس جدا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم غفلتى عن أصحابى اذا سلك أحدهم مسالك التهم فأنهاه عن ذلك واذا قال يكفينى علم الله تعالى قلنا له ان الذى يكفيك علمه قد أمرك ان لا تتسبب فى وقوع الناس فى عرضك وقد قالوا من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن فكما ان الشمس تحكم بحرارتها على الارض فلا يمكن الارض ان ترد عنها حرارتها فكذلك مسالك التهم تحكم على صاحبها بوقوع الناس فى عرضه وسوء الظن به فلا يمكن الناس ان يحسنوا به الظن الا بتأويل بعيد قل من يقبله فعلم أنه لا ينبغى لانسان ان يكلم امرأة على شارع اذا علم ان الناس يلوثون به فى ذلك ولو محرما كما لا يجوز ان يختلى باجنبية أو ينظر وجهها ويجب على من رآه كذلك ان يزجره عن ذلك أشد الزجر لمسارعة الانكار عليه من غالب الناس ورعاية قول الناس بعيد أن يكون سلم من الزنا بها فى تلك الخلوة ويؤيده قول بعض العلماء ان كل خلوة باصابة ويقاس على ذلك الخلوة بالامرد الحسن فليحذر الفقير من ذلك ولا يغتر بصفاء حالهم مع الله تبارك وتعالى فان الحق جل وعلا ربما غير الحال فى لمحة وقد رأى سيدى محمد الحنفى رحمه الله تعالى فقيرا يكلم امرأة فى السوق فنهاه عن ذلك فقال له الفقير انا بحمد الله لا أميل الى النظر

اليها ولم يلتفت لكلام الشيخ فى تلك الليلة وقع بالمرأة فاشتبك ذكره فى فرجها فاطلع الشيخ على ذلك من طريق كشفه فجاء الى باب الخلوة وقال أيناهو الصادق فقال الفقير تبت الى الله تعالى فتوجه الشيخ الى الله تعالى زمانا حتى خلص ذكره من فرجها ثم انه خرج من الزاوية ومابقى فيها وماذكرت لك مثل هذه الحكاية وان كان فى لفظها قبح الاتقبيحا للخلوة بمن يخاف منه الفتنة فاكثرت تضحك على أدبى فى اللفظ والله لايستحى من الحق فاياك يا أخى ان ينصحك شيخك أوغيره عن الخلوة بالاجنبية فلاتمتثل أمره والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة احترامى للاولياء بعد موتهم فلا اتزوج لهم زوجة خوفا من غيرة الله تعالى لهم فيها لكن لان للولى مع الله تعالى أوقات رضا وملاطفة فربما قال الولى يارب أنت ولى بعد موتى ووصى على زوجتى فعسر عليها يارب التزويج بعدى فصار كل من تزوجها يعطبه وقد أوصانى الشيخ شهاب الدين الكعكى رحمه الله تعالى بانى اتزوج زوجته من بعده فلم أرض مع انها سألتنى وقالت أنا راضية فقلت لها ولو رضيتى أنت فلا أرضى أنا وقد بلغنا ان زوجة سيدى محمد الشويمى صاحب سيدى مدين رحمه الله تعالى مات عنها وهى بكر وقال لها لاتتزوجى بعدى أحدا فاقتله فاستفتت العلماء فى ذلك فقالوا لها هذه خصيصى برسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجى وتوكلى على الله تعالى فعقدوا لها على شخص فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته وبقيت بكرا الى ان ماتت وهى عجوز وكذلك أخبرنى الشيخ زيتر بن خادم سيدى الشيخ بهاء الدين المجذوب ان زوجته لما جذب انتظرت افاقته سبع سنين فلم يفق فاستفتت العلماء فافتوها بأنها تتزوج فجاء تلك الليلة حين دخل بها زوجها وطعنهما فماتا جميعا وضرب القاضى فعمى وتكسح الى ان مات وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يتكدر ممن يتزوج نساء الاولياء أونساء الملوك والامراء ويقول ينبغى مراعاة الادب مع الاكابر ولما تزوج الشيخ محمد المغربى الجاولى سرية السلطان طومان باى بعد شنقه فى باب زويلة تكدر منه غاية التكدير وقال ان هذا لم يشم من الادب رائحة ولو كان عنده أدب لراعى السلطان بعد موته كما كان يراعيه حال حياته وقد روى البيهقى عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه انهم يعنى الصحابة طلبوه ان يؤم بهم فامتنع وقال كيف أم بقوم هدانى الله على أيديهم انتهى فاياك يا أخى ان تتزوج امرأة ولى الا ان كنت تعلم ان حاله لاتؤثر فيك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبة نفسى للجلوس فى طرف الحلقة فى المحافل دون صدرها ولو أنى جلست فى طرف الحلقة لا أرى لى بذلك فضلا على من جلس فى صدر الحلقة من حيث تواضعى ولو أنى كنت فى صدر الحلقة فدخل شيخ من أقرانى فأخرونى وقدموه لا أتأثر بحمد الله تعالى وهذا الخلق غريب فى هذا الزمان فلا يصح التخلق به الا ممن كملت رياضته وفطم على يد شيخ ناصح والا فمن لازمه غالبا التكدر ممن يقيمه من الصدر ويجلسه فى طرف الحلقة وقد تقدم أوائل هذا الكتاب ان من شان أهل الله تبارك وتعالى أنهم يرون نفوسهم دون كل جليس فلا يرون لهم مقاما عاليا ثم ينزلون منه لما هو دونه فاذا أجلسوهم عند النعال فرحوا بذلك لتسارع

الرحمة فى النزول عليهم فى كل مكان أذلوا فيه نفوسهم فى مرضاة الله تعالى فانه تعالى قال أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى بخلاف صاحب الكبر فانه يتسارع اليه المقت من الله تعالى وكما لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر فان حضرة الله عزوجل كالجنة على حد سواء فاعمل يا أخى على تحصيل هذا الخلق بالرياضة لتكون متواضعا خالصا فان بعض الناس قد يجلس فى طرف الحلقة ليقال انه متواضع ويتلذذ بقول الناس فى حقه ذلك أكثر مما يتلذذ بقولهم فلان أجلسوه فى الصدر لكونه من أهل العلم والفضل وربما يدعى الفقير فى نفسه التواضع ويقول صدر الحلقة وطرفها عندى سواء والحال بخلاف ذلك فليمتحن الحاذق نفسه بخلاف تواضع أهل الله تعالى فان حقارتهم مشهودة لهم وفضل الناس عليهم مشهود لهم فلو أقام المعتقدون الادلة على فضلهم على غيرهم لايلتفتون الى ذلك وقد كان أبو سليمان الدرانى رضى الله تعالى عنه يقول لو جهد الناس ان يرفعونى فوق ما أعلم من نفسى من الحقارة ماقدروا انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ذهاب فهمى الى الاتعاظ اذا سمعت باية وحديث أو أثرا أوشئ من الرقائق ولا أذهب بفهمى الى الاحكام واستخراجها من الالفاظ الا بعد ذلك ثم أصرف قلبى عن ذلك وكذلك القول فى اللغة والاعراب ان طلبت ذلك لايكون الا خارج الصلاة وهذا الامر قد أعطاه الله تعالى لى من حين كنت أمردوهو خلق غريب لايوجد الا فى أفراد من الناس فان غالب الناس أول مايذهب فهمهم الى الاحكام أو الى اعراب الكلام أو الى ما فى ذلك من اللغات ولا يكاد أحدهم يترقى عن ذلك الى الاعتبار والقوارع والزواجر التى فى ذلك الكلام الا بعد ذلك وربما فنى عمر أحدهم فى مثل ذلك ولم يترق الى الاعتبار ولا الى مقام اعبد الله كأنك تراه وكثيرا ما تذهب عنى الآية فى صلاة الليل فلا أجد أقرب الى من الحق تبارك وتعالى فأساله فيردها على من طريق الالهام ولعل الاشارة بحديث اعبد الله كأنك تراه الى مثل ذلك بقرينة حديث ان الله فى قبلة أحدكم فافهم واعلم أنه كثيرا مايكون القارئ يقرأ الحديث أو كلام القوم والسامعون فى غاية البكاء والخشوع فيدخل علينا نحوى فيقول هذا الكلام معطوف على ماذا والافصح أن يقال كذا وكذا فيذهب خشوع الجماعة لوقته ويرتفع البكاء والاعتبار ولكل كلام محل وما هكذا بلغنا عن السلف الصالح انما كان أحدهم اذا تلا القرآن فى الصلاة ينظر الى ما فيه من المواعظ ثم يترقى من ذلك الى الاشتغال بمناجاة الحق جل وعلا فلا يكون له التفات الى غير الحق تعالى وأما استنباط الاحكام فله وقت آخر (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قل من يشتغل بمراعاة مخارج الحروف والترقيق والتفخيم والادغام والاقلاب ونحو ذلك ويصح له الحضور مع الله تعالى الذى هو روح الصلاة وذلك لان النفس ليس من قدرتها الاشتغال بشيئين معا فى آن واحد قال رحمه الله تعالى ومن هنا قال مالك رضى الله تعالى عنه بارخاء اليدين فى الصلاة دون وضعهما على الصدر لكل من يشتغل بمراعاتهما عن كمال الاقبال على مناجاة الحق جل وعلا انتهى وبالجملة فالناس على مراتب حال التلاوة فمنهم من يسبق ذهنه الى الاعراب ومنهم من يسبق ذهنه الى الجناسات ومنهم من يسبق ذهنه الى الاحكام ومنهم من يسبق ذهنه الى الاعتبار ومنهم من يسبق ذهنه

الى حضوره بالقلب مع الحق جل وعلا فهم على مراتب بحسب ما هو الغالب على كل واحد منهم وأعلاهم مرتبة من حضر مع الله تعالى فى حضرة الاحسان (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته قال هم الذين يتجدد لهم فى كل قراءة معان أخر لم تخطر لهم على بال ولو كرر الآية ألف مرة كان له فى كل مرة معان جديدة فهذا هو تلاوة القرآن حق تلاوته (وسمعته) رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول ليست الصلاة محل لاستنباط الاحكام وانما يكون الاستنباط خارجها وفى الحديث ان فى الصلاة لشغلا (وسمعته) مرة أخرى يقول لا يقدر على القراءة بالانغام فى الصلاة ومراعاة التفخيم والترقيق والادغام والاقلاب مع الحضور مع الله تعالى الا الاكابر من الاولياء والقراءة الساذجة أولى لكل ضعيف والسلام فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم احتجابى عن الملهوف أو المكروب كمن طلبه ظالم ليأخذ ماله أو يخرجه من وطنه أو يعزله من وظيفته أو كمن مات له ولد او كمسترشد فى الطريق ونحو ذلك فمن فضل الله على أنى أترك كل شغل كنت فيه وأخرج اليه وأبادر الى قضاء حاجته بامور الظاهر وبالتوجه الى الله تبارك وتعالى بالباطن فان كان ذلك الكرب من جهة أمر يصح استدراكه سعيت معه فى ازالته وان كان لا يصح استدراكه سليته عنه وأمرته بالصبر أو الرضا وذكرت له أحوال الصالحين فى شدة صبرهم على المصائب والبلايا والمحن وعدم سخطهم على فقد مال أو ولد ونحو ذلك اذ التسلى ربما يحصل بالتأسى بالصالحين فيخف الهم ضرورة قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا وقال تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واعلم انه لا يجوز حمل الاشياخ على انهم احتجبوا عن مكروب تكبرا أو استهانة بحقه معاذ الله أن يقعوا فى مثل ذلك وانما يتخلفون عن الخروج لشدة اشتغالهم بالله عز وجل وربما حصلت لهم جمعية بقلوبهم على الله تعالى تمنعهم من الحركة ومن الالتفات لغيره تعالى بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى انتهى وكان شيخنا رحمه الله تعالى يقول انما قال ذلك أواخر عمره صلى الله عليه وسلم حين بلغ الرسالة وأدى الامانة وأقبل الاقبال الكلى على ربه عز وجل فوق ما كان عليه حال الاشتغال بالجهاد انتهى وفى القرآن العظيم ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم فلم يعين تعالى ذلك بمدة فيشمل اليوم والجمعة والشهر وغيرهما فافهم (وكان) سيدى مدين وسيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنهما لا يخرجان من خلوتهما الا لصلاة العصر فقط ولو ان أحدا جاءهما فى غير ذلك الوقت لم يخرجا له ومثل هذين الشيخين لولا انهما يعلمان ان لهما عذرا شرعيا لخرجا كل وقت دعيا فيه الى الخروج فالتسليم لهما ولمن تبعهما أسلم وحملهما على محمل حسن أغنم وكلامنا فى الخروج لاصحاب الضرورات العادية أما من لا ضرورة له كغالب من يزور الفقراء اليوم فلا ينبغى لفقير ان يخرج لاحدهم الان علم منه حفظ اللسان فى حال مجالسته له الى أن يقوم ويخرج وقد صار ذلك فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر وان شككت فى قولى

فاذكر

فاذكر للجالس أحدا من أعدائه بخير او افتح له أخبار الولاة تعرف صدق ما أقول فلا يكاد مجلس يطول الا ويقع أهله فى غيبة (وقد كان) سيدى يوسف العجمى شيخ الطريق بمصر يقول لنقيبه اذا دق احد باب الزاوية فلا تفتح له الباب الا ان كان معه فتوح للفقراء والا فهى زيارات فشارات فقال له فقير يوما كيف هذا وأنتم خرجتم عن الدنيا فقال له يا ولدى اعز ما عند الفقير وقته وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فان بذلوا لنا اعز ما عندهم بذلنا لهم اعز ما عندنا انتهى اذا علمت ذلك فلا تحتجب يا أخى الا بوجه شرعى ولا تخرج الا بوجه شرعى والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع أصحاب الحضرة الالهية فى الليل وكراهتى للتقدم عليهم فى الموقف لانهم كالامام لى فلا احرم قبلهم بصلاة لانى استحيى من وقوفى بين يدى الله تعالى قبل ان يقف احد منهم اضعف حالى عن الخلوة بالملك الجبار الذى دكت الجبال من شهود عظمته فان غلب على أن جميع من فى الحضرة فوقى فى المقام استأذنت الله تبارك وتعالى فى الوقوف خوفا ان أصبر الى آخرهم فيفوتنى قيام الليل جملة ومما وقع لى انى قمت ليلة قبل ان يدخل النصف الثانى من الليل وقبل ان يشرع أهل الحضرة فى الوقوف فى سائر اقطار الارض فما كنت الا هلكت ومن تلك الليلة لم اقم حتى يغلب على ظنى ان بعض الناس وقف بين يدى الله تبارك وتعالى ولو فى الهند والصين ويؤيد ما قلناه كراهة بعض العلماء الطواف ليلا وان كان الجمهور على خلافه (وبلغنا) عن بعض الاولياء انه كره الطواف ليلا وقال لم يبلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف ليلا ولو أن ذلك ثبت لحملته على بيان الجواز انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من الادب أن لا يتقدم أحد فى الوقوف على خواص الحضرة الالهية كما لا يدخل احد على ملوك الدنيا قبل دخول الامراء والاكابر وقبل الاذن فى الدخول ولله المثل الاعلى (وكان) رضى الله تعالى عنه لا يتجرأ قط أن يدخل المسجد للصلاة الا بعد سماع قول المؤذن حى على الصلاة وبعد أن يجد أحدا داخلا فيدخل تبعا له فان لم يجد احدا داخلا وقف على الباب خلف حده حتى يجىء أحد يدخل فيدخل معه ويقول مثلى لا ينبغى له أن يدخل المسجد بين يدى الله الا تبعا للناس ثم لا يخفى عليك يا اخى ان كل ما عده خدام حضرة ملوك الدنيا سوء أدب معهم فتركه فى معاملة الحق جل وعلا آكد فان الله تعالى أحق أن يستحيى منه وقد تبع الشرع العرف فى كثير من الاحكام كأمره المصلى بستر العورة فى الخلوة وفى الظلام مع ان الحق تبارك وتعالى لا يحجبه شىء وهذه الامور التى ذكرناها لا يدركها الا أرباب القلوب لا أرباب الاجسام والكثائف وقد جاءت الشريعة كلها آمرة بالادب مع الحق تعالى على اختلاف طبقات الخلق وربما يكون أدب عند قوم يعده قوم آخرون سوء أدب من باب حسنات الابرار سيآت المقربين فيستغفر قوم مما يتقرب به قوم آخرون لكن فى الآداب التى لم تصرح بها الشريعة من حيث مشهد كل عبد فى الزيادة والنقص فى الخشوع مثلا لا من حيث أصل مشروعيتها فافهم فترى كل انسان يصلى ويخشع ولكن أين صلاة أكابر الاولياء وخشوعهم من صلاة آحاد الناس وخشوعهم وفى القرآن العظيم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك فأفهمنا انه ليس لاحد من الامة أدبا أن يقف بين

يدى الله تعالى قبل سيد الحضرة على الاطلاق صلى الله عليه وسلم وتأمل قوله تعالى وطائفة من الذين معك أى بحكم الاقتداء بك والتبعية لك ثم ان هذا الادب الذى ذكرته من خوفى من الوقوف بين يدى الله تعالى قبل الناس فى الليل لم أجد أحدا صرح به غير سيدى على الخواص وأضرابه رضى الله تعالى عنهم اما العدم ذوقهم له واما لغير ذلك بل غالب الناس يتلذذ بوقوفه فى الليل وحده قبل وقوف الناس لحجابه عن شهود التجلى الالهى ولو أنه شهده لم يقدر على الوقوف بين يدى الله عز وجل وحده من غير أحد يصلى هناك أبدا ولعل هذا أحد المعانى التى كرهت الصلاة فرد الاجلها فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى لجميع الطاعات من حيث ان فيها مجالستى للحق تبارك وتعالى لا لعلة ثواب وبغضى للمعاصى من حيث ان فيها الحجاب عن الحق تبارك وتعالى لا لعلة عقاب ولا غير ذلك لان جميع ما شرعه الحق تعالى لنا فى وقت من الاوقات كالاذن الصريح لنا فى دخول حضرته سواء الفرائض والنوافل ثم ان مالت نفسى الى طلب ثواب طلبته من باب المنة والفضل بحكم التبع لا بالقصد الاول مع أن الثواب حاصل بحكم الوعد الالهى فى كل عبادة حصل فيها الاخلاص فكما من علينا سبحانه بالوقوف بين يديه فكذلك من علينا بالثواب فأفعالنا وغراتها كلها من جملة فضله علينا فكان من طلب الثواب طلب ما هو حاصل وليس ذلك مقصود الرجال انما يطلبون ما يخاف منه الفوات كمجالسة الحق جل وعلا فان كل وقت ذهب والعبد فيه غير حاضر بقلبه مع ربه عز وجل لا يحسب من عمره بل هو خسران فى الدنيا والآخرة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك ان تبتدع لك وردا فان الحق تبارك وتعالى لا يجالس عبده الا فيما شرعه نبيه صلى الله عليه وسلم * ولما اعترض بعض الفقهاء على حزب سيدى أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى ونفعنا به المسمى بحزب البحر قال الشيخ والله لقد أخذته من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف انتهى فان كنت يا أخى من اهل هذا المقام فابتدع لك حزبا والا ففيما ورد فى الشريعة غنية عن ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما شرع الحق تعالى لنا مناجاته فى الصلاة بكلامه دون غيره حتى لا نخرج عن شهود صفاته فان القرآن صفة من صفاته تعالى فكان مناجاتنا له من باب خطاب الصفة لموصوفها فنحن نقرأ كلامه تعالى كالحاكين له وكلامه تعالى هو الذى يشهده تعالى ويناجيه ثم يخبرنا بما شهد وقد قال بعضهم فى معنى قولهم العلم حجاب أى علمك حجاب لك عن معرفة المعلوم فعلمك عرف المعلوم لا أنت لانك دائما خلف علمك وهو حاكم عليك انتهى وهو كلام غوره بعيد فافهمه ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى لا أتذكر قط انى دخلت على عالم أو صالح وأنا أرى نفسى مثله وانما أرى نفسى تحت اقدامه وأشهد فضله على فى العلم والعمل ليكملنى بلحظه وكلامه ولذلك ما خرجت قط من مجلس عالم أو فقير الا وانا ممتد من مدده وكان على هذا القدم جماعة من العلماء الذين ادركناهم كشيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى والشيخ نور الدين الطرابلسى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى والشيخ جلال الدين بن قاسم المالكى والشيخ شمس الدين اللقانى

والشيخ

والشيخ ناصر الدين اللقانى والشيخ شهاب الدين الرملى واضرابهم رضى الله تعالى عنهم وفى وقتنا هذا أيضا جماعة كالشيخ ناصر الدين الطبلاوى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ شمس الدين الخطيب والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ شمس الدين البرهمتوشى والشيخ سراج الدين الحانوتى وسيدى محمد بن الشيخ شهاب الدين الرملى رضى الله تعالى عنهم ولذلك رفعهم الله تعالى على اقرانهم لكثرة امدادهم فانى ما سمعت من أحد منهم قط يعتقد فى نفسه الصلاح أبدا فلا يدخل أحدهم على عالم أو صالح الا ويمده بخلاف من يصف نفسه بأنه صالح فانه لا يحصل له شئ فلا هو يستحق ان يمده ولا معه مدد يعطى منه أحدا شيأ ومن هنا قالوا زيارة الصالح للصالح لا فائدة فيها ومرادهم بالصالح هنا الصالح بالدعوى فان الصالحين كلهم لا يصح لاحد منهم أن يزكى نفسه أبدا بل يستغفر الله تعالى من نفس صلاته ويقول انى أحب ان أخرج من الصلاة من غير تقصير فيها فلا يصح لى ذلك فاذا كان حاله فى طاعاته كذلك فكيف حاله فى معاصيه وقد رأيت بعضهم يعتب على شخص يدعى القطبية فى عدم تردده اليه فقلت له لا فائدة فى اجتماعكما فقال لماذا فقلت له من يدعى القطبية لا يحتاج اليك ولا تقدر أنت ان توصل اليه مددا بل يرفضه فرجع عن العتب وقد علمت يا أخى من باب أولى انى لا أنكر قط بالظن على من دخلت عليه من العلماء والصالحين كما يقع فيه غالب الناس خوفا من المقت وقد كان أبو تراب النخشبى رضى الله تعالى عنه يقول اذا كان حال العبد الاعراض عن حضرة الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى وكان الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه يقول من وقع فى عرض ولى ابتلاه الله بموت القلب وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه يقول من غض من ولى ضرب فى قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته فيموت على اسوأ حال انتهى وكان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول قد تتبعنا أحوال القوم فما رأينا احدا أنكر عليهم ومات بخير أبدا ودخل على مرة شخص فتعرض للحط على سيدى عمر ابن الفارض فقلت له تلك أمة قد خلت فقال انى أتقرب الى الله بسبه فى المجالس ففارقنى وسافر الى بلاد نواحى اسكندرية فاتهم بالفجور فحلق قاضى العسكر نصف لحيته وحاجبه وجرسه على حمار مقلوبا ثم دخل الحمام بعد أيام فمات فى المغطس الحار فوجدوه ميتا كالقرن اليابس مع انه كان من المفتين وحكى لى شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه قال دخلت أنا وشخصان على سيدى عمر النبتيتى رحمه الله تعالى فقال أحد الشخصين أنا لا أعتقد هذا الا ان أظهر لى كرامة وقال الآخر أنا معتقد فيه بلا كرامة وقلت انا لا أطالبه بكرامة ولا اعتقد ولا أنكر فلما دخلنا عليه أقبل على المعتقد وبش فى وجهه وأعرض عن الآخر ثم قال لى كيف تقول لا اعتقد ولا أنكر وأنت تصير شيخ الاسلام وتصير عمولقاتك الركبان الى بلاد الهند والروم والشام فى حياتك فقبلت ركبته واستغفرت الله تعالى ثم ان ذلك الرجل الذى انكر سافر الى الروم فاسره الفرنج ويقال انه تنصر انتهى قلت ومما وقع لى أنا مع جماعة دخلوا على مع سيدى عمر النبتيتى المكشوف الرأس ولد ولد الشيخ عمر صاحب الواقعة قبله مع الشيخ زكريا الانصارى وكان عندى خلائق فى وليمة عرس ولدى عبد الرحمن وكان طعاما واسعا فقال واحد من الجماعة الذين مع سيدى عمر أنا لا أعتقد فى فلان الا ان أخرج لى طاجن لبا وقال

الآخر أنا لا اعتقده الا أن غسل يدينا بالماورد فلما دخلوا على أتانى شخص بالطاجن اللبا فأكلوا فلما فرغوا رششت على يديهم الماورد فغسلوا به أيديهم كل ذلك وأنا لا أشعر بما قالوا قبل الدخول فسترنى الله تبارك وتعالى معهما وما أخبرنى بذلك الا سيدى عمر نفعنا الله تعالى ببركاته ثم سألت الله تعالى أن لا يؤاخذهما من جهة امتحانهما فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تصديقى للصالحين فى كل ما يخبرون به من الامور التى تحيلها العقول عادة ولم أزل أصدقهم فى ذلك من حين كنت صغيرا وكل شئ لم أتعقله جعلته من جملة العلم الذى لم أعرفه ولا أكذب الا ما خالف النصوص الصريحة أو خرق اجماع المسلمين وأجمع أهل الكشف على أنه ما أنكر أحد شيأ أخبره به أهل الكشف الا حرم ذلك الامر الذى أنكره ولو بلغ الغاية فى السلوك فلا يعطى ذلك الامر عقوبة له على انكاره وتكذيبه أولياء الله تعالى الذين هم آيانه فى الارض وبهم يرزق الناس وبهم يمطرون وبهم يدفع الله البلايا عن عباده وقد جلس عندى مرة الاخ الصالح الشيخ أبو العباس الحريثى بين المغرب والعشاء فى رمضان فقرأ بعد المغرب الى مغيب الشفق الاحمر القرآن خمس مرات وأنا أسمعه فلما دخلت أنا واياه على سيدى على المرصفى حكيت له ذلك فقال قد وقع لى انى قرأت القرآن فى يوم وليلة ثلثمائة وستين ألف مرة كل درجة ألف ختمة هذا لفظه بحروفه انتهى ومما وقع لى انى أحرمت بصلاة الصبح خلف الشيخ عمر الامام بالزاوية فافتتح سورة المزمل فسبق لسانى للقرآن فقرأت من أول سورة البقرة ولحقته فى قراءة الركعة الاولى قبل أن يركع فانصت له حتى ركع هذا أمر شهدته من نفسى وآمنت بأنه كرامة لى من الله تعالى فان الايمان بكرامات الاولياء واجب حق ويجب على الولى ان يؤمن بكرامات نفسه كما يؤمن بكرامات غيره على حد سواء فانه باقدار الله تعالى فى الجانبين فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نفرتى بالطبع ممن يقبل يدى لا سيما فى المحافل أو يمشى معى الى الباب اذا خرجت من الجامع الازهر مثلا الا لغرض شرعى كما انى أحب من لم يقبل يدى ولم يقم لى ولم يمش معى ولم يعتقدنى أكثر مما كان بالضد من ذلك كل ذلك خوفا على أديان الحسدة ان تمزق بسببى فانهم ان لم يتكلموا فى حقى بلسانهم تكلموا بقلوبهم ووقعوا فى سوء الظن فأثموا بسببى ولو أن أحدا لم يقبل يدى ولم يمش معى مثلا لربما لم يقعوا فى شئ من ذلك وأيضا فان النفس تحب من يعظمها فى المحافل فربما مالت الى ذلك فاهلكت صاحبها وربما قدم الناس الانسان فى صلاة الجنازة على أحد من أقرانه فقامت على الذى قدموه القيامة وكذلك أقول لما يريد أحد تقديمى أنا رجل حنبلى فيندهش منى ويعتقد ان ذلك عذر شرعى ولا يبحث عن حقيقة ذلك ومرادى بأنى حنبلى انى أحب الامام أحمد رضى الله تعالى عنه كل ذلك مراعاة لاصحاب الرعونات الذين يحضرون غالبا الجنائز لا سيما الحال فى جنائز الاكابر فان أصحاب الانفس يتقاتلون على التقدم فيها ولهذا الخلق حلاوة أعظم من حلاوة التقدم ومن شك فليجرب وسيأتى بسط عدم تقدمى لصلاة الجنائز ان شاء الله تعالى بعد سبع منن فراجعه والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(الباب التاسع فى جملة من الاخلاق)

فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى ومغيثى ونعم الوكيل

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة اكرامى لاهل الحرف النافعة وعدم ازدرائى لاحد منهم الا بطريق شرعى ومرادى ازدراء أفعالهم لا ذواتهم لان الحمد والذم منوط بوجه نسبة الفعل للعبد من حيث التكليف لا من حيث كون ذلك خلقا لله تبارك وتعالى وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فى الثوم انها شجرة أكره ريحها فلم يكره الا صفتها لا ذاتها وكان سيدى على الخواص يكرم المعداوى والطباخ وزبال الحمام والقنواتى والطحان والفران والجزار ونحوهم ويقول ان هؤلاء عليهم اثقال المملكة وسداهم ولحمتهم منافع للناس وكان يقدمهم على الفقير المتعبد ويقول ان أهل الحرف ولو نقصوا من وجه كملوا من وجه آخر ورأيته مرة يقوم للقنواتى ويقول انه من أهل الفضل والقيام لاهل الفضل مطلوب وكان يقول لولا زبال الحمام وموقد النار تحت القدور فيه لفوت كثير من الناس صلاة الصبح فى أيام الشتاء فانه ما كل أحد يتيسر له تسخين الماء فى البيت ولا يجترأ على الاغتسال بالماء البارد وتحرير عجزه شرعا عن تحصيل الماء الحار بوجه من الوجوه عسر جدا وربما يحتج الشخص بالعجز وهو قادر على تحصيل ذلك بدرهم أو رغيف من ماء الحمام كما أنه أيضا يعسر تحرير عجزة المبيح للتيمم انتهى وسمعته رحمه الله تعالى يقول مرة عندى ان الذى يأكل من كسبه ولو مكروها كالحجام والقنواتى أحسن من المتعبد الذى يأكل بدينه ويطعمه الناس لصلاحه وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المنن الوسطى فراجعه وتأمله ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين وهو حسبى ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تخفيف مدة المرض وقصره على وذلك بكثرة تجيبى أول نزول ذلك المرض اللهم الا أن يحجبنى الله عن شهود ذلك فلا حرج على فى التصبر والتجلد بل هو كمال فى مقام الايمان للمريد كما أن الكمال فى مقام العرفان ظهور الضعف وقد قالوا ان العارف اذا كمل فى مقام العرفان يصير يتأثر من قرصة برغوث ولا يتجلد لها لشهود ضعفه وعجزه بخلاف المريد فانه من شدة ادعائه القوة يريد ان يقاوم القهر الالهى وذلك سوء أدب ثم آخر الامر لا بد أن يظهر له عجزه ويسأل الاقالة من ذلك المرض ويصير يشتهى العافية فلذلك بادر العارف الى سؤال العافية لعلمه بأن امره يرجع به الى ذلك وقد نقل القشيرى ان سمنون أحد رجال رسالة القشيرى الجامعين بين الحقيقة والشريعة ابتلى بحصر البول فصار يدور على مكاتب الاطفال ويقول ادعوا لعمكم الكذاب قال القشيرى وانما فعل ذلك سترا لحاله وقياما بآدب العبودية انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول فى تجلد المريض أول مرضه ونسيانه سؤال الاقالة نكتة حسنة وهى ان الله تعالى انما حبسه فى مقام التجلد والتصبر ليحصل له الاجر والثواب الذى جعله الله تعالى فى مقابلة ذلك فان من اعتناء الحق تبارك وتعالى بالعبد ان يحبسه فى كل مقام حتى يحكمه ويتحقق به ثم بعد ذلك ينقله الى ما هو أعلى منه وهو هنا ظهور الضعف قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقد سئل العارف بالله تعالى الحكيم الترمذى عن حقيقة الخلق فقال ضعف ظاهر ودعوى عريضة فعلم ان

العبد مادام فيه بقية من الدعاوى فهو يتحمل أثقال الجبال من البلايا والمحن بخلاف من زالت عنه الدعاوى بالكلية وتلطفت كثائفه بالرياضة والمجاهدة فانه لا يكاد يحمل شيأ من ذلك وكثيرا ما يضرب الوالى أحدا من المجرمين فلا يضج ولا يستغيث فيقول الناس ما رأينا نفسا أقوى من فلان ابتلاه الله تعالى بكذا كذا بلية فلم يسأل الاقالة ولم يستغث وكثيرا ما يراه الوالى ساكتا لا يستغيث فيقول زيدوه بخلاف ما اذا قال انا فى حسب النبى صلى الله عليه وسلم أو حسب أحد من الاولياء فانه ربما يحن عليه ويرق له وكثيرا ما تقول جماعة الوالى للمجرم اذا رأوه ساكتا ويلك قل انا فى حسب الله أو حسب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يطلقوك وفى القرآن العظيم ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ومن فهم جميع ما قررناه علم ان الصبر مقام وعدم الصبر رضا بما يفعله الله تعالى مقام فلا يقال التجلد أفضل مطلقا ولا ترك الصبر أفضل مطلقا لانهما مقامان جعلهما الله تعالى لخواص عباده حتى لا يفوتهم أجر الصبر ولا أجر الرضا فتارة يتجرعون فى المرض المرارة وتارة يتجرعون الشهد والحلاوة ثم آخر أمرهم تجرع المرارة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم انى أوعك كما يوعك رجلان منكم ونهاية الولاية تأخذ بداية النبوة من بعدها وتأمل يا أخى فى قصة أيوب عليه الصلاة والسلام تطلع على ما قلناه فانه لم يقل مسنى الضر الا فى آخر أمره وأما فى الاوائل فتجلد وتصبر ومدحه الله تعالى بقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب أى رجاع الينا فى الشدائد لنمده بالصبر فيها فافهم يا أخى ذلك فانه نفيس جدا والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم التهاون بمكافأة من أهدى الى هدية بل ان علمت منه انه يرد هديتى اذا كافأته لم أقبل هديته وأردها اليه أو غمنها اللهم الا أن يكون من الاولياء الذين لم يخطر على بالهم طلب مكافأة ممن اهدوا اليه شيأ فمثل هؤلاء ليس لنا رد هديتهم من هذا الوجه وانما نردها لعلة أخرى كان علمنا أنه ما أهدى ذلك الينا الا لاعتقاده فينا الصلاح وذلك لان من أكل هدية من يعتقد فيه الصلاح فقد أكل بدينه كما مر ايضاحه فى هذه المنن مرارا وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا علمت من أخيك انه لا يقبل منك مكافأة على هديته فردها اليه وقل له يا أخى أهدها الى من هو أحوج اليها منى فانه أكثر أجرا لك مما تعطيه لمثلى وأنا والله أحب لك كثرة الاجر انتهى وهذا اذا كانت الهدية من وجه حلال كربح التجار المتورعين اما هدايا غير المتورعين كهدايا الكشاف ومشايخ العرب والقضاة الذين يأخذون الرشوة مجاهرة ونحوهم فلا ينبغى لاحد قبول هديتهم مطلقا وقد صار هذا الخلق غريبا فى هذا الزمان فقل من يتخلق به لتعودهم الاخذ من الناس دون العطاء وقد قالوا فى المثل يد تأخذ لا تعطى بل رأيت بعضهم يرى الفضل له الذى قبل هدية ذلك الامير وربما يقول النقباء للمعطى لولا انك عزيز عند سيدى الشيخ لما قبل لك هدية اشارة الى ان الشيخ متنزه عن قبول هدايا الولاة وغيرهم وربما يكون سيدى الشيخ كالتمساح فليحذر من لبس زى الفقراء من مثل ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) هروبى من تحمل منن الاخوان وان لم يمنوا على بما أعطوه لى

حتى انى ربما اهدى عمل ذلك اليوم فى صحائف من تكلف وزارنى من العلماء والفقراء حتى انه لا يفوته خير بسببى وقد يكون درسه الذى فوته لاجلى أكثر أجرا من أعمالى كلها فى ذلك اليوم ولكنى فعلت معه قدرتى قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل ثم ان جعلى ثواب عملى فى صحائف ذلك الشخص انما هو من باب حسن الظن بالله تعالى أنه يتقبل منى ذلك والا فالعبد ليس هو على يقين من قبول عمله حتى يهديه فى صحائف غيره فافهم على انى لا أفعل مثل ذلك الا اذا لم يكن معى شئ من الدنيا والا فكثيرا ما أعطى الزائر الرداء كما أنى فى بعض الاوقات أعطى المزور كذلك لحصول الاجر لى بسبب زيارته ولولاه لما خضت فى الزحمة ذاهبا وراجعا كما ورد فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى لتحمل بلاء جارى عنه وأود أن ذلك البلاء نزل على دونه بشرط ان يمدنى الله تعالى بالرضا أو الصبر وقد كان لى جيران لهم خرارات تخرج من أخلايتهم فى الخليج فلما جاءهم جماعة الوالى يطلبون منهم البلص قلت لهم هذه الخرارات من بيتى ومن زاويتى فقط ثم نزلت بالفقراء ونزحت ذلك الماء أيام قطع الخليج ونزل معى ذلك اليوم الشيخ رضى الدين قاضى قليوب وغيره كل ذلك خوفا على جارى ان يرعبه جماعة الوالى وربما كان عنده ذلك الوقت ضيوف أو مريض أو عرس وربما كان عليه ديون يريد أهلها حبسه فيها وربما كان ذلك اليوم قد اشتكاه المستحقون لمفتش الاوقاف بعد ان كان جازف فى مصاريف الوقف ونحو ذلك فانه يشتد عليه البلاء بذلك ويستحى من ضيوفه ويزداد تنغيص العيشة وهذا الخلق غريب لم أر له فاعلا غيرى ويتأكد فعله على من يقدر عليه من العلماء والصالحين لانهم أولى من وفى بحق الجار فالله تعالى يوفقنا واياهم لما يرضاه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة محبتى واكرامى لحملة العلم والقرآن من حيث كونهم حملة الشريعة المطهرة لا لعلة أخرى من معاشرة وصحبة ومجانسة طبع ككل ذلك محبة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان من أحبه كثيرا أحب خدامه وأصحابه ومن كره أحدا منهم لعلة نفسانية فمحبته معلولة فعلم انى لا أتوقف فى محبتهم على كمال عملهم بعلمهم كما عليه بعضهم لانه ما ثم عالم قديما كان أو حديثا الا وعلمه أكثر من عمله وليتأمل الذى يقول لا أحب الا من عمل بعلمه نفسه هو هل عمل بكل ما يعلم وهنا لك يعذر الناس ثم على مدعاه فمحبة الناقص للناقص مطلوبة كمحبة الكامل للكامل فليس للناقص أن يزدرى ناقصا وانما ينصحه كما ينصح نفسه من حيث ان كلاهما واجب وكان الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول لو أن الانسان توقف عن سماع الوعظ وقال لا أسمع ذلك الا ممن اتعظ بذلك قبلى لفاته خير كثير انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) سترى لطالب العلم اذا دخل على وأنا أقرر شيأ فى كلام الصوفية مما أعلم انه غير عالم به فلا أقول له قط قرروا أنتم للفقراء خوفا عليه أن يفتضح ويتبين للحاضرين جهله اذا قرر الكلام بغير مراد أهله ثم اذا أردت ان أفيده ما ليس عنده أفهم الجماعة انه يعرف معنى ذلك الكلام ثم أقول له بعد تقرير فوائد تلك المسئلة هذا ما ظهر لى فهل هو صحيح كالمستشير له فان قال صحيح كان وان قال فيه اشكال وافقته فى الاشكال ورجعت

اليه فيما يجيب هو عنه على نية انه مشكل عنده هو لا عندى ثم اذا فارقنا ومضى قررنا لاصحابنا تلك المسئلة على مراد القوم لان الحاضرين ترقوا عما فهمه هو والشريعة كالبحر يغترف منها العالم والقطب وغيرهما وقد حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ان العلماء اجتمعوا فى خيمة فى وقعة المنصورة فى البحر الصغير وكان فيهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد والشيخ مكين الدين الاسمر رضى الله تعالى عنهم ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وكل واحد يبدى ما عنده فدخل عليهم الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فعزموا عليه أن يقرر لهم شيأ من معانى ذلك على مصطلح القوم فقال لهم الشيخ أنتم بحمد الله مشايخ الاسلام وكبراء الوقت وقد تكلمتم فما بقى لكلام مثلى محل فقالوا له لا بد من ذلك فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم شرع فى الكلام فنهض الشيخ عز الدين بن عبد السلام قائما وخرج من الخيمة ونادى بأعلى صوته هلموا الى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى فاسمعوه انتهى فعلم أننا اذا رأينا كلام ذلك العالم يكفى الحاضرين فمن الادب ان نعزم عليه أن يقرر ذلك الكلام لعدم خوفنا عليه الفضيحة وهذا الادب قليل من يفعله من الفقراء بل رأيت من يقصد فضيحة الفقيه اذا حضر درسه ويقول لاصحابه ايش قلتم فيمن يبين لكم جهله بالطريق ثم يعزم عليه وذلك لا يجوز ومن فعل ذلك فربما قام من ذلك المجلس مفتضحا ولو كان من أكبر المشايخ وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول ما جلست مجلسا قط أريد فيه أن أعلو القوم الا وافتضحت وأرتج على فى الكلام وما جلست مجلسا قط أريد فيه أن استفيد من القوم الا وقت وهم معترفون كلهم بفضلى انتهى فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للتقدم للامامة فى الفرائض والنوافل وصلاة الجنازة خوفا من تحمل نقص المأمومين فى صلاتهم زيادة على نقص صلاة نفسى لا سيما ان كانوا يظنون فى الخير كالزهد فى الدنيا والخوف من الله تعالى ومراقبته بالغيب وأنا بخلاف ذلك وربما انهم لو اطلعوا على زلاتى التى فعلتها طول عمرى لكانوا لا يهلون قط خلفى وفى الحديث اجعلوا أئمتكم خياركم لانهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم أو كما قال وأنا لست بخير من الجماعة الذين يقتدون بى وكان الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى لا يدع أحدا قط يصلى وراءه اذا كان يصلى منفردا هكذا نقل عنه وأما حديث صلوا خلف كل بر وفاجر فهو محمول على امام يخشى الناس من ضرره لو امتنعوا من الصلاة خلفه فكانت صلاتنا خلفه مع فسقه أخف مفسدة من امتناعنا من الصلاة خلفه وربما قتلنا أو نفانا من بلادنا وأخرج عنا وظائفنا وما فيه معاشنا العادى كما وقع لبعض الصحابة والتابعين مع الحجاج بن يوسف الثقفى فليعرض من يطلب التقدم على الناس للامامة جميع زلاته السابقة ما أسر فيها وما أعلن على المأمومين بحكم الفرض والتقدير ويتطرف فان غلب على ظنه انهم يصلون خلفه بانشراح صدر دون كراهة أو حزازة فى نفوسهم فليؤمهم والا فمن الورع ترك الامامة ويصلى مأموما وأظن ان الانسان لو عرض زلاته على أعظم جماعة من أصحابه فى هذا الزمان لامتنعوا من الصلاة خلفه ونفروا من صحبته ثم كانت كراهتهم له حينئذ بحق وصدق لانه قد وقع فى تلك الذنوب كلها يقينا وأما كونه تاب منها وقبلت توبته فليس هو على يقين من ذلك وفى حديث الطبرانى ان الملائكة تقول لبعض

الناس يوم القيامة حين تظهر أفعاله للناس أف لك أكل هذا كنت تجاهر به ربك انتهى فان قيل اذا كان جميع الناس الحاضرين تلطخوا بالذنوب عند أنفسهم كما ذكرنا فماذا يصنعون فالجواب يتقدم واحد منهم يصلى بهم قياما بواجب الشرع الشريف مستغفرا لنفسه وللمأمومين وكذلك الميت كما يقع لى ذلك كثيرا اذا توقف جميع الحاضرين عن التقدم اكتفاء بالاذن العام من الشارع صلى الله عليه وسلم فى ذلك وما أمرنا الله تعالى بالصلاة على الميت والشفاعة فيه الا وهو يريد اجابة دعائنا وقبول شفاعتنا فى حقه ان شاء الله تعالى وقد حضرت أنا وأخى أفضل الدين فى جنازة فى الجامع الازهر فقدموه للصلاة عليها فغشى عليه ولم يتم الصلاة فقدموا غيره ثانيا فصلى بالناس فلما أفاق من غشيته قلت له فى ذلك فقال سمعت فى سرى قائلا يقول مثلك يشفع عندى وقد فعلت كذا وكذا وجاهرتنى بالمعاصى فى حضرتى وأنا أراك فاتما الكت انى أقف بين يديه فرحمنى بتلك الغشية انتهى وفى القرآن العظيم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون أى خائفون مع ان شفاعتهم فيمن ارتضاه تعالى فمن كان على وصف الملائكة فى العصمة بأن يحفظ من المعاصى فليتقدم ليشفع فى غيره والا فلا لان المتلطخ بالذنوب لا يتصدر للشفاعة فى غيره عادة لانه محتاج الى من يشفع له فكيف يشفع فى غيره وهذا وان كانت شفاعته جائزة لكن ذلك ليس من مقامه ولكل مقام رجال وقد مكثت أنا فى هذا المشهد زمانا لا استطيع قط ان أتقدم فى صلاة جنازة فتقدمت يوما فنوديت فى سرى تجاه باب المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر لا يشفع الا من ارتضاه الله تعالى فهل تعلم انه ارتضاك ورضى عنك حتى تقدمت تشفع فكاد أن يغشى على وكان الشيخ محمد المغربى الشاذلى رحمه الله تعالى شيخ الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى لا يذهب لصلاة جنازة الا ان علم من طريق كشفه ان الله تعالى يشفعه فى ذلك الميت فان لم يعلم ذلك قال للناس اذهبوا ولم يحضر وقدموه مرة لصلاة جنازة فى جامع الازهر فمكث نحو خمس عشرة درجة يدعو لها والناس خلفه يظنون انه ساه ثم سلم بهم فقالوا له فى ذلك فقال رأيت عليه تبعات كثيرة فلا زلت اشفع فيه بين يدى الله عز وجل حتى غلب على ظنى ان الله تعالى أرضى عنه خصماءه انتهى وكذلك وقع لى فى بعض الجنائز ولما مات المقدم عياد بباب الشعرية دعونى الى الصلاة عليه فرأيت عليه تبعات كثيرة ليس لى فيها يد فدعوت له ان الله تعالى يبعث له من يصلى عليه من الصالحين ويشفع فيه فجاء بعض الفقراء فصلينا خلفه ورجونا قبول دعائه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك أن تزاحم على التقدم لصلاة الجنازة الا أن يجمع كل من هناك على تقديمك بانشراح صدر لا سيما التقدم فى جنائز الاكابر من العلماء والصالحين والامراء فى مثل جامع الازهر فان الغالب من أصحاب الرعونات الحاضرين حصول الحزازة فى نفوسهم من تقديم مثلك عليهم ثم اذا قدموك عليهم بانشراح صدر فلا تتقدم الا ان أمنت على نفسك من الوقوع فى الاعجاب ورؤيتها على الحاضرين ولم يكن عليك ذنب فان كان عليك ذنب وجب عليك التوبة منه قبل الصلاة ففتش نفسك يا أخى التفتيش التام ثم صل بالناس انتهى فقلت له مرة ان السلف الصالح لم يبلغنا عنهم انهم قيدوا بهذه الشروط على الامام فقال صحيح ذلك ولكن ما قلناه احتياط لانفسنا والاحتياط لا تأباه الشريعة انتهى وقدموا

معروفا الكرخى مرة لجنازة فامتنع وقال ان لى منذ ثلاثين سنة وأنا أظن ان الله تعالى ناظر الى نظر السخط والغضب فكيف أقف بين يديه اشفع فى غيرى انتهى وهذا هو مشهدى الآن بحمد الله تعالى فلذلك كنت أكره التقدم فى الجنازة مع أن الدعاء للميت حاصل منى حال كونى مأموما ثم ان هذا الخلق غريب فى هذا الزمان بل بعضهم عادى من قدموه عليه فى صلاة الجنازة حتى مات فالحمد لله الذى عافانا من مثل ذلك بما كشف لنا من شهود نقصنا وشهود الكمال فى غيرنا وقد علمت يا أخى من جميع ما قررناه ان الذين يتزاحمون على التقدم فى صلاة الجنازة غافلون عن جميع ما قلناه فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى للشكر اذا اقدرنى الحق تبارك وتعالى لى خيرا ومبادرتى للاستغفار اذا اقدر على معصية فلا استغفر من نقص طاعاتى الا بعد الشكر ولا أرضى بقضائه تعالى على معصية الا بعد الاستغفار لان ذلك هو الجانب الذى كلفت به من حيث الكسب وأما الشكر لله والرضا بقضائه فهو تحصيل الحاصل وايضاح ذلك ان كل طاعة ومعصية لها وجهان فالعبد يشكر ربه تعالى من حيث قسمة الطاعة له ويستغفره من حيث وقوعها على يديه ناقصة ويستغفر ربه من حيث ارتكابه المعصية ويرضى عنه من حيث تقديره اياها عليه ومن هنا قال أهل السنة والجماعة يجب على العبد الرضا بالقضاء لا بالمقضى فيحتاج المؤمن الى عينين فى كل طاعة ومعصية والناظر بعين واحدة أعور فلا بد من شهود الفعل لله كاملا لانه حكيم عليم ولا بد من شهود الفعل بخلاف الاولى مثلا للعبد ناقصا من حيث نسبة التكليف اليه فان تأدية العبادات على الكمال من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام لعصمتهم وأما غيرهم فلا بد فى طاعتهم من النقص فى مشهدهم على اختلاف مراتبهم وتفاوت نقصهم فافهم وكذلك القول فى النعم والنقم فمن تأمل النعم وجد فى باطنها النقم وبالعكس فوجه النقم التى فى النعم أى النعم من عافية وصفاء وقت وكثرة مال مطالبة الحق تعالى لصاحبها بالشكر بالفعل والاعمال الشاقة دون القول ودون الاعمال الخفيفة على النفس ثم حسابه فى العقبى على تركه انفاقها فربما لم يتيسر له ذلك فى وجوه الخير التى شرع له صرفها فيها ووجه النعم التى فى النقم كونها تكفر سيئات العبد ان كانت ذهاب مال أو فقد ولد او مرض وان كانت معصية فربما أذلت نفسه بعد ان كانت متكبرة بالطاعات كما قال صاحب الحكم رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا ويحتاج صاحب هذا المشهد الى علم وافر وقلب حاضر ليعطى كل ذى حق حقه وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اذا نمت لغير غلبة عن وردك فى الليل مثلا فبادر الى التوبة والاستغفار لتفريطك باستحلابك النوم وغيبتك عن حضورك تلك المواكب الالهية وحرمانك مما فرق فيها من الغنائم التى ليس فى نعم الدنيا لها نظير فما أمرت بالاستغفار من النوم الا لعدم كونك نمت غلبة وعلى ذلك يحمل حديث ليس فى النوم تفريط عند بعض العارفين وقال بعضهم المراد ليس فيما يصدر من الكلام فى النوم تفريط وان كان ظاهر الحديث العموم ثم بعد ذلك يجب عليك الرضا من حيث كونه تعالى أنامك صحيح الجسم على طراحة مثلا وأباح لك النوم فى الجملة وربما كان نومك أربح من قيامك لغلبة رؤية نفسك على من تراه نائما طول ليله وغلبة الاعجاب بذلك

ومعلوم

ومعلوم ان النائم سالم من المناقشة التى كان معرضا لها لو أنه قام الليل فربما قام رياء وسمعة وربما قام طلبا للثواب لا لو لم يكن هناك ثواب امتثالا لامر الله وفى كل ذلك المناقشة انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يحث أصحابه كثيرا على نية القيام من الليل كل ليلة ليكتب للناوى أجر من قام تلك الليلة كاملا موفرا مع سلامته من المناقشة ويقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فعلق الاجر فى هذا الحديث بالنية ولم يقل وانما لكل امرئ ما عمل توسعة على أمته فكل عمل لم يقسم لهم مباشرته يحوزون ثوابه بالنية انتهى وبالجملة فسدى العبد ولحمته نعم كما ان سداه ولحمته من جهة اخرى ذنوب فافهم يا اخى ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك ويدبرك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شكرى لله تعالى على كل ما حصل من غلاء الاسعار لكونه لم يكن أغلى ولا أشد مما وقع لغيرنا وذلك لعلمى بأن جميع ذنوبنا أعظم من ذنوب من سبقنا بالزمان وقد بلغنا انه وقع فى سنة خمسين وأربعمائة فى زمن المستنصر بالله غلاء الى ان أكل الناس أولادهم بعد أن أكلوا الكلاب والدواب وبلغ ثمن القدح دينارا ونصفا ثم فقد بالكلية فنبشوا القبور وأكلوا لحوم الاموات ودام ذلك عليهم سنين حتى صار بعض الكلاب يدخل الى الدار فيأكل الطفل وأبواه ينظران لا يقدران على النهوض اليه من شدة الجوع وخرجت امرأة بربع من الجوهر وقالت من يأخذه بربع قمح فما وجدت أحدا عنده قمح وباع السلطان جميع ما عنده من الثياب والخيل والامتعة وأكل به وصار ينزل ماشيا فى مصر فى قبقاب زحافى لا يجد حمارا يركبه ودخل رجل على صاحبه فوجده قد ذبح ولده هو وأمه وهما يأكلان فيه فخاف على نفسه وخرج وكذلك وقع أيام السلطان شعبان فلا تستبعد يا أخى وقوع مثل ذلك فى هذا الزمان فاننا نستحق أعظم من ذلك فالحمد لله الذى عافانا من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كونى أحمل هم من عزم على زيارتى من اخوانى وجاء فلم يجدنى لا سيما ان جاءنى من موضع بعيد ولذلك كنت لا أخرج قط من بيتى الى موضع بعيد حتى أقول بتوجه تام اللهم ان كان فى علمك ان أحدا من الاخوان قد خرج لزيارتى وهو فى الطريق فعوقنى له حتى يحضر وان كان لم يخرج فعوقه عن المجىء الى حتى أرجع ثم أقول دستور يا ربى وأخرج وهذا الخلق قريب من دعاء الاستخارة فكل شئ وقع بعد ذلك من خروج أو عدم خروج منى أو من أخى كان فيه الخيرة ان شاء الله تعالى ولهذا الخلق حلاوة عظيمة يجدها الانسان فى قلبه ثم ان هذا الدعاء لا ينبغى أن يقوله الانسان الا فى حق الزائر الصالح من اخوانه الذى جاءنا بنية صالحة ويحصل لنا به خير أو يحصل له بنا خير أما من يزورنا عادة بغير نية صالحة فينبغى للانسان ان يقول فى دعائه اللهم عوقه عنا وعوقنا عنه وباعد بيننا وبينه ولم أجد فاعلا لهذا الامر الا قليلا وممن أدركناه متخلقا به شيخ الاسلام زكريا الانصارى والشيخ على النبتيتى الضرير وسيدى على الخواص وسيدى محمد بن عنان وأخى أبو العباس الحريثى وأخى الشيخ أفضل الدين فكل هؤلاء كانوا محفوظين من كثرة اللغو فى مجالسهم وكل من أكثر من اللغو عندهم قالوا له قم ضيعت علينا الوقت ولا يستحيون من ذلك ولو كان قاضيا وكان شيخ الاسلام المذكور يخبط للواحد بالعصا فى الارض ويقول له قم فكانوا رضى الله تعالى عنهم يكرهون من ينقل

اليهم أخبار الناس من الولاة والفقهاء والفقراء والتجار وغيرهم فأين مقام هؤلاء من مقام غالب أهل هذا الزمان بل رأيت بعض المشايخ يستجاب كلام اللغو من الداخلين عليه ويقول لهم ايش اخبار الناس اليوم فينفتح الزائر كأنه جسر انقطع ويحكى له ماجمعه فى تلك الغيبة كلها من غيبة ونميمة وقذف عرض وذكر نقائص الناس من سائر أصناف الخلائق ثم يقول للزائر والله ما أنت الا حكيت لى ايش بقى معك أيضا كأنه ما كفاه ماوقع فيه من الاثم حيث لم ينكر عليه شيأ مما قاله فى الناس من الغيبة لاسيما غيبة العلماء والمشايخ وكيف ينكر عليه وهو الذى استجلب ذلك منه فالحذر ياأخى كل الحذر من فتح بابك لمثل هذا الزائر وقد دخل على شخص له عذبة وجندة فشرع يذكر مشايخ مصر بالنقص فأخرجته فاشتغل بى فنعته من ذلك اليوم ان يدخل على ثم عمى بعد سبعة أيام نسأل الله العافية وان يلطف بنا وبه آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) صلاتى كل يوم للاستخارة على مصطلح ماذكره القوم بقصد ان الله تعالى يجعل جميع حركاتى وسكناتى ذلك اليوم أو تلك الليلة أو تلك الجمعة أو ذلك الشهر أو تلك السنة صالحة محمودة وكان على ذلك الشيخ محيى الدين بن العربى والشيخ أبو العباس المرسى وجماعة وصورة ذلك كما قاله الشيخ محيى الدين فى وصاياه آخر كتاب الفتوحات المكية أن تصلى ياأخى ركعتين عند ارتفاع الشمس كرمح أو بعد صلاة المغرب أو كل يوم جمعة أو شهر أو سنة تقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وقل ياأيها الكافرون وفى الركعة الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وقل هو الله أحد فاذا سلم دعا بدعاء الاستخارة الوارد ويقول بدل الموضع الذى أمر العبد أن يعين فيه حاجته اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه أو أسكن فيه فى حقى وحق أهلى وولدى واخوانى وجميع من شاء الله تعالى فى ساعتى هذه الى مثلها من اليوم الآخر او الليلة الاخرى خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى ويسره لى وان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه أو أسكن فى حقى وحق غيرى من أهلى وولدى وسائر من شاء الله من ساعتى هذه الى مثلها من اليوم الآخر أو الليلة الاخرى شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال أشياخ الطريق فمن فعل ذلك كل يوم وليلة فلا يتحرك قط فى كل حركة ولا يسكن ولا يتحرك أحد فى حقه كذلك الا كان ذلك خيرا له بلاشك قالوا وقد جربنا ذلك ورأينا عليه كل خير لما فيه من الادب مع الله تعالى والتفويض اليه قالوا واذا فرغ من دعاء الاستخارة فليشرع فيما استخار الله لاجله من فعل أو ترك مع انشراح صدر فانه ان كان له فيه خير فلا بد ان الله تعالى يسهل عليه أسبابه الى أن يحصل وتكون عاقبته محمودة وان كان عليه فيه شر فلا بد أن يضيق منه صدره ويتعذر عليه أسباب تحصيله وحينئذ يعلم ان الله تبارك وتعالى قد اختار له تركه فلا يتألم لفقده بل يحمد ربه على ذلك لانه تعالى اعلم بمصالح عبده من نفسه قالوا ومعنى قوله وأستقدرك بقدرتك أى ان كان لى فى فعله خير فاقدرنى على تحصيله بقدرتك التى تخلقها فى عبادك فانك تقدر أن تخلق لى القدرة على تحصيله

ولا أقدر أى ليس لى قدرة أحصله بها ومعنى وأنت علام الغيوب أى ماغاب عنى مما تعلمه أنت دونى ومعنى فاقدره لى أى فاخلقه من أجلى وأظهر عينه على يدى ومعنى فاصرفه عنى أى لكونى استحضرته فى خاطرى حتى انه اتصف بضرب من الوجود وهو تصوره فى خاطرى أى فلا تجعله يارب حاكما على بظهور عينه على يدى مع انه ليس لى خير فى فعله ومعنى واصرفنى عنه أى حل بينى وبين وجوده فى الخارج واجعل بينى وبينه الحجاب الذى بين الوجود والعدم حتى لا استحضره ولا يحضرنى ومعنى واقدر لى الخير حيث كان أى لانك عالم بالاماكن التى لى الخير فيها من غيرها ومعنى ثم رضنى به أى اجعل عندى السرور والفرح بحصوله أو بتركه انتهى فاعمل ياأخى بذلك ولو فى كل أسبوع أو شهر أو سنة أو سنتين أو أكثر وتقول فى الدعاء اللهم ان كنت تعلم ان جميع ما أتحرك فيه أو أسكن من يومى هذا الى مثله من الاسبوع الآخر أو من الشهر الآخر أو من السنة الاخرى وهكذا والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة اجتماعى فى منامى بالاموات وكثرة سؤالى عن أحوالهم فى قبورهم وماوقع لهم حتى ان من كثرة تكرر ذلك لى كاد ان يكون كاليقظة فان جهات خالهم فى حياتهم من حيث أعمالهم فلا أجهل حالهم بعد مماتهم من كل وجه وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على لكى أتهيأ لدخول البرزخ بفعل الحسنات وترك السيآت والندم على مافات من الطاعات وان كنت لا أعتمد الا على عفو الله تعالى فان لقاء العبد المطيع عادة لسيده ليس هو كلقاء العبد الآبق المخالف وقد عمل الصحابة رضى الله تعالى عنهم والتابعون بما يرونه فى المنام من الاعتبارات كما هو مشهور فى كتب الاحاديث ولما قص عبد الله بن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى فى منامه أنه أوقف على شفير جهنم وهو خائف ان يقع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم عبد الله بن عمر لو كان يقوم من الليل فما ترك عبد الله بعدها قيام الليل حتى مات وكان شخص فى جوارنا يستهزئ بالناس فابتلاه الله تبارك وتعالى بالربو والزمانة فمكث نحو عشر سنين لا يقدر على وضع جنبه الى الارض فصارت ذقنه على ركبتيه ويبس عصبه ومات كذلك ودفن كذلك فرأيته بعد موته فقلت له أنت الى الآن مزمن فقال نعم وأحشر كذلك وغالب ذلك من جهتك ومن جهة الشيخ شعيب الخطيب فقلت ذلك للشيخ شعيب فقال صحيح كنت كلما أمر عليه يتنخم ويلقى النخامة فى وجهى ازدراء بى انتهى وأما أنا فكان يقول لى كلما أمر عليه ألفاظا لا تقال لرعاة البقر فالله تعالى يعفو عنه ويسامحه آمين انتهى ومما وقع لى أنى رأيت فى منامى انى نزلت تحت الارض فرأيت أهل القبور على أحوال شديدة نسأل الله العافية فنهم من رأيت عنده كلبا عقورا يعضه ويكشر عليه ومنهم من رأيت عنده ذئبا ومنهم من رأيت عنده تمساحا ومنهم من رأيت عنده هرة ومنهم من رأيت عنده فيرانا ومنهم من رأيت عنده ثعبانا ومنهم من رأيت عنده عقربا ومنهم من رأيت عنده بعوضا ومنهم من رأيت عنده بقا ومنهم من رأيت عنده قملا وبراغيث فسألت الملائكة الذين هناك عن أصل هذه المؤذيات التى تطورت فى قبورهم على هذا التفصيل فقيل هى غيبة ونميمة وسخرية بالناس وسوء ظن ونحو ذلك فأخبرونى بأصولها ونزلت مرة أخرى قبور الروضة خارج باب النصر فوجدتهم حلقا حلقا

يتصدقون على رمل أبيض فقال لى واحد منهم اذا رجعت الى الدنيا فادع بهذا الدعاء فقلت له وما هو فقال قل اللهم انى أنزلت بك ما يهمنى من امور الدنيا والآخرة فانه لا يرفع البلاء الا من أنزله انتهى فلم تزل تلك دعوتى فى كل كرب ونزلت مرة أخرى الى القبور فرأيت القيامة قد قامت ورأيت جماعة واقفين وأعمالهم عنهم تصدروا الناس ينتهبونها فقلت من هؤلاء فقال لى ملك هنالك هذه أعمال هؤلاء القوم الذين كانوا يأكلون أوساخ الناس ويسألونهم وهم قادرون على الكسب فحكم الله تبارك وتعالى أصحاب تلك اللقيمات فى أعمالهم يأخذ كل واحد منها ماشاء فى نظير ما أطعمه لان تلك العبادات كلها نشأت من القوة الناشئة من ذلك الطعام فمن أكل من كسبه كان عمله له انتهى ومما رأيته فى حق نفسى انى كنت لا أخرج زكاة الفطر أبدا العدم ملكى لشئ من الدنيا ليلة العيد ويومه دائما لان جميع ما عندى انما يأتى به الله على اسم الفقراء القاطنين عندى فرأيت فى سنة خمس وخمسين وتسعمائة انى فى فلاة من الارض مع خلق كثير من المؤمنين ورأيت هنالك شيأ يشبه الاربكة قدر البطيخة بين يدى كل واحد ورأيت احدهم يرميها نحو السماء فترجع الى الارض فرميت أنا الآخر أربكتى فرجعت فقلت لملك رأيته هنالك ما هذه الاشياء التى ترمى نحو السماء فقال هذا صوم رمضان وهؤلاء كلهم لم يخرجوا زكاة فطرهم وهو لا يرفع الى السماء الا ان أخرج الصائم زكاة فطره فقلت لذلك الملك انه ليس عندى شئ فقال لى بل عندك قبقاب فى الصندوق وقميص ثان خلاف الذى عليك فبع أحدهما واشتر لك به زكاة وأخرجها فان مثلك لا ينبغى له العمل بالرخص فسألت العيال عن ذلك القبقاب فقالت عندنا قبقاب فى الصندوق له سبع سنين على اسم الولد عبد الرحمن اذا كبر فبعته لشخص من أصحابى واشتريت به قمحا وأخرجته ومن تلك السنة وأنا أخرج زكاة الفطر وتقوى بهذه الواقعة عندى حديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع حتى تخرج زكاة الفطر فانه ضعيف عند بعضهم وكذلك مما وقع لى فى حق نفسى أنى رأيت القيامة قد قامت ونصب الصراط وأمر الناس بالمشى عليه فما نجا من الوقوع الا القليل فقيل لى اصعد فقلت لا أقدر فقال لى ملك لعله يكون معك شئ من الدنيا فقلت ما هى شئ فقال بل معك افتح كفك ففتحته فأخرج منه قشة صغيرة كالسفاية من بين اصبع يدى اليسرى الابهام وبين السبابة فرميتها واستيقظت قبل أن أصعد وقد طلبت مرة من الله أن يطلعنى على ما يقع لى فى قبرى فرأيت انى نائم على طراحة محشوة شوكا وأنا أتقلب عليه فلا تسأل يا أخى ما حصل لى من الألم فنسأل الله اللطف وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول ان هذه الوقائع التى تقع للانسان فى المنام جند من جنود الله تقوى ايمان صاحبها بالغيب اذا كان أهلا لذلك وان كان ذلك نقصا فى حق كامل الايمان الذى لو كشف الغطاء عنه لم يزد يقينا فان من شرط المؤمن الكامل ان يكون ما وعده الله به او توعده عليه عنده كالحاضر على حد سواء وكان رحمه الله تعالى يقول أيضا لا يتساهل بما يراه فى المنام الا جاهل لان جميع ما يراه المؤمن فى منامه من وحى المؤمن على لسان ملك الالهام وذلك انه لما عجز عن تحمل اعباء الوحى فى اليقظة ولم يطق سماعه من الملك فاتاه به فى النوم الذى هو الحس المشترك لان الحلم الغالب فيه للروحانية لا للجسم ومعلوم ان الارواح من قسم الملائكة والملك له قوة سماع كلام الحق جل وعلا بلا واسطة قال تعالى وما كان لبشر

ان

أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ففهم من هذه الآية أنه لو رفع حجاب البشرية عن العبد لكلمه الله تعالى من حيث كلم الارواح وقد قال العارفون رضى الله تعالى عنهم انما سمى الانسان بشرا لمباشرته للامور التى تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح انتهى فعلم أن من كمل ايمانه لم يحتج الى تقويته بما يراه فى منامه وقد وقع لبعض الوعاظ انه قال لاخى أفضل الدين رحمه الله انى رأيت الليلة رؤيا أرعبتنى فقال له وما ذاك قال رأيت أن بيدى قنديلا يضىء بالليل فانطفأ منى وأنا خائف أن يكون ايمانى قد انطفأ فقال له أخى سيدى أفضل الدين والله ان ايمانك ضعيف كيف يؤثر عالم خيالك فى عالم يقظتك وحسك انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رؤيتى للاولياء الذين ماتوا ومباسطتهم معى وذلك لحسن أدبى معهم اذا زرتهم ومعاملتى لهم معاملة الاحياء وبعضهم رأيته ناقصا فى بعض المقامات فتوجهت الى الله تبارك وتعالى فى أعطائه كمال ذلك المقام فما خرجت حتى كمل وشكر صنيعى على ذلك ثم لحقنى الى بيتى تلك الليلة وزارنى منهم سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه (ولنذكر) لك يا أخى بعض وقائع وقعت لنا لتستدل بها على غيرها فأقول وبالله التوفيق زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الجلبى الحنفى وكان عنده توقف فى ان رأس الامام الحسين فى ذلك المكان فنقلت رأسه فنام فرأى شخصا كهيئة النقيب طلع من عند الرأس وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال يا رسول الله أحمد بن الجلبى وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تقبل منهما واغفر لهما انتهى ومن ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس الى ان مات وكان يقول آمنت بأن رأس الحسين هنا * ومما وقع لى مع الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه انى تعوقت عن زيارته مدة فرأيته فى المنام وقال لى أنا عاتب عليك وعلى الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفى وعلى الشيخ نور الدين الشونى فى قلة الزيارة فانى صرت رهين رمسى أنتظر دعوة من رجل صالح فقلت له ان شاء الله نزوركم بكرة النهار فقال لا بل تذهب فى هذا الوقت معى وكنت تلك الليلة فى مولد فى الروضة عند سيدى أبى الفضل شيخ بيت السادات من بنى الوفاء رضى الله تعالى عنه فخرجت لزيارته ثم سبقنى هو فتلقانى من خلف قبته مما يلى قبر القاضى بكار وطلع بى الى فوق القبة وفرش لى حصيرا جديدا ووضع لى سفرة فيها خبز لين أبيض وجبن أزرار وشق لى بطيخة من العبد اللاوى وكان أول طلوعه مصر وقال لى كل يا أخى فى هذا المكان الذى ماتت ملوك الدنيا بحسرة أكلة فيه معى انتهى * ومما وقع لى معه بعد ذلك انه دخل على بيتى وقال قد جئت آخذك تسكن عندى أنت وعيالك فقلت له ان شاء الله تعالى فى غد فقال بل هذا الوقت فحمل ابنتى رقية على كتفه وأخذ بيد أختها نفيسة وخرجت معه أنا وأمهما حتى أدخلنا القبة فاسكننى بين قبره وبين قبر أم السلطان الكامل المدفونة خلف ظهره فغار منا الخدام فقال لهم هذا الان احكم فى شئ من الدنيا فرجعوا عنى ثم انفتحت القبة من أعاليها كالباب فنزل منه شئ أبيض كالقطن أو كالجص المعجون فلا زال ينزل ويتراكم حتى صار كوما عند رأس الامام فقلت له ما هذا فقال هذا سكينة الحياء من الله تعالى فمن نظر اليها رزقه الله تبارك

وتعالى الاستحياء من الله حق الحياء فصرت آمر كل داخل بالنظر اليها ثم استيقظت انتهى * ومما وقع لى مع السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها انى ذهبت لزيارتها مع الفقراء فوقفت عند حذاء الباب الاسفل الذى كتب عليه التاريخ ولم أدخل حياء منها ودخل جميع الفقراء فجاءتنى تلك الليلة وقالت لى اذا جئت لزيارتى فادخل واجلس تجاه وجهى فقد أذنت لك فى ذلك ومن ذلك اليوم وأنا أدخل وأجلس تجاه وجهها * قال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وأصل دفنها كان بالمراغة قريبا من القبر الطويل فى الشارع ولكن ظهرت فى هذا المكان الذى كانت تتعبد فيه لتملق قلبها به وكان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يؤم بها فيه فى صلاة التراويح وكذلك وقع لسيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى فله قبر فى بلده أم عبيدة وقبر آخر فى الصحراء التى كان يتعبد فيها والناس يزورون هذا القبر وهذا القبر ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة الا عند قبره الذى فى البرية * وأخبرنى الشيخ أحمد الخازرى الضرير انه بات عنده فى مشهده الذى فى البرية فقال له الخادم لا تقدر تنام هنا من الهيبة التى تقع فى الليل فقال توكلت على الله فلما دخل وقت العشاء ارتعد من الهيبة حتى كادت مفاصله تتقطع وصارت السباع تجأر خارج المقام وأبوابه الحديد يحس بها تفتح وترد ولها صوت عظيم قال ثم انى أحسست بشخص جلس عندى وقال ليلة مباركة أما تقرأ القرآن أقرأ معك فقلت له نعم فقرأت أنا واياه من سورة النحل الى سورة النجم فلما قرب طلوع الفجر أتانى برغيفين واناءين فى أحدهما ابن دسم وفى الآخر عسل نحل فأكلت حتى شبعت فطلع الفجر فلم أجده قال ثم ان الخادم جاءنى وقال خاطرى معك فى هذه الليلة فان أحدا لا يقدر ينام هنا أبدا قال فقصصت عليه القصة فقال هذا الذى قرأ معك وأطعمك هو سيدى أحمد انتهى * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول حكم باب البرزخ حكم التيار الذى يدلك فيه انسان فيغطس ثم يطفو من موضع آخر كما وقع لسيدى أحمد ابن الرفاعى والسيدة نفيسة ثم اذا نفخ فى الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل انتهى * ومما وقع لى مع سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه انى ذهبت لزيارته يوما وقت القائلة فناديت الخادم فلم يجبنى والباب مغلق فقرأت الفاتحة من على الباب ورجعت فجاءنى تلك الليلة وعليه عمامة عظيمة وثوب صوف أخضر فصلى عندى فى مدرسة أم خوند ركعتين وقال لى اعذرنى يا أخى فانى ما كنت حاضرا ولكن واحدة بواحدة جزاء وكنت لم أسمع بنصف هذا البيت المذكور قبل ذلك فعرفت شدة عزمه وفتوته وعلمت أنه من الاولياء الاكابر لاطلاقه وسراحه وعدم تقيده بالمكث فى قبره بل هو كالاحياء يذهب حيث شاء ويرجع الى داره * وكذلك ذهبت مرة الى سيدى غانم رحمه الله تعالى لازوره فقال لى أخى أفضل الدين ارجع فان الشيخ الآن فى وقعة رودس له خمسة عشر يوما غائبا فرجعت انتهى * ومما وقع لى مع سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه انه جاءنى ودعانى أيام خروج الناس من مصر الى مولده وقال ان زرتنى طبخت لك ملوخية فلما ذهبت الى طندتاء طبخ لى جميع من ضيفنى فيها ملوخية مدة ثلاثة أيام من غير تواطؤ تصديقا لكلام الشيخ فى المنام وصار كل من دخل القبة يبدأ بالسلام على قبل زيارة الشيخ حتى استحييت منه وكانت أم ولدى عبد الرحمن لها مدة سبعة شهور وهى بكر فجاءنى وقال لى اختل بها فى ركن قبتى الذى على يسار الداخل وأزل بكارتها ففعلت فطبخ لى

حلواء وملوخية حتى كفى أهل المولد فلما رجعت الى مصر حصل ما أشار به فى تلك الليلة * ومما وقع لى مع سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله تعالى عنه انه جاءنى وقال لى زرنى الله تعالى فزرته فخرج الى من قبره فنزع عمامته وألبسها لى ووضع عمامتى على ركبته ساعة وقال قد نزلت لك عما يبدى من قراءة الحديث فى الحجرة النبوية وتدريس العلم فحصل لى بذلك أنس عظيم انتهى * ومما وقع لى مع سيدى على الخواص رحمه الله تعالى انى أكثرت من الترحم عليه فى مجلس فرأيته تلك الليلة وهو حريص على تقبيل رجلى وأنا حريص على منعه من ذلك ثم غافلنى فى غفلة وقبل باطن رجلى فاستيقظت ونعومة فمه فى بطن رجلى * وكذلك أكثرت من الترحم على سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى وقلت انه كان ختام نظام الطريق فى مصر فرأيته تلك الليلة وقد دخل على الدار ففرشت له حصيرا ثم أتيت بصحن صينى فيه طعام حلوى ملتوت بأنواع من الطيب فصرت ألقمه من ذلك وهو متبسم * وكذلك أكثرت من الترحم على سيدى محمد الشناوى فرأيته وقد فرش لى سجادة خضراء واجلسنى عليها وجلس بين يدى وقبل ركبتى * ومما وقع لى مع أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى انى رأيته دخل تحت ذيلى وصار يعصر منه ماء ورد ويمسك على رأسه وعمامته كأنه يتبرك بى * ورأيت مرة الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله تعالى وقال لى مقصودى ان أكون شعرة من جسدك الآن انتهى كل ذلك لكثرة الترحم عليهم * وكذلك مما وقع لى مع سيدى محمد بن عنان رحمه الله تعالى انى أردت ليلة ان أمد رجلى فصرت كلما أمدها أجدها تجاه أحد من أولياء الاقطار فقمت جالسا فأتانى سيدى محمد وقال لى مد رجلك الى ناحيتى فاستيقظت ونعومة يده فى رجلى يسحبها ناحيته انتهى فانظر يا أخى ما يثمره الادب مع الاولياء ولو أنى كنت قليل الادب معهم ما باسطونى هذه المباسطة ولا زارونى ولما أخبرت الشيخ نور الدين الشونى بعتب الامام الشافعى عليه فى قلة زيارته وكان عنده الشريف عرار صاحب السلطان بركات بمكة فقال للشيخ هذه أباطيل فان الشافعى لا يعتب على مثلك فرأى عرار تلك الليلة الامام الشافعى وهو يقول نعم أنا عاتب عليه وعبد الوهاب صادق فجاءنى من بكرة النهار واستغفر ربه من جهتى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تشوف نفسى الى شئ من مقامات الاولياء التى لا يثاب العبد عليها مما يتعلق بالاطلاع من طريق الكشف على أوقات حوادث الزمان المستقبلة كطلوع النيل هذه السنة كذا كذا ذراعا أو نزول المطر أو حدوث الوباء أو وقت ارتفاع القرآن أو ابطال العمل بالشريعة أو وقت جلوس الشياطين على كراسى الوعظ يعظون الناس ولا يعرف ذلك العامة أو وقت تسافد الرجال والنساء تسافد الحمير أو وقت خراب مصر أو انقراض دولة بعض الملوك ونحو ذلك مما وردت به الاخبار * وقد روى الترمذى وغيره عن حذيفة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فذكر فى تلك الخطبة ما كان وما يكون الى قيام الساعة حفظه من حفظه ونسيه من نسيه فان وقع لاحد من الاولياء مكاشفة بشئ من حوادث الزمان المستقبلة سلمنا له ذلك ما لم يعارض شيأ من شرعه صلى الله عليه وسلم ولعل ما كوشف به ذلك الولى من جملة ما نسيه الناس لقوله ونسيه من نسيه انتهى وصاحب هذا المقام لا أحد أتعب قلبا ولا جسما منه لاطلاعه على الاحوال قبل وقوعها ولذلك قالوا أشجع

الناس اذا مسك وهدد انجزع قلبه لانه ليس له اقدام ولا هجوم الا فى أول مرة اذا دهمه العدو على غفلة ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس هما وحزنا وغما الاجل ما أطلعه الله تعالى عليه من الشدائد والاهوال التى تصيب أمته الى قيام الساعة وكان يقول كثيرا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله ولما أخبره جبريل بيوم قتل ولده الحسين كسفت الشمس حتى بدت النجوم فظن صلى الله عليه وسلم ان الساعة قد قامت فمن ذلك اليوم لم ير ضاحكا حتى مات صلى الله عليه وسلم وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المنن الوسطى فراجعه ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رؤيا جماعة من الحكام وغيرهم فى المنام أمورا تزيدهم فى اعتقاد استرة لى بين العباد مع انه لاسر لى ولا برهان على كونى صالحا * فمنهم الامير محمد الدفتردار كان جماعة يجتمعون عليه كل ليلة فيجرون له قوافى الناس من العلماء والفقراء وغيرهم فذكرونى ليلة بسوء فقبل ذلك الدفتردار فرأى تلك الليلة أن عسكرا عظيما دخل الى مصر فوقف ماسكه على باب النصر وقال لاندخل حتى تشاوروا صاحب مصر ويعطينا المفتاح فقالوا له من هو فقال فلان فذهب قاصده الى فلم يجدنى فوجد ولدى عبد الرحمن فارسل لهم المفتاح فاصبح الدفتردار معتقدا وجاءنى هو وسيدى أحمد الراشدى ولم يزل معتقدا حتى مات * ووقع مثل ذلك للشيخ نجم الدين الكبرى لما جاء ملك الفرنج لخراب بغداد وقف خارج بغداد وقال انى أشم فى هذا البلد رائحة محمدى كبير فاستأذنوه فقال الشيخ نجم الدين لا يدخل يضرب هذه الرقبة ثم يضرب رقبة فلان وفلان ثم ثنى أهل البلد جف القلم بما هو كائن فهى خراب الى الآن ورموا كتب المجتهدين فى الدجلة حتى صارت الخيل تمر عليها الى ذلك البر كالجسر انتهى * ومنهم سيدى محمد بن الامير شيخ سوق أمير الجيوش وأخو سيدى الشيخ شرف الدين فأما محمد فانه أشرف على الموت وهو بمكة وأوصى فرآنى خرجت له من الحائط وأخذت بيده وقلت له قم أنت طيب فاستقل من ذلك المرض وذكر أن رؤيته لى كانت يقظة فان صح ذلك فهو فى غاية الاعتقاد لان من كان اعتقاده ضعيفا لا ينهض به أن يرانى فى اليقظة * وأما شرف الدين فمرض وأنا مسافر بمكة حتى أشرف على الموت فرأى نفسه عائما فى الخليج تحت قنطرة باب القوس وهو يعالج التيار ليخرج من القنطرة فذكر أنى أخذت بيده فاخرجته من تحت القنطرة وخلص من ذلك المرض * ومنهم سيدى يحيى الوراق لما سافر الى الحجاز رقدت بغلته فى الطريق من شدة التعب فلما أيس منها رآنى وأنا أقيمها يقظة فقامت طيبة وحج عليها فلما دخل مكة كان يرانى كل قليل وانا طائف معه يقظة ثم انه حجب عن رؤيتى فارسل لى كتابا يعلمنى فيه بذلك ويسأل عن سبب انقطاعى عن الطواف معه وذلك كله دليل على صحة اعتقاده فى فان الاعتقاد اذا صح فى فقير صار مريده يراه أى وقت شاء ولو كان بينه وبينه مسيرة كذا كذا سنة * ومنهم الشيخ عبد الله أحد أصحاب سيدى عمر النبتيتى نفعنا الله ببركاته كتب لى انه رآنى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه ألبس عبد الوهاب طاقيتى هذه وقل له يتصرف فى الكون مادونه مانع انتهى وكان عند الشيخ عبد الله هذا وقفة فى كونى من خدام الفقراء فازداد اعتقاده الى الغاية * ومنهم الامير عامر بن بغداد كان عنده قلة اعتقاد فى

الفقراء الا انه كان عنده وقفة فى فرآنى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقبل على يكلمنى فصار عامر كلما يريد أن يقبل يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدنى حاجبا له عنه وكان يقول لا يحتاج أحد الى الوسائط فى ضرورة والاصل القدرة الالهية فمن تلك الرؤيا صار يعتقد فى الصلاح ويقضى حوائج الناس التى أكاتبه فيها ومنهم الشيخ سعد الدين الصمادبدى كان من أشد المنكرين على فى حضورى مولد سيدى أحمد البدوى ويقول كيف يحضر فلان المولد وفيه هذه المنكرات فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وقد ضمنى الى صدره وثديى يشخبان لبنا حليبا والناس يشربون الى أن روى أهل المولد كلهم وسيدى أحمد البدوى واقف تجاه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأعلى صوته من أراد المدد فليزر عبد الوهاب ثم استيقظ وصار من أكبر المعتقدين وهذه الامور كلها ما علمت بها الا من أصحابها وهو من جملة ما سترنى الله تعالى به بين العباد فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) توفيقى للعمل على حسب موافقة وردى للمأثور فلا أترك موافقتى فى وردى لعمار السموات من الملائكة بل التزمها ولا أعلم الآن أحدا من أقرانى ورده فى الليل مشتمل على ما يسبح به الملأ الاعلى أبدا وصورة ترتيب وردى أنى أبدأ بقولى سبحان من سبقت رحمته غضبه لما ورد فى الطبرانى وغيره ان صلاة الحق تعالى سبقت رحمتى غضبى فأقول أنا سبحان من سبقت رحمته غضبه ألف مرة ثم أقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله ألف مرة ثم أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ألف مرة لما ورد أن هاتين الصيغتين يحبهما الله عز وجل ثم أقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ألف مرة ثم أقول اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ألف مرة لما ورد انها اعضلت على الملكين فلم يعرفا قدر ثوابها فقال الله تعالى اكتباها كما قال عبدى وعلى جزاؤه بها ثم أقول جزى الله سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عنا خيرا بما هو أهله ألف مرة لما ورد أن من قالها مرة واحدة أتعب سبعين كاتبا ألف صباح ثم أقول سبحان الله وبحمده عدد خلقه وسبحان الله وبحمده رضا نفسه سبحان الله وبحمده زنة عرشه سبحان الله وبحمده مداد كلماته لما ورد أن كل مرة منها تعدل تسبيح العبد طول النهار ثم أقول ألف مرة سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح لما ورد انها تسبيح ملائكة الستور ثم أقول ألف مرة سبحان العلى الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب الليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الحنان المنان سبحان الله فى كل مكان لما ورد انها تسبيح ملك نصفه من نار ونصفه من ثلج ثم أقول ألف مرة الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم لما روى فى الاثر ان شخصا قالها يوم عرفة مرة فلما حج العام الثانى شرع يقولها فناداه الهاتف يا فلان من العام الماضى الى الآن نكتب لك فى ثواب هذه التحميدة فما فرغنا ثم أقول اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة لما ورد انها صلاة ملائكة خلف البحر المحيط لا يفترون عنها ليلا ولا نهارا ذكره الثعلبى فى كتاب العرائس ثم اقول سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك لما ورد ان الشق الاول تسبيح نصف حملة

العرش والشق الثانى تسبيح النصف الآخر يردملكان على ملكين أقولها ألف مرة ثم أقول ألف مرة لا اله الا أنت ياحى ياقيوم لانها مجربة لحياة القلب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ينبغى للعبد اذا ضاق عمره أوفاته القيام من أول ما ينصب الموكب الالهى أن يبدأ بجوامع الكلم من الآيات والاخبار فيصلى بها ويسبح بها لان الله تعالى ما أخبرنا بفضلها الا ليكون اهتمامنا بها أكثر وقد ورد أن آية الكرسى تعدل ألف آية وكذلك آخر سورة الحشر تعدل ألف آية وكذلك ورد أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن يعنى لو قسم اثلاثا وكذلك ورد أن قل يا أيها الكافرون تعدل نصف القرآن يعنى لو قسم انصافا ويقاس ما ورد أنه يعدل ربع القرآن أى لو قسم ارباعا فينبغى مراعاة البداءة بذلك عند ضيق العمر أو الوقت فكان من يصلى بآية الكرسى أو آخر الحشر صلى بألف آية وذلك نحو سبعة عشر حزبا فانى عددت الاى من أول البقرة الى نحو نصف سورة الانفال فكان ألف آية وذلك نحو سبع عشرة حزبا وكان الذى قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فى كل ركعة قرأ القرآن كله ماعداها فاذا قرأها رابعة فكأنه قرأ القرآن كله وزيادة مشتملا على سورة قل هو الله أحد وقس على ذلك ومقادير الثواب لا تدرك بالقياس فنقولها كما أخبر الشارع صلى الله عليه وسلم ونؤمن بما وعد على ذلك من الثواب فان للحق أن يجعل الثواب الجزيل فى العمل الذى هو أقل تعبا من غيره والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اعانى بتطور أعمالى صورا قبيحة أو حسنة بحسب طاعاتى ومعاصى فكأنى أشهدها محسوسة وكثيرا ما أشهدها حال بروزها على حالة ثم تتغير وهى صاعدة من خير الى شر وعكسه فأشكر الله تعالى واستغفره * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل ايمان العبد الكامل المتعارف بين القوم حتى يصير يشهد أعماله وهى متطورة صاعدة الى محل استقرارها من الافلاك من عرش أو لوح أو قلم أو كرسى أو سدرة كما هو معروف عند أهل الكشف وسمعته مرة أخرى يقول لا يكمل ايمان العبد الكامل المتعارف بين القوم حتى يصير يشهد تطور كل حرف يقوله من القرآن أو غيره ملكا على صورة حاله فى الاخلاص أو الرياء من حسن أو قبح ولا يخلو ذلك من موافقته لاحكام الدين الخمسة فان المندوب يقارب الواجب فى الحسن والمكروه يقارب الحرام فى القبح فالملك الحسن الصورة يصعد مستغفرا لمن نطق به والملك القبيح يصعد لاعنا من نطق به وسمعته يقول اذا كمل جلاء قلب العبد من الشهوات المذمومة صار يرى تطور الآيات وهى صاعدة حتى ان بعضهم كان يسأل الآية اذا غلط فترد عليه الآية الغلطة قال الشيخ وقد رأيت الآية مرة تطورت فى صورة أبى قردان فردت على الغلطة فقلت له يا سيدى القرآن كلام الله فكيف قبل الصورة فقال الذى تطور انما هو التلاوة لا المتلو انتهى ويؤيد ذلك حديث اذا قال العبد لا اله الا الله خرج من فيه طائر أبيض فيرفرف تحت العرش فيقال له اسكن فيقول وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها ويؤيد تطور المعانى أيضا ما أخبرنى به أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى انه كان يرى النوم اذا جاءه كالسحابة أو كالدخان فعندما يصل اليه يحصل له النوم وكذلك أخبرنى انه رأى الرحمة وهى نازلة على جماعة يذكرون الله تعالى انتهى وكذلك وقع لى انى رأيت السكينة والحياء وهما نازلتان على قبر الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه كالقطن الابيض (وأخبرنى) الشيخ أحمد السروى انه رأى الملائكة بأقلام من نور يكتبون كل حرف يلفظ به المصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحيفة

وقال لى مرة أخرى رأيت مرة كل حرف نطق به العبد يتطور ملكا يذكر الله تعالى بذلك الذكر ثم يتطور كل حرف من أذكار الملك ملكا كذلك ثم يتطور من أملاك الدور الثالث ملائكة وهكذا فلو كشف للعبد لرأى الجو مملوأ ملائكة من تطورات أفعاله وأقواله انتهى واعلم أن هذا المشهد لا يكون الا لمن صفت نفسه من كدورات البشرية كما أشرنا اليه آنفا حتى صار باطنه كباطن الملائكة ومن لم يكن كذلك فهو محجوب عن مثل ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى فى الاعمال الصالحة رغبة فى مجالسة الحق تعالى فيها لانه أخبرنا انه لم يجالس الا من ذكره وكانه تعالى يقول من طلب مجالستى فى غير ما شرعته لم يصح له ذلك وكثيرا ما يقع لى الاستغفار من طلبى مجالسة الحق تعالى فى شئ من العبادات واحب الحجاب عن هذا المشهد اجلالا لله تعالى عن مجالسة مثلى وكثيرا ما أحب العبادات من حيث علمى بأن الله تعالى يحب ذلك لى ليفيض على من ثوابه اظهارا لفضله على والا فانا على يقين من انى لا أملك معه شيأ فى الدارين وأعظم أحوال العبد مع ربه عز وجل أن يطلع الحق تعالى على قلبه فلا يرى فيه محبة لشئ يشغله عنه فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) احترامى لكل من رأيته يذكر الله تعالى أو يصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه صار بذلك من جلساء الحق جل وعلا أو من جلساء رسوله صلى الله عليه وسلم فلو أنى احتجت لاستعماله فى حاجة من حوائجى وهو مشغول بما ذكر لتكلفت الصبر عن تلك الحاجة أو أتقاضاها بنفسى ان أمكن ولا استعمله بما يشغله عما هو فيه أبدا أدبا منى مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ولو أن ذلك الشخص علم احتياجى وترك ما هو فيه للقيام بمصلحتى لمنعته ولو أنه فارق ذلك المجلس وآذانى لا أقابله بنظير ذلك أبدا أدبا مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وربما غفر الله تعالى له كل معصية جناها فيصير مغفورا له ومن كان مغفورا له لا ينبغى مؤاخذته ثم ان طلبت العوض على ذلك طلبته من سيده تعالى لا من العبد وتأمل يا أخى من يجالس الملوك فى الدنيا كيف يحترمه الناس ويخافون من تغيير خاطر السلطان عليهم بسببه ولو فعل معهم ذلك الجليس ما فعل لا يقابلونه بشئ اكراما للسلطان فالله أولى وأحق والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم دعائى على شريف اذا ظلمنى فضلا عن كونى أشكوه من بيوت الحكام واذا تخاصم الشرفاء مع بعضهم بعضا لا انتصر لاحد منهم دون الآخر بل أطلب الصلح بينهم لا غير وكثيرا ما أتوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول يا رسول الله خاطرك على أولادك يصلح الله بينهم وقد بلغنى أن بعض المشايخ توجه الى الله تعالى فى قتل الشريف أبى نمى سلطان مكة لاجل ولاية أولاد عمه بعده فقلت يا سبحان الله لا بد للمتوجه الى الله من واسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقول يا رسول الله اقتل ولدك فلانا لاجل ولدك فلان انتهى فالله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حصول الفرح والسرور اذا جفانى ابناء الدنيا من الامراء والاغنياء وكل من لا نفع فيه فى الدنيا والآخرة فان عمرى قد ضاق عن مباسطة الناس الذين

أكثر كلامهم لغو وهذيانات فاسر الايام عندى يوم لا يدخل على فيه أحد من هؤلاء وايضا فان العبد كلما كثر تردد الناس اليه كثرت عليه حقوقهم مع خوف الانسان من أمثالنا من الوقوع فى الاعجاب بنفسه وذلك سم قاتل للحمقى من أمثالنا فانه يزيد مثلنا حجابا عن ربه عز وجل لعسر اقبال أمثالنا على الحق تبارك وتعالى والخلق معا اللهم الا ان كان يراهم واسطة بينه وبين ربه جل وعلا من غير وقوف معهم فهذا لا يحرج عليه ان شاء الله تعالى فى اقباله عليهم ولا فى تكدره لترك زيارتهم له لان رضا الواسطة وغضبها عنوان على رضا الحق تعالى وغضبه على العبد وقد جعلت فى وردى انى اسأل الله تعالى ألف مرة أن يحبب نبيه صلى الله عليه وسلم فى ليأخذ بيدى فى شدائد الدنيا والآخرة فانه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى لجميع الخلق دنيا وأخرى فمن أحبه واعتنى به لم يلحقه سوء ان شاء الله تعالى فى الدنيا والآخرة فعلم ان من رأى شخصا منه ورا من الصالحين يتكدر من اخوانه اذا انقطعوا عن زيارته وجفوه فليس ذلك من حيث الاستئناس بهم بحكم الطبع وانما ذلك من حيث كون محبة الصالحين للشخص عنوانا على رضا ربه عنه وعدم رضا الحق تعالى عن عبده لا يطاق حمله ولذلك طمن الحق تعالى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ماودعك ربك وماقلى وأنشد سيدى على بن وفاء رحمه الله تعالى من جملة أبيات

أنت الحياة فليس عنك تصبر * وجفاك موت ماعليه تجلد

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لفقير ان يتكدر من انقطاع الناس عن التردد اليه والغفلة عنه بل اللائق به الفرح لان أكثر صحبة الناس اليوم تشغل الفقير المبتدئ عن ربه عز وجل ويستأنس لذلك من طريق الاشارة بقوله تعالى فى القرآن العظيم وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله فليمتحن من يدعى محبة الوحدة نفسه بهذه الميزان فان وجد نفسه تشتاق الى رؤية من لا تذكره بالله تعالى رؤيته فليعلم انه كاذب فى دعواه قال ومن تأمل حال أكثر المتزاورين اليوم من الفقراء وغيرهم فربما وجد زيارتهم معلولة انتهى فالله تعالى يتولى هداه وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة المعتقدين فى من الفلاحين وأولادهم مع انى من بلادهم وقل ان يقع ذلك الآن لان أكثر المنكرين على العبد يكونون من أهل بلده وأهله وجيرانه ولذلك كان من أول ابتلاء الله تعالى به عباده ارساله الرسل اليهم من جنسهم لينظر تعالى فى الخارج كما هو مقرر فى علم العقائد هل يطيعونهم أو يخالفونهم وهو العالم بسرائرهم قبل ان يخلقهم فغالب الاهل والمعارف يتخلفون عن الدخول تحت طاعته وقد قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكذلك اليهود كانوا يتمنون ان يدركوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلما أدركوه قام بهم داء الحسد وكفروا به كما قال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وبلغ من اعتقاد الفلاحين ان أولادهم يحلفون بى ويقولون لبعضهم وسر سيدى عبد الوهاب ما فعلت الشئ الفلانى وسره ما قلت الشئ الفلانى ونحو ذلك فيحلفون بى كما يحلفون بالاشياخ المدفونين فى التوابيت مع انى لست بشيخ وانما الله تعالى لم يزل يسترنى بين عباده بوجوه شتى فله الفضل والمنة على سترى بين عباده ونرجو من فضله ان يسترنا بينهم كذلك يوم القيامة

وكان بعض السلف يقول لو علم الناس ما نفعله فى بيوتنا لرجمونا منهم الحسن البصرى ومالك بن دينار وبشر الحافى والفضيل بن عياض فكانوا يقولون لو اطلع الناس على ما يفعله أحدنا خلف باب داره مثلا ما جالسونا وكان مالك بن دينار يقول والله لو كان أحد يشم رائحة ذنوبى ما استطاع ان يجلس الى من شدة نتنى والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اهتمامى بشئ من أمور الدنيا العادية الا بنية صالحة فاذا لم تحضرنى نية صالحة تباعدت عن ذلك ولذلك لم يقع لى قط انى حضرت مطبخ طعام يعمل عندى من ختان أو عرس أو عقيقة ولا سألت الواقفين عليه عن شئ مما صنعوا الى أن يفرغ ذلك الطعام وذلك المهم وربما لم أحضر ذلك الجمع كما انى لا أدعو أحدا من وجوه الناس الى حضور ذلك الطعام أبدا وانما هم يحضرون من غير طلب وهذا خلق غريب وغالب من يعمل ذلك يصير فى حملة عظيمة بسبب ذلك حتى يصير باهتا ويدخل المطبخ ويخرج ويصيح على الطباخين وعلى الواقفين اذا أعطوا أحدا شيأ من الطعام قبل أن يحضر الناس وربما تشوش بعض الناس من ذلك وحلف انه لا يأكل له طعاما حين رآه يتشوش ممن يأخذه شيأ من المامونية أو السنبوسك وغالب من يعمل المهمات يغفل عن الله تعالى حتى يخرج ليلة المطبخ أو يوم الوليمة الصلاة عن وقتها بسبب ذلك أو يغفل عن قراءة أوراده وان قدموا أطايب الطعام فى السماط للفقراء دون الاغنياء تكدر لذلك وغاب عنه ان ذلك أكثر أجرا مما من الاغنياء فان الفقراء لا ينظرون المامونية الحلوى الا مع الناس أو فى النوم بخلاف الاغنياء والاكابر وكل ذلك من شدة الاهتمام بامر الدنيا وأهلها ومن عدم اهتمامى بامر ذلك الطعام انى أوصى الواقفين عليه ان لا يردوا أحدا جاء يطلب طعاما مطلقا غنيا أو فقيرا من حين يستوى ولا أتوقف على حضور الناس ونصب السماط وأقول برفع صوت من سبق الى مباح فهو له وقد أبحنا للناس الاكل منه من حين صلح للاكل وهذا الامر افكه وأوسع لجميع الحاضرين من سكوت صاحب الطعام فيتصرف كل واحد فى ذلك الطعام بالاكل وغيره كأنه مالكه بخلاف من يحجر على الحاضرين ويوقف شخصا به صايضرب الناس فان أحدهم يصير فى غاية الضيق والحرج فينقص كمال السرور للحاضرين فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم وجود أحد من الزوالق حولى مع شهرتى بالاستحقاق للتصدر لارشاد الفقراء بمصر وقراها وقل فقير يشتهر الا ويكون حوله كل واحد يخلى له اقليم ومن مفاسدهم انهم يطاردون من يكونون حوله ويبالغون فى تعظيمه ورفع مقامه على سائر فقراء بلده أو اقليمه ويقبلون يده ورجله ويقفون بين يديه كما يفعل بالامراء فربما مال الفقير الى ذلك وأعجب بنفسه فهلك مع الهالكين ومن مفاسدهم أيضا انهم يؤذون من كان فى صحبة شيخهم اذا اجتمع بغير شيخهم فينفر منهم ومن شيخهم لان غالب من يتردد للفقير انما هو معتقد من بعيد وما ثم من يثبت له مرتبة الارادة الا القليل وقد رأيت جماعة ضربوا من اجتمع بغير شيخهم ضربا مبرحا ولا يجوزلهم ذلك فى ملة من الملل ورأيت من تضاربوا بالقباقيب والنعال وحصل بينهم فتنة الى أن وصل الامر الى اصطنبول ولم يزل الفقير فى كل عصر كالبحر يرده البر والفاجر

وقد أجمع القوم على ان الصادق لايفرح بالمقبل ولايحزن على المدبر الابوجه شرعى وأنشد سيدى ابراهيم المواهبى رحمه الله تعالى

كل من جا يجى * وكل من راح يروح ليس يثبت هنا * غير أهل الفتوح

وكان سيدى أحمد بن عقبة رحمه الله تعالى يقول كان شيخى لايحجر على فى الاجتماع بغيره و يقول دونك وزيارة الفقراء وكل من وردت عليه فقل له هل للفقير عندكم فتوح فان قال لا فاذهب والا فانخ عنده حتى تأخذ فتوحك انتهى وهذا الامر أشبه بأحوال السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم وقد برز فى عصرنا هذا شخص من أكابر أهل الفتوح ولكن حوله جماعة يؤذون الناس بلسانهم فينفرون الناس عن الاجتماع بشيخهم فيفوتوه كمال الاجر والثواب ولو انهم عقلوا الامر لرغبوا الناس فى حضور مجلس شيخهم وأقوا عليه الناس تحصل لشيخهم الخير لان بالاتباع كمال الشيخ ونقصه وبهم ربحه وخسرانه وقد سمعت بعضهم يقول كثيرا لولا الزواق الذين حول الشيخ الفلانى لكنت لاأفارق خدمته ومن مفاسدهم أيضا انهم يبالغون فى تعظيم شيخهم بحضرة من لايعتقده فيزداد نفرة منهم ومن شيخهم لاسيما ان سمعهم يقولون شيخنا هو القطب يقينا فكان من فضل الله على منع أصحابى ان يطرونى فى المدح غيبة وحضورا وكثيرا ما أقول لهم اذا سمعتم الاعداء والحسدة يرمونى بالبدعة ومخالفة السنة فلا يجب أحد منكم جوابا واحدا عنى وقد قام على جماعة من الحسدة معروفون فى مصر وآذونى كل الاذى الذى قدروا عليه فلم أمكن أحدا من أصحابى ان يرد عليهم شيأ فتمزقوا كل ممزق وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فينبغى للفقير أن لايغفل عن نهى اخوانه ان يرفعوه فوق أحد من أقرانه لاتعريضا ولا تصريحا ويظهر لهم التكدر بذلك ظاهرا وباطنا فانهم اذا عرفوا صدقه فى ذلك اجتنبوه بخلاف ما اذا عرفوا رضاه بذلك فى الباطن فافهم وهذا الخلق قد صار غريبا فى هذا الزمان فلا تكاد تجد فقيرا يزجر أصحابه اذا رفعوه على أقرانه ثم اذا بلغ الامر الى من فضلوه عليه فربما تحركت عنده داعية الحسد والبغضاء والشحناء وصار ينقص ذلك الشيخ الذى رفعوه عليه فى المجالس وقد تقدم فى هذه المنن انى ذكرت جميع أقرانى من الفقراء فى طبقات الصوفية وذكرت مناقبهم ومفاخرهم استجلابا للرحمة لهم ولم يفعل ذلك فى مصر الآن غيرى فاعمل على التخلق به ترشد واسلك طريقه تشد وتسد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهة سماعى للغناء على الآلات المطربة من حين كنت صبيا عملا بنهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلما بلغت ودخلت طريق محبة الفقراء ازددت فى ذلك نفرة لتهمتى لما النفس انها تسمع ذلك فيؤثر فيها غفلة عن الله تعالى وعن الذكر والصلاة مع ان النهى عن شئ اذا ثبت عن الشارع صلى الله عليه وسلم لايتوقف اجتنابه على معرفة علته وهذا أسلم ممن سمع ذلك وجعل علة التحريم هو الغفلة عن ذكر الله وعن الصلاة وان من لم يحصل له بسماع ذلك غفلة فلا بأس به فى حقه ونقل ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والفقهاء والصوفية ذكرهم الشيخ أبو المواهب الشاذلى فى كتاب له فى ذلك انتهى قلت وجمهور المحققين على خلافه الابشرطه لان الله تعالى لاينهى عن شئ

على

على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم و يبيحه بشرطه الا و يصير المتعاطى له ممن لم يتصف بالعصمة على خطر ويكون عدم صحة نسبة ذلك للصحابة رضى الله عنهم والكمل أبعد عن مواضع الريب من غيرهم وروى أبو عبد الله الحاكم مرفوعا لا الله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته قال بعضهم فى هذا الحديث اباحة سماع الغناء لان سماع الله لايجوز أن يقاس على محرم قال وهو حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وخرج بقينته قينة غيره فلا ينبغى سماعها بل ربما حرم ذلك كما وردت به الاحاديث فيمن خسف بهم الارض لما سمعوا القينات وبالجملة فقد استقر ظاهر المذاهب الاربعة على الفتوى بالتحريم فى نحو العود الابشرطه عند بعضهم فليس لمقلدان يخالفهم ويسمع العود أو نحوه أبدا وكان أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى ينهى عن سماع الآلات المطربة كثيرا ويقول قد ذهب جماعة الى أن علة التحريم عدم سماع ذلك عن الحق تعالى وهو مذهب فاسد قال ومن ادعى أن سماع الآلة المطربة لاتؤثر فيه فاغضبوه مرارا فان غضب فهو مفتر كذاب لان من لم يقدر يرد نفسه عن الغضب لايقدر أن يردها الغفلة عن الله تبارك وتعالى بالطرب اذا سمع المطربات انتهى فافهم ذلك واياك وسماع ماذكروا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن ظنى فى الطوائف المنتسبين الى طريق الفقراء وما كالاحمدية والبرهامية والرفاعية والمطاوعة بالشرقية والصعيد ولا أحكم على أحد منهم بخروجه عن الشريعة المطهرة بحكم الاشاعة عن أهل خرقته فقد يكون ذلك الشخص على نعت الاستقامة دون غيره وانما أحكم عليه اذا شاهدته يخالف السنة أو قامت بذلك عندى بينة عادلة فان كل طائفة من هؤلاء فيها غالبا الجيد والردىء والحكم على جميع الطائفة بحكم واحد جور ونهور غالبا ولم يزل الناس يستفتون على طائفة المطاوعة ونحوهم فينبغى للمفتى أن يخلص عبارته ليخلص ذمته و يقول ان كان من ذكر يعتقد كذا وكذا فهو فاسق مثلا أو مبتدع وذلك لان فيهم الصالح والولى وتقدم فى هذه المنن عن سيدى على البدوى تلميذ سيدى أبى العباس المرسى انه قال دخلت زاوية القلندرية فرأيت منهم فعلا يخالف ظاهر الشرع فأنكرت عليهم فرفعت رأسى واذا بشخص متربع فى الهواء يقول لى تنكر على القلندرية وأنا منهم قال فتركت الانكار انتهى ويحتاج من يترك الانكار بمثل ذلك الى علم وافر يفرق به بين الولى والشيطان فربما كان ذلك المتربع فى الهواء شيطانا فيحصل لذلك الذى ترك الانكار التلبيس فى دينه ويفوته الاجر المترتب على ذلك الانكار فاياك يا أخى ان تحكم بالبدعة على من نسب الى المطاوعة مثلا بمجرد كونه معدودا منهم فقد تعد الناس فيهم من ليس منهم ممن تزيا بزيهم واياك أن تسلم للمبتدعين أحوالهم رعاية أن يكون لهم شبهة صحيحة بل درمع ما عليه أهل السنة والجماعة حيث كان واسمع بسمعك و بصرك وامش على نور السنة وقد صنف سيدى محمد الغمرى كتابا فى المطاوعة وحط عليهم أشد الحط وكذلك كان سيدى محمد الحنفى والشيخ مدين وغيرهم يحطون على من يخالطهم انتهى ولكن يحتاج الامر الى تفصيل فالله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تحجيرى على أحد من أصحابى أن يصلى عندى الجمعة

او يحضر مجلس الذكر لاسيما ان كان أحد من الاكابر يحضر عندنا ذلك اليوم فان فى مثل ذلك عدة آفات كما مر تقريره فى هذه المنن وكذلك لا أعاتب أحدا على تخلفه عن زيارتى ولا أقول له قط أوحشتنا كثيرا الا بنية صالحة خوفا أن يفهم منى أن مرادى منه أن لا ينقطع عن التردد الى فيصير يكلف نفسه فى الحضور خوفا من عتبى عليه أو عتب أحد من النقباء ثم لاى شئ يطالب الانسان الناس بترددهم اليه ولا يطالب هو نفسه بتردده اليهم مع ان من شرط الشيخ ان يرى نفسه دون جميع اخوانه لزوال الرعونات النفسية منه وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تعتبوا على أحد فى عدم تردده اليكم فربما كان فى ذلك قوت للنفس بل لو ترك أصحابك زيارتك مطلقا استهانة لك لا ينبغى أن تعتب على أحد منهم لاسيما ان كنت تعرف من نفسك عدم القدرة على مكافأتهم فى التردد انتهى وعما وقع لى ان شخصا من أصحابى عاتب شخصا من أكابر الدولة على عدم التردد الى بعد ان كان يزورنى فما وجد له عذرا فاحتال بحيلة وقال كلما أريد المجئ اليه أجد تمساحا فى الطريق يصدنى عنه فكذبه الحاضرون ووقع هو ومن كذبه فى الاثم حيث اسمعه ما يكره فانظر آفة التعيير ولو ان أحدا لم يعاتبه لما وقع فى شئ من ذلك فان الاجتماع مقدر وكان سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى يقول ينبغى للفقير أن يفرح اذا انقطع الناس عن زيارته ليخلو لعبادة ربه وكذلك ينبغى له ان يغتم ويضيق صدره اذا أقبلوا عليه فكم طيرت طقطقة النعال حول الرجل من رأس وكم أذهبت من دين انتهى كلامه رحمه الله تعالى والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظى لمقام صاحبى وان أكلت معه لقمة ملح فى وقت من الاوقات ولا أخونه بالغيب لاجل تلك اللقمة وهذا الخلق قد صار فى هذا الزمان أعز من الكبريت الاحمر فربما أكل الشخص مع صاحبه نحو عشرة أرادب من الخبز فلا يحفظ له مقاما بل يجعل فيه العجر والبجر اذا وقع بينه وبينه نفس بخلافى أنا فانى بحمد الله تعالى لا أذكر من عادانى ومع نقل الناس بينى وبينه النميمة الا بخير حفظا للعيش فاعرف زمانك يا أخى ولا تركن الى أحد حتى تجربه وقد كان هذا الخلق فى اللصوص الى أيام السلطان قايتباى رحمه الله تعالى حكى لى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ان جورا كبير المنسر دخل هو وجماعته على تاجر فى الليل ففتح عينه فرآه عند رأسه فارتعد فقال له لا تطرب يا خواجا فان الصبيان يطلبون منك الغداء فقط فقال هو حاضر ففتح الصندوق وأخرج للعشرة ألف دينار فقال له الشاطر عدالك العيب يا خواجا ما كان أملنا فيك ذلك كله فحملوا الالف دينار وخرجوا الى الدهليز فتخلف منهم واحد فأخذ حقا أبيض فوضعه فى عبه ثم فركه لينظر ما فيه فرأى فيه ملحا أبيض فذاقه فقال آه هذا ملح فسمعه جور فقال ردوا الالف للرجل فوالله ما نخون شخصا ذاق صاحبنا فى داره الملح فدخل عليهم الخواجا أن يأخذوا مائة دينار ويبرئ ذمتهم منها فأبوا وقالوا له عليك أمان الله ما دمنا نعيش هذه حكاية سيدى على الخواص رحمه الله تعالى فانظر يا أخى فى أصحابك فلا ترى من يحفظ عيشك الا القليل فاذا كان مثل هذا من أخلاق اللصوص مع فسقهم فكيف كان حال صالحيهم فاعرف زمانك وخذ حذرك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى بالطبع فضلا عن الشرع لكل من ينقل الى نقائص الخلق من وقوعهم فى حق أو غيرى فربما قال لى سمعت فلانا يذكرك بالنقائص فتحركت نفسى وحصل لى غم بذلك وما كل وقت توجد العناية الربانية للعبد كما أشار اليه تشريعا قوله صلى الله عليه وسلم لا تبلغونى عن أصحابى الا خيرا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وقد مر بسط ذلك أوائل هذا الباب ثم انه يقال للناقل لا يخلو أمرك من أمرين اما أن تعتقد عدم وجود ذلك فى أو لا فان كنت لا تعتقد وجود ذلك فى فلاى شئ تنقل الكذب وان كنت تعتقد صدق القائل فانقل ذلك عن نفسك أولى وفى تصديق النمام عدة مفاسد منها تخلف العناية الربانية عن نصرتى غالبا اذا تحركت نفسى وقابلته بنظير فعله ومنها فتح باب الحقد على اذا صبرت على ذلك العدو ورميه لى بالبهتان وقل من صار يسلم من الحقد بل يصير يتذكر كلام ذلك العدو فى حقه كل قليل ولا يكاد ينساه ولو أنه لم يبلغه لربما سلم من مثل ذلك فان السلطان ربما يشتمه انسان من ورائه ومنها فتح باب نقل الناس الكلام الى اذا رأونى أصغى لسماع الناقل بخلاف ما اذا زجرت الناقل وكذبته ولم أصدقه فان الناس يتساعون بذلك فيقل نقلهم الى الكلام وما رأيت فى أصحابى أوسع عقلا من أخى الشيخ زين العابدين ابن الشيخ عبيد البلقينى فلا أضبط عليه انه بلغنى قط عن عدو الا خيرا ويقول لا ينبغى لمن يدعى محبة شخص أن يدخل عليه غما وكثيرا ما يقلب الكلام السوء بكلام مليح طلبا لادخال السرور على فان الانسان اذا بلغه أن عدوه يذكره بخير ينشرح لذلك ويحصل عنده سرور وانبساط ومن خان لا كان وقد نقل الى شخص مرة نميمة فقلت له أنا لا أصدق فى هذا الرجل الذى نقلت عنه شيئا من ذلك لانى فارقته على صلح وانشراح وان شئت أنا أبين لك ذلك بأن تجلس عندى وارسل وراءه وأقول له هذا قال عنك كذا وكذا فاذا قال نعم قد قلت ذلك فحينئذ أصدقك فخجل وسأل الاقالة من نقل الكلام ومن ذلك اليوم ما نقل الى كلاما فيه نميمة أبدا مع ان السر عنده كأنه فى بيت الوالى اشتهر عنه كتم كل كلام وفى الحديث شر الناس المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الطالبون للبرآء العيوب وقد فعلنا ذلك مع النمامين فقلت نميمتهم الينا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى لمقام العالم والصالح اذا نصرته على خصمه الفاسق فاجعل الاذى كله من خصمه لا منه فلا أقول للعالم قط أو الصالح اصطلح مع فلان لان هذا الكلام يفهم منه انه نظيره فى الاثم والمقابلة بالاذى وانما أقول ما لهذا الشيطان مع سيدى الشيخ رضى الله عنه وقد سمع أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى شخصا يقول ما هذه المخاصمة التى وقعت بين فلان وبين سيدى على الخواص فقال له استغفر الله فان سيدى الشيخ لا يخاصم أحدا من المسلمين فى حظ نفس ولا يقابله بسوء ولفظ المخاصمة تقتضى المغالبة فى الخصومة فان من شرط الفقير السكوت عن أذاه والساكت لا يقال فيه انه مخاصم اسم فاعل انتهى ثم من الجهل ان يقال للشيخ امض بنا الى فلان لتصالحوه فانكم بحر تحملون عدة آلاف من مثل هذا فربما دخلت رأس الشيخ الجراب وذهب معهم الى ذلك الفاسق مثلا فلا يزداد الفاسق الا فجورا وانما الادب ان نأخذ الفاسق لسيدى الشيخ ونأمره بتقبيل نعاله حتى يرضى عنه حيث اقتضى الحال ذلك شرعا وقد قدمنا عن الامام الشافعى

رضى الله تعالى عنه انه كان يقول أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فى مودة من لا ينفعه وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تتواضع لظالم عليك ولا تبدأه بالصلح فتكبر نفسه بغير حق وتذل نفسك فى غير محل انتهى وقد آذانى شخص بمكة المشرفة من علماء مصر بكلام افتراه على بعض الحسدة فذهبت اليه وقلت له أنا أقول استغفر الله على مصطلح الفقراء فى ان أحدهم يقول أنا ظالم وانا أعلم أنه مظلوم فبنوا على ذلك صحة ما أضافوه الى من الكذب والافتراء ودام الضرر بذلك نحو ثلاث سنين وأرسل الى مصر مكاتبة ان فلانا اعترف بما قالوه عنه والحال انى ما قلت له أنا أقول استغفر الله الا اختصارا للفتنة والله شهيد على ما أقول فليكن الفقير على حذر ولا يقول استغفر الله فى محل ينبنى عليه مفسدة وانما ذلك فى حق المؤمنين الذين يخافون على دينهم وعليه يحمل نحو قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم بخلاف اللئيم فانك اذا أكرمته ازداد طغيانا فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صبرى على غضب صاحبى اذا خالفت هواه لما ينفعه فى دينه كما اذا علمت بالقرائن انه يحب منى القيام له فلا أقوم له لان قيامى له على هذه الحالة ربما يكون من باب الاعانة له على تبوئه النار كما ورد فى الصحيح اللهم الا أن يترتب على قلة قيامى له مفسدة هى أعظم من مفسدة عدم القيام له فاقوم له ثم أسأل الله تعالى أن لا يؤاخذه بذلك وان يكشف عنه حجاب النفس حتى يرى نفسه أقل من ناموسة وانه لا يستحق أن أحدا يقوم له وكذلك نسأل الله أن يتوب عليه من الكبر فعلم أن الاولى لنا أن نقوم له حينئذ مداواة لنفسه ثم نشفع له عند الله تعالى وهذا هو اللائق فعله مع غالب أهل هذا الزمان فلا يترك القيام الا لمن لا يخشى منه مفسدة يتعدى ضررها وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول سياسة الناس أشد من سياسة الدواب وكان رضى الله تعالى عنه يقول لا تقصر فى حق أخيك اعتمادا على مروأته انتهى يعنى فقم بواجب حقه وقم له وعليه الكراهة لذلك خوفا من الوقوع فى الاثم وعلينا القيام بحقه عادة وشرعا فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) قلة عيادتى للظلمة اذا مرضوا الآن الغالب فى مرضهم انه عقوبة لذنوب سلفت ولا ينبغى لنا التحمل عنهم وأيضا فى العيادة لهم ايناس لهم ولا ينبغى ايناس الظلمة والفسقة الذين يشربون الخمر ويزنون ويأخذون أموال الناس بالباطل ويحبسونهم ويضربونهم اذا لم يزنوا لهم تلك المغارم التى طلبوها منهم وأما الولاة الذين لا يظلمون الناس وانما يأخذون من الناس المال فى نظير مصالح يعملونها لهم فلنا عيادتهم وزيارتهم لانهم قد يكونون بحسن النية مثلنا أو أحسن حالا منا ولو لم نكن نحن نقبل فى مقابلة مثل ذلك شيأ فعلم انه لا اعتراض على العالم والفقير اذا لم يعد ظالما حال مرضه أو بعدان شفى منه لان العيادة عندنا انما شرعت للمنكسرة قلوبهم او لمن يرجى بعيادته الثواب وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول اذا لم يكن فى أخيك نفع لك ولا للعالم فلا عليك من مقاطعته انتهى فاذا كان هذا فيمن لا نفع فيه فمن يؤذى الناس أولى بالمقاطعة وترك العيادة أو الزيارة

ولما مرض الوزير على باشا بمصر وشفى طلعت له وسلمت عليه لكن بعد حصول مقتض وذلك ان بعض المحبين ذكر للباشا انى عازم على زيارته بكرة النهار وقصد بذلك اظهار المحبة للباشا وليس لى أنا علم بذلك فانتظرنى الباشا بكرة النهار وصار يقول فلان ما جاء فلما بلغنى ذلك لزمنى من طريق المعروف مداواة صاحبى الذى كذب فى قوله انى عازم على زيارة الباشا ومداواة الباشا أيضا فى اظهار محبتى له لاعتنائه بى وانتظاره لى فخشيت أن يترتب على ظهور كذب هذا الرجل على الباشا من الضرر له أكثر مما يترتب عليه من نفعه بتأديبى له عن الكذب بعدم طلوعى لزيارة ذلك الباشا وقلت يمكن تأديبه بشئ آخر وخشيت انه يترتب على عدم زيارتى للباشا أيضا بعدما أظهره من رعاية مقامى كراهته لى فلا يصير يقبل لى شفاعة فى مظلوم وذلك ضرر متعد فزرته بنية صالحة لهذا المعنى والا فأنا بحمد الله ليس لى حاجة عند أحد من هؤلاء الولاة فى الدنيا أبدا فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مداواتى لبعض المريدين للاشياخ اذا مرض بعضهم فلم يعده شيخه ولا أحد من اخوانى بنحو قولى له أنت بحمد الله يا أخى فى مقام المجاهدة والرياضة وما ترك شيخك عيادتك الا ايضاحا لك من ورطة الميل لسواه والاعتماد على أحد من الخلق دون الله تعالى فان المريد اذا لم يعده أحد يحصل له الاسف فى نفسه ويحول باطنه الى الاعتماد على الله تعالى بخلاف ما اذا عاده أصحابه وصرفوا عليه المال فى الادوية وغيرها فانهم ربما يحجبونه عن الالتجاء الى الله تعالى فى مثل ذلك وربما قال ما نفعنى الا فلان ولكن يحتاج الذى يعمل بهذا الخلق الى ميزان دقيق وكشف صحيح فاياك والمبادرة الى الاعتراض على الاشياخ المحققين وجماعتهم اذا مرض واحد منهم ولم يعودوه فانهم فى ذلك على هدى من ربهم ولا يتركون حقا الا لحق هو أعظم من الاول واياك أن تقول والله ما بقى فى أحد خير هذا فلان له فى خدمة الشيخ الفلانى كذا كذا سنة فلما مرض لم يفتقده بشئ يصرفه فى مرضه ولولا انى افتقدته لحصل له ضرر شديد فان شيخه أكثر شفقة عليه منك بيقين ولكنك غائب عن مشاهدة شيخه ولو أنك حققت النظر وجدت ما فعله معه شيخه أعظم نفعا للمريد مما فعلته أنت معه بل ربما حصل له باحسانك اليه الضرر فى دينه من حيث عدم تخليصه من ورطة اعتماده على الخلق دون الله تعالى فاعلم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) صبرى على عوج أتباعى وزوجتى وخادمى ونشوزها وإباقه كما مر تقريره وذلك لعلمى بأن الوجود يعاملنى على صورة ما عاملت به ربى فاللوم على لا عليهم فى الاصل لانهم كظل الشاخص على حد سواء فان كان الشاخص مستقيما فالظل مستقيم أو أعوج فالظل أعوج لانه اثره ومن طلب استقامة الظل مع عوج الشاخص فقد رام المحال فالمرأة أو الخادم مثلا عوجهما من عوج أخلاقنا فمن عقل الرجل أن يرجع الى نفسه فيتفقدها اذا رأى فى زوجته أو خادمه أو حماره مخالفة لعادتهم السابقة معه ويسعى فى استقامة نفسه فى الاعمال مع الله تعالى فتستقيم رعيته ضرورة ومن خفة عقل الرجل أن يأمر المرأة مثلا بالطاعة له مع بقائه هو على العوج مع الله تعالى ولا يسعى فى استقامة نفسه فانه لا يزداد الا قهرا او يا طول تعبه وربما ترافعا الى الحكام وطلقها وظن أنه يظفر بعدها بمن

هى خير له منها وذلك لا يصح لانه مادام أعوج فكل زوجة يتزوجها تتعوج معه ولو كانت مستقيمة قبل تزوجه بها وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول انى لأقصر فى طاعة الله تعالى ولا أشعر فاعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى وزوجتى فتنشز المرأة ويأبق العبد ويشمص الحمار لان طاعتهم لى انما هى فرع عن طاعتى لربى وتسخيرهم لى انما هو فرع عن رضاه عنى انتهى واعلم ان النشوز والاباق والشموص يعظم ويصغر بحسب عظمة ذلك الذنب عند الله وصغره فان كان الذنب عظيما كانت مخالفة من ذكرناه أعظم وكلما بالغ الزوج أو السيد من شكواه من مخالفة الزوجة واباق العبد وشموص الحمار فما شدة مؤاخذة الله تعالى له ثم أعظم من يبتلى بمخالفة رعيته الاولياء لكثرة مناقشة الحق تعالى لهم رحمة بهم حتى لا يتمادى أحدهم فى القطيعة والغفلة عن الله تعالى بخلاف غيرهم وقد كانت زوجة سيدى على الخواص وزوجة سيدى محمد السروى وزوجة سيدى عثمان الحطاب وزوجة سيدى عثمان الديمى لا يكدن يدخلن على أزواجهن سرورا ابدا وقال لى سيدى على الخواص يوما لى مع ابنة عمى سبع وخمسون سنة ما أظن انى بت معها ليلة واحدة ونحن مصطلحون أبدا وكان يقول ان يقول له طلقها الظلم من نفسى لا منها لانها صورة عملى وسمعته يقول الرجل مبتلى بزوجته وعبده وحماره وغير ذلك على كل حال فان هذه الامور ان لاقت بخاطره أصابته فى قلبه بالميل اليها فأهلكته وان لم تلق بخاطره أصابته فى ظاهره فكره رؤيتها وكدرت عليه معيشته ولا شك ان ذلك أهون من ان تصيبه فى قلبه فان الحق تعالى غيور فمن مال عن الله تعالى الى غيره بغير اذنه ضرب بسهم مسموم فى قلبه فخسر الدارين فرحم الله من أتى البيوت من أبوابها ولم يعتب امرأة اذا خالفته وانما يلوم نفسه التى انعوجت حتى انعوجت زوجته هذا هو الغالب فى حق أمثالنا انتهى فاعمل يا أخى بهذا الخلق ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة صبرى على زوجتى وجاريتى اذا مرضت ولا أستنكف من أن أمسح ما تحتها من القاذورات اذا عجزت عن الذهاب الى الخلاء أو الجلوس على الطشت مثلا كما كانت تفعل معى اذا مرضت وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وان طال مرضها واحتجت الى التزوج لم أتزوج عليها لئلا أجمع بذلك عليها مرضين حسيا ومعنويا وان خفت العنت استعملت الادوية المسكنة لهيجان الشهوة الى وقت شفاء زوجتى أو موتها كل ذلك قياما بحق الصحبة ولو ليلة واحدة وشفقة على خلق الله تعالى وليعاملنى الله تعالى بمثل ما أصنع معها اذا مرضت قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه واذا مرضت ومعها طفل صغير حملته عنها فى المرض وداعبته ولاهيته حتى يسكت وأسهر لاجله الليلة كاملة كما أسهر كذلك لاجلها ولاسيما ان كان الولد ربيبى كما فرضت ذلك وان لم يقع لى فانى ان أعطيته لوالده اذا كان حيا حصل لامه الضرر ولا يمكنه أن يدخل بيتى يداعب ولده وأمه فى عصمة غيره وهذا الامر قل من يفعله مع ربيبه بل يدعو عليه ويتمنى موته ويقول اللهم أرحنا منه وقد قالوا فى المثل الهم الصيب ولا الربيب فعلم مما قررناه ان من لم يصبر على زوجته ولم يخدمها ولم يصبر على التزوج عليها اذا مرضت فلا يلومن الا نفسه اذا مرض وقست عليه القلوب ولم يجد أحدا يخدمه ولا يسهر عنده طول الليل وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى

اذا مرضت زوجته ومشت بطنها عليها يصير يمسح القذر من تحتها ولا يمكن أمها ولا أختها ولا أخاها من ذلك خوفا من حصول منتهم عليها اذا شفيت ووقع بينهم وبينها خصومة مثلا ويقول أنا بحمد الله لا آمن عليك أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وكان يخفى ذلك عن الجيران خوفا ان يمدحوه على حسن خلقه فيذهب أجره بذلك وكان يقول من أظهر من اعماله ما يحمده الناس عليه قبل خمود نار بشريته فربما رجع عمله الى الرياء ولو لم يقصده وذلك فى الابتداء وحكى لى مرة ان كلبا حصل له جذام حتى تقذرته العيون فى بلد سيدى أحمد بن الرفاعى وصار كل من رآه يصيح به فأخذه سيدى أحمد وخرج به الى البرية وضرب عليه خصا وصار يطعمه ويسقيه ويدهنه مدة سبع وأربعين يوما حتى عوفى ثم سخن له ماء وغسله ودخل به البلد فصار الناس يقولون لم تعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء فقال نعم نوديت فى سرى يا أحمد اما كان فى قلبك رحمة لخلق من خلقى فما وسعنى الان أخدمه حتى عوفى وخفت أن يؤاخذنى الله به يوم القيامة انتهى فاذا كان هذا فى حق كلب فما بالك بزوجة الانسان التى جعلها الله تعالى لباسا له وجعله لباسا لها فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للخلوة بالاجنبية ونفرة كل شعرة منى منها خوفا على نفسى من الميل اليها وفى الحديث ما خلا رجل بامرأة أى ليس بينه وبينها محرمية الا كان الشيطان ثالثهما وقد سئل الشيخ أبو القاسم النصراباذى شيخ خراسان فى عصره عن شخص يقول ما على لوم فى مجالستى للنسوان لعدم ميلى اليهن فقال الشيخ مادامت الاشباح باقية فان الامر والنهى باق والتحريم باق مخاطب به كل مكلف ولن يجترئ على الشبهات الا من تعرض للمخالفات انتهى ووقع لبعضهم انه كلم أجنبية فاستلذ بكلامها المحرم لذة العبادة شهرا ثم ان أكثر من يقع فى مثل ذلك المتهورون فى دينهم من الفقراء وكذلك مشايخ السمران من الاحمدية وغيرهم فيقول للجارية الكبيرة يا أمى ولمثله يا أختى ولدونه يا بنتى ويجمعون كلهم على السماط من غير احتجاب فينبغى تنبيههم على تحريم ذلك فربما كان أحدهم جاهلا بالتحريم وقد كان سيدى أبو بكر الحديدى رضى الله عنه من أشد الفقراء انكارا على مثل ذلك ورأى مرة الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد العدل يضع يده على بطن امرأة يرقيها بشئ من القرآن لوجع كان بها فصاح عليه يا على صوته وا دنياه وا محمداه تضع يدك على بطن أجنبية فقال له انه بحائل فقال له ولو كان بحائل فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وربما تضع يدك بلا حائل فى المرة الثانية فتاب الشيخ محمد واستغفر الله تعالى مع شهرته بالصلاح عند الخاص والعام واتصافه به والله يجعلنا من المتبعين لآثار السلف الصالح فى ذلك وفى الاتهام لنفوسنا آمين اللهم آمين وقد خاطب الله تعالى الصحابة رضى الله تعالى عنهم بقوله تعالى لهم فى حق زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتى هن أمهات المؤمنين واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن فاذا كان هذا فى حق خيار الناس من الامة فكيف يدعى أحمق ان رؤية الاجانب من نساء مريديه مثلا لا تضره هذا من رقة الدين وقد عاب بعض السلف على جلوس سفيان الثورى عند رابعة العدوية وقالوا هذا خرق فى الشريعة مع شهود القلوب بحفظهما وبعدهما من المعاصى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم معاتبتي لمن تخلف عن الصلاة مثلا على زوجتي أو ولدي اذا ماتا وعدم دعائي الناس من بكرة النهار مثلا فيتضررون ينتظرون الصلاة وقلوبهم وراءها التفاتا الى مهماتهم لاسيما ان كان يوم سوق البلد وقد وقع لبعض الاخوان انه دعا الناس للصلاة على أخته من بكرة النهار الى صلاة العصر فصار غالبهم يقل الرحمة عليه ويستحي انه يقوم ويخرج لحاجته وبعضهم خرج من غير حضور للصلاة وأما الجماعة الذين تكلفوا وحضروا الصلاة فأخبروني انهم لم يحضرهم نية صالحة ولا حضر لهم قلب في الدعاء وبالجملة فقد صار الناس الآن يتفاخرون بكثرة من يحضر جنائزهم مثل زفة الختان ويتخاصمون بسبب ذلك فيقول الواحد هذه الجنازة أو الزفة أكثر ناسا فيقول الآخر حاشا الله وقد مضى السلف الصالح كلهم على مراعاة ضرورات الناس فمن يحضر شكر وافضله ومن تخلف أقاموا له العذر وكانوا لا يدعون أحدا للصلاة على الميت حتى يشرفوا على الفراغ من تكفينه خوفا من تقلق الناس لاسيما من ليس عنده عيال ذلك النهار شيء يأكلونه فاياك يا أخي أن تدعو الناس من بكرة النهار وأنت عازم على الدفن بعد الزوال فان كثيرا من الناس ترهق نفوسهم ولا يصير لهم داعية في التوجه الى الله تعالى في الشفاعة في ذلك الميت ومعلوم ان الحق تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل كما ورد فاعلم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حسن تدبيره تعالى لي في الحملات التي أدخل فيها من حملات الخلق الثقيلة التي أشرف فيها على الموت فكثيرا ما ينزل على أهل مصر بلاء من فقراء وعلماء وتجار ومباشرين ومحترفين وفلاحين فادخل تحت ذلك البلاء مع جملة الاولياء ولا أزال كذلك حتى يرتفع وأحس بمفاصلي مادام البلاء لم يرتفع كأنها تقطعت وبعظمي كأنه يدق في الهاون وبرأسي كأنه يرضخ بين حجرين معصرة لا كاد أحس بغير ذلك وتارة أحس بان تحت كل شعرة من بدني مسمارا من نار يدق ولا يعرف ذلك حكيم من الخلق ولا جار ولا صاحب وربما سمع بذلك بعض الناس فيقول وايش بلاء فلان بمعارضة الاقدار وربما ان ذلك البلاء الذي دخلت فيه كان نازلا عليه هو ولو انه علم بذلك لشكر فضلي على ذلك وربما فاض البلاء من جسدي على جيراني وأصحابي قهرا علي فيستقلت وينزل عليهم فأتوجه الى الله تعالى في رد ذلك البلاء علي وأن يصبرني على تحمله عنهم لما جبلني الله تعالى عليه من الشفقة والرحمة على عموم الخلق كما تقدم بسطه مرارا وكثيرا ما يصيب البلاء المتناثر من جسدي بركة الماء التي تحت بيتي في أيام الشتاء فيصير ماؤها كالدم الاحمر حتى يراه الخاص والعام ويصير بعضهم يعتقد أنه امجراة المصبغة فاشكر الله عز وجل على ذلك فان مثل ذلك لو نزل على جسدي لذاب العجزي عن تحمل مثل ذلك عادة وهذا الامر ما رأيته وقع لاحد من فقراء مصر غيري فما دام الماء أحمر فجسدي متألم بالاوجاع التي يغيب معها عقل الرجل ثم اذا اخذ الماء الاحمر في الصفاء أحس بالالم ينقص شيأ بعد شيء حتى يرتفع البلاء كله وقد سألت أهل الحارة عن احمرار هذه البركة هل كان ذلك يوجد فيها قبل ان أسكن حارتكم فقالوا لا هذا ما حدث الا في أثناء مدتك فعلمت ان ذلك انما حدث بتكاثر البلاء المتجدد كلما تقارب الزمان للقيامة فأنا أحمل منه جهدي عن المسلمين مادمت حيا وأرجو من فضل الله تعالى أن يقيض له من يتحمله بعدي أو يتفضل برفعه أو تخفيفه عن

المسلمين آمين وصورة مجموع الامراض التي تقع لي أيام الحملات الثقيلة انني تارة أحس بان شخصا قويا يضرب رأسي باطبر من حديد وتارة تحبس فضلاتي مدة سبعة ايام فلا تخرج بدواء ولا غيره وتارة يدخل علي غم وهم وثقل حتى أصير الهث مثل الثور اذا تعب ويخرج من حلقي رائحة الدخان واطلب الموت فلا أجاب وكثيرا ما يبلغ بعض اشياخ مصر عني ما أنا فيه فيقول أحدهم التسليم لله أولى من هذا كله فيقال لهم ان تحمل هموم المسلمين لا ينافي التسليم لله تعالى فيسلم لعبد الله تعالى من حيث تقديره ويحمل همهم من حيث استحقاقهم ذلك بكسبهم وقد تقدم أن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وسفيان الثوري وجماعة كانوا اذا نزل بالمسلمين بلاء لا يأكلون ولا يضحكون ولا ينامون كل ذلك ليس الا لما يجدونه في نفوسهم من تحمل هموم المسلمين وبلاياهم وان لم يصرحوا لهم بذلك ولا يزول كربهم حتى يرتفع ذلك البلاء فهل كان أولئك ناقصين وهذا المعترض كامل فيا ليت المعترض من هؤلاء اذا لم يتحمل بلاء الناس يعترف بنقصه أو يدعو لذلك الفقير المتحمل بان الله تعالى يدبره بحسن التدبير فان ذلك أقرب الى قواعد الشريعة من التحريج عليه وربما جامع هذا المعترض زوجته تلك الليلة ودخل الحمام ولبس الثياب المبخرة وأكل الطعام اللذيذ وما عند أهل الجنة خبر من أهل النار وبلغني عن شيخ كبير منهم انه كان يقول لو أن عبد الوهاب اذا نزل عليه بلاء استعان باخوانه لاعانوه لان المؤمن كثير بأخيه فلما نزل بلاء ناظر النظار على الاوقاف وعم البلد الكرب وطلع العلماء والعامة للقلعة يشكون الى الوزير علي باشا دخلت في حملة اخرابه من البلد وعدم تنفيذ المراسيم التي معه فقعدت سبعة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام حتى أخرجه الله تعالى من مصر طريدا وما أحد شعر بذلك مني بل بعضهم صار يقول على فلان اللوم الذي لم يطلع القلعة مع الناس يشكو للباشاه وربما كان الذي عملوه كلهم لا يجيء عشر ما عمله فقير بتوجهه الى الله تعالى ولما ثقلت هذه الحملة علي أرسلت لذلك الشيخ الذي كان عرض لي بانه يساعدني ورقة اذكره بانجاز وعده فأنكر ذلك وقال انا لم أقل قط اني أساعده فمن ذلك اليوم نفضت يدي من التوجه اليه في شيء من البلايا المستقبلة ثم انه دخل علي ليلة السابع خلائق من فقراء العراق والشام والقدس لا يحصون حتى ملؤا المدرسة والبيت والزقاق وقالوا على سبيل الاستفهام الانكاري ما جعل الله فيكم يا فقراء هذا البلد بركة يبايع فقير منكم الحق تعالى على تلف نفسه في تحمل بلاء مصر وما منكم أحد يساعده هذا الفظهم ثم انهم توزعوا تلك الحملة ونشطت منها فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم قبولي من أحد حملت عنه بلاء هدية أو ثناء حسنا بعد تحملي عنه ذلك ولو كان من عادته انه يهدي الي قبل ذلك تركت قبولها بعد ذلك وكذلك لا أقبل هدية على دعاء دعوت به لمريض فشفاه الله تعالى بعد ذلك لاني لست على يقين من قبول دعائي حتى آخذ عليه أجرة وان وقع الشفاء فليس هو بدعائي حتما وانما ذلك لانتهاء مدة المرض وأيضا فاني أعلم ان صاحب تلك الهدية ما اهداها الي الا لاعتقاده في الصلاح واني مجاب الدعوة ولولا ذلك ما أهدى الي شيأ كما لم يهد الي من لم يعتقد في صلاحا ثم بتقدير ان الحق تعالى أجاب دعائي فضلا منه فلا آخذ على ذلك أجرا في الدنيا وقد أرسل الي قاضي العسكر بمصر مالا على يد امامه لاجل حملة ولده لما مرض فرددته عليه فقال لي فرقه على الفقراء فقلت له من جمعه فهو أولى

بتفرقته ليخرج من حسابه يوم القيامة ودخلت في حملة ذلك الولد لله تعالى فشفاه الله تعالى وكان
سيدي على الخواص رحمه الله لا يزيد في الحالة على قبول اكثر من رغيف ويتصدق به عن المريض
وأرسل لي بعض الولاة مرة أخرى مالا فرددته فارسله لشخص ممن لا أصلح أنا عند الناس ان
أكون تلميذا له فقبل ذلك المال وقال ضمان ولده على فأصبح الولد ميتا فجاء غلام والد الميت
يطالب المال وكان خمسين دينارا فقال انما أخذت المال عن حمله والد أنه لا يموت في هذه الايام
وأكل الفلوس الى يوم تاريخه فاياك يا أخي أن تعطي أحدا من المصابين مالا وان كان ولا بد
تفرقه أنت على الفقراء عملا بحديث داووا مرضاكم بالصدقة فافهم ذلك ترشد والله تعالى
يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة حنيني الى الوحدة وكراهتي لتردد الاكابر والاصاغر
الى زيارتي وعيادتي الا بعد تصحيح الاغراض الشرعية كما مر تقريره مرارا أما الاكابر فاني
أجلهم عن المشي الى مثلي خوفا أني افتضح لهم يوم القيامة حين تبدو لهم سوآتي ويندمون على
المشي الي وقد زرت مرة سيدي على البحيري ماشيا لما دخل مصر وجلس في سيدي أحمد
الترابي فصار يوبخ نفسه زمانا ويقول يا فضيحتك يا على يوم القيامة يأتي فلان اليك ماشيا
لاعتقاده فيك الصلاح وأنت لست بصالح وأما زيارة الاصاغر عادة فغالبها معلولة اما لعلة
دنيوية أو أخروية وهما قد تكونان مفقودتان عندي فلا أنا صالح كما يزعمون ولا أقدر ان
أكافئهم في التردد اليهم كما ترددوا الي وربما مرض أحدهم فلم أعده فعاداني حتى يموت ويقول
للناس فلان لما مرض ترددت اليه ولم أقطعه يوما واحدا فلما مرضت لم يعدني مرة واحدة فمثل
هؤلاء خسروا عيادتهم لي فاني لا أنا كافأتهم ولا هم عادوني بنية صالحة ليؤجروا على ذلك وقد
كان أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى لا يعلم أحدا من العلماء والصالحين بمرضه ويقول ان
العالم أو الصالح ربما يحمل عني شيئا من المرض فآذى نفسه من أجلي وصار له المنة علي وأنا
لا أحب أن أحدا يؤذي نفسه من أجلي ولا ان يكون له علي منة انتهى وان شككت يا أخي في
قولي ان غالب عيادة الناس لك اليوم معلولة فافرض عدم عيادتك لبعض من عادك اذا مرض
بعد اعلامه لك بمرضه تنظر ماذا يلقاك عنه من الذم والسب وهنالك تعرف صدقي فاني ماذكرت
لك الا ما جربته في نفسي أو رأيته وقع من أصحابي وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى
يقول لا تعلم أحدا بمرضك الا ان علمت بالقرائن انه يعودك خالصا لله تعالى وهذا أعز من
الكبريت الاحمر في هذا الزمان فالسلامة عدم الاعلام الا بنية صالحة والحق تعالى ارحم بك
من والدتك وسمعته رحمه الله تعالى يقول جميع ما أمرك الله تعالى به من العيادة والزيارة
وغيرهما انما يؤمر به العبد اذا وجد نية صالحة والا فتركه أولى انتهى وقد تقدم في هذه المنن
ان من الناس من صار يتفاخر بكثرة عواده فيستغيب من لم يعده ولولم يجد نية صالحة وذلك
خروج عن محاسن أخلاق الشريعة فلا ينبغي موافقته الا لخوف مفسدة كما تقرر في نظيره
قبالمنا لمن يحب القيام له فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى
هداك ويشد عضدك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تفتيشي صباحا ومساء لكل جارحة من جوارحي الظاهرة

والباطنة

والباطنة لانظر مافعلته كل جارحة في ذلك النهار أو في تلك الليلة من الطاعات أو المعاصي لاشكر
الله تعالى أو استغفره كما أشكره على ماصرف عنها من البلايا التي هي معرضة لها أو مستحقة
لوقوعها بها وقد كان ذلك من جملة اخلاق سيدي ابراهيم المتبولي وسيدي على الخواص وهو
من أحسن الاخلاق فان بذلك يعرف العبد قدر ما أنعم الله تعالى عليه عادة وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وقد جاءني مرة شخص يشكو ضيق حاله بالنسبة لما كان عليه في قديم الزمان
ويقول قد صار الموت اليوم احسن من هذه المعيشة فقلت له أما جسمك سالم من المرض فقال
نعم فقلت له أما عندك قوت يوم فقال وقوت سنة فقلت له أما تنام على طراحة فقال نعم فقلت له
أما أنت آمن في بيتك على نفسك فقال نعم فقلت له أمالك خادم يخدمك فقال نعم فقلت له قد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح آمنا في سربه معافا في جسمه عنده قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بأسرها وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى وجعلكم ملوكا أي عند الواحد
منكم قوت يومه وله زوجة وخادم وحمار ودار انتهى فلما سمع مني هذا الكلام تاب واستغفر
ثم أرسلته الى البيمارستان وقلت له طف على المرضى كلهم وانظر ماهم فيه من الامراض
ثم اخرج وادخل الحبس وانظر ما فيه من الحصر والضيق والرعب وتعال اخبرني ففعل ومن
ذلك اليوم ماشكى لي ولا لغيري وذلك ان العبد كلما غمرته النعم جهل مقدارها فاذا رأى أصحاب
البلايا والمحن عرف مقدار ماهو فيه من النعمة ، وقد كان سيدي ابراهيم المتبولي رحمه الله
تعالى اذا جاء من بركة الحاج الى مصر اول مايبدأ بدخول البيمارستان فيطوف على جميع
المرضى ليشكر الله تعالى على ما صرفه عنه من البلايا والامراض مع استحقاقه لها عند نفسه
ويقول من أراد أن ينظر الى مقدار ماصرف الله عنه من البلايا والمحن والامراض والمعاصي
والجرائم فليواظب على دخول بيت الوالي وحبس الديلم والبيمارستان لجميع مايراه قد ابتلى به
غيره يحمد الله الذي صرفه عنه فكم استحقت العين القلع أو العمى بنظرها الى مالا يحل لها
وكم استحقت الاذن الطرش وطلوع الخراجات فيها حتى تدود بسماعها مالا يحل لها وكم استحق
اللسان القطع او طلوع الدمامل فيه وتشققه حتى لا تصير صاحبه يقدر على بلع الماء
بكلامه في أعراض الناس وكم استحق الفم طلوع الآكلة فيه حتى يصير كالطاقة من تقبيل
مالا يحل له وكم استحقت البطن المغص والقولنج والنفاخ وتقريح المصارين وبرد الكلا
والاستسقاء وغير ذلك بادخال الحرام والشبهات فيها وكم استحق الفرج طلوع الاكلة فيه
والقروح وحبس البول وتربية الحصى فيه بمباشرته مالا يحل له وكم وكم فليتأمل الانسان في
اعضائه كلها وما صرفه الله عنها او ينظر كيف حاله اذا طلع في وجهه الحب الفرنجي فأكل أنفه
وفمه وصار القيح والصديد يقطر منه كيف حاله مع امرأته التي كان يحبها اذا نفرت منه وقذرته
مع ارتكاب الديون وقلة من يتفقده بشيء يأكله هو وعياله أو ليتأمل حاله اذا طلع في ذكره
أكلة فسقط كله أو طلع في دبره باسور أو ناصور من خارج السفرة أو داخلها حتى انه يحس بان
شخصا يشرح بسكين في دبره ليلا ونهارا ولا يصل أحد الى مداواة تلك الخراريج الباطنة فيتمنى
الموت فلا يجاب انتهى وقد بسطنا الكلام على ذلك في العهود المحمدية فراجعها والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العاشر في جملة أخرى من الاخلاق)

فأقول وبالله التوفيق وهو حسبي وثقتي وغياثي ومعيني ونعم الوكيل

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من أن ادعو أحدا من أكابر العلماء الى المشي في زفة ختان اعظاما لحرمة العلماء وقد وقع أن شخصا من أصحابي دعا سيدي الشيخ العالم العامل الكامل الراسخ سيدي محمدا البكري ولد الشيخ أبي الحسن رضي الله عنهما الى زفة ختان ولده على لساني بغير اذني فلا تسأل يا أخي عما قاساه مني بسبب ذلك ولما رأيته في تلك الزفة تمنيت ان الارض تبتلعني ولا أراه يمشي فيها مع انه لم يعهد انه يمشي في زفة أحد قط قبل ذلك وأنا أعرف ان سجيته تنكر مثل ذلك وانما جاء لغلبة الحياء عليه مني فمثل هذا لا ينبغي لاحد أن يدعوه قط الى مثل ذلك لان فيه ازراء بالعلماء وأيضا فان الزفاف انما هو خاص بالنساء كما ثبت ذلك عن نساء الانصار لكن لا بأس للرجال بتهنئة بعضهم بعضا بذلك وفي دعوة العلماء والصالحين الى مثل ذلك مفاسد وأمور بيناها فيما سبق في الباب الثالث في نعمة عدم دعاء العلماء والصالحين الى الموالد والولائم فراجعه والله تعالى يتولى هداك ويدبرك في بلواك والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم تمكيني أحدا من أصحابي من التصدر للرد على احد من الفرق الاسلامية الا ان خالف كلامه صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها فمثل هذا يجب الرد عليه وذلك دليل على عدم كماله لانه لو كان كاملا لغار على ظاهر الشريعة لكون الشارع صلى الله عليه وسلم قد أمنه على شريعته من بعده وقد نقل الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكية اجماع المحققين على ان من شرط الكامل ان لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة أبدا بل يرى ان من الواجب عليه ان يحق الحق ويبطل الباطل ويعمل على الخروج من خلاف العلماء ما أمكن انتهى هذا اللفظ بحروفه ومن تأمله وفهمه عرف ان جميع المواضع التي فيها شطح في كتبه مدسوسة عليه لاسيما كتاب الفتوحات المكية فانه وضعه حال كماله بيقين وقد فرغ منه قبيل موته بنحو ثلاث سنين وبقرينة ما قاله في الفتوحات المكية في مواضع كثيرة من ان الشطح كله رعونة نفس لا يصدر قط من محقق وبقرينة قوله أيضا في مواضع من أراد أن لا يضل فلا يرم ميزان الشريعة من يده طرفة عين بل يستصحبها ليلا ونهارا عند كل قول وفعل واعتقاد انتهى وبالجملة فلا يحل مطالعة كتب التوحيد الخاص الا لعالم كامل أو من سلك طريق القوم وأما من لم يكن واحدا من هذين الرجلين فلا ينبغي له مطالعة شيء من ذلك خوفا عليه من ادخال الشبه التي لا يكاد الفطن أن يخرج منها فضلا عن غير الفطن ولكن من شأن النفس كثرة الفضول ومحبة الخوض فيما لا يعنيها وقد وضع بعض العلماء من السلف كتابا جمع فيه كثيرا من الكلمات التي ينطق بها العوام مما يؤدي الى الكفر وحذر فيه من النظر في جملة من الكتب نصيحة للمسلمين ۞ وقد حبب لي ان أذكر لك طرفا من ذلك هنا لتجتنب النطق به أو النظر فيه فأقول وبالله التوفيق مما يقع فيه كثير من الناس قولهم يا من يرانا ولا نراه وقولهم يا ساكن هذه القبة الخضراء وقولهم سبحان من كان العلا مكانه ونحو ذلك ومثل ذلك لا يجوز التلفظ به لما يورث من الايهام عند العوام وان الله تعالى في مكان خاص وان قال هذا القائل اردت

بقولي ولا نراه عدم رؤيتنا له في الدنيا قلنا له قد اطلقت القول والاطلاق في محل التفصيل خطأ وقد أجمع أهل السنة على منع كل اطلاق لم ترد به الشريعة سواء كان في حق الله تعالى أو في حق أنبيائه أو في حق دينه وكان الشيخ أبو الحسن الاشعري يقول ما أطلق الشرع في حقه تعالى أو في حق أنبيائه أو في حق دينه أطلقناه وما منع منعناه وما لم يرد فيه اذن ولا منع ألحقناه بالممنوع حتى يرد الاذن في اطلاقه انتهى وقال القاضي أبو بكر الباقلاني ما لم يرد لنا فيه اذن ولا منع نظرنا فيه فان أوهم ما يمتنع في حقه تعالى منعناه وان لم يوهم شيأ من ذلك رددناه الى البراءة الاصلية ولم نحكم فيه بمنع ولا اباحة انتهى فقد اتفق الامامان على منع كل اطلاق يوهم محظورا في حق الله تعالى وتبعهما العلماء على ذلك قاطبة وقد نقلوا فيه الاجماع فعلم من هذه القاعدة ان كل من كان لا يفرق بين ما يوهم اطلاقه محظورا وبين غيره فلا يجوز له ان يطلق في حق الله تعالى الا ما ورد به التوقيف والاذن الشرعي حذرا ان يقع فيما لا يجوز اطلاقه على الله تعالى فيأثم أو يكفر والعياذ بالله تعالى ومما يقعون فيه أيضا قولهم يا دليل الحائرين يا دليل من ليس له دليل يا دليل الدليل ونحو ذلك وكله لم يرد به شرع فلا ينبغي أن يقال وكذلك من الخطا قولهم يا من لا يوصف ولا يعرف فانه تعالى موصوف معروف من غير تكييف ومما يقعون فيه أيضا قولهم يا من هو في عرشه يرانا لايهامه الاستقرار وانما يقال يا من استوى على عرشه كما ينبغي لجلاله وقد اجمع أهل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفات كحديث ينزل ربنا الى سماء الدنيا وخالف في ذلك الكرامية المجسمة والحشوية المشبهة فمنعوا تأويلها وحملوها على الوجه المستحيل في حقه تعالى من التشبيه والتكييف حتى ان بعضهم كان على المنبر فنزل درجا منه وقال للناس ينزل ربكم عن كرسيه الى سماء الدنيا كنزولي عن منبري هذا وهذا جهل ليس فوقه جهل وكل هؤلاء محجوجون بالكتاب والسنة ودلائل العقول واذا تعددت وجوه الحمل لآيات الصفات وجب الاخذ بالوجه الراجح عند الشيخ أبي الحسن الاشعري لقوله تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار ولقوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وذهب سفيان الثوري والاوزاعي وغيرهما الى انه يطرح التشبيه والتكييف ويقف عند تعيين وجه من وجوه التأويل ومما يمتنع شرعا اطلاق بعضهم على الله تعالى الخمار والساقي وراهب الدير وصاحب الدير والقسيس وليلى ولبنى وسعدى وأسماء ودعد وهند والكنز الاكبر ونحو ذلك وكذلك لا يجوز اجماعا ارادة ذاته تعالى بقول بعضهم

أنا من أهوى ومن اهوى أنا ۞ نحن روحان حللنا بدنا

وقول بعضهم تمازجت الحقائق بالمعاني ۞ فصرنا واحدا روحا ومعنى

فكل هذا وأمثاله لا يجوز عند أهل السنة والجماعة وقد سألت سيدي عليا الخواص عن التغزلات التي في كلام القوم هل مرادهم بها الله تعالى فقال لا انما مرادهم بها الخلق ولكن يفهم الفاهم منها في حق الحق ما يبعثه عند سماعها على الحضور مع الحق قال لان أولياء الله تعالى اعرف الخلق بالله تعالى بعد الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجلون الحق تعالى عن أن يجعلوه محلا لتغزلاتهم فلذلك ضربوا الامثال بالمحبين والمحبوبين من قيس ولبنى وغيلان ونحو ذلك انتهى فليتأمل ومما يحرم سماعه من الشعر ما يخطر في نحو قول المتنبي

فى محمد بن زريق

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه * لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان بلج البحر مثل يمينه * ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه * عبدت فصار العالمون مجوسا

وقوله أيضا

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

فكل هذا وامثاله يفهم التهاون بمعجزات الانبياء فلا يجوز وأكثر ما يقع مثل ذلك فى شعر المعرى وأبى نواس بن هانئ فليتحفظ المؤمن من سماع ذلك ويزجر من يتكلم به فان الاجماع قد انعقد على أن سوى الانبياء من البشر لا يبلغون مقام الانبياء أبدا فكانت هذه الاشارات التى فى الشعر خطأ باجماع الامة * وكان سبب توبة أبى العتاهية عن الشعر انه أنشد مرة

الله بينى وبين مولاتى * أبدت لى الصد والملالات

فقيل له فى المنام أما وجدت من تجعل بينك وبين امرأة فى الحرام الا الله تعالى فاستيقظ وتاب فلم ينظم بعد ذلك بيتا الا فى الزهد والترغيب فى الطاعات وعما ينبغى اجتنابه قولهم فلان حجة الله فى أرضه على عباده فان ذلك خاص بمرتبة الرسل فلا يطلق على غيرهم اللهم الا أن يراد انه كآحاد العباد من حيث انهم كلهم حجة دالة على قدرة الله تعالى وعلم من باب أولى وجوب اجتناب الالفاظ التى لا تليق الا بالحق تبارك وتعالى كقول بعضهم فى كتب المراسلات الاعظم الاقرب الاعلى ونحو ذلك فان معانيها الغة حيث أطلقت خاصة بالحق تعالى فان قال قائلها اردت الخلق قلنا له قد تقدم ان الاطلاق فى محل التفصيل خطأ وقد أوهم كلامك الاطلاق والعموم فى الحق والخلق وذلك ممتنع وكذلك مما ينبغى اجتنابه قول بعضهم ما فى الوجود الا الله وقولهم ان الله فى قلوب العارفين وانما الصواب أن يقال ما فى الوجود فى الازل الا الله ومعرفة الله فى قلوب العارفين واليه الاشارة بحديث وسعنى قلب عبدى المؤمن أى وسع معرفتى من غير احاطة بى وكذلك مما ينبغى اجتنابه قولهم هذا زمان سوء ويراد أن الزمان هو الدهر وقد قال تعالى فى الحديث القدسى أنا الدهر فما أطلقه الحق تعالى على نفسه لا يجوز لاحد أن يصف به مخلوقا وفى الحديث لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وكذلك مما ينبغى اجتنابه قولهم ما يسمع الله من ساكت ويراد انه لا يعلم الاسرار وهذا الاطلاق لا يجوز لمضادته لنحو قوله تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى وقد قامت براهين العقول على أن الله تعالى يسمع كل موجود حتى حديث النفس فى النفس وكذلك مما ينبغى اجتنابه قول بعض الخطباء سبحان من لم يزل معبودا لانه عبد عند من لم يعلم كونه معبودا بالقوة أى أهلا لان يعبد لانه يوهم قدم العالم وذلك كفر وكذلك مما ينبغى اجتنابه قولهم يا قديم الازمان لان الرب لا يتقيد بالزمان فهو كلام باطل وكذلك مما ينبغى اجتنابه قول بعضهم كل ما يفعله الله خير لايهامه نفى وجود الشر فى العالم وأن كل ما يكسبه العبد من المعاصى خير وكذلك مما ينبغى اجتنابه قول بعضهم لامير الجيش مثلا لا تسافر حتى يطلع القمر مثلا فان ذلك مثل قول بعضهم مطرنا بنوء كذا على حد سواء وقد قال منجم مرة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تقابل أعداءك حتى يطلع لك القمر فقال له عمر وهو قرهم أيضا أى كما يكون لنا بطلوعه سعد كذلك يكون لهم لان طلوعه على الجيشين واحد وكذلك مما ينبغى

اجتنابه قول بعضهم اذا دخل على مريض الله يحمل عنك لانه لفظ موهم وانما الادب أن يقال الله يدفع عنك أو يصرف وكذلك مما ينبغى اجتنابه قول بعضهم فلان يطلع على الغيب لانه يوهم باطلا وانما الادب أن يقال فلان له فراسة صادقة أو كشف أو اطلاع فقط لئلا يزاحم الرسل فى مقام العلم والقطع فانه ليس للاولياء الا الظن الصادق فقط الذى هو فى اصطلاحهم عبارة عن الاعتقاد الصحيح الجازم المطابق للواقع نقط خلافا لبعضهم وهذا الظن هو الذى يسمونه الهاما وفتحا وكشفا وكذلك مما ينبغى اجتنابه قول بعضهم باعك الله وأقالك الله اذا سئل فى البيع او الاقالة لانه يوهم مذهب أهل الاتحاد وذلك كفر وكذلك يجب اجتناب تصغير شئ من شعائر الله تعالى كقوله مصيحف ومسيجد ولويح ونحو ذلك لانه كفر عند بعض العلماء وكذلك ينبغى اجتناب تسمية الكتب المؤلفة اسماء تضاهى القرآن والوحى فان ذلك غير جائز شرعا كقول بعضهم عن مؤلفه كتاب الاسراء والمعاريج أو مفاتح الغيب او الآيات البينات لايهامها مزاحمة النبى صلى الله عليه وسلم فى الاسراء أو العروج الى السماء أو مشاركة الحق تعالى فى علم الغيب (قال) الامام العلامة عمر بن محمد الاشبيلى الاشعرى رضى الله عنه فى كتابه المسمى بلحن العوام وليحذر من العمل بمواضع من كتاب الاحياء للغزالى ومن كتاب النفخ والتسوية له وغير ذلك من كتب الفقه فانها اما مدسوسة عليه أو وضعها أوائل أمره ثم رجع عنها كما ذكره فى كتابه المنقذ من الضلال وكذلك يحذر من مواضع فى كتاب قوت القلوب لابى طالب المكى نحو قوله الله تعالى قوت العالم ومن مواضع فى تفسير مكى ومن مواضع كثيرة فى كلام ابن ميسرة الحنبلى وقد صنف الناس فى الرد عليه وليحذر من مطالعة كلام منذر بن سعيد البلوطى فانه مخلوط بكلام أهل الاعتزال لما عاشرهم حين رحل الى بلاد المشرق ومن مطالعة كتب ابن برجان وكذلك مواضع فى تفسير الزمخشرى وبعضها كفر صراح وكذلك يحذر من مطالعة كتاب اخوان الصفاء وهو مشتمل على اثنين وخمسين رسالة وهو تأليف المجريطى (وقد) ذكروا أنه كان من الملحدين المجانبين لطريق الاسلام وكذلك يحذر من مطالعة كلام ابراهيم النظام وابن الراوندى ومعمر بن المثنى ومن مطالعة قصيدة عبد الكريم الجيلى التى رويها العين المضمومة ومن جملتها

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * وما أنت مقطوع ولا أنت قاطع

فانه لفظ لا يجوز اطلاقه على الله تعالى مطلقا ومن مطالعة كتاب خلع النعلين لابن قسى لعلو مراقيه عن الفهم وكذلك تائية سيدى محمد وفاء (وليحذر) كل الحذر من مطالعة كتب محمد ابن حزم الظاهرى الابعد التضلع من علوم الشريعة لاسيما ما فيها مما يتعلق بأصول الدين وقواعد العقائد والمعانى والحقائق لانه رحمه الله تعالى لم تكن له يد فى هذه العلوم وانما أخذها بالفهم فلم يحسن كلامه فيها وكذلك ينبغى أن يحذر من مطالعة كلام الحفيد بن رشد لان غالب كلامه فى المعتقد فاسد (وليحذر) أيضا من مطالعة كتب الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه لعلو مراقيها ولما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ لاسيما الفصوص والفتوحات المكية فقد أخبرنى الشيخ أبو طاهر عن شيخه عن الشيخ بدر الدين بن جماعة انه كان يقول بجميع ما فى كتب الشيخ محيى الدين من الامور المخالفة لكلام العلماء فهو مدسوس عليه وكذلك كان

بقول الشيخ مجد الدين صاحب القاموس فى اللغة (قال) وقد اختصرت الفتوحات المكية وحذفت منها كل ما يخالف ظاهر الشريعة فلما اخبرت بانهم دسوا فى كتب الشيخ ما يوهم الحلول والاتحاد وورد على الشيخ شمس الدين المدنى بنسخة الفتوحات التى قابلها على خط الشيخ بقونية فلم أجد فيها شيأ من ذلك الذى حذفته ففرحت بذلك غاية الفرح فالحمد لله على ذلك (وليحذر) أيضا من مطالعة كتب عبد الحق بن سبعين لما فيها مما يوهم الحلول والاتحاد والتشبيه وأقوال الملحدين ومنع بعضهم من سماع كلام سيدى عمر بن الفارض فى التائية والجمهور على جواز ذلك مع التأويل (فهذه) عدة نصائح وتحذيرات قد سبقت اليها فزنها بميزان الشرع فان لم تجد عنها بدا فاعمل يا أخى بها وعليك بمطالعة كتب الشريعة من حديث وتفسير وفقه والاقتداء بأئمة الدين من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ومقلديهم من الفقهاء والمتكلمين رضى الله عنهم أجمعين (واياك) والاجتماع بهؤلاء الجماعة الذين تظاهروا بطريق القوم فى النصف الثانى من القرن العاشر من غير احكام قواعد الشريعة فانهم ضلوا وأضلوا بمطالعتهم كتب توحيد القوم من غير معرفة مرادهم وقد دخل على منهم شخص وأنا مريض ولم يكن عندى أحد من الناس فقلت له من تكون قال أنا الله فقلت له كذبت فقال أنا محمد رسول الله فقلت له كذبت فقال أنا الشيطان وأنا اليهودى فقلت له صدقت فوالله لو كان عندى أحد يشهد عليه لرفعته الى العلماء فضربوا عنقه بالشرع الشريف فالحمد لله الذى عافانا واخواننا من مثل ذلك فالله تعالى يوفق الاخوان ويتولاهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تنفيذ غضبى فيمن غضبت عليه عند القدرة فان من كمال اخلاق المؤمن اخلافه الوعيد تخلقا بصورة اخلاقه صلى الله عليه وسلم وقد قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه اللهم الا أن يكون هناك حد مشروع فمثل ذلك لا ينبغى اخلافه على أن الايعاد بايقاع الحد انما هو صورة وعيد فقط والا فهو فى الحقيقة انما هو وعد لما فيه من التطهير فتأمل يا أخى فى هذا الحديث فانه أمرنا فيه بخلف الوعيد وجعله خيرا وهذه دقيقة ينبغى التفطن لها وهى أن كل من آذى علينا فقد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون اليه فيها حتى انه لو كشف عن أحدنا الغطاء هنا لرأى أنه لم يعطه أحد شيأ ولم يحسن اليه بمثل اساءته عليه أبدا ومن كان هذا مشهده فمن اللائق به ان يجازيه كذلك بالاحسان والفضل فضلا عن الصفح عنه أو الحرمان قال تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضى الله عنه بل أحب أن يغفر الله لى ورد على مسطح نفقته لاجل شفاعة الله تعالى فى مسطح عنده فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) حفظ الادب مع أشياخى وأصحابى فلا أمدحهم الا بحضرة من يعتقدهم ولا أبالغ فى تعظيمهم كل ذلك التعظيم بحيث يبقى عند الناس حزازة وانكار على أو على مشايخى ويتكدر من ذلك بعض أقرانهم ولذلك كنت أقول فى بعض الاوقات وقع لى كذا من بعض فقراء العصر ولا أعينه اذا كان هناك أحد من أقرانه الذين يصفونه بغير ما

وصفت رجحته به وبهم (وهذا) الامر يقع فى كثير من مريدى مشايخ هذا العصر فيبالغون فى تعظيم شيخهم حتى تسخر الناس بهم وقد وقع لبعض المغفلين أنه جهز بنته فاحتاج الى طراحة ولحاف وليس معه مال فأتى التاجر بكيس فيه من شعر رأس شيخه رهنا على الثمن فسخر به التاجر وقال لو أتيتنى بأردب من شعر شيخك ما أخذته بجديد فمكث أهل السوق يضحكون على ذلك مدة ويسخرون به مدة طويلة فينبغى للشيخ أن يزجر جماعته اذا رآهم يبالغون فى تعظيمه والاخرف عليه النفى والاخراج من مملكة السلطان بحكم القانون وقد بالغ الشيعة فى تعظيم الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأحرقهم بالنار فصاروا يصيحون فى النار الآن تحققنا أنك اله لانه لا يحرق بالنار الا الله فقال الامام اللهم اشهد أنى زجرتهم جهدى فاياك يا أخى من مسامحة أصحابك فى المبالغة فى تعظيمك فان فى ذلك مفاسد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اهتمام نفسى بعمارة شئ من الدنيا من بيت أو مركب أو بستان ونحو ذلك وقد توقف البناء والنجار لماعمر واقاعتى ومركبى عن البداءة حتى احضر فلم افعل كل ذلك هوانا بامر الدنيا وربما كان ذلك اليوم يوم عيد عند أبناء الدنيا (وقد) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وقال مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وكانت درجة من سلم غرفته تزلزلت حتى زهقت به فانفكت رجله ومكث لا يمشى نحو شهر فقالوا له ألا نصلحها فقال لا ومات وهى كذلك وأيضا فان نفوس الفقراء أشرف من نفوس الملوك وما رأينا قط أحدا من صالحى أكابر الملوك أو الامراء اعتنى بحضوره ابتداء عمارة له بل يكل مثل ذلك الى غلمانه الا لمصلحة أخرى كاظهار القدرة على تحمل أعباء المرتبة أو تنشيط أتباعه فافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اهتمامى بشئ من ملابس الدنيا فلا أذهب قط الى سوق الجوخ أو الصوف أو البعلبك وأجلس فى دكان لاجل ذلك وكذلك لا أراعى قط الذهاب الى السوق فى مثل يوم الاثنين والخميس مثلا بقصد وقوع قطعة رخيصة بل أرسل وكيلى الى السوق أى وقت كان وأعزم عليه أن لا يأتينى بالقماش قط ليعرضه على بل أقول له كل شئ انشرح صدرك له فاشتره لى فان رجوع الوكيل من السوق ثانيا للشاور فى أثقل على من وزن ثمن ذلك مرة وبأمن ثقل المنة على لاسيما ان كان ماشيا لاسيما فى الحر (وقد) رأيت شخصا من المعتقدين فى مصر كلما أراد أن يشترى له جوخة أو صوفا يجلس فى المدرسة الغورية ويصير الدلالون يعرضون عليه القماش وهو يرده فلا يعجبه منه شئ وربما رجع آخر النهار بلا اشتراء ثم يأتى السوق الثانى وما هكذا كان السلف الصالح الذين أدركناهم فان قال قائل انما يعرضون على الشيخ القماش ويرده لانه دائر على ما يعلم أن الله تعالى قسمه له قلنا للقائل لو كان هذا معه علم سابق بما قسمه الله له لارسل للتاجر فطلبه منه من أول مرة وأراح الدلال أو الغلام من التعب وفى كلام القوم الفقير لباسه ما وجد وقالوا اذا رأيتم الفقير فى زيه لبق فاعلموا أنه عن الاستقامة زلق (وفى) الحديث ان الله تعالى يحب المؤمن المتبذل أى الذى لا يبالى بما لبس وفى كلام السيد عيسى عليه الصلاة والسلام والله ان لبس المسوح وسف الرماد والنوم على المزابل لكثير على من يموت (وكانت)

ثياب الشعبي رحمه الله تعالى لونها لون التراب وكانوا اذا قالوا له ان ثوبك قد اتسخ يقول ليت قلبي في القلوب كثوبي في الثياب فافهم يا أخي ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) تعففي عن المبادرة الى اجابة من دعاني واخواني الى التفرج في بستانه أيام الفواكه أو الى الزيارة عنده في أيام النيل ونحو ذلك لاسيما ان كان عازما على أنه يتكلف لنا الطعام مدة تفرجنا أو زيارتنا عنده ولا يمكننا أن نفعل شيأ من ذلك معه وربما اجتمع مع الفقير جماعة لا يتورعون بل يأكلون ما يجدونه ولو بسيف الحياء أو يقطعون ثمر الفواكه أيام المشمش أو العنب قبل استوائه وربما طبخوا في البستان الحامض بحصرم البستان من غير طيبة نفس صاحبه وربما كان العازم عليهم في البستان شريكا لاقوام لا تطيب نفوسهم بذلك أو لا يتصور منهم اذن لصغرهم او سفههم مثلا وربما علم الجماعة الذين يذهبون مع الفقير عدم طيب نفس صاحب البستان بكثرة أكلهم من الفوكه أيام نضجها وكمالها وابسوا على أنفسهم وصاروا يمدحونه بخلاف ما في نفوسهم ويقولون ما رأينا أطيب نفسا من فلان ولا اكثر محبة لسيدي الشيخ والفقراء منه وقلبهم يشهد بخلاف ذلك (وهذا) الامر يقع فيه كثير من الفقراء في هذا الزمان فربما دعاهم انسان الى التنزه في بستانه تجملا أو بطالبهم فيأذن لهم حياء منهم فيذهب سيدي الشيخ معه بمن هب ودب من الناس فيحصل لصاحب البستان ذلك اليوم غاية الأذى (وربما) كان سبب دعائهم الى ذلك البستان قول جماعة الشيخ لصاحب البستان بحضرة الناس الذين يستحي منهم بلفظ المباسطة أي وقت تأخذ الفقراء الى بستانك يتنزهون فيه فلا يسعه الآن يقول أي وقت طلبتم فيه ولون يوم كذا وربما قال الفقراء لصاحب البستان قد حصل لبستانك الخير في هذه السنة الذي دخله سيدي الشيخ فيقال صاحب البستان بقلبه ما بقي فيه هذه السنة بركة فليحذر من يقال له سيدي الشيخ من وقوعه في مثل ذلك فان كان ولابد له من الاجابة بطريقه الشرعي فليكافئ صاحب البستان ولو باعطائه عمامته في نظير كلفته في الطعام والفاكهة التي أكلوها ثم يسألونه براءة الذمة فيما لعلهم أكلوه زائدا على ما بذلوه على العادة الشرعية وقد وقع لبعض مشايخ العصر أنه ذهب هو وجماعته من غير دعوة الى بستان صاحبي سيدي شرف الدين بن الامير فصار بواب البستان يسمع صوت ذلك الشيخ وجماعته فلا يأذن لهم ولا يفتح فحصل للشيخ وجماعته غاية الخجل ثم ان جماعة من الاروام جاؤا فدقوا الباب دقا مزعجا وخوفوا البواب ففتح لهم فدخلوا كلهم وقطعوا ثمر البستان وطبخوا من الحصرم بغير اذن سيدي شرف الدين بن الامير وطبخوا بحطبه بغير اذن فحصل له بهم غاية الاذى (وقد) سألته حتى يجعل الشيخ فيه انه يبرئ ذمة الشيخ وجماعته في الحصرم الذي طبخوا به والنعناع والبقل والكراث الذي أكلوه فلم يرض وأخر الامر الى يوم القيامة ولعمري هذا من الشيخ خروج عن الشريعة وعن هدي السلف الصالح وكان الواجب على هذا الشيخ أن يتعفف عن مثل ذلك وينزه خرقة الفقراء عن مثل ذلك (وقد) قالوا من شرط الفقير أن يكون خفيف المؤنة على الناس يلحق بلاحق اللاحق لاسيما في هذه الايام ولا ينبغي له ان يذهب الى بستان احد أو زيارته ايام النيل الابعد دخلة عظيمة عليه بحيث يظهر له صدق محبة الداعي في ذلك فافهم ذلك واعمل عليه والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حيائي من الله عز وجل اذا مشيت وحدي في طريق ولعله مراد الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله لو تعلمون من الوحدة ما اعلم ما سافر احدكم وحده انتهى ومن شرط الفقير أن يكون مراقبا لله عز وجل على الدوام الا في اوقات يتفضل الله تعالى بها عليه لكون البشر يعجز عن مراقبة الله تعالى مع الانفاس بخلاف الملائكة (وكان) سيدي ابراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول ينبغي للفقير ان يلازم المراقبة لله تعالى اذا سافر ويستشعر نظر الحق تعالى اليه حتى يرجع الى مقصده وذلك ليحفظه الله تعالى من الآفات التي تطرق غالب المسافرين فان العبد مادام يستحضر أن الله تعالى ينظر اليه وأنه بين يديه لا يسطو عليه انس ولا جن ولا شيطان وتأمل يا أخي نفسك اذا وقفت وحدك بين يدي سلطان كيف تعمل الهيبة بخلاف ما اذا كنت من جملة الناس فان الهيبة تخف عليك لاستئناسك بالناس (وفي) بعض طرق حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زج به جبريل في النور ووقف بين يدي الله تعالى وعمته الهيبة سمع صوتا يشبه صوت أبي بكر يقول يا محمد قف ان ربك يصلي فسكن روعه بذلك (وفي) الحديث الوارد في شأن استحباب الجماعة في السفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب انتهى (ومن) فوائد الثلاثة فأكثر انه اذا مرض واحد منهم تخلف واحد عنده يمرضه ويخدمه وواحد يبلغ خبره الى اهله وواحد يخدم الدواب بخلاف الواحد والاثنين فتأمل يا اخي ما احكم ارشاده صلى الله عليه وسلم لامته وما اكثر شفقته عليهم واقتد به في ذلك ٭ وتقدم في هذه المنن ان مما انعم الله تبارك وتعالى به علي عدم خوفي من السير في السفر ليلا وهو لا ينافي ما ذكرناه هنا الان ذلك من حيث عدم خوفي من اللصوص أن يأخذوا ثيابي وما معي من الامتعة الخاصة بي دون الخاصة بغيري وهذا من حيث حيائي من الله تعالى فهذا مشهد وذاك مشهد انتهى فاعلم ذلك وافهمه واعمل عليه ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي لتردد أصحابي على كثيرا لاسيما ان كان سبب اكثارهم من التردد مراعاة خاطري فيترك احدهم مهماته ويقول نذهب الى زيارة سيدي الشيخ ليحصل لنا بركته (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لنا لولا أني أخاف من فلان أن يتكلف ويأتي اذا قلت لكم انه اوحشنا كثيرا لقلت ذلك انتهى فينبغي للفقير ان لا يستجلب اخوانه الى التردد اليه ابدا لاسيما ان كان من عادتهم ان لا يأتوا الا بهدية ولا يقبلون عليها مكافأة فان ذلك يتعين على الفقير (وقد) قلت مرة لبعض اخواني ان صاحبنا بهاء الدين النقلي بباب زويلة اوحشنا كثيرا فراح شخص وبلغه فاصبح عندي بقوطة فاكهة وبدن صوف فمن ذلك اليوم ما قلت لاحد اوحشنا فلان (وكان) أخي الشيخ افضل الدين رحمه الله يقول ربما أشتاق الى رؤية بعض الاخوان فلا أذكر ذلك لاحد خوفا ان يبلغهم فيأتي احدهم متهورا بغير نية صالحة وربما كان وراء أحدهم ضرورات من أمور معيشته فيتركها ويأتي لزيارتي (وكان) رضي الله تعالى عنه يكره لفقراء عصره أن يحجروا على أصحابهم أن لا يغيب احدهم عن مجلسهم أو وردهم بعد صلاة الجمعة مثلا لاسيما ارباب الحرف فانهم يداوون نفوسهم بالتنزه والخروج الى مواضع المفترجات يوم الجمعة ليدخلوا يوم السبت لحرفتهم من غير ملل ولا سآمة وليس لسيدي

الشيخ حرفة يشتغل بها أيام الاسبوع بل يأكل من جوائزه أو صدقاته ورزقه أو من هدايا أصحابه وربما كان ليس عليه كرامات ولا حانوت ولا مغارم للظلمة فليراع الشيخ مصلحة جماعته ان طلب ملازمتهم لاوراده والاكثر وأمنه قهراعليهم وقد سئل سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه عن رجل يحترف مايقوم بنفسه وعياله ولو ذهب لصلاة الجماعة لتعطل عن ذلك فقال يحترف ما يقوم بنفسه وبعياله ويصلي وحده انتهى (وفى) القرآن العظيم فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض أى للقيام بالاسباب وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اى اذكروا الله تعالى حال انتشاركم فى الارض للقيام بالاسباب التى يعود عليكم نفعها (فان قال قائل) الانتشار فى الارض فى الآية مباح لامأمور به على مصطلح الاصوليين (قلنا) قد قال العلماء انه اذا قصد بفعل المباح غرضا صحيحا صار مستحبا كأن ينوى بالنوم فى النهار التقوى على العبادة فى الليل او بالاكل التقوى على فعل المستحبات ونحو ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما شرع الحق تعالى المباح تنفيسا للعباد من مشقات التكاليف لعجزهم عن دوام التحجير عليهم فى فعل المأمورات فجعل لهم حالة لايكونون فيها تحت أمر يتقيدون فيها ويؤيد ماقاله العلماء آنفا حديث انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى ففتح لامته باب حيازة ثواب الاعمال التى لم يقسم لهم مباشرتها فكل عمل ارادوا ثوابه نووا فعله فقد يحصل لهم ثوابه من غير مباشرته كما ورد فيمن عزم على قيام الليل فأخذ الله بروحه الى الصباح فان الله يكتب له اجر قيام تلك الليلة كاملا موفرا سالما من المناقشة فيه ولو أنه قام وباشر الفعل لربما نوقش فى ذلك من حيث عدم الاخلاص فخفف جزما يا أخى على اخوانك بعدم التحجير والله يتولى هداك ويدبرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظ زوجاتى من حضور الاعراس التى لا ينضبط أصحابها على القوانين الشرعية بل يخالطونها بعدة محرمات كضرب الآلات والمحبظين الذين يحكون الحكايات المسخريات مع اختلاط الرجال بالنساء ومع عدم التورع من كل من الفريقين عن الوقوع فيما لاينبغى وهذا الامر قد كثر وقوعه فى الاعراس والموالد وبعضهم يختم ليلته بعد قراءة القرآن بضرب العود مع الغناء (وربما) قال بعض الزواق اصاحب الوليمة يكفينا قرآنا وأسمعونا شيئا من الغناء والآلات وابسطونا (وربما) قال بعضهم أبطلوا القرآن وأسمعونا مايبسطنا ونحو ذلك من الالفاظ التى قد يكفر بها قائلها وماهكذا كانت ولائم السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم ولذلك شرط العلماء المتأخرون شروطا لوجوب حضور وليمة العرس منها ان لايخص الاغنياء بالدعوة من نساء ورجال ومنها أن لايكون هنالك من يتأذى به المدعو أولا يليق به مجالسته أى ولاشئ من المنكرات التى لاتزول بحضوره كما هو مبسوط فى كتب الفقه فاياك ياأخى ان تبادر الى ارسال عيالك الى عرس بقصد جبر خاطر الداعى حتى تعلم سلامته من مثل هذه الامور واياك أن تقول عيالى من الدينات الخيرات التى لايسرق طبعهن من محبة الغناء وسماع الآلات فانه ربما أخطأ ظنك فيهن والطبع سراق فربما سرق طبعهن وصرن يملن الى سماع الآلات والغناء فيتلف باطنهن ويفسد حالهن فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى للشرفاء وأهل البيت ولو من قبل الام فقط ولو كانوا

على

على غير قدم الاستقامة لانهم بيقين يحبون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله ورسوله لايجوز بغضه ولاسبه بقرينة أنه صلى الله عليه وسلم كان يحد نعيمان كلما شرب الخمر وأتوا به اليه مرة فحده فصار بعض الناس يلعنه فقال صلى الله عليه وسلم لاتلعنوا نعيمان فانه يحب الله ورسوله فعلم انه لايلزم من اقامتنا الحدود على الشرفاء اننا نبغضهم بل اقامتنا الحد عليهم انما هو محبة فيهم وتطهيرا لهم وقد قال صلى الله عليه وسلم وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وقال فى ماعز لما رجمه لقد تاب توبة لو قسمت على اهل الارض لوسعتهم اى قبلت منهم وأحبهم الله تعالى كما قال تعالى ان الله يحب التوابين (وقال) الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى الذى اقول به أن ذنوب أهل البيت انما هى ذنوب فى الصورة لافى الحقيقة لان الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ولارجس أرجس من الذنوب (قال) وجميع مايقع منهم من الاذى لنا يجب علينا فى الادب معهم ان نجعله شبيها بالمقادير الالهية من الامراض ونحوها فيجب علينا الرضا به أو الصبر عليه وان اخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لاينبغى لنا حبس احد منهم ولا رفعه الى حاكم لانه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وفى) الحديث الصحيح عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله فى أهل بيتى قالها ثلاثا وفسر زيد رضى الله تعالى عنه أهل بيته بآل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى وهؤلاء هم الاشراف حقيقة عند سائر الامصار وتخصيص الشرف بآل على فقط اصطلاح لاهل مصر خاصة انتهى (وكان) الامام أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول ارقبوا محمدا فى أهل بيته وكان يقول والذى نفسى بيده لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب الى من قرابتى وأتى عبد الله بن الحسن بن الحسين مرة الى عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة فارسل الى احضر او اكتب لى ورقة فانى استحى من الله أن يراك على بابى وصلى زيد بن ثابت على جنازة فلما ركب اخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل مع اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ودخلت) بنت اسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز يوما فاجلسها فى مجلسه وجلس هو بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها هذا فعله رضى الله تعالى عنه مع بنت مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظنك به مع اولاده وذريته (وبلغ) معاوية رضى الله تعالى عنه أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا دخل عليه كابس يقوم عن سريره ويتلقاه ويقبله بين عينيه (وكان) الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لو كان لى مدخل فى العصبة مع قتلة الحسين بن على وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقع بصره على فى الجنة (ولما) ضرب جعفر بن سليمان الامام مالكا رضى الله تعالى عنه غشى على مالك فدخل عليه الناس فلما افاق قال لهم اشهدكم انى قد جعلت ضاربى فى حل فقيل لم فقال خفت ان اموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحى ان يدخل احد من آله النار بسببى فلما تولى المنصور طلب ان يقتص له منه فقال الامام مالك رضى الله عنه اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله صلى الله

عليه وسلم (وكان) أبو بكر بن عياش رضى الله عنهما يقول لو أتانى ابو بكر وعمر وعلى فى حاجة لبدأت
بحاجة على لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن أخر من السماء الى الارض احب الى من
أن أقدمه عليهما فى الفضل وكان أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يزوران أم ايمن مولاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها (ولما) قدمت حليمة
مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر وعمر بسطا لها ثوبيهما وفى رواية أرديتهما
(وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من حق الشريف علينا أن نفديه
بأرواحنا لسريان لحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودمه الكريمين فيه فهو بضعة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وللبعض فى الاجلال والتعظيم والتوقير ما للكل وحرمة جزئه صلى الله عليه
وسلم بعد موته صلى الله عليه وسلم كحرمة جزئه حيا على حد سواء (قال) بعض العلماء ومن حقوق
الشرفاء علينا وان بعدوا فى النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم
ولا نجلس فوق سرير وهم على الارض انتهى (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله
تعالى عنه اذا جلس اليه شريف يظهر الخشوع له والانكماش بين يديه ويقول انه بضعة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان) يقول من آذى شريفا فقد آذى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان يقول يتأكد على كل صاحب مال اذا رأى شريفا عليه دين أن يفديه بماله لانه جزء من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لا ينبغى لمن يؤمن بالله ويحب رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يتوقف عن تعظيم الشريف والاحسان اليه حتى يعرف صحة نسبه بل يكفيه تظاهر
الشريف بالشرف وذلك اوجه للمؤمن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انا عظمناه
ووقرناه من غير توقف على صحة النسب (وكان) الامام مالك رضى الله تعالى عنه يقول من ادعى
الشرف كاذبا يضرب ضربا وجيعا ثم يشهر ويحبس طويلا حتى يظهر لنا توبته لان ذلك استخفاف
منه بحقه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان يعظم من طعن فى نسبه ويقول لعله شريف فى نفس
الامر قال بعض العلماء ولا ينبغى تعظيم الشريف اذا تعاطى المحرمات وخالفه معظم العلماء
وقالوا تعظيم الشريف مطلوب مع الاثم فيه ولو زنى وعمل عمل قوم لوط وشرب الخمر وسحر وأكل
الربى وسرق وكذب وأكل أموال اليتامى وقذف المحصنات وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير
ما اكتسبوا لاسيما ان كانت هذه الامور لم تثبت عنه على يد حاكم شرعى وانما اشاعها عنه بعض
الحسدة كما هو الغالب فى الناس اليوم فقل من يثبت عنه شئ مما يوجب الحد لاستتار بعض
هذه المعاصى عن الناس بفعلها فى بيوتهم وهى مغلقة عليهم (قلت) ولم أر من تخلق من أقرانى
بهذا الخلق الا قليلا بل رأيت بعضهم يستخدم الشريف المستور ويحمله غاشية سرجه وسجادته
ويمشيه خلف بغلته وهذا من أدل دليل على شدة جهله بالادب مع الله ورسوله فكيف يدعى
التقرب من حضرة الله وأنه يدعو الناس اليها فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد تقدم
ان اقامة الحدود على الشرفاء لا تنافى تعظيمهم وتوقيرهم فنعظمهم من حيث كونهم من ذرية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقيم عليهم الحد الذى شرعه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم
يخص به أحدا دون أحد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها والله اعلم (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اصطنعوا الايدى

مع الاشراف لمكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانووا بذلك الهدية والمودة للقربى دون
الزكاة فان لهم فى أعناقنا عبودية لا يمكننا أن نقوم ببعضها زيادة على ما لجدهم صلى الله عليه
وسلم من الحق علينا انتهى (وقد) تقدم فى هذه المنن أن من الادب أن لا يتزوج أحدنا شريفة
الا ان عرف من نفسه انه يكون تحت حكمها واشارتها ويقدم لها نعلها ويقوم لها اذا وردت
عليه ولا يتزوج عليها ولا يقتر عليها فى المعيشة الا ان اختارت ذلك ولا ينظر اليها اذا كانت
أجنبية وهى فى الازار ولا ينظر الى وجهها اذا ابتاعت منه شيأ ولا ينظر الى رجلها اذا كان
بائع الخفاف ولا تسأله شيأ ويمنعه عنها الا بطريق شرعى فى جميع الامور السابقة واللاحقة
ونحوها ولا يمر عليها وهى جالسة على الطرقات تسأل شيأ يقدر عليه فلا يعطيها ونحو ذلك فاعلم
يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين
(ومما من الله تبارك وتعالى به على) زيارتى كل قليل لاهل البيت الذين دفنوا فى مصر كلهم
أو رؤسهم فقط فأزورهم فى السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
أر أحدا من أقرانى يعتنى بذلك اما لجهله بمقامهم واما لدعواه عدم ثبوت كونهم دفنوا فى مصر
وهذا جمود فان الظن يكفينا فى مثل ذلك (وقد) أخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى
ان السيده زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الامام على رضى الله عنه وكرم وجهه فى هذا
المكان بلا شك (وكان) رضى الله تعالى عنه يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشى حافيا حتى يجاوز
مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها الى الله تعالى فى ان يغفر له (واخبرنى) ان السيدة
نفيسة رضى الله تعالى عنها فى هذا المكان الذى هى فيه بلا شك وأنها كلمته من ضريحها
مرات وأخبرنى ان رأس زين العابدين رضى الله عنه ورأس زيد بن الحسين فى القبة التى بين
الاثل قريبا من مجراة القلعة (وأخبرنى) عن الامام الحسن والد السيدة نفيسه أنه فى التربة
المشهورة قريبا من جامع القراء بين مجراة القلعة وجامع عمرو (وأخبرنى) ان رقية بنت الامام
على فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت
(وأخبرنى) ان الامام محمد الانور عم السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع ابن
طولون مما يلى دار الخليفة فى الزاوية التى هناك ينزل اليها بدرج وأن السيدة سكينة بنت
الحسين رضى الله تعالى عنها فى الزاوية التى عند الدرب قريبا من دار الخليفة عند الجمالين
(وأن) السيدة عائشة ابنت جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الذى له المنارة
القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة الى باب القرافة (وأخبرنى) ان رأس
السيد ابراهيم ابن الامام زيد رضى الله عنهما فى المسجد الخارج من ناحية المطرية مما يلى
الخانقاه وهو الذى قاتل معه الامام مالك رضى الله عنه واختفى من أجله كذا وكذا سنة
(وأخبرنى) أن رأس الامام الحسين رضى الله تعالى عنه حقيقة فى المشهد الحسينى قريبا من خان
الخليلى (وان) طلائع بن رزيك نائب مصر وضعها فى القبر المعروف بالمشهد فى كيس من حرير
أخضر على كرسى من خشب الابنوس وفرش تحته المسك والطيب وأنه مشى معها هو وعسكره
حفاة من ناحية قطية الى مصر لما جاءت من بلاد العجم فى قصة طويلة فهؤلاء هم الذين بلغنا أنهم
فى مصر من أهل البيت وصححه أهل الكشف (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى

عنه يختم زيارة أهل البيت بالامام الشافعي رضى الله تعالى عنه فعليك يا أخى بزيارة قرابة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وقدمهم على زيارة كل ولى فى مصر عكس ما عليه العامة فلا نكاد ترى أحدا منهم يعتنى بزيارة أحد ممن ذكرنا أبدا ويعتنى بزيارة بعض المجاذيب وينام فى موالدهم وهذا كله من جملة الجهل فاحذره ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مرضى لمرض السلطان واهتمامى به اذا كان فى هم من جهاد أو قتال بغاة أو روافض فلا آكل الا ضرورة ولا أنام الا عن غلبة ولا أضحك الا لامر مشروع ولا أجامع ولا ألبس ثوبا نظيفا الا بنية صالحة وذلك لارتباطى بامامى اتباعا للشرع فى ذلك فعلم أن من خالف ماذكرناه فهو ناقص الايمان قليل الادب مع السلطان فافهم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة اهتمامى بالامير الذى يعتقد فى أحد من أصحابى ويحسن اليه اذا اصابته مصيبة فى ماله أو ولده أو عزل من ولايته وفاء بحق صاحبى وقليل من الفقراء من يهتم بمثل ذلك بل رأيت بعضهم شمت بذلك وفرح بخلافى أنا فانى بحمد الله تبارك وتعالى لا ازال متوجها الى الله تعالى فى جبر مصيبة ذلك الامير مساعدة لصاحبى وصيانة لحرفة الفقراء وتقوية لاعتقاده فيه ولا أقول كما قال غيرى من أكل الغفارة يرد الغارة ولما أشاع الناس عزل الامير محمد بن عمر صرت متوجها الى الله تعالى ليلا ونهارا فى عدم عزله لكونه مستندا الى صاحبنا الشيخ زين ابن بنت سيدى على المرصفى نفع الله به مع كون هذا الامير لم يهد الى قط شيأ ولا جاءنى وليس عنده فى جانبى اعتقاد وأصل صحة توجهى فى قضاء حاجة الامير الذى يحسن لغيرى ويعتقده دونى كونى لا أصحب أميرا قط لامر دنيوى ولو انى صحبته لمثل ذلك وزاحمنى أحد فيه لم أقدر على توجيه قلبى فى قضاء حاجته أبدا فان أردت يا أخى العمل بهذا الخلق بسهولة فاصحب الامير لله تعالى لا لعلة (وكان) محمد بن بغداد يظهر الاستناد الى وأنا لا أصدقه على ذلك فلما حبس فى البرج شمتت غالب أرباب الزوايا فيه لكونه مستندا الى فى الظاهر وبعضهم صار يقول ان شنقوه طبخت للفقراء حلواء ولعل ذلك لظنهم انى أقبل منه هدية أو آكل له طعاما وهذا أمر لم يقع لى معه قط الى ان مات حماية من الله تبارك وتعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم شهودى أنى وفيت بحق الله تعالى فى عمل من الاعمال أو حق أحد من خلقه لا من حيث الكمية ولا من حيث صفاء المعاملة ولو انه كشف للعبد لرأى الدنيا كلها مملوءة من حقوق الله وحقوق عباده وانه مطالب بوفاء ذلك كله وحينئذ يمتلئ قلبه خوفا وحذرا وفرارا من الاقامة فى الدنيا لانه اذا كان يعجز عن الاخلاص فى تأدية بعض ما فيها من الحقوق فكيف لا يعجز عن تأدية جميع حقوقها ومن تحقق بهذا المشهد فعيشه دائما منغص لا يتهنا بعيشة على انه ما ثم لنا حق خالص للآدمى أبد الابد أن يكون مخلوطا بحق الله تعالى فمن طلب براءة الذمة من عبد فانما ذلك لجهله من حيث تمييز حق الله تعالى من حق العبد فتامل (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول حكم الخلق فى هذه الدار حكم ناس جالسين فى الحر والقر فى خرابة وفى تلك الخرابة سائر المؤذيات من سباع وتماسيح وحيات وعقارب

وكلاب عقورة وقد أمروا بمجاهدة هذه المؤذيات ليلا ونهارا ومتى تركوا مجاهدتها عصوا ربهم ولا يتهنؤن مع ذلك بأكل ولا شرب ولا نوم فدعاهم الملك جل وعلا على لسان شخص من رسله وقال لهم اخرجوا من هذه الخرابة الى حضرة ربكم فى ظل ظليل وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة وتملوا برؤية ذلك الجمال البديع واستريحوا من جهاد هذه المؤذيات ومن عصيان ربكم فى هذه الخرابة فلم يجب من هؤلاء الخلائق الا القليل وتركوا حضرة ربهم عز وجل فهل مع هؤلاء من عقل فقلت له لا فقال هذا حكم أبناء الدنيا المحبين للاقامة فيها ولله المثل الاعلى انتهى فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم الجدال مع من حكم عليه الطبع وحب الرياسة فان الجدال مع مثل هذا لا فائدة فيه بل هو الى الضرر أقرب وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لم يخرج ابليس من الجنة الا جداله وعدم تسليمه لمن فضله الله عليه (وكان) يقول اذا جادلكم مجادل بغير حق فتصدقوا عليه بالسكوت فانه يخمد هيجان نفسه اذ العلوم المستعارة محلها النفس كما ان العلوم الالهية محلها القلب فاحمدوا الله تعالى واشكروه واعذروا المجادل فانه كالمجاهد فى سبيل الله عند نفسه ويرى وقوعه فى الاثم ان ترك جدالكم وان كان جداله بباطل فعاودوه المرة بعد المرة فلعله يرجع لكم ولا تطلبوا منه أن يرجع لكم قهرا من غير ظهور أن الحق معكم فان ذلك لا يكون لاسيما غالب المجادلين الذين يرون أنهم اعلم ممن يجادلونه فلا يرونه الا بعين الحقارة وقد جاءنى بعض الحنفية يطلب ان يتلمذ لى وألقنه الذكر فرأيت عنده رعونة نفس وكبرا فلم أجبه الى ذلك فاقسم على فلم أجبه وكيف يتلمذ لى وهو يرى نفسه اعلم منى ففارقنى وأخذ عن بعض مشايخ العصر من العلماء العاملين ثم انه فارقه وقال هذا رجل عامى فصح ظنى فيه وعرفت أنه كان يفعل معى مثل ما فعل مع ذلك الشيخ فليكن الفقير المجادل للفقيه على حذر (وسمعت) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من علامة كون علم العبد موضوعا فى نفسه أن يورثه الكبر وكثرة المجادلة ورؤية نفسه على غيره من أقرانه ومن علامة كونه موضوعا فى قلبه أو روحه أن يورثه هضم النفس وكثرة التواضع وقلة الجدال فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حث كل من يجتمع بى من الاخوان على الاشتغال بالحرف والصنائع وعلى دوام اقامتهم فيها ان كانوا من أهل الحرف قبل اجتماعهم بى وهذا الخلق قليل من يتنبه له من متصوفة الزمان بل يزينون لمن يجتمع بهم ترك الاشتغال بالحرفة والاشتغال بأحزابهم وأورادهم ثم هم بعد ذلك على قسمين اما ان الشيخ يصير يطعمهم من الصدقات والاوساخ فيتلف بواطنهم وأما أن يصيروا يسألون الناس وبعضهم يأمر المريد أن يخلى دكانه ويعرض عن الدنيا فينفقه ثم يطلب دكانا يخلوه فلا يجده فبعد أن كان يطعم الناس صار الناس يطعمونه وبعد أن كان يعطى السائلين صار هو يسأل الناس وقد وقع لبعض اخواننا انه أخلى دكانه وترك البيع والشراء وصار يذكر الله تعالى ويأكل من هدايا الظلمة والعمال وغيرهم فقال له سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يا أخى النصح من الايمان وانك لم تخلق شيخا فارجع الى دكانك واشتغل بذكر الله تعالى مع الحرفة فلم يسمع أبدا فكشف الله تبارك وتعالى

حال ذلك الفقير بعد شهور وما بقيت نفسه بعد المشيخة تسكبس لعمل الحرفة فكان كمن تولى مشيخة الاسلام ثم عزل فما بقى يعمل نائبا ولا شاهدا * وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول حكم الفقير الذى لا حرفة له حكم البومة الساكنة فى الخراب ليس فيها نفع لاحد ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة لم يأمر أحدا من أصحابه بترك الحرفة التى بيده بل أقرهم على حرفهم وأمرهم بالنصح فيها * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول الكامل هو من يسلك الناس وهم فى حرفهم لانه ما ثم سبب مشروع الا وهو مقرب للعبد من حضرة الله عز وجل وانما يبعد الناس من الحضرة الالهية عدم اصلاح نيتهم فى ذلك الامر سواء العلم والعمل وسائر الحرف المشروعة * وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول انما يستلذ بالبطالة وتعطيل السبب من فسد حاله وقلت مروءته فاثر الدعة والراحة وتحمل لهذا الخلق وانتظرهم أن ينفقوا عليه كالنساء ولو كان عنده هذا بعض مروءة لقدم مرارة السبب والمشقة على حلاوة التلذذ بالمأكل والمشرب والملبس من صدقات الناس انتهى (وكان) يقول استغناؤكم بالشئ أحسن من ادعائكم الكمال فى الطريق وأنتم محتاجون الى الناس فان الحاجة الى الناس تنافى ادعاء الكمال * وكان يقول لا تتركوا الاسباب لما تجدونه من قوة اليقين فان ذلك لا يدوم وربما عاقبكم الله بسبب اليقين وقد مدح الله تعالى قوما قاموا فى الاسباب ولم تشغلهم أسبابهم عن ذكر الله عز وجل بقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية فان قيل ان غالب مشايخ العصر لا حرفة بيدهم فكيف كمالهم فالجواب انهم لما اشتغلوا بالله عز وجل كل الاشتغال رزقهم من حيث لا يحتسبون مما لا منة عليهم به فى الدنيا ولا حساب عليهم به فى العقبى فأين أنت منهم يا بطال فكلامنا مع المريدين لا مع العارفين فافهم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم شهودى الكمال فى مقام اسلامى أو ايمانى أو احسانى فان من شرط المسلم الكامل أن يسلم المسلمون من لسانه ويده ومن شرط المؤمن الكامل ان يكون الغائب عنده فيما توعده الله به أو وعده كالحاضر على حد سواء ومن شرط المحسن ان يعبد الله كأنه يراه على الدوام لا فى وقت دون وقت وأنى لمثلى أن يكون بهذه الصفة وقد سألت مرة فقيرا لم تأخذ عن فلان وذكرت له واحدا من مشايخ هذا الزمان فأبى فقلت له لاى شئ فقال لان شرط المسلم أن يسلم المسلمون من لسانه ويده وهذا لم يسلم أولاد شيخه من لسانه ويده فكيف بغيرهم واذا كان هذا لم يحصل الكمال فى أول المراتب فكيف يدعى دخول حضرة الله تعالى انتهى * وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول الدين الشرعى ثلاثة أمور اسلام وايمان واحسان فالاسلام عمل والايمان علم وعمل والاحسان علم وعمل وتسليم فلا يكون عنده رائحة اعتراض بقلبه على شئ من مقدورات الحق تعالى من حيث الحكمة الالهية فليفتش من يدعى مقاما من هذه الثلاثة نفسه ولا يتكدر اذا نسبه احد الى النقص وهو لم يوف بالمقام وقد رأى بعض الفقراء منا ما قصه على سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وقال يا سيدى خفت أن أكون قليل الدين فقال له الشيخ خفف على نفسك يا أخى أين كامل الدين اليوم انتهى * وكان الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول والله لو حلف

حالف ان اعمال الحسن اعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى من ادعاء مقام لم ابلغه كما مر تقريره فى مقدمة الكتاب وهذا الخلق قليل من يحفظ منه فان النفس من شأنها حب الرياسة والعلو والغالب عليها ان تدعى المقامات التى لم تبلغها * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تبادروا الى دعوى مقام لم تبلغوه فتقعوا فى الكذب والرياء والنفاق وحرمان ذلك المقام بعد ذلك قال وانظر الى النبات لما عدم روح التصريف والحركة الحيوانية وطلب التشبه بالحيوان حين قام على ساقه طالبا للانفصال عن رتبته كيف عوقب بالحصاد والدوس بحوافر البهائم الى أن صار كالتراب تحت الاقدام فساوى صعوده هبوطه فهكذا تكون سياط القدرة على اهل الدعاوى والغرور انتهى (وقد) يرد على شان النبات ارادات طردا وعكسا غير أنا سطرناه اعتبارا بعبارة هذا الاستاذ رضى الله تعالى عنه ولاحتمال أن يكون عنده ما يجاب به عما يرد فاعمل يا أخى على تصحيح ايمانك يوم القيامة وما يقع للناس فيه حتى لا تدعى الا ما تعلم أنه يكون لك يوم القيامة والافمن لازمك الدعوى للمقامات العالية فى هذه الدار طلبا للجاه فيها وليس لك من الجاه فى الآخرة من نصيب فاياك يا أخى ثم اياك من الدعاوى الكاذبة (وقد) جاءنى شخص من فقراء هذا الزمان يطلب منى ان اربيه فتفرست فيه النفس ففارقنى وتجلس بمجلس الفقراء ولبس الصوف وصار يقول لا اعلم الآن فى دوائر الفقراء أوسع من دائرتنا وصار يقول للعوام الذين يجتمعون به ان كنتم تجتمعون بى فلا تجتمعوا على غيرى فما مضى عليه الا بعض أيام ثم ابتلاه الله تعالى بافعال تكذب دعواه فنفر أصحابه منه ولم يصر احد منهم يعتقده فما أسرع ما طلب الطريق وما أسرع ما عمل شيخا يرى نفسه أكمل من جميع فقراء مصر فأسأل الله ان يرد عاقبته الى خير آمين وفى كلام الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه من طلب الرياسة قبل حينها فرت منه انتهى فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) تفويضى الى الله تعالى أمر تربية أولادى واخوانى ونظرى الى وزن الافعال البارزة على يديهم بالكتاب والسنة فما كان من محمود قلت لهم اشكروا الله وما كان من مذموم قلت لهم استغفروا الله ولا أقاوم الاقدار الالهية فيهم وأطلب أنهم يوافقونى على كل امر اردته منهم فان ذلك من التعب الذى لا فائدة فيه وقد خالف قوم هذا الامر فلم يفوضوا أمر أولادهم واخوانهم الى الله تعالى كما ذكرنا فكان عاقبة أمرهم الندم وفرار الاولاد والاخوان عنهم اذا التحجير على العبد بما لم يصرح الشارع صلى الله عليه وسلم بالتحجير عليه به لا يطاق وقد رأيت شخصا من أهل العلم حجر على أولاده كل التحجير فى ترك الكلام اللغو وفى ترك مجالسة الناس وفى ترك التنزه فى وقت من الاوقات حتى صار يتبع الواحد منهم الى الخلاء فاذا طول الولد فى الجلوس لقضاء الحاجة يقول له كنت اختصرت وعملت موضع جلوسك فى الخلاء حفظ مسئلتين فى العلم وما زال على التحجير عليهم حتى فى المأكل والملبس حتى سرق بعضهم ماله وعزم على اطعامه السم وبعضهم اطعم والده السم حتى وقعت اطراف اصابعه وكمن له فى الظلام بخنجر يريد قتله فلولا أن الجارية حذرت

الولد واخبرت الوالد بذلك لربما قتل والده تنفيساله من مشقة التحجير عليه كما ان بعضهم شنق نفسه حين توعده بعقوبة فلوانه هذا الوالد كان فوض أمره الى الله تعالى فى ولده وعامله بالسياسة الشرعية او العقلية لما كان وقع له شئ مما ذكرناه * وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول سياسة الناس أشد من سياسة الدواب وكان يقول أنفق على ولدك وزوجتك وخادمك بقدر الكفاية ولا تحجر عليهم كل التحجير فينفروا منك واياك أن تعطيهم فوق الكفاية فيستغنوا عنك ويخرجوا من يدك لان طاعتهم لك تكون بقدر حاجتهم اليك انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أحسنوا أدب أولادكم وبغضوهم فى الدنيا وزينتها جهدكم ولا تعطوهم الفلوس بايديهم لينفقوا منها على أنفسهم الشهوات تتلفوا حالهم قال تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فمن الادب أن يتعاطى الوالد الانفاق على الولد بنفسه من غير أن يعطيه الفلوس فى يده قبل أن يبلغ رشده فان للدنيا حلاوة فيشب على حلاوة الدنيا حتى يصير يشح على والده منها بفلس انتهى وكان رضى الله عنه يقول اياكم أن تسترضوا أولادكم اذا غضبوا بلين الكلام وخفض الجناح فان ذلك يتلف حالهم ويهون عليهم مخالفتكم فى المستقبل وذكروهم بخطيآتهم وما أعد الله لهم من العقاب عليها واياكم أن تسبوهم أو تشتموهم بألفاظ قبيحة فان ذلك يجريهم على النطق بمثلها مع اخوانهم بل معكم ولا تكثروا ضربهم ولا تشددوا عليهم بالحبس فى الدار وفى المكتب مثلا وكثرة القراءة فان ذلك يميت نفوسهم عن الاسباب ويولد عندهم الجبن والبخل والكسل عن الطاعات وداووهم احيانا واحيانا واستعملوا لهم الدعاء والنية الصالحة وكلوا أمرهم الى الله تعالى يكفكم ما يهمكم من جهتهم انتهى وقد قالوا اذا كبر ولدك فعامله معاملة الاخ وقد رأيت انا من أعطى ولده جميع ماله قبل امتحانه له فقال له يا والدى أنا خائف من اخوتى أن ينازعونى فى هذا المال ويطلبوا منى النفقة التى أريد أن أنفقها عليك وعلى عيالك ومقصودى كتابة براءة بينى وبينك حتى لا يصح لاحد من اخوتى دعوى نزاع ففعل الوالد له ذلك فادعى المال كله له ولم يعط والده منه درهما وقد وقع مثل ذلك لسيدى محمد البرماوى مع بعض ولده ولبعض العلماء مع ولده ولبعض مشايخ الصوفية مع ولده فاياك يا أخى من مثل ذلك بل رأيت ما هو اعظم من ذلك وهو ان ولدا اشتكى والده من بيت الوالى وبيت قاضى العسكر والباشا وقال ان والدى يضرب الزغل فلولا لطف الله بوالده لقتله الولاة (ورأيت) بعضهم حجر على ولده كل التحجير فبينما هو بجاه بيت الوالى اذ مسك الولد طوق والده وقال يا مسلمين هذا الشيخ ارادنى شرا وهو يطلب منى الفاحشة فجاءه الاجاعة من سوقهما أخبروا الوالى بأنه والده حين ضربه ضربا مبرحا وغرم مالا جزيلا هذا رأيته بعينى فاعرف زمانك يا أخى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى الكمال فى صاحبى والنقص فى نفسى ولذلك كنت أكره العزلة عن الناس الا لغرض شرعى آخر كأن أخشى أن يحصل لهم منى شئ يتضررون به لانه لا يخلوا اما ان أكون متعلما او معلما له وكلا الحالين لا ينبغى لصاحبها العزلة لئلا يفوته مصالح الدارين (وقد كان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول من طلب

العزلة والخلوة فى هذا الزمان لشهوده أنه ما ثم أحد يصلح لمجالسته فقد عرض نفسه لفقر الدارين مع سوء ما يتعاطاه من قبيح القصد وسوء الظن بالناس الذين اعتزل عنهم (قال) وانما كانت الخلوة مطلوبة أيام الفترات حين فقد الشرائع فكان الحكيم من أهل ذلك الزمان يعتزل الناس طلبا لتصفية نفسه من الكدورات النفسانية ليحصل له ادنى نور يمشى عليه ويعبر عن ذلك بالقانون اما مع وجود الشرائع كما فى زماننا هذا فلا فائدة للخلوة الا لمعنى مطلوب شرعا أما من اختلى لتنتج له الخلوة أمرا ينقدح له به سبيلا يهتدى به خلاف ما فهمه العلماء العاملون من الكتاب والسنة فما أطول تعبه ويا خيبة خلوته ولو اختلى الف عام لا يقدر على ان يجيء لنا بحديث واحد مثل ما فى البخارى ومسلم وغيرهما فما أجهل عبدا استضاء بنور مصباح فى نور الشمس الوضاح فان الله تعالى ما ترك شيأ يقرب اليه حتى ذكره فى كتابه وأوضحه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم انتهى (قلت) وهذا الذى ذكره الشيخ لا يسوغ الا فى حق الاشياخ أما المريدون فقد أجمع أشياخ الطريق على ان العزلة والخلوة واجبة فى حقهم وليس قصد الاشياخ بذلك أن يأتوا بشرع جديد اذا صفت سرائرهم وانما مرادهم أن يأتوا بالمشروعات على وصف الكمال من الخشوع والحضور هذا ما ظهر لى انتهى والله يتولى هداك ويرشدك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم الركون والميل الى شئ من أحوالى دون الله تعالى فلا أحب علما ولا أحدا من الخلق الا من حيث أمر الله تعالى لى بذلك (وقد كان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول أكثر ما يخاف على المؤمن ميل نفسه الى اعماله الصالحة على وجه اعتقاد الاخلاص فيها ولو كشفا وذوقا (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تفرحوا بما تعطونه من الاحوال والكرامات والعلوم والمعارف حتى ينكشف لكم الغطاء عن هذه الامور هل هى بطريق الاستحقاق لكم أو بطريق الوعد وحسن الظن فقط فان العطايا التى هى بطريق الوعد لا ينبغى لعاقل أن يفرح بها الا ان كانت قطعية وما معكم شئ الا بطريق الوعد وحسن الظن فقط وتأملوا فى مدح الله تعالى لبعض الجماد وذمه لبعض الناس تعرفوا انه لم يعط أحدا من الامة الجزم بما يؤل اليه أمره فان ذلك لا يكون الا بنص صحيح فى ذلك وأنى لامثالنا ذلك قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ومن هنا بكى السلف الصالح الدم فضلا عن الدموع وما رأوا انهم أدوا حق العبودية (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لم يخرج أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة بمجرد وقوعه فى الاكل من الشجرة وانما ذلك لما ضم الى الاكل من اتكاله على علم الاسماء وظنه أنه لا يدخل ذلك محو ولا اثبات فكان تحجير الحق تعالى عليه فى نهيه عن الاكل من الشجرة فى مقابلة تقييده هو على الحق بعلم نفسه كما ان أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام كان فى مقابلة طلبهم أن لا يجعل فى الارض خليفة قال وفى ذلك كفاية فى التنفير عن الاعتراض على شئ من أفعال الحق تبارك وتعالى الا ان ورد بذلك نص لقصور العبد عن ادراك حقائق العواقب انتهى فليتأمل فانه كلام قد يحتاج الى تعقب وتحرير والحمد لله

رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان الله تبارك وتعالى أرحم بنفسى منى حتى ان ذلك صار مقررا عندى أشهده ببادئ الرأى لا احتاج فيه الى تفكر وقل من يقع له مثل ذلك ولذلك لم يقع منى قط قنوط من رحمة الله تعالى فى وقت من الاوقات حتى أحتاج الى مداواة ذلك بالرجاء كما يقع فيه كثير من الناس وقد قالوا لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وما ثم للعبد جانب يجزم بانتهاء أمره اليه مع الحق تعالى أبدا * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لنا كثيرا لا يغرنكم شهود محبة الله تعالى لكم وشهود كمالكم وصفاء حالكم معه تعالى فان حكمكم فى ذلك كحكم اللبن الحسن اللون والطعم ومع ذلك فيحتاج الى الانفحة الخبيثة المنظر والرائحة لشدة افتقاره اليها المتنبته وتصبره على مصائب الزمان وتقلب الحدثان ففى لمح البصر يبدل الله تعالى العبد وحشة بعد الانس وبعدا بعد القرب وسوء ظن بعد حسن الظن حتى يكاد العبد يتفتت كبده ولو أنه راض نفسه حتى صارت ترى ان الله تعالى أرحم بها من والديها ومن نفسها لخف تكدره وقهره اذا وقع له ما يخالف هواه انتهى فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كونى لا آكل ولا ألبس الا مما أشتريه من مالى دون أخذ شئ من ذلك بالدين ولو جعت وعريت لا آكل ولا ألبس بالدين وأرى صبرى على العرى والجوع أولى من صبر الناس على وهذا من أكبر نعم الله تعالى على وقد رأيت فقيرا من أولاد الاشياخ ارسل نفسه فى ميدان الشهوات فلم يجد معه ما يشترى به شهواته فصار يستدين حتى صار عليه مال عظيم فاجتمع عليه أرباب الديون وارادوا حبسه فقام المعتقدون على أصحاب الديون وقالوا كيف تحبسون ولد سيدى الشيخ فلم يصل الى أصحاب الديون شئ من ديونهم الى وقتنا هذا نسأل الله العافية (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم واجابة نفوسكم الى شهواتها مع ضيق مكاسبكم واياكم أن تحاسبوا عيالكم على ما يحتاجون اليه مما لا بد منه فمن حاسبهم على ما أخرجه عليهم حاسبه الله على عمله فى ذلك اليوم وأظهر له تقصيره فى الخدمة ومن سامح عياله سامحه الله فى العمل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فأصلحوا نيتكم فى الانفاق على عيالكم فمن صلحت نيته لا يكشف الله تعالى له حالا أبدا اه فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم الاكباب على معاشرة الناس وعدم انقباضى عنهم بالكلية فلا أكثر من التردد الى بيوتهم اذا تركوا زيارتى ولا أنقطع عن زيارتهم أصلا ويحتاج فاعل ذلك الى ميزان دقيق يعرف به من يصلح للقرب منه ومن لا يصلح وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول الانبساط الى الناس مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول قد قلت آداب غالب أهل هذا الزمان وساءت أخلاقهم فالمرء متحير بين أن يسالمهم فيخونهم فيأثم وبين أن يناصحهم فلا يقبلوا منه فلا يسلم وقد كان غالب الناس فى السنين الخالية يشمئزون من النصح فما ظنك بهم الآن فالله تعالى يلطف بنا وبهم آمين اللهم آمين وقد أنشد الوالد

رحمه الله تعالى

الناس داء دفين لا دواء له * العقل قد حار فيهم فهو منذهل
ان كنت منبسطا سميت مسخرة * أو كنت منقبضا قالوا به ثقل
وان تخالطهم قالوا به طمع * وان تجانبهم قالوا به ملل
وان تهور يلقوه بمنقصة * وان تزهد قالوا زهده حيل

الى آخر ما قاله رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة آمين (وكان) من دعاء داود عليه الصلاة والسلام اللهم انى أعوذ بك من خليل ماكر عينه ترعانى وقلبه يشنانى ان رأى خيرا أخفاه وان رأى شرا أفشاه اه فاجعل يا أخى سداك ولحمتك الاحتمال للناس وعدم مقابلتهم بالاذى ووطن نفسك على ذلك ما عشت ولا تطلب أن يكونوا معك على ما تختاره فان ذلك لا يصح لك وكل أفعالهم الى الله تعالى لا اليهم فان كلفتهم ان يكونوا معك على ما تحب فقط فقد كلفتهم بالمحال (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا ابتلى أحدكم بصحبة من لا بد له من صحبته فسالموه تارة وناصحوه أخرى وادعوا له تارة وتجنبوه أخرى واسألوا الله تعالى فى الخلاص منه تارة فما زال الناس كذلك اه وتأمل أنت نفسك تجد نفسك تفعل معك ما تكره فى الدنيا والآخرة مع ان نفسك أقرب الاقربين اليك وكم تقع أنت فى فعل وتندم عليه فالعاقل من عذر غيره بما يعذر هو به نفسه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة صبرى على كتمان سرى وعدم افشائه ولو لأعز أصدقائى لعدم العصمة وقد ينقلب الصديق عدوا فيفشى سرى ويؤذينى أشد الاذى وقد كان سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه يقول والله ما أنا آمن من صديقى فكيف آمن من عدوى وقد سئل سيدى على الخواص رحمه الله تعالى عن أحزم الناس رأيا فقال من يقدر على كتمان سره ولم يقابل من آذاه ولم يحرم من حرمه ولم يقطع من قطعه واعتمد على فضل ربه دون عمله واستحى من لقاء الله اه فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم كثرة امتحانى لاصحابى خوفا أن يظهر لى عيبهم ولم يكلف الله عبدا بالتجسس على عيوب الناس وانما أمره بالستر اذا اطلع عليها ثم ينبغى له أن يضرب له الامثال لعله يتذكر ولا يوهمه انه اطلع على عيبه ابدا فيخجل (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اذا اطلعت على عيب أحد من بنى اسرائيل فاستح من اطلاعك فانى أستحى من عبدى أن أكون فى قلبه حال عصيانه لئلا يشهدنى فيخجل منى ولذلك ضربت الحجاب بينى وبينه حتى يفرغ من تلك المعصية اه (وسمعته) أيضا يقول اياكم أن تمتحنوا اخوانكم فان الله تعالى لا يمتحن عباده غالبا الا بما يسهل عليهم الوفاء به لئلا يخجلهم بين يديه باظهار ما كان كامنا عندهم قال ومن تأمل حاله من أمثالنا وجد نفسه كله عيوبا ضم بعضها الى بعض فصارت صورة تشبه صورة الآدمى مع ان شرف ابن آدم انما هو بالصورة فقط اصالة وأما شرفه بالصفات فانما هو مرتبة ثانية ميزت بين الشقى والسعيد وقد قيل لكسرى ألا تمتحن أصحابك فقال اذن تخرج كناء وبا (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين

رحمه الله تعالى يقول ان كنا اخيارا من جهة فنحن اشرار من جهات عديدة (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يكره تقبيل اليد من الفقراء ويقول انما ذلك لارباب المناصب من أهل الدنيا وأما الفقير فمن شأنه على الدوام شهود عيوبه الكامنة من غيره المتجددة فيه مادام الحدثان (وكان) يقول ان كان ولا بد لكم من الامتحان فامتحنوا نفوسكم فى دعاويها الكاذبة فان لكم فى ذلك اشتغالا عما ليس هو بأهم منه اه كلامه فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك ويديرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تنفيرى للاخوان من أن يرسلوا الى طعاما من بيوتهم أو هدية من غير استدعاء منى واعلامهم ان فى ارسالهم شيأ الى اذا أرادوا استقبالى لما يرسلونه وأطعمتهم أو خالفتهم مفاسد كثيرة منها أن قلبى يخرب بأكل طعامهم فلا يصح لى بعد ذلك توجه الى الله تعالى فى قضاء حوائجهم لان مقامهم فى الكسب قد لا يخلو من غش او محاباة أو بيع على أحد من الظلمة واعوانهم ونحو ذلك فاذا أكلت من طعامهم صرت فى التوجه الى الله تعالى كاحدهم فى غلظ الحجاب فضرونى وضروا أنفسهم ومنها انه ربما يترتب على مخالفتى لما أراده بعضهم نفرة خاطره منى فلا ينقاد لنصحى له بعد ذلك ومنها انى اذا قبلت من أحدهم احسانا من طعام أو كسوة يصير عنده ادلال على فلا يخاف من مخالفتى بعد ذلك فيما أنصحه وأشير به عليه فيقل نفع الصحبة بينى وبينه ومنها ان من أكل من قصعة رجل وهو غير معصوم ذل له واذا ذل له فقد فتح باب عدم المبالغة فى نصحه وكثرة مسامحته فى فعل ما يراه يضره فى دينه قهرا عليه فاياكم أيها الاخوان أن تتشوشوا من الفقير اذا رد عليكم هديتكم دون هدية غيركم فان ذلك انما هو مصلحة لكم لاسيما ان كان صادقا فى محبتكم فان الصادق لا يصحب أحدا الا لمصلحة ذلك الاحد بالاصالة لا لمصلحة نفسه هو وأيضا فمن مقام الفقير ان يحكم على أصحابه لا ان أصحابه يحكمون عليه فهم تحت اشارته وأمره وليس هو تحت اشارتهم وأمرهم وكثيرا ما أداوى صاحب ذلك اللباس أو الطعام اذا كان قليل الاعتقاد لقرب عهده بالصحبة فالبس جبته أو آكل طعامه بحضرته تأليفا له ثم أعطى الجبة بعد ذلك لاحد واتقيأ الطعام بعد ذلك فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة مسامحتى لاخوانى فيما يتعلق بالاخلال بالادب معى وعدم مسامحتهم فى ذلك فى حق غيرى بل ربما أهجر الواحد على قلة أدبه مع الغير أياما ثم ان لم ينزجر أحدهم عن مثل ذلك تركتهم ولم أعاتبهم على ذلك لان العتب يسقط حرمة العاتب ويقطع وده من القلب وانما كنت أسامح الاخوان فى حق نفسى لانى واياهم عبيد لسيد واحد فى رتبة واحدة والبشر من أمثالنا لا يخلو عن الخطا فى أقواله وأفعاله لانه الاصل فيه اذ هو تحت مجارى الاقدار ليلا ونهارا فمن أراد أن أحدا لا يخل بواجب حقه فليسال ربه أن يترك خلق ذلك فيه أو يطالب هو نفسه بالاستقامة مع الله تعالى فى أقواله وأفعاله فاذا صح له ذلك فحينئذ له أن يطالب الاخوان الصالحين بالوفاء بحقه لسهولته حينئذ عليهم وقد كان عطاء السلمى رضى الله تعالى عنه اذا خالفه عبده فى فعل يقول له ما أشبه فعلك معى بفعل مولاك مع ربه عز وجل اه فافهم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اغترارى برؤيا صالحة رأيتها لنفسى أو رؤيت لى مع ان سبب الرؤيا الصالحة قد يكون انما هو ضعف ايمان من رؤيت له فيأتى بها الله تعالى تقوية ليقينه وايمانه فان الكامل يعرف كمال حاله أو نقصه من شهود اعماله الظاهرة فلا يحتاج الى رؤيا ترى له من المرائى الحسنة أو السيئة وقد كان السلف الصالح مع شدة اجتهادهم فى العبادة ليلا ونهارا كلهم على قدم الخوف وشهود النقص فلا يركنون قط لمنام بل وقع ان بعضهم قال لمالك بن دينار رضى الله تعالى عنه قد رأيتك الليلة وأنت تخطر فى الجنة فقال له مالك أما وجد الشيطان أحدا يسخر به غيرى وغيرك اه (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تغتروا بالرؤيا الصالحة فانها من حكم الوقت مع صحة المزاج وأصل وقوعها كذلك مصادفة لقمة حلال مع حسن اعتقاد فى النفس قال ولذلك كانت مرائى العارفين لانفسهم كلها مهولة يقشعر البدن منها بخلاف مرائى المريدين فان العارفين ينامون على شهود تقصيرهم وسوء معاملتهم مع الله تعالى والمريدين ينامون على شهود كمالهم وحسن معاملتهم فلذلك كان كل منهم يرى ما يناسب حاله مع الله تعالى ولا شك ان الركون الى الرؤيا الصالحة يوقف العبد عن شدة الاجتهاد عكس الرؤيا السيئة فكان اعتناء الحق تبارك وتعالى بالعارفين اكمل من اعتنائه بالمريدين (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اياكم والركون الى ما منحكم الحق تعالى من خزائن جوده من علم أو حال فان ذلك يورثكم الادلال على الحق تعالى فيقطع عنكم المزيد اذ المزيد انما هو لمن يشهد نفسه مقصرا عاصيا ولو كان الركون الى عطايا الحق تعالى محمودا لكان العارفون أحق بالادلال من حيث ان عطايا المريدين لا تجىء عشر معشار ما أعطاه الله تعالى للعارفين ومع ذلك فهم على قدم الخوف كلما ازدادوا عملا ازدادوا خوفا وذلك لشهودهم ما فى أعمالهم من النقص فلا يكادون يشهدون لهم عملا سلم من نقص فكانهم كلما كثرت طاعاتهم كثرت معاصيهم بالاختلال فيها وكثرة العصيان موجب للخوف اه فافهم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى لمحاسن العامة من المحترفين وتفضيلهم على نفسى كشفا ويقينا لا ظنا وتخمينا لاسيما ان نصحوا فى حرفهم وأدوا فرونهم (وكان) على هذا القدم سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه كان يقول المؤمن المحترف أكمل عندى من المجاذيب ومن مشايخ الزوايا الذين يأكلون بدينهم وليس بيدهم حرفة دنيوية تعفهم عن صدقات الناس وأوساخهم (وأخبرنى) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى انه سمع سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول قد أكرم الله تعالى المؤمن المحترف بسبعة أمور قل ان تقع لفقير الاول انه يأكل من كسب يمينه ويطعم الناس منه غنيهم وفقيرهم ظالمهم ومحسنهم عالمهم وجاهلهم الثانى حمايته من أكل صدقات الناس وأوساخهم حتى من الاوقاف الثالث شهوده جهل نفسه وتذكره لسوء فعله وخوفه من قبيح معاصيه من غير وقوع فى تأويل يخفف عنه الندم أو نظر الى كونها صغيرة تكفر بالصلوات الخمس بل لم تزل زلته مشهودة لا يرى انه فعل شيأ يكفرها الرابع شهوده حقارة نفسه على الدوام وانه أدنى الناس منزلة عند الله ولو أجلسوه فى صدر مجلس فى وليمة ونحوها كاد أن يذوب من الخجل عكس ما يقع لاصحاب

الانفس الغوية الخامس كثرة تعظيمه للعلماء والصالحين وعدم اقامته الميزان العقلى على جميع ما يظهر منهم بل لا يكاد يرى لهم عيبا كل ذلك لحسن ظنه بالمسلمين السادس انه يأتى بعباداته بهمة وخشوع وذلة وانكسار وكثرة تضرع وابتهال رافعا يديه الى السماء حتى يرى سواد ابطيه لا يدخل فى عبادته وسوسة ولا شك كما يقع لغيره السابع سلامته من الشبه العقلية والتحكيمات الهوائية والاعتقادات الفلسفية والحجج الوهمية بل ايمانه ايمان الفطرة وعمله بكلام العلماء محض تقليد على وجه التعظيم لا يطرقه قط شبهة تضعف قول من قلده اه فاياك يا أخى اذا تفقهت ان ترى نفسك على أحد من العوام الا بطريق شرعى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اقامة العذر باطنا للاخوان اذا أخرجوا اخلاقهم الرديئة على بعضهم بعضا لا سيما ان كان أحدهم لا قدم له فى علم ولا أدب ولذلك كنت لا أبادر لعتاب أحد منهم اذا خرج فى سوء الخلق عن الحد لانه ربما كان ذلك منه مقابلة لما فعله معه خصمه اذ لا يقدر على مقابلة خصمه بالاحسان دون الاساءة الا من كان يعلم ان الله يراه حال خصامه وذلك خاص بأهل الكمال من الاولياء وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول الحياء وان كان خيرا كله فقد يحتاج المحجوبون الى تركه دفعا الامر آخر هو أشد قبحا وذلك لغلبة الحياء الطبيعى على غالب الناس (ومن) هنا قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ينبغى للعالم أن يكون عنده سفيه يسافه عنه السفهاء حماية للعالم من الوقوع فيما لا ينبغى فان صغيرته كبيرة والناس ناظرون الى فعله ليقتدوا به فيه اه لكن هنا دقيقة ينبغى التفطن لها وهو أن سبب سفه السفيه على العالم قلة سياسة العالم فلو كملت سياسته لم يقع له سفه من أحد وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اعذروا اخوانكم فى عدم صبرهم على ما يحصل لهم من الاذى فى هذا الزمان فان الاحوال قد فسدت ومراسم الاشياء قد تغيرت وتبدلت واكتفى غالب الناس بالاقوال عن الاعمال وعم البلاء كل شئ وظهر من الناس اخلاق الذئاب تارة واخلاق الثعالب تارة واخلاق الكلاب تارة واخلاق الخنازير تارة واخلاق الاسد تارة واخلاق البهائم تارة واخلاق الشياطين تارة واخلاق الفسقة تارة واخلاق الظلمة تارة فلا يكاد العبد يرى منهم اخلاق كمل المؤمنين أو الصالحين الا فى النادر فبمن يقتدى المحجوب والحكم للاغلب قال ومن أنصف من العقلاء وجد اخلاق من ذكرنا من الحيوانات تتوالى عليه ليلا ونهارا وعذر الناس بما يعذر به نفسه اه (وكان) سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول والله لقد شاهدت فى نفسى سائر أخلاق البهائم والفجرة والشياطين قبل أن أشهد بعض ذلك فى غيرى فمن طلب من الناس فى هذا الزمان المشى على سنن الاستقامة فقد رام المحال ما لم تحفه العناية الربانية (وكان) يقول اياكم أن تزنوا أعمال اخوانكم بميزان أعمالهم فى اليوم الماضى فان ذلك لا يصح لكم فكيف اذا وزنتموهم بميزان الصحابة والتابعين فحسبكم واخوانكم فى هذا الزمان التوحيد وسلامة القلب من الشك والنفاق وان تأتوا بصور العبادات بحسب ما تطيقونه من النيات اقامة لشعار الدين وقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اه كلامه رحمه الله تعالى فافهم يا أخى ذلك واعمل

على التخلق به والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اعطائى الحكمة غير اهلها ولذلك كثر ردى لمن جاء يطلب الطريق لعدم صدقه وحبست عن اخوانى علوما واسرارا لم أفصح لاحد منهم عنها وهى ذاهبة معى الى القبر وكثيرا ما كنت أسمع سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا اكرمكم الحق تعالى عليكم بعلم أو حال فتكرموا به على من رأيتموه صادقا فى همته كامل الخلق فى نشأته فانه أزكى لزرعكم واياكم أن تتكرموا به على من رأيتموه كان بالضد من ذلك فتبذروا بذركم فى أرض سبخة فلا تنمو بل كل شئ بذرتموه فيها أحرقته (قال) ومن علامة كون المريد أرضه سبخة أن يتفرس الشيخ فيه انه يريد بصحبته انه يصير من أصحاب الاحوال أو الكشف ونحو ذلك وان كان ولا بد زراعا فى أرضه فليطيبها أولا من الغلث والشوك ومن كل شئ غير القرب من حضرة الله تعالى ثم يبذر فيها بعد ذلك اه (وكان) يقول من علامة طيب أرض المريد ان يكون ذليل النفس منكس الرأس يفرح بكل شئ يذل نفسه ويكسها بين الناس مما لا يسخط الله لا يطلب له مقاما ولا حالا فمثل هذا فازرعوا له فى أرضه فان رأس ماله محفوظ وكان يقول من علامة المريد الصادق ان يشكر الله تعالى على كل شئ منعه من الكشوفات والمعارف خوفا أن يشتغل بذلك المقام او الحال عن ربه عز وجل فان للمقام لذة تشغله عن مراعاة ما كلف به من الاعمال والاقبال على الله فى كل نفس (وكان) يقول من علامات الصادقين مع الله تعالى ان يزدادوا بالسلب تمكينا لانهم مع الله بما أحب لا مع نفوسهم بما تحب اه وايضاح ذلك ان العبد الصادق كلما جرده الله تعالى عن النسب كلما تمكن فى مقام العبودية وقرب من حضرة الله تعالى وكلما كثرت اضافة الامور اليه كلما بعد من حضرة الله تعالى فالعبد الصادق من لا ملك له لشئ فى الدارين انما يأكل ويلبس من مال سيده ويسكن فى داره على حكم العبيد مع أسيادهم فعلم بحمد الله انه ليس ردى لمن جاء يطلب الطريق وارساله الى غيرى بجهلى بالطريق وانما ذلك لعدم صدقه الصدق النسبى فاصدق يا أخى وتعال ترشد فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مشاورتى للنساء فى فعل أمر أو تركه ولو لام أولادى لان محبة الزوجين لبعضهما بعضا فى الغالب محبة طبع وشهوة وما ثم أميل للنساء من الرجال وعكسه لافتقار كل منهما للآخر شهوة وحالا وطبعا اما عدم العمل باشارة الزوجة فلنقصها لا سيما ان كانت تحبه وقد قالوا المحب لا يستشار لغلبة مراعاة هوى محبوبه عليه (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لا تشاوروا أحدا من المتجردين عن الدنيا عن شئ من أمورها فانه لا معرفة له بذلك ولا من المنهمكين على محبتها فانها قد استولت على قلبه ومن استولت الدنيا على قلبه أظلم قلبه ومن أظلم قلبه فسد رأيه وشاوروا من جمع بين معرفة الدنيا والآخرة من الكمل واعملوا برأيه ولا تخالفوه (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول لا تشاوروا البخيل ولا المعجب برأيه (وكان) يعتب على من يستشير النساء ويقول اذا كان غالب الرجال لم يبق له رأى سديد فكيف بالنساء وذلك لان عقل الرجل يذهب بحبه للشهوات التى حلت بقلبه وغمرته اذ الرأى السديد لا يكون الا لمن كان قلبه عامرا بذكر الله عز وجل ومحبة الاعمال الصالحة وأما عقل النساء فانه ذاهب من أصله لكون شهواتهن مركوزة فى الجبلة من أصل النشأة اللهم الا

ان تعرض الرجل على زوجته الاحسن مداواة لخاطرها من غير عمل باشارتها فهذا لا بأس به اه فافهم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) من صغرى كراهتى لتعلم علم الحرف وعلم الرمل والهندسة والسيمياء وغير ذلك من علوم الفلاسفة وزجر أصحابى عن تعلم ذلك فان هذه الامور انما يفعلها المفلسون من صفات الصالحين فيريدون أن يكون لهم تأثير فى الوجود تشبيها بالصالحين الذين يقع منهم تأثير بتوجههم الى الله تعالى فى ظالم أو فاجر على أن مستند هذه العلوم كلها انما هو الظن وأما التأثير المنقول عنهم فانما هو من هممهم وعن ذلك الوقت الذى جعلوه شرط الصحة وضع الحرف فيه مثلا ولو ان أهل هذه العلوم شموا رائحة الادب مع الله تعالى لاحترموا جناب الحق تعالى عن أن يتعبوا أبدانهم وقلوبهم فى تحصيل أغراضهم النفسانية وعظموا الحروف عن استعمالها فى ذلك فان الله تعالى جعلها اسماء لمراتب كليات العالم وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول ان عباد الاوثان أكثر أدبا من الذين يطلبون الامور لاغراض نفوسهم المذمومة وقد حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اه وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ينهى عن كتابة الحروف الاعجمية فى الحروز التى تحمل على الرأس ويقول عليكم باستعمال ما ورد فى السنة من ذلك فان فيه كفاية وغنية عن مثل ذلك على ان غالب الفقراء الذين يستعملون الرياضة للحروف جاهلون بمعانى الحروف فاقدون لشروط الرياضة فلا ينالهم بالرياضة الا العناء والتعب وقد ذكر أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى حروف الهجاء وما نزل عليها من العلم فى وصاياه من طريق كشفه فراجعها ان شئت وقد رأيت أنا بعضهم ضربه خدام الاحرف فأبطلوا نصفه فلم يزل مكسحا الى أن مات وبعضهم عوجوا فمه فلم يزل أشعط حتى مات كل ذلك لسوء قصدهم وسوء أدبهم ولو انهم كانوا طلبوا علم معانيها وعملوا على ذلك لكان أولى بهم وربما أتتهم أغراضهم بغير تعب فالحمد لله الذى حمانا من الاشتغال بمثل ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) هروبى من التفعل بكثرة المناصحة للاخوان خوفا ان أترقى من ذلك بالاستدراج الى حد المكاشفة بالعيوب والقبائح كما يقع فيه كثير ممن لم يسلك الطريق على يد الاشياخ وأهل الطريق يسمون الكشف الذى يطلع الانسان به على مساوى الخلائق كشفا شيطانيا وكثيرا ما يشتغل الانسان بنصح اخوانه فينسى نصح نفسه فيهلك ولا يشعر وكان سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول كم من ينصح الناس وينسى نفسه حكم من وقف على جرف بحر واقع وجعل ظهره للبحر وصار يقول للناس اياكم ان تقربوا من الجرف الواقع فلا يزال كذلك حتى ينهدم به الجرف وهو غافل عن نفسه اه وفى كلام أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فى وصاياه واياكم أن تخرجوا من حد المناصحة بالاستدراج الى حد المكاشفة بالعيوب فان ذلك من علامة رفع الحياء عن وجه الايمان وعليكم بالتناصح وأنتم متوادون متحابون من غير تجسس اه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول يجب على كل من اطلع من طريق كشفه على معاصى العباد التى يفعلونها فيما بينهم وبين الله تعالى أن يسأل الله تعالى فى الحجاب واذا اطلع أصحاب الفقير على ان الله تعالى يطلعه على

معاصيهم حصل لهم بذلك خجل عظيم وحصل للفقير بذلك شهود الخلق بعين النقص قهرا عليه وقد ورد فى بعض الآثار ان الله تعالى يستحى من عبده يوم القيامة أن يقول له عملت كذا وكذا لئلا يخجله بين يديه فالكامل من تخلق بأخلاق الله والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ردى جميع الامانات التى جعلها الحق تعالى عندى الى أهلها حتى من العلوم فهى وان كانت عندى لا أراها الا مستعارة من أهلها وأهلها هم المحققون بنسبتها اليهم قال تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وهذه الآية وان كانت واردة فى مفتاح الكعبة فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جمهور العلماء ومن هنا سهل على سماع نسبتى للجهل والعامية على فرض أن أسمع مثل ذلك ولوانى كنت أدعى ان العلم الذى معى لحل بى ما تكدرت ضرورة كما يقع فيه أهل الدعاوى وقد تقدم أوائل هذه المنن قول سيدى على الخواص رحمه الله تعالى من أراد أن يعرف رتبته فى العلم الذى يزعم أنه من أهله فليرد كل قول الى قائله وكل علم الى عالمه وكل شئ استفاده من أمر دنياه وآخرته الى من استفاده منه وينظر نفسه بعد ذلك فما وجد معه من العلم فهو علمه الذى يصحبه فى الآخرة وتصح له دعواه فانه لا يصحب العبد فى الجنة من علومه الا العلم بالله تعالى وصفاته فقط ومن جملة ذلك كلامه تعالى وانما قلنا انه لا يصحب الانسان فى الجنة الا العلم بالله تعالى لانه هو الذى فطر عليه وأما ما أخذه تقليدا أو من بطون الكتب ولو فهما فلا يصحبه منه شئ فى الآخرة اه فاياك يا أخى أن تدعى العلم بعد اطلاعك على ما ذكرناه فانه ليس لك منه الا أجرة حمله لا غير فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم الجواب لمن سألنى عن مسئلة وقلبه غافل عن الاهتمام بالعمل بها وارشادى له الى العمل على جلاء مرآة قلبه حتى يعلم ان حمل العلم انما هو لاجل العمل به والتأدب بآدابه فلا ينبغى لعاقل أن يطلب زيادة التكاليف وهو غافل انما يطلبها وهو يبكى وكذلك أرشده الى العمل على جلاء مرآة قلبه اذا توقف فى فهم آية أو حديث أو كلام أحد من العلماء وهذا الخلق قل من يفعله مع اخوانه بل غالبهم يبذل علمه لكل سائل أو متوقف فى الفهم ولا علبه ان عمل به أو كان عليه نقمة أم لا حتى ان بعضهم يقوم أصحابه من مجلسه لم يحملوا منه مسئلة واحدة وما هكذا كان السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم (وكان) سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يقول كل ما لم تفهموه فاشتغلوا عنه وردوا علمه الى الله ورسوله والى العلماء العاملين الذين لا يتدينون بالرأى رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وكان) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يزجر أصحابه عن التأسف على عدم فهم السؤال اذا توقفوا فى فهم شئ ويقول اعملوا على جلاء مرآة قلوبكم بأكل الحلال والاعمال المرضية فان لم تعملوا على جلائها فيكفيكم العمل بما ثبت عندكم فهمه وعلمه من غير تأسف على عدم فهم سؤال فانه هو الذى تعبدكم الحق تعالى به على اختلاف طبقاتكم كما كان عليه السلف الصالح عند سماعهم القرآن أو الحديث قبل أن يتكلم الناس فى معناهما (واعلموا) انكم اذا لم تقدروا على العمل بما فهمتم بأنفسكم من غير سؤال فكيف تأسفون على عدم فهم ما تسألون العلماء عنه مما لعلكم لا تطيقون العمل به ولا يمضيه ولم يسمعه الحق تعالى لقلوبكم ولم يثبته فيها وربما كان سبب

بحر الحق تعالى لكم عن فهم شئ انما هو التخفيف عليكم حيث علم ضعفكم عن العمل به وفتح باب رؤيتكم التقصير فى نفوسكم لتقوموا بين يديه بالذل وشهود الجهل ثم ان كان ولا بد لاحدكم من الحرص على فهم السؤال عما جهل فليسأل الله تعالى مع التفويض كان يقول اللهم فهمنى معنى هذه الآية أو الحديث ان كان لى فى ذلك مصلحة لتحفظوا من مكر الاجابة فان حضرة الحق تعالى حضرة اطلاق فربما سأل العبد منها ما يضره ولا يشعر كما وقع لبلعام بن باعورا اه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اذعانى وخدمتى لكل من ظهر بمظهر الدعوى للعلم أو الطريق من أهل زمانى الذين لا أعرف حالهم فاصدقه على دعواه من غير حزازة ولا شك فى الباطن لاسيما ان تكلم بلسان غريب لم يعهد ان قبله من العلماء فانه يتأكد علينا تعظيمه واجلاله وحمل نعله وتقبيله فان الله تعالى فى كل دورة عالما يظهره يجدد من الشرع ما أخلقته أيدى المحرفين ومن علامته دقة مداركه من غير حب رياسة ولا تمييز عن اخوانه وانما اخوانه هم الذين يميزونه عليهم ومن علامته حفظه من القول فى دين الله بالرأى واذعان نفوس أهل الله تعالى له بالمحبة والود وقد يكون صاحب رتبة وتصريف فلا يعرفه الا الخواص فيبلغ العلم ويفيده لمن يستحقه ويحقق فلا ينسب اليه منه حرف وقليل من يتخلق بالاذعان والخدمة لمن رفعه الله عليه من أقرانه لغلبة رعونات نفسه عليه فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك ويديرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة حرصى على ما ينفع الاخوان فى أمر دينهم ودنياهم حتى انى لاعدهم فى كل صلاة جماعة وكل مجلس ذكر لاعرف من غاب منهم فاعاتبه على ذلك وكثيرا ما أوصى النقيب ان يعدهم ويوقظهم اذا كنت مشغولا بجمع نظام المجلس وخفت ان يتفرق اذا اشتغلت بعدهم أو ايقاظهم من النوم مثلا وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يحث أصحابه على ملازمة حضور الجماعة فى الصبح والعصر وربما يهجر أحدهم على ذلك مصلحة له ويقول ان صلاة الصبح فى جماعة تسهل عليكم أسباب الدنيا الصعبة وصلاة العصر فى جماعة تورث الزهد فى الدنيا وتقمع النفس عن الشهوات وتصحح الاعتقاد مع ما فى ذلك من سلوك الادب مع الله تعالى حال قسمته أرزاق العباد فانه يقسم أرزاقهم المحسوسة بعد الصبح وأرزاقهم المعنوية بعد العصر وكان يقول عليكم بعدم الكلام بعد صلاة الصبح ولو بحديث النفس فان ذلك يورث القناعة ويزيد فى رزق العبد عادة وان كانت الزيادة لا تصح فى نفس الامر وكان يقول عليكم بالصمت عند وضع المائدة الا اذا كان هناك ضيف فان الاكل من أفضل العبادات التى استعبد الله عباده بها وعليكم بالتفكر فى السبب الذى أفقركم الله الى الاكل لاجله انتهى فعليكم أيها الاخوان بتفقد اخوانكم عند كل مجلس قرآن أو علم أو أدب كما تتفقدونهم عند تفرقة جوامكهم بل أولى ان أردتم محبة الله لكم وتخلقكم باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أشار اليها قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة حذرى من تقصيرى فى صحبة الاولياء والعلماء العاملين مع تحقق القرب منهم وذلك لعجزى عن القيام بحقوقهم فانهم ورثة الانبياء فى الحال والقال وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول اسألوا الاولياء والعلماء ولا تكثروا من سؤالهم لحديث ان الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال انتهى وكان رضى الله تعالى عنه يقول أيضا لا تسألوا العلماء الا فيما لا بد لكم منه وشاوروهم فى الامور ولا تخالفوهم وسلوا لهم ما يقولون ولا تجادلوهم واتركوهم حيث تركوكم كما كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اتركونى ما تركتكم انتهى وقد خالف قوم فاكثروا من سؤال العلماء عن أمور ليسوا من أهلها لكونهم من العامة ثم صاروا ينقلونها عن العلماء محرفة بعد موتهم فضلوا وأضلوا لتحريفهم عن العلماء ما كانوا يسمعونه منهم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تسألوا العلماء الا عما لا بد لكم منه لئلا تشغلوهم عما هم فيه من الاقبال على الله تعالى أو عن تأليف علم يعود نفعه على جميع الامة وكان رضى الله تعالى عنه يقول للعلماء والاولياء ساعات مع الله تعالى لا يعادلها عبادة الثقلين ولهم ساعات مع نفوسهم لا تساويها معاصى مؤمنى الخلق أجمعين وربما عاقبهم الله تعالى فى الدنيا والآخرة على تناولهم ما أبيح لهم من شهوات نفوسهم وفى عدم استطاعة موسى الصحبة مع الخضر عليهما الصلاة والسلام كفاية لكل معتبر وقد طلب بعض العلماء من ابراهيم بن أدهم الصحبة فقال له ابراهيم الطير لا يطير الا مع جنسه انتهى (وسمعت) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لولا ان الاكابر يتنزلون لنا فى المقام ما استطاع أحدنا ان يتبعهم فيما هم فيه وربما كانت معاصى بعض العلماء والاولياء صورية لا حقيقية كمعاصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يؤاخذهم الله عليها لكونها وقعت منهم حال سهو ونسيان فربما تشبه بهم المريد أو الطالب فيتبعهم على مثل ذلك فيهلك انتهى فعليكم أيها الاخوان بتعظيم علماء زمانكم واجلالهم ولا تقيموا عليهم ميزان عقلكم الجائر وانظروا اليهم بالهيبة والاجلال كما تنظرون الى ملوك الدنيا لانهم حملة عرش النبوة والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) بلوغى الى مقام صرت ازداد بالسلب تمكينا ولا أرى لى مع الله تعالى ملكا فى الدارين انما أنا عبد آكل من طعام سيدى والبس من ماله واسكن داره وليس لى فى جميع ما أتقلب فيه من أمور الدنيا والآخرة شئ وبيان ذلك ان شدة قرب العبد من حضرة ربه عز وجل انما تكون برؤيته الاشياء كلها لله تعالى ليس للعبد منها سوى نسبة التكليف ومتى أشرك نفسه فى شئ من أحواله مع الله تعالى بعد عن حضرته فازداد طردا لكونه أشرك نفسه مع الله تعالى فيما هو خصيص بالحق تعالى فعلم ان الصادق كلما سلبه الحق تعالى من الكرامات والخوارق كلما ساعده الحق تعالى على حصول كمال مقام عبوديته وكلما أعطاه مقاما وقف معه نقص تمكينه فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة نصحى للاخوان من التجار والمباشرين ونحوهم ونهيهم عن الاسراف فى المأكل والملبس فى هذا الزمان الذى كسدت فيه البضائع وعن عمل الاعراس والولائم الواسعة واعلامهم بأن كل من أسرف فى ماله فقد أسرف فى دينه وعرضه

وعن قريب يصير يسأل الناس فلا يعطونه شيأ وايضاح ذلك ان الله تعالى ما أعطى عبدا شيأ فوق كفايته الا لينفق منه بقدر ضرورته ويدفع بقية ذلك للمحتاجين أو يرصده على أسمهم لا ليأكل منه اسرافا ويدفع ذلك فى الكنيف فعلم انه ليس لعبد من جميع مايدخل يده الاما لابد منه ذلك اليوم فقط والباقى انما هو وديعة عنده يدفعه لمستحقه فى أوقات الحاجات ومن تعدى هذا الحد فقد خالف طريق الحق التى درج عليها الانبياء والمرسلون والاولياء والصالحون ولولا ان الله تعالى جعل العبد يحتاج الى الطعام والشراب لكان الطعام اسرافا وبدارا فان حكم من يلق الطعام الطيب والكنافة المحمرة فى بطنه حينئذ حكم من يرمى ذلك فى بيت الخلاء من حيث اتلافه وتجيسه فافهم ذلك واعمل به وراع نعمة الله تبارك وتعالى حق الرعاية والا نفرت منك أبدا ماعشت والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حرصى على حصول كمال الخير للاخوان من الفقراء الذاكرين لله تبارك وتعالى والمشتغلين بالعلم بتعليمهم الآداب المطلوبة فى حال ذكرهم وفى حال طلبهم العلم فاما أدبهم فى الذكر فأن يذكروا مع اخوانهم تارة ويستمعوا الهم تارة ولا يجاهروهم فى الصوت لان ذلك أكمل فى حصول الاستعداد وكذلك من الادب ان يقصدوا بذكرهم لله تبارك وتعالى مجالسة الحق جل وعلا لا كشف ولا غيره مما يستحق به العبد الطرد عن الحضرة الالهية فليحذر الذاكر من مثل ذلك ومن شرب الماء عقب الذكر فانه يضعف القلب ويميت الجسد فان من شأن الذكر الخالص ان يجد به العبد حلاوة فى قلبه ومزيدا فى نفسه وقوة فى بدنه وحرارة فى جسده ومن الادب عدم اطفاء ذلك بالماء وأما أدبهم فى طلب العلم فانه يطلبه أحدهم ليتأدب به ويؤدب به اخوانه فهذا هو مراد الحق تبارك وتعالى من العبد فليس لنا علم شرعى الا وهو يدعو صاحبه الى الادب مع الله تعالى ومع خلقه فليمتحن طالب العلم نفسه فان وجد نفسه كلما ازداد علما ازداد أدبا وورعا وزهدا فى الدنيا فليعلم ان اشتغاله بالعلم على القواعد الشرعية فليزدد من الاشتغال به وان وجد نفسه كلما ازداد علما ازداد محبة للدنيا وطلبا للمناصبها ووظائفها وأحب الاكل والشرب والنكاح والملابس فليقتصر عن الاشتغال بالعلم ويكثر من الاستغفار حتى تصلح نيته والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

❊(الباب الحادى عشر فى جملة آداب أخرى من الاخلاق فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى وغياثى ومغيثى ونعم الوكيل)❊

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نفرة نفسى من التلبس بالصفات التى يكرهها الله تعالى ومحبتى للصفات التى يحبها الله تعالى وذلك حتى لا يقع نظر الحق تعالى على وأنا متلبس بشئ يكرهه فينظر الى نظرة غضب فأخسر فى الدارين وقد قال الامام زين العابدين بن الحسين رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى ثلثمائة وستين نظرة الى عباده فى اليوم والليلة يمدهم بها فى أمر دينهم ودنياهم ولولا ذلك لتلاشى العالم فى أقل من طرفة عين انتهى فالعاقل من راعى تلك النظرات فى كل درجة رمل وغار على نظر ربه اليه حتى لا يرى منه الا ما يحب تنزيها لجناب ربه عز وجل (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لا يخلو مسلم قط فى حال من الاحوال عن تلبسه بصفة محبوبة لله عز وجل لدوام نظر الحق اليه فهو ولو وقع فى معصية لابد من تلبسه

بالايمان بانها معصية وهو فى موضع نظر الله اليه وما زاد فهو من العوارض انتهى (وسمعته) مرة أخرى يقول من كان مشهده حضرة الارادة الالهية والنظر الى تصاريفها دون نسبة الافعال الى الخلق زلت به القدم فى مهواة من التلف ومن نظر الى الاصل مع الفرع سعد فى الدارين (وسمعته) مرة يقول عملت مرة على المراقبة والمشاهدة لحضرة التكوين حتى أطلعنى الله تعالى على عدد النوع البشرى من السعداء الذين يدخلون الجنة من ذرية آدم عليه السلام فقلت كيف قال تضرب كلمات العالم فى ثلثمائة وستين من النظرة الرحمانية تعثر على ذلك فقلت له وما عدد الكلمات فقال عددها سبعمائة ألف ألف ألف ثلاث مرات ونصف وستة عشر ألفا وستمائة وستة وستون وسدس يضرب ذلك فى ثلثمائة وستين فما حصل من ذلك فهو عدد السعداء الذين كانوا فى ظهر آدم عليه السلام لا يزيدون واحدا قلت له فما عدد الاشقياء الذين يدخلون النار فقال ذلك لا يحصيه الا الله عز وجل انتهى وهو كلام ما رأيته قط لغيره فافهم والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تعليمى لمن عزل من ولايته مثلا اقامة الحجة على نفسه دون الله ودون الحكام الذين نصبهم لتنفيذ اقداره تعالى قياما بواجب الادب معهم وذلك بقولى له تذكر يا أخى جميع ما وقعت فيه من المحرمات من منذ وعيت على نفسك وقدر عرضك ذلك على الحاكم الذى ظلمك تجد ما عاقبك به دون ما تستحق بيقين (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ربما أقام الله تعالى بعض الحكام وحفظه من ظلم رعيته بغير حق ثم ان وقع منه صورة ظلم فانما ذلك بما كسبت أيدى الرعية فما أقامه حاكما حتى حفظه فانه تعالى أحكم الحاكمين وهو الحاكم حقيقة من حيث حكم الارادة بما حكم به الولاة كما ينكشف ذلك فى الآخرة انتهى وهو كلام يحتاج الى تحرير لبعد غوره فافهمه ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بطب أرباب الاحوال فان طبهم لا يعرفه غيرهم من الاطباء وقد بسطت الكلام على ذلك فى رسالة مستقلة ولكن جملة الامر أيها الاخوان أنكم ان وجدتم فى نفسه هيجانا ونيرانا فى قلبه وطيشانا فى بدنه بسبب حال قاهر فادعوا له بتخفيف ذلك عنه فان المحل غير قابل للطب ومن وجدتم حاله كحال الاموات لشدة الالم الذى فى باطنه والضعف الذى فى بدنه والانحطاط الذى فى روحه ولكن هو مع ذلك كثير الغيبة والاستغراق فهذا لا تتعرضوا له بطبيب لان ما به ليس هو من ضعف المزاج وغلبة الكيموسات انما هو فتوح من الله تعالى قبله ذلك المحل لقوة الاستعداد والكمال ولهذا الفتوح علامة يعرفها أهل الله تعالى عند نظرهم الى ذلك الضعيف أو بلوغ خبره اليهم ويقع لى ذلك كثيرا فأمتنع من الخروج من البيت أياما ولا أتداوى بطبيب لعلمى بأنه ليس له يد فى ذلك وما رأيت فى عمرى كله أعرف بدواء أرباب الاحوال من سيدى على الخواص ومن سيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنهما فكانا يأمران كل من كان مرضه من طريق الحال بالاقتصار على أكل الثمار الاخضر والبقل فقط حتى يرتفع الامر ومرضت مرة فى حياتهما بهذا الامر فاخبرهما سيدى شرف الدين بن الامير بمرضى فقال له سيدى على هذا ليس بمرض انما هو زيادة فى البحر فحمدت الله تعالى على ذلك

فان الفتوح كما يكون بهذا الحال كذلك يكون به السلب (واعلم) يا أخى ان الفتوحات الالهية تارة تنزل على السر وتارة تنزل على الروح وتارة على القلب وتارة على النفس وتارة على الجسد وهذه الامور وان كان لها اسماء متعددة فى مراتب فهى لامر واحد وهو اللطيفة الانسانية والفتوح يكون على شاكلتها صفاء وكدرة (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول قد يكون السلب بواسطة توجه أحد من أرباب الاحوال الى ذلك المسلوب فى الادب عدم مقابلته بنظير فعله ويكل العبد امره الى الله تعالى فان من شرط الفقير الصادق أن لا يتعرض لاخيه المسلم بسلب ولا باذى ولو على وجه التأديب بل يسأل الله تعالى له حسن العاقبة انتهى ❊ وقد وقع بين سيدى الشيخ حسن العراقى وبين سيدى عبد القادر الدشطوطى مصادمة بالحال فعمى الشيخ عبد القادر وتكسح الشيخ حسن العراقى كما أخبرنى بذلك الشيخ حسن عن نفسه فعليك يا أخى بالرحمة على العباد واياك ان تؤذى أحدا منهم بغير طريق شرعى ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) سرورى بالمرض اذا جاء لعلمى بأنه ينظف جسدى وروحى من القذر الحاصل بالمخالفات وربما أسأل ربى فى المرض اذا رأيت كثرة القذر فى بدنى أو روحى وأقول اللهم اعف عنى وان كان سبق فى علمك تطهيرى بالمرض فعجل به لى فان الله تعالى ما يمرضنا الا ليطهرنا من ذنوبنا ويرجع بدننا كيوم ولدتنا أمنا مع ما يحصل منا حال المرض من اظهار العبودية بالسؤال وكثرة المناجاة له بالانين والتأوه والاستغاثة وكثرة التضرع والابتهال حتى يصير أحدنا مفوضا مستسلما خائفا مما جناه أن يقدم على الله تعالى وهو غير تائب منه (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لولا الامراض لكان أحدنا كالانعام فى الاضلال أو أضل من الانعام أو كالذباب أو الكلاب التى لا نفع فيها ولا ألطاف بوجه من الوجوه فعليكم أيها الاخوان بالصبر على البلاء لا على طلب ادامة البلاء فانه من باب التفويض وعليكم بكثرة السؤال الى الله فى حق الخلق أجمعين فانه باب التسليم واحذروا من حمل هم أولادكم الصغار حال مرضكم فان ذلك مما يكرهه الله منكم (ومن) ادعى التسليم لله تعالى حال مرضه وحمل هم أولاده من بعده فهو لم يشم للتسليم رائحة ففوضوا اليه أمر أولادكم كما فوضتم اليه أمر أنفسكم فى زعمكم فانه أولى بكم وأولى من حفظ ما استرعى عليه انتهى (فالعاقل) من وصى ربه عز وجل على ذريته من بعده دون خلقه بلسان الحال دون المقال لان كل شئ وقع فى سابق علمه لا يصح تغييره فاعلم ذلك وأت البيوت من أبوابها والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم عجلتى بالجواب فى مجلس المذاكرة والمناظرة فى العلم بل اصبر حتى يبدى الحاضرون كلهم ما عندهم ثم أتكلم واصل ذلك عدم محبة الرياسة اذ الطالب لها لا يقدر على التأنى أبدا بل من شأنه المبادرة بالجواب (واعلم) يا أخى ان حكم من يتعجل بالجواب حكم من بنى حائطا مستعجلا من غير تمهل فلا بد انها تنشق وتنهدم ولو على طول بخلاف ما بنى على التأنى والتمهل (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول العجلة تطمس البصيرة وتعمى البصر فكيف اذا ضم اليها سرعة الغضب وحمية النفس كما هو الغالب

على أهل المناظرة فربما وصلوا الى الخصام وسعوا فى عزل بعضهم بعضا من ولايتهم وأخرجوا بعضهم من ولايتهم وقد بلغنا ان جماعة من الحنفية فيما وراء النهر يفطرون فى نهار رمضان ليتقووا بذلك على المناظرة هكذا ذكره فى الفتوحات وأصل ذلك كله ظن الانسان بنفسه الكمال وهو جهل والجاهل معذور عند الله فى بعض الامور حيث لم يقصر فاعذروه حيث عذره الله تعالى انتهى وتقدم بسط ذلك مرارا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم طلبى أحدا يساعدنى على من آذانى من أرباب الاحوال بل أصبر واحتسب ولا أقابل من آذانى بسوء ولا اعتب على أحد من فقراء عصرى فى ترك المساعدة (وكان) على هذا القدم أخى الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى فحكى لى انه حدث له مرة حادث عظيم فى بداية أمره يؤدى الى الموت فى الغالب قال وذلك ان شخصا من النقباء الموكلين بقيام الميزان على أرباب الاحوال عارضنى حتى صرت ارى بدنى كله كانه دمل قرب انفجاره وطلبت من الله تعالى طلوع الروح فلم يقع فجئت أستنصر بسيدى على الخواص فقال لى قد رموك وافعل ما كنت فاعلا ثم ولى بباطنه عنى حتى قضى الحق تعالى على بما شاء ثم جئت اليه فرحب بى ثم فتح لى باب الاكتساب والايمان وقال هذا أساسك فابن عليه ما شئت فانه الاصل كما أشار اليه حديث ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ثم قال لى يا ولدى لأن تأتى الله وأنت فقير من سائر العلوم والمعارف والاحوال الموضوعة للزينة ومعك الايمان أفضل لك من أن تأتيه بعلوم الاولين والآخرين وفى ايمانك نقص انتهى فعليك يا أخى بالتوجه الى الله تعالى فى كل أمر يصيبك ولا تعول على أحد من اخوانك فى هذا الزمان فلا بنالك منه الا سواد الوجه من حيث ذلات له وان شككت فجرب فانى جربت هذا الامر قبلك مرارا والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ميلى الى الطب اذا حصل لى مرض فأتداوى بما يصفه لى الطبيب المسلم ولا أترك التداوى كما يفعله أصحاب الانفس الغوية فان ذلك كالمقاومة للقهر الالهى ثم انه اذا طال بالعبد المرض طلب الدواء ضرورة فكان من العقل أن العبد يفعل أولا ما يفعل آخرا قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا وجميع ما يدعيه من القوة عرض لا ثبات له وقد سئل الحكيم الترمذى عن صفة الخلق فقال ضعف ظاهر ودعوى عريضة ❊ وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول عليكم بالتداوى من سائر الامراض فان الله تعالى كما أمر العبد بالنظر فى مصالح نفسه من حيث الاعمال الصالحة والاكل والشرب وغيرهما كذلك أمره بالنظر فى مصالح بنيته وما يقوم بها من الاغذية والاشربة مما يحصل الغذاء والرى عند استعماله ويدفع حر الطبيعة أو بردها الموجبين للبرد واليبس أو غير ذلك فينبغى للعبد أن يتفقد بدنه وطبيعته فى كل أسبوع بما يناسب ذلك الوقت من مشى الطبيعة أو حبسها أو يقوى المعدة عند ضعفها وعجزها عن هضم الغذاء أو امتلائها ولكل واحد من ذلك علامة يعرفها الحاذق من نفسه بلا واسطة قال ولنذكر لك يا أخى بعض أمور مما يناسب كل زمان فنقول وبالله التوفيق اعلم يا أخى ان الله تعالى يخرج لعباده فى كل فصل وأوان من البقول والفواكه

ما يناسب أمراض ذلك الفصل التي تحصل فيه فينبغي للعبد أن يستعمل من كل ما يظهره الله تعالى من المأكولات في الفصول الاربعة استعمالا كافيا ويتفطن لما يخرجه الله تعالى في الفصول من حيث القلة والكثرة فان كان كثيرا فوق العادة فليعلم ان الداء المقابل له كثير فيكثر من أكله بنية الشفاء لا بنية شهوة النفس وذلك ليثاب على الاكل لان الحق تعالى ما وضع ذلك في هذه الدار للشهوة وانما وضع ذلك لحكمة بالغة (واعلموا) أيها الاخوان ان أصول الطب كلها ترجع الى تقليل الغذاء اذ الداء انما يقوى سلطانه بزيادة الغذاء لاسيما ان كان موافقا لزيادته بالطبع أو الخاصية لكن اذا قطعت الطبيعة الغذاء لقوتها فلا يضر زيادة الاكل ان شاء الله تعالى لان حكم هذا حكم من أكل قليلا قال وينبغي للعبد أن يستعمل في كل أسبوع منقوع العود السوس يسير من الملح والشمار من غير استدعاء فان الحكماء الاول لم يحكموا بالاستدعاء الا لما كانوا عليه من قوة الابدان وهذا أمر قد أخذه الله تعالى من أبدان غالب الخلق لغلبة الشبهة في مطاعمهم اذ الطعام الحرام أو الذي فيه الشبهة يوهن البدن بخلاف الحلال قال على أن تعاطيهم للاستدعاء في زمانهم غير صواب في نفس الامر لان قلب الحكمة عن موضوعها موجب للضعف في البنية قطعا اذ الشئ لا يستقر له حكم ولا يظهر له أثر الا اذا مكث في محله المخصوص به (والحكمة) الصحيحة استعمال الاكل والشرب في محله المخصوص ثم يصبر عليه حتى تأخذ العروق والقوى منها حظها ثم ينزل من محله المعتاد من قبل أو دبر في وقته المحتاج اليه ولا تسمعوا القول طبيب غير محقق طبخالف ما قلناه فان الطبيب حقيقة هو الله تعالى (قال) ولا بأس أن يستعمل الضعيف البقل والملح على الفطور غالب ايامه مع مراعاة تقليل الغذاء والاكلة الواحدة كافية من الوقت الى مثله لكن مع تقليل الشرب أيضا فان كثرة الشرب توجب في قوى الطبيعة امتلاء بزيادة حكم تأثير الاغذية بما فيها من المناسبة لذلك الداء فان الغذاء لا يخلو من حكم العناصر الاربعة وتتفاوت أحكامها زيادة ونقصا كما هو حكم الجسد في نفسه من حيث انه يوجب في الضعيف انقلاب مزاجه اذا كان مناسبا الى طبع البلغم أو السوداء أو كلاهما فيغلب ذلك الخلط على الآخر فيولد المرض ولو ان كل واحد بقي بحكم الاعتدال على وصف خلقته ما حصل لصاحبه مرض قال ولا بأس بالحجامة والفصد في فصل الربيع سواء أكان ثم حادث أم لم يكن وشرب الدواء المسهل أقطع في حق الامزجة الضعيفة والحجامة والفصد أقطع في حق الامزجة القوية (قال) وثم من الامزجة القوية ما لا يحتاج صاحبه الى دواء ولا الى غيره لصحة تركيبه من أخلاط ثابتة الحكم والاثر في نشأته الاولى أو لكثرة تعاطيه الاعمال الشاقة (قال) ولا بأس بترك اللحم والحلواء زمن الصيف والربيع واستعمال الامراق والحوامض وما شاكل ذلك مما هو معلوم في كل فصل ولا بأس بالصوم فانه بنية التضرع أو الشكر نور وبنية صحة المزاج للعبادة قوة فيه (قال) ولا أعلم من طريق الطب أولى منه كما ورد جوعوا تصحوا قال ولا ينبغي للعبد أن لا يأكل ما فيه رائحة كريهة أو ينفخ البطن ليلة الجمعة ويومها حفظا للمساجد من الريح الكريه ان كان ممن يعمرها وقياما بواجب اذ كاره تلك الليلة أو يومها (قال) ولا بأس بتناول العبد يوم الجمعة بعض شهواته المباحة لان ذلك يخرج فضلات الاهوية النفسانية ويقوى النفس على العبادات وعمل الحرف فيما بعده

ولسان حال النفس يقول لصاحبها كن معي في بعض اغراضي والاصرعتك انتهى فتأمل يا أخي هذا المحل فانه نافع والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) أخذي بالاحتياط في عدم كتابتي في المحاضر التي فيها اطناب في وصف صاحب المحضر الذي يطلب شيأ من الولايات الشرعية الان علمت تعين تلك الولاية على مثله وكذلك من نعم الله تبارك وتعالى علي عدم مبادرتي الى تزكية كل مسلم سئلت عنه ممن لا يطلب ولاية الا بطريقه الشرعي ثم اني اذا كتبت في ذلك المحضر بشرطه أكتب ما صورته يقول مسطرها فلان اني أعتقد ان فلانا خير مني وأرضى بشهادته علي انتهى فلا أزكي مطلقا ولا أمتنع من التزكية مطلقا كما بسطت الكلام على ذلك أوائل كتاب تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر ولكن ينبغي التورية في الصفات اذا اضطر الى ذلك وعلى هذا التفصيل يحمل قول سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى لا تمتنعوا عن تزكية أحد من المسلمين فانكم انما تشهدون على تزكية الله عز وجل بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس ولم يستثن تعالى من الامة أحدا اكراما لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم اذ لو استثنى الحق تعالى منهم أحدا لم يكن لنبيهم حظ ورسيادة على سائر الانبياء والمرسلين انتهى (وسمعت) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول احذروا أن تجرحوا من أثبت الحق تعالى عدالتهم وزكاهم عند رسوله صلى الله عليه وسلم واستروا أصحابكم واخوانكم جهدكم ما داموا متسترين على المخالفة فاذا جاهروا بها فعظوهم فان لم يتعظوا فازجروهم فان لم تستطيعوا فاتركوهم تحت المشيئة ولا تعايروهم بالذنوب فربما تبتلون بما ابتلوا به انتهى (ثم اعلم) انه ينبغي لمن يزكي الشاهد ان يكون حاذقا والا فربما زكى فاسقا يشهد زورا فيصير اثم ذلك في عنقه وعلى هذا يحمل قول الصوفية من شرط المريد ان لا يزكي ولا يجرح لكونه مشغولا بنفسه لا ناظرا الى أحوال الناس فربما جرح بغير حق فانظر يا أخي ما يترتب على التزكية من الامور ثم زك وجرح والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) اعطاني جانبا عظيما من علم الفراسة الناشئة من نور الايمان وذلك لاني ارتب على كل شئ رأيته في أخي مقتضاه وللعلماء في ذلك كتب كثيرة لكن غالب فراستهم من حيث رؤية اعضاء الجسد الظاهرة وهذه الفراسة انما هي من حيث الاعمال والاحوال والهيآت اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق كل من رأيتموه أيها الاخوان كثير الصمت والفكر والطمأنينة في الحركة وحفظ العين من فضول النظر الى اثبات البصيرة في أوجه الناس لغير غرض شرعي فهو دليل على كمال ايمانه ومن رأيتموه يرسل الكلام مع الوزن والاختصار والايهام فهو دليل على قوة عقله وفهمه وغير ذلك يكون من صفات المجاذيب أرباب الاحوال والمجانين ومن رأيتموه يقرمط أنفه مع عبوسة وجهه فهو دليل على قيام نفسه وعدم انقيادها ونفعها بكلامكم ومن رأيتموه سريع الجواب مع الاصابة فذلك دليل على نور قلبه ومن رأيتموه كثير البكاء والخوف فهو دليل على العلم والعمل ومن رأيتموه عالي الهمة نافذ الكلمة فهو دليل على اخلاصه في عمله ومن رأيتموه كثير التسليم والانقياد لاهل الخير فهو دليل على معرفته ومن رأيتموه يحب سماع العلم

والآثار عن السلف الصالح من غير عمل فهو دليل على فساد نيته وانه يحب صفات الصالحين
ليشتهر بذكرها مع فراغ القلب من محبة الحق ومن رأيتموه يحمر وجهه عند الغضب
فهو دليل على قوة النفس بغير حق ومن رأيتموه يسود وجهه عند الغضب فهو دليل على أنه
صاحب حال أو حقد ومن رأيتموه يصفر وجهه عند الغضب فهو دليل على موت نفسه أو شدة
رعبه ومن رأيتموه يرعد و تتخلخل ركبه بحضرة أهل التصريف من الفقراء أو الامراء مع علو
الهمة وصدق القول فهو دليل على ضعف المضغة بسبب انحراف مزاج الاب ومن رأيتموه
لا يتغير له مزاج عند الغضب فهو دليل على ثبات ايمانه ومن رأيتموه كثير السؤال فى العلم والغضب
فيه مع قلة الحفظ والعمل فهو دليل على انطماس البصيرة وظلمة القلب ومن رأيتموه كثير
التضيلات والآراء فهو دليل على قلة أدبه وقلة تسليمه ومن رأيتموه يتكلم بالمعارف فى أكثر
أوقاته فهو دليل على عدم استعداده وتزلزل فطنته ومن رأيتموه يطلب شيخا يسلكه فى الطريق
مع كسله فيما يعلمه من أوامر الله فهو دليل على موت قلبه وكثرة جهله ومن رأيتموه كثير
الارتباط بالعادات فهو دليل على كثرة الغفلة ومن رأيتموه كثير النسيان بامور الدنيا مع
اشتغاله بامور الآخرة فهو دليل على الخروج عن حكم العادة وسلطانها ومن رأيتموه كثير
القيام باغراض نفسه وتحصيل مرادها فهو دليل على الاغترار وسوء الادب ومن رأيتموه كثير
الوقوف مع الاسباب وتحكيمها فى المسببات فهو دليل على شدة غلظ الطبع وضعف العقل
ومن رأيتموه كثير التقيد فى الامور باعلاها فهو دليل على كمال عقله ومن رأيتموه كثير الصبر
على السبب الواحد مع حصول المسبب عنه فهو دليل على التقوى وعكس ذلك بعكس ذلك
ومن رأيتموه لا تميل نفسه الى التقيد فى أعماله وأحواله فهو دليل على خروج حكم الطبع
والهوى من النفس ومن رأيتموه كثير الضحك والاستغراق فيه فهو دليل على موت قلبه
وخراب سره ومن رأيتموه كثير الحزن على فوات الطاعات فهو دليل على اعتماده على أفعاله أو
سوء ظنه بالله عز وجل ومن رأيتموه يتنوع الطعام المكلف للضيف فهو دليل على الرياء والمفاخرة
وقلة الورع فلا ينبغى أكل طعامه للنهى عنه ومن رأيتموه لا ينتفع بعلم ولا عمل فهو دليل على
سوء ظنه بالله نعوذ بالله عز وجل وقال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى الباب
الثامن والاربعين ومائة من الفتوحات المكية اعلم ان الفراسة مأخوذة من الافتراس الذى
هو يقرب من صورة غيب النفث الالهى القهرى واذا اتصف بها العبد كان له فى المتفرس فيه
علامات يستدل بها والعلامات منها ما هو طبيعى مزاجى وهى الفراسة الحكمية ومنها ما هو
روحانى نفسى ايمانى وهى الفراسة الالهية وذلك نور الهى يجعله الله فى عين بصيرة المؤمن
يعرف به أو يكشف به ما وقع من المتفرس فيه أو ما يقع منه أو ما يؤول اليه ففراسة المؤمن
أعم تعلقا من الفراسة الحكمية الطبيعية * قال ومما وقع لعثمان بن عفان رضى الله عنه أن
رجلا دخل عليه فعندما وقعت عليه عين عثمان رضى الله تعالى عنه قال يا سبحان الله ما بال
رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله عز وجل وكان ذلك الرجل قد أرسل طرفه فيما لا يحل
فقال له الرجل أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكنها فراسة المؤمن ألم تسمع
الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وعندما دخلت

على رأيت ذلك فى عينك فهذه فراسة يعلم صاحبها من رؤية العضو ما وقع فيه ذلك العضو من
الاعمال الحسنة أو القبيحة قال واعلم أن الفراسة الايمانية تحصل عند صفاء النفس وتزكيتها
وذلك حين يلحق بالاولياء الذين يحبهم الله تعالى المذكورين فى حديث كنت سمعه الذى يسمع به
وبصره الذى يبصر به الى آخره فعند ذلك يعرف العبد مصادر الامور ومواردها وما ينبعث
اليه وما يؤول قال وكل ذلك موهبة من الله تعالى لا تختص بسليم الطبع بل تكون له ولغيره
ولنذكر شيأ من الفراسة الحكمية فنقول وبالله التوفيق اذا أراد الله تعالى أن يخلق انسانا
معتدل النشأة وتكون جميع حركاته وتصرفاته مستقيمة وفق الله تعالى الاب لما فيه صلاح
مزاجه ووفق الام أيضا لذلك فصلح المنى من الذكر والانثى وصلح مزاج الرحم واعتدلت فيه
الاخلاط اعتدال القدر الذى يكون به صلاح النطفة وقد وقت الله تعالى لانزال الماء
فى الرحم طالعا سعيدا يشار اليه بحركات فلكية لا يعرفها الا من كشف الله عن بصيرته الحجاب
قد جعلها الله تعالى بارادته علامة على الصلاح فيما يكون فى ذلك من الكائنات فيجامع
الرجل امرأته فى طالع سعيد بمزاج معتدل فينزل الماء فى الرحم المعتدل فيتلقاه الرحم ويوفق
الله الام ويرزقها شدة الشهوة الى كل غذاء يكون فيه صلاح مزاجها وما تتغذى به النطفة
فى الرحم فتقبل النطفة التصوير باذن الله تعالى فى مكان معتدل ومواد معتدلة وحركات
فلكية مستقيمة فتخرج النشأة وتقوم على اعتدال صورة فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس
بالطويل ولا بالقصير لين اللحم رطبه ليس عنده غلظ ولا رقة أبيض مشرب بحمرة وصفرة معتدل
الشعر طويله ليس بالسبط ولا بالجعد القطط فى شعره حمرة ليس بذاك السواد أسيل وجهه
معتدل عظم رأسه سائل الاكتاف فى عنقه استواء معتدل اللثة ليس فى وركه ولا صلبه لحم
مستنكر خفى الصوت صاف ما غلظ منه وما دق غليظ البنان سبط الكف قليل الكلام لا عن
عى كثير الصمت الا عند الحاجة يميل طبعه الى الصفراء والسوداء فى نظره فرح وسرور
قليل الطمع فى المال لا يريد الرياسة على أحد ليس بعجل ولا بطئ * فهذا ما قالت الحكماء انه
أعدل الخلقة وأحكمها وفيه خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فصح له الكمال فى النشأة
كما صح له الكمال فى المرتبة فكان أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهرا وباطنا فان اتفق أن
يكون فى الرحم اختلال مزاج فلا بد أن يؤثر ذلك الاختلال فى نشأة الانسان فى الرحم فى عضو
مخصوص من أعضائه أو فى أكثر الاعضاء أو فى أقلها بحسب ما تكون المادة فى الوقت لذلك
العضو من القوة الجاذبة التى تكون فى النطفة فيخرج الولد بحسب تلك النشأة اذا
علمت ذلك فاعلم أن البياض الصادق مع الشقرة والزرقة الكبيرة دليل على القحة والخيانة
وخفة العقل والفسوق فان كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن ازعر كثير الشعر على
الرأس وجب التحفظ ممن هذه صفته كما يتحفظ من الافاعى القتالة واذا كان الشعر خشنا
فهو دليل على الشجاعة وصحة الدماغ وان كان لينا دل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة
وان كان الشعر كثيرا على الكتفين والعنق فهو دليل على الحمق والجراءة وان كان كثيرا على
الصدر والبطن فهو دليل على وحشة الطبع وقلة الفهم وحب الجود والكرم والشقرة فى
الشعر دليل على الجبن وكثرة الغضب وسرعته والتسلط على الناس واذا كان شعر الانسان

أسود فهو دليل على السكون فى عقل والاناة وحب العدل وان كان شعره معتدلا بين هذين فهو دليل على الاعتدال ومن كانت جبهته منبسطة لاغضون فيها فهو دليل على الخصومة والرقاعة والصلف وان كانت متوسطة فى النتو والسعة وكان فيها غضون فهو صدوق محب فهم عالم يقظان يتدبر فى أمره حاذق ومن كان صغير الاذنين فهو سارق أحمق ومن كان حاجبه كثير الشعر فهو دليل على عيه ونطقه بغث الكلام ومن امتد حاجبه الى الصدغ فهو تياه صلف ومن دق حاجبه واعتدل فى الطول والقصر وكان أسود فهو يقظان ومن كانت عينه زرقاء فهى أردأ العيون فان كانت فيروزجية فهى أردأ الزرق ومن كان متسع العين أجحظ فهو حسود وقح كسلان غير مأمون وان كانت عينه زرقاء فهى أشد ومن كانت عينه متوسطة مائلة الى الغور والكحلة والسواد فهو يقظان فهم ثقة محب فان أخذت العين فى طول البدن فصاحبها خبيث ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة فهو جاهل غليظ الطبع ومن كان فى عينه حركة بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر ومن كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام فان كان حوليها نقط صفر فصاحبها أشر الناس وأدهاهم ومن كان أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب فاذا كان غليظ الوسط مائلا للفطوسة فهو كذوب مهذار قالوا وأعدل الانوف ماطال طولا وسطا ومن كان أنفه متوسط الغلظ وقناه غير فاحش فهو دليل على الفهم والعقل ومن كان فمه واسعا فهو شجاع أو غليظ الشفتين فهو أحمق أو متوسط الغلظ فى الشفتين مع حمرة صادقة فهو معتدل ومن كانت اسنانه ملتوية أو ناتئة فهو خداع متحيل غير مأمون ومن كانت اسنانه منبسطة خفافا بينها فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر ومن كان لحم وجهه كثيرا منتفخ الشدقين فهو جاهل غليظ الطبع ومن كان نحيف الوجه أصفر فهو ردىء خبيث خداع ومن طال وجهه فهو وقح ومن كانت أصداغه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب ومن نظرت اليه فاحمر وجهه وخجل وربما دمعت عيناه أو تبسم فهو متودد محب لك فى نفسه مهابة ومن كان ذا صوت جهير فهو دليل على الشجاعة وسرعة الكلام ومن كان صوته رفيعا فهو دليل على الكلبة والقحة والجهل ومن كان صوته غليظا فهو دليل على الغضب وسوء الخلق والغنة فى الصوت تدل على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس ومن كان كثير الوقار فى جلسته وتداركه لفظه وتحريك يده فى فضول الكلام فهو دليل على تمام العقل والتدبير ومن كان قصير العنق فهو دليل على الخبث والمكر أو طويل العنق مع الدقة فهو دليل على الحمق والجبن وكثرة الصياح فان انضم اليها صغر الرأس فهو دليل على الحمق والسخف ومن كان غليظ العنق فهو دليل على الجهل وكثرة الكلام ومن كان معتدل العنق فى الطول والغلظ فهو دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق ومن كان كبير البطن فهو دليل على الحمق والجهل والجبن ومن كان لطيف البطن مع ضيق الصدر فهو دليل على جودة الرأى وحسن العقل ومن كان عريض الكتفين والظهر فهو دليل على الشجاعة وخفة العقل ومن كان ظهره منحنيا فهو دليل على الشكاسة والترافة واستواء الظهر علامة محمودة وبروز الكتفين يدل على سوء النية وقبح المذهب وطول الذراعين حتى تبلغ اليد الركبة دليل على الشجاعة والكرم ونيل اليقين ومن قصرت يده فهو دليل على الجبن ومحبة الشر وطول الكف مع

طول الاصابع يدل على تعديل الصنائع واحكام الاعمال ومن كان قدمه غليظ اللحم فهو دليل على الجهل وحب الجود ومن كان قدمه صغيرا لينا فهو دليل على الفجور ومن كان دقيق العقب فهو دليل على السخف أو غليظ العقب فهو دليل على الشجاعة أو غليظ الساقين مع العرقوبين فهو دليل على التدبير ومن كانت خطاه واسعة بطيئة فهو نجيح فى سائر أعماله متفكر فى عواقبه ومن كان بالضد فهو بالضد هذا ما نقلناه من كلام العلماء بالطبيعة وهذه النعوت قد تكثر وقد تقل والحكم للغالب واستعمال العلم والرياضة مؤثر فى كل صفة مذمومة بازالتها ولكن عمل أهل الله تعالى على الفراسة الايمانية وقد وصلوا منها الى معرفة الشقى والسعيد من رؤية موضع قدمه فى الارض كالقائف الذى يتبع الاثر فيقول صاحب هذا القدم أبيض أو أعور العين ويصف خلقته كأنه رآه بعينه وهذه الفراسة لاتخطئ أبدا بخلاف فراسة الحكماء فانها مبنية على الظن وربما أدت العبد المحجوب الى سوء ظنه بعباد الله انتهى وفى هذا القدر كفاية والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) معرفتى بالآفات التى تطرق الانسان على اختلاف طبقات الناس ولنذكر لك منها يا أخى جملة فنقول وبالله التوفيق آفة الايمان القدر وآفة الاسلام العال وآفة العمل الملل وآفة العلم رؤية النفس وآفة العقل الحذر وآفة المال الأمن وآفة العارف الظهور من غير وارد من جهة الحق وآفة القول الجور وآفة المحبة الشهوة وآفة التواضع الذلة وآفة الصبر الشكوى وآفة التسليم التفريط فى جانب الله تعالى وآفة الغنى الطمع وآفة العز البطر وآفة الكرم السرف وآفة البطالة فقد الدنيا والآخرة وآفة الكشف التكلم به وآفة الاتباع التأويل وآفة الادب التفسير وآفة الصحبة المنازعة وآفة الفهم الجدال وآفة الطالب التسلل دون الاقدام على المكاره وآفة الانتفاع التسلق وآفة الفتح الالتفات له وآفة الفقيه الكشف وآفة المسلك الوهم وآفة الدنيا الطلب وآفة الآخرة الاعراض وآفة العبد اذا أعطى الكرامات الميل اليها لاسيما مع ارتكابه المخالفات فانه من الاستدراج وآفة الداعى الميل وآفة الظلم الانتشار وآفة العدل الانتقام وآفة التقييد الوسوسة وآفة الاطلاق الخروج عن المراسم وآفة الحدث النقص وآفة الجود رؤية الكمال وفى هذا القدر كفاية فافهمه واعمل عليه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) دوام نظرى الى أدب ذوى البيوت من الاكابر دون النظر الى شئ من مساويهم فان معهم من الادب مالا يوجد عند غالب الناس من حيائهم من النطق بالكلمة القبيحة وغض الطرف عن عورات الناس وعدم شرههم فى الطعام وكثرة افتقادهم جيرانهم بالهدايا وتعظيمهم من يعلمهم القرآن والادب ولبسهم الخف فى أرجلهم وجعلهم الاكمام ضيقة خوفا أن يبدو شئ من أطرافهم ولبسهم السراويل على الدوام حتى كأنه فرض لازم وغير ذلك من التواضع حتى انك تجد الواحد منهم أشد تواضعا من بواب داره وقد أخبرنى أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى وقال لى قد تعلمت من سيدى أحمد بن برسباى عدة آداب وهو فى سن التمييز وكذلك من عبده الصغير حتى كانا اذا سألانى عن مسئلة أقول

لهما منكم نستفيد حياءنهما وقد قال سيدى أحمد مرة لعبده لم لا تقبل يد الفقيه عند الانصراف فقال أنت سيدى ورأيتك تقبل يده ورجله فابق لى موضع أقبله من الفقيه وأستحى أن أقبله موضع فمك وأنا عبدك قال وقد حصل لى من الادب بمجالستهما ما لم يحصل لى بالمشايخ الكبار رضى الله عنهما انتهى كلامه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى تواضع الامير اذا زرته ولا أرى نفسى أهلا لتواضعه لى وأن تواضعى له على الاصل وتواضعه لى على خلاف الاصل فكان أكثر تواضعا منى لتنزله من مقامه العالى عادة الى أن رأى نفسه دونى بخلافى أنا فانه لم يكن لى مقام فوقه أتنزل له منه فافهم لا سيما ان كنت لا أعرف له ذنبا أو كان فى حال تواضعه تائبا من ذنوبه كما هو الغالب من حال بعض الامراء اذا اجتمعوا بمن يعتقدونه من الفقراء ولما دخلت على الامير عامر بن بغداد فى شفاعة أيام مولد سيدى أحمد البدوى قبل رجلى فى النعل وأنا راكب بحضرة آلاف من الخلائق من جماعة الباشا وكتاب الديوان وشيوخ العرب وغيرهم فكدت أن أذوب حياء منه ورأيت تواضعى له بالنسبة لتواضعه لى كذرة من البحر المحيط واستحييت من الله تعالى أن أبقى موضع فمه فى نعلى أدوس به على النجاسات فقطعته من نعلى وأمرت بعض الاخوان أن يضع ذلك عنده فى كيس مقابلة للامير على ما فعل فى محل عزه وحكمه فالله تعالى يكفيه شر الظالمين والحاسدين ويغفر له ما جناه آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظ الادب مع سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم فكل مسلم رأيته أقول يحتمل هذا أن يكون وليا لله عز وجل فان الله ستر أولياءه فى عباده وما أظهر منهم الا القليل من أهل الكرامات المعتادة وما عداهم فهم مستورون فى حجب الصون لا يكاد يظهر على أحدهم ما يميزه عن العامة كما صرح القوم بذلك فى رسائلهم وقد كتب لى أخى الشيخ أفضل الدين وصية أول اجتماعى بسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه يحثنى فيها على كثرة الاعتقاد فى عامة المسلمين وعدم اقامة الموازين الدقيقة عليهم من جملتها أوصيك يا أخى أن لا تميل بنفسك الى تفضيل أحد على أحد واعتقد الخير فى عموم الناس فان الله تعالى لا يسألك قط لم حسنت ظنك بعبادى واياك أن تزدرى أحدا من السوقة والجمالين والحمالين والبغالين والزبالين وسائر من فيه نفع لعباد الله من غير ضرر فانهم محفوظون بالاسم الاعظم وفيهم المتخلقون بالادب مع الله تعالى ومع الكون وان كانوا لا يشعرون بذلك قال وقد أوصى الامام على رضى الله تعالى عنه ولده الحسين بمثل ذلك وقال اعلم يا ولدى أن الله تعالى أخفى رضاه فى طاعته وأخفى سخطه فى معصيته وأخفى أولياءه فى عباده فلا تستصغرن من الطاعة شيأ فربما كان رضا الحق تعالى فى ذلك ولا تستصغرن من المعصية شيأ فربما كان سخط الحق فى ذلك ولا تحتقرن من المسلمين أحدا فربما كان وليا لله عز وجل انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لله تعالى عباد أخفياء أبرياء لا يكاد يعرفهم الا من دخل دائرتهم ومن علامتهم أن لهم لسان الادلال والبسط والاظهار والتقديم والتأخير والولاية والعزل والعز والفخر وقوة الحجة وصحة الدعوة والقيام والاستغناء عن الخلق والبطش والقهر والانتقام والقوة والهمة والسيادة والتحكيم والارادة والتخيير والتحجير والحفظ والامن والتنعم والرفعة والترفه

فى المطاعم والملابس والهيئة والتخويف واللسان والافصاح والعلم والمعرفة والشهود والكشف والذوق والخصوص والتمييز الى غير ذلك من الامور التى خلعها الحق تعالى عليهم وزينهم بها مما لا يحصى وصفه الا الله عز وجل قال وهؤلاء قد عجل الله تعالى لهم غالب النعيم الذى يكون فى الجنة لاهلها فى هذه الدار فحكم هؤلاء فى الدنيا كحكم غيرهم فى الآخرة على السواء فان نهاية العبد فى الآخرة أن يكون بهذه الاوصاف قال لكن حكمهم فى ذلك حكم عبيد الاحسان لكونهم لم يقوموا فى هذا العالم قيام من خلق له ومنه وافتقر له واليه لظهورهم فى العالم الدنيوى بمظهر العالم الاخروى فكأنهم لم يخلقوا ولم يخرجوا من العدم الى دار التكليف وغالب المجاذيب من هذا الصنف فهم غائبون عن شهود حكمة ظهور العالم وترتب الاسباب بعضها على بعض وعن حكم البدء والاعادة والختم والفتق والرتق والظهور والاظهار والتفضيل بالذوات وبالاوصاف والاحوال ولا يعرفون كمالا ولا نقصا ولا خسة ولا شرفا الى غير ذلك مما أحاط به علم الله عز وجل ولذلك كان العارفون أعلى فى المقام من هؤلاء لتحققهم بعلم هذه الامور كشفا وذوقا ومعرفتهم بما يخص كل موطن من الحكم والاثر ليوفوه حقه قال وهؤلاء أى العارفون هم الطائفة العظمى أصحاب الولاية الكبرى المكتسبة بالتخلق والتحقق وهم النازلون فى العالم منزلة القلب من الجسد فهم تحت حكم طريق الحق تعالى وتحت رتبة أنبيائه وفوق العامة بالتصريف وتحتهم بالافتقار وهم أيضا أهل التسليم والادب والعلم والعمل والانكسار والانخفاض والفقر والافتقار والذل والعجز والصبر على المصائب والبلايا والمحن والحزن والخوف والقيام تحت الاسباب والسعى والحركة والسكون والنوم واليقظة والنسيان والغفلة والربح والخسران وتجرع الغصص والمصائب والموت الأحمر والأزرق والاسود والابيض وأهل الايمان لعدم شهودهم التمييز والخصوص وهم أهل الهمة والدعوة والخفاء والظهور والابهام والتقييد والاطلاق وحفظ حقوق المراتب والاسباب والاعيان والاوصاف والاحوال والاعمال وأهل القدم الراسخ النافذ فى كل شئ من حيث هو لا شئ ومن حيث هو من أعيان كل شئ وهم أهل الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث هم اتباع وورثة ونواب وحفظة ووكلاء الى غير ذلك من صفات العبودية الخالصة من المزج بدعوى شئ من صفات الربوبية على العامة أو الخاصة بالدار الآخرة وهم أيضا أهل الحشر والنشر والحساب والوزن والمشى على الصراط كما يمشى عليه أدنى المؤمنين فهم المجهولون الحكم عند غالب الناس فى الدنيا والآخرة لعدم ظهورهم فى الدنيا بشئ من أوصاف السيادة الدنيوية وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر من حيث انهم ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم أهل الثبات عند كشف الساق فى المحشر وهم أهل الجثى على الركب وهم المطلعون على جريان الاقدار وجريانها فى الخلق وهم العبيد اختيارا السادة اضطرارا وهم المكاشفون بعلم دهر الدهور من الابد الى الازل فى نفس واحد من أنفاسهم الشريفة فكما تنزل الحق تعالى لعقول عباده باخباره لنا بأنه ينزل الى سماء الدنيا ليعلم عباده التواضع مع بعضهم بعضا فكذلك هم ينزلون مع العامة بقدر افهامهم رضى الله تعالى عنهم أجمعين انتهى كلام سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وهو كلام ما طرق سمعى الآن مثله وهو يدل على علو شأنه ومعرفته

بمراتب الاولياء رضى الله تعالى عنهم أجمعين فتأمله يا أخى وخذ لنفسك بالاحتياط فى عدم ازدراء أحد من المسلمين ان طلبت أن تكون من المفلحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم سياحة فكرى فيما تشابه من أخبار الصفات لعلمى بأن المطلوب من الخلق انما هو الايمان بما أخبر به الحق تعالى عن نفسه على ألسنة رسله لا تعقله فان ذلك لا يصح وغاية الخائضين أن يقفوا على الحيرة مع تعاطيهم ما نهاهم الله تعالى عنه من طريق الاشارة بقوله ويحذركم الله نفسه يعنى أن تتفكروا فيها وبقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذاته وقد سألت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه عن سبب الحيرة فى الله تعالى للخلق أجمعين فقال سببها اضطراب حقائقها فانها من مواد مختلفة بين لطيف وكثيف وهو الروح والجسم مع اختلاف الدواعى اذ الانسان مفطور على دواعى كثيرة كداعية العقل وداعية النفس وداعية العلم والايمان والحق والهوى والوهم والظن والخيال والفكر وغير ذلك مما له التفكر والتحكم على هذا الهيكل الجثمانى بحسب مواقع تقاطع درج أفلاك الطباق السبع فى أزمنتها المخصوصة الحاكمة على الانسان لظهور آثارها فيه قهرا عليه فتراه تارة يتكلم بحكم الايمان فلا يتعدى قوله الاجمال والستر وتارة يتكلم بحكم الحق فلا يتعدى قوله التسليم والادب وتارة يتكلم بحكم العلم فلا يتعدى قوله الحيرة وتارة يتكلم بحكم النفس فلا يتعدى قوله التفضيل والترجيح وتارة يتكلم بحكم العقل فلا يتعدى قوله التقييد وتارة يتكلم بحكم الهوى فلا يتعدى قوله التخصيص والتمييز وتارة يتكلم بحكم الوهم فلا يتعدى قوله الامل وتارة يتكلم بحكم الظن فلا يتعدى قوله التشبيه وتارة يتكلم بحكم الخيال فلا يتعدى قوله القياس وتارة يتكلم بحكم الفكر فلا يتعدى قوله المحسوسات هذا مع تنوع الدواعى فى الاشخاص والاوقات والاحوال الى صفات كثيرة مختلفة الآثار والاحكام قال وكل هذه لا توجب علما تاما يستقر عليه الايمان ويرجع عن البحث والطلب فليس الحق الامع من قلد الحق وآمن بما أنزله على رسله من غير تأويل فان التأويل قد لا يكون مرادا للشارع صلى الله عليه وسلم انتهى فتأمل ذلك فانك لا تجده فى كتاب وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر فراجعه تظفر بالمراد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ذهابى الى حضور درس كل عالم رأيت عنده شبهة فى طريق ايمانه من شبه الفلاسفة أو المعتزلة أو غيرهم وذلك لاسارقه كل قليل فى الكلام حتى أزيل شبهته بحيث لا يشعر هو ولا أحد من طلبته بذلك ثم اذا زالت عنه تلك الشبهة تركت حضور درسه وكان على هذا القدم الشيخ يحيى البجائى المغربى رحمه الله تعالى كما أخبرنى بذلك بعض العلماء فكان اذا بلغه عن عالم دخوله فى شبهة يعجز عن الخروج عنها يذهب الى درسه ويحضر مع طلبته فيتعجب الناس من ذلك ويقولون ان الشيخ مستغن عن علم مثل هذا الرجل فلم حضر فاذا زالت شبهة ذلك العالم انقطع عن حضور درسه وهذا من جملة سياسة العلماء العاملين فاعمل بذلك واياك أن تفشى ذلك فى حق ذلك العالم فتكشف سوأته وتفتح باب الغيبة فيه ورميه عند الاعداء بالعقائد الفاسدة والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من كثرة النوم فى الليل والنهار وتقدم فى هذه المنن ان نومى انتهى الى خمس وأربعين درجة فى الليل والنهار وما زاد على ذلك فهو عبث وان ذلك يكفينى فى راحة الجسد وذكر أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فى رسالته ان النوم الزائد على العادة يميت القلب عن تعاطى أسباب الدنيا وأحوالها فضلا عن امور الآخرة مما لا بد للعبد منه قال وربما استحكم فى الانسان كثرة النوم حتى يصير حكمه مخالفا لحكم نوم الطبيعة الذى جعله الله تعالى راحة للجسد وزيادة فى النفس فتفسد على العبد معيشته وأسبابه الدنيوية وتفسد عليه صحة مزاجه الاصلى الذى خلق عليه قال وأعظم مفاسده فى الانسان انه يضعف نفسه الروحانية لكثرة ارتباطها بعالم الخيال وعدم ارتباطها بجسدها المأمورة بمساعدته على مصائب الدنيا لاسيما ان كان الجسد مظلما كثيفا بالاعمال الخارجة عن السنة المحمدية والطبيعة الكلية فانه يتركب من ذلك الارتباط ضعف الاعتقاد وفساده وضعف القوة الخيالية المصورة للاشياء فى مرآة العقل فيصير لا يشهد أمرا الامعقولا مقيدا مرتبطا معتقدا حتى ربما اختلط حاله على نفسه وعلى غيره وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم والنوم فى الاوقات المنهى عن النوم فيها كنوم الانسان من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروب الشمس فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه للهلاك وفساد كيموس صحة عين المزاج المادى والصورى حتى ربما التحق فى الحكم بالحيوانات البهم البعيدة الادراك كالبقر والغنم والجاموس وأمثالها من المأكولات الحيوانية قال وانما قيدنا الحيوانات بالبهم البعيدة الادراك كالبقر والغنم والجاموس وأمثالها من المأكولات الحيوانية لتخرج الحيوانات التى لا تؤكل كالخيل والبغال والحمير المسخرة لمنافع العباد فانها أنعام ذات عقل حساس ولذلك كانت أكثر الحيوانات تعبا وتكليفا ونفعا وأكثرها تعقلا وادراكا كما هو مشهود فى حركاتها ولفتات أعينها ورفع رؤسها وخفضها ومفاداتها لما فى الطرق من الوهدات والمهالك الى غير ذلك مما هو مشهود للعارف الذائق انتهى وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اياكم وكثرة النوم فانه يورث الغفلة والنسيان وفساد حكم المزاج الطبيعى والنفسانى ويكثر البلغم والسوداء ويضعف المعدة وينتن الفم ويولد دود القرح ويضعف البصر ويرى الغشاوة على العين ويضعف الباه على الفور حتى لا يكاد يكون له داعية الى الجماع ويفسد الماء ويورث الامراض المزمنة فى الولد المخلق من تلك النطفة حال تكوينه ويضعف الجسد هذا فى النوم فى غير وقت الصبح والعصر أما النوم فى هذين الوقتين فلا أقدر على وصف مفاسده فى العقل والنفس والصفات الانسانية والروحانية أقلها انه يورث ضعف الحال بحكم الخاصية عدم الايمان بالبعث والنشور وما يقارب ذلك من غير تعقل لما يدفع عنه ذلك انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم وكثرة النوم تبعا لما ترونه من بعض العارفين فان لهم أحكاما خلاف حكمكم وذلك أن بعضهم يخلع الله تعالى عليه القوة على خلع نفسه عنه متى شاء وسراحها الى أى وجه شاء من غير ارتباط بعالم الخيال فلا يضرهم نوم العادة فى النهار الا بعد الصبح والعصر اذ النوم فى هذين الوقتين يؤثر بالخاصية فى كل نائم الفساد سواء كان صحيح المزاج أو غير صحيحه انتهى فعلم مما قررناه أن النوم فى النهار

لغير حاجة ضر جدا الا أن يكون فى مثل أيام الصيف فقد ورد استعينوا بالقيلولة على قيام الليل فمثل ذلك لا يضر وكان سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه يقول النوم قبل الزوال دواء للسهر الماضى والنوم بعد الزوال دواء للسهر الآتى فعليكم أيها الاخوان بتقليل النوم جهدكم فان النوم أخو الموت لانقطاع العمل فيه والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لمن يبصرنى بعيوبى ونقائصى وتقديمه فى المحبة على الصديق الذى يداهننى ويظهر لى انه يعتقد فىّ أنى على أكمل الاحوال وقد سألت الله تعالى لكل من نصحنى وبصرنى بعيوبى من اخوانى أن يستره فى الدنيا والآخرة وأنه يعطيه جميع ما يؤمله من خير الدنيا والآخرة فعليكم أيها الاخوان بنصحى ما استطعتم ولا تداهنونى تغشونى وتغشوا نفوسكم ولا تراعوا خاطرى وتقولوا فى أنفسكم كيف ننصح سيدى الشيخ وقد يكون له مقصد صحيح لا يطلع مثلنا عليه فان ذلك من تلبيس ابليس لانكم ان كنتم تظنون فىّ الكمال فعلى ما يخالف ظاهر الشريعة فيكذب ظنكم فانى لو كنت كاملا ما فعلت شيئا يخالف ظاهر الشريعة فانى الآن ناقص فاسق بذلك الفعل فالواجب عليكم النصح اذا فهمتم عنى مخالفتها بقول أو فعل فاما أن يكون فهمكم صحيحا فأرجع وتثابون واما أن يكون خطأ فأظهر لكم خطأه فتستفيدونه وأثاب وقد درج السلف الصالح كلهم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين على التناصح لبعضهم بعضا فى الخلاء والملا وأحبوا بعضهم بعضا على ذلك وهذا الخلق غريب فى هذا الزمان فى المتصوفة فادعوا مراتب الكمال بالحال والقال ومهدوا لمن تتلمذ لهم بساطا وأعلموه أن مقام الشيخ كالسماء ومقام المريد كالارض وانه لا يحل له أن يحمل حال الشيخ على حاله هو فسدوا بذلك باب النصح وربما ادعى أحدهم أنه يحب من ينصحه وهو غير صادق لان ذلك لا يكون الا لمن صح له ثبوت القدم مع الحق جل وعلا ورضى بقضائه وقدره ولم يلتفت لرضا أحد من عبيده ولا لسخطه وليمتحن من يدعى محبة من ينصحه من اخوانه نفسه بما اذا فرض كون اسمه مكتوبا فى اللوح المحفوظ بانه من الاشقياء المخلدين فى النار فان خبثت له نفسه رضا بذلك عن الله عز وجل فليعلم بانها تتلمذ لعدوها وتنقاد له وتظهر ذلك للخاص والعام فان انشرحت لان تتلمذ لعدوها وتقيد تحت أمره ونهيه وحكمه فيها وتقريعها وتوبيخها فقد انقادت الى الله عز وجل وصح له دعوى محبة النصح من اخوانه فان الانقياد الى الخلق هو باب الانقياد للحق تعالى فمن أبت نفسه ان تنقاد لجنسها أو تدخل تحت حكمه فيها فهو كاذب فى دعواه مقام كمال العبودية فكيف يطلب مجالسة الحق تعالى على بساط الادب وهو لم يحسن مجالسة الخلق على بساط المماثلة ثم ان الواقع فى ذلك أى فى كراهة النصح من اخوانه أحد رجلين اما رجل أشغله الله تعالى عن عيوبه بعيوب غيره فصار ممن أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة واما رجل ظن بنفسه الكمال مما ظهر له من كثرة الثقة بحاله والتعشق بعطلوبه فهذا هالك مع الهالكين من حيث لا يشعر وقد قال تعالى فيمن أبى النصح واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول ربما يظن بعض المتمشيخين بنفسه حين يعظ الناس أو يسلكهم انه صار بذلك من نواب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى ارشاد أمته الى فعل الخير وهو فى ذلك طالب للرياسة تحت أسر شهوة نفسه يظن أنه يستمد فيما يعظ به من رسول الله صلى الله عليه وسلم والحال انه يستمد من الشيطان فان من شأن من كان يحب نفسه ان روحانيته لا تأخذ علمها الا من روحانية ابليس الاول غيصيرا بلبس عده بعلوم ويوسوس له بمحبة فى اجتذاب قلوب الناس الى محبته دون أقرانه ويصير رعاع الناس الذين حوله يقولون ان سيدى الشيخ قد أحيا معالم الشريعة ولولاه هو فى هذا الزمان لاندرست الشريعة فيغتر هو بذلك القول ويزيد فى تحسين الظن بنفسه فيهلك مع الهالكين ثم لو قدر أن أحدا من الحاضرين نسبه الى حب الرياسة تكدر كل التكدر وقام عليه تلامذته حتى أخرجوه من دائرة الاسلام وربما ضربوه ضربا مبرحا وذلك حرام باجماع المسلمين قال وقد اجتمعت بشخص من هؤلاء فنصحته فما سلمت من الضرب بالنعال الا بجهد وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على المنابر يعظون الناس انتهى فليحذر الواعظ الناس من مكايد النفس والشيطان وليمتحن نفسه بالمشى على طريق السلف الصالح الذين يزعم انه على قدمهم فقد كان مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يقول من اراد أن ينظر الى مراء فلينظر الىّ وقالت له مرة امرأة يا مرائى فقال لنفسه اسمعى اسمك الذى أضله أهل البصرة وعرفته هذه المرأة (وكان) سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه انصحونى واياكم أن تقدموا بأنعالى فانى رجل قد خلطت فى أمورى (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تغتروا باجتماع الناس عليكم وانقيادهم لكم فتعتقدوا أنكم صرتم من مشايخ العصر لا سيما ان جثت تلامذتكم بين يديكم على الركب وأكثروا من الاطراق وعدم التكلم وان طالت الجلسة فان ذلك استعباد لاخوانكم وسيادة لنفوسكم وانصحوا اخوانكم من غير تميز وأقيموا عليهم الله ان ينصحوكم واياكم أن تمكنوهم من تقبيل أيديكم وأرجلكم بعد ختام المجلس فان فى ذلك قيام النفس واياكم أن تتكدروا من نصح تلامذتكم لكم بما يظهر لهم من الحق وتأملوا فى آداب الصحابة ونصحهم لبعضهم بعضا حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد أن يبشر أمته فقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يا رسول الله لا تفعل دعهم يعملوا ولا يتكلوا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم الى قوله انتهى وقد تقدم فى هذه المنن أن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه خطب الناس فقال أيها الناس اسمعوا ما أعظكم به فقام حذيفة وقال كلا والله لا نسمع لو عظك فقال له عمر لم فقال لان عليك قميصين وعلى كل منا قميص فنادى عمر بأعلى صوته ولده عبد الله فقال انشدك بالله أما هذا قميصك فقال اللهم نعم فقال له حذيفة فقل الآن نسمع لك انتهى وتأملوا أيها الاخوان فيما قصه الله تعالى علينا فى الكتاب والسنة من قبول نصح الانبياء عليهم الصلاة والسلام من خدامهم ومن رعيتهم كاستشارة موسى عليه الصلاة والسلام فتاه وكنصح النملة للسيد سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وكنصح يوسف لابيه يعقوب عليهما الصلاة والسلام وذلك أن يعقوب لما بلغه أن الملك أخذ ولده بحيلة الصواع ولم يعلم أن الملك هو يوسف كتب يعقوب كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله الى عزيز مصر سلام عليك أما بعد فانا أهل بيت خص بنا البلاء فاما جدى ابراهيم فالقاه النمروذ فى النار فمكث فيها أربعين يوما فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فابتلى

بالذبح ففداه الله بالكبش وأما أنا فكان لى ولد أحبه وآنس به فأخذه الملك على أنه سارق فالله الله فى ابنى فانى لم أسرق ولم ألد سارقا والسلام فكتب اليه يوسف على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عزيز مصر الى يعقوب اسرائيل الله أما بعد فقد عرفنا شأنك وشأن آبائك فاصبر كما صبروا كى تظفر كما ظفروا فرجع يعقوب بهذا القول الى الاصل الحق ووطن نفسه مع الحق تبارك وتعالى على الصبر * وكذلك بلغنا عن الخلفاء الراشدين أنهم كانوا يستدعون النصح من علماء زمانهم وبعضهم طلب ذلك بشروط هذا مع قيام ناموسهم وعدم رياضة نفوسهم فكيف يتكدر من ذلك من يدعى الرياضة والسلوك * وبلغنا ان الاصمعى لما أراد مجالسة هرون الرشيد قال له هرون ناصحا له اعلم انك أعلم منا ونحن أعقل منك فلا تعلمنا فى ملا ولا تذكرنا فى خلا واتركنا حتى نبتدئك نحن بالسؤال ثم اذا بلغت فى الجواب حد الاستحقاق فاياك أن تزيد الا أن نستدعى ذلك منك واذا رأيتنا نجنا عن الحق فارجعنا اليه ما استطعت من غير تقريع على خطئنا ولا اضجار بطول التردد اليناخوفا أن تهون فى أعيننا فلا نصير نعتنى بقولك ثم قال هرون اعلم يا أبا سعيد أنه لن تهلك أمة مع الناصح ولن يهلك ملك مع الاستشارة ولن يهلك قلب مع التسليم انتهى

(وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الزموا النصح والاستشارة لاخوانكم فى كل أمر مهم فان النصح والاستشارة بمنزلة تنبيه النائم أو الغافل وكان يقول من شأن العاقل ان لا يتكدر من الناصح له اذا خرج عن حد الادب ولم يراع ألفاظ التفخيم وليقس قبيح ما وقع منه من الالفاظ القبيحة فى نفعه بالنصح له فما كل الناس أعطوا السياسة وحيث وجد العبد النفع فلا مبالاة بفوات حظ النفس من محبتها اللين فى الكلام انتهى وكان يقول من أدب الناصح أن يستشير المنصوح فى النصح قبل النصح كما درج عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم فان النصح من غير استشارة خاص بكمل العارفين الذين لا يداخل نصحهم ظن ولا شك لما هم عليه من الكشف الصحيح ولا يرون نفوسهم على المنصوح ولا عليهم من المنصوح ان قبل ذلك أو لم يقبل انما قصدهم امتثال الامر ونفع العباد فقط ثم ان الاحكام الالهية تجرى على حسبها فلا يقال ان النصح فيه منازعة للاقدار الجارية على الخلق لان الحكم على الشئ قبل ظهور عينه لا يصح وانما النصح بمنزلة تنبيه النائم من النوم كما مر واستيقاظه من غفلته والنكتة فى مشروعية ذلك أن الله تعالى أفقر الخلق الى بعضهم بعضا حتى لا يتكل أحد على رأيه دون أخيه وان كان المنصوح غنيا عن نصح الناصح أو اشارته اذ المراد الاعتراف بظهور الافتقار الى الخلق ليقع افتقارهم الى الله تعالى باطنا من باب أولى انتهى فعلم من جميع ما قررناه ان من تكدر ممن نصحه أو طلب أن لا ينصحه الا من يعرف أدب الخطاب فاته خير كثير فافهم يا أخى ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهتى من أصحابى أن يكثروا من اللغو عندى وجرءتهم فى الولاة وغيرهم وان سكت عن زجرهم عن ذلك فانما ذلك لمقتض شرعى واحتقار النفسى أن تكون آمرة أو ناهية وممن سبقنى الى نحو ذلك سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه فكان يقول والله انى لارى أخى على معصية فاحتقر نفسى أن أكون ناهيا له عنها انتهى لكنى مع السكوت بحمد الله تعالى أصير أقول بقلبى اللهم أخرسهم عن هذا الكلام وألهمهم ذكرك وما

يقربهم اليك فربما استجاب الحق تبارك وتعالى ذلك وسكتوا وذكروا الناس بخير * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم والاشتغال بالقيل والقال وان كان ذلك حقا فان كثرة اللغو تؤدى الى احتقار الذنوب وقلة المبالاة بها وتورث كثرة الحسد والدعوى والرعونة والحمق انتهى وقد تقدم ذلك فى هذه المنن مرارا فافهمه والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة ارشادى للاخوان من طلبة العلم ان لا يكثروا من الجدال ورفع الصوت عند قراءة التفسير أو شرح الحديث حتى الى أغار أن أحدا منهم يذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم على غير طهارة وحضور قلب وقد كان عبد الله بن مسعود والامام مالك بن أنس وغيرهما اذا ذكروا اسم محمد صلى الله عليه وسلم اقشعرت جلودهم من هيبته وفاضت دموعهم من الخشية * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول الزموا الادب مع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم كما أنكم تلتزمون الادب مع الله تعالى اذا ناجيتموه فى صلاتكم على الكشف والمشاهدة فان القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته قال ولو أن الخلق ذلوا بين يدى الله تعالى وخشعت جوارحهم لذهلوا عن مراعاة مخارج الحروف وعن تفهم معانى ما يقرؤنه أو يذكرونه ولو أنهم نظروا الى صفتهم حال السجود وأحدهم وجهه معفر بالتراب الذى هو محل الاقدام منكس الى أسفل سافلين وان كان فى مستعل لوجد روحه ونفسه وعقله وسره كذلك ساجدين منكسين الى أسفل سافلين وكان فى شغل عن جداله وبحثه وكان يقول لا يسلم من الجدال فى كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم الا من كان ايمانه كاملا ووقف عند ظاهر ما حده الله تعالى ورسوله من الاوامر والنواهى فان مجموع الشريعة افعلوا كذا واتركوا كذا وهذا لا يقف فيه فهم قال وقدروا وجودكم فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر أصحابه قبل تدوين كتب الفقه ووجود المجتهدين تجدوا نفوسكم لم تكلف الا بقدر ما فهمتموه أنتم دون ما فهمه غيركم انتهى قلت وهو كلام محمول على من يقدر على استنباط الاحكام أما العاجز فقد صرح العلماء بوجوب التقليد عليه والامر بما وقع فى الضلال

(وسمعت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى يقول أصل وقوع الجدال انما هو من وجود كبر فى النفس ولو ان العبد قام على نفسه بالذم وحكم عليها به لانسد عليه باب الجدال جملة وسلم لاخوانه كل ما فهموه ووجه ذلك لهم وكان يقول ما أحوج العلماء الى التأويل وعدم التفويض الا الخوف على العامة أن يفهموا من صفات الله تعالى شيأ من التشبيه على قدر عقولهم الضعيفة وأما على مقدار ما يفهمه العلماء فلا حاجة الى التأويل لعلمهم بأن صفاته تعالى مباينة لصفات خلقه وأنه لا يصح ان يلحقه تشبيه بخلقه أبدا على أن التشبيه لا ثبات له فى القلب لاحد من الخلق بشرا كان أو غيره انما يطرق القلب ثم يرد ذلك بالادلة العقلية والنقلية انتهى

(وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اجتمعت روحى بروح الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى البرزخ فقلت له ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال أليس علمه تعالى بالعرش الآن كعلمه به قبل أن يخلقه على حد سواء فقلت له نعم فقال رضى الله عنه فكذلك استواء الحق تعالى على العرش الآن هو كاستوائه عليه قبل أن يخلقه اذ لم يخرج عن

علمه حال وجوده وحال عدمه فقلت له يا امام ثم ما هو أوضح من هذا الوجه فقال لي قل فقلت ان
قوله تعالى الرحمن على العرش استوى مثل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد لان المراد بالاستواء انما هو قرب صفة الربوبية من
العبودية بالحكم والتدبير والخلق والتقدير فقال الامام جواب جيد وهو مثل قوله تعالى وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله ثم انصرف الامام رضي الله تعالى عنه وهو يكرر هذه الآية
انتهى (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول أحب لاخواننا من طلبة العلم أن
لا يتحكموا على علم الله القديم بظاهر أدلتهم وتأويلاتهم وأن لا يعطلوا أنفسهم من العمل
ويقولوا حتى نفرغ نتعلم ثم نعمل ولا ان يستغرقوا عمرهم في زوائد العلوم التي لا يحتاج اليها الا في
النادر ولا أن يتركوا عمل الحرفة التي يكون بها معاشهم خوفا عليهم ان يأكلوا بدينهم وعلمهم
أو يتعرضوا لصدقات الناس وأوساخهم فان الاكل من ذلك يطمس افهامهم بخلاف
أكل الحلال فان له مدخلا في فهم دقائق العلوم ولذلك فاق الامام النووي على أقرانه مع قصر
عمره وصار ترجيح المذهب راجعا اليه قال وقد جالست جماعة لا يتورعون في مأكلهم وهم
يبحثون في العلم فرأيتهم يسألون السؤالات الواهية النازلة عن أدنى افهام آحاد الناس من
العوام فعلمت ان ذلك بسبب أكلهم الشبهات والاوساخ (وكان) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه
الله تعالى يقول أكره لاخواننا من الفقهاء ان يدخلوا في تفضيل الائمة المجتهدين ويرجحوا مذهبا
على مذهب من غير دليل فان ذلك يؤدي الى تفرقة الدين وقد نهانا الحق تعالى عن ذلك بقوله
وأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومع ذلك فلم يسمع بعض مقلدي المذاهب بل تفرقوا وتمزقوا
وتناكروا وتخالفوا وتباغضوا وتحاسدوا وجهل بعضهم بعضا وكفر بعضهم بعضا مع ان ذلك
الامر الذي وقع بسببه ذلك ربما لم يطالبهم الله تعالى بعلمه ولا بالعمل به ولا بتأويله وتحريفه
وصرف الالفاظ عن ظاهرها وغاب عنهم أن الحق تعالى لم يخاطب بأحكامه أحدا دون أحد انما
خاطب بها الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والاولياء والصالحين والعلماء العاملين والائمة
المجتهدين وعامة المؤمنين والكفرة والمنافقين والطغاة والظالمين والخلق أجمعين ممن في
السموات وممن في الارضين فكل العلماء مستمدون من القرآن العظيم على اختلاف طبقاتهم
وكمال ايمانهم وحسب استعداداتهم فانه هو البحر الذي لا ساحل له ومعلوم أن البحر من أي
الجوانب أتيته وجدته بحرا فعلم ان من حجر كلام الله تعالى على مذهبه دون غيره بغير دليل شرعي
فقد أتى بابا من سوء الادب فانه ما ثم مذهب أولى بالشريعة من مذهب الا ان وقع مخالفة في
النصوص الصريحة بأن لم يبلغ المجتهد النص فهنالك يرجح المذهب الذي اعتضد بالنص وكان
يقول والله ان الحق أوضح من شمس الظهيرة في قلوب العارفين والعلماء العاملين وأخفى من
يناييب الشمس في قلوب المجادلين والمتعصبين الذين يطلبون العلم والعمل بالعجز والكسل
فعلم أن كلامنا مع العلماء اما العامة فمن الواجب تقيدهم على مذهب واحد لا يرون أرجح منه
والا وقعوا في الرخص بغير وجود شرطها وتسددا لها وأطال في ذلك ثم قال ومن طلب أن
يكون من أهل الادب مع الائمة المجتهدين فليدخل طريق الفقراء بذل وانكسار وتسليم وانقياد
كأنه أعمى مقاد ويترك الجدال ويعتزل بباطنه عن الخلق ويقوي همته بالتوجه الى الحق

ويكثر من سؤال الهداية الى الصراط المستقيم في ظلمات الليالي بان الله يرزقه الادب والتسليم
فانه ما من ليلة الا وينزل من السماء في الثلث الاخير فتوح رباني ومدد دنيوي فيلتقطه أهل
التسليم ثم أهل التفويض ثم تقع الافاضة من هؤلاء على أصحاب الدوائر العلمية اقطاب الافلاك
الكلية ثم تقع الافاضة من هؤلاء على الحفظة والنواب وولاة الامور من الحكام ثم تقع
الافاضة من هؤلاء على المسلكين والصالحين والعلماء العاملين ممن حضر فتح الباب وتنزل
الامداد فان الهدية لمن حضر قال وأما النائمون في الثلث الاخير فنصيبهم عند أحد الرجال
الخمس المعروفين عند الاولياء فانه يأخذ لكل من غاب نصيبا عنده صلاة الصبح اما قبل فراغه أو مع
فراغه ومن تخلف عن اليقظة عند صلاة الصبح فانه يعطى نصيبه في أسبابه الدنيوية اذا رضي
باقامة الله تعالى فيها وما بقي بعد ذلك فهو حظ الانعام وأمثالهم من العوام الغافلين عن الاسباب
انتهى وكان يقول اكره لاخواني من طلبة العلم ان يتسابقوا على مقامات العارفين ويطلبوا
حصولها من غير شيخ فان ذلك ربما لا يكون فتحصل لهم الحسرة ولو وطن أحدهم نفسه على ثبوته
على عبوديته وأما الولاية فان فاتت أحدهم في الدنيا أدركها في الآخرة فيحصل له من المقامات
والكرامات ما لم يكن له في حساب وكان يقول أكره لاحدهم السعي على وظيفة أحد من اخوانه
لاسيما ان سافر واستنابه فيها وأحب لجميع الاخوان الرضا عن الله اذا قتر عليهم الرزق وأحب لهم
حسن الاعتقاد في طائفة القوم من غير تمني لحال أو مقام أو كشف فان الهمة اذا صدقت في شيء
من ذلك أعطاه الله تعالى للعبد ولو قبل موته بلحظة فأدرك ما فاته وساوى الاولياء الذين أعطوا
ذلك مع الامان من السلب والاستدراج في محل يصدق فيه الكذوب انتهى وكان سيدي
ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول كثيرا لاصحابه أحب لجميع اخواننا من طلبة العلم ان
لا يقيدوا على العامة في عباداتهم وأحوالهم بما يشق عليهم فعله كما درج عليه السلف الصالح
وأن لا يكفروهم ولا يزدروهم وينقصوا ايمانهم لاجل جهلهم بمصطلح الفقهاء والمتكلمين في
ألفاظهم وعلومهم التي لا يدركونها الا بدقائق النحو مثلا لان العلماء لم يؤمروا بتعليم العلم بالاصالة
لمثل ذلك وانما أمروا بشهود ضعفهم وجهلهم بأمر دينهم ودنياهم وأن يكونوا عاملين بالحق في
بواطنهم من غير تقييد بما يشق عليهم وعلى غيرهم وكان يقول انما ينبغي للعلماء ان يتميزوا عن العامة
بالاتباع لما كان عليه نبيهم صلى الله عليه وسلم من الاخلاق في التواضع وحسن الخلق وحسن
الظن بعباد الله تعالى والكف عمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بدليل
شرعي واضح والزهد والورع والتقشف وترك فضول الدنيا أكلا ولبسا وادخارا وترك مألوفات
النفوس وتحمل الاذى وكثرة الصبر على من يؤذيهم بيده ولسانه ولو كان من غير المسلمين وعدم
التعرض لاحوال العامة على وجه التعمق فيما أمرهم بما أمر به العلماء العاملون من غير زيادة
قال ومما أحبه للعلماء عدم الانكار على كمل العارفين فيما علموه وأظهروه في كتبهم وان كان
دليل العقل يحيله لان دائرة الولاية تبتدئ من وراء طور العقل كما يعلم ذلك من سلك الطريق
قال وكذلك أحب لهم عدم الانكار على صلحاء الزمان وعلى صحاة المجاذيب اكتفاء وحفظا من
شرهم فانهم سريعو العطب لمن ينكر عليهم لكونهم جليسات الحضرة لا يقام عليهم ميزان
العارفين فمن أدب الفقيه احالة علم ما يراه من المجاذيب الى الله تعالى الذي مكنهم من سلب الفقيه

اذا أنكر لانهم بمعزل عما فهمه الفقيه وكان يقول أكره للفقيه الوسوسة وتكرير النية باللفظ ورفع صوته بها رفعا مزعجا ونثرا كمامه ويديه نثرا شنيعا يذهب خشوع المؤمنين وأكره له التعمق فى اخراج حروف الفاتحة وتشديداتها حتى ربما تفوته الركعة أو بعضها مع الامام ونحو ذلك مما هو مشهود منهم حتى ان بعضهم يدرك زمن الفاتحة فيتأخر حتى يركع الامام بقصد أن لا تلزمه الفاتحة ويتحملها عنه الامام وغاب عن هؤلاء ان المطلوب من العبد فى صلاته انما هو الصمت بين يدى الله تعالى بالقلب واللسان الا فى مواضع الجهر وخلع النفس وشهود الحق تعالى فى قبلته التى هى حضرة ايمانه وشهوده وان قرأ يقرأ بخفض صوت على وجه الهيبة والتعظيم لله عز وجل وكان يقول أكره للفقيه كثرة الجدال والخصام والنزاع فى فهم معانى كلام الله تعالى أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامة الحجة والدليل على الخصم لان ذلك مما يوجب عدم التسليم للائمة ويجرح اعتقاده ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ويوجب عدم الانقياد الى الحق لقيام النفس حال الجدال واستعلائها على سلطان العقل وعلى الايمان حتى ان بعضهم يبلغ به الجدال الى حد انحراف المزاج حتى لو كشف للعبد لرأى صورة أحدهم صورة بهيمة (وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما جعل الله تعالى العلم فى قلوب العلماء ليصيروا به أربابا على الناس وانما أعطاهم العلم لينفعوا به الناس بحسب التيسير وينفوا به الفساد ويجادلوا به أهل الزيغ والعناد من المبتدعة دون أرباب المذاهب الشرعية وفى قوله تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله الآية ما يشير الى ما نبهنا عليه وكان يقول انما جعل الله تعالى العلماء واسطة بينه وبين عباده نيابة عن الرسل عليهم الصلاة والسلام ليقبلوا على تعليم الامة أحكام دينهم الصريحة دون دقائقه المستنبطة وأن يؤدبوهم وينصحوهم ويرشدوهم ويكثروا من الدعاء لهم والشفقة عليهم ويحملوا همهم ويدفعوا الأذى عنهم بأنفسهم وأموالهم لان بالعامة ربح العلماء وخسرانهم ولذلك وجب عليهم حفظهم وصونهم والذب عما ظهر من عيوبهم وسترها عن حكام الجور الذين يأكلون أموال الناس بالباطل وكان يقول أحب للعامة أن يحفظوا الادب مع العلماء فى جميع أحوالهم وأقوالهم وخدمتهم وقضاء حوائجهم والاحسان الى فقرائهم ومحاويجهم لاسيما ان كان أحدهم كثير العيال ولا ينبغى للعامة ان لا يأخذوا على الفقيه فى حدة نفسه عليهم فان غالب الناس اليوم قد وضع الحق تعالى علمهم فى نفوسهم دون قلوبهم كما ورد ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وقال عبد الله بن مسعود بلغنا انه سيأتى فى آخر الزمان أقوام يوجدهم الله تعالى يحملون العلم ولا يعملون به كى لا يضيع ولو أن الله تعالى أسكن علم هؤلاء فى قلوبهم كما وقع للعلماء العاملين لبطل التمييز بين العلماء والعوام وبين العاملين والفاجرين انتهى فتأمل يا أخى فى هذه المنة وتخلق بأخلاقها والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مطابقتى بين ما عليه العارفون من دقائق الاسرار وبين ما جاءت به الرسل وقل من طابق بينهما انما يجعلون ما عليه العارفون خارجا عن الشريعة كما مر تقريره فى هذه المنن مرارا وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من لم يطابق بين جميع طرق العلم الشرعى فاته خير كثير فقلت له فما عدد طرق العلم الشرعى فقال عددها أربع

وعشرون طريقة اثنتا عشرة منها خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام واثنتا عشرة منها خاصة بابدال الرسل من المتأهلين أيام الفترات وتسمى هذه بالسياسة الحكمية بكسر الحاء المهملة واطلاق الشرع عليها مجاز فكان المتأهلون من أيام الفترات يدخلون الخلوة ويروضون نفوسهم حتى يحصل لاحدهم نور فينقدح له بفكره أمر يحصل به نظام العالم اذا فعلوا به وحكمه حكم القانون فلا يجوز العمل به أيام الشريعة وكله متعلق بأحوال الدنيا المشهودة لا يصل أحد منهم الى شئ من أحوال الآخرة ولا يعرفون ان بعد هذا الموت بعثا ولا نشورا ولا حسابا ولا جنة ولا نارا ولا غير ذلك من أحوال الآخرة كل ذلك لئلا يخلو الوجود من داع يدعو الى الحق حقيقة أو مجازا فالطرق الخاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام هى الوحى والكشف والمحادثة والمكالمة والمخاطبة والنفث فى الروع والتفهيم والالهام والتعليم والاستعداد والقبول والاجتهاد وأما الطرق الخاصة بالمتأهلين فهى المناسبة والتخصيص والتأثير والمقابلة والمقارنة والوقت والتحكيم والحكم والاصل والعلة والوعد والتخلى قال ومدار طرق الرسل على الوحى ومدار طرق المتأهلين على التخلى وهذان الطريقان من خصائص الفريقين لا مدخل للاتباع فيهما فأما طريق الرسل فمعلومة عندنا بالتواتر والعلم الضرورى وأما طريق المتأهلين فالمراد منها اعتزال القلب بالتخلى عن الدنيا وأسبابها وشهواتها وعلومها وأحوالها ليتفرغ القلب الى الاخذ عن الحق من طريق الالهام بلا واسطة من البشر فاذا تخلى العبد وتحقق بما ذكر أعطاه الله تعالى الحكمة فى موضع الاسباب وقيام ناموس الدنيا فى معاملة أهلها وما يفتقر الناس اليه فى ذلك الزمان والقطر والاقليم فرجعوا الى الخلق عاجزين مفتقرين للنور الذى صحبهم حال افاضة الحكمة عليهم فظهروا بأعمال وأحوال لم يسبقوا اليها وقاموا فى ذلك الزمن مقام الرسل فى جمع نظام العالم الدنيوى مع علمهم بأنه لو جاء اليهم رسول لتبعوه فيما يدعوهم اليه وتركوا ما عندهم ولذلك بشروا فى كتبهم بظهور الرسل الآتين بعدهم وأوصوا أتباعهم باتباعهم ان أدركوهم ولم يكتفوا بذلك حتى سألوا الحق تعالى ان يريهم صورهم المختصة بهم اذا ظهروا فيثبتوها فى الكتب لاتباعهم فأراهم سبحانه وتعالى صور الانبياء والرسل فى عالم الارواح فوصفوا تلك الصور فى كتبهم على علم وبينة ثم لما توفرت الدلالة على صدقهم عند الاتباع بوقوع ما أخبر به أئمتهم المذكورون من الاوصاف اختلفت أهواء الاتباع وآراؤهم لعدم من يبصرهم بعيوبهم وما هم عليه من الخطأ فحرفوا كلام المتأهلين عن مواضعه كما حرفت اتباع الرسل من غير أهل السنة والجماعة كلام الرسل بالتأويل العاضد لاهوائهم المضلة عن سواء السبيل وفهموا من طريق التخلى عن الدنيا ان كل من سلك تلك الطريق نال ما ناله المتأهلون وغفلوا عن كون تلك الطريق خاصة بأولئك الاشخاص الظاهرين فى زمن الفترات ليس لغيرهم فيها قدم فسلكوا طريقهم فلم تنتج لهم شيئا مما توهموه وظنوا ان الخطأ انما هو لفقد شرائط فى نفس الامر لم تبلغهم فاشترطوا فى التخلى شروطا لم يشترطها المتأهلون من تقليل الطعام وعدم الكلام وعدم النوم والعزلة بأجسامهم عن الناس وغير ذلك مما أضعف أبدانهم وكثرت به تخيلاتهم وفسدت به عقائدهم وظهرت لهم صور حسنة أو مهولة نشأت من جمعية هممهم مثالا لما هم عليه من التقييد بالاعمال فتارة يظهر لهم صور شجية فى الخيال فتخبرهم عن أشياء تأويلها هو ما هم عليه

وتارة يظهر لهم نورا أو ظلمة أو صور قبيحة أو حسنة من كلاب وحيات وغيرهم مما هو كامن فى طباع الانسان فان جسده هو النسخة الجامعة لما فى العالم العلوى والسفلى فمن هنا دخل الغلط على أهل الخلوة حتى ان بعضهم تزندق وبعضهم خرج يضرب الزغل ويزعم انه صار يعرف التدبير الصحيح الذى يطلع الله تعالى عليه أهل الكشف ولو أن هؤلاء كان لهم شيخ متضلع من علوم الشريعة لأعلمهم ان الحق تعالى لم يفرط فى الكتاب المنزل اليهم من شئ ومع ذلك فلم يشترط فى الاعمال التى جاءت على أيدى الرسل شيأ مما اشترطه هؤلاء انما اشترط عليهم اتباع الرسل فى أقوالهم وأفعالهم لانهم اعلم بمصالح من أرسلوا اليه من أنفسهم وقد أخبرنى الشيخ محمد العياشى أحد أصحاب سيدى ابرهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه انه ذهب من غير علم سيدى ابراهيم الى بعض المشايخ فى عمره فاختلى عنده أياما فبلغ ذلك سيدى ابراهيم فارسل أخرجه من الخلوة وقال له ياغمة هل تقدر بخلوتك ان تأتى الناس بمثل حديث فى البخارى ومسلم ولو مكثت فيها ألف سنة فقال له لا فقال له سيدى ابراهيم مثلك مثل من لا يكتفى فى النهار بضوء الشمس ويجلس يقدح الزناد ليجعل له مصباحا يستضئ به انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول جميع ما يطلبه أهل الخلوة باختلائهم انما هو لجهلهم بالشريعة المطهرة فانهم مقلدون للشارع بزعمهم والمقلد يكفيه معرفته بصور العبادات والايمان بانها من عند الله تعالى ولا يحتاج الى تأويل ولا تحريف ولا طلب دليل على ما جاء عن الشارع ولا علم معانى ما كلف به لان ذلك ليس من وظيفة التابع وانما هو من وظيفة المتبوع وما أقبح عبدا تجرأ على الله تعالى وطلب اظهار ما ستره عنه مما لم يقسمه له وطلب ان يقسمه له وغفل بقلبه وقالبه عن فعل ما أمره الحق تعالى به من الاقوال والافعال والسنن الواضحة ولو انه كان عنده نور ايمان فى قلبه لأثر فيه الايمان بخاصية الكشف عن معانى ما تعبده الحق تعالى به وعلم ان فى فعل الطاعات من صلاة وغيرها ما يغنى عن الخلوة لانها حضرة خاصة بالحق تعالى لا تقبل أحدا من الخلق فلو أراد الانسان أن يكون مختليا دائما لكفاه الاشتغال بما شرعه الله تعالى من الطاعات القولية والفعلية فاعلم ذلك فانه سر عظيم ما أظنه طرق سمعك قبل ذلك ابدا اهـ (ثم) لا يخفى عليك يا أخى ان ما ذكرناه من ذم الخلوة انما هو فى حق من يطلب من الحق تعالى بخلوته أمرا يكون عليه من النواميس أما من يطلب بها صفاء المعاملة مع الله تبارك وتعالى فى المأمورات الشرعية كما عليه اتباع الشيخ دمرداش واتباع الشيخ شاهين فى مصر فهذا لا بأس به والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) العمل على طهارة ايمانى وذلك بالتوبة واصلاح الطعمة فمن قام بهذين الامرين فقد طهر ايمانه من النقص فاما التوبة فترفع حكم المعاصى المتجددة فى اليوم والليلة كما ترفع الشهادتان حكم الشرك بالله تعالى المسمى بالخفى فى هذه الامة فالواجب أدبا على كل مسلم الاكثار من الاستغفار فى الليل والنهار سواء استحضر انه عصى أم لم يستحضر بل عدم استحضار العاصى انه عصى ربما يكون عند الله تعالى أشد من معصيته التى وقعت فيه فأكثر من التوبة والاستغفار ناويا به التوبة مما يعلمه الله تعالى منه مما فاته ونسيه والمراد من التوبة رجوع العبد الى الله بقلبه فى أكثر حالاته حتى لا يكون غافلا عن ربه ونفسه فيكتب من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وأعظم أوقات التوبة

أواخر النهار وأواخر الليل وأما اصلاح الطعمة فهو الاساس الاعظم وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل الكسب الحلال والاكل منه ومن عمل العبد بيده والتصدق بما زاد وورد النهى عن ترك الكسب فى الآيات والاخبار وذم من جعل نفسه كلا على الناس سواء كان أباه أو أمه أو صديقه أو قريبه وقد جعل العلماء بالله تعالى الكسب واجبا وجوبا موكدا ملحقا برتبة الايمان وأشار الى ذلك فى حديث الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له فجعل دعاء من يأكل الحرام يرد كما رد دعاء الكفار ولو فى الجملة فافهم ثم مدار الامر على التقوى فى جميع ما يعمله العبد من الحرف والصنائع وكل انسان يعرف فى حرفته ما يقع به التقوى وما يقع به الغش وقد جعل الله ورسوله العبد أمينا على نفسه فى حرفته فاذا خان الامانة فانما خان نفسه ودينه والناس أجمعين ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام الطهور شطر الايمان وقد جعل الله تعالى البركة فى التقوى والفقر فى الغش فمن نصح فى حرفته بارك الله له فى رأس ماله من حيث لا يشعر حتى يصير من أوسع الناس مالا ومن غش فيها وتشبه بأبناء الدنيا الذين هم فوقه فى الدنيا انكشف حاله وتبددت بركته وصار عن قريب يضرب به المثل فى الخمول (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول كما أمر العبد ان لا يغش فى حرفته كذلك أمر أن لا يغش فى طاعاته ويخلطها برياء أو سمعة فمن فعل ذلك فقد بخس دينه وايمانه انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد وتسعد ويبارك لك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عملى دائما الطاعات أوائل دخولى فى الطريق على تحصيل مقام الصديقية والشهادة دون تحصيل طريق الولاية باشارة سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه فان الصديقية والشهادة من مراتب الولاية وهى مرتبة مخصوصة لاقوام مخصوصين على عدد مخصوص لكن العدد بالمراتب لا بالاشخاص لانه ربما يكون فى المرتبة الواحدة شخصان أو أربعة أو أكثر وربما يكون فى المرتبتين واحد كالقطب وربما يكون الرجلان بمنزلة الرجل الواحد وعكسه ولا طريق للولاية ظاهرا حتى تطلب انما هى أخذة تأخذ العبد على أى حالة كان فتقلب عينه ولبا خالصا فى اسرع من لمح البصر وهذا ليس للعبد فيه تعمل لانه من الوهب لا من الكسب فعلم أن جميع من يشتغل بالرياضة والخلوة طلبا لحصول الولاية مغرور وغايته التشبه بالاولياء فى المراسم والهيآت وظواهر الاعمال لا غير فهو كالرطب المعمول الذى يحمض ويتلف عن قرب بخلاف الولى الخالص فانه كالرطب الجنى لا يزداد على ممر الايام الا حلاوة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص اختلى وأكثر من الذكر والجوع طلبا للولاية فقال له يا مبارك الحال اخرج من هذه الخلوة وما قسم لك لا بد من حصوله فان الولاية الخاصة لا تنال بعمل لانهم محبوبون كالانبياء بالاختصاص الالهى من غير تقدم عمل وأما الولاية العامة فقد تنال بعمل كما أشار اليه قوله تعالى ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فما حصلت محبة الحق لمثل هذا العبد الا بعد تفعل وذلك مذموم فى طريق الخواص محمود فى طريق غيرهم اذا لم يجدوا من يرشدهم الى تحقيق الخواص ثم قال له يا أخى لو ان شيخك أخلاك وجوعك ثلاثين سنة لم تصل الى مقام الولاية الا ان جملت جوعك

طريقا لتحصيلها فقال لا أخرج من الخلوة أبدا فقال له الشيخ تب الى الله تعالى واعبد ربك امتثالا لامره فان أجلك قد قرب فابى فمات بعد يومين بالجوع فأعلمت الشيخ به فقال لا تصل عليه فانه مات عاصيا لقتله نفسه بالجوع (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول حكم هؤلاء الذين يأخذون العهد على المريدين بالجوع والرياضة ليصيروا أولياء حكم من أراد أن يجعل شجرة أم غيلان تطرح رطبا أو شجر الجميز يصير تفاحا أو شقف الطباخ الزفورى تصير كآنية الصين وذلك لا يصح له أبدا انتهى واعلم يا أخى أن الصديقية التى طلبتها بأعمالى هى فى مصطلحنا اسم لترك المناهى جملة فكل من أحكم ترك المناهى وانقادت نفسه الى الموت وقطع المألوفات والخروج عن العوائق والعوائد وغلظ الطبع واستحكام ترك الشهوات قلت أو جلت فقد استقام مع الله تعالى حد الاستقامة الممكنة لامثاله وليس ذلك لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد الانبياء الا لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وجميع من حصل له ذلك المقام فانما هو بحكم الارث له فى ذلك ولذلك أعطى أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه من مقام التسليم حظه الاوفر وأطلق عليه اسم الخلة فى حديث ان الله تعالى يتجلى فى الآخرة للاخلاء الثلاثة محمد وابراهيم وأبى بكر الصديق أى تجليا خاصا وحقق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم اشارة الى تحقيق الخلة التى هى تسليم النفس والمال والولد لله رب العالمين فكان من أمن الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله وولده وأما طريق الشهادة التى طلبت تحصيلها بأعمالى فهى التزام الاوامر وانسحاب ذلك الحكم على مراتب الدين كله فى سائر الاعمال وليس ذلك لبشر بعد النبيين الا لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكل ورثته فكل من استحكم أمره فى توفية فعل الاوامر فهو من الراسخين فى العلم فان عمر رضى الله عنه لم يدع بابا من المناهى اتصف أبو بكر بتركه الا أخذ عمر رضى الله تعالى عنه فى مقابلة ذلك وجها محمودا وان لم يؤمر به شرعا فلذلك شبهه صلى الله عليه وسلم بموسى الكليم فى التكليم بقوله ان يكن فى أمتى محدثون بفتح الدال المهملة المشددة فعمر بن الخطاب اذ التحديث فرع من مكالمة الحق تعالى عبده فى سره وكان رضى الله تعالى عنه مع فعله سائر المأمورات يقول لحذيفة رضى الله تعالى عنه انظر هل فى شئ من النفاق فأخبرنى لاتوب منه فكان يتهم نفسه بالنفاق وانما خص بذلك حذيفة لانه كان يعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقام الصديقية أكمل لكون مقام الشهادة أقرب لخطر صورة نسبة ظهور الاعمال فنزهت مرتبة الصديقية عن ذلك فتأمل ذلك واعمل يا أخى على تحصيل مرتبتى الصديقية والشهادة حسب الطاقة فانهما زمام جميع الاعمال الصالحة وترجع اليهما جميع الاعمال على اختلاف طبقاتها لانها لا تخلو أن تكون فعل مأمور أو اجتناب منهى فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظى من الندم على فوات معصية فاتت أو طاعة فاتت الا من حيث ان الله تعالى يحب الندم على فوات الطاعات لا من حيث مالى فى ذلك من الثواب أو نسبة العمل اذ الندم على ترك المعصية يحبط العمل والندم على فوات الطاعة بشهود نسبة العمل للعبد يحبط الاخلاص عند القوم وان كان الندم على فوات الطاعة كمالا

فى حال البداية والنهاية لكن من وجهين مختلفين فافهم وايضاح ذلك أن المؤمن الكامل فى حال توسطه لو كان لا ميل فى قلبه الى شئ يقع فى مستقبل الزمان دون شئ فان صومه الله صام بنية الشكر وان أقامه فى الليل قام كذلك بنية الشكر وان نومه نام بنية الرضا لاحزازة فى نفسه على شئ فات ولا نظر عنده لما هو آت يقول الحق على نفسه وولده ويعطى الحق من نفسه لخادمه وأمته مشغول بما أهمه من أمر دنياه أولا ثم بأمر دينه ثانيا ثم حقوق اخوانه ثالثا ثم حقوق نفسه رابعا ومن سلك هذا المسلك فهو الآمن من عذاب الله المؤمن بتعظيم آيات الله فعلم أن كل من حزن على فوات شئ أو فرح بحصول شئ فهو عبد لذلك الشئ فلذلك كان كمل المؤمنين لا يحزنون على مافات ولا يفرحون بما هو آت الا ان طلب الله تعالى منهم ذلك هذا أساسهم الذى دخلوا به لمعاملة الله عز وجل فكانت بدايتهم نهاية غيرهم (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول للمريد اعلم يا ولدى أنه لا يصح لك شئ من الطريق الا ان أسست أساسك على أنك لا تفرح الا بربك ولا تحزن الا على حجابك عنه وهناك يرقيك فى المقامات واما ان أسست أساسك على الفرح بغيره والحزن على فوات غيره فيا طول طريقك انتهى فتأمل يا أخى ذلك واجعله أساسك وفى قول بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم غبطت أن لو لم أكن أسلمت الا يومئذ اشارة الى بعض ما هنا من المقامات فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) نصحى لمن استشارنى فى الاخذ عن أحد من فقراء هذا الزمان وعدم مداهنتى فى ذلك فأقول له ان أردت الطريق فعليك بفلان واياك والاجتماع على فلان لكن يكون مثل هذا سرا لئلا يتولد من ذلك مفسدة ويكون بحق لئلا يكون غشا لعباد الله تعالى وطريق الحق فى ذلك أن يطلع أحدنا من طريق كشفه أن ذلك المريد لا نصيب له عند ذلك الشيخ أو كون ذلك الشيخ ناقصا لا قدم له فى الطريق كأن جلس للمشيخة بلا اذن من الاشياخ كما هو الغالب (وقد أخبرنى) شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه ان سيدى محمدا الغمرى وسيدى مدين لما دخلا مصر يطلبان الطريق دلهما بعض الناس على سيدى محمد الحنفى رضى الله تعالى عنه فبينما هما يمشيان بين القصرين وهما قاصداه اذ لقيهما شخص من أرباب الاحوال فقال لهما لا تطرقا الابواب الكبار فانه ليس لكما فيها نصيب ارجعا واطلبا أحمد الزاهد فى خط المقسم بباب البحر فرجعا عن سيدى محمد الحنفى فاجتمعا بسيدى أحمد الزاهد فكان فتحهما على يديه فكان ارشادهما الى الزاهد نصحا لهما لا ازدراء بسيدى محمد الحنفى رضى الله تعالى عنه فانه تقطب سنين عديدة كما هو مذكور فى مناقبه انتهى (وقد كان) سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه لا يذكر أحدا بسوء ومع ذلك سمعته مرارا يقول لاصحابه اياكم والاجتماع بالشيخ الفلانى فانه جلس بنفسه بغير اذن شيخ فصرح باسمه ولم يكن عن ذلك نصحا للمسلمين (وقد اجتمعت) أنا بالشيخ المذكور ورأيت طريقه الرياضة بأسماء السهروردى فاعطته الاسماء بعض آثار من تولية بعض المباشرين وعزلهم فاشتهر بذلك فظن بعض المحجوبين أن ذلك من صحة ولايته لجهلهم بالطريق وأقام على ذلك سنين وصار له عشر نقباء يرسلهم فى حوائج الناس الى الامراء فى الشفاعات أيام

الغورى ثم انكشف حاله وتفرق الناس عنه فتدارك أمره وأخذ عن سيدى على الخواص وعن سيدى على المرصفى وصار يقول كل ما كنت فيه ضلال عن الطريق ومات بخير رحمه الله تعالى * وفى عصرنا هذا جماعة على قدم الصدق فى الطريق كسيدى الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ ابراهيم الذاكر والشيخ عبد الكريم خليفة الشيخ دمرداش وسيدى محمد البكرى وغيرهم ممن ذكرناهم فى الطبقات رضى الله تعالى عنهم أجمعين فكثيرا ما أرشد من يطلب الطريق الى هؤلاء لعلى برسوخ قدمهم فى الطريق فأسأل الله تعالى أن يفسح فى أجلهم لنفع المسلمين آمين * وفى وصية اخى أفضل الدين لاخوانه اياكم ومصاحبة غالب مشايخ المتصوفة الذين خرجوا فى هذا الزمان بالجهل والدعاوى الكاذبة حين ذهب الصالحون ولم يبق من آثارهم الا التشبه بظواهرهم فيما لا نفع فى وجوده ولا ضرر فى عدمه ولا مكروه فى تركه كلبس الجبة والتعمم بالصوف وارخاء العذبة وامساك السبحة لكن يكون تركك لهم من غير ازدراء لهم ولو رأيتم أحدهم يسافر من مصر الى بلاد الروم فى طلب الدنيا فلا تقيموا عليه الميزان وتقولوا هذا خروج عن الطريق فربما قاس بعضهم حاله على حال الجاهلين وكان هو من الصادقين فيكشف لاحدهم أن الله تعالى جعل له فى الروم رزقا فهو يسافر له وقلبه فارغ من محبة الدنيا انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من لم يجد فى عصره شيخا صادقا فحسبه محبة الله تعالى ومحبة رسوله وحسن الاعتقاد والرضا بالاقامة فى الاسباب بنية نفع نفسه ونفع العباد واذا اجتمعتم بأحد من مشايخ هذا الزمان الذين جلسوا بانفسهم وزل بكم القدم فاياكم ونسبته الى القطبية ولا تزيدوا على وصفه بسيدى الشيخ فلان واياكم بعد الاجتماع عليه أن تقبضوا وجوهكم عن اخوانكم وتقرمطوا أنوفكم وتطأطوا رقابكم بل كونوا كما كنتم قبل اجتماعكم عليه ومن فعل ما ذكرناه مع اخوانه فانه دليل على نقص شيخه فان الكامل من شأنه ان يسلك الناس وهم فى أسبابهم ولا يقول لاحد منهم اترك سببك أو اهجر اخوانك حتى نسلكك وما نهى الاشياخ المريد أوائل توبته الا عن صحبة الفسقة من اخوان السوء خوفا عليه أن يرجع الى فعل ما كان تاب منه انتهى وقد رأيت انا جماعة أخذوا عن شيخ فصاروا مع اخوانهم كأنهم فى دين وهم فى دين فتنافروا وتشاحنوا وترافعوا الى الحكام وامتلأت قلوبهم بالشحناء والبغضاء لبعضهم بعضا فازدادوا مرضا الى مرضهم فاياكم أيها الاخوان من ذلك ترشدوا والله تبارك وتعالى يتولى هداكم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم استجلابى حضور أحد من الامراء لى مجلسى كما يفعله النصابون الذين عجزوا عن أعمال الصالحين التى تقع لهم بها الرياسة على الناس بل رأيت بعضهم يغمز نقيبه ويقول اذا جلس عندى الامير الفلانى مثلا فتعال قل لى بحضرته ان الباشا أرسل لكم السلام مع شخص من جماعته ويقول لكم لا تخلوه من نظركم فانه فى بركتكم فيسمع ذلك الامير فيحكى ذلك للامراء فيصيرون يترددون اليه بل بعضهم رأى فى خلوته شخصا فادعى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يزوره وبعضهم يدعى ان الخضر يزوره وينزل شخصا فى قرد كبير من طاقة فى سقف البيت فاذا قرب من الارض أمر الحاضرين بالقيام له والتبرك به ثم

يغمز

يغمز الذى أنزله ان يرفعه وقد بلغ جماعة من العلماء ما يفعله من دعوى النبوة وحكموا بردة ذلك الذى ادعى وجددوا اسلامه فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاحذر يا أخى من دعوى مثل ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة حضور الملائكة والجن لدرسى ولذلك كنت أرسل الكلام دائما من غير تحجير ولا تقييد على قدر فهم الحاضرين وقل من الفقراء من يتفطن لهذا وما رأيت فى عصرى هذا أحدا على هذا القدم الا سيدى محمدا البكرى نفعنا الله ببركاته فلا يكاد أحد من الحاضرين لمجلسه يعقل شيأ من غالب كلامه المتعلق بأولئك الحاضرين من الجن والانس والملائكة ونحوهم من أهل الدوائر العلية لكثرة حضور الملائكة وأكابر علماء الجن والانس مجلسه فربما قال من لا معرفة له بما قلناه ليس فى كلام هذا فائدة لعدم تعقل الحاضرين له ولو انه كشف له عما ذكرناه للزم الادب مع سيدى محمد هذا فانه من نوادر الزمان فى الاطلاع على دوائر الاقطاب والاوتاد والابدال وأسرار الشريعة رضى الله تعالى عنه * وفى وصية أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا تكلمتم فى الطريق فلا ترسلوا الكلام بحسب الحاضرين من الانس فقط وبحسب رتبتهم بل تكلموا بحسب الوقت والفتوح فانه ما ثم مجلس الا وفيه من يقبل التخلق باخلاق الكمل من انس وجن وملائكة سواء علمتم بهم أم لم تعلموا انتهى * وقد تقدم فى هذه المنن ان علماء الجن أرسلوا الى خمسة وسبعين سؤالا فى التوحيد وغيره فكتبت لهم عليها ومسودتها عندى الى الآن * وبلغنا عن الشيخ عثمان امام جامع الازهر ان الجن كانوا يشتغلون عليه بالعلم وكذلك سيدى محمد الحنفى كما هو مذكور فى مناقبهما فقال سيدى محمد بن زين فى قصيدته الرائية هذه الابيات

ابن شيخى عثمان مقرئ سبع * فخر دين امام جامع الازهر

كانت الجن يقرؤن عليه * يالها من مناقب حين تذكر

الى آخر ما قال رحمه الله تعالى * ومما وقع له ان شخصا من طلبته طلب التزويج وطلب من الشيخ المساعدة فأمر الجن بمساعدته فاعطوه كيسا فيه ثلاثون دينارا فبينما هو يخرج منه فى سوق الاماطيين اذ عرفه الاماطى وأقام بينة انه كيسه ودراهمه فمسك الكيس فرجع الطالب الى الشيخ فأرسل وراء الجنى الذى أتاه بالكيس فقال له ما الخبر فقال له ياسيدى نحن قوم موكلون بأخذ كل ما يحبسه التجار من واجب الزكاة ودفعه للفقراء وبأخذ كل ما أرادوه فى الاخبار بالمشترى ودفعه لمستحقيه ثم قال للشيخ قل له القطعة الفلانية أما أخبرت بشرائها انها كذا وكذا والقطعة الفلانية كذا وكذا فلا زال يعدد له وقائعه واحدة واحدة فأرسل الشيخ وراء التاجر وأخبره الخبر فقال صدق وانا تائب الى الله من هذا الوقت وصدق الجنى على جميع ما قال ومما وقع لسيدى محمد الحنفى رضى الله عنه ان الجن انقطعوا عن مجلسه مدة ثم جاؤا فقال لهم ما منعكم عن الحضور هذه المدة فقالوا كان عندكم اترج فى طبق ونحن لا ندخل بيتا فيه أترج أبدا انتهى فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كراهة نفسى للاكل من الاطعمة الفاخرة فى الاوانى

الصينى أو الزجاج الفرنجى وكذلك أكره لبس الاصواف الرفيعة والجوخ البندقى العال والشاشات القندهارية لعزة وجودها الآن من وجه حلال وقد كانت عمامته صلى الله عليه وسلم من غليظ القطن وهى المسماة بالقطوية وكان السيد عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين بحق أقول لكم والله ان أكل نخالة الشعير وسف الرماد ولبس المسوح الخشنة والنوم على المزابل لكثير على من يموت انتهى ولا تغتروا أيها الاخوان بمن رأيتموهم يلبس الرفيع ويأكل من الاطعمة الفاخرة وفتشوا أمره تجدوه قليل الورع وقليل الورع لا يقتدى به اللهم الا أن يكون من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية ممن حضرته حضرة الجمال كسيدى على بن وفا وسيدى مدين وسيدى أبى الحسن البكرى وولده سيدى محمد الحنفى وغيرهم فمثل هؤلاء لا يقام عليهم الميزان المذكور لان الله تعالى ربما يستخلص لهم الحلال من بين فرث الشبهات ودم الحرام لكرامتهم عليه ومصداق ذلك حصول هذه الملابس والمآكل والمراكب التى بأيديهم من غير حصول ذل فى وصولها اليهم فلا تكلف عندهم فى شىء منها فافهم واياك والانكار فيحصل للعبد المقت والعياذ بالله تعالى * وقد وقع ان الوزير المشهور بابن زنبور رأى سيدى على بن وفا فى باب زويلة فنظر الى ملابسه ومراكبه فرأى هيئته كملابس الملوك ومراكبهم فقال فى نفسه ايش خلى هؤلاء لنا من الامور فقال سيدى على لغلامه اذهب فقل له فى أذنه تركوا لكم خزى الدنيا وعذاب الآخرة فنقم السلطان على ابن زنبور وسلب نعمته بعد أيام فجاء ابن زنبور واستغفر من حق سيدى على رضى الله تعالى عنه فاياك يا أخى ثم اياك من الانكار على من تراه فى هذا الزمان بهذه الصفة أما من لا يصل الى تلك الملابس والمراكب الا ببذل فى طريق تحصيلها كامثالنا فلك الانكار عليه وبيان نقصه وقلة ورعه فى اتعاب نفسه والاشفاق عليها فى تحصيل ما ليس هو من أهله ولا يسره الله تعالى له فلعله ينزجر هذا اذا وجدت هذه الامور من وجه حلال نسبى فكيف اذا أخذت من الامراء والظلمة بقلوب مائلة ونفوس كالبة وعقول سالبة فى زمان لا يوجد فيه القوت الا بعناية أسباب الموت فافهم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تشريفى برؤيته تعالى فى النوم خمس مرات وبرؤية سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مرارا وبرؤية السيد عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وبرؤية الخضر عليه السلام وبرؤية المهدى عليه السلام وبالاجتماع التام على القطب رضى الله تعالى عنه فاما رؤية الحق جل وعلا فوقع لى فى بعضها عتاب من جهة تنظيف المسجد الذى أنا مقيم فيه الآن من بيت العنكبوت وسواد حيطانه فاصبحت فشرعت فى كنسه وتبييضه وخاطبنى سبحانه وتعالى بأمور تظهر فى الآخرة ان شاء الله تعالى من علوم سر القدرة وأما السيد عيسى عليه الصلاة والسلام فدعا لى وقدمنى فصليت به اماما فى صلاة العصر وربما اجتمعت به فى اليقظة وألهمت انه هو وقد ادعى شخص من اخواننا انه اجتمع به فى سوق الوراقين بمصر فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فانكر ذلك عليه بعض العلماء وانكاره غير صحيح فقد نقل ابن سيد الناس فى ترجمة سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه رواية الطبرانى والطبرى ان عيسى عليه الصلاة والسلام نزل الى الارض بعد الرفع فى حياة أمه وخالته عليهما

السلام

السلام فوجد أمه تبكى عند الجزع فسلم عليها وأخبرها بحاله فسكن ما بها ووجه الحواريين فى بعض الحوائج قال الطبرى فاذا جاز نزوله بعد رفعه مرة قبل نزوله آخر الزمان فلا بدع انه ينزل مرات ونقل عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه انه اجتمع به أيام سياحته فى طلب من يرشده الى الدين الحق قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه مر على غيضة فرأى قوما من أرباب البلايا يجلسون تجاه الغيضة فى وقت يعرفونه فيخرج لهم المسيح عليه الصلاة والسلام فيمسح بيده على عاهاتهم فيبرؤا منها كلها فاجتمع به سلمان واعلمه بقرب ظهور محمد صلى الله عليه وسلم هكذا نقله بعضهم وفى ترجمة سلمان فى السيرة ما يشهد لبعض ذلك وأما الخضر عليه السلام فارشدنى الى ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم بعد صلاة الصبح وأما القطب فرأيته يبيع الفول الحار بالامشاطيين بمعرفة سيدى على الخواص فدعا لى بالصبر على البلاء وقد بسطنا الكلام على وقائعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رسالة مستقلة فراجعها ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم شكوى من يؤذينى الى الله تعالى أو الى نفسى فان ولينا كلنا هو الله تعالى وانما أرضى بذلك الاذى فان لم يقع لى الرضا صبرت لكن لا يخفى ان الرضا بذلك انما هو من حيث التقدير الالهى لا من حيث الكسب فيجب على الانكار على من آذانى بغير حق عادى من حيث انه عصى ربه بذلك كما يجب على الانكار على من آذى غيرى بغير حق كذلك على حد سواء فأقول له ايذاؤك لى لا يجوز فاذا عجزت عن رده بالدفع فان عجزت عن هذين الشيئين توجهت بقلبى الى الله تعالى ان يكفه عنى وذلك من جملة تغيير المنكر الذى هو أضعف الايمان وأقواه من حيث مقام الاحسان فان الضعف تارة يكون من قلة الدين وتارة يكون من قوة الدين والمراد به هنا عند العارفين الثانى الذى هو أعلى من مقام الايمان كما تقرر مرارا وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول فى حديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث معناه ان تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون وتغييره باللسان يكون للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللفظ فى مرتكب ذلك المنكر فيرجع عن المنكر وتغييره بالقلب لكمل العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم أن يكونوا ناهين لغيرهم فيتوجه أحدهم بقلبه الى الله عز وجل فى تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه فهذا هو التغيير حقيقة وأما قول الانسان اللهم هذا منكر لا أرضاه فليس فيه تغيير فتأمل انتهى والحق ان المراتب الثلاث تكون لكل واحد من الثلاثة فأول المراتب المقاتلة والجهاد فان عجز عن الجهاد أنكر باللفظ ليقبح ذلك المنكر عند فاعله وعند من يراه فان عجز بأن خاف ضررا من قتل أو جرح أو اخراج من وطن فليقل بقلبه اللهم ان هذا منكر لا أرضاه وتقدم ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على شهودى ان جميع ما ينالنى من الاذى من بعض ما استحق من الله تعالى وان الحق حاضر ناظر الى ما يصنع عباده فلا حاجة لنا الى الشكوى اليه الا بالنظر لامر آخر قليل من يقف له لعزته فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اعمائى بالعيب من صغرى سواء كان غائبا عن بصرى أو عن

ادراك عقلى وذلك من أكبر نعم الله تعالى علىّ فلم يقع لى قط توقف فى شئ تحيله العقول ويثبته الشرع من صغرى الى وقتى هذا وقد مدح الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب وجعلهم من المفلحين وكرامات الاولياء فرع عن معجزات الرسل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام الينا بما تحيله العقول وآمنا بذلك من غير تأويل فكذلك الحكم فى كرامات الاولياء يجب الايمان بها انتهى (وقد حكى لى) مرة شخص من أهل بيت المقدس انه كان مسافرا هو وزوجته الحامل معه فخرج عليهما الاسد من امامهم وقطاع الطريق من خلفهم فصاح الولد من بطن امه صيحة عظيمة فولى الاسد راجعا وولى قطاع الطريق هاربين فلما ولدت وأفصح الولد أخبر أمه بالقصة وكيفيتها * وقد ذكر الشيخ عبد الغفار المعروف بابن نوح فى أوائل كتابه المسمى بالوحيد فى علم التوحيد ان خادم شيخ العرب شيخ الشيوخ ابن مسكينة ببغداد أخذ سجادات الفقراء وسبق بها يوم الجمعة ليفرشها لهم فنزل يتطهر فى شط الدجلة فطلع بمصر فوجد رجلا صباغا وكان يعرف صنعة الصبغ فاستعمله صانعا عنده فى الصبغ وزوجه ابنته وأقام معها سبع سنين وولد له منها أولاد ثم نزل يوم جمعة ليغتسل فى بحر النيل فطلع ببغداد ووجد السجادات فى المكان الذى تركها فيه فأخذها وفرشها لهم وصلوا صلاة الجمعة فقال له الشيخ قد أبطأت فى هذه المرة فحكى له القصة فقال له الشيخ هل كنت تنكرت فى شئ أو أنكرت شيأ من كرامات الاولياء فقال نعم تفكرت فى معنى قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال له يا ولدى ان الله يبسط الزمان فى حق قوم ويقبضه فى حق قوم آخرين وقد أراك الله تعالى ذلك ثم ان الشيخ أرسل الى مصر فاحضر أولاده الى بغداد فعرف بعضهم بعضا وأقره علماء ذلك العصر من غير نكير فى ذلك انتهى وهذه الحكاية لا يتوقف فى الايمان بمثلها الا الضعفاء فان القدرة لا يتوقف عليها شئ وهذه من مسائل ذى النون التى تحيلها العقول مثل ادخال الواسع فى الضيق من غير أن يتسع الضيق وتأمل يا أخى اذا رسمت القرآن كله فى قالب وصرت تختم به على الورق الابيض فيرتسم القرآن كله فى آن واحد فلو أراد صاحب القالب ان يكتب كل يوم كذا كذا ألف ختمة لفعل (وقد حكى لى) الشيخ يوسف الكردى صاحب سيدى ابراهيم المتبولى انه اشتهى زيارة والدته فدخل الخلوة بعد العصر فرأى انه داخل بلاد الاكراد فمكث عند أهله سنة ثم سافر الى بركة الحاج ثانى مرة فلما خرج من الخلوة أخبرهم بالخبر فضحكوا عليه ثم ان والدته جاءت وأخبرت الفقراء انه أقام عندها سنة انتهى وقد تقدم فى هذه المنن ان سيدى عليا المرصفى أخبرنى أنه قرأ فى حال سلوكه فى اليوم والليلة ثلثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة انتهى وفى القرآن العظيم قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك مع بعد المسافة ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر فاياك يا أخى والاعتراض فقد وضح السبيل ورفع النص حكم التأويل والله تبارك وتعالى يتولى هداك ويرشدك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) انه جعلنى من ورثة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لكونها تجمع مقامات الرسل كلها فلا يخرج عنها مقام وقل فقير يعطى ذلك انما يكون أحدهم وارثا

لموسى أو عيسى أو زكريا أو يحيى ونحوهم عليهم الصلاة والسلام حتى ربما نطق أحدهم بموسى أو بعيسى عند طلوع روحه ويكرر ذلك الاسم فيعتقد من لا معرفة له بما قلناه انه تهود أو تنصر عند الموت ومات على ذلك وليس كذلك وانما نطق باسم من كان وارثه من الانبياء كما ينطق الانسان باسم شيخه عند الموت مع ان شيخه من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم بيقين فلا يضره ذكر اسم ذلك النبى كما لا يضره اسم شيخه فعلم ان من كان محمدىّ المقام فقد انطوى عنده جميع مقامات الرسل بقدر حظه ونصيبه منها لانه لا يصح لغير نبىّ أن يرث مقام نبىّ على التمام أبدا وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين ابراهيمىّ المقام وسيدى على الخواص محمدىّ المقام وسيدى ابراهيم المتبولى محمدىّ ابراهيمىّ فكان تارة يقول شيخى السيد ابراهيم الخليل وتارة يقول شيخى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ويجمع بينهما بأنه كان تلميذا فى بدايته للخليل عليه السلام ثم صار تلميذ الرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نهايته فافهم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) زهدى فى الدنيا لكونها مبغوضة لله تعالى لا لعلة أخرى من راحة بدن أو تخفيف حساب وكذلك مما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ زهدى فيما فى أيدى الناس ليحبنى الناس فيشفعوا فىّ عند ربهم اذا وقعت المؤاخذة لى على ذنوبى لا لعلة أخرى من أمور الدنيا وذلك ليس من شرط الفقراء أن لا يحبوا شيأ الا من حيث ذلك الوجه الربانى أو الاخروى الذى فيه حتى لا يخرج شئ من أحوالهم عن محبة الله عز وجل وايضاح ما قلناه ان الدنيا لما كانت مبغوضة لله تعالى لكونه من منذ خلقها لم ينظر اليها كما ورد وقال لها لما تكلمت اسكتى يا لاشئ وأبغضها الزاهد لاجل بغض الله لها جوزى بمحبة الله تعالى له وكذلك لما ترك الزاهد للناس ما أحبه ولم يزاحمهم فيما أحبوه أحبوه لذلك كما صرح به حديث ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس فانظر هذه الدقيقة ما أخفاها على غالب الناس وأما طلب الزهد لراحة القلب والبدن من هم الكسب وعدم الركون الى القسمة السابقة فذلك حاصل للزاهد بحكم التضمن لا بالقصد الاول وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت به لنفسك الراحة وأما انقطاعك الىّ فقد تعززت به على عبادى ولكن انظر هل واليت لى وليا أو عاديت لى عدوا فعلم أن الحب لله والبغض لله مرتبة أخرى من وراء مقام الزهد وان من زهد فى الدنيا لاجل ما يناله من نعيم الآخرة فليس هو بزاهد كامل لانه تعوض باقيا عن فان فقد انتقل من رغبة فيما سوى الله الى رغبة أخرى هى أعلى منها وكل ذلك بجهله من معاملة الاكوان فلم تخلص له معاملة الله تعالى وانما يخلص له معاملة الله اذا زهد فى مقام الزهد بمعنى انه لم ير له ملكا لشئ فى الدارين حتى يزهد فيه وفوق ذلك مقام آخر اعلى وأرقى عند بعضهم أشار اليه سيدى على بن وفى رضى الله تعالى عنه وأرضاه بقوله

ترحل عن مقام الزهد قلبى * فأنت الحق وحدك فى شهودى
أأزهد فى سواك وليس شئ * أراه سواك يا سر الوجود

فاعلم ذلك واعمل على التخلق به واعمل على تحصيل مقام الزهد لله سبحانه وتعالى والله يتولى هداك

والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) حصول مقام التجريد لي في الباطن فليس لي بحمد الله تعالى علاقة في الدنيا أطلبها وأنا أسف على فواتها العدم شهودي ملكي لشيء من الكونين ومن كان كذلك فقد صح له مقام التجريد فلو أني خلعت ثيابي الظاهرة المعتادة وجعلت على رأسي عرقية فقط وفي وسطي خرقة تستر عورتي فقط أو خيشة تدفع عني ألم الحر والبرد فقط لما كان علي في ذلك لوم لشاكلة ظاهري لباطني الآن بخلافي اذا لبست هذه اللبسة قبل حصول التجريد بالباطن فان ذلك يكون من التدليس وأوصاف التلبيس ومن حبائل ابليس وذلك من علامات النفاق وسوء الاخلاق اذ المنافق هو كل من أظهر خلاف ما أبطن على أن تجريد الانسان من ثيابه الظاهرة من أشق شيء على نفوس أصحاب الرعونات خوفا من احتقار الناس لهم ونسبتهم الى خفة من العقل كما جربته في نفسي أول مجاهدتي كما مر في الباب الاول من هذا الكتاب وقد قال العارفون فطام العادة أصعب من فطام الرضاعة وقالوا العوائد قطاع على طرق البرية يقطعون الطريق على كل سالك لكن اذا كمل حال السالك وتساوى عنده الجوع والعري وأضدادهما فله أن يتجرد عن اللباس لتساوي الامور عنده في نفسه ثم انه يترقى في ذلك الى أعلى منه وهو لبسه الثياب اسوة أهل حرفته طلبا لعدم التميز وخلوصا من شبكة الرياء وخوفا من دخوله في حديث من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله تعالى ثوب نار في الآخرة ولا شك ان من ستر عورته فقط أو لبس خيشة مثلا فقد تعاطى أسباب الشهرة بتميزه عن اخوانه فلذلك انتهى حال الفقراء بعد الكمال الى لبس الجوخ والصوف والمضربات والعمائم الرفاع طلبا للستر بين العباد وان كان صرف ما زاد عن الحاجة الى محاويج المسلمين أفضل فافهم ولا تتجرد عن ثيابك الظاهرة قبل تجريد قلبك من الشهوات النفسانية وكلاب الصفات المعنوية ونجاسات القاذورات الدنيوية وجميع الصفات الشيطانية فتهلك في نفسك من حيث لا تشعر والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حفظي من أكل أموال الناس بغير حق حين شهدت انهم لا يملكون مع الله شيئا أوائل دخولي في الطريق وقل من يحفظ من مثل ذلك فان الحق تعالى اذا تجلى في قلب العبد بتوحيد العبد الملك له لا يصير العبد يتعقل قط ان أحدا يملك معه شيئا وان قيل له ان الله قد حرم أخذ أموال الناس الا بحقها يقول ذلك خطاب لمن يشهد ان أحدا يملك معه شيئا وأنا لا أشهد ذلك وتصير الشريعة كلها وأهلها يحطون على ذلك العبد ويكفرونه باستحلاله جميع ما أجمع على تحريمه • وقد بلغني أن فقيرا من مريدي الشيخ أبي عبد الله القرشي مد بصره مرة الى طعام انسان فطار الطعام ونزل بين يديه فأراد أن يفتح فاه فيدخل بطنه من غير فعل منه فقال له الشيخ لا تفعل فقال يا سيدي انما منعني الشرع من أكل ما مددت اليه يدي أو جارحة من جوارحي وقد تصرف في هذا الطعام مالكه الحقيقي فقال يا ولدي قد ثبت في الشريعة ان مالكه الحقيقي هو الذي حرمه عليك الا بطريقه الشرعي فقف حتى نرسل وراء صاحب الطعام ونستأذنه في أكله فأرسل وراءه فامتنع من اباحته له فقال الشيخ للفقير لا تأكل يا ولدي من شيء حتى يبيحه الحق تعالى لك من الوجهين فان الترقي والنجاة في هذه الدار انما هو

باتباع الشريعة انتهى فالحمد لله الذي حمانا من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم ادعائي مقام المحبة المشهور بين القوم لعزة الوصول اليه من غالب الناس ومن ادعاه فربما كان ذلك وهما منه وقد كان بعض مشايخنا يقول اذا قيل له أتحب الله عز وجل يقول انما أحبه تعالى المحبة المسقطة للحرج الشرعي بقدر ما جعل عندي من المحبة له انتهى وهذا ليس هو المقام المشهور بين القوم لمشاركة الناس كلهم له في ذلك وانما مراد القوم بمقام المحبة أن يكون صاحبه ذا أشواق وأتواق واحتراق ولهف وأسف وشغف وحزن وأنين ووجد وغرق واصطلام وفناء ومحق وسكر وصحو وبقاء ونحول وذبول وارق وقلق وملق وسهر وسهاد ووحدة وانفراد وعزلة وانقباد وبهتة ودهشة وحيرة وغيبة وسكون وحركة وبلاء وضنا وبكاء وخشوع وخضوع ودموع ونيران وأشجان ونوح وبوح وكتمان وسر واعلان وشهود وخمود وجمود واطراح وشجن وسراح وغير ذلك فكلها صفات المحب أوائل أمره وأما صفاته حال توسطه ونهايته فلا تحصر أوصافه فاياك يا أخي من دعوى المحبة ثم اياك الا ان كنت كما وصفنا (وسمعت) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لشخص ادعى انه مشتاق اليه فقال له يا أخي ما أحوجك الى هذا الكذب العظيم فقال له وماذا الكذب فقال له من صفات المشتاق ان يكون عامة أوقاته الحرق والقلق واللهب والتعب والاسف واللهف والحزن والكمد والكآبة والارق والسهاد والبكاء والعويل والضعف والسقم والنحول والغرام والحيرة والبهتة والهيام والمحو والانعدام ونحو ذلك ولم أر فيك يا أخي شيئا من هذه الاوصاف فقال له وماذا أقول اذا رأيتك فقال له قل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واذا سبق لسانك الى دعوى المحبة أو الشوق فاستغفر الله عز وجل فان مثل ذلك معدود من الكذب الذي لا يجوز ثم لا يخفى عليك ان من القوم جماعة كلما ازداد أحدهم محبة ازداد سمنا منهم الشبلي والشيخ حماد الدباس وأدركت أنا واحدا منهم اسمه ابراهيم المقدسي كان كلما ازداد جوعا كلما سمن وكلما أكل كلما هزل وذلك لان الاكل يحجب صاحبه عن مقام المحبة والطي يدخله اليه فما كل الناس على طبع واحد في المحبة فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) خوفي من وقوع يدي على فرجي من غير حاجة اكراما للقرآن وكتب العلم والسبحة التي أسبح عليها فلا أمسك شيئا منها باليد التي أمسك بها فرجي ولقد وقعت رجلي مرة على السبحة فنكدت أهلك من ذلك ولذلك لازمت لبس السراويل لان فيها عدم وصول اليد الى الذكر والسترة عن الارض وقد أدركت أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى وهو على هذا القدم وكان رضي الله عنه يقول اني لاستحي أن أدخل الخلاء بثوب وقفت به في الصلاة أو أقرأ القرآن بلسان تكلمت به بكلمة قبيحة قال وربما أترك القراءة زمنا طويلا حتى أنسى تلك الكلمة وكان رضي الله عنه يقول حكم من يقرأ القرآن بلسان اغتاب الناس به حكم من رمى القرآن في قاذورة انتهى وما رأيت أحدا من أقراني يراعي مثل ذلك الا قليلا فالحمد لله رب العالمين (وقد بلغني) ان مريدا من مريدي الشيخ نجم الدين الكبرى رضي الله عنه وقعت يده على

ذكره فى الخلوة فتوقف عليه الفتح مدة وهو يستحى أن يذكر تلك الواقعة للشيخ فلما خرج بعد الفتح قال له الشيخ قد علمت بوقوع يدك على ذكرك ولكن لما علمت شدة خجلك من ذلك لم أعلمك باطلاعى على ذلك ثم قال ياولدى كيف يجلس أحدكم بين يدى الله تعالى ويضع يده على ذكره أما علمت ان من كان فى الخلوة فهو فى حضرة الله تعالى ولذلك يعملون له طعاما وعرسا لما يخرج منها لانه كان فى حضرة الله تعالى ثم ورد منها علينا فقال ياسيدى كيف علمت بذلك وانما وقعت يدى على ذكرى فى الظلام فقال ياولدى لو علمت بأنه يخفى على شعرة منك ما أدخلتك الخلوة فاياك ياولدى أن تضع يدك على فرجك بغير حاجة قال المريد فما وضعت يدى على ذكرى من ذلك اليوم انتهى وكذلك بلغنا عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه لم يمسك ذكره باليد التى بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجلالا الى أن مات رضى الله تعالى عنهم أجمعين فافهم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى الى اجابة من طلب أن يكون مريدا تحت اشارتى وتربيتى لعزة اجتماع شرائط الشيخ والمريد فى هذا الزمان وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول ان صح للشيخ فى عمره كله مريد واحد صادق فهو أعز من الكبريت الاحمر أو وجد المريد الصادق شيخا ناصحا فهو كذلك أعز من الكبريت الاحمر فقلت له وماصفات المريد الصادق على وجه الاختصار فقال هى أربعة الاولى صدقه فى محبة الشيخ الثانية امتثال أمره الثالثة ترك الاعتراض عليه ولو بالباطن فى ليل أو نهار أو غيبة أو حضور الرابعة سلب الاختيار معه فكل مريد جمع هذه الصفات الاربع فقد صحت قابليته ونفذ فيه الحال ونجع فيه الدواء وصار كالحراق الناشف بالنسبة الى الزناد ومن طلب من المريدين اخذ العهد عليه وحراقه مبلول فلا تعلق فيه شرارة الزناد بل كل شرارة وقعت عليه طفئت وقد قال الله عز وجل لاكمل الداعين اليه وأعظمهم معرفة بأحوال الخلق انك لا تهدى من أحببت الآية ومن هنا عدم أكثر المريدين النفع باشياخهم فى هذا الزمان لفقد الشروط فقلت له وما شروط الشيخ الصادق حتى يصح الاخذ عنه والتتلمذ على يديه فقال رضى الله عنه شرطه أن يكون عنده علم يكشف به الحقائق والدقائق فارقا بين الحق والحقيقة والوهم والخيال يعلم ما جاز وما وجب وما استحال له سريان فى العوالم العلويات والسفليات عارفا بالفرق بين القاء الملك والشيطان والهمة واللمة والنفث فى الروع والالهام وخطرات المريد ونزغاته له قوة على التلبس فى الصور والتطور فى الرتب والقيام بأوصاف المريد ومعرفته بأمراض القلوب والنفوس والاسرار وتطهير النجاسات النفسانية وما يدخل من الظلمات على العوالم الروحانية ينظر أحوال مريده من اللوح المحفوظ فيعرف داءه ودواءه يلاحظ مريده من حين كان فى عالم الذر قبل وروده وهبوطه الى أصلاب الآباء وبطون الامهات الى غير ذلك مما هو مذكور فى رسائل القوم وهذا الشيخ عزيز وجوده فى هذا الزمان بخلاف الزمن الماضى * وقد نقل القشيرى فى رسالته عن أبى علوان قال خطر لى شهوة محرمة بين يدى الله تعالى فى الصلاة فاسود وجهى فدخلت الحمام وغسلته فلم يزدد الا سوادا فأرسل لى شيخى الجنيد فقيرا من بغداد ساعة خطور تلك الشهوة على قلبى فاخذنى الى بغداد فلما وقفت بين يديه قال مثلك يقف بين يدى الله وتخامره

الشهوة

الشهوة لولا أنى استغفرت لك للقيت الله بذلك السواد فانظر يا أخى اطلاع الجنيد وهو ببغداد على خواطر مريده وهو بالبصرة رضى الله تعالى عنهما فعلم ان من جمع هذه الصفات المذكورة فله أخذ العهد على المريد والا فالادب منه عدم التمشيخ على أحد ويكفيه أن ينصح أخاه بظاهر الشرع من غير مشيخة عليه وربما رأى المريد نقصا فى شيخه فيسقط من عينه فيسقط المريد من عين الله فافهم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رؤيتى نفسى عقب كل مجلس جلست فيه مع الفقراء انى أكثر ذنوبا منهم وكثيرا ما أقول اللهم انى أعترف بين يديك بأنى أكثر هؤلاء ذنوبا فبحق أنفاسهم الطاهرة اغفر لى فان نبيك صلى الله عليه وسلم أخبرنا انهم هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ولذلك كان من أشد ما يقع لى ذلك عند تقبيلهم يدى بعد المجلس فأكاد أذوب من ذلك لانهم يفعلون ذلك مع غفلتهم عن مشهدى ولو أنهم علموا شدة تأثيرى لما فعلوا ذلك معى فالله تعالى ينفعنى ببركاتهم وربما أصافحهم فى بعض الاوقات وأمسح بيدى على وجهى تبركا بما لمسته من يدهم لاسيما الاطفال والعميان انتهى فافهم ذلك واعمل عليه ترشد والحمد لله رب العالمين

(الباب الثانى عشر فى جملة أخرى من الاخلاق المحمدية)

فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى ومغنى ومعينى ونعم الوكيل

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ايثار جناب الحق جل وعلا على جناب نفسى فى عدم تمكينى لمريدى أن يرسخ محبتى فى قلبه وهذا أمر قل من يتنبه له من المشايخ والمريدين فيجب على الشيخ أن يأمر المريد بمحبته من حيث كونه واسطة بينه وبين الله تعالى مع عدم الوقوف معه فربما تخلف الفتح على المريد بسبب ذلك * ومما وقع ان مريد السيدى الشيخ أبى مدين المغربى رضى الله تعالى عنه كان على قدم عظيم فى الاجتهاد وهو مع ذلك لا يفتح عليه فنظر سيدى أبى مدين فى أمره فقال له ياولدى ان أردت سرعة الفتح فارفع محبتى من قلبك فانى نظرت جميع الحجب التى بينك وبين الله تعالى فوجدتها كلها قد ارتفعت ومابقى بينك وبينه الاحجاب محبتى فارفعه يفتح عليك ففعل ففتح الله عليه تلك الليلة انتهى فانظر يا أخى الى هذه النصيحة الخفية التى لا يكاد أحد يطلع على وجهها من شدة خفائها ومن هنا قال الشيخ أبو مدين أول رسالته ليس للقلب الا وجهة واحدة متى توجه اليها حجب عن غيرها انتهى فانظر يا أخى ما أخصر هذه الكلمة وما أكثر معانيها فاعلم ذلك واعمل عليه فانه نفيس والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة ارشادى لفقراء الاحمدية والبرهامية وغيرهم من أصحاب الخرق أن يتتلمذوا لشيخ يربيهم من الاحياء ولا يتقيدوا على من مات فان الاموات صارت وجهتهم فى البرزخ الى الآخرة وظهرهم الى الدنيا فلا عليهم ان خربت الدنيا أو عمرت اللهم الا أن يكون ذلك الشيخ ممن يقتدى به فى أقواله كالائمة المجتهدين وأصحاب الرسل فمثل هذا لنا الاقتداء بأقواله لكنه اقتداء ناقص من حيث ان لكل واحد منا أمراضا لا تعرف الا بالمشافهة من شيخ حى يدلنا على كيفية الدواء ويخاطبنا ونخاطبه * وممن بلغنا انه يربى مريده وهو فى البرزخ سيدى

أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه لكن ذلك خاص بمريده الصادق الذى يسمع كلامه من القبر كسيدى وشيخى محمد الشناوى رحمه الله تعالى فانى زرت معه سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه فشاوره الشيخ محمد على سفره الى مصر فى حاجة فقال له سيدى أحمد البدوى من القبر سافر وتوكل على الله تعالى هذا كلام سمعته أنا بأذنى الظاهرة وكذلك بلغنى عن الشيخ عز الدين الاصفهانى قال كنت أجتمع بسيدى أحمد الرفاعى فى المنام كثيرا فيأمرنى وينهانى ويربينى فقال لى يوما لست أنا بشيخك الذى يفتح عليك على يديه وانما شيخك عبد الرحيم القناوى فسافرت اليه فأول ما اجتمعت به حكى لى جميع ما وقع لى فى المنام مع سيدى أحمد الرفاعى ثم قال لى لا أصحبك حتى تصير ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يملأ الوجود كله فقلت له وما السبيل الى ذلك فقال سافر الى بيت المقدس فانك ستراه كذلك ثم تعال ففعل ثم جاء فقال له ماوصل أحد لشئ من المقامات الا بعد شهوده ذلك انتهى فمن صح له هذا القدم فلنا الكف عن أمره بأن لا يتلمذ لاحد من الاحياء لاكتفائه بذلك الشيخ وقيامه مقام الحى فى الخطاب والمراجعة فى الامور * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يجوز العمل بقول الاشياخ الذين ماتوا اذا تصوروا انهم خاطبوا مريدهم بأمر أو نهى الا بعد عرض ذلك على علماء الشريعة فربما كان الناطق من القبر شيطانا لعدم عصمة الولى عن مثل ذلك وكان رحمه الله تعالى يقول كثيرا لا يشترط فى صحة الاقتداء بأقوال العلماء معرفة صورتهم الظاهرة فانا قد اقتدينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالائمة بعدهم وما أحد منا اجتمع بأحد منهم ولم يمنع جمهور العلماء من مثل ذلك فعلم ان الاحتياط للفقير أن لا يأخذ عن شيخ ميت أمور تربيته وأدويه أمراضه فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى للانكار على أحد من أهل الكشف اذا رأيته ضرب مريده بغير سبب ظاهر بل أتربص وأترك الانكار فربما كان ذلك المريد قد تقدم منه انه حكم ذلك الشيخ فى نفسه يؤدبه بما شاء كيف شاء ومن هذا الباب أيضا ما اذا رأينا شيخا أمر مريده بحلق لحيته مثلا فربما كان ذلك امتحانا من غير تمكينه من حلقها كما وقع لابراهيم الخليل عليه السلام فى أمره بذبح ولده وهذا الامر قل أن يتربص فيه متشرع بل يقول ببادى الرأى هذا لا يحل لك ايش جرى منه ونحو ذلك (وقد حكى) صاحب كتاب التوحيد ان بعض الاولياء كان يتكلم فى مناقب شيخ وكان هناك فقير مشهور بالصلاح يسمع فنزل الشيخ من على الكرسى فضرب ذلك الفقير على رأسه ثلاث ضربات فأنكر الحاضرون ذلك عليه فضربه ثانيا فلما أنكروا عليه قال الشيخ قولوا له الله عليك أما قلت فى نفسك انى أفضل من هذا الشيخ الذى يذكره فلان فقال الفقير قد وقع ذلك فقال الشيخ والله لقد رأيت ذلك الشيخ أخرج رأسه من هذا الحائط وقال لى انظر مريدك كيف يسئ الادب علىّ فما وسعنى الا تاديبه فاضربته لكونى شيخه انما ذلك من باب انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقام الحاضرون كلهم واستغفروا وجددوا العهد على الشيخ ثانيا قال وكان ذلك الشيخ الذى أخرج رأسه له نحو مائة سنة ميت انتهى ووجه عدم المبادرة الى الانكار فى مثل ذلك علمنا بأن الشيخ مع المريد كالطبيب مع المريض بل هو أعرف بالامراض الباطنة منه والكبر وهو من الامراض القلبية وهو أشد

الامراض

الامراض لانه يحجب صاحبه عن الخير مدة حياته وعن دخول الجنة كما ورد فلما ادعى المريد الولاية وفضل نفسه على الاولياء استحق التأديب قال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وقد ذكر الامام الغزالى رحمه الله تعالى ان من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة وهو ادعاء الولاية مع فقدها منه فلعل الشيخ ضربه تلك الضربات ليستخرج من نفسه تلك الدعوى ولذلك نظائر فى الشرع لان للطبيب أن يقطع بعض الاعضاء اسلامة الجسد والروح كأن يكون فى الاصبع أكلة فان تركها أكلت الكف وان كانت فى الكف وتركها أكلت الذراع ومتى لم يقطعها أفسدت ذلك العضو جميعه أو سرت للروح فمات الشخص فاعلم ذلك واعمل عليه والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم اجابتى لامير أو شيخ عرب طلب أن يتلمذ لى الا ان علمت منه الصدق الحامل له على فعل ما أمرته به واستعمال ما أصفه له من الدواء ومتى أجبته الى ما طلب من غير ذلك فقد غششته وغششت نفسى ولعبت بالطريق * وقد وقع فى ذلك بعض فقراء العصر المتصدرين بغير حق فأخذ العهد على بعض الامراء والمباشرين فلم يمتثل أحد منهم ما أمره به (وحكى لى) بعض المباشرين قال شرط على شيخى عدة شروط فلم أعمل منها بشرط لكونى رأيته هو لا يقدر على العمل بها وقد كان هذا الامر فى الفقراء الماضين والامراء الماضين فكان الامير يتلمذ لذلك الفقير ويمتثل أمره فى كل شئ يذل به نفسه من غير توقف وهذا أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا * وقد كان سيدى يوسف العجمى رحمه الله تعالى شيخا للامير شيخون الذى عمر الشيخونية وكان يمتثل أمره ويجلس بين المريدين كأحدهم وربما يزجره بالكلام اليابس بين الفقراء فيصبر وأمره مرة أن يلبس لبس فلاح ويركب ويدخل الزاوية ففعل * وكذلك وقع لسيدى محمد الحنفى الشاذلى رضى الله تعالى عنه انه كان يستخدم أميرا كبيرا ويأمره بنزع ثيابه وملء المطهرة للفقراء من البئر ففعل * وكذلك وقع للامير أبى شعرة من أمراء الملك الكامل انه كان تلمذ للشيخ عبد الله بن المارداني فكان يستخدمه كآحاد المريدين ودخل عليه مرة وعليه خلعة السلطان فصفعه الشيخ فرمى عمامته فطأطأ الامير فأخذها فصفعه أخرى فرمى عمامته فتشوش لذلك جماعة الامير وهو ساكت فغضب الشيخ وقال له لا تعد تأتينا فما أطاق غضب الشيخ فتشفع بزوجته عنده فقال الشيخ هذا شخص كبير النفس فان أراد طيبة خاطرى عليه فليحمل على ظهره برذعة ويمكن الفقراء من ركوبه ففعل ذلك فانظر يا أخى الى هذه الادوية من هؤلاء المشايخ واستعمال الامراء ما يأمرونهم به فان كنت تعرف من نفسك ومنهم مثل ذلك فتمشيخ على الامراء والاضحك الناس عليك وربما ينسبك الناس الى الزوكرة والنصب وانك انما تصحبهم لشئ يتصدقون به عليك وذلك ينافى شهامة الاشياخ فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) سلبى من الحال التى تؤثر فيمن جنى على فلو قام الوجود كله على بالاذى ما قابلت أحدا منه وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وصاحب هذا الحال يخفى بعد الشهرة ويذل بعد العز ويفتقر بعد الغنى فلا يكاد أحد يميزه عن آحاد الناس مع انه أعلى من صاحب الحال خلاف ما تتوهمه الناس فليس عندهم شيخ عظيم الا من يعطب الناس

والحال بخلاف ذلك فان الكامل لاتصريف له فى الوجود أدبا مع الله تعالى فيسطو عليه كل شئ فى الوجود ولا يسطو هو على أحد * ولما سرقوا ستر سيدى أحمد الزاهد الموضوع على تابوته صار الناس يقولون لو كان هذا شيخا لقيد من سرق ستره حتى تمسكه الناس فقلت لهم مرتبة الكامل أن لا يؤذى من آذاه ولا يشح بشئ سئل فيه ولو أن هذا اللص سأل سيدى أحمد فى ستره أو فى الثياب التى عليه حال حياته لاعطاها له ورآها أقل من ذكرها فكيف يقيد مسلما وحدا لاجلها حتى يأتى الناس فيمسكوه ويسلموه الى هذا لايكون من الشيخ أبدا ولم تزل الكمل من الاشياخ لاتصريف لهم وبعضهم يقول لمريده تصرف فى فلان بكذا أو كف فلانا عن ظلم فلان فيفعل * وكان على هذا القدم سيدى حسين الجاكى وسيدى ابراهيم المتبولى وسبقهما الى ذلك الحسن البصرى فحكى أبو طالب المكى فى القوت ان الحجاج بن يوسف لما طلب الحسن البصرى استجار الحسن بتلميذه حبيب العجمى فدخل رسل الحجاج فلم يروا الحسن مع انه جالس تجاه الباب فقال الحسن لحبيب كيف أخفيتنى عنهم حتى لم يرونى فقال قلت يارب الحسن اجعل الحسن عندك فى حضرتك حتى لايروه ففعل سبحانه ذلك مع ان الحسن أفضل من حبيب بما لا يتقارب لانه من أكابر التابعين انتهى (وبلغنا) ان سيدى حسينا الجاكى لما عقد له الفقهاء مجلسا فى القلعة ومنعوه من الجلوس للوعظ وقالوا انه يلحن فى الحديث قال لخادمه أيوب اعزل لنا القاضى الذى أفتى فينا وكان أيوب يكنس الزاوية فقال على الرأس والعين فخرج للسلطان من حائط بيت الخلاء وهو جالس يقضى حاجته فقال ان لم تعزل فلانا خسفت بك الخلاء فارتعد منه السلطان وأرسل عزل القاضى ودخل أيوب فى الحائط وكذلك بلغنى ان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه كان يأمر بعض جماعته فيفعل الافاعيل وينزه هو نفسه عن ذلك فعلم ان الكمل يستحيون من الله تعالى أن يضيف الناس اليهم شيئا من التصريف بخلاف أرباب الاحوال فانهم فى تجليات الحضرة وهى فياضة بالجود على كل وارد فكل من طلب شيئا أعطيه وربما كان ذلك ينقص مقامه عند الله تعالى * وتأمل يا أخى العقرب والبرغوث والقملة والنملة كيف تؤثر فى الانسان مع انه أشرف منها بالاجماع فلم يدل تاثيرها فيه على تفضيلها عليه فاعلم ذلك لكن لايخفى ان الكمل حيث تركوا التصريف انما هو من حيث لم يؤمروا به فان أمروا به فمن الكمال التصريف الا أن يكون على سبيل العرض أو برؤية منام كما وقع لى ذلك على لسان الشيخ الصالح عمر النبتيتى المكشوف الرأس فانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له قل لفلان يتصرف فى الكون مادونه مانع فلما عرض ذلك على توقفت أدبا لكون ذلك رؤيا منام فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تربيتى لخواص أصحابى بالنظر من غير لفظ ولا اشارة فيؤثر نظرى اليهم فى الخير كما يؤثر عين المعيان فى غيره الشر كل ذلك بجعل الله وارادته فله أن يجعل عبدا آلة فى الخير وعبدا آخر آلة فى الشر واعلم يا أخى انه ليس لى خصوصية بهذا الخلق فقد سبقنى الى ذلك سيدى أبو الحسن الشاذلى وسيدى أبو العباس المرسى وسيدى ابراهيم المتبولى وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهم وقد كان سيدى الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول اذا كانت السلحفاة تربى أولادها بالنظر فنحن أولى بذلك

انتهى وصورة تربيتها أولادها انها تبيض وتبعد عن بيضها وتصير تلحظه بنظرها فكل بيضة توارت عنها فسدت وكل بيضة ظهرت لها صلحت وتم نتاجها ثم اذا خرج فرخها من البيض تدفنه وتبقى منه رأسه فوق الرمل فما دامت تراه فهو محفوظ من الآفات ولم يزل أصحاب الفقير على أقسام وطبائع فمنهم اللين الطبع ومنهم اليابس القاسى فتراهم يربون أصحابهم تارة بالاقوال وتارة بالافعال وتارة بالايلام وتارة بالايماء والافهام وتارة بصريح الكلام وتارة بالرؤيا والمنام وتارة بالامراض والسقام فان الشيخ اذا عرف العلة ودواءها يجب عليه ان يتبعها بالدواء مصلحة للمريد ولا عليه ان كان ذلك مرا على النفس او حلوا لها ومتى أخر الدواء من غير ضرورة فقد خان الله تعالى فيما ائتمنه عليه واذا رأى عند المريد عجزا عن استعمال الدواء الذى وصفه له او ابايه عن استعماله فمن اخلاق الكمل ان يلاطفه ويدا ويه بشئ آخر يسارقه به لكن ينبغى للمريد أن يتفطن لما يفعله معه شيخه فان رآه يلاطفه فى جميع أحواله ويوافقه فى هواه فليعلم انه مكر به حيث رآه لا يصلح للطريق فاياك يا اخى ومكر الشيوخ واقدم على كل ما يصفونه لك وتجرع كاسات الالم والمرارات فان العز فى ذلك مستور والذل فى حلاوة الدنيا مشهور وقد أنشدنى سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى

ولو قيل طأ فى النار والنار جمرة * لها لهب يرمى الشرارة كالقصر
لما كان لمع البرق أسرع أن يرى * بأسرع منى فى امتثالى للامر

وأنشدنى سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى

ولو قيل لى مت مت سمعا وطاعة * وقلت لداعى الموت أهلا ومرحبا

وممن ربيته بالنظر من الاخوان سيدى محمد بن الموفق كاتب ديوان الجيش وسيدى محمد ابن الامير شيخ سوق أمير الجيوش وسيدى ابو الفضل صهر سيدى محمد الحنفى وسيدى ابو الفضل الجزيرى القبانى وسيدى على بن أمير كبير ازبك وسيدى ابو بكر بن أبى اصبع وأخوه سيدى محمد والحاج على المنوفى والحاج على البسطى وجماعة لم يؤذن لنا فى ذكر أسمائهم رضى الله تعالى عنهم وما رأيت أتعب من تربية الشيوخ الذين طعنوا فى السن فانه لا يليق ضربهم ولا هجرهم ولا استخدامهم لاسيما ان كانوا يعتقدون فى نفوسهم الصلاح فانهم لايكادون ينتفعون بصحبة أحد وكذلك أصحاب النفوس الشكسة المشحونة بالرعونات فربما لا يؤثر فيها الا الضرب المؤلم والهجر الشديد كبيت الوالى فأسأل الله تعالى ان ينظر الى والى جميع اصحابى الذين انتفعوا بصحبتى باللطف والرحمة انه المنعم الجواد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اطلاعه تعالى لى على عدد اصحابى الذين انتفعوا بصحبتى ويكونون معى فى الآخرة وهى بشرى معجلة فى هذه الدار ومعرفتهم وأنسابهم ولكن لم يؤذن لى فى تعيينهم أدبا مع حضرة الاطلاق التى يفعل الله منها مايشاء ولكل فقير دائرة كما ان لكل نبى دائرة ثم ان الدوائر تختلف سعة وضيقا بحسب الارث النبوى وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية ان الله تعالى أطلعه فى مشهد اقدس على عدد الانبياء والمرسلين وجميع أممهم وعرفهم بوجوههم من مات ومن يوجد الى يوم القيامة وعلى عدد اهل الجنة قال وأما عدد أهل النار فلا يحصيهم الا الله لكثرتهم انتهى وقد نقل

الفارقى ان حلقة مريدى سيدى أحمد الرفاعى كانت ستة عشر ألفا وكان يمدّهم السماط صباحا ومساء قال الفارقى ولما وردت عليه كان لى ثمانون يوما لم آكل طعاما فمد للفقراء طعاما لا يناسبنى فقلت فى نفسى ماذا أصنع اذا قال لى الشيخ كل من هذا فما استتم خاطرى الا وقد رفع الشيخ رأسه فقال للخادم خذ هذا للبيت فأطعمه العصيدة التى هنالك قال فمضيت معه فاكلتها وهى التى كانت خطرت لى فى خاطرى فلما جئته قال لى فتوحك ليس هو عندى وانما هو عند الشيخ عبد الرحيم القناوى فامض اليه انتهى وحكى لى الشيخ احمد الضرير من جماعة سيدى عمر روشنى قال كان عدد مريدى سيدى عمر الذين يحضرون مجلس الذكر صباحا ومساء عشرة آلاف وكان الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور يقول ان جماعة الشيخ ابى الفتح الواسطى بمدينة الاسكندرية الذين كانوا يحضرون ورده كل يوم خمسة آلاف منهم الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله والشيخ عبد الله البلتاجى والشيخ عبد السلام القليبى والشيخ عبد الله الجبلى والشيخ ضرغام المسيرى وغيرهم وكان الشيخ أبو الفتح من أعظم تلامذة سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه وكان يتكلم على أرباب الاحوال ويقول اسمعوا هذا الكلام الذى له خمسة آلاف سنة ماتكلم به أحد غيرى وروى الفارقى ان يعقوب خادم سيدى أحمد بن الرفاعى نفعنا الله ببركاته ورضى عنه انه قال سمعت سيدى أحمد بن الرفاعى يقول صحبت ثلثمائة ألف أمة ممن يأكل ويشرب ويروث وينكح لايكمل الرجل عندنا حتى يصحب هذا العدد ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم قال يعقوب الخادم فقلت له ياسيدى ان المفسرين ذكروا ان عدد الامم ثمانون ألف أمة فقط فقال ذلك مبلغهم من العلم فقلت له هذا عجب فقال وأزيدك انه لاتستقر نطفة فى فرج أنثى الا ينظر ذلك الرجل اليها ويعلم بها قال يعقوب الخادم فقلت له ياسيدى هذه صفات الرب جل وعلا فقال يايعقوب استغفر الله تعالى فان الله تعالى اذا أحب عبدا صرّفه فى جميع مملكته وأطلعه على ماشاء من علوم الغيب فقال يعقوب تفضلوا على بدليل على ذلك فقال سيدى أحمد الدليل على ذلك قول الله عز وجل فى الحديث القدسى ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخره واذا كان الحق تعالى مع عبده كما يريد صار كأنه صفة من صفاته انتهى وهذا أمر تحار فيه العقول هذا مع كون سيدى أحمد كان فى غاية الذل فى نفسه وكان الشيخ أبو الفتح الواسطى مع كثرة تلامذته الزائدين على الالوف لايصحب الأرباب الاحوال قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور ولما استأذنت سيدى الشيخ عبد السلام القليبى على باب سيدى أبى الفتح الواسطى وكان قد سكن فى مصر واذن له وكلمه كلاما حسنا وأعجب به فقال له الشيخ صفى الدين كيف عرفت حال الشيخ بغير أحد يدلك عليها فقال اجمع لى حطبا وحلفاء فجمع له وقال أجج النار فأججها ثم دخل فيها سيدى عبد السلام زمانا حتى طفئت ثم قال له عانقنى قال الشيخ صفى الدين فعانقته فوجدت جسمه كالثلج فانظر ياأخى الى أصحاب سيدى أحمد وسيدى أبى الفتح تعرف ان المريد لايسبق الامن شيخه فأصحابنا على شاكلتنا وأصحاب من مضوا على شاكلتهم وكل ذلك بحسب القسمة وكل يشكر الله عز وجل على ما أعطاه وربما يكون كل واحد من جماعة فقير قوما بألف نفر من جماعة فقير آخر فافهم ذلك والله تعالى

يتولى

يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تقريب الطريق على الصادقين من أصحابى وذلك باشتغالهم بالتوحيد دون التنفل بالصلاة وتلاوة القرآن ونحو ذلك لان هذه الامور انما هى أوراد الكمل الذين قد عرفوا الله تعالى المعرفة النسبية واما غير الكمل فتعبدهم بغير التوحيد عادة لاعبادة لجهلهم بالله تعالى ومادام العبد ينسب الامور لنفسه ذوقا والى الله تعالى علما فهو محجوب بسبعين ألف حجاب فاذا رفعت الحجب شهد أفعاله كلها خلقا لله تبارك وتعالى ذوقا يبادئ الرأى دون نفسه وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لايكمل حال المريد ويدخل مبادى الطريق حتى يشهد افعاله كلها خلقا لله تعالى ذوقا وأما علمه أنها من الله تعالى اذا حققت معه المناط وراجعته فيه فلا يكفيه اذ ليس العلم كالوجدان والذوق كما ان المتكلم بالصبر عن ذوق لطعمه ليس هو كالمتكلم من غير معرفة طعمه وكذلك القول فى طعم العسل ولذع النار ليس المتكلم بحروفهما كالذائق لهما قال واكثر المريدين حكمه حكم من يعرف الامور بالكلام فلا يثبت لهم قدم فى توحيد افعالهم لله تعالى ولذلك ينسبون أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم الى أنفسهم ويطلبون الجزاء على ذلك من الله تعالى كالبيع والشراء على حد سواء وكذلك يطلبون الجزاء من الخلق اذا أجرى الله على أيديهم احسانا لهم ويأخذون فى التغيظ على الخلق اذا وقع منهم شئ مما يؤذيهم ويحقدون على من آذاهم فلولا غفلتهم عن الله تعالى ماوقع منهم شئ من ذلك فهم ولو كانوا يعلمون ان الله تعالى هو الذى قدر واراد جميع مايقع من الخلق فى حقهم لايقوم ذلك فى نفوسهم مقام الذوق والوجدان ولو كانوا يذوقون ذلك ماتأثروا من أحد آذاهم من الخلق فهذا هو الفرق بين العلم والذوق فعلم انه لايصفو لعبد التوحيد حتى يصير لو جاس انسان يقطع من لحمه ماتغير عليه لغيبته عن صفات الخلق بشهود افعال الحق فتأملوا أيها الاخوان فى هذا التحقيق واعملوا على جلاء مرآة قلوبكم فان الله تعالى لايرضى عنكم الا بتوحيد الامور له ماعدا نسبة التكاليف والله يتولى هداكم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى ماخرجت فى عمرى لاحد عن شئ ورجعت فيه ولو كانت عمامتى أو جوختى أو مضربتى وربما أعمل بالخاطر الاول فى نزعها بسرعة خوفا من تغير الخاطر عليه فيصير فى دفعها علة فان الخاطر الاول من الله تعالى لاعلة فيه بخلاف الثانى وربما نزعت جبتى وانا فى بيت الخلاء وأقول لعيالى قد خرجت لفلان عن هذا الثوب فأتينى بخلافه لاسيما ان كنت خرجت عنه لاحد من الفقراء الصادقين وقد حكى الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى ان شخصا صحب الشيخ حسن الطندتائى الاخنائى مدة وكان الشيخ حسن هذا من أصحاب سيدى أبى الفتح الواسطى فجمعتهما القدرة فى بيت أيام شدة البرد فخرج ذلك الشخص لسيدى حسن عن قميص كان عليه زائد وشرع فى نزعه ثم أدخل رأسه ثانيا ونام كل ذلك فى سره فاستيقظ من الليل فوجد الشيخ جالسا ولم يجد القميص فمسك الشيخ حسن اذنه وقال له لاتعد تنوى نية وترجع فيها أبدا فقال أستغفر الله تعالى ثم قال ياسيدى اين القميص فقال ذاك اعدمه الله تعالى لرجوعك فيه وهذا الخلق قليل من الاخوان من يفعل به فافهم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) كثرة أدبي مع كل من تزيا بزي القوم فالزم الادب معه في جميع حركاته وسكناته وقبضه وبسطه ويقظته ومنامه وحياته وموته وسماعه وضحكه وقربه وبعده وسفره وحضره وقد كان سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله تعالى عنه يقول اذا ضحك الفقير في وجه أحدكم فاحذروه ولا تخالطوه الا بالادب فان أهل الطريق ربما مزحوا كما يمزح الناس وهم في ذلك مع الله لا مع الناس وربما فعلوا ذلك تسترا لاحوالهم أو تجريبا لظاهرهم ليدفعوا بذلك من يستحق الطرد عنهم وربما أساء بعض أرباب الاحوال الادب فسلب عن حاله مع رسوخ قدمه فكيف بمن لا رسوخ له وقد حكي عن سيدي عمر المجنون وكان من أصحاب الشيخ أبي الفتح الواسطي رضي الله تعالى عنه انه قال بينما أنا أصب الماء على سيدي عبد الله البلتاجي واذا بشخص طائر في الهواء فوق رأس سيدي عبد الله البلتاجي فقلت يا سيدي شخص طائر في الهواء قليل الادب فقال ما عليك منه سوف ترى عاقبته بعد مدة قال سيدي عمر فبعد مدة قال لي سيدي عبد الله البلتاجي امض الى المحلة فانظر حال ذلك الطائر قال فمضيت اليه فوجدته مسلوبا من حاله وهو واقف على عصا بين يدي الكاشف ثم ابتلاه الله بالعمى والانكار على الطائفة الى ان مات على أسوإ حال فاياك يا أخي وسوء الادب مع من تراه متصوفا في الاسواق أو يتعاطى الحكايات المضحكات ونحو ذلك والزم الادب وان نصحته على أمر فانصحه بأدب فانه لا يعطيك الا خيرا اهـ واعلم يا أخي ان أدبنا مع من ينسب الى الصلاح انما هو أدب حقيقة مع الله تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم فان الولي لا يخلو من مجالسة الله تعالى أو مجالسة رسوله صلى الله عليه وسلم في أغلب أحواله وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من زعم انه يتأدب مع الله تعالى بلا واسطة شيخه أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أساء الادب ثم لا يتم ذلك له أو لا يستمر على الدوام معه بخلاف الادب مع الله تعالى مع شهود الوسائط فانه يدوم وسمعته مرة أخرى يقول رفع الوسائط الظاهرة والقلبية بالكلية لا يكون الا للافراد من الخواص لقوة حضورهم وشدة مراقبتهم وتقدم في هذه المنن مسئلة حيائي من الوقوف بين يدي الله تعالى في صلاة وحدي في ليل أو نهار وذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عمته الهيبة ليلة الاسراء حين أفرده جبريل نفس الله تعالى عنه بسماع صوت يشبه صوت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا محمد قف ان ربك يصلي مثل قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان فراجعه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كراهتي لوقوع الخوارق على يدي في هذه الدار لان محل ذلك انما هو الدار الآخرة فمن تعجل من ذلك شيأ فقد اختار العرض الفاني على الجوهر الباقي لكن وقوع الخارق لا بد منه للفقير ولو مرة واحدة بشرى له من الله تعالى أنه من أهل الجنة فان أهل النار لا يقع على أيديهم خوارق لعدم دخولهم الجنة وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تنخرق العوائد لاهل الجنة بل جميع ما يقع لهم عادة لا خرق فيها فلا يسمى ما يقع لهم فيها خرق عادة سواء كانت في المناكح أو المطاعم أو المشارب أم غير ذلك من الشهوات حتى ان الشخص من أهل الجنة يخطر له شهوة فيجدها حين خطورها عنده من غير كلفة وكذلك القول في سمع أهل الجنة وبصرهم فيشهد كل واحد منهم جميع المستحسنات على اختلاف

أنواعها وأجناسها ويتلذذ بشهوده لتلك المستحسنات فاذا نظر اليها ثانية ازداد لذة مع بقاء لذة النظرة الاولى فان نظر ثالثا زادت اللذة على الاولى والثانية وهما باقيتان وهكذا الى ما لا نهاية له وكذلك القول في الشم كلما استنشق رائحة ورد عليه ثانيا رائحة أطيب من الاولى مع بقاء ريحها وهكذا القول في لذة سماع النغمات والالحان وحسن الاصوات كلما تنعم بسماع نغمات ورد عليه ما هو أطيب منها والاولى باقية وهكذا القول في لذة النكاح كلما تنعم بلذة المنكوحات المستحسنات ورد عليه ما هو أشد لذة من المرة الاولى مع بقاء الاولى وهكذا القول في جميع الحواس الظاهرة والباطنة الحسيات والمعنويات كل لذة تطرأ تتضمن ما قبلها من اللذات وعلى عكس ذلك أهل النار فلا يتألم أحدهم من شيء الا ويطرأ عليه ما هو أشد وهكذا أبد الآبدين أعاذنا الله والمسلمين من ذلك فافهم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) رؤيتي أولاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين التي كنت أرى بها والدهم لو أدركته حتى كأني بحمد الله تعالى صحبت جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفاوت حياتهم مع تفاوت مراتبهم التي ظهرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما يقع في نفوسنا نحن من التعظيم فربما أدخل الشيطان علينا العصبية في محبتنا بخلاف من كان محبته للصحابة تبعا لما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يكون سالما من العصبية في عقيدته وحكي عن المحب الطبري مفتي الحرمين ان الشريف أبا نمي قال له بأي طريق قدمتم أبا بكر على علي مع غزارة علمه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا سيدي انا لم نقدم أبا بكر برأينا وما لنا في ذلك أمر وانما جدك صلى الله عليه وسلم قال سدوا كل خوخة في المسجد الا خوخة أبي بكر وقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الصحابة من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه قدمناه لديننا ورضيناه لدنيانا فقال الشريف أبو نمي نعم فعمر فقال المحب الطبري واما عمر فان أبا بكر عند موته اختاره للمسلمين قال الشريف نعم فعثمان فقال المحب الطبري ان عمر جعل الامر شورى بين من توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فقدموا عثمان فقال الشريف فمعاوية فقال المحب الطبري هو مجتهد كما ان عليا كان مجتهدا فقال الشريف فتقاتل مع من لو كنت أدركتهما فقال مع علي رضي الله تعالى عنه فقال الشريف جزاك الله تعالى عنا خيرا فانظر يا أخي هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذي لا يخرج عن التبعية في شيء فانه لم يجعل لنفسه اختيارا في ذلك كله فعلم ان الواجب علينا ان نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحب أولادهم كذلك لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بحكم الطبع ونقدم أولاد فاطمة على أولاد أبي بكر الصديق كما كان أبو بكر يقدمهم على أولاده عملا بحديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من أهله وولده والناس أجمعين وقيل مرة للامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم قدموا عليك أبا بكر وعمر فقال ان الله هو الذي قدمهما علي لقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقد ركن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر

وعمر وتزوج ابنتيهما ولو كانا ظالمين لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيهما ولا ركن اليهما وقد ذكر الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه فى كتابه المسمى بالوحيد فى علم التوحيد انه كان له صاحب من اكابر العلماء فمات فرآه بعد موته فسأله عن دين الاسلام فتلكأ فى الجواب قال فقلت له اما هو حق فقال نعم هو حق فنظرت الى وجهه فاذا هو أسود كالزفت وكان فى حياته رجلا ابيض فقلت له فما الذى سود وجهك كما ارى ان كان دين الاسلام حقا فقال بخفض صوت كنت اقدم بعض الصحابة على بعض بالهوى والعصبية قال وكان هذا العالم من بلد تنسب الى الرفض انتهى * وبلغنا ان معاوية رضى الله عنه قال يوما لواحد من جلسائه ايكم يأتينى بالزرقاء الكنانية فأتوه بها فقال لها اتذكرين ركوبك الجمل الاحمر مع على فقالت نعم اذكر ذلك قال لقد شاركتيه فى سفك الدماء فقالت بشرك الله تعالى بخير مثلك من يحدث جليسه بما يسره فقال أوقد سرك ذلك فقالت نعم فقال والله لوفاؤكم بحقه بعد مماته أعجب الى من وفائكم بحقه فى حال حياته انتهى * وحكى المحب الطبرى رحمه الله تعالى ان جماعة من الروافض أتوا الى خادم قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جزيل ليوصله الى ناظر الحرم ويمكنهم من نقل ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقبل الناظر ذلك سرا وبقى الخادم فى تشويش عظيم ومابقى الا ان الليل يدخل ويأتوا بالمساحى والزنابيل ويحفروا عليهما وكانوا أربعين رجلا قال المحب الطبرى فأخبرنى الخادم انهم لما دخلوا المسجد فى الليل خسف الله بهم الارض أجمعين فلم يطلع منهم أحد الى يوم تاريخه وطلع الجذام فى ناظر الحرم حتى تقطعت اعضاؤه ومات على أسوا حال قال ثم ان جماعة من الروافض الذى كانوا ارسلوا الاربعين رجلا بلغهم خبر الخسف فاتوا المدينة متنكرين وعملوا الحيلة على الخادم وأدخلوه دار الاساكن فيها وقطعوا لسانه ومثلوا به فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه وعلى فمه فاصبح وليس به ضرر ثم عملوا عليه الحيلة ثانى مرة وقطعوا لسانه وضربوه ضربا شديدا فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فأصبح ومابه ضرر فعملوا معه الحيلة ثالثا وضربوه وقطعوا لسانه واغلقوا عليه الباب فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فأصبح ومابه ضرر انتهى قال الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه وكذلك بلغنا ان رجلا كان يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وتنهاه زوجته وولده عن ذلك فلم يرجع فمسخه الله تعالى خنزيرا فى عنقه سلسلة عظيمة وصار ولده يدخل الناس عليه ينظرونه ثم مات بعد أيام فرماه ولده فى مزبلة قال الشيخ عبد الغفار ورأيته انا بعينى حال حياته وهو يصرخ صراخ الخنازير ويبكى ثم اخبرنى الشيخ محب الدين الطبرى ان شخصا ذكر له انه اجتمع بولد هذا الرجل وذكر له القصة وانه كان يضربه ويقول له سب أبا بكر وعمر فلم يفعل انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكفى فى محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحبهم المحبة العادية انما الواجب علينا انا لو كنا نعذب من جهتهم بمحبتنا لهم لا نرجع عن محبتهم كما لا نرجع عن محبة ايماننا بالتعذيب كما وقع لبلال وصهيب وعمار وكما وقع للامام أحمد بن حنبل فى مسئلة خلق القرآن فمن لا يحتمل فى حب الصحابة مثل ما حمل هؤلاء فمحبته مدخولة انتهى فتأمل يا أخى فى نفسك فربما تكون محبتك مجازية لا حقيقية لتجنى ثمرتها يوم القيامة وسيأتى ذكر محبة الاثنى عشر من أهل البيت لى وزيارتهم لى فى المنام

فى هذا الباب ان شاء الله تعالى فافهم ذلك واعمل عليه والله تعالى يتولى هداك ويديرك فى بلواك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تسليمى للعارفين فيما يفسرون به القرآن من طريق كشفهم ولا أقول هذا مخالف لما عليه جمهور المفسرين فان تفسير أهل الكشف أعلى من تفسير غيرهم لان الكشف اخبار بالامور على ماهى عليه فى نفسها لا يتغير دنيا ولا أخرى بخلاف تفسير أهل الفكر والفهم وقد سمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول مرارا أقل الأمور ان يجعل كلام أهل الله تعالى فى معنى آية أو حديث مقالة فى تلك المسئلة ولا ينبغى اهمال كلامهم جملة واحدة كما عليه جماعة فانهم علماء يقين وقد سمعته مرة يقول فى قوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين المراد هنا ان تقابلهم كتقابل الصورة فى المرآة لا كتقابل الجسمين هنا لان تقابل الصورة فى المرآة تكون العين اليمنى من الرائى هى اليمنى فى المرئى وان كانت لا تنافى محل اليسار من المقابل لو فرض أجنبيا بخلاف تقابل الصورتين من الجسمين فى هذه الدار فان عينك اليمنى تكون مقابلة عين جليسك اليسار كما هو الامر فى سائر أعضاء جسدك فان كل عضو من الجسمين فى هذه الدار يكون مقابلا لضده ولا هكذا الامر فى الدار الآخرة لانه يقع فيها التقابل بالمعنى والصورة المحسوسة كرؤيتك صورتك فى المرآة على حد سواء قال وهذا هو حقيقة التقابل لانكشاف الامور فى الدار الآخرة انكشافا كليا اذ التقابل هناك يكون كصور المعانى والارواح فكما انك هنا ظاهر بجسمك باطن بروحك تكون فى الآخرة بالعكس ومن هنا زل بعض أهل الكشف الناقص فأنكر حشر الاجسام حين رآها تتصور فى أى صورة شاءت وقال هذا لا يكون الا للارواح ولو ان هذا حقق الكشف لوجد الاجسام مطوية فى الارواح عكس الدنيا فكما كان الجسم والروح مشتركين هنا فى ظهور الاعمال فكذلك يكونان مشتركين فى النعيم أو العذاب قال ولولا ما قررناه ما صح للاولياء التصور فى هذه الدار لانه لا يحل للولى هنا الا ما يصح ان يكون فى الجنة قال ومن حكمة ذلك تعجيل البشرى لهم بما يكون لهم فى الجنة ليفرحوا وليقوى يقينهم فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى لاخوانى محبة ايمان واسلام لا محبة طبع واحسان وذلك لان الله تعالى قال انما المؤمنون اخوة فآخى بين المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم فسماهم اخوة وهذا الخلق عزيز فى هذا الزمان لا يوجد الا فى افراد وغالب محبة الناس اليوم طبيعية لاجل احسان أو غيره من حظوظ الانفس ولذلك تكثر مفارقتهم لبعضهم بعضا ويتعادون ولو انهم بنوا محبتهم على قواعد صحيحة لداموا على الاخوة دنيا وأخرى وقد حكى الشيخ عبد الغفار القوصى رحمه الله تعالى ان فقيرا دخل على جماعة من الفقراء كانوا يتعبدون فى بيت فورد عليهم فقير فأعجبه حالهم فأقام عندهم أياما لا يأكلون شيأ فأتاهم شخص بشئ فقسموه بينهم نصفين فاعطوا الفقير نصفه وأخذوا كلهم النصف الباقى فقال كيف أخذتم كلكم النصف فقالوا الآن كلنا على قلب رجل واحد وأنت لم تبلغ الى ذلك المقام فكان الفقير استبعد ذلك فاخرج أحدهم ريشة وفصد ذراع نفسه فطار الدم من ذراع كل واحد دون ذلك الفقير فاعترف واستغفر وقبل رؤسهم فانظر يا أخى الى هذه الاخوة الصحيحة وكيف ظهر

أثرها في الشاهد واعمل على تحصيل هذه الاخوة ان كنت ممن يطالب نفسه بالحقائق والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) شدة اعتنائي بافادة كل من جلس الي من القوم الفقراء أو الفقهاء والعوام فلا ادعه يقوم الا بفائدة وان لم يكن هو معتقدا بالفائدة وكان على هذا القدم الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر الاخميمي واضرابهما وكان الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى لايجلس أحد معه الا وذكره واياه مجلس ذكر وبعد ذلك يصرفه ويقول من لم يصلح لافادة العلوم فهو يصلح لذكر الله عزوجل وكان كيفية ذكره لا اله الا الله يمدها ثم يقول الله الله الله وهو ذكر اتباعه الى اليوم وكان من كراماته انه اذا جاء الى باب من الابواب التي يحل له أن يدخلها ووجده مغلقا دخل بسهولة من شقوق الباب التي لاتسع النملة الصغيرة وكان يحث أصحابه على جمع المال ويقول لهم اجعلوه في يدكم لافي قلوبكم انتهى وهذا الخلق من أعظم اخلاق الرجال وقد سهل الله تعالى العمل به علي فلا يكاد فقير ولا فقيه ولا عامي يقوم من عندي الا بفائدة تنشأ كل حاله فان دقائق العلم عند ناس ودقائق الاسرار عند ناس وكثيرا ما أفيد الفقير أو الفقيه الفائدة فيغيب عني مدة ثم يجيء ويفيدها الي ويوهم انها من مواهبه فاشكر الله تعالى على اقامتها عنده واذا رأيت الفقيه مظلم القلب من محبة الدنيا أفدته الامور الظاهرة دون الاسرار لان الاسرار لاتقيم الا في القلوب المستنيرة وكثيرا ما يسألني عن العلم الذي يجوز لي كتمانه فلا أجيبه لاسيما حيث كنت أعرف بالقرائن انه لايقدر على العمل به كسلا وقلة توفيقه فأسكت وأوهمه اني لا اعلمه شيأ يعذب على ترك العمل به فأكون عليه نقمة فافهم ذلك واعمل على التخلق به وأفد الناس لاتبخل عليهم ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) اعطائي لارباب الاحوال كل مايطلبونه مني ولو عمامتي ولا اشح عليهم بشيء اقدر عليه لعلمي بأنهم لايطلبون مني شيأ الا ليدفعوا عني به من البلاء مالا أطيقه ولايمكنهم ان يخبروني بما يريدون ان يدفعوه عني لان ذلك من جملة أسرار الله تعالى وقد خالف قوم وشحوا عليهم فنزل بهم البلاء وندموا على تركهم الاعطاء ومنهم طائفة يأخذون من الانسان مايعطيه لهم لانفسهم ولايعطون أحدا منه شيأ ويرون ذلك كالاجرة أو الجعالة على الاعمال الظاهرة فانه مصلحة على كل حال وكان على هذا القدم جماعة ممن ادركناهم من الصحابة منهم سيدي الشيخ أبو بكر الحديدي ومنهم سيدي الشيخ محمد بن صالح ومنهم الشيخ محيسن ومنهم الشيخ شعبان ومنهم الشيخ نور الدين الشوني رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد بلغنا عن الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ ماجد الكردي انه كان لايحمل حلة أحد الا بفلوس او ثياب فجاءته امرأة أمير فقالت له ان الامير يريد أن يتزوج علي لكوني لا ألد ولدا فاسأل الله تعالى ان يرزقني ولدا فقال لها هاتي مامعك من الفتوح فاعطته أسورة كانت في يدها فقال لها هذه ماتكفي حلاوة الصبي وان لم تعطي أختها لي جاءت انثى بقدرة الله تعالى فاعطته الاسورة الثانية فقال لها تأتي بولد وفي يده اليمنى اصبع زائدة فكان الامر كما قال انتهى وهذا الخلق من اكبر نعم الله تبارك وتعالى علي فان غالب الناس يشح على الفقير صاحب الحال بعمامته أو ان يقترض له

بخلافي أنا وماطلب مني قط أحد منهم شيأ الا ورأيت الخلف عقبه باضعافه فصارت التجربة معينة لي على بذل مالعل نفسي تشح به فاياك ومنع شيء كان معك وطلبه منك صاحب حال والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم التشويش من الفقير اذا دخل داري وتشرط علي أن لا يأكل الا كذا دون كذا لاسيما بعد العشاء الآخرة فقد يكون ذلك امتحانا من الله عزوجل كما وقع للاعمى والابرص والاقرع والقصة مشهورة في البخاري وغيره وربما يكون ذلك الفقير من المترفهين في الاكل ولو كان رث الثياب وربما كان ذلك الطعام العزيز الذي طلبه أحل من غيره أو غير ذلك وقد وقع لبعض الاشخاص انه دخل عليه ملك في صورة فقير فقدم له طعاما فرده وطلب غيره وهكذا فمقته وأخرجه فحول الله تعالى عنه النعمة حتى صار يسأل على الابواب وقد وقع لبعض فقراء الشيخ أبي الغيث اليمني رحمه الله تعالى انه دخل قرية فقدموا اليه طعاما فصار يرده فلم يجيء بشيء يأكل منه فشتموه وآذوه فدعا على قريتهم بالحريق فاحترقت كلها وخرج أهلها كلهم هاربين بأنفسهم فقط فكلموه في ذلك فقال أنا رجل مدلل على ربي ثم خرج الفقير من عندهم بلا أكل فلقيه رجل من أمراء زبيد فعارضه بغير طريق فقال يافرس الله روحي فراحت به فلم يعرف أحد أين ذهبت به فعرضوا أمره على الشيخ أبي الغيث فأرسل وراء الفقير وتوبه وقال له ماجعلناك علينا لتحرق بلاد المسلمين وتنفي أمراءهم فاستغفر وتاب الى الله تعالى ثم نادى الشيخ الامير فحضر بالفرس من خلف جبل قاف من عند قوم لايعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا ابليس ثم جلس الفقير عند الشيخ أبي الغيث يخدم الفقراء الى أن مات ودفن تحت رجليه وما مات حتى صار من أشفق الناس على المسلمين فطول يا أخي روحك على من يشترط عليك في الاكل ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) عدم اصغائي بأذني الى وقتي هذا الى من يقول بكفر الحلاج أو غيره من القوم المذكورين في كتب الرقائق ولم أزل أؤول للقوم ماصح عنهم وأنفي مالم يصح كل ذلك أدبا مع الله تعالى الذي أشهرهم بالصلاح ولو بين بعض الناس وأخذا بالاحتياط وقد كان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه يقول أكره من الفقهاء خصلتين قولهم بكفر الحلاج وقولهم بموت الخضر عليه الصلاة والسلام أما الحلاج فلم يثبت عنه مايوجب القتل وما نقل عنه يصح تأويله ونحو قوله * على دين الصليب يكون موتي * ومراده أنه يموت على دين نفسه فانه هو الصليب وكأنه قال أنا أموت على ديني أي دين الاسلام وأشار الى أنه يموت مصلوبا وكذلك كان وقد دخل ابن خفيف على الحلاج فقال له كيف تجدك فقال نعم الله علي ظاهرة وباطنة فقال له أسألك عن ثلاث مسائل فقال قل فقال له ما الصبر فقال أن أنظر الى هذه الاغلال فتنفك قال ابن خفيف فنظر اليها فانشق الحائط واذا نحن على شاطئ الدجلة فقال لي هذا من الصبر قال نعم فقلت له ما الفقر فنظر الى حجارة هناك فصارت ذهبا وفضة فقال هذا من الفقر واني مع ذلك لاحتال على الفلس أشتري به زيتا قال فقلت له ما الفتوة فقال غدا تراها قال ابن خفيف فلما كان الليل رأيت كأن القيامة قد قامت ومناديا ينادي أين الحسين بن منصور الحلاج فأوقف بين يدي الله عزوجل فقيل له من أحبك دخل الجنة ومن أبغضك دخل

النار فقال الحلاج بل اغفر يارب للجميع ثم التفت الى وقال لى هذه الفتوة انتهى كلام ابن خفيف قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه وأما الخضر عليه السلام فهو حى وقد صافحته بكفى هذه وأخبرنى ان كل من قال كل صباح اللهم اغفر لامة محمد اللهم اصلح أمة محمد اللهم تجاوز عن أمة محمد اللهم اجعلنا من أمة محمد صار من الابدال فعرض بعض الفقراء ذلك على الشيخ أبى الحسن الشاذلى فقال صدق أبو العباس قال وقد دخل على الخضر عليه السلام مرة وعرفنى بنفسه واكتسبت منه معرفة أرواح المؤمنين بالغيب هل هى منعمة أومعذبة فلوجاءنى الآن ألف فقيه يجادلونى فى ذلك ويقولون بموت الخضر عليه السلام مارجعت اليهم والله تعالى يوفقنا واياهم ويتولى هدانا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اجتماعى وصحبتى لاولياء الله تعالى الاكابر كسيدى الشيخ أفضل الدين وسيدى على النبتيتى وغيرهما وأكثر ماوقع الاتحاد والمحبة بينى وبين أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى كان اذا ورد عليه وارد يرد على مثله ولقد ورد على وارد فى معانى الاحاديث النبوية فكتبتها فى الليل ووضعتها فى رأسى وكان يزورنى وأزوره فزارنى صباح تلك الليلة فأخرج لى ورقة من عمامته وقال قد ورد على هذا الكلام فى هذه الليلة فقرأه الى آخره فأخرجت أنا الآخر ماورد على فقابلنا الورقتين فلم تزد احداهما على الاخرى حرفا وقد سبقنا الى مثل ذلك الشيخ أبو الطاهر مع صاحبه الشيخ تاج الدين كان اذا ورد على أحدهما شئ ورد على الآخر مثله وكان أخى الشيخ أفضل الدين يسمع لخلوته فى الليل دوى كدوى النحل من كثرة الواردات عليه وكان يخبر أنه يجتمع كل قليل بملك الموت ويتحدث معه وكان الشيخ أبو طاهر من أصحاب الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله تعالى عنهما قال والله لقد وضعت قدمى هذه على الصخرة التى فوق الحوت وكلمتنى النملة التى كلمت سليمان عليه السلام ورفعت على البساط الذى رفع عليه سليمان انتهى وكذلك وقع لى أنى كنت أكلم أخى الشيخ الصالح الشيخ أحمد الكعكى فنزل الى الحوت فنزلت معه حتى وضعت رجلى على ظهره فى أقل من لمح البصر هذا وقع لى معه ثم نزلت مرة أخرى وحدى وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا قدم له طعام مخلوط بشبهة يميز الحلال منه ولقد رأيته مرة يفتت من فطيرة صنعتها له فى قصعة فيرمى عن يمينه شيأ وعن يساره شيأ ويرمى فى القصعة شيأ فقلت له فى ذلك فقال الحلال الذى هو فى القصعة والحرام الذى على اليسار والشبهة الذى على اليمين فخاص الله انا الحلال وميز لنا الحرام والشبهة بحوله وقدرته فانظر يا أخى هذا الامر العجيب كيف ميز الله له ذلك بعد عجنه واختلاطه وقد سمعت مرة قائلا يقول لى فى الاسحار ماصحبت مثل أفضل الدين ولا تصحب فقصصت ذلك عليه فصار يبكى ويقول من أين لى أن تتكلم الهواتف بشأنى وسمعته يقول اذا امتلأ القلب بالنور ارتفع كل حجاب بين العبد وبين ربه وخلع عليه الحق من علمه ماشاء وقد بلغنا انه كان يميز الحلال من الحرام من الخبز الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه فيرمى منه ماشاء ويأكل ماشاء فمثل هؤلاء لا ينبغى الاعتراض عليهم اذا أكلوا فى بيوت الظلمة فاياك يا أخى أن تقيسهم على حال نفسك وان كان ولا بد لك من الانكار على أهل هذا المقام فقل لاحدهم ان كنت ممن أطلعهم الله تعالى على تمييز الحلال من الحرام فكل والا فاترك امتثالا لامر الشارع فانه لا يقدر ان يعطيك لاستنادك

على حماية الشرع والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى اذا قرأت على المارد من الجن بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله احترق وصار دخانا وكان أصل تخصيص هذا الذكر بذلك ما أخبرنى به سيدى على الخواص رحمه الله تعالى عن الشيخ أبى الحجاج المغاورى رضى الله تعالى عنه انه قال صحبت شخصا من الجن فقال لى يوما أريد أن أصعد الى السماء فأسترق السمع ومرادى آخذك معى تتفرج قال فأجبته الى ذلك فقال لى غدا يأتيك ثلاثة أجمال فاركب منها واحدا ولكن اجعل عليك ثيابا كثيرة فان الجو بارد ففعلت وركبت معهم فطار بى حتى حجبنا عن رؤية الارض وسمعنا زجل الملائكة بالتسبيح والتقديس ففتحت العصابة التى كنت عصبت بها اعينى حين طار بى الجنى فرأيت الكواكب أمثال الجبال ورأيت الملائكة تمشى فى طرق السموات وهم يسبحون الله تعالى بأنواع التسبيح والاذكار فلم أستطع أن أسكت فقلت لا اله الا الله فلما قلتها انظر ملك الى العفريت وبيده شهاب فقال بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ورماه بذلك الشهاب فصادف جانبه ففزع العفريت من تحتى فطحت فى الهواء فغبت فلم أشعر بنفسى الا وأنا على كوم رمل فلما أفقت نزلت من الكوم فوجدت شخصا حراثا فقلت له أين بلدى فلانة فقال لى بينك وبينها سفر كذا وكذا سنة قال فبعت ثيابى وسافرت بثمنها حتى وصلت الى بلدى وأخبرت أهلى بالقصة فعرفونى بعد جهد طويل فانهم كانوا عملوا اجنازتى من سنين انتهى وهذه الحكاية ماسمعت بمثلها وكان الشيخ أبو الحجاج هذا عجيبا فى مجاهداته ذكروا أنه كان يدخل البرية ويجلس على غير طريق وليس معه مايأكله فيمكث الشهرين والثلاثة ثم يرجع الى أهله وكان رحمه الله تعالى يقول دخلت مرة برية فوجدت فيها شخصين يتعبدان فلما كان اليوم الثانى جاء طائر فخطف منهما واحدا فطار به فى الهواء ثم جاء ثانى يوم فخطف الآخر ثم جاء اليوم الثالث فخطفنى حتى وضعنى على قلة جبل عليه جماعات موتى ورأيته لا يأكل منهم سوى أعينهم فأخذت عمائمهم وربطتها فى بعضها ونزلت من الجبل فوصلت العمائم الى الثلثين فقط فرميت بنفسى الى الارض فنزلت على شجرة فرمتنى الى الارض بسهولة انتهى وتقدم وقائعى مع الجن فى المنن السابقة والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صحبتى لجماعة يجتمعون بملك الموت وجبريل فى هذه الايام ولولا أنهم أمرونى بالكتمان لذكرت أسماءهم للاخوان وفى كتمانهم أيضا مصلحة لبعض المنكرين فربما أنكر بعضهم ذلك عليهم فمقت ونسأل الله العافية وقد نقل الشيخ عبد الغفار القوصى رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى بالوحيد فى علم التوحيد ان الشيخ تاج الدين بن شعبان كان من أقران الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله تعالى عنهما كان يقول لمن يسأله فى حاجة اصبر حتى يجىء جبريل عليه السلام فأوصيه عليك وجاءه مرة شخص يأخذ خاطره وولده محتضر فقال اصبر حتى أوصى عزرائيل على ولدك وكان عند الشيخ حدة عظيمة فقيل له مرة من اكتسبت هذه الحدة فقال من صحبتى لجبريل وكان كثيرا ما يخاطب ملك الموت اذا احضر ويقول له مر فى طريقك فقد بقى من أجله كيت وكيت فيعيش كما قال ثم يموت قال الشيخ عبد الغفار وقول بعضهم قال لى جبريل وقلت لجبريل ليس بمستحيل ولا ممتنع وانما ينكر ذلك من

بعد قلبه عن الملكوت وأما الاولياء فقلوبهم جوالة فى الملكوت ولها أنس بعالمه ومخاطبات الملائكة لاجتماع أرواحهم بأرواح الملائكة فى عالم الملكوت بل ربما برزت أرواحهم فيما وراء ذلك قال وفى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة وفى قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله اشارة لما قلناه مع عدم استحالة ذلك ووجود جوازه ولايعارض ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لانبى بعدى لان ماذكرناه من محادثة جبريل ليس بنبوة ولاوحى ولاارسال فربما عرف الولى جبريل حين يصافحه من طريق كشفه وفى الحديث ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم فكيف بمن يطلب الله وورد أيضا ان الملائكة وجبريل يصافحون من قام ليلة القدر ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر وقد يقرل الولى ذلك فى غيبة أو أخذة أو سنة فلا يحتاج ذلك الى تأويل وكان الشيخ بهاء الدين الاخميمى رحمه الله تعالى كلما مرض يقول لست أموت فى هذه الضعفة فقالوا له من أين علمت ذلك فيقول من ملك الموت فانه قال لى عمرك خمس وثمانون سنة فكان الامر كما قال وكان يقول نزلت قبر بعض الاخوان فوصيت عليه منكرا ونكيرا فلما مات سمعوه وهو يكلمهم ويسألهم عن الاسلام والايمان والكلام مع ملك الموت كالكلام مع جبريل سواء ثم ان قوله لملك الموت ارجع فقد بقى من أجل فلان كذا صحيح وانما جاء ملك الموت قبل قبض روح ذلك الميت لاظهار كرامة لذلك الولى لا لغير لقوله تعالى اذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون وكرامات الاولياء من وراء استار العقول ومن دائرة المحو والاثبات وكتب الرقائق مشحونة بحديث الاولياء مع الملائكة كما وقع لثابت البنانى وغيره ممن كان يسلم على الملكين الواردين عليه والصاعدين عنه ويردان عليه السلام ومعلوم ان الاولياء عدول ثقات وقد نقلوا ذلك عن بعضهم بعضا لاسيما عمن لايقع فيه التهمة ولايتوقف فى ذلك الا من له غرض فى عداوة بعض الاولياء فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أخذى بعض مقامات الطريق عن أمى لايقرأ ولايكتب وهو سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ووجه المنة فى ذلك ان الامى ينطق بجوامع الكلم بحسب ما أعطيه من الارث المحمدى فيختصر على المريد الطريق ومن علامة علوم الاولياء الاميين انها تأتى خالية عن الاشكال وقد كان الشيخ نجم الدين الكبرى رضى الله تعالى عنه أميا وكذلك الشيخ أبو مدين المغربى رضى الله عنه وكذلك سيدى محمد وفى رضى الله تعالى عنه ولهم كلام عظيم فى الطريق يعجز العلماء عن الاتيان بمثله ولقد جمعت جملة صالحة من كلام سيدى على الخواص رضى الله تعالى عنه سميتها الجواهر والدرر وكتب عليها علماء الاسلام بمصر وتعجبوا منها غاية العجب واستفادوا منها مالم يكن عندهم من العلم وندموا على عدم اجتماعهم بالشيخ حال حياته وقال لى شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى رحمه الله تعالى لى منذ ستين سنة أطالع فى التفاسير وكتب العلم ما رأيت فيها مسئلة واحدة مما فى هذه الجواهر وكان الشيخ أوحد الدين ينكر على الشيخ نجم الدين الكبرى وينهى طلبته عن الاجتماع به فاغاظ الشيخ نجم الدين يوما القول على الشيخ أوحد الدين فقال الشيخ أوحد الدين تغالظ على القول وقد صنفت فى معرفة الله تعالى تسعين كتابا فقال له الشيخ نجم الدين لو عرفته ما صنفت فيه فطلع المنبر وقال ايها الناس

ان

ان الشيخ نجم الدين رجل جاهل وان كان عالما فليجب عن هذه المسئلة فأجاب الشيخ نجم الدين عنها بثلثمائة جواب حتى تحير الناس فهرب الشيخ أوحد الدين ووقعت فتنة عظيمة فهدم العوام بيت الشيخ أوحد الدين وأحرقوه فخاف الخليفة وجاء يطيب خاطر الشيخ نجم الدين فلم يفتح له فأقام على الباب ثلاثة أيام فقال للخليفة هذه فتنة يزول فيها ملكك وتقطع فيها رأسى وتخرب فيها بغداد فكان الامر كما قال رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تعظيم الفقير الذى عليه زى الفقراء من مرقعة أو نحوها ببادئ الرأى ولا أتوقف على معرفة مقامه فى الطريق كما ان أهل الدنيا لما عظموا أهلها فتراهم يعظمون كل من رأوه لابسا ثياب جند السلطان ولا يتوقفون على تحقيق كونهم من جند السلطان أم لا فاياك يا أخى ثم اياك والاستهانة بمن رأيته ينتسب الى أهل الله تعالى بوجه ما كما أنه ليس لك أن تشرب سما لتجربه هل يقتلك أم لا وقد قال الله تعالى فى بعض الكتب الالهية من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ولم تزل الاولياء أخفياء فى كل عصر فيحتمل ان يكون كل من رأيته من المسلمين من جملة أولياء الله تعالى الذين يحارب عنهم أعداءهم وقد بحث ابن عطاء يوما مع الجنيد ورد عليه قوله فقال الجنيد اللهم ان كان مبطلا فاذهب ماله وعقله وأمت ولده فذهب ماله ومات ولده وبقى مجنونا أربعين سنة حتى مات وكان يقول أصابتنى دعوة الجنيد فاذا كانت دعوة الجنيد قد أثرت فى ابن عطاء مع تخلق الجنيد بالشفقة والرحمة على الامة لكماله فكيف بدعوة أرباب الاحوال الذين لايذوقون طعم الشفقة على أحد لغيبتهم بالحال واجابة الدعوة تدل على ان الحق كان مع الجنيد رضى الله تعالى عنه فسارع يا أخى الى درجة محبة الله تعالى لتصير تعظم كل من زعم من المؤمنين انه من أحبابه ولو كاذبا * وقد حكى عن الشيخ عبد الرحيم القناوى المدفون بقنا انه رأى كلبا فقام له اجلالا فقيل له فى ذلك فقال ان صاحبه ربط فى عنقه شرموطا من جبة الفقراء فنظرت الى أثر الفقراء وغبت عن شهود الكلب ثم ان أكثر من يزدرى الفقراء من يغتر بعلمه وصلاحه وعمله وايثاره وكرمه كما وقع لابن عطاء مع الجنيد فان من رأى نفسه فقد تعرض لتحكم غيره فيه ولو كان هو من أكمل الاولياء وقد سلب خلق كثير من الكمل عند رؤيتهم نفوسهم واعلم ان من عباد الله الاخفياء من يجيب الله تعالى دعاءه فى كل ما دعاه حتى ان بعض السوقة كان كل من دعا عليه مات لوقته ووقع له انه أراد ان يقرب من زوجته فقالت له ان الاولاد مستيقظين فقال أماتهم الله وكانوا سبعة فصلوا على السبعة بكرة النهار فقالت له زوجته فى ذلك فقال ما كان ذلك باختيارى فبلغ ذلك سيدى ابراهيم المتبولى فأرسل وراء الفقير وقال له أماتك الله فأماته الله لوقته فقال سيدى ابراهيم رضى الله تعالى عنه لو بقى لامات خلقا كثيرا فافهم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ندائى بقلبى لمن شئت من أصحابى وهم فى بلادهم أو دورهم فى مصر فيحضرون من غير لفظ وان عزم أحدهم على المجىء أناديه بقلبى ارجع فيرجع منهم الامير شجاع أغاة العزب بالقلعة ومنهم الشيخ عبد الله العجمى بمقام الامام زين العابدين ومنهم الشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى ومنهم الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى وجماعة من الفقراء كل ذلك لشدة ارتباطهم بى وارتباطى بهم وليس هذا الامر لكل فقير انما هو لافراد منهم وكان

سيدى ابراهيم الاعزب بالعراق له خمسون ألف مريد فورد عليه فقير فقال كيف يقدر هذا على تربية هؤلاء ومعرفتهم فلما دخل على الشيخ وجد عليه قميصا أزرق وطاقية زرقاء فقال له مكاشفا اليسر على تعب فى تربيتهم لان الله تعالى جعل قلوب الكل بيدى ثم قام فوقف على باب الرواق وجمع أصابع كفه فى الهواء واذا بهم يهرولون من كل مكان حتى امتلأ الرواق ثم بسط أصابعه فرجع كل واحد منهم من حيث جاء حتى لم يبق فى الرواق واحد فلا هو كلمهم ولا هم كلموه فانظر يا أخى الى هذا التصريف العظيم ويقع لى فى بعض الاوقات انه يخرج من عندى بعض أصحابى فأجد قلبى معه يتبعه حيث ذهب لا أقدر على رجوعه عنه فيلاحظه حتى يرجع لحسن أدبه معى فتأمل ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) جعله تعالى لى ممن يحيى السنة ويميت البدعة بعد الفترة التى حصلت بعد موت الاشياخ الذين ماتوا ونحن أطفال فان الدعاة الى طريق الله تعالى من الائمة على أقدام الرسل فكما كان كل رسول يأتى بعد فترة ناسخا الشرع من قبله أو مؤيدا له فكذلك طائفة الدعاة الى الله تعالى من الاولياء وعلى هذا القدم جماعة من أهل عصرنا بحمد الله تعالى احيوا الدين وأقاموا معالمه وان لم يسمع لهم كالشيخ سليمان الخضيرى وسيدى محمد البكرى والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى والشيخ زين الجزيرى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ سراج الدين الحانوتى والشيخ بدر الدين الشهاوى والشيخ شمس الدين البرهمتوشى فهؤلاء من أعظم الذابين عن الدين فى عصرنا هذا وفيهم الخير والبركة والعلم فالله تعالى ينفعنا ببركاتهم فلو أن الائمة كلها اجتمعت عليهم وأطاعوهم لهدوهم باذن الله تعالى الى الصراط المستقيم لكثرة ما أعطاهم الله تعالى من العلوم والاسرار والسياسات رضى الله تعالى عنهم وفسح فى أجلهم للاسلام والمسلمين وايضاح ما قلناه من الفترات الحاصلة بين كل داع وداع من الاولياء انه لما مات الائمة المجتهدون حدث بعدهم اهواء وبدع وحجب على القلوب حتى صار الناس كأنهم فى فترة بالنسبة الى ما سلف فأتى الله تعالى بالمشايخ المذكورين فى رسالة القشيرى فأحيوا معالم الطريق وأظهروا ما اندرس منها كالسرى والجنيد وأبى سليمان الدارانى وأشباههم رضى الله تعالى عنهم من كل العارفين والعلماء العاملين الذين كانوا فى عصرهم فلما ماتوا وقعت الفترة مدة حتى أتى الله تعالى بالطبقة الثانية كالشيخ عبد القادر الجيلى والشيخ أحمد بن الرفاعى والشيخ أبى مدين المغربى والشيخ أبى عبد الله القرشى وابى يعزى وابن النجار واضرابهم رضى الله تعالى عنهم فلما ماتوا حصلت الفترة العظيمة حتى اتى الله تعالى بالسادة الشاذلية والوفائية رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأول الطبقة أبو الحسن بن الصباغ وأبو الحسن الاقصرى وأبو الفتح الواسطى وكانت سلسلة القوم انقطعت من مصر حتى جاء سيدى يوسف العجمى رحمه الله تعالى فتسلسلت منه الطريق فى مصر وقراها الى عصرنا هذا فكانت الفترة الحاصلة بعد هؤلاء فى الديار المصرية انما هى بعد موت سيدى على المرصفى والشيخ محمد الشناوى والشيخ تاج الدين الذاكر والشيخ أبى السعود الجارحى واضرابهم رحمهم الله أجمعين فأتى الله تعالى بعدهم بالجماعة الذين قدمناهم فاحيوا الدين والطريقة بعد موت هؤلاء فالحمد لله الذى جعلنا منهم فعلم ان الفترة موجودة برهة من الزمان بعد كل داع الى الله تعالى حتى

يظهر من يظهره الله بعده هذا مع استمرار وجود الاولياء أصحاب الدوائر الكبرى من القطب والاقطاب والاوتاد والابدال والاعين وأولى الامر اذ لو خلا الوجود من هؤلاء لخرب الوجود كله دفعة واحدة حتى ان الوقت الذى تقوم فيه القيامة لا يكون فيه أحد يقول الله الله ثم انه لما كانت الاصنام تعبد بين فترات الرسل عليهم الصلاة والسلام وترفض فيها الشرائع وترتكب فيها المحارم ويستحلون الدماء ويحكمون بالهوى ويتولاهم الشيطان ويزعمون مع ذلك انهم ما عبدوا الاصنام الا ليقربوهم الى الله زلفى فكذلك الحكم فى فترات الاولياء فانها مقابلة لفترات الرسل عليهم الصلاة والسلام بل ربما وقع فى فترات الاولياء ما هو أقبح من عبادة الاصنام فان عبادها ما نفوا قط الاله وانما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى على زعمهم وأهل فترات الاولياء قد استحكم فى غالبهم الضلال والفساد واستولى على خيالهم وطباعهم المحال حتى عكسوا الاحوال فى الافعال والاقوال وحكموا على المستحيل بالواجب وبالعكس والحقوا الموجود بالمعدوم والحادث بالقديم وبعضهم رأى ان كل شئ فى الوجود هو الاله وان عين هذا الوجود الحادث هى عين الله من الجماد والنبات والعقارب والحيات والجان والانسان والملك والشيطان ويجعلون الخالق هو عين المخلوق من خسيس ونفيس ومرجوم وملعون ورائس ومرؤس حتى الابالسة وهذا كلام لا يرضاه أهل الجنون ولا من كان فى حبه مجنون وقد نقلت هذه الامور فى زمننا هذا عن جماعة بالصعيد فيعتقدون هذه الامور فيما بينهم وبين أصحابهم من الملاحدة وينكرون ذلك فى الظاهر خوف القتل بل الذى أقوله ان ابليس نفسه لو ظهر ونسب اليه هذا المعتقد لتبرأ منه واستحى من الله تعالى وان كان هو الذى يلقى الى نفوسهم ذلك وقد حكيت لسيدى على الخواص بعض صفات هؤلاء فقال هؤلاء زنادقة وهم أخس الطوائف لانهم لا يرون حسابا ولا عقابا ولا جنة ولا نارا ولا حلالا ولا حراما ولا آخرة ولا لهم دين يرجعون اليه ولا معتقد يجتمعون عليه وهم أخس من ان يذكروا لانهم خالفوا المعقولات والمنقولات والمعانى وسائر الاديان التى جاءت بها الرسل عن الله تعالى ولا نعلم أحدا من طوائف الكفار اعتقد اعتقاد هؤلاء فان طائفة من النصارى قالت المسيح ابن الله وكفرهم القوم الآخرون وطائفة من اليهود قالت العزير ابن الله وكفرهم القوم الآخرون فلم يجعلوا الوجود عين الله تعالى وقد أشبع الشيخ الكامل الراسخ الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه الكلام فى الرد على أهل الحلول والاتحاد ومن كلامه رضى الله تعالى عنه ما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد وما قال بالحلول الا من دينه معلول وقد بسطنا نقوله رضى الله تعالى عنه فى كتابنا المسمى باليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر ونقلت ذلك من النسخة المقابلة على خطه دون التى دس فيها الاعداء والحسدة ما دسوا ولعل الشيطان انما وسوس لهؤلاء الاعداء بدس العقائد الزائغة فى كتب الشيخ ليوقع فيها من أراد الله اضلاله من جهلة المتصوفة فان الشيخ محيى الدين كان من أكابر الاولياء الراسخين فربما قال لهم ابليس ان ما فى كتبه ليس مدسوسا عليه وانما ذلك كان اعتقاده ويكفيكم فى الدليل اتباع هذا الرجل الجليل فعظمه فى أعينهم حتى لا يتوقفوا فى اعتقاد ما يجدونه فى كتبه من المدسوس (ومن كلامه) رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية من أراد ان لا يضل فلا يرمى ميزان ظاهر الشريعة من يده طرفة عين ويعتمد ما عليه الائمة

المجتهدون ومقلدوهم ويرفض ماعداه انتهى فانظر ياأخى فى هذا الكلام المحشو بالنور بعقلك السليم تجد الشيخ بريا من سوء المعتقد الذى تشبث به هؤلاء الجهلة وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لو كنت حاكما لضربت عنق كل من قال لاموجود الا الله ونحو ذلك من الالفاظ لانه لم يأت بذلك شريعة واعلم الناس بالحقائق أرباب الاذواق والمكاشفات والمعارف والمخاطبات وذووا البصائر والكرامات وخرق العادات ولم ينقل لنا عن أحد منهم انه كان يعتقد قط خلاف ماجاءت به الرسل بل لو اعتقد أحدهم خلاف ماجاءت به الرسل ماوقع لاحدمنهم كرامة ولاخرق عادة وانما الكرامات لاهل السنة والجماعة وأطال فى ذلك رحمه الله تعالى فى رسالته فاياك ياأخى ومخالطة أهل البدع الا بقصد هدايتهم الى طريق الحق والله يرشدك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) احيائى بعض اخلاق القوم التى اندرست كالاحسان الى من أساء الى وبذل المال لاصلاح ذات البين حتى لولم يكن معى الاجوختى أوعمامتى بذلتها عند توقف الصلح عليها وكان على ذلك القدم سيدى الشيخ محمد الشناوى والشيخ عبد الحليم ومارأيت لهذا الخلق فاعلا بعدهما وقد أعطيت مرة جوختى البنفسجى لسيدى محمد بن الغمرى ومرة أخرى أعطيت سيدى زين ابن سيدى على المرصفى جوختى الجديدة مصروفها أربعة وثلاثين أشرفيا وذلك لاصلاح ذات البين بينهما وبين اخصامهما من غير اتباع نفس لذلك فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم الجزم بتفضيل أحد من علماء العصر وأوليائه على غيره بل الواجب الادب مع كل من أقامه الله تعالى فى رتبة من الرتب وأما حقائقهم عند الله تعالى وتفضله تعالى لهم فلا علم لنا بذلك ولا يلزم من الافضلية الظاهرة الافضلية الباطنة ومالنا من حيث أنفسنا الا المحبة للجميع والوقوف عندما أمر الله تعالى به من الطاعة لاولى الامر منا سواء كانوا أمراء أو أولياء وفى الحديث التقوى ههنا وأشار الى قلبه ومعلوم ان القلب لاعلم لنا بمافيه انما ذلك خاص بالله عز وجل وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر هلا شققت عن قلبه كفاية فى رد علم الحقائق الى الله تعالى وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول مارأينا أحدا قط أساء الظن بالفقراء ووجد خيرا قط انتهى وتقدم فى هذه المنن عن أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه انه كان يقول من غض من عارف بالله أو ولى لله ضرب فى قلبه بسهم مسموم ولا يموت حتى يفسد معتقده انتهى وتقدمت هذه المنة مرارا بعبارات أخر فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اقتدائى بالسلف الصالح فى كتمان الاسرار التى منحتها بفضل الله تعالى فاعرف فى كل آية أو حديث أو أثر من الاسرار مالا يسطر فى كتاب وقد كان الامام على رضى الله تعالى عنه يقول آه بعد أن يضرب على صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدنا من يحملها وكان رضى الله عنه يقول علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم علما لو أفشيته لخضبت هذه من هذه وأشار الى لحيته وعنقه وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من علم فأما واحد فبثثته لكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع

منى هذا البلعوم رواه البخارى وغيره رضى الله تعالى عنهم وكان الامام على بن الامام الحسين رضى الله تعالى عنهما ينشد

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون اقبح مايأتونه حسنا

(ونقل) الشيخ عبد الغفار القوصى رحمه الله تعالى عن الشريف الكلبى انه أخبره انه كان ذاهبا فى طريق العمرة ومعه فقير أعجمى فتكلم بشئ من الاسرار فقلعت رأسه من بين كتفيه فخفت أنهم يطالبونى به فهرولت وتركته اه وايضاح ماقاله الامام على وأبو هريرة انه كان بعض الناس ينكر خرق العوائد لكونه لايراها ولا يسمع بها وليس عنده ايمان ولا تصديق بمن أتى بها كما وقع للكفار حين جهدوا على عبادة الاوثان وتركوا ماجاءتهم به الرسل فكذلك أهل زمان كل عارف اذا أظهر من العلوم مالا تدركه العقول ولا تصل اليه الفهوم ممالا يقابل بقياس ولا يدخل فى عوائد الناس يكفرونه ويرمونه بالزندقة وقد قالوا من أفشى أسرار الله فجزاؤه القتل بالسيف على عوائد الملوك فى قتل من يفشى أسرارهم وفى الحديث أمرت أن اخاطب الناس على قدر عقولهم اه وقد حكى الشيخ عبد العزيز المنوفى رحمه الله تعالى وكان من أصحاب الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه أنهم قالوا للقرشى مرة ياسيدى لم لاتحدثنا بشئ من الحقائق فقال لهم كم أصحابى اليوم فقالوا ستمائة رجل فقال استخلصوا منهم مائة فاستخلصوا ثم قال استخلصوا منهم عشرين ثم قال استخلصوا منهم أربعة فاستخلصوا الشيخ قطب الدين القسطلانى والشيخ عماد الدين وابن الصابونى والقرطبى وكانوا أهل مكاشفات وخوارق فقال الشيخ والله لو تكلمت لكم بشئ من الاسرار والحقائق لكان أول من يفتى بقتلى هؤلاء الاربعة اه ووجه ذلك ان علم الحقائق والاسرار من علم سر القدر والجبروت وافشاء ذلك كفر بالله عز وجل ويجب على العلماء أن يفتوا بكفره لان ذلك مما تعبدهم الله تعالى به ظاهرا صيانة للشريعة المطهرة ولا يلزمهم تصديق ذلك الولى فيما طولع به من العلم ولذلك قال افتوا بقتلى ولم يقل يقتلونى وأيضا فان الاسرار الالهية المودعة فى قلوب العارفين هى من أمانة الله عندهم وهى العهد والعقد وهم مطلوبون بالوفاء بالعهود والعقود واداء الامانات الى أهلها دون غيرهم فلو قطع صاحب الاسرار اربا اربا ما أظهرها لكن ان اعطى الحق تعالى عبدا قوة على التلويح دون التصريح كسيدى محمد البكرى حفظه الله تعالى من عيون الحاسد فلا بأس بذلك لان صاحب التلويح لايقدر العلماء على الجزم بحاله أبدا وفى كلام الموازينى الشاذلى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه مواليا

تراحم الكون عندى كالهبا فى الريح * مالو ابقاصر تحوا وصف الفناتصريح
ماثم غير الحقائق وضح التوضيح * لكن الهابحر واسع يطلب التلويح

(فعلم) ان كمل العارفين لايقع منهم افشاء السر الربوبية ثم لو تصور وقوع ذلك منهم فى حضور أو غيبة أو غلبة حال حصل القتل اذ الغيرة الالهية تقتضى ذلك كما مر فى أسرار الملوك وفى رمزه تعالى فواتح بعض سور القرآن العظيم مع قدرته على اظهار تلك مقنع لمن يقنع فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب

العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) معرفتى بأهل الدعاوى الصادقة والكاذبة وذلك بعلامات يلهمها الله تعالى لى حتى يصير ذلك عندى كالعلم الضرورى وقد دخل علىّ مرة شريف نحيف البدن بعمامة وله لثام فكلمنى فى علوم لا يعرفها الا المهدى عليه السلام وأخبرنى انه هو وانه قرب ظهوره فلم احتفل بامره فقال لى أما عندك تصديق بذلك فقلت لا مع انه شاب مهيب المنظر حسن السمت فقلت له صوتك ليس بصوت شريف والمهدى شريف بيقين فكشف اللثام عن وجهه وقال صدقت وقد امتحنت خلقا كثيرا فى المغرب فصدقوا انى المهدى الاكبر وصاروا يقولون قد خرج المهدى فقلت له ما حملك على ذلك فقال ليكون المهدى على بالهم فانه قد قرب ظهوره ومرادى بقولى أنا المهدى ان الله تعالى هدانى لدين الاسلام اه وقد حكى الشيخ عبد العزيز المنوفى رحمه الله تعالى انه ورد فى زمان الملك الكامل فقير جميل الصورة وله علوم ظاهرة وباطنة وهو شريف وكان له أحوال جليلة وصنف كتابا ذكر فيه انه المهدى فوصل الى السلطان فقال له الملك الكامل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر ان المهدى يخرج من بين الصفا والمروة ويبايع الناس له عند الحجر الاسود فقال للسلطان أنت جاهل انما أراد صلى الله عليه وسلم بالصفا والمروة العلماء والفقراء يخرج من بين هؤلاء رجل هو المهدى وأنا ذلك الرجل وليس مراده بالصفا والمروة الطوب والحجارة فلم يشوش عليه السلطان بل أمر بتجهيزه الى الغرب فجهزوه قال الشيخ عبد العزيز فاستخبرت عنه بعض أهل الغرب فقال رأينا رأسه معلقة على باب مراكش قال الشيخ عبد العزيز وبلغنى ان ابن تومرت لما ادعى انه المهدى اهتدى على يديه خلق كثير وانه مرّ على قوم ينكرون دين الاسلام والبعث فعمل حيلة وأعطى جماعة مالا جزيلا وأنهم يدخلون فى القبور ويسقفونها عليهم ففعلوا ثم صار يأتى بهؤلاء المنكرين جماعة بعد جماعة وينادى أهل تلك القبور أما وجدتم دين الاسلام حقا أما جاءكم منكر ونكير فيقولون نعم نعم وجدنا ذلك حقا اه وهذا الامر لم يزل يقع فى أرض المغرب لكنى بحمد الله اجتمعت بالشيخ حسن العراقى المدفون فوق الكوم المطل على بركة الرطلى بمصر وذكر لى انه اجتمع بالامام المهدى الحق بعد مواظبته على سؤال ربه ان يجمعه عليه سنة كاملة وقال لى ان وجهه يشبه وجه جده صلى الله عليه وسلم لكن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلى وأملح وقال لى سألته عن عمره فقال لى ستمائة سنة وشئ وان له بعد مفارقته الى الآن مائة سنة وهو من ولد الامام حسن العسكرى هكذا أخبرنى عنه والله أعلم بحقيقة الحال فانى لم اجتمع عليه حتى أعرفه فاعلم ذلك واعمل عليه ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة شفقتى على الايتام والعميان والمجذومين والعرجان وسائر من به عاهة لا سيما ان جاوروا عندى حتى انى أود ان لو كان المجاورون كلهم عندى عميانا وعرجانا ومكاسير وكان على هذا القدم سيدى أحمد بن الرفاعى والشيخ عثمان الحطاب وغيرهما رضى الله تعالى عنهم حتى ان سيدى أحمد كان يدور وراء الكلاب المدودين يداويهم فربما هرب منه الكلب فيمشى وراءه ويتعطف بخاطره ويقول أى مبارك انما أريد مداواتك (وكان) يمشى الى المجذومين والزمنى فى أماكنهم فيغسل ثيابهم ويفلى رؤسهم وثيابهم من القمل

ويحمل اليهم الطعام ويأكل معهم ويجالسهم ويسأل الله تعالى لهم العافية ويسألهم الدعاء ويقول زيارة هؤلاء وخدمتهم من الواجبات وكذلك كان يفعل مع العميان والمرضى والعرجان وكان يقضى حوائج العجائز والارامل من النصارى ويخدمهم ويحسن اليهم حتى أسلم خلق كثير منهم على يديه وكانوا يسمونه أبو الايتام والمساكين وربما سمع بمرض أحد من الفقراء فى غير بلده فيخرج اليه فيعوده ويخدمه ثم يرجع بعد يومين أو ثلاثة وكان يقف فى الشارع بقصد انه يقود العميان فاذا قاد أحدهم قبل يده وسأله الدعاء وكان يتفقد الشيوخ الذين عجزوا عن الذهاب الى بيت الخلاء وصاروا يتغوطون على ثيابهم فيخلعها ويغسلها وينشفها ثم يلبسهم اياها ويوصى جيرانهم عليهم ويقول الشفقة على خلق الله مما يقرب العبد الى الله وفى الحديث الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله وكان رضى الله عنه عنده يتيم من الابوين فكان يأتيه فى الورد أو فى مجلس الوعظ فيطلب منه شيأ يأكله أو شيأ يلعب به فيقوم الشيخ ويأخذ له ما طلب ثم يرجع لا يكاد يخالف اليتيم فيما يطلب منه وكان المشايخ من أهل عصره يقولون كل ما حصل لاحمد بن الرفاعى من المقامات انما هو من كثرة شفقته على الخلق وذل نفسه رضى الله تعالى عنه فاعلم يا أخى ذلك واشفق على خلق الله تعالى لا سيما من ذكرناهم والله تعالى يتولى هداك ويدبر امورك ويساعدك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم مرورى على أحد من الفقراء أو العلماء وأنا راكب الا وأنا فى غاية الحياء وكثرة تقبيلى لرجله فى النعل لا سيما ان كان ممن يكرهنى وقليل من الفقراء من يقدر ان يفعل مثل ذلك وكان هذا من خلق سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه كما فى المنة التى قبل هذه وقد سأل جماعة الشيخ أبا المنذر المهتدا رجى رضى الله تعالى عنه عن سيدى أحمد ابن الرفاعى فقال لا أقدر ان أشرح لكم حاله فقالوا له لا بد ان تخبرنا بشئ من أحواله فقال ماذا اقول فى رجل ما اعترف قط لنفسه بمقام ولا قدر ولا خطر له غير ربه ولا رضى لنفسه التنعم بشئ من الدنيا فى يوم من الايام وكلما ازداد قدرا ومقاما عند الله تراه يزداد ذلا ومسكنة لله وللخلق وكان الاشياخ يقولون أعظم الاولياء فى عصرنا هذا قدرا الشيخ أحمد بن الرفاعى فى البطيحة وأبو محمد ابن عبد الله بالبصرة قيل لهم فأى الرجلين أعلى قالوا أحمد بن الرفاعى كان قطب الاقطاب فى الارض ثم انتقل الى قطبية السموات ثم صارت السموات السبع فى رجله كالخلخال حتى سلك بكثرة ذل نفسه طريقا لم يسلكها غيره ثم لا علم لنا بعد ذلك لماذا وصل انتهى وكان الشيخ سالم السلماباذى يحط هو وأصحابه كثيرا على سيدى أحمد بن الرفاعى فلقيه مرة سيدى أحمد فى طريق ومعه أكابر أصحابه فاول ما رآهم سيدى أحمد نزل عن دابته وكشف رأسه وقبل لهم الارض وقال لاصحابه بالله عليكم ان أغلظوا علىّ القول فاصبروا ساعة فلما قبل يد السلماباذى ورجله وهو راكب تلقاه بكل قبيح وشتمه وقال له أى أعور أى دجال أى مستحل الحرام أى مبدل القرآن أى ملحد حتى قال له أى كلب هذا كله وسيدى أحمد يقبل يده ويقول له أى سيدى بفضلك ارض عنى وأنا خادمك وحاملك يسعنى فلما طال الشتم منه لسيدى أحمد نزل عن دابته وقال أى أحمد ماذا أصنع معك فوق هذا ما بقى لى فيك حيلة ثم قال والله انى لاحبك يا أحمد وما فعلت هذا معك الا لاختبر ذل نفسك وأرى عزة النفس تأخذك فلم يتغير منك شعرة ثم قال

يا أحمد أغلقت أبواب جميع المشايخ بكثرة ذلك ومسكنتك وستكون الدولة لك ولذريتك الى يوم القيامة فقال له سيدى أحمد كل هذا ببركتك ياسيدى وبركة ملاحظتك لى قال يعقوب خادم سيدى أحمد ثم ان سيدى أحمد قبل رجله وانصرفنا وقد هلكنا من الغيظ مما فعله مع سيدى أحمد فالتفت الينا سيدى أحمد وقال لنا ما كان الا الخير انه أخرج ما كان عنده ولو بقى ذلك عنده لهلك وأغنا نحن لكونا تسببنا له فى ذلك فارحناه مما كان فى صدره منا وكان الشيخ ابراهيم الاعزب يقول كان البستى يحط على سيدى أحمد فأرسل مرة له كتابا فيه أى أعور أى دجال أى مبتدع أى من جمع بين الرجال والنساء الكلب بن الكلب فأرسل له الجواب صدقت فيما قلت جزاك الله عنا خيرا فلا تخلنى يا أخى من دعائك وحلك يعنى وكتب عنوانه من اللاش احمد الى سيدى الشيخ المحتشم المكرم البستى فلما وصل الكتاب الى البستى ندم وخرج من بلاده هاربا على وجهه فلم يدر أحد أين ذهب وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول قد سلك سيدى احمد فى الذل مسلكا يقصر عنه فحول الرجال وروى الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه بسنده الى يعقوب خادم سيدى أحمد قال كنت كلما لقيت الشيخ عبد الله الهندى يقول لى احمل هذه الرسالة الى شيخك وقل له أى ملحد أى باطنى ونحو ذلك من الالفاظ القبيحة فكنت أخبر سيدى أحمد بذلك فيقول قل له صدقت ثم يعطينى دريهمات هكذا كان شأنه معى ثم ترسل للشيخ عبد الله الهدايا والتحف فلا يزداد الا شتماء وقبحا على سيدى أحمد فلما طال الامر على الشيخ عبد الله جاء الى سيدى أحمد وقبل رجله وكشف رأسه وبكى بكاء شديدا وصار سيدى أحمد يمسح دموعه ويقول له ما كان الا الخير يا أخى فقد أخرجت الذى كان يؤذيك كتموا كتمنا الخير بسببك ثم انه سأل سيدى أحمد فى أن يأخذ عليه العهد ففعل وصار من أعز أصحابه فانظر يا أخى الى هذه الاخلاق واقتد بهذا السيد وقبل نعل من يكرهك ويحط عليك ان اردت أن تكون من الصالحين والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهة نفسى للقرب من الملوك والامراء الا ان أعطانى الله تبارك وتعالى الكشف التام لعلى بعلو مقامهم فلا يكون شيخهم الاعلى شأ كلتهم فى العلو فى المقام على غيره فشيخ الفقير فى راحة وشيخ الامير فى تعب وخجل فان الامير كلما يقول له قل لى على ما بقى من مدته ولايتى أو متى يعزل عدوى الفلانى أو هل يقوم السلطان من هذه الضعفة أم لا ونحو ذلك فان لم يكن مشهده اللوح المحفوظ من المحو والاثبات خجل وافتضح وسقط من عين الامير فلا يلومن الفقير الا نفسه اذا طرده الباشا مثلا من حضرته بعد تقريبه وقد طلب أبو جعفر المنصور صحبة ابن أبى ذئب فقال له بشرط ان تقبل نصحى فقال له أبو جعفر نعم فصحبه فقال له أبو جعفر يوما ما تقول فى فقال له لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجه أبى جعفر فولى عن ابن أبى ذئب ولم يطق صحبته فلا بد لمن يصحب الملوك من حال يحميه اذا نصح أحدا منهم وقد بلغنا عن السلطان يعقوب بارض المغرب انه قتل أخاه من اجل الملك ثم ندم وصار يتطلب شيخا يتوب على يديه ويرشده الى ما يكون به تكفير ذلك الذنب فدلوه على الشيخ أبى مدين وكان اذ ذاك ببجاية وكان يعقوب بتلمسان فأرسل يعقوب رسله الى بجاية ليأتوه بالشيخ أبى مدين فأجاب وقال سمعا وطاعة لولى الامر ولكنى لا يقع بينى وبينه اجتماع لانى أموت بتلمسان ساعة وصولى اليها فلما وصل اليها

قال

قال الرسل يعقوب سلموا عليه وقولوا له شفاؤك على يد ابى العباس المرسى وتفعل على يديه فاخبره الرسل بذلك فمات الشيخ أبو مدين بتلمسان فطلب يعقوب الشيخ أبا العباس المرسى طلبا حثيثا وسير رسله الى سائر الجهات الى أن ظفروا به فاستأذن الحق تعالى فى الاجتماع به فوجد انشراحا بذلك فمشى الى يعقوب ففرح به يعقوب غاية الفرح ثم ان السلطان أمر بذبح دجاجة وخنق اخرى وطبخهما وقدمهما اليه وجلس معه ليأكل فلما نظر الشيخ أبو العباس اليهما أمر الخادم برفع المخنوقة وقال هذه جيفة وقال لولا تنجس الاخرى بالمرق النجس لاكلت منها فسلم يعقوب نفسه اليه وأنزل نفسه معه منزلة الخادم وسلك الطريق على يده ثم ترك ملك الغرب وساح فقد علمت أنه لولا كشف الشيخ أبى العباس رحمه الله تعالى عن الدجاجة المخنوقة ما كان السلطان اعتقده ولا تتلمذ له فمن الحمق والجهل طلب امثالنا أن يكون أحدهم شيخا على أحد من الامراء ولا كشف عنده والحمد لله رب العالمين على كل حال

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم طلبى كثرة المريدين زيادة عن أقرانى الا ان وطنت نفسى على تحمل كثرة البلاء الزائد على بلاء جميع الاقران فان كثرة البلاء تابع لكثرة المريدين اذ الاولياء على أقدام الرسل فكما ان بلاء الرسل يعظم بحسب كثرة اممهم فكذلك الاولياء يكون بلاؤهم على قدر مريديهم ومن هنا كان بلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من بلاء الرسل كلهم كما قال صلى الله عليه وسلم ما أوذى نبى كما أوذيت ومعلوم ان غيره نشر وقتل وابتلى بانواع من البلاء ومع ذلك فما أوذى به نبينا صلى الله عليه وسلم أكبر لانه كما كمل له الدين كذلك كمل له الابتلاء لارساله الى الناس كافة ولكن لما كان له المقام الاعظم فى العلو على مقام غيره لم يظهر على ذاته العلية كبير أمر وغاية ما ظهر عليه من اذى قومه تكذيبهم له وشجهم جبينه وكسرهم رباعيته ووضعهم الكرش على ظهره وهو ساجد ونحو ذلك ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ما أوذى نبى كما أوذيت أى لان دعوتى عامة فاجتمع على الاهتمام ببلاء أمتى كله فكمل لى مقام الابتلاء كما كمل بى الدين فكل بلاء كان مفرقا فى الامم اجتمع لى وابتليت به فلا بلاء لاحد كبلائى لانه لم يرسل أحد الى الناس كافة غيرى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول كان صلى الله عليه وسلم كلما سمع ما جرى لنبى من الانبياء من الاذى والبلاء يتصف به ويجد فى نفسه كل ما وجده ذلك النبى من الالم والاذى والغيرة على الدين واحتمال الكذب وكان يقوم به من الشفقة والرحمة لاتباعه المؤمنين نظير ما حصل لجميع الرسل فقد انكشف لك معنى حديث ما أوذى نبى كما أوذيت ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يجد من الالم أشد من ألم ذلك النبى الذى قص الله خبره عليه لعلو مقامه وكثرة تألمه صلى الله عليه وسلم من حيث محبة الاخوة التى كانت بينه وبينهم فان الانسان يتألم لكثرة ألم أخيه أكثر ما يتضرر لضرر اجنبى مثلا اه (فعلم) ان من طلب من الدعاة الى الله تعالى كثرة الاتباع فليستعد لكثرة البلاء فان بلاءه على قدر اتباعه وارثه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فلاح ولدى عبد الرحمن وحسن فهمه وعقله وامتثاله امرى كما يمتثل المريدون وتعظيمه لى كما يعظمنى الاجانب وقل ان يقع هذا من ولد فقير ثم ان وقع هذا لاحد منهم جاء أعظم مقاما من والده لانه يأخذ فوائد والده التى حصلها بكثرة المجاهدة الى أواخر

عمره فيعمل بها ويؤمن بها من غير نصب ولا تعب كاملة موفرة فقد ساوى والده فى مقام العلم والعمل ومابقى لوالده عليه الامقام الشياخة والافاضة لاغير وذلك أمر سهل وقد استفدت من ولدى هذا عدة فوائد وآداب فأسأل الله تعالى ان يزيده من فضله ولم يزل الفقراء يتجرعون الغصص من جهة أولادهم لما يرونه منهم من قلة سلوك طريق القوم وقد كان سيدى الشيخ أحمد الزاهد رضى الله تعالى عنه يلقن ولده سيدى أحمد ويخليه فلا يحصل له شئ مما يحصل لغيره فيقول له والله ياولدى انك لمن أحب الناس الى ولكنها قسم قسمت ولو ان الامر كان فى يدى ماقدمت أحدا عليك اه وكذلك أدركت شيخنا الشيخ عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه يتلهف على عدم سلوك بعض اولاده الطريق وعدم انتفاعه به مع ان الغريب يجئ فينتفع بالشيخ ويبلغ مبلغ الرجال ولما حضرت وفاة الشيخ محمد المنير كان ولده سيدى على كالمجذوب وكان قلبه معلقا به فكان كل ولى اجتمع به يقول له خاطرك على ولدى على فلما توفى والده أفرغ الله تعالى عليه الأخلاق المحمدية والعلوم الشرعية ومعرفة مراتب العالم وصار آية من آيات الله عز وجل قالوا واذا وفق الله تعالى ولد الفقير جاء أعلى مقاما من والده فان لم يوفق فاللوم على الوالد لانه أفرغ فى رحم امه النطفة الجامعة لجميع الكدر الذى كان فى ظهره حين تصفى وتجوهر اه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما كان الغالب على أولاد الفقراء عدم بلوغ مراتب الرجال فى الطريق لان أحدهم يتربى على الدلال واكرام الناس لهم فيرى جميع أصحاب والده يقبلون يده ويحملونه على اكتافهم ويطيعونه فى كل مايطلب منهم اكراما لوالده فتكبر نفس أحدهم ويرضع من ثدى الرياسة من صغره وتتوالى عليه تلك الاحوال المظلمة لقلبه حتى يصير لاتؤثر فيه المواعظ ولا يسمع من اكابر جماعة والده نصحا ويتجرأ بسوء الادب على الاكابر ويرى المشيخة له كالميراث فيعيش فى حس والده لايكتسب فضيلة كما هو مشاهد وهذه هى القاعدة الاغلبية فى أولاد الفقراء وقد تخلفت القاعدة فى أولاد جماعة من أهل عصرنا فجاؤا موفقين صالحين منهم سيدى محمد البكرى وسيدى على ابن الشيخ محمد المنير وسيدى زين العابدين ابن سيدى على المرصفى وسيدى أحمد ابن الشيخ سليمان الخضيرى وسيدى محمد ابن سيدى الشيخ أبى العباس الحريثى وسيدى الشيخ عبد القدوس ابن شيخنا الشيخ محمد الشناوى فهؤلاء من نوادر الزمان فى اولاد الفقراء فأسأل الله تعالى أن يزيدهم وولدى عبد الرحمن توفيقا ويجعل الذرة من أعمالهم ارجح من القنطار من أعمال والديهم آمين آمين آمين فعلم ان ولد الفقير اذا سلك مع والده مسلك المريدين معه فى الادب والتعظيم أفلح فلاحا عظيما ووصل الى درجة الاولياء فى الكمال وحاز حقيقة النسب الاصلى من والده فان النسب الروحى هو المطلوب دون الطينى فافهم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم عداوتى لاحد من مشايخ عصرى الذين هم اقران لمشايخى فكما اعتقد شيخى وأومن بصحة طريقه فكذلك اعتقد صلاحهم وأومن بطريقهم وانما خصصت شيخى بكثرة الاجتماع به لكون نصيبى فى الطريق جعله الله تعالى على يديه دونهم كما ان من يكون بينك وبينه معاملة فى الدنيا وكثرة أخذ وعطاء يكون مجالستك له أكثر وهذا أمر مستمر فى سائر الاعصار من عصر الصحابة الى وقتنا هذا ثم ان هذا الخلق قليل من المريدين من

يتخلق

يتخلق به بل رأيت بعضهم يحط على اقران شيخه وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من اعتقد انه ينال حظا من الله تعالى بقرابته من أولياء الله مع عدم صلاحه ومخالفته لطريقهم فى الصفاء والمحبة مع بعضهم بعضا ومع كثرة اساءته مع أحد منهم فقد كذب فى زعمه فكما انه يجب محبة الرسل كلهم وان اختلفت شرائعهم فكذلك الاولياء يجب محبتهم كلهم وان اختلفت طرقهم كما أن من آمن بالانبياء والمرسلين الا واحدا منهم لم يصح ايمانه فكذلك من أعتقد أولياء الله كلهم الا واحدا بغير عذر شرعى لاتصح محبته ولا يفيده ذلك الاعتقاد شيأ وذلك لان الرسالة واحدة لاتتبعض كما هو الامر فى التوحيد فانه لا يقبل الاشتراك وطريق الولاية التى يأمر بها الاولياء مريديهم هى طريق الرسالة التى يأمر بها الرسل أممهم فانهم لايدعون الناس الا بما دعت به الانبياء أممهم وليس عند الاولياء تشريع من قبل أنفسهم فجميع مايدعون به الناس انما هم نواب فيه للانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن كفر بهم أى قال ليس لله اولياء فقد كفر بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم هم الذين أثبتوهم ومن رد دعوة ولى فقد رد دعوة نبى وذلك كفر فتنبه يا أخى لنفسك واياك والحط على أحد من أقران شيخك ولو فى نفسك فقد يكون ذلك كفرا لان موضع الايمان القلب لا اللسان ومن أنكر على ولى بباطنه ومدحه بلسانه فهو منافق خالص والمنافق لايجئ منه شئ فى الطريق أبدا لان مبتدأ الطريق مقام الاحسان وهذا لم يصح له مقام الاسلام فافهم (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لمريدى هذا العصر اياكم أن تكفروا بطريق غير شيخكم من الاولياء من غير مسوغ شرعى فتمقتوا فان كل ولى مؤمن بكل ولى كما أن كل نبى مؤمن بكل نبى فمن جحد منهم واحدا بغير مسوغ شرعى كان جاحدا للجميع ومن آذى منهم واحدا فقد آذى الجميع ومن كذب منهم واحدا فقد كذب الجميع وبارز الله بالمحاربة وكلامنا انما هو فى المقطوع بولايته فانه حينئذ مقطوع بمشروعية مايدعو اليه حال ولايته (وسمعته) مرات يقول لو ان انسانا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى الا واحدا بغير عذر مقبول عند الله تعالى فضلا عن كونه يؤذيه لم ينفعه حسن ذلك الظن عند الله تعالى وان جازاه تعالى عن حسن ظنه فلا يجازيه بذلك الا ان كان خاليا من الشوائب وانى له بذلك اذ لو كان ذلك حقيقة لما أساء الظن بواحد منهم بغير عذر شرعى اذ الولاية فى نفسها واحدة وان اختلفت طرق السالكين كما تقرر بيانه فانها متلازمة ولذلك لاتجدوا احدا له قدم الولاية الا وهو مؤمن مصدق لجميع اقرانه من الاولياء لم يختلف فى ذلك اثنان كما لم يختلف قط نبيان فى الله عز وجل فالمحبون لله تعالى كلهم كالواحد كما أن المحبوب واحد فمن آذى لله وليا فقد خرج من دائرة الشريعة نسأل الله تعالى العافية فاعلم ذلك واياك ومايعتذر منه ودع مايريبك الى مالايريبك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من صغرى الى وقتى هذا من الوقوع فى شئ من أعمال قوم لوط أو عمل قوم غيره من هود وصالح وغيرهم مما أهلك الله تعالى به الامم السالفة كما قصه تعالى علينا فى القرآن وأشد الذنوب كلها ما خسف الله تعالى بفاعله الارض فانه ينبئ عن شدة غضب الله تعالى بخلاف نحو نطاح الخروف ومناقرة الديكة ولعب النردشير ونحو ذلك فلو سجدت لله تعالى على الجمر من منذ خلق الدنيا الى زوالها ما أديت شكره على ما زوى عنى من صفات هؤلاء

الهالكين وقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط السبعة من تخوم الارض ورفعها بقدرة الله تعالى الى نحو السماء حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها الى الارض فوضعها الآن بركة ماء فى طريق الشام لا يشرب منها طير ولا وحش ولا انسان ولا ينبت فيها شئ من النبات وأخبرنى بعض الاصحاب أنه احتاج الى الوضوء فلم يتوضأ منها من شدة قذارتها ونتن رائحتها وأخبرنى شخص من فقراء الشام أن فقيرا أخبره قال انا كنا جماعة فمررنا على بركة قوم لوط فقال بعض الجماعة هذا مكان أصحابنا فخرج له حوت وجره برجله وأدخله فى الماء ونحن ننظره وبلغنا ان المارين عليها فى ليل أو نهار يسمعون كل قليل وجبة تقع كالحجر فيموج لها الماء فيقال ان كل من عمل عمل قوم لوط ينتقل اليها بعد الموت تنقله الملائكة الموكلون بأهل النار نسأل الله العافية واسأل الله تعالى من فضله أن يحمينا وجميع اخواننا وذريتنا من مثل ذلك بكرامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صحبتى لجماعة من الفقراء الكمل فى الايمان ممن لا يتخالى فيه تهمة قط من جهة مال أو عيال فلو فرضت ان الله ملكنى مالا كثيرا فأودعت عند أحدهم مائة ألف دينار أو تركته عند عيالى فى محل خلوة لا يخطر فى بالى قط انه ينكر الوديعة او يراود عيالى عن نفسها ومع ذلك فلا امكنه قط ان يجلس مع عيالى الا بحضرتى صيانة له عن التهمة ولعيالى عن لوث أهل الفساد بها قياسا على أنفسهم وقد ورد فى الحديث المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم واموالهم وذويهم يعنى عيالهم وكان من هؤلاء القوم سيدى على الخواص وسيدى أفضل الدين والشيخ عبد القادر الدشطوطى والشيخ محمد الشناوى وسيدى على المرصفى والشيخ أبو بكر الحديدى والشيخ محمد العدل والشيخ محمد المنير والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد بن داود والشيخ عبد الحليم رضى الله تعالى عنهم أجمعين فكل هؤلاء كانت علامة الولاية ظاهرة عليهم لا يتخللهم ساعة غفلة عن ربهم بل هم عاكفون فى حضرة الاحسان على الدوام رضى الله تعالى عنهم اجمعين

(وحكى) ان بعض الفقراء زاره أخ له فى الله تعالى وكان الزائر صاحب تصريف عظيم وكشف ظاهر فتركه ليلة عند عياله وبات خارج الدار فاطلع الفقير عليه من كوة من دار جاره وهو يقبل جاريته فجاءت الجارية لسيدها وقالت يا سيدى أنت تقول انه رجل صالح وقد وقع له هذه الليلة ما وقع وحكت له القصة فقال اكتمى ذلك فلما كان الصباح دخل سيدها الدار فقال له بحضرتها عهدى بك وأنت صاحب تصريف وكرامات وقد اشتهت نفسى الآن المشمش الرطب وكان فى الدار شجرة مشمش غير طارحة وذلك فى غير أوان المشمش فاشار اليها فاثمرت فى وقتها وأخذ المشمش منها ووضعه بين يدى سيد الجارية فقال له وكنت أعرف منك أيضا الطيران ولى حاجة فى ذلك الجبل وسمى حاجته فانجمع الضيف وطار الى الجبل وأتى بالحاجة فتحيرت الجارية فقال لها سيدها على يا امة الله ان الخصائص الوهبية لا يشينها النقائص الكسبية وتقبيله لك من الصغائر والتوبة تجب ما قبلها من الصغائر والكبائر والعصمة لا يتحدى بها الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام اه فعلم ان العصمة شرط فى النبوة لا فى الولاية وذلك لان الاولياء دعاة بواطن واسرار والانبياء عليهم السلام دعاة علانية واظهار فيجب عليهم اظهار المعجزة والتحدى بها القيام الحجة على المعاندين والكفار لانهم يدعون الناس بحكم الاستقلال بخلاف الاولياء فانما يدعون

الناس بحكم الاتباع لنبيهم بشرعه الثابت المقرر الذى لا شك فيه حكى هذه الحكاية الشيخ عبد الغفار القوصى عن بعض الثقات عن صاحب الواقعة وقد تقدم فى هذه المنن عن سيدى الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه ان شخصا من الاولياء نام عنده فزنى بجاريته تلك الليلة ثم اغتسل وخرج يمشى على الماء فى بحر الاسكندرية حتى غاب عنا فقلت له ما هذا وذاك فقال هذا عطاؤه وذاك قضاؤه اه ومن هنا قال الجنيد رضى الله تعالى عنه لما قيل له ايزنى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا والحكم للسوابق لا للواحق اه فافهم يا أخى ذلك واعمله ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صحبتى لجماعة من ملوك الآخرة ممن أطلعهم الله تعالى على اسراره وما يحدثه فى خلقه لكن منهم من يتستر باظهار الجهل والذلة ومنهم من يظهر لمن يستحق ذلك ومنهم من يجرى الله تعالى على لسانه ما يريد فعله فى خلقه ومنهم من يعلم ذلك ومنهم من لا يعلمه الا بعد وقوعه ومنهم من يؤمن بما يقوله و يفعل ومنهم من يكشف له عن الكون جملة وتفصيلا وما سيكون قبل أن يكون من المحدثات فى العالم وقد كان الشيخ أبو الحسن بن الصباغ بالاسكندرية يخرج على أصحابه فيقول أفيكم من اذا أراد الله تعالى أن يحدث فى العالم حدثا اعلمه به قبل حدوثه فيقولون لا فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله عز وجل ومنهم من اذا دخل البستان نادته كل شجرة واخبرته بما فيها من المنافع والمضار وقد سئل عن ذلك سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه فقال وعزة ربى قد أعطيت هذا المقام وانا دون البلوغ وقد أخبرنى الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد الشربينى ان ملك الموت جاء ليقبض روح ولده أحمد هذا فقلعه منه قلعا عنيفا وقال ارجع الى ربك وعاش أحمد بعد ذلك نحو ثلاثين سنة وكذلك وقع للشيخ أبى الطاهر فى عصر الشيخ أبى الحجاج الاقصرى ذكره فى كتاب الوحيد ورأيت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى نزل سلم المقياس لما توقف النيل عن الزيادة فتوضأ وصار الماء يتبعه فزاد فى ذلك اليوم ذراعا ولما توقفت النخلة التى فى مدرستنا القديمة كذا كذا سنة عن الحمل ذكرت له ذلك فقال لى قل لها الحاج على الخواص يقول لك احملى هذه السنة والا قطعوك فحملت تلك السنة حتى جعلنا للعراجين شبالات من كثرة الحمل وهذه المنة من غرائب الزمان فقل فقير يصح له الاجتماع بمثل ذا فى هذا الزمان الذى استتر فيه الاولياء بسبعين ألف حجاب وتقدم انى اجتمعت بالمهدى وبالخضر عليهما السلام فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) وقوفى عند ما حده لى شيخى من عدم مصاحبة كل من اتصف بكذا وكذا حتى ان شيخى لو اتصف بذلك الامر وقفت عن صحبته حتى يأذن لى فى صحبته بأمر جديد لانه ليس للمريد أن يقتدى بجميع أفعال شيخه الا باذن منه وعهد الشيخ على المريد من جملة حقوق الله عز وجل وهى مقدمة على حقوق الخلق وهذا الخلق فيه خفاء الا على من نور الله تعالى بصيرته وغالب المريدين يقول ان شيخى لا يدخل فيمن نهانى عن صحبتهم مثلا ولو انهم أخذوا بالاحتياط لعهود الله تعالى لتجنبوا شيخهم عملا بعموم اللفظ لكان أولى وأرجح فى طريق الاقتداء وقد قالوا امتثال الامر أولى من سلوك الادب لانه يطلق على من أمره شيخه بالجلوس على كرسى مثلا متبعا وعلى من لم يفعل ذلك تعظيما له مخالفا فى الصورة وكان أخى الشيخ أفضل

الدين رحمه الله تعالى يخدمنا ولا يمكننا ان نخدمه وكنا اذا دخلنا مكانا فى وليمة يحمل جميع نعالنا فى خريطة ويحملها وكنا لا نصلح تلامذة له رضى الله تعالى عنه وقد حكى ان شيخ الشيخ أبى الحجاج الاقصرى نهى بعض تلامذته عن صحبة الملوك وعن صحبة من يصحبهم ثم ان الشيخ صحب سلطان مصر وسافر معه فهجر الشيخ أبو الحجاج شيخه بالجلوس صورة عملا بعموم لفظ وصيته لان شيخه لم يستثن نفسه عن ذلك فشكره شيخه على ذلك وقال نعم ما فعلت لانى وان صحبت السلطان مع ظنى فى الله السلامة منه فانى ركبت بذلك الخطر فقل فقير يسلم من صحبتهم لانها أولا صحبة لغير الجنس وقد نهى العقلاء عن ذلك لان من يصحبهم يحتاج الى موافقتهم وموافقتهم لا تنضبط على الشرع وموافقتهم فساد الدنيا والدين فانهم قالوا القرب من السلطان كحد السيف لان مال من يصحبه ودمه بين شفتيه باذن الله تعالى ومالم يكن الذى يصحبه موافقا لكل ما يرضيه منه فى سائر أحواله والا أدى ذلك الى هلاكه وأيضا فان دخول منازل الملوك محسود عليها فيعملوا له الاعداء المكايد ويرموا بينه وبين السلطان حتى يصير من أعدائه كما جربنا ذلك فعلم أن التزام المريد العقد مع شيخه أنه لا يصحب من يصحب الملوك حتى شيخه أولى لانه يرى حل عقده مع عقده مع الله معصية لله ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولو كان شيخه أو امامه ولعل شيخه انما قصد بما وقع امتحانه لينظر هل يقف مع العهد أم يؤول ذلك بعقله الى غير مراد شيخه وقد أخبرنى سيدى محمد الشناوى انه كان مسافرا مع شيخه الشيخ أبى الحمايل فى بلاد الريف فترك الشيخ أبو الحمايل الطريق المسلوك الناعم وساق حمارته فى أرض الحرث فلم يتبعه أحد من الجماعة غير سيدى محمد فلما التفت وراءه قال أحسنت يا محمد فانى انما فعلت ذلك لاعرف هل تتبعنى فى المتاعب أو تفارقنى كما فعل الجماعة انتهى وامتحان الاشياخ لمريديهم لم يزل يقع كثيرا ولذلك كان الغالب على المريدين عدم السلامة فان الاشياخ أعظم من الملوك فافهم ذلك واعلمه واعمل على التخلق به والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم خروجى من بيتى فى أغلب الايام الى الزاوية أو غيرها الان علمت من نفسى القدرة باذن الله تعالى على هذه الثلاث خصال تحمل الاذى من الناس وتحمل الاذى عنهم وجلب الراحة لهم فانه لا بد لمن يخالط الناس من هذه الخصال الثلاث زيادة على ما كلف به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة للجميع مع ترك المؤاخذة لهم فاعذرونى أيها الاخوان فى كل يوم لم أخرج اليكم فيه واعذروا كل فقير كذلك فان هذا زمان قد اختلفت فيه الاحوال فربما أتى الاذى لك ممن تقصد له الراحة وربما أتاك الغش ممن تبالغ فى نصحه وربما أتاك الخذلان ممن قمت معه فى مناصرته على اعدائه وربما أتتك العداوة ممن قصدته بالمحبة وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول أوصانى سيدى ابراهيم المتبولى وقال يا على اياك والاكثار من مخالطة الناس فان كل واحد منهم يطلب منك ما يختاره ومن هواه ولو كان ذلك يهلك دينك ودنياك وليس له فيما تعود مصلحته عليك أرب فان وافقته خسرت دنياك وآخرتك وان خالفته جرد لك سيف المعاداة والمعاندة مع ان غيره كذلك يطلب ويقصد منك خلاف مقصده هذا لو كانا شخصين فقط كما ذكر فكيف بجميع أهل بلدك انتهى وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول قد جربت الناس فرأيت بعضهم كالحية وبعضهم

كالعقرب وبعضهم كالسبع وبعضهم كالذئب وغير ذلك من أصناف القواتل فمن لادغ قاتل مع لين مسه كالحية ومن لاسع كالعقرب ومن مراوغ كالثعلب ومن مهارش كالكلاب ومن محتال كالذئب ومن غبى كالدب ومن محتال كالفهد ومن محاك كالقرد ومن شديد الغضب والبأس كالاسد ومن بليد كالحمار ومن حقود كالجمل ومن وثاب على كالنمر ومن ناس لما أفعله معه من الخير كالفار والله ما أمثل نفسى بين هؤلاء الا كالفرخ الذى لا ريش له أو كالطير الذى لا جناح له وهم يتساقطون على بالاذى كتساقط الذباب على العسل أو الكلاب على الجيفة أو الحدآت على اللحم فهم يتجاذبونى ويتناهشونى ويمزقونى ويقطعونى ويلدغونى ويلعنونى ويذمونى ويسبونى فانى لى الصبر والسلامة مع مثل هؤلاء على أن السباع والحشرات التى ضربنا بهم الامثال أقل ضررا من الناس لانهم لا يمنعونى من أعمال آخرتى ولا يحجرون على فى نفسى ولا يفشون سرى ولا يعيبون على كلامى ولا يغرى بعضهم بعضا على ايذائى ولا يحيلون بينى وبين ربى انتهى وسمعته مرة أخرى يقول اذا قدر الله تعالى عليك الاجتماع بالناس لواجب حق الله أو لضرورة خلق فاياك ان تعطيهم من نفسك فى الصحبة والاجتماع فوق الضرورة مع شدة الاحتراز من نفسك عن فضول الكلام معهم اللهم الا أن تجد من هو على نعت الاستقامة فهذا مخالطته من السعادة ولكن أين من هو بهذا الوصف فى هذا الزمان الذى صار فيه الدليل حيران وصار غالب علم العلماء صناعة وسلما يرتقون به الى الرياسات الدنيوية والشهوات النفسية وقنعوا من العلم بظاهره دون العمل بحقائقه والكشف عن دقائقه انتهى فعليك يا أخى بملازمة التقوى واياك ان ترمى ميزان الشريعة من يدك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أنى لا آكل ولا أشرب ولا أجامع ولا أضحك اذا جنى على أحد جناية يؤذينى بها بين الناس حتى أتوجه الى الله تعالى فى سؤال العفو عنه ويلقى الله تعالى فى قلبى انه عفا عنه من كثرة ما دعوت له وأقسمت به على الله تعالى وهذا الخلق لم أجتمع باحد من أهله الى وقتى هذا غايتهم الدعاء له بالمغفرة ثم يأكلون ويشربون وينكحون ولا علم ان كان الله قبل دعاءهم أورده وفى الحديث أيعجز أحدكم ان يكون كأبى ضمضم كان اذا أصبح تصدق بعرضه على الناس فجعل غايته أى أدنى مكارم الاخلاق المسامحة ان نقص عرضه وما ذكرناه قدر زائد على ذلك وقد ذكر الله تعالى المال والعرض والنفس فى سياق واحد فقال تعالى لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وحكى عن سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه أن شخصا مشى وراءه وصار يلعنه ويسبه والشيخ لا يلتفت له فقال له الخادم يا سيدى أما تسمع ما يقول لك فقال وماذا يقول هذا شخص تصورت له نفسه بصفات ذميمة فهو يسب تلك الصفات ولست انا بحمد الله موصوفا بها انتهى ولعل الشيخ أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم الا تنظرون ما دفع الله عنى بسب قريش يسمونى مذمما وانا محمد بن عبد الله رسول الله والمعنى صحيح لانهم نسبوا صفات مذمومة فى مذمم ورسول الله صلى الله عليه وسلم صفاته محمودة فى محمود اتصف بها صلى الله عليه وسلم فعلم انه لا يعمل بهذا الخلق الا من

أكرم عباد الله لا لعلة أخرى كما تقدم بسطه أوائل الباب الثانى وقد حكى الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه ان ذلك كان من خلق الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فقال حدثنى الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ عبد العزيز المنوفى عن خادم الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه ان شخصا بالشام كان أوجب على نفسه أنه يسب الشيخ محيى الدين و يلعنه عقب كل صلاة عشر مرات فلما مات ذلك الشخص خرج الشيخ محيى الدين لجنازته فصلى عليه وحضر دفنه فلما رجع عزم عليه بعض أصحابه أن يأكل عنده شيأ فلما دخل بيته وقدم اليه الطعام صار الشيخ مبهوتا من بكرة النهار الى صلاة العشاء لا يهتدى الا للصلاة ثم بهت وأخذ صاحب الطعام من ذلك أمرا وظن أن الشيخ لم ير طعامه حلالا أو نحو ذلك فلما صلى العشاء الآخرة ضحك وتبسم وأكل فقيل له فى ذلك فقال قد كنت عزمت فى نفسى ان مات ذلك الشخص انى لا آكل ولا أشرب حتى يغفر الله له من جهة سبه لى اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه من أمته ثم عمل له سبعين ألف لا اله الا الله وأهداها فى صحائفه فلما غفر الله تعالى له ضحك الشيخ وأكل انتهى قال الشيخ عبد الغفار القوصى وحكى لى الامام المحب الطبرى شيخ الحرمين عن والدته رضى الله تعالى عنهما انها كانت تنكر على الشيخ محيى الدين امورا تسمعها عنه فقال لها ولدها الامام لا يجوز لك يا امى الانكار الا اذا سمعتيه يتكلم وأما اذا سمعت شيأ من أصحابه فلا يجوز لك الانكار على الشيخ لان ذلك ليس من العدل ولا من الشرع ثم نامت تلك الليلة فرأت الكعبة تطوف بالشيخ محيى الدين حراجرا ثم عادت والتأمت فاستغفرت الله تعالى وتابت انتهى وكان شيخنا شيخ الاسلام سيدى الشيخ زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه يقول بجميع ما نسب الى الاشياخ مما يخالف ظاهر الشرع قبل أن يسمعه أحد منهم فانما ذلك من أتباعهم لقصورهم فربما فهموا من كلام الاشياخ شيأ أخطؤا فى فهمه فاللوم عليهم لا على الاشياخ قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى انتهى فاعلم ذلك واعمل على تخلقك بهذا الخلق العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) وصولى بحمد الله الى مقام فى الايمان النسبى لم أر أحدا من الاقران تخلق به الا قليلا بحيث لو كشف عنى الغطاء ما ازددت يقينا بحكم الارث للامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فكان جميع ما ورد انه يقع فى الآخرة نصب عينى من الآن لا ازداد يقينا بقيام الساعة انما نقع الزيادة فى الوضوح فقط مثاله الشمس اذا ظهرت من وراء ساتر السحاب الرقيق ثم ان السحاب انقشع عن الشمس فانك يا أخى لا تزداد يقينا فى أنها الشمس بانقشاع السحاب عنها انما تزداد وضوحا فقط وكذلك العروس اذا جليت بخمار رقيق كالشعارى الرقيقة على الحاضرين ثم ان ذلك الحجاب كشف عنها فان الحاضرين لم يزدادوا يقينا فى انها العروس انما ازدادوا وضوحا ومع وصولى فى اليقين بحمد الله تعالى الى هذا الحد فانا خائف من سوء الخاتمة كما درج عليه الاكابر الذين لا أصلح ان أكون تلميذا لهم وقد قيل مرة للجنيد هل أنت خير أم الكلب فقال هذا غيب لا يعلمه الا الله ولكن اذا دخلت النار فالكلب خير منى وان دخلت الجنة فأنا خير من الكلب وقد روى عن المسيح عليه السلام انه قال للحواريين أنتم تخافون الذنوب ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر انتهى وقد روى البيهقى ان العزير عليه

السلام سأل فقال يا رب انك رب عظيم وانك لو شئت أن نطاع لاطعت ولم يعصك أحد فكيف هذا فاوحى الله تعالى اليه لتنتهين عن مسئلتك هذه أو لامحون اسمك من ديوان النبوة انتهى ولا يقال كيف يصح محوه من ديوان النبوة مع وجود العصمة وما وعد الله به الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانا نقول ان الله تعالى حضرة تسمى حضرة الاطلاق يفعل فيها ما يشاء ولا حجر عليه فى مشيئته اذ الحجر عليها محال والحكم لا يحكم على حاكمه كما لا يحكم العلم على عالمه وكما لا يحكم المخلوق على خالقه قال تعالى قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا وورد مرفوعا لو يؤاخذنى الله تعالى وعيسى بن مريم بما جنت هاتان يعنى الاصبعين لعذبنا ثم لم يظلمنا شيأ انتهى وكذلك ورد الاستثناء فى قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وليس الجزم بشئ من جهة القدرة الالهية انما الجزم بذلك من حيث وجوب الايمان بعدم خروج أهل الدارين منهما فانه تعالى انما استثنى ليعلمنا طريق الادب معه فاخبرنا ان شاء الله فعله وان لم يفعله فله فعله وقد سمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه يقول يصل الولى الى مقام يعرف منه انه شقى أو سعيد (وكذلك) رأيت أنا فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه قال رأيت آدم عليه السلام فى واقعة من الوقائع ونظرت الى نسم بنيه الذين هم السعداء فرأيت نفسى فيهم انتهى فمثل هذا لا يقدح فيما ذكرناه من عدم الطمأنينة وخوف سوء الخاتمة مع ان رؤية الشيخ محيى الدين كانت فى عالم الخيال والخيال لا يوثق به فى شئ الا ان كان صاحبه معصوما فعليك يا أخى بالخوف من الله تعالى ما عشت والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اجلالى لحانوت شيخى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى كلما مررت عليه بعد موته ويأخذنى عند رؤيته هيبة كهيبة دخول المساجد العظيمة وقد بلغنا عن الشيخ أبى بكر الشبلى رحمه الله تعالى انه كان يحصل له الرعدة اذا مر على حانوت الجنيد الذى كان يبيع فيه القوارير ودخله يوما محدثا فكاد أن يذوب من الهيبة وهذا الامر قليل من المريدين من يفعله مع شيخه فى هذا الزمان (وقد كان) سيدى على الخواص عنده ابريق كبير يسقى منه المكروبين ويقول للمكروب اشرب وانو أن الله تعالى يزيل عنك ما انت فيه من الكرب فيفعل فيزول عنه الكرب لوقته فقلت له يوما وما خصيصة هذا الابريق فقال انه يرد عليه كل يوم الاربعون من رجال الله تعالى فيشربون منه انتهى مع ان روحانية الولى اذا دخل مكانا أو مشى فى ارض تبقى تلك الروحانية فى ذلك المكان ستة أشهر كما يشهده أرباب القلوب فكيف بالمكان الذى كان مسكن الولى ليلا ونهارا وهذا بعكس بيوت العصاة والظلمة فانك تجدها موحشة لا أنس فيها ولا روحانية (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول كل فقير لا يدرك سعادة البقاع ولا شقاوتها فهو والبهائم سواء انتهى (وسمعته) أيضا يقول من الاماكن التى تظهر فيها الروحانية لغالب الناس فى مصر قبة الامام الشافعى وضريح ذى النون المصرى وقبور السادة الوفائية وجامع محمود وزاوية سيدى مدين وجامع الملك الظاهر وجامع ناظر الكرك خارج الحسينية فهذه الاماكن لم يزل النور طافحا منها وذلك لكثرة من يرد عليها من الاولياء والملائكة فينبغى لداخلها أن يزيد فى الادب والاطراق قال ومن الاماكن التى

لا تظهر نورانيتها الا للخواص القطعة من الشارع المقابلة لسوق الكتبيين وأنت ذاهب الى باب الزهومة والقطعة المقابلة لجامع الفاكهانى داخل باب زويلة والقطعة المقابلة لميضأة جامع الميدان وهى الآن مغطاة ببيوت الشيخ سليمان الخضيرى والقطعة المقابلة للجامع الاخضر والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بالعمل الواقع على يدى هل هو حسن أو قبيح وذلك لأشكر الله تعالى على حسنه عادة واستغفره من قبحه كذلك ولا أطلب عليه جزاء فى الآخرة قال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ومفهومه أن من أساء العمل لا يقبله الله منه ويضيعه لعدم الاخلاص فيه (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا فرق بين عباد الاصنام وبين من يعبد الله تعالى لغرض فاسد فان الاصنام المعنوية كالاصنام الحسية على حد سواء لان كلا من العابدين اتخذ من دون الله مالم يأذن به الله وهم فى ذلك على طبقات فنهم من قصد بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة فى قلوب الناس ودوام الصيت وانتشار الجاه ومنهم من يقصد بعلمه وعمله اعلاء الدرجات وظهور الكرامات والتصريف فى الكون والمشى على الماء والطيران فى الهواء وكشف الغيوب ومنهم من لم يقصد بعلمه وعمله شيأ من أمور هذه الدار انما يقصد بذلك الحور الحسان ودخول الجنان وغير ذلك من ثواب الآخرة ومنهم من يقصد بذلك السلامة من النار والخوف من الحساب والعقاب وما أعده الله تعالى لاهل تلك الدار من النكال والوبال ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى والرضا عنه والمحبة له ومنهم من لا قصد له فى علمه وعمله الا علمه باستحقاق مولاه العبادة والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوته وعلمه وعمله وقصده وارادته فأتى بأعماله على وجه الاخلاص وهو خائف من الله تعالى لا يرى انه قام بذرة واحدة من الامور التى كلف بها على الوجه الذى أمر به ومن هنا يترقى السالك فى مراتب اخلاص الخواص التى كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الاقسام السابقة فاعلم ذلك واعمل به والحمد لله رب العالمين

• (الباب الثالث عشر فى جملة من الاخلاق المحمدية فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى ومغيثى ومعينى ونعم الوكيل) •

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى لاصل ولاة الزمان حال ولاياتهم وضخامتهم فلا يحجبنى أحد الحالين عن الآخر فاشهد الامير ترابا حال رؤيتى له أميرا وتارة أشهده نطفة او علقة أو مضغة أو عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فى حال رؤيتى له أميرا وهذا مشهد عظيم عزيز قل ان يقع لاحد من الاقران فعلم أنى لا أشهد أصله فقط ولا امرته فقط بل أشهدهما معا فى آن واحد بعينين مختلفتين ولم تزل الاسافل ترتفع فى الارض قديما وحديثا فضلا عن الاشراف وانظر الى النمروذ ابن كنعان كيف ولدته أمه بالبرية وماتت وتركته فارضعته نمرة فبذلك سمى نمروذا ونشأ وكان منه ما كان من التجبر وكذلك ما وقع لفرعون وقد كان أجيرا يبيع البطيخ والخضراوات فى منف لبعض المعلمين ودعواه الالوهية بعد ذلك مع دمامته وصغر جسمه قيل كان طوله ذراعا ونصفا وكانت لحيته الى سرته وكانت خضراء كالسلق وكذلك بختنصر مع كونه كان يتيما بارض بابل

وأبوه حطابا وكيف كان من أمره ما كان وكذلك القول فى سائر الجبابرة من الملوك الى عصرنا هذا هم كالتراب فى حال ملكهم وامرتهم ومن هذا المشهد زهد فى الدنيا من زهد وقالوا أف لدنيا يبقى بها هؤلاء السفلة وأيضا فان جميع أحوالها تفنى فنزهوا نفوسهم عن التعلق بشئ يفنى واختاروا الباقى وفى القرآن العظيم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فان التعالى خاص بالبارى جل وعلا قال تعالى تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير (قال الشيخ) أحمد الملثم المدفون خارج باب الفتوح وكان من الاولياء الاكابر بينما أنا أتفكر فى معنى تبارك واذا بنات من بنات العرب طلعت واحدة منهن فوق كوم رمل وجعلت تقول تباركت عليكم تباركت عليكم فعلمت انه التعالى انتهى وتقدم فى هذه المنن بسط الكلام على تعظيمنا للولاة أدبا مع الله الذى ولاهم علينا فعلم ان القدرة الالهية لا تتقيد على نسق واحد وان الله تعالى له خرق العادة فى أى شئ كان لاطلاق مشيئته وارادته واذا كانت الجمادات تنخرق فيها العادات فيصير الماء حجرا والحجر ماء مع أنها ليست بمحل تصريف فيها فكيف بالانسان الذى هو المحل الاعظم لجريان الاقدار عليه وما عداه فهو كالتابع له ففى لمح البصر يصير الغنى فقيرا والعزيز ذليلا والقوى ضعيفا والاميرمأمورا ونحو ذلك وبالعكس (وقد اخبرنى) بعض التجار الذين يقدمون من بلاد الهند انه سمع بنهر من الماء مهما رمى فيه شئ صار حجرا خفيفا قال فمشيت حتى وصلت اليه وكان معى منديل اسكندرانى فدليته فى الماء فصار حجرا خفيفا قال وكذلك كان معنا جراب فدليناه فصار حجرا الامام يصل اليه الماء قال وكذلك كانت معنا عصاة فدليناها فصارت حجرا وبقى ما كان بايدينا خشبا على حاله قال ورأيت أسماكا حجارة فيه وذلك ان النهر يجرى فيدخل فى البحر فيطلع فيه السمك فيصير حجارة قال وكل دابة وضعت فمها فيه لتشرب منه مثلا صار فمها حجرا فى وقته وأى من خاض فيه ليشرب منه صارت رجلاه حجارة فى وقتها ونقل ذلك أيضا صاحب كتاب الوحيد عن شخص من التجار الثقات وأنه شاهد ذلك بعينه ثم نقل عن الخواجا عز الدين الكولمى انه قال رأيت فى الهند بركة ماء كل من نزلت فيها من النساء حبلت من غير زوج فانظر يا أخى الى هذه الاسرار والخوارق ومن تحقق بما قلناه ذهب عنه الامان والقطع بحالة يكون عليها عند الله واذا كان الانقلاب واقعا فى الجمادات والمائعات فما ظنك بالانسان مع تقلب قلبه بقدرة الرحمن فى كل زمن من الازمان وكيف له الامان وهو يرى تقلب الانسان من الايمان الى الكفر ومن الكفر الى الايمان فما أعظم هذه الحالة لمن شهدها وما أغفل الناس عنها فان من كان قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء فلا يثق بسعادة ولا شقاوة ولا بفقر ولا غنى ولا بآخرة ولا دنيا ولا قوة ولا عجز ولا بزيادة ولا نقصان ولا بطاعة ولا عصيان ولا بكفر ولا ايمان كما أشار اليه حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث المشهور (واعلم) يا أخى ان من كان وليا لله عز وجل فى علم الله فلا تتغير ولايته وان وقع فى معصية بادر الى التوبة فورا فلا يكون ذلك قادحا فى ولايته ولا مزيلا لها الا اذا أخل بأصل الايمان وذلك لان الحقائق الوضعية لا تقدح فيها النقائص الكسبية ٥ وفى الحديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة والذهب والفضة موجودان فى المعادن والمعدن الاصلى صحيح ولكن قد يدخل عليه علل تفسده فى ظاهره فيعالجه من زعم معرفة ذلك حتى يرجعه الى أصله

فكان المعدن فى أصله صحيح لايخرج عن معدنيته فكذلك المؤمن الحقيقى والولى الحقيقى لايخرجه ماجرى على جوارحه من النقائص عن حقيقة ايمانه أو ولايته (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول مايزعمه من يدعى علم الكيمياء من ان اصول أكثر معادن الذهب والفضة يكون من النحاس والرصاص والقصدير وغير ذلك وان كل مادخل على ذلك من العلل والامراض يصح معالجته حتى يرجع الى عادته الاصلية لانعلم لذلك حقيقة ولا وقفنا على شئ من ذلك مع ان المعادن الحقيقية الصحيحة التى ورد بها الحديث أولى بكل مؤمن فان كل من كان أصله عند الله تعالى مؤمنا فهو يرجع الى أصله كالمعدن وان كان عند الله غير ذلك رجع الى أصله كذلك وحقائق الامور مستورة عنا الآن لان الله يفعل مايشاء فيقلب التراب ذهبا والذهب ترابا والجامد مائعا والمائع جامدا والحيوان نباتا والنبات حيوانا فعلم من جميع ماقررناه ان كل من تأمل الخلق على اختلاف طبقاتهم وجدهم ترابا يتكلم ويشنق ويقتل ويولى ويعزل ثم ينزل التراب تحت الارض من سلطان وأمير وقاض ووال والكبرياء لله رب العالمين ومن فهم ذلك علم أنه ليس للعبد اعتراض على شئ تفعله القدرة الالهية الا بالطريق الشرعى وأن العقل معزول عن ذلك فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) خوفى من فعل شئ يغير قلب أحد من الفقراء الصادقين فى معاملة الله الذين ظهروا فى العصر وتعرفوا الينا أو عرفناهم فقد أوصانى شيخى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وقال اياك ان تؤذى أحدا من الفقراء وان كان لك أعمال من الخير كأمثال الجبال فانه لا ينفع من يؤذى أحدا من هذه الطائفة عمله لعدم صعوده الى السماء فانه محارب لله تعالى وعمل من حارب الله تعالى مردود عليه (وقد كنت) ذكرت شخصا من علماء هذا الزمان فى طبقات العلماء التى ألفتها ثم رأيته يوما يحط على بعض الاولياء فرفعت ترجمته من الطبقات لعلمى بانه محارب لله ولرسوله ولابد ان يقيض الله له من يكشف سوأته فيقع وصفى الجميل له مخالفا لافعاله الظاهرة منه فيخطئنى الناس فى ذكرى له مع العلماء العاملين فعلم ان الاعتقاد فى القوم مما يستر الله تعالى به عيوب العبد لانهم هم القوم الذين لا يشقى بهم محبهم (وسمعت سيدى) عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليس للاولياء حاجة عند أحد من الخلق حتى يتعرفوا اليه بجمعية قلوبهم غالبا على الحق جل وعلا فهم يستحيون منه أن يلتفتوا الى أحد من عبيده الا بأمره وذلك خاص بعبيده المخصوصين كالانبياء وكمل الاولياء الذين يعلمون الناس الادب مع الله تعالى وأما أمثالنا فليس فى التفات الولى اليه الا التفرقة لقلبه مع عدم تأدبنا بأدبه فان من الله تعالى على أحد بميل قلب ولى لله تعالى اليه أو يتعرف اليه بنوع ما من انواع المعرفة فتلك نعمة عظيمة من الله تعالى لا يقدر على القيام بشكرها فان الاولياء لا يتعرفون الينا الا لاحد ثلاثة أمور اما ان يكون له معنا نسبة أو يكون مأذونا له فى ذلك أو يتعرف بنا مكرا بنا والعياذ بالله تعالى وان لم يقصد هو ذلك ليظهر ما فى بواطننا من الانكار عليه والاستخفاف به والاستهزاء فنهلك بذلك ولا نشعر وتقام الحجة علينا فى تعرفنا به فلهم مقاصد مع ربهم لا يطلعون عليها الخلق (وقد بلغنا) ان شخصا من علماء بغداد أنكر على فقير مجاب الدعوة وآذاه وسعى فى

اخراجه من بغداد فاخرجه فقال أصحاب الفقير الا تدعو على فلان فانك مظلوم معه فقال دعائى لايقبل فى حقه لانه محروس بنيته فقيل له كيف فقال انه لم يقصد بخروجى وصوله الى حظ نفسه وانما ظن أنى فاسد العقيدة فقصد اراحة الناس منى ولولا هذه النية لربما أخذه الله تعالى قلت ولم يزل هذا الامر يقع من بعض الفقهاء فى حق أهل الله تعالى ولا يحصل له عطب فيتعجب الناس من ذلك غاية العجب وغاب عنهم انه لم يقصد بانكاره على الفقراء الا نصرة جانب الشرع ولولا ذلك لاثارت القدرة عليه فأهلكته والله أعلم ثم ان العالم بلغه ما قاله الشيخ فى حقه فكشف رأسه وجاء واستغفر الله تعالى وطلب رجوع الشيخ الى بغداد فلم يوافقه الشيخ فى ذلك وأقام بخص خارج بغداد حتى مات ثم فى استغفار العالم وكشف رأسه للشيخ دليل واضح على أنه لم يكن على يقين من سوء عقيدة الشيخ انما أخذ مع الظن والظن أكذب الحديث انتهى (وسمعته) أيضا يقول لا يعرف الولى الا بنور يقذفه الله تعالى فى قلوب المعتقدين فيهم ومن زعم أنه يعرف الولى من أقواله أو أفعاله فقد أخطأ فى مرامه انما تعرف الاولياء بسرائرهم وأحوالهم الباطنة فقد يخفون فى الظهور ويظهرون فى الخفاء مع أنهم لا يظهرون قط للناس الا بقدر ما تحتمله عقولهم خوفا على الناس انتهى وقد أنكر بعض الناس على فقير رآه فى بيت المزر جالسا فحصل للمنكر قولنج فما كان الامات جاؤا اليه يطيبون خاطره فقال قولوا له يستغفر الله تعالى وهو يطيب فاستغفر فعوفى من وقته فقال الفقير انه لا يلزم من جلوسى فى بيت المزر أنى أشرب المزر ويكون جلوسى لاستغفر الله تعالى لكل من يشرب من ذلك فلعل الله يتوب عليه (وحكى) الشيخ أبو الحجاج الاقصرى رضى الله تعالى عنه ان جماعة من الفقراء وردوا على معمل الحديد فى طريق عيذاب وهى حجارة يوقد عليها فيخرج منها الحديد فجاء فقير يطلب من صاحب المسبك قطعة حديد يعملها حلقة لمنطقته فقال له صاحب المسبك حتى يبرد الحديد فمد الفقير يده وأخذ من الحديد قطعة مثل الجمرة فقال صاحب المسبك جئت تظهر علينا كرامتك بقبضك بيدك على الحديد الذائب فى البودقة وعندى عبد فى دار المزر يدخل الى هذا المعمل ويخوض فى النار ويقلب هذه البوادق ويخرج ولا يصيبه شئ ثم نادى يافلان فحضر عبد أسود فقال ادخل النار عدل البوادق فقال حتى تعطينى درهما أشرب به مزرا فاعطاه درهما فدخل المسبك وجعل يخوض فى النار الى وسطه ويقلب البوادق بيده ثم يقول هذه تريد الاصلاح وهذه كذا وهذه كذا ثم انه يرجع خارجا فيقول له المعلم بقى عليك كذا وكذا من البوادق فيرجع ثانيا ويخوض فى تلك النار ذاهبا وراجعا ونحن ننظر اليه حتى فرغ ثم خرج والماء يقطر من جسده قال الشيخ أبو الحجاج وصورة معمل الحديد والفولاذ أنهم يجعلون حول المعمل أكوارا عظيمة من سائر الجوانب فينفخون الاكوار من ههنا ومن ههنا فتكون نارا عظيمة فيقذفون الحديد فى بوادق كبار وينفخون عليه فيذوب الحديد ويصفى فيخرجونه بآلات لهم فيفتح البودقة فتسيل فيكون الفولاذ من ذلك انتهى (قلت) فيحتمل أن يكون هذا العبد وليا لله تعالى ابراهيمى المقام وانه يظهر خلاف ذلك بستره لمقامه فى دار المزر وقد يكون ما يشرب به من المزر بذلك الدرهم غير مسكر او هو مسكر ولكن يصبه فى الارض فيمنع الناس من شربه ويحتمل ان يكون فى جسد ذلك العبد خاصية تمنع النار منه

فلا تؤثر فيه كطير السمندل وحجر الياقوت مع أن الانسان فى نفسه أشرف منهما واحوى للاسرار (وقد أخبرنى) شخص انه رأى طير السمندل لا يعيش ولا يبيض ولا يفرخ الا فى النار وانه يعمل من صوفه مناديل ظريفة فاذا اتسخت رموها فى النار فيحترق الوسخ ولا يحترق المنديل ويحصل له النظافة فاذا اغسلوه بالصابون لم يخرج له وسخ فعليك يا أخى بحسن الظن بالفقراء وحسن التأويل لاحوالهم فان الانكار لا يكون الا مع اليقين بشرط أن يكون ذلك الشخص مكلفا يتبع على أفعاله وأرباب الاحوال من الفقراء أحوالهم مجهولة ولا يتبعهم أحد على ما يفعلونه مخالفا لظاهر الشرع فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اطلاعى على أسرار الحروف أوائل السور والمفرقة فى الهجاء على غير الطريق التى يعرفها أصحاب علم الحرف وحقيقتها انها أسماء أملاك فى السماء لا يعرفها الا من كشف الله حجابه وكل من تحقق بها قدر على عمل الطلسمات وكان اسكندر ذو القرنين استاذا فى ذلك وقد بلغنا انه غلب على بلد من بلاد الكفار فوجدهم يعبدون الغربان وغلب على بلدة أخرى فوجد أهلها يعبدون العصافير فعمل لكل بلد طلسما فلم تعد الغربان والعصافير ترجع الى تلك البلد خوفا عليهم ان يعبدوها ثانيا اذا فارقهم اسكندر ولعل الشيطان كان يدخل فى أجواف الغربان والعصافير ويتكلم على ألسنتها شيأ حتى عبدوها مثل ما وقع له فى الاصنام من دخوله فى أجوافها كما ورد ذلك فى حديث ذى الخلصة وفى الشجرة التى كانت تعبد ولولا أن هذا العلم خاص بمن كشف الله عنه لذكرت للاخوان طريقة العمل بالحروف وتصريفهم بها فى الوجود والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تكرمى بثيابى وجميع ما يدخل تحت يدى من النقود والمطاعم والآلات ولا أتوقف على كون الآخذ لذلك محتاجا أو غنيا ولا على كونه من المعارف أو غريبا فربما أعطى السائل الصحن النحاس أو الجوخة أو العمامة اذا لم أجد غير ذلك من غير أن تتبعه نفسى لانه كلا كرم بالنسبة لما نقل عن الكرام جاهلية واسلاما ولا أعلم الآن أحدا من أقرانى أكرم منى فانى أعطى السائل ثيابى وكأنى أعطيته قشة من الارض (وقد بلغنا) ان غيلان صاحب مى كان اذا اشتاق اليها من بلاد بعيدة يركب ناقة اسمها صيدح ويدخل البرارى من غير الطريق المعتادة وكانت الناقة تسير مسيرة شهر فى يوم حتى كان الناس يقولون انها من الجان فتاه يوما فى أرض معطشة فنزل واذا هو بذئب قد تاه وهو عطشان جيعان فقال ان ذبحت ناقتى لهذا الذئب مت أنا وهو فى هذه البرية وان لم أذبحها فاتنى قرى ضيفى ووقعت فى العار فقطع من وركه قطعة لحم كبيرة فاطعمها للذئب وربط فخذه بعمامته وسار وهذا الكرم ما بلغنا عن حاتم طى مثله فضلا عن غيره وكرم أمثالنا بالنسبة اليه كلا كرم فان غيلان قد جاد على ضيفه بنفسه مع ان ضيفه وحش لا يعقل ولا يذم ولا يمدح وأما كون مثل ذلك غير جائز فى الشرع فغيلان كان أيام الجاهلية قبل مجىء الشرع • ويقع لى بحمد الله تعالى انى ربما أعطى ثيابى كلها فى جمعة وأصير بقميص واحد وربما كان ذلك أيام الشتاء فيلحقنى النقل والعصير حتى أقاسى مشقة شديدة فان قال قائل هذا كرم خارج عن الاعتدال المأمور به شرعا قلنا هذا من باب ظلم دون ظلم وانما فعلناه خروجا من ورطة البخل والشح والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة حمايتى من النظر الى النساء الاجانب والمردان ولو بلا شهوة من حين كنت صغيرا فلا تزال تنفر نفسى من مثل ذلك وقل من يسلم منه طول عمره لاسيما أوائل البلوغ (وقد كان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول العلة الصحيحة عندنا فى تحريم النظر الى ما لا يحل كونه يشغل عن الله عز وجل فان الله تعالى قد جعل القلب بيته ومحل أسراره فلا ينبغى لمؤمن ان يدخل فيه شيأ من المحبوبات النفسانية فان حب الرب جل وعلا يخرج من القلب لانه تعالى غيور لا يحب الشريك وربما تساهل بعضهم فى دخول ذلك المحبوب النفسانى قلبه فجره بالتدريج الى وقوع الفاحشة فيه وألف الشيطان بينهما حتى ان ذلك المحبوب الخسيس صار حاكما على القلب ساكنا فيه لا يخرج منه وامتنعت محبة الله تعالى أن تدخل ذلك القلب جملة فخسر الدنيا والآخرة وكان من الواجب على القلوب أن لا يدخلها غير حب خالقها ورازقها ومحييها ومعافيها فلذلك كان الواجب على العبد ان لا يحب غير الله الا عن أمر الله فعلم انه لا يتوقف تحريم النظر الى النساء وما الحق بهن على غلبة ظن وقوع العبد فى الفاحشة وانما يتوقف على ادخال محبة غير الله القلب من غير اذنه وفى القرآن العظيم ولا تجعل مع الله الها آخر فافهم الاوثان الظاهرة والهوى النفسانى لان كل من أحب شيأ دخل قلبه ضرورة وسكن فرحل حب الحق تعالى منه فكان هذا أنزل ذلك المحبوب منزلة الحق تعالى وذلك كفر عند الخواص • وقد درج السلف الصالح كلهم على تأكيدهم على مريديهم فى غض البصر عن كل شئ يجر الى الغفلة واللهو عن الله تعالى ونفذت بذلك وصاياهم فى سائر الاقطار (وقد أنشد) سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه وأرضاه بقوله

كل المصائب مبداها من النظر • ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها • فعل السهام بلا قوس ولا وتر

يسر مقلته ما ضر مهجته • لا مرحبا بسرور رجاء بالضرر

انتهى وفى المثل السائر من أطلق ناظره اتعب خاطره (وسمعت) سيدى الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه يقول ينبغى للشيخ ان لا يغفل عن نصح الشباب المقيمين عنده فى الزاوية ليلا ونهارا ويأمرهم بالتباعد عن بعضهم بعضا خوفا من لوث الناس بهم لاسوء ظن بهم قال وقد كان سيدى محمد الغمرى من أشد الفقراء فى عصره غيرة على جناب الفقراء وكان قد جعل للاطفال الذين هم دون البلوغ مقصورة يقرؤن فيها لا يدخل عليهم فيها غير الفقيه والعريف وجعل للرجال رباطا لا يدخله غيرهم وجعل للشباب البالغين مكانا لا يدخله غيرهم وكان لا يمكن أحدا منهم ينام مع أخيه فى خلوة ويقول احفظوا قلوب العامة عن اللوث فى عرض الفقراء قياسا على حالهم (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من استهان بالنظر الى النساء والمردان وقع فى مزلات الطريق وخرج عن قواعد أهل التحقيق قال وقد بلغنا عن الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله تعالى عنه انه كان يمشى فى الطريق فرمق شابا جميلا يمشى فهرول عنه كالمذعور فقال له الخادم مثلك لا يخاف من مثل ذلك فقال يا ولدى انا لست بمعصوم والوقوف عند حدود الشرع واجب انتهى (ورأيت) فى مناقب سيدى محمد الشاذلى رضى الله تعالى عنه أنه نهى فقيرا عن القرب من النساء فقال يا سيدى أنا بحمد الله أجد عندى قوة تدفع عنى

ما يخاف منه فقال له الشيخ لا تغتر بذلك فخالف فوقع فى تلك الجمعه بامرأة فاشتبك ذكره فى فرجها فخاف الفضيحة وحصل له الخجل من الناس اذا طلع النهار فعلم بذلك الشيخ من طريق كشفه وتوجه الى الله تعالى فخلص ذكره من فرجها فلولا الشيخ لاصبح مهتوكا بين الناس وكل ما وقع فيه بعض الناس جاز أن يقع من خواص الناس فالعاقل من خاف والسلام (وقد قال) لى الشيخ شهاب الدين المشهور بمازن خدمت سيدى محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه وأنا أمرد فما علم بطلوع لحيتى الا بعد سنين عديدة فوقع بصره على يوما فقال لى متى طلعت لحيتك فقلت لها ثلاث سنين انتهى وهكذا أدركت من مشايخ العصر نحو سبعين رجلا كان أحدهم دائما مطرق الرأس لا يكاد يرفع بصره الى السماء رضى الله تعالى عنهم أجمعين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تجلى من الله تبارك وتعالى كلما أقرب من زوجتى لاستيلاء سلطان الغيرة الالهية على قلبى وكثيرا ما أكون محتاجا الى المسيس فاترك ذلك حياء من الله عز وجل وما كل وقت يعطى العبد القوة على الجمع بين مداعبة الزوجة مع عدم الحجاب عن مشاهدة الحق جل وعلا (وكان أخى) الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن من قدر على القرب من زوجته ثم ترك ذلك حياء من الله عز وجل كتب له عشر حسنات انتهى وبلغنا عن بعضهم أنه أتى عياله وهو غافل عن الله عز وجل فعوقب على ذلك وكان للشيخ أبى مدين رضى الله تعالى عنه أمة سوداء تخدمه وتوضئه فنظر الى ثديها وقد برز فوضع اصبعه عليه وهو غافل عن الله عز وجل فاسود أصبعه (وذكر) الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه ان شخصا من أصحابه جلس مع زوجته مباسطا لها فلما أراد القرب منها خرج له ملك ومعه دبوس فرفع يده ليضربه به فارتعد وترك ذلك الامر وقال له الملك بصوت عظيم الى متى أنت فى شهواتك فقال الآن لم يجامع زوجته حتى مات ويؤيد ذلك حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش انتهى ولم يزل الحق تعالى يؤدب خواص عباده على فعلهم بعض المباحات الشرعية كما هو مشهور فى كتب الرقائق والتصوف لان الرخص النفسانية انما وضعت للضعفاء من العوام وقد تقدم فى هذه المنن انه لا يكمل فقير فى الطريق حتى يصير يحضر مع الله تعالى فى حال جماعه كما يحضر فى حال صلاته على حد سواء بجامع أن كلا منهما مأمور به شرعا وان تفاوت المقام وهذا الخلق لم أر له فاعلا من أقرانى الا القليل فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة نصحى بلطف ورفق لمن عرف بالفجور والفسق بالمماليك من حاشية الولاة وغيرهم فاصير أحسن به الظن الى الغاية وأجيب عنه الاجوبة الحسنة حتى يميل الى فاذا مال نصحته بضرب الامثال من بعيد بنحو قولى لا يجوز لاحد من الناس ان يقع فيما زل فيه بعض العلماء عن ظاهر الشريعة كمن أباح وطء النساء فى أدبارهن أو وطء المماليك بحكم الملك فان ذلك مخالف للنصوص القطعية وما عليه جمهور العلماء سلفا وخلفا وما فى تفسير الفخر الرازى من اباحة وطء المماليك فى أدبارهن بحكم الملك أخبرنى شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه أنه مدسوس عليه دسه فيه بعض الملاحدة لان الفخر الرازى كان من أكابر العلماء فكيف يخفى عليه شئ تحريمه لا يخفى على أدنى شخص شم رائحة الشريعة انتهى

فأسال

فأسال بالله تعالى كل من كان عنده نسخة من تفسير الفخر الرازى وفيها ذلك أن يضرب عليه ضربا فلا يقرأ نصحا لله ولرسوله ولعامة المسلمين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كتمى على أصحابى الذين ماتوا ما أراهم فيه من الاحوال بعد موتهم فان ذلك ملحق بالغيبة المحرمة وقد أخبرنى أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أنه رأى بعض أصحابه الذين ماتوا على خير وعلم وصلاح ان كلبا أسود أحمر العينين يكشر عليه فى قبره فصار كلما يطرده عنه يرجع فاستيقظ وأخبر بذلك بعض خواص أصحابه فشق عليهم ذلك فصاروا يمشون الى قبره كل يوم ويقرؤن القرآن ويهدون ذلك فى صحائفه مدة عشر سنين فجاءهم فى المنام وقال جزاكم الله عنى خيرا فى شفاعتكم فى ولكن هتكتمونى بين الناس فوالله ان هتكى عند الناس أشد على من تعذيبى بذلك الكلب فقال له الرائى انما أخبرت بذلك ليساعدونى فى الدعاء لك فقال كان يمكنك فعل ذلك من غير اعلام بقصتى انتهى ومن هنا أوصى بعضهم بان يدفن وحده حتى لا يعرف أحد من الاموات حاله فاياك يا أخى ان تخبر أحدا بما تراه من تعذيب أحد فى قبره الا ان يكون صاحب بدعة مثلا فتخبر بذلك ليتوب الناس من نظير فعله وقد ورد كفوا عن مساوى موتاكم فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تصدرى للدعاء فى حوائج الخلق الى الان علمت من نفسى ان هذه الثلاث خصال اجتمعت فى حال الدعاء وهى الاولى خلو قلبى مما سوى الله تعالى فلا يكون فيه التفات لغيره الثانية ان يجمع كله على الله تعالى فلا يكون له مشهود الا هو الثالثة ان لا يكون له مع الله تعالى اختيار ولا ترجيح بل مهما فعله الحق تعالى رضى به فمن لم يجتمع فيه هذه الخصال فلا ينبغى له التصدر للدعاء فى حق أحد قال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وهذه هى صفات المضطر الى الله تعالى دون شئ من حظوظ النفس فافهم يا أخى ذلك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة تصديقى للاولياء فيما يدعونه من الاطلاع على المغيبات لكن جمهورهم يتحاشون عن دعوى شئ من الخمس التى فى آخر سورة لقمان فان ذلك من خصائص الحق جل وعلا عند الجمهور وقيل ان نبينا صلى الله عليه وسلم أعطى علم هذه الخمس ثم أمره الله تعالى بكتمها فان صح ذلك جاز ان يكون لورثته من بعده ولعل قائلا يقول ان بعض الاولياء قال للمطر انزل فنزل فنقول له هذا لا يناقض شيأ من علم الخمس لان هذا الشيخ انما أشهده الله تعالى نزول المطر أو ألهمه الوقت الذى قدر الله تعالى فيه نزول المطر وليس ذلك من باب انزاله الغيث بقدرته هو ولا سببا فى انزاله والآية انما نفت عن العبد انه ينزل الغيث بقدرته وذلك محال وقد بلغنا عن الشيخ أحمد السبتى المغربى انه كان يأخذ خراج الارض التى يدعو الله تعالى فيسقيها بالمطر ويقول لولا دعائى ما نزل عليها مطر فامتنع شخص من وزن الخراج له فقال الشيخ ونحن نأمر المطر ان لا ينزل على أرضه فلم ينزل على زرعه فى تلك السنة مطر وصار المطر ينزل على أراضى الفلاحين يمينا وشمالا ولا ينزل على حبه قطرة واحدة فحمل الخراج وجاء به الى الشيخ فقال الشيخ اللهم انى أسألك ان تقول للمطر اسق أرض فلان فنزل عليها كأفواه القرب فكان ذلك من الله تعالى له اظهار كرامة له لا ان الشيخ أنزل الغيث وهكذا

وقع لبعض العارفين ان بعض الملوك قال له خاطرك على ابنتى فانها قد حضرها الموت فقال للملك اعطنى ديتها وأنا أفديها بابنتى فأعطاه ألف دينار فقال لابنته موتى عن ابنة الملك فماتت لوقتها وعوفيت ابنة الملك وتصدق الشيخ بالمال وهذا أيضا ليس مناقضا للخمس ولا داخلا فى علم الله تعالى ولا مشاركا لله تعالى فى علمه لان هذا العارف لم يدع انه يعلم فى أى أرض تموت ابنته على التعيين هل تموت على أحد جنبيها أو على ظهرها أو على بطنها فستر الله تعالى عنه ذلك وكذلك القول فى علم الساعة وان اطلع الله تعالى عليه بعض أوليائه فغايته ان يطلعه على اليوم الذى تقوم فيه الساعة لا الوقت الذى تقوم فيه من ذلك القرن فانه مستور عنه وكذلك القول فى علم ما فى الارحام اذ كر هو أم أنثى أو غير ذلك فالولى وان أطلعه الله تعالى على ما فى بطن الام من ذكر أو أنثى انما يكون ذلك بعد التصوير لا قبل التصوير وذلك ليس هو علم ما فى الارحام لان حال نزول النطفة الى الرحم لا يدرى أحد من الخلق ما يكون منها ويؤل اليه أمرها فى الرزق والسعادة والشقاوة والاماتة والاحياء كل ذلك لا يدرى به فى بطن الام أحد وقد حكى أن سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه قال لشخص فى بطن زوجتك غلام فولدت أنثى فقال سيدى أحمد وعزة ربى لقد أمسكت خصيته بيدى هذه وانما أراد الله تعالى تكذيب حمد فى دخوله فيما ليس له فعله أدبا وكذلك القول فى الاكتساب فلا تدرى نفس ماذا تكسب غدا قال بعض العارفين ومن زعم أن الله تعالى قد يطلع بعض خواصه على هذه الخمس قال ان فى الآية اضمارا للاستثناء فيطلع الله تعالى من اختصه من عباده على ذلك انتهى وقال بعضهم ليس فى الآية شاهد على امتناع اعلام الله أحدا من عبيده بشئ من هذه الخمس انما فيها انه تعالى عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ويعلم سائر ما يدعيه له اذ كل ما يعلمه خلقه هو من معلوماته وأما قوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت أى لا تدرى ذلك بذاتها وأما باعلام من الله فلا بدع لقوله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وبالجملة فلله تعالى فى كل علم وعمل وغيرهما من سائر المخلوقات علم خاص لا سبيل لاحد من المخلوقين الى الوصول اليه لانه من صفات الالوهية فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى بالانكار على من قام وتواجد ولو كان من الظلمة أو لم يكن له به عادة فقد يكشف الله تعالى الحجاب عن بعض القلوب فتحن الى وطنها الاول فتتمايل كالشجرة التى كانها تريد قلع عروقها من الارض وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول للسماع أثر كبير فى ورود الحقائق فان الله تعالى قد كلف العبد الاكتساب بحواسه الخمس السمع والبصر واللمس والشم والذوق كما كلفه أيضا الاكتساب بحواسه الخمس الباطنة الخاصة باهل الكشف فاذا طهرت نفس السالك من الخبائث وحصل له تصريف من الله تعالى كانت جوارحه كلها فعالة ونابت كل جارحة عن غيرها فيسمع بعينيه وينظر باذنيه ويتكلم بعينيه ويسمع بهما ويتكلم باذنيه وهكذا فاياك ثم اياك والانكار لهذه الامور فتحرم الوصول اليها عقوبة لك على انكارك فعلم ان أهل الله تعالى لا يختص سماعهم بشئ فى الوجود دون شئ لانه لكل كلمة فى الوجود أو حركة من الحركات معنى لطيف وسر رائق حتى انهم يستمعون من هبوب الرياح وتمايل الاشجار وخرير الماء وطنين الذباب وصرير الابواب ونغمات الاطيار وحس

الاوتار وصفير المزمار وانين المريض وصوت الحزين وصياح الصائح ونوح النائح ما يحرك همهم من غير تفاوت لهذه الامور بعضها عن بعض الا من حيث موافقة الطباع فقط وقد تكلم العلماء فى السماع كثيرا ومال بعضهم الى التحريم وحمله المحققون على ان من داخلته علة فى سماعه من هوس أو نفاق وصنف الامام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسى فى ذلك كتابا ونقض أقوال من قال بالتحريم وجرح النقلة للحديث الذى أوهم التحريم وذكر من جرحهم من الحفاظ واستدل على اباحة السماع واليراع والدف والاوتار بالاحاديث الصحيحة وجعل الدف سنة قال الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله عنه وقد قرأت ذلك على الحافظ شرف الدين الدمياطى وأجازنى به وجماعة من الحفاظ كابى طاهر السلفى الاصبهانى بسماعه من المصنف وقال لا فرق بين سماع الاوتار وسماع صوت الهزار والبلبل وكل طير حسن الصوت فكما ان صوت الطير مباح سماعه فكذلك الاوتار انتهى وقد قدمنا فى هذه المنن الكلام على اباحة السماع فى مواضع كعند تلاوة القرآن وتغزلات القوم وأما سماع العود والطنبور وما شاكلهما فظاهر كلام الائمة الاربع التحريم وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول الذى أراه ان السماع على ثلاثة أقسام أحدها ما هو محرم كالاستماع من أرباب الاهوية المحرمة من عشاق النسوان والقيان واستماعهم بالآلات المحرمات وذلك لان مثل ذلك يحرك دواعيهم الى ارتكاب المحرمات فمثل ذلك يحرم على السامع والمستمع لان ما دعا الى الحرام فهو حرام وما لا يتوصل الى الحرام الا به فهو حرام ثانيها ما هو واجب وذلك كاستماع من اصطلمهم الحب فى الله تعالى وأقلقهم الشوق الى لقائه وأزهقت أرواحهم من العطش وتقطعت قلوبهم على طلب القرب من حضرته فاذا سمعوا ذكر حبيبهم أو شيأ من جماله طارت قلوبهم اليه فجذبت أجسامهم بحكم التبعية والسماع على هذه النيات من أوجب الواجبات ثالثها ما هو مباح على أصله اذ لم ترد فيه آية فى التحريم ولا حديث صحيح (وسئل) الشريف أبو محمد الهاشمى عن السماع فقال ما أدرى ما أقول فيه ولكنى حضرت فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى سنة سبعين وثلثمائة وقد عمل دعوة دعا فيها أبا بكر الابهرى شيخ المالكية وأبا القاسم الداركى شيخ الشافعية وطاهر بن الحسين شيخ الحديث وأبا الحسن بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وابن مجاهد شيخ المتكلمين وأبا بكر الباقلانى وأبا الحسن شيخ الحنابلة فقالوا للشخص حسن الصوت أسمعنا شيأ فانشدهم شعرا من جملته

خطت أناملها فى بطن قرطاس * رسالة بعبير لا بانفاس
أن زر فديتك لى من غير محتشم * فان حبك لى قد شاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها * قف لى لاسعى على العينين والراس

قال الشريف الهاشمى رضى الله تعالى عنه فبعد أن رأيت هؤلاء الاشياخ يسمعون لا يمكننى أن أفتى بمنع السماع فان هؤلاء مشايخ العراق حتى لو سقط السقف عليهم لم يبق فى العراق من يفتى فى حادثة انتهى وقد كان الشيخ عبد الرحيم القناوى والشيخ أبو الحجاج الاقصرى وغيرهما من الرجال يستمعون وهم يحبون كهيجان الجمال ويصير أحدهم يقول يا حبيبى يا حبيبى وهو دائر لا يشعر باحد من الخلق انتهى وقد قدمت أن بين كل محب ومحبوب علاقة تجذب قلب كل محب الى

محبوبه وفى تعشق الاشجار بعضها البعض ولقاح النخل وجذب المغناطيس للحديد آية دالة على اباحة السماع وبلغنا أن لكل شئ مغناطيسا يجذبه وان للفضة مغناطيسا وللذهب مغناطيسا وللماء مغناطيسا حتى انهم ذكروا أن مغناطيس الماء اذا كان معلقا فى حبال الماء الذى يجعلونه فى الاناء يتصعد الماء اليه حتى انهم يرتونه قبل ان يتصاعد فاذا تصاعد اليه وجدوا الحجر قد زاد قدر الماء وبلغنا عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه كان اذا سمع شيأ من اشعار القوم يهتز ويتواجد وكذلك سيدى عمر بن الفارض وكانوا يقولون كل سماع لا يحضره سيدى عمر لا يطيب ودخل سيدى عمر مرة مكانا فيه سماع وهو مقبوض فما انبسط أحد فى المجلس فقال القوال لصاحب الوليمة أعطنى دينارا وانا أبسط لك سيدى عمر فاعطاه دينارا فانشد يقول

لى بالحجاز بقية خلفتها * أودعتها يوم الفراق دموعى

فقام الشيخ عمر بن الفارض وتواجد وطاب المجلس وصاروا كلهم يتمايلون انتهى وحكى الشيخ عبد الغفار القوصى انه كان جالسا يوما بجامع عمرو فى مصر العتيق قال فدخل سيدى عمر فاعطانى دراهم وقال اشتر لنا بها طعاما وفاكهة ففعلت فاخذ ذلك وطلع بى الى بيت فيه نساء يغنين ويضربن بالدف فتواجد ليلة كاملة ثم أصبحنا فتفرس منى أنى وجدت فى نفسى شيأ فقال للنسوة أخبرنه بالقصة فقلن كلهن والله انا جوارى سيدنا هذا اشترانا بماله انتهى وأحوال السادة الوفائية وغيرهم فى السماع مشهورة فاياك والمبادرة الى الانكار الا بطريق شرعى بعد تربص وتفكر والله عليم حكيم يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم رضائى بما يقع من اخوانى من الفساد والبغى على بعضهم بعضا بل أهجر أحدهم حتى يكاد قلبه يتفتت ليرجع عن ظلمه وأسلم أنا من الاثم فان الراضى بالفساد حكمه حكم المفسدين وقد أدبت خلقا كثيرا من أصحابى وأخذت للمظلومين حقهم من الظالمين من طرق بعيدة وذلك أنى أتوجه الى الله تعالى فى تأديب الظالم الذى ضرب أخاه مثلا بغير حق فيسبب الله تعالى له أسبابا حتى يضرب ويهان مثل ما فعل باخيه ولا يكاد هذا الامر يخطئ معنا فى فقراء الزاوية وذلك من جملة رحمة الله عز وجل بالظالمين فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وكما ضرب العبد أخاه بشدة وعزم شدد على نفسه العذاب والجزاء ولما كان أهل الله عز وجل مؤمنين بوقوع الجزاء ايمانا جازما الا ان يعفو الله تعالى عنهم كان تاديبهم لاولادهم وغلمانهم وعيالهم ودوابهم بلطف ورحمة من غير تبريح حتى كان سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى لا يصحب سوطا قط اذا ركب دابة وبصير يردها بكم قميصه ويقول ان عبد العزيز هيهات ان يقدر على ضربه بكم القميص فان من ضرب دابته أو نخسها بمخاس حتى أخرج دمها لا بد أن يفعل معه فى قبره أو يوم القيامة مثل ذلك الا أن يعفو الله عز وجل عنه حتى انه ورد فى الزبور أنه يقتص للعود اذا خدش العود انتهى فاياك يا أخى ان ترضى بظلم ظالم فتكون شريكه فى ظلمه أو فى جزائه كما روى ان من رضى بذنب أخيه فقد شاركه فيه أو كما ورد وفى بعض الكتب ان نمروذ لما ناظر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وغلبه ابراهيم بالحجة لم يجد النمروذ جوابا فقال اقتلوه أو حرقوه فرضى قومه بذلك فاخبر الله تعالى عن قومه بقوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه ولم يقع منهم التصريح بالقول وانما وقع منهم الرضا

هكذا نقله ابن فرحون المالكى رحمه الله تعالى قال ونظير ذلك أيضا ان الله تعالى خاطب اليهود الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين وهؤلاء لم يقتلوا الانبياء السابقين وانما قتلهم أجدادهم وأسلافهم فلما رضوا بفعل أسلافهم فكانهم قتلوهم بايديهم فاستحقوا هذا الخطاب بالتوبيخ وكذلك اخبار الله تعالى عن المنافقين بقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وانما وقع ذلك من عبد الله بن أبى ابن سلول فقط فى قصة جرت بينه وبين عمر رضى الله تعالى عنه فلما رضى المنافقون من أصحابه بقوله أخبر الله عنهم بالقول فعلم ان الراضى بالظلم كالظالم فى الاثم وهذا أمر قل من يتنبه له ولا يخرج من الاثم الا مع اظهار الغضب والسخط على الظالم حتى يشهد له بذلك جميع الناس وكان الامام مالك رضى الله تعالى عنه يقول لما أرسل الى أبو جعفر المنصور دخلت عليه فرأيت النطع بين يديه والسيوف مسلولة وهو يعاتب ابن طاوس على أمور ثم قال له ناولنى الدواة فابى فقال ما منعك فقال خشيت أن أكون شريكا لك فيما تكتب قال الامام فضممت ثيابى مخافة أن يصيبنى من دمه ثم قال له اذهب الى حال سبيلك فلم أزل أعرف ذلك لابن طاوس وفى الحديث اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيرى انتهى وقد حكى ان ايتفش الحكيم أرسل له ملك زمانه ان ائت الى بشئ من حكمتك فرحل اليه بما كان عنده من كتب الحكمة فلقيه اللصوص فى الطريق وأرادوا قتله فقال يا رب الهم هؤلاء الكراكى أن يصيحوا ويأخذوا بثارى ان قتلونى فضحك اللصوص من قوله وقتلوه ثم بلغ الملك انه قتل فندم عليه ثم أرسل يتطلب من قتله فسمع بعض رسل الملك بعض اللصوص يضحك ويقول هؤلاء الكراكى التى أوصاهم الحكيم ان يأخذوا له منا بثاره فقبض الرسل على تلك اللصوص وعرضوهم على الملك فاعترفوا بقتله فقتلهم انتهى فانظر يا أخى كيف اجاب الله تعالى دعاء الحكيم وسبب للصوص الاسباب حتى قتلهم فانه تعالى بالمرصاد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من جعلى قاضيا أو حاكما أو شاهدا لخفاء غالب القضايا على الناس من الحكام فربما حكم الحاكم ببينة زور وكان عليه اللوم فى عدم التفتيش على أحوال الشهود والمزكين اما حياء طبيعيا واما رقة دين منه وباب القضاء والحكم بين الناس بالشريعة فضلا عن السياسة من أخطر الامور وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تشهد بما لا يعيه سمعك ولا يحفظه عقلك ولا يعقد عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة ثم أسائلهم عنها سؤالا عنيفا انتهى وربما تحاكم الى امرأة جميلة فتاقت نفسى اليها فرجحتها على خصمها بل ربما وقع لبعض القضاة الامتناع من الحكم لها بحقها الا ان أجابته الى ما يريد منها فى الحرام كما وقع مثل ذلك فى زمن داود عليه الصلاة والسلام فبلغنا انه كان فى زمنه امرأة بارعة فى الجمال فادعت عند قاض بحق لها على شخص فنظر القاضى اليها فاخذت بمجامع قلبه فقال احكم لك بشرط أن تمكنينى من نفسك فأبت وكانت امرأة صالحة ففارقته وذهبت الى حاكم سياسى فراودها كذلك عن نفسها والالم يساعدها فذهبت الى الشهود فنظروا اليها كذلك فراودوها عن نفسها فذهبت الى السلطان فنظر اليها كذلك فراودها عن نفسها فأبت فاجتمع القاضى والحاكم والشهود والسلطان ودبر واحيلة

فى قتلها لتستريح قلوبهم من التعلق بها فلما بلغها ذلك بكت وشكت أمرها الى الله تعالى فذهبوا الى داود عليه السلام ليشهدوا عليها بالزنا ليقتلها فقال بعضهم ان شهدنا عليها بأنها زنت مع رجل قتلا جميعا وهذه مصيبة عظيمة وانما الغرض قتلها وحدها فاجمع رأيهم على أنهم يشهدون بأنها امرأة فاسقة تفسق مع كلب لها فذهبوا الى داود عليه السلام وقالوا اجتنالك يا خليفة الله فى أمر لابد لنا من اعلامك به وذلك أن فى هذه القرية امرأة فاسقة قد ربت كلبا لها ذكرا وعلمته كيف يفعل فيها الفاحشة وشهدوا عليها بذلك فأمر داود عليه السلام بها فرجمت فلما كان بعد أيام اجتمع صبيان اهل الحارة وأطفال الهامع ولده سليمان وهو صغير وتحاكموا عنده فى مثل هذه الواقعة بعينها وجاء شاب من الصبيان من أجمل ما يكون فادعى عند قاض من الصبيان كما ادعت تلك المرأة فراوده عن نفسه ثم ذهب الى الحاكم فراوده كذلك ثم الى الشهود فراودوه كذلك ثم الى من جعلوه سلطانا فراوده كذلك فرجع الصبى الى سليمان عليه السلام وحكى له القصة ففكر سليمان فى ذلك فالهمه الله تعالى ان أمر بتفرقة الشهود حتى تباعد بعضهم عن بعض ثم صار يسأل واحدا بعد واحد عن صفة الكلب فما منهم احد وافق الآخر فقال أحدهم اسود وقال الآخر أبيض وقال الآخر أصفر وقال الآخر أبلق فعلم انهم قد شهدوا بالزور فأمر سليمان بحد الشهود فحدهم باللعب وكل ذلك وداود فى مكان عال يشرف عليهم ولا يعلمون به فلما رأى داود ذلك علم انه حكم برجم تلك المرأة بغير حق فأمر بقتل الشهود وأخذ الله للمرأة بحقها انتهى ذكره الامام ابن فرحون فانظر يا أخى ماذا يقع للحاكم واشكر الله على حمايتك من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة زجرى لاصحابى عن الكذب حتى أكاد أتميز من الغيظ فليس عندى بحمد الله ذنب يفعلونه معى أشد من كذبهم على فانى أبنى عليه أمورا ربما ضرت صاحبها فى الدنيا والآخرة وقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول لم يكن شئ أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب كان يهجر الانسان على الكلمة من الكذب الشهرين والثلاثة انتهى وانظر الى الكفار لما علموا اشدة قباحة الكذب وسوء عاقبته كيف نسبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوا بما جاءهم به من عند الله عز وجل ليغيظوه بذلك لانه يوقف الناس عن قبول ما جاء به من الهدى ويذهب فائدة الوحى وروى أن حذيفة قال يا رسول الله ما أشد ما لقيت من قومك فقال خرجت يوما أدعوهم الى الله فما لقينى أحد منهم الا وكذبنى وبصق فى وجهى انتهى وفى كلام الحكماء اذا كذب السفير بطل التدبير انتهى وكان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول الكذب كالميتة لا يباح منه شئ الا للضرورة وكان بعض الحكماء يقول من عرف بالصدق جاز عليه الكذب ومن عرف بالكذب فبعيد عليه الصدق وفى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب كما فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وتحملك على ولد الناقة أى البعير وفى عينى زوجك بياض فمثل ذلك مباح مع النساء والصبيان لتطييب قلوبهم بالمزاح وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا دعى أحدكم الى طعام وهو صائم فليقل انى صائم كما ورد فان الصدق أنجى من المعاريض وكان سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لخادمه اذا دعاه أحد لامر لا نفع فيه قل له ما هو هون يريد به الهاون

الذى

الذى يدق فيه حوائج الطعام وكان ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه اذا طلبه أحد وهو فى بيته يقول للخادم قل له انتظره فى المسجد وكان الشعبى رضى الله تعالى عنه يقول لخادمه دور باصبعك دائرة فى الحائط وقل له ما هو فى الدار * وكان سيدى الشيخ أبو السعود الجارحى رضى الله تعالى عنه اذا أنكر ما قاله يقول ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيوهم النفى بحرف ما وهو يريد غيره من انه اسم موصول فاحفظ لسانك يا أخى من الكذب لتقتدى بك اخوانك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم قبولى شيأ من النمام مطلقا ولو كان معدودا من مشايخ العصر فأبخ كلامه ببادى الرأى ولا احتاج الى تفكر فيه وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على وقل من يرد كلام النمام ببادى الرأى انما يردونه بعد تفكر وقد وقع للشيخ نجم الدين الغيطى رحمه الله تعالى ان نقل له شخص ممن ينسب الى العلم أن انسانا من الصالحين ينتقصه فقال قد خرجت عن اعتقادى فيه ثم ظهر له كذبه بعد ذلك فقال ما بقيت اعتمد على كلام أحد الا بعد تجربة انتهى وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول فى رد النمام ببادى الرأى عدم الوقوع فى سوء الظن فى المنقول عنه ذلك الكلام * وكان أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة رواية وقبولها اجازة وتصديق وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ان النمام يفسد فى ساعة ما لا يفسده الساحر فى سنة وكان يقول من واجهك بالشتم فهو الشاتم لك ومن تجرأ لك تجرأ عليك انتهى وسمعته مرارا يقول النمام كاذب بالشرع على من نم اليه وخائن لمن نم عنه فاياك ومصاحبة النمام فانه جليس سوء وقد كان سيدى ابراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه اذا رأى نماما يقول لا مرحبا برسول ابليس فاعلم ذلك ترشد واعمل به تسعد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) المبادرة الى التوبة فورا اذا جرى على قلبى غيبة أحد فان الغيبة كما تحرم باللسان كذلك تحرم بالقلب وفى الحديث ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به السوء وقد حد العلماء الغيبة بحدود وأخصرها ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث وهو أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه او سمعه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا فى عقله أو فى نفسه أو فى ثوبه أو فى نعله أو فى نسبه أو فى داره أو فى دابته أو فى عبده أو فى ولده أو فى أمته أو شئ مما يتعلق به حتى قولك فلان واسع الكم أو طويل الذيل أو كبير العمامة أو كثير الكلام أو يغتاب الناس أو يزاحم على صحبة الاكابر أو كثير السعى على الوظائف أو محب الدنيا أو يحب من يعظمه أو فلان أعلم منه أو أكثر أدبا وقد دخل مرة طبيبان كافران على سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه فوصفا له شيأ فلما خرجا قال لولا أخشى أن تكون غيبة لقلت أحدهما أعرف بالطب من الآخر * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول انما ذكر العلماء الغيبة باللسان وبالغوا فى ذم فاعلها لانها أغلب والا فهى لا تختص باللسان بل تكون فى كل شئ يفهم منه غرض يكرهه المذكور اذا بلغه أو سمعه سواء كان باليد أو بالرجل أو بالاشارة أو بالحركة أو بالتعريض أو بالمحاكاة كل ذلك حرام انتهى وأوحى الله تعالى الى

موسى عليه السلام ياموسى أتريد أن أنصرك على عدوك قال نعم قال فرد الغيبة عن أخيك المسلم (وسمعت) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن المغتابين للناس يجثون على الركب على باب النار ثم ينهش بعضهم بعضا كالكلاب ورأيته مرة أعاد الوضوء من وقوعه فى غيبة بالقلب وهو مذهب عائشة رضى الله تعالى عنها كانت تقول يتوضأ أحدهم من اكل طعام حلال ولا يتوضأ من الغيبة تعنى أن الغيبة أولى بالوضوء مما مسته النار وكذلك كان يعيد الصوم الذى وقع فيه غيبة ولو بالقلب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول كان لى عم فمات فرأيته بعد موته فقال غفر لى ياولدى كل ذنب الا الغيبة فأنا محبوس عليها الى الآن فاياك ياولدى أن تتساهل فى غيبة أحد انتهى * وكان مجاهد رضى الله تعالى عنه يقول اياكم أن تغتابوا من يغتاب الناس ولو كانت غيبته جائزة والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كسر قفص طبعى حتى صرت لا أستحى من تعليم النساء الاجانب آداب الجماع فضلا عن تعليم الرجال وقليل من يحصل له ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها ومع ذلك كان يعلم أصحابه كيفية الاستنجاء ويعلم المرأة اذا حاضت كيف تشد الخرقة على فرجها وكيف تحشوه بالقطن وقال لام عطية وكانت تختن الجوارى اخفضى ولا تنهكى فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج قال بعض العلماء ومعنى أسرى للوجه أى أكثر لمائه ودمه ومعنى وأحظى عند الزوج أى احسن فى جماع المرأة فانظر يا أخى الى كثرة شفقته صلى الله عليه وسلم وحنانه على أمته فعلم أن من استحيا من فعل فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قول قاله فهو جاهل كثيف الطبع ولعله يقع فى عدة من الكبائر ولا يستحى لا من الله ولا من الخلق (وقد رأيت) من يغتاب الناس ليلا ونهارا ويمزق اعراض العلماء والصالحين فقال له شخص اشترلى بهذا العثمانى قهوة أشربها فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لو ضربت بالسيف مادخلت بيت القهوة انتهى فاياك يا أخى أن تسلك هذا المسلك فانه من الكبر والنفاق وقبح ما قبح الشرع وحسن ما حسن الشرع تكن من أهل الادب والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ارشادى لاخوانى المهمومين أن يسعوا فيما يخفف همومهم أو يزيلها من كثرة الاستغفار وحفظ الجوارح من الآثام فان الهموم فى كثرة الآثام وربما أضعف ترادفها الجسم بالكلية كما يقع لى فى غالب الاوقات أنى أريد القيام اذا جلست فلا أقدر الا بمعين مع أن سنى عادة لا يؤدى الى مثل ذلك * ومما جربته لزوال الهم ما أفادنيه شيخنا العالم المحدث الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى بمصر المحروسة رحمه الله تعالى قال روينا بالسند المتصل الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال يا ابن ابى طالب مالى اراك حزينا فقلت هو ذاك يارسول الله قال فمر بعض أهلك يؤذن فى اذنك فانه دواء لكل هم قال على ففعلت ذلك فزال عنى انتهى (قلت) وقد رأيت ذلك أيضا فى كتاب الزاهر للشيخ أبى الحسن بن فرحون المالكى رحمه الله تعالى ورواه بالسند المتصل وقال جربته فوجدته صحيحا كما جربه رجال سنده فوجدوه كذلك ولو قدر أن احدا طعن فى سنده كان العمل على التجربة انتهى فلقد فاز والله الوارثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

من العلماء لمعرفتهم بالحديث الصحيح وتمييزه عن غيره فهم يعملون بما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جزما لما عندهم من النور كأنه ليس بين العلماء الوارثين وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الا درجة واحدة وهى درجة النبوة الفارقة بين الوارث والموروث وكان حجة الاسلام الامام الغزالى رحمه الله تعالى يقول للعلماء العاملين الاشراف على مقام الرسل لكن لا يقدرون على دخوله ولو انهم دخلوا لاحترقوا فعلم أنه لا يكمل الداعى الى الله تبارك وتعالى الا ان كان متخلقا بالرحمة على جميع العالم فيرشدهم الى مصالح الدارين فاعلم ذلك وافهمه واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة زجرى لمن رأيته من أصحابى يتجسس على عيوب الناس اذا سمعها حتى يتحققها وعدم مسامحته فى ذلك نصحا له ومتى سكت عن ذلك فقد غششته وخرجت عن السنة وعرضت نفسى أنا واياهم لكشف سوآتنا كما هو مشاهد وفى الحديث من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف رحله انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا تكن كالذباب يترك المواضع السليمة من الجسد فلا ينزل عليها وينزل على مواضع القروح فيأكل من اللحم ويشرب من الدم ويود أن لو كان الجسد كله كذلك * وكان الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول أدركنا كثيرا من الناس ليس لهم عيوب فتجسسوا على عيوب الناس فاحدث الله تعالى لهم عيوبا وسمعت أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من تلذذ باطلاعه على عورة أحد فهو من الشياطين المجانين لان العاقل يكره فتح الابواب التى تم تسكه وتظهر مساويه بين الناس فاياك يا أخى أن تبش لمن تجسس على عيوب أحد وأخبرك به فانك شريكه بل اعبس فى وجهه حتى لا يكاد يخبرك بعيب أحد بعد ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ببادئ الرأى فضل من يقبل منى صدقة أو زكاة أو أقضى له حاجة أو أكلمه كلمة طيبة أو أهدى اليه هدية أو أطعمه طعاما أو اكسوه قميصا أو أوفى عنه دينا أو نحو ذلك من سائر القربات التى ينتفع الخلق بها ولو انى قبلت نعال من اسديت اليه معروفا لكان قليلا فانه كان سببا للخير الذى يحصل لى من ذلك ان شاء الله تعالى سواء أكان ذلك الخير دنيويا كاطلاق ألسنة الناس بالمدح والدعاء لى فى الدنيا أو أخرويا كرضا الله تعالى عنى أو حصول ثواب فى الآخرة ونحو ذلك فكل ذلك يرجح على تقبيل نعال من كان سببا فيما ذكر وهذا الخلق قل من يحصل له ببادئ الرأى وانما يحصل ذلك له بعد تفكر ومن الناس من لا يحوم حول ذلك أصلا بل يرى له الفضل على من أحسن هو اليه وربما عاتبه وذكر له ذلك وقال أنا بحمد الله ما عملت معك طول عمرى الا خيرا ما أسأت اليك قط ونحو ذلك فلا تظن يا أخى اذا أحسنت الى أحد أنك أنت المحسن بل اشهد أن الذى قبل صدقتك مثلا هو المحسن اليك لانه كان سببا لطهارتك من ذنوبك ولولا انه قبل ذلك منك لبقيت بوسخ ذنوبك فهو كالحجام الذى يخرج منك الدم الردىء الذى تخاف الضرر منه لو بقى فى جسدك لم يخرج وربما كان اخراج ذلك الدم واجبا حتما ولو تركته لقتلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ان من يأخذ صدقتك كالغاسل الذى يغسل ثيابك ولو لم يغسلها لبقيت وسخة وقد شاهدنا تعطى الحجام

والغاسل الاجرة فكذلك ينبغي لك اعطاؤك الاجرة لمن يأخذ منك صدقتك ويطهرك من ذنوبك فالله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة رفقي ورحمتي لمن شكا الى كثرة محبته للمعاصي وغلبة وقوعه فيها وقساوة قلبه وعدم انشراح صدره للتوبة فانه كالمريض الذي يشكو أمراضه للطبيب فلا ينبغي له أن يزجره وينفر منه بل يصبر عليه حتى يفرغ من أن يشكو ضرورته ومرضه ثم يصف له الدواء وهذا الخلق قل من يعمل به لاسيما أهل الحدة والغيرة على الشريعة ولوانهم نظروا في أخلاقه صلى الله عليه وسلم لتلطفوا بجميع العصاة وقد دخل مرة اعرابي المسجد فبال فيه فثار الناس اليه فزجرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ثم أمر بدلو من ماء فصب على مكان بوله وفي الحديث ان شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال أقروه اقروه ادن مني فدنا منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحب ذلك لامك فقال لا يارسول الله وجعلني الله فداءك قال كذلك لا يحبه الناس لامهاتهم ثم قال أتحبه لابنتك فقال لا قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم حتى ذكر الاخت والخالة والعمة ويقول كذلك الناس لا يحبونه ثم وضع يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك شئ أبغض اليه من الزنا قال الحافظ الدمياطي واسناد هذا الحديث حسن فاياك يا أخي ونهر أحد من العصاة اذا سألك عن دوائه وتأمل في صنع الله عز وجل وحكمته فانه لولا حمايته لبعض العبيد لوقعوا في كل محظور لاسيما من خلع الله تعالى عليه خلعة الجمال البارع فان النساء لا تكاد تتماسك عن عشقه وربما عملت عليه الحيل وكان الواسطة بينهما ابليس ولذلك ورد في الحديث ان الله تعالى ليعجب من الشاب التائب وفي رواية ان ربك ليعجب من شاب ليست له صبوة فيحتاج الناس الى رفق ورحمة وشفقة وملاطفة والاقرب بما وقع في الزنا لكثرة ميل الذكر الى الانثى بالطبع وعكسه واعلم يا أخي أن كل شئ توعد الله تعالى عليه بالعذاب والعقوبات كثيرا فانما ذلك لكون الغالب على الناس عادة وقوعهم فيه ولولا غلبة وقوعهم فيه لما احتاجوا الى مزيد تنفير وتأمل كثرة ما ورد في عقوبة الزناة وشربة الخمر دون النهي من أكل العذرة مثلا تعثر على ما قلناه لان الشارع لما علم نفرة الطباع من أكل العذرة بالوازع الطبيعي اكتفى بذلك ولم يحتج الى النهي عنه بخلاف محبوبات النفوس فلا يكاد يتخلص منها الا من حفظه الله تعالى وقد ذكر وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه ان شابا من عباد بني اسرائيل كان يعبد الله في صومعة وكان من اجمل الناس وجها وكان يعمل القفاف ويبيعها في سوق بيت المقدس وكان اسمه يوحنا وكان لباسه المسوح وكان يواصل السبعة أيام وكان لونه كلون الياقوت في الصفا من كثرة العبادة ويسطع من بين عينيه النور فمر ذات يوم بباب امرأة من المخدرات فنظرت اليه جارية من جواريها فقالت ياسيدتي قد مر ببابنا شاب من أجمل الناس وجها كأنه جوهر منظوم فقالت لها ويحك أدخليه الدار حتى ننظر اليه ونشتري منه فجعل كلما دخل بابا أغلقوا الباب من ورائه حتى بلغ المجلس فاذا فيه شابة من أجمل الخلق جالسة على سرير مشيد بالجوهر وعليها قميص كأنه ماء مسكوب فبقيت شاخصة تنظر اليه لا تقدر على منع نفسها من رؤيته فقال لها ياأمة الله اما أن تشتري واما أن أذهب فصارت

تباسطه وهو يقول لها اما أن تشتري واما أن اذهب فقالت له انما أدخلتك بيتي لاحكمك في نفسي قال ويحك اني قرأت كتاب الله الانجيل ولا ينبغي لمن قرأ كتاب الله أن يعصيه قالت له امش معي الى داخل هذه الخزانة فاذا هي مملوءة ذهبا وجواهر فقالت له هذا كله لك ان وافقتني على ما أريد فقال ائتني بماء حتى أغتسل فلما اغتسل قدمت له منديلا مضمخا بالطيب والمسك والكافور والعنبر رجاء أن يتنشف فيه فلما رأى منها الجد قال لها اما أن تفتحي لي أخرج واما أن ألقي نفسي من فوق هذا السطح وكان علوه ثمانين ذراعا في الهواء فقالت له لابد والا ألق نفسك فألقى نفسه فأمر الله تعالى الهواء أن احبس عبدي فأمسكه الهواء وبقي قائما بقدرة الله تعالى ثم قال تعالى ياجبريل أدرك عبدي يوحنا لا يهلك نفسه خوفا مني فادركه جبريل ووضعه على الارض سالما فانظر يا أخي الى شدة مراقبة هذا الفتى لربه عز وجل ولولا فضل الله عليه لوقع فكن يا أخي على العاصي كالام الشفوقة ان طلبت أن تكون من المحسنين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) غض طرفي عن رؤية النساء وما يلحق بهن أدبا مع الله تعالى من حيث كونهم في داره وتحت أمانه لا لعلة أخرى من خوف عقاب أو فوت ثواب فضلا عن وقوع في محرم ومن تامل بعين الايمان الحقيق وجد الدنيا كلها دار الحق جل وعلا وجميع ما فيها من الحريم اماؤه وعبيده فمن نظر الى واحد منهم بغير حق فقد خان ربه وعصاه في حضرته فلا ينبغي لاحد أن ينظر الى شئ من الدنيا الا على حد الامانة وقد صح في الكتاب والسنة الامر بغض البصر فيكفينا امتثال الامر ولو لم نعرف علة النهي * وفي الحديث زنا العين النظر وزنا الفم التقبيل وزنا اليد اللمس (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من نظر بعينه الى شئ مستحسن قدح في قلبه جمرة الحب ومن غض طرفه عن فضول النظر أثمر في قلبه الخشية والخشوع (وسمعت) أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من اعتنى الله تعالى به أدبه عن النظر سواء على الفور ومن لم يحصل له تأديب على ذلك فليس هو عند الله بمكان (وقد حكى) القشيري رحمه الله تعالى ان شخصا جاور بالحرم المكي خمسين سنة وهو حافظ بصره فنظر بعد ذلك الى شاب جميل الوجه فاذا بلطمة على عينه اسالتها على خده لم يعلم من لطمه وقائل يقول نظرة واحدة أسلنا بها عينك ولو نظرت ثانيا الاسلنا الاخرى * ووقع أن سليمان عليه الصلاة والسلام نظر الى مملكته مرة فسلبه الله تعالى الخاتم وكان الحق تبارك وتعالى يقول له ملت عنا الى غيرنا بخطرة فملنا عنك بمملكة * وكذلك وقع ليعقوب عليه السلام انه كان قائما يصلي فنظر الى غطيط سيدنا يوسف وهو نائم فاعجبه ذلك ففرق الله بينه وبينه سبعين سنة فلما ندم واستغفر رجع الله تعالى بينه وبينه (وسمعت) أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول مرارا اذا وجدت يا أخي في صدرك ضيقا وحرجا ففتش نفسك فربما وقعت في ذنب ولم تحتفل بأمره فنبهك الله تعالى بذلك الضيق لتتوب وتتذكر ذنبك فان الله تعالى اذا اعتنى بعبده أدبه فورا على ذنبه وكل كامل يحب التأديب فورا خوفا من سقوطه وهبوطه من عين رعاية الله عز وجل ألا ترى الوالد الشفيق لا يكاد يغفل عن زلة ولده طرفة عين وأما زال الناس فربما تغافل عنه وذلك لان ولده موصول به فلابد من تأديبه في الحال والغير مفصول عنه فلابد فيه من الاحتمال انتهى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) غيرتى على أذنى أن تسمع زورا أو باطلا وما لا يحل لى سماعه لكونى أسمع بها كلام الله جل وعلا وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الائمة رضى الله تعالى عنهم فضلا عن علة أخرى وكذلك القول فى النظر والكلام فانا بحمد الله تعالى أغار على عينى أن تنظر الى غير ما أمرت أن تنظر اليه وأغار على لسانى أن يتكلم بغير ما أمر به وهذا خلق غريب فى هذا الزمان فان استعمال العضو فى الاشياء الشريفة وهو نجس قذر فى غاية سوء الادب (وقد كان) سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول لاصحابه اياكم أن تذكروا اسم الله أو تتلوا كلامه بلسان عصيتم الله تعالى به قبل حصول التوبة الشرعية فان ذلك سوء أدب مع الله تعالى وقد قال بعضهم وحكم من فعل ذلك كحكم من وضع شيأ من كلام الله فى قاذورة ولا شك فى كفره قال ومن تامل وجد القذر المعنوى كالقذر الحسى على حد سواء فاياكم ثم اياكم انتهى * ورأيت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يوما وقد سمع الاذان فلم يجب المؤذن الا بتخشع زائد فقلت له فى ذلك فقال خرج خلقى على شخص فقلت له كلمة قبيحة فاستحييت أن أذكر الله بلسان وفم تقذر بتلك الكلمة الا بعد أن اتوب واخشى أن لا أكون من المقبولين انتهى وسمعته مرة أخرى يقول لشخص رآه يتكلم بكلام العياق يا أخى انما خلق الله تعالى للعبد السمع واللسان ليسمع به الخير ويتكلم به الخير كالقرآن والحديث والاذان وتكبيرة الاحرام من الامام والنصح ممن نصحك ولم يخلقه لسماع الملاهى والغيبة والبهتان والكذب والنميمة والكلام اللغو فانه هو الداء الدفين فاياك يا أخى من استعمال سمعك ولسانك فيما لا يعنيك فانه خسران وان سبق لسانك الى شئ من ذلك فاستغفر الله على الفور * وسمعته مرة أخرى يقول السمع كزجاجة وفضول الكلام كالاحجار فتى رميت الاحجار فى تلك الزجاجة انصدعت وتكسرت انتهى فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) شدة ندمى على اجتماعى بأحد من الامراء لغير غرض شرعى وكراهتى للظالم منهم ولو مع محبته هو لى وعمل الحيلة على عدم اجتماعى به جهدى الا لمصلحة شرعية وذلك لعجزى عن الخلاص من تبعة صحبته فانى واحد من الناس وكل ما رأيته يقع من غيرى فى حق كبير اذا صحبه أخشى أن يقع منى نظيره وقد رأيت أحدهم يوافق الملك أو الامير على كل ما يهواه فلا يكاد ينكر عليه منكرا وان قدر عليه بل ربما زين له الوقوع فى الظلم وقال انك لم تنزل هذا البلاء على الرعية وانما الله تعالى هو الذى أنزله على عباده فكأنه يذم الله تعالى ويشكر ذلك الامير ويسخط الله تعالى ويرضى ذلك الامير ومن أعظم ما يقع فيه أكله من طعام ذلك الامير وعدم امتناعه اذا دعاه الامير للاكل من طعامه وقد أدركنا الفقراء وهم يذهبون الى ولائم الامراء اذا دعتهم ضرورة الى ذلك ولكن لا يأكلون لهم طعاما منهم سيدى الشيخ محمد بن عنان وسيدى الشيخ أبو الحسن الغمرى وسيدى الشيخ محمد العدل وسيدى الشيخ عبد الحليم فيذهب أحدهم برغيف فى كمه فاذا مدوا السماط أكل من ذلك الرغيف بحيث لا يشعر به الامير (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تخالطوا أحدا من الامراء أو تأكلوا له طعاما أو تسكتوا على ما ترون فى مجلسه من المعاصى القولية أو الفعلية فقد كان السلف الصالح مثل سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه وطاوس اليمانى رضى

الله تعالى عنه يحذرون لاجل ذلك من الدخول عليهم ثم ان دعت ضرورة الى الاجتماع بهم أو حصل الاجتماع بحيلة من الحيل نصحوهم وخوفوهم وزجروهم وهذا متعذر على من يدخل عليهم اليوم * قال ولما قدم هشام بن عبد الملك مكة طلب الاجتماع بطاوس اليمانى فلم يجبه طاوس الى ذلك فعمل عليه الحيلة حتى اجتمع به فلما دخل عليه طاوس لم يسلم عليه بسلام الخلفاء وانما قال السلام عليك يا هشام كيف حالك وخلع نعليه بحاشية البساط وجلس بجانبه فغضب هشام لذلك حتى هم بقتله فقال له الوزير يا أمير المؤمنين أنت فى حرم الله عز وجل فقال هشام ما الذى حملك على ما صنعت فقال وماذا صنعت فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تجلس بين يدىّ ولم تقبل يدى ولم تقل السلام عليك يا أمير المؤمنين كما يقول غيرك وسميتنى باسمى ولم تكننى فقال طاوس أما ما فعلت من خلع نعلى بجانب بساطك فانى افعل ذلك كل يوم خمس مرات بين يدى الله فى بيته فلا يعاقبنى ولا يغضب علىّ وأما عدم تقبيلى يدك فانى سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه ينهى عن تقبيل يد الملوك الا من عدل وأنت لم يصح عندى عدلك وأما عدم قولى لك يا أمير المؤمنين حين سلمت عليك فليس كل المسلمين راضين بامرتك عليهم فخشيت أن أقع فى الكذب وأما كونى لم أكنك فان الله تعالى قد كنى أبا لهب لكونه عدوه ونادى أصفياءه بأسمائهم المجردة لكونهم أحباءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وأما جلوسى بجنبك فانما فعلته اختبارا لعقلك فانى سمعت على بن أبى طالب يقول يختبر عقل الامير بجلوس آحاد الناس بجانبه فان غضب فهو متكبر من أهل النار فاخذت هشاما الرعدة وخرج طاوس من عنده بغير استئذان فلم يعد اليه انتهى فان كنت يا أخى تقدر على خطاب الامراء بمثل ذلك فادخل عليهم والا فابعد عنهم وقد تقدم فى الباب الثالث أنى لم أدخل على الباشا الا بعد ارساله رسولا يستأذننى فى نزوله الىّ أو طلوعى له فرأيت طلوعى له أقل كلفة وأخف من نزوله هو الىّ وكذلك وقع لى مع مصطفى نائب زبيد انه عزم على زيارتى وأرسل لى الشيخ زكريا والقاضى محمد بن سودى المالكى يقولان لى تربص فى الدار شيأ يسيرا فان الباشا مصطفى جاء اليك فلم أمكنه من ذلك وذهبت أنا اليه (ومما) وقع لى من كراهتى للظلمة مع شدة اعتقادهم فىّ أن شخصا منهم شرع فى ظلم على أهل مصر وأرسل يأخذ بخاطرى عليه فجردت له سيف المقاطعة ورتبت الفقراء للدعاء عليه حتى أخرجه الله تعالى من مصر هاربا ولم أمل اليه لكونه يعتقدنى وهذا أمر قلّ أن يقع من أحد من أقرانى بل رأيت بعضهم يجيب عنه ويحمل أفعاله الرديئة على أحسن المحامل ولذلك وقعت له العقوبة بعده من نائب مصر ومات على اثرها فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) الرحمة باطنا لمن قدر الله تبارك وتعالى عليه شيأ من أمارات الساعة المذمومة التى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والانكار عليه ظاهرا قياما بواجب الشريعة ان كان من جاءت علامة الساعة على يده مسلما سألت الله تعالى أن يغفر له ويدبره بحسن التدبير وان كان غير مسلم سكت عنه على أن علامات الساعة التى أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم ليست كلها مذمومة بل فيها ما هو مذموم وفيها ما هو غير مذموم فقد روى مالك وغيره عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه كتب الى سعد بن أبي وقاص بالقادسية أن يوجه فضلة بن معاوية الانصاري الى حلوان العراق فذكر الحديث الى أن قال فلما أذن المؤذن سمعنا شخصا يجيبه ولانرى شخصه فقلنا له من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أسكنني هذا الجبل ودعالي بطول البقاء الى نزوله من السماء ثم انفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فسلم علينا واختفى * وكان من جملة ما أخبر به من علامة الساعة أنه قال اذا فعلت أمة محمد هذه الخصال فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا في غير مناسبهم وانتموا الى غير مواليهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم وترك المعروف فلم يؤمر به وترك المنكر فلم ينه عنه وتعلم عالمهم العلم ليجتاب به الدراهم والدنانير وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الارحام ووقع بيع الحكم وأكل الربا وصار الغنى عزا وخرج الرجل من بيته فقام اليه من هو خير منه فسلم عليه وركب النساء السروج فانظر يا أخي الى هذه العلامات فان فيها ما ليس مذموما شرعا كنحو قيام الرجل لمن ليس هو خيرا من القائم لغرض شرعي من القائم (قال) الامام مالك رضي الله تعالى عنه ولما كتب سعد بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل جبلا بناحية العراق انتهى (فعلم) ان من كمال عقل الرجل في هذا الزمان كثرة الالتجاء الى الله تعالى بأن يلطف به فيما سبق به علمه فان العبد لايدري الى أين مصيره ولاهل سبق في علم الله تعالى أن يكون عبرة لمن بعده أم لا والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة تعظيمي لمن ينصحني وزيادة محبته على من يسكت عن نصحي ويحملني على محامل حسنة فان الناصح أنفع لي ممن يحجب عني وقد نصحني انسان مرة فأعطيته جوختي ومرة أعطيته صوفي ومرة أعطيته عمامتي وأقسمت عليه بالله تعالى أن لايترك نصحي خوفا من تغير خاطره قياسا على غيري وهذا الشخص هو الذي ظفرت به طول عمري من الناصحين فجزاه الله عني خيرا وفسح في أجله (وكان) سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه يقول اياك أن تظهر كراهة الناصح لك فينقطع عنك النصح بل اقبل نصيحته بوجه طلق وسمع مصغ وشكر جميل وصدقه فيما نصحك به وأنصف يا أخي من نفسك فان المرء لايرى عيب نفسه غالبا انما يراه أصحابه وربما أن ذلك الناصح كتم عنك من عيوبك ومساويك أكثر مما أبداه لك اذا خاف شرك وأنا أعلمك ميزانا وهو ان كل شئ استحسنته من غيرك فافعله مع اخوانك وكل شئ استقبحته من غيرك من القبائح فاجتنبه والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة أخيه المؤمن أي يرى في أخيه المحاسن فيعمل بها والقبائح فيجتنبها ولولا أخوه المؤمن لربما كان لايرى تلك العيوب لغلبة الهوى عليه ومحبته لنفسه والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) موت أبي وأمي قبل بلوغي حد التكليف ولو أنهما عاشا حتى بلغت لربما وقعت في قلة الادب معهما أو في العقوق لهما ولو مرة واحدة وليس بعد حق الله

تعالى ورسوله أعظم من حق الوالدين سواء كانوا آباء الجسم أو آباء الروح كالنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الدعاة الى الله تعالى وقل ولد يسلم من وقوعه في العقوق لوالديه أو أحدهما * وقد أوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام اياك أن تعق والديك فان من عق والديه غضبت عليه ومن غضبت عليه لعنته الى رابع أهل بيته فاطلب رضا والديك فان أرضيتهما فأنا أبارك فيك الى رابع أهل بيتك انتهى فعامل أبويك بما عامل به الانبياء آباءهم ألاترى الى ابراهيم عليه السلام حين نادى أباه بقوله يا أبت لاتعبد الشيطان فناداه باسم الابوة دون أن يناديه باسمه المجرد تأدبا معه وكذلك يوسف عليه السلام في قوله يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا فلم يدعه باسمه اقتداء بأبيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن دعا أباه باسمه صار عاقا له فكيف بمن جفاه لاسيما وقد أمرك الله تعالى أن تعامل أباك من جهة الظهور بالمعروف أما آباؤك في الدين فربما كان أحدهم أحق وأجل مقاما ولايخفى ان أجل آباء الدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمك الله الادب معه في نحو قوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقال لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الآية فانه صلى الله عليه وسلم أبو أهل دين الاسلام كلهم وأعلمك بجلالته في قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله فعلمك الادب مع آباء الدين كما علمك الادب مع آباء الظهور وحق الوالد ضعفا حق الوالد العرفي واذا كان الله تبارك وتعالى أمر خليله وحبيبه بتعظيم أبويه الكافرين وتبجيلهما فكيف بالابوين المؤمنين (وكان) سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من حق والديك عليك أن تسمع كلامهما وتقوم لقيامهما وتمتثل أمرهما ولاتمشي أمامهما ولاترفع صوتك فوق صوتهما ومن حقهما عليك أن تحرص على تحصيل مرضاتهما وخفض الجناح لهما ولاتمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولاتنظر اليهما شزرا ولاتقطب في وجوههما ولاتسبقهما الى أطايب الطعام اذا أكلت معهما بل آثرهما على نفسك انتهى (فعلم) أنه ليس للعقوق ضابط في الشرع انما هو عام في سائر ما يخالف غرض الوالدين من سائر المباحات كما قاله شيخ الاسلام السراج البلقيني رحمه الله تعالى والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم سؤالي الله عز وجل أن يعطيني المنازل العالية في الجنة الآن ووطنت نفسي على كثرة الصبر على البلاء فان البلاء مقرون بذلك وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ولاشك أن من طلب أن يكون أميرا فهو أقرب الى الملك ممن طلب أن يكون خادما لدواب الملك فكثرة البلاء يتبعها كثرة النعيم في الجنة وعكسه * وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه يقول اذا أراد الله تعالى أن يصافي عبدا من عبيده لم يذر له أهلا ولا ولدا ولا مالا ثم بعد ذلك يصافيه انتهى فوطن نفسك يا أخي على البلاء في جسمك ومالك وولدك ثم اطلب من ربك القرب من حضرته * ولما ابتلى الله تعالى زكريا عليه السلام بالنشر ووصل المنشار الى دماغه قال آه فأوحى الله تبارك وتعالى اليه أما تقدم منك طلب القرب مني أما علمت أن أهل حضرتي هم أكثر من

ينزل عليهم بلائى أما علمت أن من أسمائى الصبور ان قلت آه مرة ثانية لأمحون اسمك من ديوان النبوة وأوحى الله تعالى أيضا الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى أتحب أن يدعو لك كل شئ طلعت عليه الشمس والقمر قال نعم قال فاصبر على جفاء خلق كما صبرت أنا على من يأكل رزقى ويعبد غيرى فانه يسترزقنى مع ذلك فأرزقه (فعلم) أن أولياء الله تعالى مكلفون بالصبر والتجلد وعدم الضجر والانين ومن طلب أن يزاحمهم على ذلك من غير ولاية الله تعالى له هلك ولم يصل الى ماطلب بخلاف من اختصهم الحق تعالى لحضرته فانهم لايزدادون بالبلاء الاحباله سبحانه وتعالى فأين أنت منهم يامن لاتقدر على عض ناموسة * وقد ورد أن الله تعالى أرسل ملكا لشخص من أوليائه وهو ساجد فقال ان ربك يقول لك سلنى ماشئت فلو سألتنى أن أغفر لجميع أهل عصرك لغفرت لهم فقال الولى وعزته وجلاله ماعبدته الا به ولا أردت شيأ دونه ولو حبسنى فى النار أبد الآبدين ماطلبت الاقالة بعد أن عرفته سبحانه وتعالى فقال الله تعالى للملائكة هل فيكم من يقول مثل هذا فقالوا سبحانك لانطيق عذابك فقال الله تعالى وعزتى انه لصادق ولن يطيق الصبر الابى وبمعونتى انتهى هذا فى ولى من أولياء بنى اسرائيل وفى أولياء هذه الامة من هو أكمل منه * وقد سمع سيدى على الخواص رحمه الله تعالى شخصا يقول فى دعائه اللهم اجعلنى من أهل حضرتك فقال له اشتغل بما كلفت به من المأمورات الشرعية على لسان نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من قيام الليل وصيام النهار وكف الجوارح عن معاصى الله تعالى وأنت اذن من أهل حضرة الله تعالى فان مثال من يطلب القرب من الله تعالى من غير طريق مثال فلاح حاف جاء مكشوف العورة يتمنى على السلطان ابن عثمان مثلا أن يزوجه ابنته أو يجعله وزيراله فى هذ الوقت وذلك أبعد مايكون أين المقام من المقام بخلاف مالو كان مثل الوزير الاعظم فقد يجاب الى ذلك لكونه من أهل حضرة السلطان انتهى * وروى أن موسى عليه السلام مر على شخص فى كهف وهو ساجد يقول فى سجوده الحمد لله الذى فضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا فنظر موسى عليه السلام اليه فاذا هو مقعد وليس له يدان ولا رجلان فقال له موسى لما فرغ من صلاته وما الذى فضلك به فقال ياعبد الله فضلنى بكونه خلقنى مسلما ولم يخلقنى كافرا فرفع موسى طرفه الى السماء وقال يارب أعطه الجنة فأوحى الله تعالى اليه كأنك ياموسى تقول زده من البلاء ثم نظر موسى اليه فاذا السبع ينهش فى بطنه حتى أكله فقال موسى عليه السلام هكذا تفعل بأوليائك فقال هكذا أفعل ياموسى بأوليائى سألتنى له الجنة وهى لاتنال الا بالبلاء ولو أنك سألتنى له الدنيا لأعطيتها له انتهى والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اعطائى الخبز حقه من الاكرام والتعظيم والتقبيل ووضعه على العين وبذلك تدوم نعمته علينا ان شاء الله تعالى * وعن عائشة رضى الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فرأى كسرة يابسة فى جدار البيت وقد علاها الغبار فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلها ووضعها على عينه ثم قال ياعائشة احسنى مجاورة نعم الله عز وجل فان النعمة قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع اليهم انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تضعوا الخبز على الارض من غير حائل فان فيه

احتقارا لنعمة الله عز وجل وقال سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى يقول ما ابتلى قوم بالغلاء حتى أهانوا الحب لرخصه (وكان) يقول قلة اكرام الخبز كفر بنعمة الله المنعم فاجتهدوا فى اكرامه مااستطعتم والتقطوا مايسقط منه عند سقوطه ولاتتركوه الى آخر الطعام فان تعظيم نعمة الله من تعظيم الله وفى بعض الآثار ان القرص لايؤكل حتى يتداوله ثلثمائة وستون مخلوقا أولهم ميكائيل وآخرهم القران قال ثم يكفينا من تعظيمه أن الله تعالى جعل الطعام عديلا لرؤيته فى حديث للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه (قلت) والحكمة فى ذلك ان العبد مركب من جسم وروح فالطعام غذاء الجسم ورؤية الرب غذاء الروح والله أعلم (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا أكلت طعاما فواس منه من حضر ان أردت دوام نعمته عليك فان من أكل وعين تنظر اليه ولم يطعمها ابتلاه الله تعالى بداء يسمى النفس (وكان) يقول اذا دعاك أخوك المؤمن التقى الى طعامه فأجبه تسره ولاتجب ظالما ولافاجرا ولامن يعامل بالربا ولامن يخص الاغنياء بدعوته دون الفقراء واذا أكلت فلاتتحول حتى ترفع المائدة فان ذلك من سنة السلف الصالح فاذا غسلت يدك فادع بالبركة واستأذن فى الخروج ولاتأكل وحدك ولافى ظلمة فان ذلك من صفة الشيطان ولاتضيع من الطعام شيأ فانه ماقدم اليك الا لتأكله لالترميه على الارض وبادر الى ماسقط كالمتمر فكله فانه ورد فى الخبر أن من أكل ماسقط صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص وعن ولده وولد ولده الى رابع أهل بيته انتهى فاعمل ياأخى بهذه الآداب ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهة اجتماعى بمن دخل فى عهد شيخ من أهل عصرى وان دق على الباب لاأخرج له الا ان علمت سلامته من الآفات عند اجتماعه بى فان غالب المريدين لايخلو غالبا اذا اجتمع بغير شيخه من ثلاثة أمور اما أن يحتقره ويعظم شيخه فيمقت واما أن يعظمه على شيخه فيخون عهده ويعرض نفسه للمقت واما أن لايظهر له أمر من اعتقاد ولا عدمه فلافائدة فى الاجتماع وقد قدمنا فى هذه المنن أن هذا الخلق لايصح الالمن تخلق بالرحمة على العالم وصار أشفق على دين الانسان أن ينقص من نفس ذلك الانسان وأما من لم يتخلق بذلك فهو من المتهورين فى تضييع أوقاته وأوقات اخوانه بلانفع لاسيما ان كان ذلك المزور فى معترك المنايا وقد جاوز الستين سنة أو كان خامل الذكر بين الفقراء لايظهر عليه امارة صلاح فى الهدا والناس وقد امتحنت بحمد الله كثيرا ممن يدعى محبتى من الاشياخ فضلا عن المريدين ممن له كل يوم نحو ثلاثين نصفا أن يجعل لى منها عثمانيا فلم تسمح نفسه بمثل ذلك فبالله عليك من لاتسمح نفسه لك بمثل ذلك أو باعطائك رغيفا من خبزه فأى فائدة فى صحبته فانه اذا أخل بحقك فى هذه الدار فهو فى الآخرة أكثر اخلالا فاقتصر ياأخى من أصحاب هذا الزمان على القليل فهو أفضل لك ولهم والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رؤية شخص من النقباء الائمة المباركين الاثنى عشر من أهل البيت وقد دخلوا مصر فقال لهم ماأتى بكم الى مصر فى هذه الايام فقالوا جئنا نزور الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فانا لانعلم أحدا فى مصر يحبنا كمحبته قال الرائى ولم أعلم على

وجه الارض أحدا أنور وجها منهم ولا أحسن ثيابا ولا أحسن رائحة فان وجوههم كالاقمار * قال ورأيت أمامهم الامام على بن أبى طالب ويليه الحسن والحسين ويليهم الامام زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم موسى الرضا ثم محمد التقى ثم حسن العسكرى ثم محمد المهدى الظاهر فى آخر الزمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين انتهى فاسررت بعد رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا بمثل هذه الواقعة فانه دليل على أن أهل البيت كلهم يحبونى ويأخذون بيدى فى عرصات القيامة فانهم لا يفارقون جدهم صلى الله عليه وسلم ومن كان فى زمرة الحبيب الشفيع المشفع سيد المرسلين على الاطلاق لا يغشاه كرب ان شاء الله تعالى والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لعيالى محبة الاخوة فى الاسلام لا محبة الزوجات وكلما زادت فى الاعمال الصالحة زدت فى محبتها وكلما نقصت من الاعمال نقصت من محبتها وهذا الخلق قليل من يتخلق به من المريدين ولذلك حذر الاشياخ من محبة النساء تبعا للقرآن العظيم وفى الحديث الشريف ما تركت على أمتى فتنة هى أضر عليهم من النساء أو كما قال وانما كانت النساء فتنة لان الحق تعالى حببهن الينا بحكم الطبع ثم أمرنا بمجاهدة النفس حتى نخرج من محبتها الطبيعية الى المحبة الشرعية وقل من يصبر على مجاهدة نفسه حتى يخرج عن ذلك وايضاح ذلك أن المحبة الطبيعية تورث العبد العطب لانها شهوة نفس والحق تعالى غيور لا يحب أن يرى فى قلب عبده المؤمن محبة لغيره الا من أجله فاذا خرج العبد الى فضاء المحبة الشرعية من ضيق المحبة النفسية فقد أمن من الفتنة وما دام فى محبة الطبع فهو فى حجاب عن الله تعالى ومشتغل عن كمال طاعته (ومن هنا) قال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اياك والمرأة الحسناء فان ضررها عليك أكثر من ضرر الشوهاء لان الشوهاء تصيبك فى ظاهرك ولا تدخل محبتها قلبك والحسناء ربما سكنت محبتها فى قلبك فامتنع الحق من دخوله فباض فيه الشيطان وفرخ (وكان) أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من أكثر من مجالسة النساء فسد عقله ومنع من دخول الحكمة قلبه وفاتته الفضائل وقال بعضهم سأل آدم عليه السلام حواء وقال لم سميت بذلك فقالت لانى أحتوى على قلبك وأنسيك ذكر ربك فقال لها غيرى هذا الاسم فسمت نفسها امرأة فقال لها ما معنى ذلك فقالت أذيقك طعم المرارة فقال لها غيرى هذا فلم تغيره وفى الحديث النساء مصايد الشيطان فعلم أن النساء فخ منصوب لا يقع فيه الا من اغتر به وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والنساء فانهن كشجرة الدفلى لها ورق وزهر واذا أكل منها الحيم أسقمته وقتلته والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى لصحبة انسان الا بعد مجالسته أياما كثيرة ورؤيتى مراعاته لاوامر ربه التى تنفعه وتنفع الناس فان رأيته يخل بذلك لم أصحبه لانه اذا لم ينفع نفسه فكيف ينفع غيره وهذه ميزان نافعة لمن يريد صحبة انسان ليدخل فى صحبته على بصيرة من غير معاداة له بعد ذلك فان الغالب على الناس المصاحبة من غير تجربة ثم بعد مدة يتقاطعان ويتضاربان ويصير كل واحد يحكى عن صاحبه ما هو أهله (وكان) سيدى تاج الدين ابن عطاء الله يقول لأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن

قوله ورأيت أمامهم الخ المذكور هنا أحد عشر وبمراجعة المقريزى تعلم من سقط هنا من الناسخ أو الزائد

نفسه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من صحب الاحمق فلا يلومن الا نفسه فانه يريد أن ينفع صاحبه فيضره قال وقد بلغنا أن شخصا كان نحالا يقطف عسل النحل من كوراته وكان له صاحب جاهل لا ينظر فى العواقب فنام النحال والجاهل جالس عند رأسه فكان الذباب يعف عليه وهو ينشه عنه فلما أعجزه الذباب وهو يطير ويرجع قال ما بقى لى حيلة فى نجاة صاحبى من لدغ الذباب الا أن أرمى على وجهه صخرة فاقتل الذباب كله فقطع من الجبل صخرة على قدر وجه النائم ورأسه وجاء فرضخ بها وجهه ورأسه ليقتل الذباب كله فطار الذباب يمينا وشمالا وشدخ رأس الرجل وخرجت عيناه وذاب مخ رأسه فمات لوقته فهذا مثال نفع الجاهل لصاحبه والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم مطالبتى للعارفين والعلماء العاملين بدليل على جميع أحوالهم فان منالهم لا يفعل ما هو بدعة ومن طالبهم فى كل مسئلة بدليل فاته خير كثير لا سيما ان كان ذلك الفعل لا يهدم شيأ من أحكام الشريعة كالتسبيح على السبحة وقد بلغنى أن بعض الفقهاء يعيب على من يسبح على السبحة فقلت له الامر سهل فاستفتى العلماء فى ذلك واختلفت فتاويهم فأغنانى الله تعالى بمؤلف للشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فى الامر بالتسبيح على السبحة وان أول من سبح بها الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه (وروى) بسنده الى أبى الحسن الصوفى قال رأيت فى يد عمر بن علوان الصوفى سبحة لا يفارقها فقلت له يوما يا أستاذ مع عظيم اشارتك وسنى عبارتك أنت مع السبحة فقال لى كذا رأيت الجنيد بن محمد رضى الله تعالى عنهما وفى يده سبحة فسألته عنها فقال لى هكذا رأيت عامر ابن شعيب وفى يده سبحة فسألته عما سألتنى عنه فقال لى يا بنى هذا شئ كنا استعملناه فى بداية أمرنا وما كنا بالذى نتركه فى نهاية أمرنا فانى أحب الآن أن أذكر الله تعالى بلسانى وبقلبى وبيدى وبسبحتى انتهى فشئ تداوله التابعون ومن بعدهم الى عصرنا هذا من غير نكير فيما بينهم لا ينبغى انكاره وهو نظير ما ورد فى التسبيح على الحصى وعقد الاصابع بلا شك فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رؤيتى لجماعة من أشياخى بعد موتهم وحديثى معهم فبعضهم فرش لى سجادة خضراء لاجلس عليها وبعضهم ضمخ لحيتى بالطيب والمسك والعنبر فأما الذى فرش لى السجادة لاجلس عليها وجلس بين يدى فهو شيخنا العارف بالله تعالى سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى ولم أجلس عليها أدبا مع الله تعالى لانه كالتخيير لى فى الجلوس للارشاد وعدمه ولو أنه أمرنى بذلك صريحا لجلست كذلك ولكنه بحمد الله تعالى أذن لى فى التلقين والارشاد للمريدين قبل موته فكان أقوى اذنا من البرزخ من حيث الحكم الظاهر وأما من حيث الباطن فالبرزخ أقوى لان فيه تحقق الحقائق * وقد بلغنا عن أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه انه توضأ يوما ففرش الخضر عليه السلام له سجادة خضراء مرصعة بالجوهر والدر والياقوت فضمها القرشى ولم يجلس عليها فقيل له فى ذلك فقال لو أنه أمرنى بالجلوس عليها لجلست لارشاد الناس عن اذنه ولكنه خيرنى فى ذلك فلزمت الادب وأما الذى ضمخ لحيتى بالطيب والمسك والعنبر فهو سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه وذلك لكثرة ما أذكره بخير

والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ظنى فى الله عز وجل أنه يجيب دعائى ولو كنت أكثر أهل الارض خطايا فانى عبد والعبد لا براح له عن باب سيده فى نفس من الانفاس ولا يستغنى عن صدقته عليه أبدا ما عاش * وقد كان سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه يقول لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه من فعل القبيح فان الله تعالى أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين * وقد نقل عن بعضهم أنه قال فى مؤلفه انظر كيف أجاب دعاء أشر الخلق أجمعين وهو ابليس لعنه الله فى قوله فأنظرنى الى يوم يبعثون فأجابه حين دعاه مع كونه أبغض الخلق اليه انتهى وهو كلام فيه مناقشة كما سيأتى قريبا * وكان ابن عطاء يقول من أراد ان الله تعالى يجيب دعاءه فليتطهر من كل شئ يكرهه الله تعالى ثم يسأل حاجته بعد ذلك * وقد رأى موسى عليه السلام رجلا ساجدا وهو سارح بالغنم فلما رجع بالغنم آخر النهار وجده لم يرفع رأسه فقال لو أن ما يريد هذا بيدى لأعطيته له فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبلت منه حتى ينتقل عما أكره الى ما أحب انتهى * وأما اجابته ابليس فى انظاره الى يوم الدين فذلك لسبق الوعد لا تكرمة لابليس لانه لو لم ينظره الى يوم الدين وأماته قبل ذلك لم يصر لأهل قبضة الشقاء من يوسوس لهم بالمعاصى ولا بد لهم منها بحكم القبضتين (وكان) ابن عطاء يقول أيضا للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار فى الهواء وان وافق أسبابه أنجح وان وافق أوقاته فاز فأركانه حضور القلب والرقة والخشوع والاستكانة مع تعلق القلب وقطعه عن الاسباب كلها وأجنحته الصدق وأسبابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وأوقاته الاسحار انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من أراد أن يسأل الله تعالى شيأ فليكثر من الاستغفار ثم يدعو فان الاستغفار فى الاعمال كالعينين فى الرأس ومن خطر له فى نفسه فى وقت من الاوقات انه مستغن عن الاستغفار أو ثقل على لسانه فليعلم أن ذلك من استحواذ الشيطان على قلبه قال وقد سأل شخص من الفقراء ربه عز وجل أن يريه موضع الشيطان من قلب بنى آدم فرأى فى المنام قلب رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه وله خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى أو استغفره خنس واذا غفل عن الذكر وسوس انتهى (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اياك أن تدعو على أحد من الخلق بشر فان الله يكره ذلك بل قل اللهم ان كان فلان ظلمنى فاغفر له وأصلحه وان كنت أنا ظلمته فاغفر لى فانك وخصمك عبدان لله عز وجل ويجب على كل منكما أن يكرم عبد سيده ومن هذا الباب دعاء الانسان على نفسه فان نفسه ليست له حتى يدعو عليها ثم ان أجاب الله دعاءه رجعت العقوبة والالم على جسده وذاق مرارة ذلك فدعاؤه لنفسه أولى على كل حال انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أراد أن الله تعالى يستجيب له جميع دعائه فلا يعصه أبدا لان دعاء العاصى مردود وتأمل الملائكة كيف لا يرد لهم دعاء ومن وافق تأمينه تأمينهم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كل ذلك لانهم لا يعصون

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فمن أراد اجابة دعائه فليكن على صفات الملائكة والله ما أجاب الله تعالى دعاء ولى وقلب له الاعيان ومشى على الماء وزحزح له الجبال الا لكونه أحكم باب ترك المعاصى ولو أن كاتب الشمال كان يكتب عليه شيأ ما أكرمه الله تعالى بكرامة انتهى فافهم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين.

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اقامتى ميزان عقلى على علماء عصرى وعدم سب أحد منهم فى وجهه أو فى غيبته الا بطريق شرعى وذلك لان القدح فى علماء الاسلام مضاد لامر الله عز وجل لنا باجلال العلماء واكرامهم لا سيما وقد قرن الله تعالى ذكرهم مع ذكره فى قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم فمن سبهم وقدح فيهم فقد حط مقام من رفع الله تعالى قدره وتلك جراءة عظيمة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليس أحد من الامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلماء لانهم حملة شريعته وأمناؤه على أمته فمن أبغض عالما فقد أبغض من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان كذلك فهو عدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عدو لله عز وجل ومن كان عدوا لله عز وجل فهو عدو للخلق أجمعين انتهى (وسمعته) يقول أيضا من كان عنده كراهة لاحد من العلماء فقد خالف أمر الله تعالى فانه تعالى أمرنا بطاعة أولى الامر منا وهم العلماء ومن كره أحدا منهم فقد خرج عن طاعتهم بيقين انتهى وقد قدمنا فى هذه المنن مرارا أن من أشد مكايد الشيطان بالعامة أن يبغضهم فى العلماء فاذا أبغضوهم عدموا الاصغاء الى قولهم فضلوا وأضلوا فاياك يا أخى أن تكره أحدا من علماء زمانك واحمل ما تراه من أحوالهم على أحسن المحامل انتهى والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الخديعة أو الغدر لاحد من المسلمين وذلك من نعم الله عز وجل على فان الخداع والغدر من أقبح ما يتحلى به الرجل ومن سامح نفسه بمثل ذلك فقد رضى لنفسه ما لم يرضه الكلب لنفسه من الخساسة فان الكلب اذا أحسنت اليه حفظ لك الود ولم يخدعك ولم يغدرك (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول الغدر محبط للاعمال الصالحة ومنه يتفرع الغش والمكر والبغى والخديعة ثم يرجع ذلك على صاحبه فيؤثر فيه الهلاك * قال تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم وقال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فاياك والخديعة والمكر فانك اذا عرفت بهما حرمت فوائد الدنيا والآخرة لا سيما ان أكثرت من ذلك فانه من أكثر من شئ عرف به وحمل عليه وانظر الى أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام حين قالوا له يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون كيف قال لهم هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل وانما قال ذلك لانهم خدعوا أباهم وغدروا أخاهم فعرفهم بفعلهم السابق معه ولم يطمئن اليهم بعدما كان منهم كما اطمأن أولا وبقى عليهم توبيخ فعلهم الى آخر الابد قال العلماء وقد جربنا أن من تحلى بغدر أو خديعة ثم مات ورث ذلك منه ذريته وعقبه الى سابع ولد عقوبة له ولذريته لشدة قبحه نسأل الله العافية آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حفظي من السرقة والخيانة من منذ وعيت على نفسي الى وقتي هذا ما عدا شخصا من مدينة الخانكاه أجلسني عنده في حانوته ومضى الى حاجته فمر علي شخص يبيع حلاوة فأخذت من غلته ثلاثة نقرة واشتريت بها حلاوة واستحييت أن أذكر ذلك له وكنت اذ ذاك دون البلوغ فلما بلغت طلبت محالته من ذلك فوجدته قد مات وقد أحسنت لاولاده بأكثر من ثلاثين نصفا وما على قلبي الآن أثقل منه مع أنه كانه يحبني كثيرا وكساني بعد ذلك عمامة رمضرية بعلبكية وقميصا ووجه خرفي مع اعطائي بدل تلك الدراهم لذريته انه ربما طلب في الآخرة عين تلك الدراهم فاسأل بالله جميع الاخوان أن يسألوا الله تعالى أن يلهم هذا الرجل المسامحة لي ولعل الله تعالى يستجيب منكم ذلك وأجر الاخوان في ذلك على الله عز وجل وقد ورد في الصحيح ان الرجل ليتمنى في الآخرة أن يكون له حق على والديه ليدعى عليهما بذلك ويدخلهما النار مكانه (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الخيانة والسرقة أمران مهلكان قال والفرق بينهما أن السارق هو من يسرق ما لم يؤتمن عليه والخائن من سرق ما ائتمن عليه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامة المنافق أنه اذا ائتمن خان وفي القرآن العظيم ان الله لا يحب الخائنين وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام احذر من الامين ولا تامن الخائن فان القلوب بيد غيرك (وسمعت) أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول الخيانة تذهب البركة كما يذهب الحرام كثيرا من الحلال ومن خان في درهم جره ابليس الى الخيانة في ألف درهم وكذلك القول في السرقة فما وجدنا قط سارقا الا والبركة ممحوقة من عمره وماله ودينه ويكفينا في عقوبته أمر الحق تعالى بقطع يده أو رجله أو يديه ورجليه كما هو مقرر في الشريعة ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة في السارق وقال لا ينبغي لأحد أن يشفع في حد من حدود الله عز وجل قال وقد بلغنا أن عبد الملك بن مروان أمر بقطع يد سارق فشفع فيه اهله مرارا فلم يقبل وقال هذا حد من حدود الله فاتته أم السارق وقالت يا أمير المؤمنين انه يكتسب ويقوم بي فهبه لي فقال ليس الحرام بكسب فقالت يا أمير المؤمنين ان لك ذنوبا كثيرة فاجعل ابني ذنبا من ذنوبك واستغفر الله تعالى يغفر لك فرق لها واستحسن كلامها وأمر باطلاقه انتهى قلت ولعل عبد الملك فعل ذلك باجتهاد فاعلم ذلك وتامله والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حمايتي من أكل الحرام الصرف فلا أتذكر قط أني أكلت حراما صرفا لا عمدا ولا سهوا وأما الشبهة فقد تقدم في هذه المنن أن طعامها لا يقيم في بطني اذا أكلته ناسيا بل يخرج بالقيء وهذا من أكبر نعم الله عز وجل علي وقد أوحى الله تعالى الى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى اذا أردت أن يستجاب دعاؤك فصن بطنك عن الحرام وجوارحك عن الآثام وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من أكل حراما وأطال العبادة فهو كالحمام الذي رقد على بيض فاسد فهو يتعب نفسه في طول المقام ثم لا يفرخ شيأ بل يرجع مذرا انتهى وكان سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه يقول كنت قبل أن آكل من طعام الامراء اقرأ الآية فيفتح لي فيها سبعون بابا من العلم فلما أكلت من طعامهم صرت اقرأ الآية وأكررها فلا يفتح لي فيها باب واحد انتهى (وسمعت) أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله

تعالى

تعالى يقول من مفاسد أكل الحرام استحالته نارا فيذيب شحمة الفكر ويذهب لذة الذكر ويحرق نبات اخلاص النيات ويعمي البصيرة ويظلم البصر ويوهن البدن والعقل وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فجميع المعاصي التي يقع فيها العبد انما سببها أكل الحرام كما أن جميع الطاعات التي يفعلها العبد سببها أكل الحلال ومن أكل الحرام وطلب أن يعمل الطاعات فقد رام المحال فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) اذا دخلت على أمير أن لا أذكر له حديث الامير الذي كان قبله بخير الا ان علمت انصافه واعترافه بالنقص عن حال من قبله فان علمت عدم انصافه لم أذكر له شيأ من أحوال من قبله خوفا من اثارة نفسه وكراهته قبول شفاعتي في المستقبل وهذا الامر يتعين فعله الآن مع ولاة هذا الزمان فان غالبهم صار بحكم القانون ليس له عدو الا من كان من أصدقاء الامير الذي كان قبله في وظيفته وربما سلب نعمة جميع أصحاب من كان قبله فاعلم يا أخي ذلك ولا تغتر بما تراه في كتب التواريخ من مدح علي بن أبي طالب عند معاوية ونحوهما رضي الله عنه فان هؤلاء كانوا أئمة يهتدى بهم وفازوا بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الثاني لا يبطش بأصحاب الاول ولا يؤذي من مدحه انما يتعظ بذلك أو يكتم ما عنده وقد حكى الشعبي رضي الله تعالى عنه ان عمارة بنت الاسد استأذنت على معاوية رضي الله تعالى عنه فاذن لها فلما دخلت عليه قال لها جئت يا ابنة الاسد أنت القائلة يوم صفين تنشدين أخاك وتقولين

شمر كفعل أبيك يا ابن عطية * يوم الطعان وملتقى الاقران

وانصر عليا والحسين ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان

ان الامام أخو النبي محمد * علم الهدى ومنارة الايمان

قد للجيوش وسر امام لوائه * قدما بابيض صارم وسنان

فقالت نعم يا أمير المؤمنين وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب قال لها فما حملك على ذلك فقالت حب علي واتباع الحق فلما أطال عليها القول عن أحوال علي رضي الله تعالى عنه قالت أعفني يا أمير المؤمنين فقال قد أعفيتك فما حاجتك قالت يا أمير المؤمنين انك أصبحت للناس سيدا ولامورهم واليا والله سائلك عن أمرنا وعما افترض عليك من حقنا ولا يزال يؤتينا من يفتخر علينا بعينك ويبطش فينا بلسانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دياس البقر هذا ابن أرطاة قدم علينا فقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فقال تهدديني بقومك ونهرها فبكت وولت وهي تنشد

صلى الاله على قبر تضمنه * روح فاصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا * فصار بالحق والايمان مقرونا

فقال معاوية ومن ذلك فقالت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال وما علمك به فقالت أتيته مرة وشكوت اليه واليا فعزله في الوقت فقال معاوية ويحكم اكتبوا لها برد مالها واحكموا لها بالعدل فقالت يا أمير المؤمنين الي خاصة أم لقومي عامة فقال ومالك ولقومك فقالت هي والله اذا الفحشاء واللؤم ان لم يكن عدلا شاملا والا فانا كسائر قومي فقال معاوية علمكم علي بن أبي طالب الجراءة على السلطان اكتبوا لها بحاجتها انتهى وقد كان معاوية مشهورا بالحلم فان

وجدت يا أخى عندك فصاحة وعبارة مفحمة وانقيادا للحق من أمير فاذكر له فضائل الامير الذى قبله والافلا تتعرض لمدح أحد غيره ودرمع الزمان والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تأدبى مع الامير الذى لى عليه أيادى قبل أن يتولى تلك الولاية التى هو فيها ولا أطلب منه ان يدخل تحت حكمى ويفعل كل شئ طلبته منه فان ذلك كالة كليف بما لا يطاق فانه أتم نظرا منى واذلك ولاه الله البلاد والرقاب ولا أمسك عليه ما كان وعدنى به قبل ولايته أو أيام عزله من أنه يطاوعنى فى كل ما أرومه منه فان ذلك ليس هو فى يده فانه يصير ينظر فى مصالح الناس بعين لا أنظر أنا اليهم بها ويجب العمل عليه بكل ما ظهر له أنه حق ولا يجوز له تركه لما رأيته أنا ومن هنا قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه اذا ولى أخوك ولاية فارض منه بعشر وده واقباله الذى كان يفعله معك قبل ولايته انتهى فعلم انه ليس للواحد منا ان يمسك على أحد من الولاة العمل بما كان عاهده عليه ولا اقامة الحجة عليه بانه ظالم الا اذا وثق بوفائه بعهده ووعده وقد حكى الكلبى عن رجل من بنى أمية قال حضرت معاوية وقد أذن للناس اذنا عاما فدخلت عليه امرأة وقد رفعت لثامها عن وجه كالقمر الذى شرب من ماء البرد ومعها جاريتان لها فخطبت للقوم خطبة بهت لها كل من هنالك ثم قالت وكان من قدر الله تعالى أنك قربت زيادا واتخذته أخا وجعلت له فى آل سفيان نسبا ثم وليته على رقاب العباد فسفك الدماء بغير حلها ولا حقها وينتهك المحارم بغير مراقبة فيها ويرتكب من المعاصى أعظمها لا يرجو لله وقارا ولا يظن ان له معادا وغدا يعرض عمله فى صحيفتك وتوقف على ما اجترم بين يدى ربك فماذا تقول لربك يا معاوية غدا وقد مضى من عمرك أكثره وبقى ايسره وشره فقال لها من أنت فقالت امرأة من بنى ذكوان وثب زياد المدعى انه من بنى سفيان على وراثتى من أبى وأمى فقبضها ظلما وحال بينى وبين ضيعتى ومسكة رمقى فان أنصفت وعدلت والا وكلتك وزيادا الى الله تعالى وان تظل ظلامتى عنده وعندك فالمنصف لى منكما الحكم العدل فبهت معاوية منها وصار يتعجب من فصاحتها ثم قال ماز يادا لعنه الله مع من ينشر مساوينا ثم قال لكاتبه اكتب الى زياد أن يرد لها ضيعتها ويؤدى اليها حقها انتهى (قال) وقد بلغنا ان عبد الملك بن مروان خطب يوما بالكوفة فقام اليه رجل من آل سمعان فقال مهلا يا أمير المؤمنين اقض لصاحبى هذا بحقه ثم اخطب فقال وماذاك فقال ان الناس قالوا والله ما يخلص ظلامتك من عبد الملك الا فلان فجئت به اليك لانظر عدلك الذى كنت تعدنا به قبل أن تتولى هذه المظالم فطال بينه وبينه الكلام فقال له الرجل يا أمير المؤمنين انكم تأمرون ولا تأتمرون وتنهون ولا تنتهون وتعظون ولا تتعظون أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم فان قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا فكيف ينصح غيره من غش نفسه وان قلت خذوا الحكمة حيث وجدتموها وأقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام قلدناكم أزمة أمورنا وحكمناكم فى دمائنا وأموالنا أو ماتعلمون ان منا من هو أعرف منكم بصنوف اللغات وأحكم بوجوه العظات فان كانت الامامة قد عجزت عن اقامة العدل فيها فخلوا سبيلها وأطلقوا اعقالها يبتدرها أهلها الذين قاتلتموهم فى البلاد وشتتم شملهم بكل واد أما والله لئن بقيت فى يدكم الى بلوغ الغاية واستيفاء المدة لتضمحل حقوق الله تعالى وحقوق العباد فقال له كيف ذلك فقال لان من كلمكم فى حقه زجر ومن

سكت

سكت عن حقه قهر فلا قوله مسموع ولا ظلمه مرفوع ولا من جار عليه مردوع وبينك وبين رعيتك مقام تذوب فيه الجبال حيث ملكك هنالك خامل وعزك زائل وناصرك خاذل والحاكم عليك عادل فاكب عبد الملك على وجهه يبكى ثم قال له فما حاجتك فقال عاملك بالسماوة ظلمنى وليله لهو ونهاره لغو ونظره زهو فكتب اليه باعطائه ظلامته ثم عزله انتهى فان وجدت يا أخى أحدا من الامراء عنده هذا الانصاف فطالبه بالوفاء بما كان وعدك به من العدل والطاعة لك قبل ولايته والا فالن له القول وأقم له العذر وانصرف وقد سمعت مرة سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول والله لو تولى الخضر عليه السلام والقطب شيأ من ولايات هذا الزمان لما قدرا ان يفعل مع الناس الا ما يستحقونه باعمالهم ثم قال انما هى أعمالكم ترد عليكم الحديث فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) زيادة تبجيلى وتعظيمى لكل من زاد على فى تحمل الاذى وأكثر الناس عليه فى تجريح عرضه فان كل من زاد بلاؤه ازداد رفعة عند الله تعالى وعند الخلق فقد بلغ الغاية فى الرفعة فلا عذر لاحد فى قلة تعظيمه ومحبته وهذا خلق غريب قل من يتنبه له من الناس بل غالبهم يحتقرون من أكثر الناس فى تجريحه حتى لا يكادون يثبتون له مقام الاسلام فضلا عما فوقه وفى الحديث أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل فجعل مقام المبتلى يلى مقام النبوة ولم يفصل فى الحديث بين بلاء الابدان ولا بلاء الاعراض فشمل كل شئ يتأذى به الانسان فكما أن الناس يعظمون من ابتلاه الله تعالى فى بدنه وصبر كذلك ينبغى ان يعظموا من ابتلى فى عرضه أو دينه وصبر وتقدم بسط ذلك فى الباب الثانى من هذا الكتاب فراجعه تظفر به وترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) الهامى لقراءة السور الفاضلة والآيات العظيمة فى قيام الليل اذا ضاق الوقت عن قيام العادة فمن السور القصيرة ما يعدل نصف القرآن ومنها ما يعدل ثلثه ومنها ما يعدل ربعه ومنها ما يعدل ألف آية وهكذا وكذلك من الآيات ما يعدله ألف آية كآية الكرسى وآخر سورة الحشر وهذا من جملة نعم الله تعالى على ضعفاء هذه الامة حتى لا يفوتهم شئ من مقام الاقوياء وقد حررت ألف آية من أول سورة البقرة الى قريب من قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فى سورة الانفال فاذا ضاق وقتك يا أخى وخفت طلوع الفجر قبل قراءة عادتك فى التهجد فعليك بآية الكرسى وآخر سورة الحشر وقل هو الله أحد وكرر قراءة ذلك فى كل ركعة تلحق بمن قرأ القرآن كله فى ركعة وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقرأ آية الكرسى ثلاث مرات فى ثلاث أحايين فى كل ليلة فيقرؤها قبل الركعتين بعد صلاة العشاء الآخرة ويقرؤها اذا أخذ مضجعه ويقرؤها عند وتره فى السحر واقتدى به فى ذلك جماعة الى عصرنا هذا كأبى امامة والقاسم بن محمد وعلى بن أبى يزيد وأبى العالية والحافظ السلفى والحافظ الدمياطى والحافظ ابن حجر وشيخنا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنهم أجمعين وهذا يشبه ما قاله الامام مالك رضى الله تعالى عنه فى ليلة القدر ان الله تعالى لما سبق فى علمه قصر أعمار هذه الامة بالنسبة لاعمار الامم السالفة جعل لهم قيام ليلة القدر يعادل قيام نحو ثلاث وثمانين سنة وذلك هو العمر الغالب فمن قام ليلة القدر ثلاثين سنة مثلا كان كمن قام

ثلاثين ألف شهر وأفضل لانه تعالى قال خير من ألف شهر فافهم واياك ان تستصغر حصول ذلك الاجر المذكور فان مقادير الثواب لا تدرك بالقياس فاقبل ذلك ايمانا كما ورد ولا تقل كلام الله تعالى كله واحد راجع الى ذات واحدة فكيف صح التفاضل فيه والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم ظنى ان اعمالى تحمينى الآن من وقوع العذاب على فى ساعة من ليل أو نهار كما كان الامر فى الزمن الماضى حين كان عزم المؤمن قويا ينفذ فى الجبل ويؤثر فيه من شدة عزمه وحسن اخلاصه ومن كشف عنه الحجاب اليوم رأى أعماله للطاعات لا تحميه من وقوع العذاب حال تلبسه بها فكيف تحميه منه بعد وقوعها وتطاول المدد وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول صفات الخلق تشير الى صفات الاسماء الالهية كما أشار الى ذلك سيدى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

على سمة الاسماء تجرى أمورهم * الى آخر ما قال وقد صارت الحكام الآن لا يقبلون على الانسان الا بقدر ما يأخذون منه من الرشوة فقط فاذا اخذوا الرشوة فكأنهم لم يعرفوا اصاحبهم نظير ما قلناه فى عدم حمايات الطاعات اصاحبها انتهى وقد كنت أنا أحس بحماية نفسى فى الزمن الماضى اذا عملت طاعة من الجمعة الى الجمعة واجد الانشراح عقب ذلك زمانا طويلا وكان ذلك كالعنوان على رضا الله عز وجل عنى فصرت الآن ربما ينقبض خاطرى ساعة فراغى من تلك الطاعة هذا أمر شهدته فى نفسى وكان العبد فى الزمن الماضى اذا عمل طاعة لا يفى عمره باستيفاء ما يحصل منها من الخير بل ينتقل ذلك الى ذريته الى رابع بطن وأكثر فالعاقل من عرف زمانه ووزن أعماله بميزان السلف ليعرف افلاسه من الخير ويتوب الى الله ويستغفره قبل موته والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكليفى لاصحابى من الاعمال ما لا يطيقونه عادة وذلك انى أنظر الى مقدمات أحوالهم فان رأيت أحدهم يقبل الزيادة فى الاعمال والعناية الربانية تحفه أرشدته الى زيادة الاعمال وان رأيت نفس أحدهم زاهقة من العبادة الزائدة على الفرائض امرته بالنقص من طاعاته وذلك حتى لا يقف بين يدى ربه بقلب مدبر عنه اذ الكسل والفشل لا يبقيان على العبد شيأ من الاقبال على الله تعالى ولا من الحضور معه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول كثيرا الخلق على أربعة أقسام ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم فالملائكة عقول بلا شهوة ولا هوى والبهائم شهوات بلا عقول والشياطين عقول وشهوات وكذلك بنو آدم لكن الشياطين غلبت شهواتهم على عقولهم فقطعوا اعمارهم متخلقين بالاخلاق المذمومة من كبر وعجب وفخر وحقد وغل وحسد ومكر وخديعة وغضب وغيرها من الاخلاق المهلكة وأما بنو آدم فمن غلبت شهوته منهم على عقله التحق بالشياطين ومن غلب عقله على شهوته التحق بالملائكة وسمعته مرة أخرى يقول قد اجتمع فى بنى آدم عقول الملائكة وأخلاق الشياطين والبهائم فمن غلبت عليه شهوات بطنه وفرجه فهو من جملة البهائم وسمعته مرة أخرى يقول بنو آدم على أربعة أقسام فى الاخلاق فمنهم من غلب عقله على هواه وشهوته فالتحق بعالم الملائكة كالانبياء والاولياء والصالحين وقليل ما هم ومنهم من غلبته شهوته وأسرته لذته فاصبح يكرع فى اللذات وينهمك فى الشهوات المباحة من المطاعم والملابس والمناكح

كما

كما أشار اليه قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة الآية فهؤلاء من عالم البهائم ولو اكتسبوا ذلك من الحلال وأنفقوه فى المباح لانهم يتنعمون ويأكلون كما تأكل الانعام وانما الحقناهم بالبهائم من حيث انه لا تكليف على البهائم وكذلك لا حرج فى الشريعة على متعاطى هذه المباحات والاستمتاع بها على الوجه الشرعى ومنهم من غلبت عليه أخلاق الشياطين من الكبر والفحش والغل والحقد والحسد والمكر والغش والخداع وغيرها من اخلاق الشياطين فهو من عالم الشياطين ومنهم من اجتمع فيه افراط الشهوة واتباع الهوى والاخلاق المذمومة وهو مع ذلك يكتسب المال من غير حله وينفقه فى غير حله فمثل هذا يكون آدميا فى صورته وشيطانا فى اخلاقه وبهيمة فى شهوته قال وهذا القسم أرذل الاقسام فنعوذ بالله من عمى البصيرة وظلام السريرة واتخاذ الهوى الها من دون الله تعالى ولاهل كل قسم أدوية وعلل تناسبه كما يعرف ذلك المسلكون لانه يضيق الكتاب عن تفاصيلها انتهى فتأمل يا أخى ما ذكرناه وأنزل أهل كل قسم منزلته تكن حكيم الزمان والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى لقرب الحق تبارك وتعالى منى فى حال سجودى كحال قيامى على حد سواء بالنسبة اليه سبحانه وتعالى لان الله يقول واسجد واقترب ولم يقل قم واقترب فالحجاب راجع الىّ لا الى الحق تبارك وتعالى بحسب تواضعى وتكبرى فان تواضعت شهدت قربى من حضرته وان تكبرت شهدت بعدى منها هكذا شأن العبد مع الحق على الدوام والحق تعالى من حيث نفسه قريب على الدوام وقد سئل الامام أبو المعالى رحمه الله تعالى ما الدليل على أن الله لا تأخذه الجهات فقال الدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على أخى يونس بن متى عليه السلام وهذا دليل شرعى عقلى ووجه الدلالة منه أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى قاب قوسين أو أدنى كان فى أعلى ما يكون من العلو ويونس عليه السلام لما كان فى بطن الحوت كان فى أسفل ما يكون من الانخفاض فى ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر (وقد) بلغنا ان الحوت سار به فى مدة أربعين يوما مقدار اربعة آلاف سنة حتى طاف به السبعة أبحر والدجلة والفرات ونيل مصر الى ان انتهى به الى اللجة الخضراء فلم يكن يونس عليه السلام أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قاب قوسين ولا عكسه من حيث المسافة بل كان قربهما من الله تعالى واحدا والبرهان الصحيح يشهد ان القائم أقرب الى السماء من الساجد من حيث المسافة لكن ذلك مستحيل فى جانب الحق تبارك وتعالى لانه ليس بجسم ولا تحويه الاقطار وهو بكل شئ محيط (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قرب الحق تعالى من عبده انما هو بالرحمة والرضوان كما أشار اليه قوله تعالى واسجد واقترب وقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد أى فكما أن الحق تبارك وتعالى يقصد بالدعاء عادة من جهة السماء فكذلك يقصد عادة من جهة الارض وكلاهما يسمى عروجا وفى الحديث لو دليتم بحبل لهبط على الله وفى الحديث أيضا ان الله تعالى قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول (فعلم) ان رفع أكفنا الى السماء لا يلزم منه تحيز الحق تبارك وتعالى انما ذلك امتثال الامره من حيث كانت السماء محلا لنزول الامدادات الالهية على جارى عوائد فضله

السابقة فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى من منذ وعيت على نفسى لكثرة ذكر الله تعالى وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من سنة أربع عشرة وتسعمائة عام بلوغى فسألت الله تعالى أن يرزقنى ذلك بين الباب والركن وفى مقام أبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتحت الميزاب ولم يكن شئ أحب الى فى تلك الجهة من سؤالى الله عز وجل أن يرزقنى ذلك الهاما منه تبارك وتعالى فمن جعل الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله فاز فى الدارين بفضل الله ورحمته لان الله تبارك وتعالى هو السيد الاعظم وليس عنده أحد من الوسايط أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يرد تعالى له سؤالا فى شئ سأله فيه لاحد من أمته واذا علم الانسان ان السلطان لا يرد كلام الوزير الاعظم عنده فمن العقل ان طالب الحاجة لا يبرح عن باب الوزير ليقضى له حوائجه فى الدنيا والآخرة (وقد) روى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت حمزة وجعفرا وكان بين أيديهما طبق كله نبق كالزبرجد فيأكلان منه فقلت لهما ما وجدتما من أفضل الاعمال والاقوال فقالا لا اله الا الله قلت ثم ماذا قالا الصلاة عليك يا رسول الله قلت ثم ماذا قالا حب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما انتهى فكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة لنا عند الله تبارك وتعالى فكذلك أبو بكر وعمر واسطة لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الادب اذا كان لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ان نسألهما ليسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وذلك أقرب الى قضائها وأكثر ادبا من سؤالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطتهما (فاياك) يا أخى أن تطلب حاجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فتخطئ طريق الادب معهما واياك أن تستبعد سماعهما صوتك اذا توجهت اليهما بقلبك من غير تلفظ فانهما أعظم مقاما يقينا من جميع أشياخ الطريق وقد صرحوا بأن من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده له ولو كان بينهما مسيرة ألف عام فتأمله وقد جربنا الوزير اذا كان يحب انسانا يقضى حاجته بسهولة بخلاف ما اذا كان يكرهه فاخدم يا أخى الوسايط وحبهم المحبة الخالصة ان اردت سهولة قضاء حوائجك فى الدنيا والآخرة فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مطابقة رؤيتى فى بعض الوقائع لما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو احد من أصحابه ومن بعدهم من الائمة من طريق الالهام أو الكشف وذلك من أكبر نعم الله عز وجل على لان القلب كالبحر يرد عليه البر والفاجر من الخواطر جملة فربما ورد خاطر يشكك فيما أخبر به الشارع صلى الله عليه وسلم فاذا شهد العبد ذلك فى بعض الوقائع حفظ من الخواطر التى تشككه جملة واحدة (ومما) رأيته حين سمعت قوله صلى الله عليه وسلم ان من الناس من يعذب فى قبره ويسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية يخمشونه وينهشونه ويلسعونه الى يوم يبعثون فقمت فرأيت فى المنام شخصا كنت أعرفه بالعلم والخير واذا هو مات ودخل القبر واذا صفاته القبيحة صارت تتصور تجاه وجهه حتى صارت تنينا له تسعة وتسعون رأسا كل رأس فيها فم ولسان فكان عدد الرؤس على عدد

صفاته الذميمة واخلاقه الرديئة لا تزيد ولا تنقص (ورأيت) الصفات القبيحة كلها قد تفرعت من حب الدنيا فرأيت مما تفرع من حبها البخل والشح وحب الجاه والمال والحسد والحقد والمكر والكذب والغيبة والنميمة والعداوة والبغضاء والقتل والرياء والخديعة والغدر والغش والخيانة والبهتان والزور وغير ذلك وتحققت معنى حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فعلم) ان عدد اللسعات على عدد الرؤس وعلى عدد الصفات فمن زاد فى الصفات القبيحة زادت له الرؤس ومن رق حجابه لا يبعد عليه شهود نظر المعانى فاعمل يا أخى على عدد صفاتك القبيحة بالحسنة بتعطيلها عن الاستعمال وذلك باعتمادك على فضل الله تعالى لا على حولك وقوتك والحمد لله رب العالمين (ومما) رأيته أيضا فى بعض الوقائع انى رأيت قلوب المؤمنين على ثلاثة أصناف صنف قلبه يضئ كالمصباح وصنف قلبه مربوط على علاقة وهو قلب المنافق وقلب فيه ايمان ونفاق وهو أكثر القلوب ورأيت الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب أحيانا ورأيت النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ولكن أى المدتين غلبت فالحكم لها (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما دام القلب يقظانا فهو فى خدمة ربه عز وجل لا يمكنه أن يتعطل عن خدمته فاذا غفل نام واذا نام مرض واذا مرض اشتد سقمه واذا اشتد سقمه عضل داؤه واذا اعضل داؤه عسر دواؤه واذا عسر دواؤه مات واذا مات صار جيفة لا يصلح للخدمة والقى الى الكلاب وهو أبليس انتهى فاعلم ذلك واعمل عليه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم افشائى الاسرار المتعلقة بالتوحيد ودقائق الشريعة الشريفة لاحد من الخلق الا بعد طول امتحانه وكثرة التنكرات والتغريبات عليه واغضابه المرة بعد المرة وسبه بين من يستحى منهم عادة المرة بعد المرة وقولى له أنت قليل الدين على نية تنبيهه على نقص دينه فان كمال الدين لا يكون الا للانبياء وكمل الاولياء فقط وما عدا الانبياء والاولياء من لازمهم النقص حتى فى عباداتهم (وذكر) الجلال السيوطى رحمه الله فى الخصائص ان تأدية الصلاة وغيرها من الطاعات على وجه الكمال من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وقد) جاءنى مرة شخص من دهاة فحول الرجال من معلمى دار الضرب بالقاهرة يطلب منى ان اطلعه على شئ من اسرار الطريق والح على فى ذلك فتنكرت عليه وتغربت مدة وصرت أكلمه بالكلام المؤذن بنقص مرتبته على وجه التعريض والتأويل فزهقت نفسه منى ونفرت فلولا داويته فى ثانى الحال ومدحته بكلمات والا قاطعنى مدة عمره فقلت له بعد ذلك كيف تطلب منى ان اطلعك على شئ من علوم الاسرار وأنت تطلب لك مقاما عند الخلق دون الله تعالى ومعلوم ان الاسرار من علم الحكمة والحكمة لا تدخل قلبا يراعى غير الله تعالى وسددت عليه الباب حتى يبنى أساسه على قواعد أهل الطريق وفى الحديث لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوا منها أهلها فتظلموهم انتهى (وتقدم) فى هذه المنن ان شخصا دخل على أبى عبد الله القرشى فرآه يتكلم فى الاسرار فلما شعر به قطع الكلام فقال له الشخص انا من المعتقدين فى أهل الطريق لا تخافوا منى فقال لا تكون معتقدا حتى افصد أحدا من الجماعة بحضرتك وأنت تنظر فان خرج دمك كذلك فأنت من أهل الاسرار ثم ان الشيخ فصد ذراعه ففار الدم من ذراع الجماعة

كالهم دون ذلك الشخص تخجل واستغفر انتهى فمن وجد من يكون بهذه الصفة فليطالعه على الاسرار والا فالواجب عليه الكتمان وفى كلام القوم * ويقتل بؤاح بسر الذى يهوى * فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى أن ذاتى وروحى معى كاليتيم وماله تحت يد وليه فلا يتصرف لهما الا بما فيه المصلحة فى الدنيا والآخرة فكما أعظم اليتيم وأكرمه من حيث ان الله تعالى وصى عليه فكذلك اكرم روحى من حيث انها بنية الله وأمة الله لا لعلة اخرى وهذا من باب التجريد المقرر فى علم المعانى والبيان (وهذا) الخلق غريب فى هذا الزمان حتى ان بعضهم يتعرض لازالة منكرات الولاة فيحصل له حبس وضرب ويظن انه مصيب والحال انه مخطئ كما أشار اليه حديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فلم يكلف أهل مرتبة بفعل ما هو فوقها صيانة للجسم والروح عن التعرض لما يضرهما فمن تعرض لما يضر ذاته فقد خالف قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فان الله تعالى ناظر لبقا المهج وترجيح بقائها على تلفها كما قال سبحانه وتعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقال تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فسامح العبد بالتولية عمن كان متوجها الى قتاله الى فئة أخرى الا لمحبته فى ابقا مهجته وما أباح له الاستسلام للقتل الا عند العجز عن الهروب أو عن الدفع عن نفسه وحكى ان داود عليه السلام لما شرع فى بناء بيت المقدس فكان كلما بنى شيئا يصبح منهدما فشكا ذلك الى الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه ان بيتى لا يقوم على يدى من سفك الدماء فقال داود عليه الصلاة والسلام يا رب أليس ذلك كان فى سبيلك قال تعالى بلى ولكن أليسوا عبيدى قال يا رب اجعل بناءه على يد ولدى سليمان فأجابه الحق عز وجل الى ذلك انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حفظى للادب مع السلطان ونوابه فلا اعترض عليهم فى فعل ما هو من ملازمهم عادة دولى بل اشكر لهم المحامل الحسنة فى الشريعة والاجوبة المسكتة ولا أجيش عليهم بالعوام فى هدم كنيسة أو بيعة أقروا النصارى واليهود عليها ولا أنزل قصاد ملوك الفرنج عن الخيل اذا وردوا بلادنا وأركبوهم الخيل وأخدموهم مماليك السلطان وطرقوا لهم الطريق بل أحمل ذلك على محامل صحيحة فى الشرع فربما فعلوا معهم ماذكر لمصالح تعود على المسلمين كأن يرجوا من عندهم من الاسرى اذا بلغهم اننا أكرمنا قصادهم ومن ورد الينا منهم فان الولاة أتم نظرا منا بيقين ولذلك ملكهم الله تعالى رقابنا فى الحكم فينا وقد رأى شخص من الفقراء افرنجيا راكبا فرسا ومماليك السلطان يمشون بين يديه فقال الله أكبر عليكم فضربه مماليك السلطان ضربا مبرحا فما كان الا قتل وكسر مرة شخص من طلبة العلم جرة خمر رآها بين يدى مماليك السلطان فى أيام الزينة فى مصر فضربوه بالدبابيس ففلقوا رأسه وما قدر أحد من المسلمين يحميه منهم وأفتى الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق الواعظ بمصر بهدم بيعة لليهود وأراد أن يهدمها فما كان الا أن نفوه وثارت فتنة عظيمة من العوام والامراء فى مصر ومنعوه الفتيا والتدريس والوعظ مدة ولم يزل يحصل الضرر والاذى لكل من دخل فى شئ ليس هو من مقامه ولا من مرتبته من قديم الزمان الى وقتنا هذا * وقد حكى الشيخ عبد الغفار

القوصى رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى بالوحيد ان جماعة من العلماء والصالحين أيام السلطان الملك الناصر حسن بن قلاوون هدموا بعض كنائس بنواحى قوص وأسيوط فاشتكوهم للسلطان فارسل للعلماء والصالحين أميرا ومعه عسكر فاخذوهم وضربوهم وكبسوا دورهم وهتكوا حريمهم وجرسوهم ثم قال والله لقد سمعت المشاعلية تنادى عليهم وأنا ضعيف لا أستطيع الجلوس وداروا بهم ازقة البلاد وسواحل البحر قال والمصيبة العظمى ان الحاكم بناحية قوص والحاكم بناحية أسيوط كانا حاضرين وخوفوهما بالقتل والنهب والنفى فسكتا قال ولما رأى النصارى مساعدة نائب السلطان لهم صالوا على المسلمين وهدموا عدة مساجد منها مسجد الفتح كان عامرا بالذكر والقرآن والعلم فهدموه وجعلوه محلا للقمامة والاوساخ وصار كالكوم فلما عمرناه لم نخرج منه محل القبلة الا بعد تعب شديد ومنها مسجد بناحية كدكوس هدموه وجعلوه مراحا للبقر وهدموا محرابه وعمروا كنيسة مكانه بعد الهدم وكشف على ذلك المسلمون ونواب الحكم والعدول ولم يقدروا على هدم تلك الكنيسة الى أن نصر الله تعالى الدين بافتضاح أمر النصارى للسلطان فارسل فهدم الكنائس التى أحدثوها وضربهم وقتلهم وحصلت الدائرة والهلاك على كل من ساعد النصارى قال وهذه واقعة لم يجر فى التواريخ المتقدمة ولا القرون الماضية مثلها ولم أسمع قط ان جماعة من العلماء والصالحين ضربوا بالمقارع وجرسوا على الدواب والمشاعلية تنادى عليهم بسبب هدم الكنائس أبدا ثم ان السلطان الملك الناصر جمع اليهود والنصارى والسامرة وغيرهم وجدد عليهم البيعة وشرط عليهم شروطا وأرسل بذلك مراسيم الى بلاد مصر والشام ليجمع النائب بها أكابر اليهود والنصارى من البطاركة والقسوس والرؤساء والربانيين وان يقرأ عليهم نص كتاب الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الشاهد به الكتب الحديثية المعنعنة الاسناد بحضرة السادة العلماء والفقهاء والحكام ليعتمدوا أحكام الشريعة المطهرة فيما يلزمهم من الشروط التى يترتب عليها عقد الذمة اقتداء بالشروط العمرية فيهم وتقرير الاحكام بها وتجديد ما تقادم من أيامها وتعظيما لدين الاسلام وأهله والزاما للذلة والصغار على أهل الذمة ودفعا لهم عما كانوا يتطرقون اليه فامتثل نواب مصر والشام المرسوم وعقدوا للكفار مجلسا وقرؤا عليهم نص ما عوهدوا عليه فانقادوا سامعين طائعين راغبين سائلين اليه وهو أن لا يحدثوا فى البلاد الاسلامية وأعمالها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا يجددوا فيها ما خرب منها ولا يمنعوا كنائسهم التى عوهدوا عليها وثبت عهدهم عليها أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونه ولا يؤووا جاسوسا ولا من فيه ريبة لاهل الاسلام ولا يكتموا غشا ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يظهروا شركا ولا يمنعوا ذا قرابة لهم من الاسلام ان أراده وان أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه وان يوقروا المسلمين وان يقوموا لهم من مجالسهم ان أرادوا الجلوس فيها وان لا يتشبهوا بالمسلمين فى شئ من ملابسهم كالقلنسوة والعمامة والنعلين وفرق الشعر بل يلبس النصرانى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع من غير الشعر فما دونها ويلبس اليهودى العمامة الصفراء كذلك وكذلك يمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين ومن لبس العمائم ومن أن يتسموا بأسماء المسلمين ويكتنوا بكناهم أو يتلقبوا بالقابهم ولا يركبوا على

مبرج ولا يتقلدوا سيفا ولا يركبوا الخيل ولا البغال بل يركبون الحمير بالاكف عريا من غير تزين ولا قيمة عظيمة لها ولا يتخذوا شيأ من السلاح ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ولا يبيعوا الخمور وأن يجزوا مقادم رؤسهم وان يلزموا زيهم حيثما كانوا ولا يخدموا عند الملوك والامراء ولا فيما يجرى أمرهم على المسلمين من كفالة ووكالة وأمانة ولا كل ما فيه تأمر على المسلمين بحيث لا يكون لهم كلمة على المسلمين يستعلون بها عليهم ويشدوا زنانيرهم غير الحرير على أوساطهم والمرأة البارزة من النصارى تلبس الازار الكتان المصبوغ أزرق واليهودية المصبوغ أصفر ولا يدخل أحد منهم من ذكر أو أنثى الى الحمام الا بعلامة تميزه عن المسلمين كخاتم نحاس أو رصاص أو جرس فى عنقه ونحو ذلك ولا يستخدموا فى أعمالهم الشاقة مسلما ولا يستخدموه فى الحمام وتلبس المرأة البارزة خفين أحدهما أسود والآخر أبيض ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يرفعوا بناء قبورهم ولا يعلوا على المسلمين فى البناء ولا يساووهم ولا يتحيلوا على ذلك بحيلة بل يكونوا أدون من ذلك ولا يضربوا بالناقوس الا ضربا خفيفا ولا يرفعوا أصواتهم فى كنائسهم ولا يجمعوا اشعانين ولا يرفعوا أصواتهم على موتاهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق مسلما ولا ما جرت عليه سهام المسلمين ولا من سباه مسلم ولا يهودوا ولا ينصروا رقيقا لهم ويجتنبوا أوساط الطريق توسعة للمسلمين ولا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يدلوا على عورات المسلمين ومن زنى منهم بمسلمة قتل وان لا يضعوا أيديهم على أراضى موات المسلمين ولا غير موات المسلمين ولا على مردرع ولا يبنون صومعة ولا كنيسة ولا ديرا وغير ذلك ولا يشتروا شيأ من الجلب ولا يوكلوا فيه ولا يتحيلوا عليه بحيلة ولا يظهروا الصليب على كنائسهم ولا فى طريق المسلمين وأسواقهم وان يرشدوا المسلمين ولا يطلعوا على عورات المسلمين فى منازلهم ولا يضربوا أحدا من المسلمين ومتى خالفوا ذلك فلا ذمة لهم وقد حل فيهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق هذا ما عهد به اليهم وقص قصصه عليهم فمن خرج عن النص المشروح فيه واعتمد شيأ بخلاف ما نزله لسانه وتلاه فقد تعرض للهلاك والتى مسحته اسيف الاسلام والقتال وقد حرم بطرك النصارى يونس اليعقوبى وأسقف الملكية نائب البطريك اشناسينوس بحرمات الله تعالى عليهم ان يخرجوا عن هذه الشروط وأوقع رئيس اليهود الكلمة على من يتعدى طور هذا الامر المضبوط واشهدوا على أنفسهم بذلك معلنين بالاشهاد وقاموا مصرحين على رؤس الاشهاد وكتب هذا المكتوب ليخلد بما دخلوا تحت طاعته من الالتزام ويكون حجة عليهم على ممر الليالى والايام وتم ذلك بشروطه ولزم بشروطه بالقاهرة المحروسة بالمدرسة الصالحية النجمية فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب الفرد عام سبعمائة من الهجرة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين انتهى وقد نقلت ذلك من نسخة عليها خط السلطان الملك الناصر حسن بن قلاوون تغمده الله بالرحمة المبرز أمر والده المنصور قلاوون بتجديد العهد على النصارى واليهود والذى كتب المرسوم هو الشيخ الامام العالم العلامة شهاب الدين محمود الحلبى كاتب الدست اذذاك وذلك تجديد لما كانوا التزموه ايام الخلفاء الراشدين من الشرائط وذلك بحضرة مولانا شيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد ومولانا الشيخ الامام العلامة أبى عبد الله بن الحجاج شيخ الدونية وسيدنا ومولانا الشيخ أبى عبد الله القروى وغيرهم

من

من قضاة العصر وعلمائه ورسم السلطان حسن بن قلاوون ان لا يستخدم فى الشريعة يهودى ولا نصرانى فى ثامن عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وسبعمائة وهذا آخر ما بلغنا عن ملوك مصر من الشروط على الكفار قال الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى وكان كتاب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه جوابا بالكتاب نصارى الشام لما صالحهم كما رواه أبو يعلى الموصلى والبيهقى وغيرهما وصورة كتابهم من نصارى مدينة كذا وكذا الى أبى عبد الله عمر أمير المؤمنين انكم لما قدمتم علينا سألنا كم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث فى مدينتنا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب الى آخر ما تقدم فى كتاب عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لهم فلما وصل كتابهم الى عمر بجميع الشروط المتقدمة زاد فيه بعض شروط فارسلوا سامعين مطيعين لها انتهى فان أردت يا أخى ان تجرى الكفار وكنائسهم وبيعهم مجرى من نقض العهد فاجتمع بسلطان الاسلام والمسلمين أو نوابه واتفق معهم على ذلك ثم افعل معهم ما بدا لك والا خيف على مثلك الهلاك ولا ينصرك أحد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) ملاطفتى لاخوانى الفقراء فى جميع أحوالهم وعدم مطالبتهم بكمال الاخلاص ما دامت بشريتهم قائمة فاذا ارتفع حجاب أحدهم حفظ من الرياء لا محالة وذلك لا يكون الا حال كمالهم وكثيرا ما أخرج الى الزاوية فى الليل بقصد تقوية قلوب الفقراء اذا رأونى فيزيدوا فى الذكر والصلاة وتلاوة القرآن (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك تقوية لقلوب الصحابة والا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم من كل ما فيه شائبة رياء باجماع المسلمين وكثيرا ما يخاطب الحق تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بامر والمراد به غيره نحو قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ونحو قوله تعالى يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ونحوهما من الآيات فعلم انه تعالى ما قال ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل الى آخر النسق الا ليخبر بذلك أصحابه الذين لا يشهدون اطلاع الحق تعالى عليهم حال عباداتهم ليستحضروا عظمة ربهم فيخشعوا بين يديه لكونهم كانوا فى مقام الترقى الى مراتب الكمال وقد جربت أنا فى نفسى انه لما يحصل عندى كسل فى قيام الليل أو فتور أستحضر ان الله تبارك وتعالى يرانى فيزول الكسل والفتور وفى الحديث أروا الله من أنفسكم خيرا فلا يزال العبد يراقب الله تعالى فى صلاته وعباداته شيأ فشيأ الى أن يصير يراقب الله تعالى مع الانفاس الا ما يسامح الحق تعالى به عباده عادة وكانت سيدتنا عائشة رضى الله عنها تقول كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا علم الشيخ من مريده انه يستلذ برؤية شيخه له حال عبادته فليغض عنه حتى يهوى قال وزارنى سيدى ابراهيم المتبولى مرة فوجدت فى نفسى اعجابا بذلك فلما اطلع على قال يا على ما جئتك بالقصد وانما مررت لحاجة فتذكرتك وأنا مار انتهى وكان يقول ينبغى للشيخ اذا علم من مريده رائحة رياء ان يتلطف به ويصفح عنه ثم لا يزال يسارقه بضرب الامثال وان الله لا يقبل عملا أشرك فيه غيره حتى يتخلص ان شاء الله تعالى من

ورطة الربا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) مسلاطفتى لاخوانى من الفقهاء اذا استفتونى فى أمر لايطيقون المشى عليه فأفتيتهم بالرخصة ثم اذا بلغ أحدهم مقام الورعين أفتيته بالتشديد وقد كان الامام النووى رحمه الله تعالى لايطالع فى كتاب أخرج من مقره الذى جعله الواقف فيه واختصر الروضة كلها من نسخة الرافعى الكبير فى خلوة الكتب وكان باب الخلوة يرتد عليه كثيرا فكان يضع السكين على ركبته ويجعل ذبابتها من ناحيته دون باب الخلوة خوفا ان يخدش خشب الباب وهذا قدم يشق على غالب الناس اليوم فعله وقد استفتى الجلال السيوطى رحمه الله تعالى عن نقل الكتب من مدرسة محمود الاستدار مع انه شرط فى كتاب وقفها انها لاتخرج من المدرسة الالمصلحة ترميم أو خوف من اتلاف ونحو ذلك فاجاب رضى الله عنه الذى أقول به الجواز وقد رأيت شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى وشيخنا الشيخ شرف الدين المناوى رضى الله عنهما يستعيران كتب المحمودية ويمكث الكتاب عندهما فى دارهما سنين عديدة وهما الامامان المقتدى بهما فانهما كانا من الفقه بالمحل الاعلى بحيث بلغا رتبة الاجتهاد فى المذهب وكان المناوى صوفيا له أحوال وكرامات فلولا رأيا ذلك جائزا مافعلاه وفى قواعد الشريعة انه يجوزان يستنبط معنى من النص يخصصه فاذا كان هذا فى نص الشارع ففى نص الواقف أولى فيقال هنا ان مقصود الواقف بشرطه تمام النفع وتمام الحفظ فاذا وجد من يحتاج الى الانتفاع بكتاب منها حال تصنيفه لكتب العلم ولايمكنه الانقطاع لاجل ذلك فى المدرسة ووثقنا بدوام حفظه وصونه جاز الاخراج له وكان ذلك مستثنى من المنع مخصصا لعموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط كما خصص قوله تعالى أولامستم النساء واستثنى منه المحارم بالمعنى المستنبط وهو الشهوة ولادليل لاستثناء المحارم من آية أوحديث سوى هذا الاستنباط فكذلك هذا قال وقد ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه ان علماء بغداد منعوا فى بعض السنين تعليم الاطفال فى المساجد الاشخصا واحدا كان موصوفا بالصلاح والخير فاستثنوه من المنع وانهم استفتوا الماوردى صاحب الحاوى من ائمتنا والقدورى من أئمة الحنفية وغيرهما فافتوا باستثنائه واستدلوا بانه صلى الله عليه وسلم أمر بسد كل خوخة فى المسجد الاخوخة أبى بكر فقاسوا استثناء هذا الرجل على استثناء خوخة أبى بكر قال وهذا استنباط دقيق لايدركه الاالائمة المجتهدون كالماوردى والقدورى قال وقد استندت الى قولهم حين استفتيت قديما فى ابنية القرافة فأفتيت بهدمها كلها كما هو المنقول الامشاهد الصالحين قياسا على ماأفتى به الماوردى والقدورى وذكر فى المسئلة أمران ينبغى التفطن لهما أحدهما انه لايستعار من هذه الخزانة الامالايتيسر وجوده فى غيرها مما ليس فيه شرط منع الخروج والثانى انه لايمكث عند المستعير الابقدر مايقضى حاجته منه فى العادة ومدرك هذين الامرين أن ماجاز للضرورة يتقدر بقدرها قال وماأفتينا به هو الوجه الحسن الصحيح وأطال فى ذلك ثم قال وفى المسئلة وجه آخر حسن وهو أن بعض أئمة الحنابلة يجوز مخالفة شرط الواقف اذا اقتضت المصلحة ذلك فان كان ذلك هو المشهور عندهم فهو وجه حسن يصلح الاستناد اليه قال ورأيت فى المسئلة وجهين ضعيفين أحدهما ان هذا الشرط باطل جنح اليه بعضهم لكن رده

السبكى وقال انه شرط صحيح لان للواقف فيه غرضا صحيحا من حيث ان اخراجها مظنة ضياعها الوجه الثانى أن يحمل قول الواقف انها لاتخرج على نقلها كلها من مقرها الى مدرسة أخرى مثلا تجعل مقرها وهذا وجه بعيد انتهى كلام الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فاعلمه واعمل عليه والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علىّ) صبرى على مجالسة الثقلاء وكتمى عنهم أنى أدركت ثقلهم وعدم غيبتهم اذا قاموا من مجلسى بل ربما أذكر بعض محاسنهم سترا لهم عند من لحق بثقالتهم من أهل المجلس فانه مامن شخص الا وفيه من الصفات الحسنة والقبيحة مافى غيره ماعدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الله تعالى طهر طينتهم من سائر الاخلاق والصفات الرديئة كما مر بسطه فى هذه المنن وهذا خلق غريب قل من يصبر له حتى رأيت شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه الله تعالى يخبط بالعصى لمن عنده ثقالة ويزجره ليقوم ويقول ضيعت علينا الزمان فيما لايعنينا * وكان سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا رأى ثقيلا يقصده بالجلوس يقوم ويمشى حتى يتوارى عنه وكذلك رأيت شيخنا الشيخ امين الدين الامام بجامع الغمرى كان رجل ثقيل يأتيه فيكان اذا رآه داخلا من باب الجامع يقوم ويطلع بيته ويقول انه يحصل لى بمجالسته تألم فى باطنى لا أطيقه انتهى ورأيت مؤلفا للشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فيما ورد فى الثقلاء من الاحاديث والآثار * فمنه مارواه الحافظ أبو محمد بن الحسن بن الخلال أن أباهريرة رضى الله عنه كان اذا استثقل رجلا قال اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه * وكان حماد بن أبى سليمان يقول من كان يرى نفسه ثقيلا فهو خفيف وبالعكس * وكان الطبيب جبريل الشامى يقول نجد فى كتبنا ان مجالسة الثقيل حمى الروح * وكان سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه يقول انه ليكون فى المجلس عشرة أنفس وفيهم ثقيل واحد فيرجح عليهم كلهم ويثقلون علىّ * ولما عمى الاعمش قالوا له ماعوضك الله تعالى على ذهاب بصرك قال عوضنى أن لا أرى به ثقيلا * وكان ابن شهاب رضى الله تعالى عنه يقول اذا ثقل عليك الجليس فاصبر فانها رابطة فى سبيل الله فاذا أبرمك وملك بطول حديثه فجاهد بقيامه عنك أوقيامك عنه * وكان ابن أبى عتيق رضى الله عنه اذا رأى ثقيلا يتناعس ويغمض عينيه حتى لايراه وروى ابن عبد ربه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت نزل قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا فى الثقلاء * وكان جالينوس يقول انما كان الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل لان ثقل الانسان الثقيل على القلب وثقل الحمل على البدن * وكان حماد بن سلمة اذا رأى ثقيلا قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون * قال الاصمعى رحمه الله تعالى وجلس عندى رجل فأطال الجلوس فقال لى لعلى قد أضجرتكم قلت نعم ثم نعم قال وقد أثقلتكم قلت ثقل فوق الثقل قال فانى راحل قلت العجل ثم العجل ياجبلا من جبل فى جبل فوق جبل * وكان الاعمش اذا رأى ثقيلا يشرب الماء ويقول النظر الى وجه الثقيل حمى نافض والحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء رواه الحافظ المنذرى فى تاريخه ونظر ابن الانبارى الى ثقيل فقال لو كان آدم عليه الصلاة والسلام يعلم الغيب ماأودع نطفته فى حواء وكان أبانها بالطلاق لاجله لكنه لم يعلم بأنه يأتى منه هذا الشخص قال ولعل ثقل هذا هو الذى أهبط آدم عليه السلام وجميع من

كان فى صلبه الى الارض من ثقله وكلام العلماء فى الثقلاء كثير وما ذكرت لك ذلك الا لتعرف ان من تحمل مجالسة الثقلاء وأخفى عنهم ادراكه ثقلهم فهو من أوسع الناس خلقا فتنبه لذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع عشر فى جملة أخرى من الاخلاق فاقول وبالله التوفيق وهو حسبى وثقتى وغياثى ومغيثى ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين)

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتى على كل دابة ركبتها من جمل أو حمار أو غيرهما وكراهة حملى سوطا اذا ركبتها خوفا ان تغلبنى حدة النفس فاضربها اذا حرنت وكذلك لا أردف أحدا معى على ظهرها ولو باذن صاحبها الا اذا علمت بالقرائن انها لا تتأذى بذلك وكذلك لا أسبها ولا أدعو عليها حال ركوبها ولا حال عثورها ورميى الى الارض ونحو ذلك عملا بوصية الله تبارك وتعالى فى نحو حديث ان الله كتب الاحسان على كل شئ * وقد كان سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه لا يحمل قط عصا اذا ركب ولا ينخسها بذبابة المسوقة أو غيرها ويقول يكفينى ردها بكمى اذا انحرفت عن الطريق فانه لا بد ان يقتص لها منى يوم القيامة بمثل ما ضربتها وأنا لا أطيق ضربى بعصا كما ضربتها ولا نخسى بذبابة المسوقة فى قفاى حتى يخرج الدم انتهى وكثيرا ما أجعل مقود الحمارة مع بعض الاخوان يقودها بى لئلا تؤذى أحدا وقد جاء ضرب الدواب فى عدة من الاحاديث وهو محمول بقرينة الاحاديث الناهية على ضرب التأديب الذى لا يؤذى الدابة كضرب الصغير للتأديب لا على الضرب المبرح الذى يصير له أثر ويخرج به الدم ولا يضرب على الوجه لما ورد من النهى عنه فافهم وهذا الخلق قل من يتفطن له فما ورد ان جعيدا الأشجعى رضى الله تعالى عنه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء مريضة ضعيفة فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول الله هى عجفاء ضعيفة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفقة يعنى درة كانت معه فضربها وقال اللهم بارك له فيها قال فلقد رأيتنى وما أملك رأسها ان تتقدم الناس وقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا * وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة رجلا الى بنى عبس فى حاجة فقال يا رسول الله ان ناقتى أعيتنى من بطء سيرها وعدم القيام اذا جلست فأتاها النبى صلى الله عليه وسلم فضربها برجله فلقد كانت بعد ذلك تسبق القائد * وقال جابر عيى جملى وأردت ان أسيبه فجاءنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال أعطنى مقوده فاعطيته اياه فضربه وزجره وفى رواية فنخسه وفى رواية فقال اعطنى العصا أو قال اقطع لى عصا من شجرة ففعلت فاخذها فنخسه بها نخسات وفى رواية نفح فى وجهه الماء ثم ضربه بالعصا فوثب وفى رواية فضربه بعصية فانبعث قال الحافظ السخاوى وبذلك يستدل على جواز ضرب الدواب اليسير وان كانت غير مكلفة لكن محل ذلك ما اذا لم يتحقق ان ذلك من فرط تعب أو اعياء وعليه يحمل ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى دابة حرنت دعا لها بالبركة والقوة ولم يأمر بضربها فعدل عن الضرب الى الدعاء لها رحمة بها وكان بعض الائمة يقول تمحن الدابة بالعلف فيشار اليها به من مكان بعيد فان قصدته وانبعثت فجائز ان صاحبها حملها بالضرب لتصل الى الحد الذى قصدته لاجل العلف بجعبتها فيه ورغبتها الى الوصول اليه انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى

يقول اذا علم صاحب الدابة ان الضرب لا يؤثر فيها انبعاثا اذا رقدت حرم عليه ضربها بل ربما كان الضرب سببا لزيادة الضعف والعجز قال وكذلك لا يجوز له ضربها اذا عثرت لانه لا قوة لها على تركه ولا تريد العثور بخلاف ما اذا جفلت فله معالجتها فى تجنبه برفق قال ومحل جواز الضرب فيما عدا الوجه لشمول النهى الوارد فيه فى حق كل حيوان محترم من الآدمى والحمير والخيل والبغال والابل والغنم وغيرها لكنه فى الآدمى أشد بل روى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لطم خدود الدواب (وسمعت) شيخنا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رضى الله تعالى عنه يقول لا شك فى تحريم تحميل الدابة ما لا تطيق حمله أو طلب أن تسير فى السفر فوق طاقتها والضرب حينئذ بسبب ذلك حرام وقد ورد أنه يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فالقصاص هنا من باب أولى ويؤيده ما ورد من ان صاحب الدابة يسئل يوم القيامة عن صنيعه معها فى دار الدنيا انتهى وقد بلغنا ان الحافظ السخاوى ألف فى ضرب الدواب مؤلفا وذكر فيه فوائد فينبغى للمتدين مراجعة مثله ليرشد الى الطريق الاقوم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم سبى ولعنى للدابة اذا عثرت ورمتنى الى الارض على وحل أو قذر ونحو ذلك لان الاشتغال بمقابلة الدواب من خفة العقل * ونقل البيهقى عن الفضيل ابن عياض رضى الله تعالى عنه انه كان يقول ما سب أحد شيأ من الدنيا دابة أو غيرها وقال أخزاك الله أو لعنك الله الا قالت أخزى الله أو لعن أعصانا لربه عز وجل قال الفضيل ابن عياض وبلغنا ان ذلك من قول أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ولا شك ان ابن آدم أعصى وأظلم * وبلغنا ان شخصا عثر به حماره فقال لحماره تعست فقال صاحب اليمين ما هى حسنة فأكتبها وقال صاحب الشمال ما هى سيئة فأكتبها فنودى كل ما تركه صاحب اليمين فاكتبه انتهى ويلحق بما ذكرناه سب البراغيث لما ورد فيه من النهى (وكان) أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقبل رجل الجمل الذى كان يركبه فى طريق مكة كلما ينزل من على ظهره وتارة يقبله فى وجهه ويقول جزاك الله عنى خيرا وأمدك بالقوة وكثر عليك العلف وخفف عليك الحساب يوم القيامة وهذا الخلق قل من يتنبه له من الناس اليوم فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مواظبتى على الوضوء لكل ما يستحب له الوضوء فلا أفعل شيأ من ذلك الا على طهارة وان وقع انى فعلت شيأ من ذلك على حدث استغفرت الله تعالى وتبت اليه خروجا من سوء الادب مع الله تعالى وتعظيما لاوامره وهى كثيرة نذكر لك منها جملة * فمنها قراءة القرآن وسماع الحديث والعلم وقراءة وردى ودخولى المسجد وذكر الله تعالى والسعى والوقوف بعرفة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الانبياء والصالحين واستحب بعضهم الطهارة لزيارة جميع القبور ومنها خطبة غير الجمعة والنوم والأذان والاقامة والوضوء فى غسل الجنابة ولفعل سائر العبادات وعند ارادة الجنب أكلا أو شربا أو نوما أو عودا للجماع ومنها الفصد والحجامة والقئ وحمل ميت أو مسه باليد ومس الخنثى أو مس الخنثى أحد فرجيه وكل مس ولمس فيه خلاف كالامرد وأكل لحم الجزور والغيبة والنميمة

والفحش والقذف وقول الزور والقهقهة للمصلي وقص الشارب ونتف الابط والكحل ليلة من ليالي رمضان وللتوبة من كل ذنب وللغضب وغير ذلك مما يعلمه العلماء بالله عز وجل والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم غفلتي عن تبغيض كل من صحبني من الحشاشين في بلع الحشيشة وعدم زجري له بعنف بل أتلطف به كامر بسطه أوائل هذه المنن ومن ملاطفتي له اطعامي له الحلاوة والكنافة المبسوسة بالقطر وعدم العبوسة في وجهه وذكري محاسنه بين الفقراء وذلك ليميل الينا ثم لا أزال أذكر له ما فيها من المفاسد لعله ينفر من أكلها وقد ذكر الشيخ قطب الدين العسقلاني خليفة شيخ الشيوخ الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله تعالى في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دنيوية وأخروية وقال الحكماء انها تورث أكثر من ثلثمائة داء في البدن كل داء لا يوجد له دواء في هذا الزمان فمنها تنقيص القوى واحراق الدماء وتقليل الحياء وتنقيب الكبد وتقريح الجسد وتجفيف الرطوبات وتضعيف اللثات وتصفير اللون وتحفير الاسنان وتورث البخر في الفم وتولد السوداء والجذام والبرص والخرس واللقوة وموت الفجأة وتورث كثرة الخطا والنسيان والضجر من الناس وتولد الاعشاء في العيون وتخلط العقول وتورث الجنون غالبا وتسقط المروءة وتفسد الفكرة وتولد الخيال الفاسد ونسيان الحال والمآل والفراغ من أمور الآخرة وتنسي العبد ذكر ربه وتجعله يفشي اسرار الاخوان وتذهب الحياء وتكثر المراء وتنفي الفتوة والمروءة وتكشف العورة وتمنع الغيرة وتتلف الكيس وتجعل صاحبها جليس الابالس وتفسد العقل وتقطع النسل وتجلب الامراض والاسقام مع تولد البرص والجذام وتورث الابنة وتولد الرعشة وتحرك الدهشة وتسقط شعر الاجفان وتجفف المني وتظهر الداء الخفي وتضر الاحشاء وتبطل الاعضاء وتقوي النفس وتهز السعلة وتحبس البول وتزيد الحرص وتسهر الجفون وتضعف العيون وتورث الكسل عن الصلاة وحضور الجماعات والوقوع في المحظورات وارتكاب الاجرام وجماع الآثام والوقوع في الحرام وأنواع الامراض والاسقام قال الشيخ قطب الدين وقد بلغنا عن جمع بلغوا حد التواتر ان الاكثار من أكلها يورث موت الفجأة كما وقع لكثير ممن يتعاطاها وبعضهم اختلت عقولهم وبعضهم ابتلوا بامراض متعددة واسقام متنوعة من الدق والسل واحتراق السوداء وضيق النفس والاستسقاء وسوء الخاتمة واتفق العلماء والحكماء انها خبيثة ضارة في الجسد والعقل صادة عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة وما كان هذا فعله فهو حرام باجماع أهل الاسلام لان ما يؤدي الى الحرام فهو حرام ورأيت في كلام ابن البيطار ان علاج تارك أكل الحشيشة يكون بالقيء بالمشمش والماء المسخن حتى تنقى المعدة منه وشراب الحماض في غاية النفع لذلك وقال شيخ الاسلام قطب الدين المذكور ولا يخفى ان تناول الحشيشة والاقدام عليها حرام عند أكثر علماء الاسلام من أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر والشام قال وهي من المخدرات المسكرات كجوزة الطيب والزعفران والسيكران ونحو ذلك مما يتلف العقل والفكر وأفتى الشيخ بدر الدين بن جماعة بأن الحشيشة حرام بلا خلاف وقال بعض العلماء الاطباء انها مخدرة

وأكثرهم على انها مسكرة قال وعلى بائعها وآكلها الاثم والتعذير قال وكذلك زارعها وطابخها وحاملها والمحمولة اليه والراضي بذلك والساكت عنه فيمنع ويزجر فان تاب من ذلك والا ضرب وعزر بالدرة ضربا شديدا باجماع أئمة المذاهب الاربعة حتى قال بعض العلماء ان من أباح أكلها فهو زنديق وقال انه يقع طلاقه كالسكران زجرا له قال وقد ظهرت الحشيشة في زمن الامام المزني رضي الله تعالى عنه وأفتى فيها بالتحريم على مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وقواعده وليس للائمة الاربع فيها كلام لانها لم تكن في زمنهم ولما أفتى المزني فيها بالتحريم رجع من كان أفتى فيها بالاباحة من أصحاب أبي حنيفة وأفتوا بحرمته أعني الحشيش مع خطر قيمته وأمر بتأديب بائعه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انها ظهرت وسط المائة السادسة وكان مستند من أفتى باباحتها انها على الاباحة الاصلية فلما اشتهر فسادها في عراق العجم رجعوا عن فتواهم بالاباحة وقالوا انها مضرة للعقل والبدن وتجعل العبد ان أكل لا يشبع وان أعطى لا يقنع وان كلم لا يسمع وتجعل الفصيح أبكم والصحيح أبلم واليقظان نائما انتهى فاذا ذكرت يا أخي هذه المفاسد للحشاش ولاطفته ربما ينقاد لك ويشرع في التوبة عن أكلها وأكل كل ما يسكر أو يخدر أو يغيب ويحتاج صاحب هذا الخلق الى سياسة تامة وعقل وافر وشفقة ورحمة على الخلق وطول زمان فان العارض اذا استحكم يحتاج الى طول زمان وغالب الحشاشين قطعوا اعمارهم في أكلها وألفتها أجسادهم فيحتاج من يريد أن يتوب عنها الى مسارقة النقص من عادته شيأ فشيأ كالافيون والبنج والبرش والا فلا يقدر على التوبة من ذلك دفعة فاعمل يا أخي على ما ذكرته لك في هذا المحل وأكثر من ذكر مفاسدها لصاحب الكنبة حتى تتشكل تلك المفاسد في ذهنه ثم بعد ذلك فأمره بالتوبة والله تبارك وتعالى يتولى هداه وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

بحث في تفضيل سيدنا محمد على جميع الخلق

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) شهودي بنور الايمان وسر الايقان أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله تعالى على الاطلاق فلا أحد من أهل السموات وأهل الارض يساويه في مقام من المقامات ثم لا يتوقف على دليل في ذلك الا من أعمى الله بصيرته وصار بصره كبصر الخفافيش لان نور شريعته صلى الله عليه وسلم أضوأ من نور الشمس وقت الظهيرة وقد وقع في سنة ستين وتسعمائة ان شخصا من طلبة العلم أنكر فضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل مستندا الى قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى وقوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح وقد أجاب العلماء رضي الله تعالى عنهم عن مثل ذلك بعدة أجوبة أظهرها انه قال ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم مع اخوانه من الانبياء كما في نحو قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم وقوله صلى الله عليه وسلم في يوسف عليه السلام لو كنت أنا مكانه لاجبت الداعي لخاف صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تعظيمه حتى يصل الناس الى حد التحقير لغيره وكان ذلك من جملة انصافه صلى الله عليه وسلم ويكفي في بيان فضله اجماع أمته كلهم في سائر الاقطار على تفضيله على الاولين والآخرين بالبديهة من غير توقف مع ان أحدا منهم لم يره وانما رأى شرعه وسمع هديه فقط وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة وقد وقع في سنة احدى وأربعين وتسعمائة ان شخصا آخر زعم ان سيدنا ابراهيم

عليه السلام أفضل من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مستندا الى تعليمه صلى الله عليه وسلم الصحابة كيفية الصلاة عليه فى الصلاة وقوله فى حديث التشهد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم بناء على قاعدة أهل المعانى من أن المشبه به أعلى من المشبه وغاب عن هذا الشخص ان المسئلة واردة على سبب وذلك ان الصحابة لما قالوا له يارسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الى آخره فالنكتة فى قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم مسؤلا فى تعليم الكيفية وتأمل اذا قلت لانسان من الاولياء أو العلماء مثلا علمنى تحية أعظمك بها وأمدحك بها أو أفضلك بها بين الناس كيف لايسعه الا السكوت أو النطق بما فيه تواضع ولذلك جاء فى حديث كعب بن عجرة أنه قال لما سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلى عليك سكت وتغير وجهه حتى تمنينا أن لو لم نكن سألناه يعنى من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع صريح فى تفضيله على جميع الخلق حتى ادم عليه السلام الا فيما لا يؤذن له كما تقدم وقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وانما تأدب صلى الله عليه وسلم مع أبيه آدم لانه لا ينبغى للولد أن يقول أنا أفضل من أبى فانه سوء أدب وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من مثل ذلك قطعا الا ما ورد به الاذن الالهى كما فى حديث آدم فمن دونه تحت لوائى وقد انتصر علماء مصر وصنفوا مصنفات فى الرد على هذا الشخص بتقدير ثبوت ذلك عنه كسيدى محمد البكرى وسيدى محمد الرملى والشيخ ناصر الدين الطبلاوى والشيخ نور الدين الطندتائى وقرئت تلك المصنفات على رؤس الاشهاد بحضرة خلائق لا يحصون فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) من صغرى عدم مزحى مع أحد وهو فى عبادة أدبا مع الله تبارك وتعالى فلم يقع منى قط أنى غمزت صبيا مصليا أو قارئا أو ذاكرا بعينى أو يدى وقل طفل يسلم من ذلك مع اخوانه فى المكتب وهذا من أكبر نعم الله عز وجل على لكونه حفظنى من مثل ذلك فى صغرى وفى تاريخ الملك المنصور ابن السلطان شعبان ان فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد بريد من نائب حلب الى مصر بكتاب يتضمن ان اماما صلى بقوم فى جامع فجاء شخص وعبث به فى صلاته من باب المداعبة فلم يقطع الامام صلاته حتى فرغ فلما سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير ثم هرب ودخل غابة هناك فتعجب الناس من هذا الامر وكتب بذلك محضرا انتهى وهذا من جملة غيرة الله تعالى وعقوبته المعجلة لمن أساء معه الادب فاياك يا أخى ان تمكن أولادك من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم مبادرتى للانكار على ولاة أمورنا من أمير أو قاض فى تغاليهم فى شراء المماليك الصباح الوجوه وعدم سوء الظن بهم فان من شأن الولاة فى كل زمان محبة الجمال والتلذذ برؤيتهم له فى دورهم وملابسهم وخدامهم من غير أن يتعدى ذلك الى فعل حرام وقد يحمى الله تعالى العبد وهو بين المغانى ويوقعه وهو بين العباد وقد كان الشيخ محمد الاخنائى يبيع الاخفاف للنساء ويقول ما حدثتنى نفسى قط بان انظر الى ساق امرأة ولا يدها ولا وجهها وكان له أخ عابد يركب السبع فى شوارع بغداد والناس يتبركون به

فجاء مرة وجلس عند أخيه فرأى ساق امرأة فافتتن بها وعصى عليه السبع فسلب حاله من ذلك اليوم فقال له أخوه انما الحماية يا أخى من الله لا بحولى ولا بقوتى ودخل اسمعيل القاضى يوما على الخليفة المعتضد فرأى على راسه أحداثا صباح الوجوه من الروم قال القاضى فنظرت اليهم وتأملتهم فخطر فى ذهنى شئ فلما أردت القيام أشار الى المعتضد قف ثم قال والله يا قاضى ماحللت سراويلى على حرام قط قال فاستغفرت من سوء ظنى فاياك يا أخى وسوء الظن ونظف باطنك من الرذائل حتى تصير منظفا من الرذائل مطهرا لا تجد فى باطنك شيأ منها تقيس أحدا عليه والحمد لله رب العالمين وكان المعتضد من أورع الناس وصنف شخص كتابا فى الرخص وذكر فيه زلل العلماء فنظر فيه وأمر باحراقه وقال ان صاحب هذا زنديق فان من أباح شرب النبيذ مثلا لم يبح المتعة ومن أباح المتعة لم يبح الغناء وما من عالم الا وهو معرض للزلة ومن أخذ بكل زلل العلماء فقد ذهب دينه انتهى فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم وسوستى فى الوضوء والنية والقراءة وغير ذلك مع كونى بالغت فى التورع الى حد المبالغة التى لم يصل اليها هؤلاء الموسوسون أوائل اشتغالى بالعلم كما مر بسطه فى اوائل الباب الاول وهذه النعمة من أكبر نعم الله تعالى على فان الوسوسة قد عمت غالب الناس الآن حتى ان بعضهم ترك الوضوء والصلاة وقال لا يعجبنى وضوء أصلى به ولا قراءة أقرؤها وشهدت أنا بعينى موسوسا دخل ميضأة ليتوضأ قبل الفجر من ليلة الجمعة فلا زال يتوضأ للصبح حتى طلعت الشمس ثم جاء الى باب المسجد فوقف ساعة يتفكر ثم رجع الى الميضأة فلا زال يتوضأ ويكرر غسل العضو الى الغاية ثم يرجع وينسى الغسل الاول حتى خطب الخطيب الخطبة الاولى ثم جاء الى باب المسجد فوقف ساعة ورجع فلا زال يتوضأ حتى سلم الامام من صلاة الجمعة وأنا أنظره من شباك المسجد ففاته صلاة الصبح والجمعة وذلك حرام باجماع المسلمين ومثل هذا قد خرج عن قواعد الدين حتى انك لو قلت له توضأ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وصل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى لا يرضيه ذلك ويرى أنه لو فعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وضوئه وصلاته لا يصح وضوءه ولا صلاته وذلك من الضلال المبين لطاعته عدو الله الشيطان وعصيانه للشارع أمين الرحمن وفى الحديث كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد وقد رأيت بعضهم يأنف من مواكلة الصبيان أو من مواكلة العوام ويغسل يده اذا أكل معهم ويرى انها تنجست بالاكل معهم وبعضهم يغسلها سبعا احداهن بتراب كلما أكل أو يشرب من محل أكل الناس أو شربهم ثم رأيته بعد ذلك يأخذ فلوسا من مكاس قرأ عنده فقلت له كيف تأخذ مثل هذا وهو أخبث من كل خبيث فما درى مايقول ثم انه غسل الدراهم بماء وطين فقلت له هذا لا يرفع خبثها انتهى ورأيت بعضهم لا يصلى قط فى صف المسلمين حتى اضطره ذلك الى أنه لا يصلى الا اماما حتى لا يلاصقه أحد بثيابه وصلى مرة فى صف فيه شخص مالكى بينه وبينه نحو عشرة أنفس فأعاد الصلاة وقال ان المالكى اتصلت به وبثيابه ورأيت بعضهم كلما يجامع زوجته يفتق الطراحة واللحاف ويطهرهما ثم يجددهما واذا جامع فتق فى الملاءة فتقا يخرج ذكره منه حتى لا يمس جسم المرأة وهذا قريب من صورة دين السامرة الذين يقولون بنجاسة المسلمين ويمتنعون من أكل شئ مسه مسلم بل من يسبغ يده

بالطين أبلغ فى مخالفة السنة من صورة مذهب السامرة لانه جعل المسلم كالكلب مع انه لم يشاهد ذلك الشخص الذى غسل يده من أثره يمسك الكلب ولا يشرب فضلته حتى يعذر فى ذلك وهذا كله من استيلاء الشيطان على قلوب هؤلاء فانهم أجابوه الى مادعاهم اليه مما يشبه الجنون و يقارب مذهب السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الموجودات فان الواحد من هؤلاء ينكر الامور المحسوسة اليقينية التى علمها بيده أو لسانه وهو ينظر أو يسمع فيغسل العضو مثلا ثلاث مرات و ينطق بالكلمة ويكذب بصره وسمعه حتى ان الثقة من الناس يراه أو يسمعه و يقول له انك فعلت كذا أوقات كذا فلا يرجع اليه ولو كان عددا كثيرا وقد رأيت من استحم بخمسة وخمسين ابريقا ثم شك بعد ذلك فى أن الماء عم بدنه وكان ذلك لصلاة الظهر فقال روحوا بى الى بحر النيل فجعل يغطس و يصعد برأسه الى أن غربت الشمس وفاته الظهر والعصر وقد رأيت من ذهب أيام النيل الى بركة الحاز ندار خارج القاهرة ليطهر ثيابه فمازال يغسلها و يجففها الى آخر النهار ثم ضم ثيابه ولبس بعضها ثم شك فى أنه هل غسلها أم لا وكان قد مر على صيادين السمك فى طريقه الى البركة فلما رجع قال لهم هل رأيتمونى مررت عليكم بكرة النهار ومعى ثيابى فقالوا والله ما رأيناك فقال فاذن أنا ما رحت الى البركة ثم ذهب من بكرة النهار الى البركة ثانيا ومن بلغت به طاعة ابليس الى هذا الحد فهو ممن أضله الله على علم لانه جعله ينكر يقين نفسه و يجحد ما رآه بعينه أو سمعه بأذنه أو يعلمه بقلبه وقد رأيت من يقفز فى الهواء اذا نوى للصلاة ثم يقبض بيديه على صدره كأنه يخطف شيا كان هاربا منه ثم يقول أستغفر الله ثم ينوى ثانيا و يقفز كذلك ثم يقول والله والله لا أزيد على نية واحدة ثم يقفز و ينوى ثم يقول أستغفر الله ثم يقول الطلاق يلزمنى ثلاثا لا أزيد على نية واحدة ثم يزيد وكان ذلك فى صلاة الجمعة فمازال كذلك حتى فاتت الجمعة (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول أصل الوسوسة من ظلمة الباطن وأصل ظلمة الباطن من عدم الورع فى اللقمة فمن تورع فى اللقمة ضمنت له زوال الوسواس انتهى ثم من جملة مفاسد الوسوسة ان الموسوس يصير يعذب نفسه باستعمال الماء البارد فى الشتاء وربما غاص فى الماء البارد فنزل الماء البارد فى عينيه فعمى كما وقع للشيخ محمد الجوجرى بالجامع الازهر وربما فتح عينيه فى داخل الماء ليغسلهما فيضر بصره وربما كشف عورته للاستنجاء فى الحمام وعلى افريز الفساقى والناس ينظرون اليه وربما صار الى حال يسخر منه الصبيان و يستهزئ به كل من يراه (وقد رأيت) مرة موسوسا من قضاة شبين الكوم وهو ذاهب الى البحر وذكره مربوط بخيط فى عود جعله بين وركيه حتى لا يصدم ذكره وركيه وهو عريان ورأسه مكشوف وثيابه وعمامته فى يده مرفوعة خوفا أن تمس جسده فلازال كذلك حتى نزل البحر فطهر ثيابه واغتسل بعد تكدير الماء ثم وضع ثيابه على جرن قمح ليجففها فطلع له كلب من داخل القش فرجع بثيابه الى البحر فغسلها ثم طلع بها فمر كلب وصل ظله الى ثيابه فرجع بها البحر ثالثا فحملت همه وسألت الفقراء أن يدعوا له فمن ذلك اليوم ماحصل له وسوسة ورأيته يجلس بثيابه بعد ذلك على الارض وعلى زبل الغنم الجاف وهو والد القاضى عز الدين المتولى بشبين الكوم الآن رحمه الله تعالى وبالجملة فلو لم يكن فى الوسوسة الافوات أول الوقت أو فوات تكبيرة الاحرام أو القراءة أو الركعة

الاولى لكان فى ذلك غاية الخسران المبين (وقد رأيت) شخصا يتوسوس فى اخراج الحرف حتى ربما كرر الحرف ثلاث مرات وأكثر ورأيت من يقول الله اك اك اكبر ورأيت من يقول ات ات ات حيات لله ومنهم من يقول اس اس اس لام عليكم وقد أفتى بعضهم ببطلان الصلاة بذلك وربما كان اماما فأفسد صلاة المأمومين وصار اثم ذلك فى عنقه ولو سلمنا ان ذلك لا يبطل الصلاة فهو مكروه فقد قلب هذه العبادة المقربة الى الله تعالى مكروهة لله مبعدة عنه لاخراجه الحروف عن وضعها الشرعى ورغبته عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه وربما رفع صوته بذلك فآذى سامعيه وأغرى الناس على ذمه والوقيعة فيه وربما كان يزعم فى نفسه ان صلاة كل من لم يتوسوس مثل وسوسته باطلة فيؤدى ذلك الى القول بابطال صلاة الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وسائر المؤمنين لانهم لم يفعلوا كفعله وهذا كالمروق من دين الاسلام وان قال ان الصلاة صحيحة بدون الذى أفعله أنا فنقول له فما دعاك الى الوسوسة وتعدى الحدود وان قال هذا مرض ابتليت به قلنا له نعم هو مرض وأصله موافقة مراد الشيطان ولم يعذر الله تعالى بذلك ولو قبل الله تبارك وتعالى عذر من قبل وسوسة ابليس لم يوجب الله تبارك وتعالى التوبة على أبينا آدم وحواء عليهما السلام ولا على بنيهما من بعدهما مع ان آدم وحواء أقرب الى قبول عذرهما منا لانهما لم يسبق لهما من يعتبران بحاله بخلافنا وقد أخبرنا الله تعالى بأن الشيطان عدو لنا وقال فاتخذوه عدوا ومابقى لنا عذر ولا حجة بعد ذلك (وفى الحديث) الصحيح انه صلى الله عليه وسلم توضأ هذا الوضوء الشرعى الذى يتوضؤه المؤمنون الآن ثم قال فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم وقال صلى الله عليه وسلم المعتدى فى الصدقة كمانعها وقال كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد وقال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة (وكان) طاوس رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى ان الله لا يحب المعتدين أى المعتدين فى الماء والطهر انتهى وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يخافون من الوقوع فى البدع حتى كان سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه لا تقتدوا بى فى اعمالى فانى أخاف أن أكون قد ابتدعت شيا (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يهم بالامر ويعزم عليه فيقول له شخص من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك فيرجع عن ذلك من حينه وهم مرة أن ينهى الناس عن لبس ثياب بلغه أنها تصبغ ببول العجائز فقال له شخص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسها ولبسها الناس فى عصره فاستغفر الله ورجع عن ذلك وقال للشخص صدقت يا أخى لو كان عدم لبسها من الورع لكان فعله صلى الله عليه وسلم (وقال) الامام زين العابدين لولده يوما يا بنى اتخذ لى ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة فانى رأيت الذباب يسقط على النجس فى الخلاء ثم يقع على الثوب فقال له ولده انه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد لخلائه وصلاته فرجع الامام عن ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لو كانت الوسوسة فى الوضوء والصلاة ونحوهما خيرا ما ادخرها الله تعالى عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم أفضل الخلق فما كان فيهم موسوس قط (وكان) الشيخ شمس الدين اللقانى المالكى رحمه الله تعالى يقول لو أدرك النبى صلى الله عليه وسلم هؤلاء الموسوسين لمقتهم ولو أدركهم عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه لضربهم ولو أدركهم أحد من الصحابة والتابعين لبدعهم وكرههم انتهى (وسمعت) شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى رحمه الله تعالى يقول قد أتعب الموسوسون أنفسهم فى الفاظ النية التى أحدثوها واشتغلوا بمخارج حروفها ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك شئ انما كان ينوى بقلبه فقط وكذلك أصحابه وكان لا يسمع منه ولا من أصحابه الا لفظ الله أكبر لا غير فاستحوذ الشيطان على طائفة وأشغلهم بمخارج حروف النية ليصرف قلوبهم عن الحضور مع الله تعالى الذى هو روح الصلاة فترى أحدهم يقول اصلى اصلى اصلى و يكرر ذلك اللفظ العشر مرات وأكثر ولم يتعبده الله بذلك وسمعته مرة أخرى يقول النية من لازم كل عاقل حاضر الذهن فلا يصح أن يدخل فى الصلاة و يراعى أفعالها وترتيب اركانها بلا نية ابدا حتى لو قدر ان الله تعالى كلف العاقل بأن يصلى بلا نية لكان ذلك كالتكليف بما لا يطاق وتأمل الانسان اذا ذهب الى الميضأة يتوضأ تقول له الى أين فيقول لأتوضأ واذا ذهب الى المسجد تقول له الى أين فيقول لاصلى فكيف يشك عاقل مع قصده هذا انه غير ناو للوضوء والصلاة هذا نوع جنون ثم من العجب كون الواحد من هؤلاء الموسوسين لا يتوسوس قط فى فلوس تأتيه من وجه شبهة ولا يرد طعاما مادعاه اليه ظالم مع ان أكل مثل ذلك كالذى يلطخ بدنه قذرا من فرقه الى قدمه فهو كمن تضمخ بالعذرة ثم خرج للصلاة ورش على ثيابه ماء الورد فقال له شخص اغسل هذه النجاسات عنك ثم رش الماء ورد فقال له تلومنى على فعل السنة فهذا امثاله فاعلم ذلك وتأمل ماذكرته لك فى هذه النعمة واعمل به والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) طيب نفسى بالقراءة على أحد من أقرانى واظهارى انى من طلبته بين أصحابى ظاهرا وباطنا وقد عد العارفون ذلك من أكبر علامات صحة رياضة النفس وانقيادها للخير وزوال رعوناتها ولا أعرف الآن لهذا الخلق فاعلا الا القليل لانه من آخر ما يخرج من نفوس الصديقين ومن هنا صار غالب الطلبة يرى نفسه اعلم من شيخه وربما قال ان شيخنا ذهل مابقى يؤخذ عنه علم فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تعظيمى لاقرانى من الفقراء كلما اختفى أحدهم ونفر عنه الناس لانه مال الى طريق الحق التى كان عليها السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم وهذا الخلق قل من يتنبه له من الناس بل ربما نفروا عن ذلك الشيخ الذى نفر الناس عنه وعن الاعتقاد فيه وقالوا فلان مقت أو رفضته الطريق وكل ذلك لجهل الناس بالطريق فصاروا لا يعظمون شيخا الا ما دام الخلق مقبلين عليه لاسيما ان نزل اليه نائب مصر لزيارته فاياك يا أخى ان تسلك مثل ذلك فتخطئ طريق الادب ثم من أكبر طرق الخفاء للفقير كثرة بيعه وشرائه وسعيه على الوظائف ومسافرته الى بلاد الروم مثلا فى طلب جوالى أو مسموح أو غيرهما لكن بشرط استقامته على آداب الشريعة فاياك ان تطعن على من رأيته كذلك فقد يكون قصده بذلك ستره بين الناس وايثار اخوانه على نفسه بالظهور ونسبة الصلاح اليهم دونه (قلت) وقد قدمنا فى هذه المنن ان الفقير كلما ترقى فى مقام العرفان صار غريبا فى الاكوان لا يكاد احد يعرف له مقاما

وان سيدى يوسف العجمى كان يدوره هو وأصحابه كل يوم على واحد وكان يوم سيدى يوسف لا يحصل لهم الا القليل من الطعام فقالوا له فى ذلك فقال قد ذهب كثرة المجانسة بينى وبين الخلق وضعفت بشريتى فنفروا منى لقلة مجانستى لهم فى أوصاف البشرية بخلافكم أنتم بينكم وبينهم المجانسة فلذلك يعطونكم أكثر مما يعطونى وكذلك وقع لشيخ الجماعة سيدى محمد ابن أخت سيدى مدين فنفر الناس منه آخر عمره حتى صار يخرج فيحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به الى الفرن يخبزه ويشترى حوائجه من السوق ويلبس الظهور من الحرير كآحاد العوام حتى مات الى رحمة الله تعالى بعد ان سلك خلائق كثيرين واذن لاثنى عشر رجلا منهم سيدى محمد السروى وسيدى على المرصفى وغيرهما رضى الله عنهم أجمعين فاعلم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من أن يكون لى ديوان سر بين أصحابى اذكر فيه عجر اقرانى وبجرهم وأفضل نفسى عليهم على التعيين ثم اذا جاءنى أحد منهم زائرا أقوم له وأعظمه وأمشى معه اذا خرج الى ظاهر الزاوية حتى يصير اصحابى يتغامزون على ذلك ثم أقول لهم ايش اعمل لا يرضيهم منا الا التعظيم لهم فاجعل نفسى شيخا كبيرا عارفا بالله تعالى سالما من رعونات النفس وانى أتنزل لهم مداواة لهم واجعل غيرى بالضد من ذلك وقد وقع لى ذلك مع شخص منهم فشيعنى الى خارج الزاوية هو وجماعته فلما وليت عنه جرقافيتى بالسوء فتذكرت حاجة كنت نسيتها عنده فدخلت من باب المسجد الآخر فوجدتهم جالسين جميعا فى ذكرى بالنقائص فكلحوا وخجلوا فأوهمتهم انى لم أسمع منهم شيأ من ذلك فاياك يا أخى ان تفعل مثل ذلك ثم اياك فانه من أعظم صفات المنافقين والمنافق لا يصلح شيخا فى الطريق والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اذا رأيت شخصا يعصى ربه عز وجل ان لا احتقره الا ان أطلعنى الله تعالى على سوء خاتمته التى يبعث عليها ومالم يطلعنى الله تعالى على ذلك فلا احتقره ولا اعتقد فيه الاصرار وأقول لعله تاب فى سره أو لعله ممن لا تضره المعصية لاعتناء الحق تعالى به فى عاقبة أمره وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الازدراء لشئ من العالم يرجع فى الحقيقة الى صنع الله تعالى والازدراء بالصنع كفر وانما على العبد ان يتطلب الحكمة فى كل مخلوق ليوفيه حقه ومن احتقر شيأ فى العالم من جانب الحقيقة ثم ادعى الولاية فهو كاذب لان ذلك يناقض ولاية الله له وكيف يكون ولى الله قليل الادب معه هذا لا يكون وفى الحديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار فشمل كل شئ يضر ابن آدم (وسمعت) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول كف الاذى على نوعين أحدهما ترك أذى أحد من المسلمين بالجوارح الظاهرة ثانيهما كف القلب عما يخطر فيه من سوء الظن فان ذلك من السموم القاتلة ولا يشعر به كل أحد لاسيما سوء الظن بالاولياء والعلماء وحملة القرآن انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول رب قطيعة جلبت وصالا وربما كان على العبد بقية من تقديرات الحق تعالى عليه فتحجبه تلك الزلة عن الوصول الى مايطلبه من المقامات ويصير يتحسر على تلك المقامات ويتوقى الوقوع فى تلك المخالفات التى بقيت عليه حتى يوقعه الحق تعالى فيها بقضائه فيتوب الى الله تعالى ويلجأ اليه

فيعطيه الله تعالى تلك المقامات فأقروا ما أقره الشرع ولا تحتقروا أحدا بحكم الطبع انتهى (وكان) الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى يقول اياكم ومعاداة اهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم أولياء الله تعالى وان جاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيأ فان الله تعالى يلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول كل من لم يطلعك الله تعالى على أنه عدو لله تعالى فليس لك معاداته وأقل أحوالك اذا جهلت أن تهمل أمره فاذا تحققت انه عدو لله وليس ذلك الا المشرك فتبرأ منه كما فعل ذلك ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى حق أبيه (وسمعت) سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى يقول لا تعادوا أحدا بالامكان وأنكروا عليه فعله لا عينه بخلاف من أطلعكم الله على سوء عاقبته فاكرهوا عينه ولا تتبرؤا ممن لم يطلعكم الله على حكمه عنده اعتمادا على ما ظهر منه من قبيح الاعمال وان كان عدوا لله فى نفس الامر فان تبرأتم منه خاصمكم الاسم الظاهر عند الله تعالى (وسمعته) مرات يقول كل من لم تعلموا باطن حاله من المسلمين فوالوه فانه مسلم على كل حال انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم سبى للسكران أو ضربه اذا طلع المسجد وانما أسعى فى اخراجه منه برفق ورحمة خوفا أن يتقايأ فيه أو يحدث * وقد خالف هذا الخلق كثير من فقراء الزوايا فسبوا السكران وضربوه حال سكره وذلك ممنوع شرعا ثم انه لا فائدة فيه ولا يحصل به زجر فان الزجر انما يحصل للصاحى الذى يعلم ما يفعل به وأما غائب العقل فلا يحصل له زجر لعدم شعوره على أنه ليس لاحد من الفقراء أن يحد سكرانا الا اذا ولاه ولى الامر ذلك ومتى ضرب أحدا من السكارى عزر * وقد مسك جماعة الوالى مرة شخصا رأوه طالعا الى الزاوية وهو سكران فقال لهم أنا من جماعة شيخ الزاوية فجاء واحد من الجبلية وقال هل هو من جماعتكم فتحيرت لانى ان قلت هو من جماعتى أساؤا الظن بقية الجماعة وان قلت لا أخذوه الى بيت الوالى فألهمنى الله تبارك وتعالى أن أسأله تعالى أنهم يتركوه من ذات نفوسهم فتركوه ومنعت الجماعة أن يضربوه ووضعته فى مخزن حتى حصل له الصحو ولكثرة رحمتى وشفقتى للعصاة صار بعض الجهلة يقول انى أسامحهم فى ارتكاب المعاصى وهو كذب وافتراء وكيف أسامح عبدا بما يسخط الله عليه وعلى * وقد كان المسيح عليه الصلاة والسلام يقول لا تعيروا أحدا بذنب يذنبه فانما الناس قسمان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واشكروا الله على العافية انتهى * وقد رأى سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه شخصا يتمايل أوائل سكره فنظر اليه شزرا فقال له يا عبد القادر قادر على أن ينقل اليك ما بى فاطرق الشيخ رأسه وشكر الله تعالى على العافية * فعلم أنه لا ينبغى لاحد أن يرفع ذلك السكران الى حاكم بعد صحوه من سكره لاحتمال توبته كما أنه ليس لاحد أن يتجسس على العصاة ليطلع على ما يفعلونه فى بيوتهم وفى بعض طرق حديث هزال لما رأى رجلا عند زوجته وشكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هلا سترته بثوبك * وجاء رجل الى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما فقال ان لى جيرانا يشربون الخمر فى بيوتهم وقد عجزت عن نصحهم فلا يتوبون

وانا داع الشرط اليهم ليأخذوهم فقال له عبد الله لا تفعل ودم على نصحك لهم انتهى فاعلم ذلك وارحم الخلق فان من لا يرحم لا يرحم والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اهتمامى بامر الضيف وكثرة سؤالى عنه وقت الغداء والعشاء مع كونى مشتغلا عنه بأمور كثيرة يعرفها أصحابى من حمل هموم الناس وتاليف كتب العلم وخدمة الفقراء القاطنين عندى والسعى فى شان المرصدين لتهيئة ما يأكلون من غربلة القمح وطحنه وعجنه وخبزه وتهيئة أمر طعام يكفيهم كل يوم وغير ذلك مما يستغرق كل أمر منها النهار وكل ذلك عناية من الله تعالى بى * وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول وعزة ربى معى سبعون وظيفة وستة بعدى على سبعين رجلا ويعجزوا عنها انتهى ولولم يكن الا تلقى الواردين على فى الزاوية كل يوم وليلة لكان فيه كفاية حتى ان بعض العلماء قال لى أنا أتعجب من تأليفك لكتب العلم مع اشتغالك بهذه الامور التى فى الزاوية فان المؤلف عادة لا يكون الا فى مكان خال ليجتمع فكره فقلت له ذلك من فضل الله تعالى على * ثم لا يخفى أن من توابع خدمة الضيف اعلامه بجهة القبلة ليصلى اليها واعلامه ببيت الخلاء وتهيئة ماء عنده للشرب والاستنجاء والوضوء واعلامه بدخول وقت الصلاة وتلقيه بالترحيب * وقد ورد أن للقادم دهشة فتلقوه بالترحيب انتهى وتقدم فى المنن السابقة ايضاح ما يتعلق بالضيف والضيافة وان كل من تكلف لضيف هرب من لقائه ولو على طول * وذكر الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى رحلته الى الامام مالك قال لما بت عند الامام مالك رحمه الله تعالى بالمدينة أدخلنى مكانا فى بيته وأرسل لى غلاما فقال لى القبلة من هذا البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا الخلاء من الدار وأشار اليه ثم دخل على مالك ومعه غلام حامل طبقا فوضعه من يده وسلم على وقال للعبد اغسل علينا فوثب الغلام الى الاناء وأراد أن يصب على أولا فصاح به مالك وقال الغسل فى أول الطعام يكون لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف فرآنى ناظرا الى حكمة ذلك فقال لان صاحب الطعام يدعو الناس الى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه * قال الشافعى رضى الله تعالى عنه فاستحسنت ذلك من الامام مالك رضى الله تعالى عنه ثم أكلت أنا واياه فأتينا على جميع الطعام وعلم مالك انى لم آخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم رفقات لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء * فلما صلينا العشاء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سألنى عن بعض أحوال أهل مكة ثم قال حكم المسافر أن يحل تعبه بالاضطجاع * قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فلما كان الثلث الاخير من الليل قرع مالك على الباب وقال الصلاة يرحمك الله تعالى فانتبهت فاذا هو حامل اناء فيه ماء فشق ذلك على فقال لا يروعك ما رأيت منى فان خدمة الضيف فرض فلما أردت السفر من عنده عمل لى طعاما فأكلناه وزودنى صاعا من تمر وصاعا من أقط وصاعا من شعير وسار معى يشيعنى الى البقيع ثم أكرى لى راحلة الى الكوفة واعطانى صرة فيها خمسون دينارا وودعنى وانصرف انتهى فتأمل يا أخى الى هذه الآداب واعمل بها ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) عدم استكثارى على علماء الزمان شيأ من أمتعة الدنيا أو وظائفها فان ذلك من توابع ناموس العلم ولا أقول كغيرى قل أن يسلم من اتسع فى الدنيا من الشبهات والحرام الا اذا كان ذلك فى مناقشتى لنفسى بل أقول هم أعلم بالحلال والحرام منى وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول لابد للعالم من مال وجاه حتى لا يذل لاحد من الخلق ولا يحتاج اليه انتهى * وذكر الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى رحلته الى العراق قال لما قدمت العراق اجتمعت بمحمد بن الحسن فى الجامع فعزم علىّ أن آتيه منزله فأجبته الى ذلك فقدم الىّ بغلته بسرج محلى بالذهب حتى أتيت الى منزله فرأيت أبوابا عراقية ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت مافارقت عليه مالكا رحمه الله تعالى من ضيق المعيشة وبكيت فقال لى محمد بن الحسن لا يروعك يا أبا عبد الله مارأيت فاهو الا من حقيقة حلال ومكسب واخراج زكاة مالى كل سنة وما أظن أن الله تعالى يطالبنى بفرض فيه ونعم المال للرجل يسر به الصديق ويكمد به العدو * قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ثم انه كسانى خلعة بألف دينار فلما أردت السفر زودنى بثلاثة آلاف درهم وعرض علىّ أن أشاطره فى جميع ماله فأبيت ثم انى اجتمعت بالزعفرانى فرأيته فى دنيا واسعة فأعطانى أربعين ألف درهم لما عزمت على السفر وعرض علىّ أربع ضياع له وقال قد سمعت لك بها فلم أقبل فورد جماعة من الحجاز فسألتهم عن مالك فذكروا لى ان الله تعالى وسع عليه فى الدنيا وأنه صار له ثلثمائة وستون جارية ينوب احداهن منه فى السنة ليلة واحدة * قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فلما سافرت الى الامام مالك ودخلت المدينة وافيته فى المسجد فى صلاة العصر فصليت معه ثم نظرت الى كرسى من حديد وعليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها بالحرير لا اله الا الله محمد رسول الله وحول الكرسى أربعمائة دفتر أو يزيدون فبينما أنا كذلك اذ رأيت مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قد دخل من باب النبى صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد يحمل أذياله أربعة فلما وصل الى الكرسى قام الحاضرون كلهم له وجلس على الكرسى فألقى مسئلة فى جراح العمد فما زال يتكلم فى العلم ويستدل حتى نزل من الكرسى فقمت وسلمت عليه فضمنى الى صدره ثم مسك بيدى وأتى بى الى منزله فرأيت بناء غير البناء الاول الذى كنت أعهده قبل رحلتى الى العراق فبكيت فقال لى مالك مم بكاؤك كأنك يا أبا عبد الله ظننت انا بعنا الآخرة بالدنيا طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر تجبئنى من أقصى البلاد وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة وان لى ثلثمائة خلعة من خراسان وثلثمائة خلعة من قباطى مصر وعندى من العبيد مثلها وهى كلها هدية منى اليك وفى صناديقى تلك خمسمائة ألف دينار أخرج زكاتها كل حول نصفها هدية منى اليك فقلت له انك موروث وأنا موروث وما جئتك لمثل ذلك فتبسم مالك رضى الله عنه فى وجهى وقال أبيت الا العلم فلما أردت السفر الى مكة خرج معى ماشيا حافيا فقلت له ألا تركب دابة فقال أستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطأ مكان قدمه بحافر دابتى * قال الشافعى رضى الله تعالى عنه فسررت بذلك وعلمت ان ورعه على حاله لم ينقص وان كثرة المال جمال للعلماء لا يضرهم ان شاء الله تعالى وأعطانى مالا جزيلا فلما وصلت الى مكة فرقته على بنى عمى باشارة أمى خوفا علىّ أن أفتخر عليهم * ولما بلغ مالكا ذلك استحسنه

منى ووعدنى بأنه يرسل الىّ كل سنة مثل ماوصل الىّ منه * قال وأقام مالك رضى الله تعالى عنه يحمل الىّ كل سنة من المال ما يكفينى احدى عشرة سنة فلما مات مالك الى رضوان الله ورحمته ضاق علىّ الحجاز فخرجت طالبا أرض مصر فعوضنى الله تعالى ابن عبد الحكم فقام بكفايتى فى مصر انتهى * فقد علمت يا أخى ان ناموس العلماء لا يتم الا باتساع الدنيا عليهم كالملوك فكما ينفق الملك على جنده كذلك العالم ينفق على طلبته وكما أن الجند يحفظون دين الاسلام من العدو الظاهر فكذلك طلبة العلم يحفظونه من العدو الباطن وان كمال الدين لا يحصل الا بالملوك والعلماء * وكذلك بلغنا عن الامام اشهب صاحب مالك انه كان فى سعة من الدنيا وكانت معيشته كمعيشة الملوك وكانت بلاد جيزة مصر اقطاعا للامام الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه وكان خراجها كل سنة مائة ألف دينار ولم تجب عليه زكاة قط * وكان الفخر الرازى له ألف مملوك خلاف الجوارى والخدم والخيل فاياك يا أخى أن تعترض ولو بقلبك على أحد من علماء زمانك اذا تشبه بالامام مالك أو غيره من العلماء السابقين فى توسعة الدنيا وملابسها ومراكبها فان ذلك من الجهل بك فان العلماء والاولياء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام فمنهم من كان له مال ومنهم من لا مال له كسيدنا سليمان وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام ومن الاولياء كسيدى عبد القادر الجيلى وسيدى مدين وسيدى ابراهيم بن أدهم وسيدى أحمد الزاهد رحمهم الله تعالى فكل واحد منهم قائم بمرتبة هو كامل فيها لا تضره سعة الدنيا عليه ولا ضيقها فاياك يا أخى أن تعترض على مثل سيدى محمد البكرى أو على سيدى محمد الرملى اذا ركبا الخيول المسومة أو لبسا الثياب النفيسة فان ذلك اعتراض بالجهل وحسد منك وأظنك انه لو حصل لك ماهما فيه من الدنيا ما كنت ترده أبدا وما حث الاكابر أصحابهم على الزهد فى الدنيا الا خوفا عليهم من ذل الطمع لا غير والا فلو جاءتهم الدنيا بغير طمع ولا ميل كان من الادب مع الله تعالى قبولها * ومارأيت سيدى محمدا البكرى ولا والده ذلا قط فى طلب دنيا انما تأتيهما الدنيا بغير سؤال فانى مخالطهما من صغرى الى الآن فالله تعالى يفسح فى أجل هذين المحمدين للاسلام والمسلمين ويكثر عليهما الدنيا والطلبة ويحشرنا فى زمرتهما آمين فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) رؤيتى محاسن أعمال العلماء والصالحين وسائر المسلمين اعتمادا على رؤيته ظاهر أعمالهم ولا أتعرض للحكم على باطنهم الا بخبر لان الله تبارك وتعالى لم يكلفنا بالحكم على بواطن الخلق وجعل ذلك من خصائصه تعالى فهو العليم بذات الصدور * فعلم أنه لا يجوز لنا أن نقول عن عالم أو صالح بعيد أن مثل هؤلاء يسلمون من الرياء والنفاق قياسا على مانجده نحن فى نفوسنا من المقاصد الخبيثة فانه قياس فاسد وهذا الخلق غريب فى المتقدمين والمتأخرين بل رأيت كتابا لبعض المتقدمين ذكر فيه جرح أهل زمانه من العلماء وبجرحهم بامارات وقرائن يفهم منها التعيين لاحدهم وسماه الكشف والتبيين فى بيان غرور الخلق أجمعين فاياك يا أخى أن تقصد بتبيينك علل الاحكام ودسائس النفوس أحدا من أهل زمانك على التعيين ولو بالقرائن فتفتح للناس باب غيبته وتنقيصه وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا وعظ لا ينص على أحد بعينه وانما يقول مابال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا ونحو ذلك واياك

أن تقولوا فى أحد من علماء زمانكم وصلحائه ان فلانا مغرور أو مفتون أو تائه عن الطريق الا بطريق شرعى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم من أحكم العلم والعمل الظاهر فعمل الطاعات وترك المعاصى فاياكم أن تظنوا به انه متخلق بالاخلاق المذمومة عند الله تعالى كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلو والشماتة بمصائب الاقران ومحبة طلب الشهرة فى البلاد والعباد بالصلاح والزهد فان ذلك حرام عليكم (وفى الحديث) اذا رأيتم من اخيكم حسنة فاعلموا ان لها عنده أخوات انتهى (وسمعته) رضى الله عنه يقول أيضا اذا رأيتم من يقرر لكم أمراض الباطن ويذكر لكم دواءها فاياكم أن تظنوا به العجب بذلك أو انه يظن بنفسه السلامة منها أو انه يتكدر ممن ظهر من أقرانه وانقلب الناس اليه أو انه يتكدر ممن صار يشفع عند الحكام الذين كان يشفع هو عندهم وصاروا يردونه ولا يقبلون له شفاعة ونحو ذلك بل احملوه على أحسن المحامل ولا تقيسوا حاله على حالكم لو وقع لكم ذلك فانه سوء ظن به وكذلك اذا رأيتم من أحكم العلوم الشرعية وطهر الجوارح من سائر المعاصى وزينها بالطاعات وتفقد أحوال النفس وصفاتها الرديئة حسب طاقته فاياكم أن تقولوا انه مغرور ولو فتش نفسه لوجد عنده بقايا نفاق وحب محمدة ورياء وغير ذلك كما يقع فيه كثير من حذاق الوعاظ قياسا على أنفسهم بل سلموا له حاله الظاهر وكلوا قلبه الى الله تعالى وليس لكم مزاحمة البارى جل وعلا فى قلبه واذا رأيتم من أفنى عمره فى تحصيل علم الفتاوى والخصومات وفصل المعاملات الجارية بين الخلق لمصالح معاشهم وخصص اسم العلم الشرعى بذلك دون غيره فاياكم أن تقولوا انه مغرور لانه لم يغتر بكثرة الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقد جوارحه الظاهرة أو الباطنة من وقوعها فى الغيبة والنميمة وأكل الحرام والحسد والرياء وسائر المهلكات بل ظنوا به الخير فانه لم يقم أحد من الامة بجميع ما كلف به أبدا الا النادر فيما نظن بل ان درج من وجه نخف من وجه سواء الفقيه والصوفى وان شككتم فى قولنا هذا فارسلوا الاخصام اذا تنازعوا للمتعبدين فى الزوايا وأرسلوا المتعبدين فى الزوايا للقضاة يشكوا أمراض أعمالهم تجدوا كل واحد يخل بالقيام بوظيفة الآخر فان الجامع بين علم الشريعة والحقيقة فى كل عصر أعز من الكبريت الاحمر ولو فتش من نسب الناس الى الغرور لوجد نفسه مغرورا كذلك لحديث اذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم انتهى واذا رأيتم من أفنى عمره فى علم الكلام فاياكم أن تقولوا انه مغرور لان ايمان جميع العوام صحيح ولو لم يعرفوا ما قاله المتكلمون بل اشكروه لانه ربما قام لنا مدع يجادل فى الشريعة فيكون هذا ممن تعد له بقطع الحجج لا سيما والزمان قابل لمثل ذلك كلما قربت الساعة كما وقع أمس لمن قال ائتونى بدليل على أفضلية محمد صلى الله عليه وسلم على غيره فانه ما بلغنا طول عمرنا ان أحدا طلب على ذلك دليلا واذا رأيتم واعظا يدعو الناس الى الخير فاياكم أن تظنوا به انه لا يعمل بما يقول بل ظنوا به انه متصف به وانه متصف بجميع ما دعاكم اليه وانه ما دعاكم الى الاخلاص الا بعد ان أخلص ولا الى الزهد الا بعد ان زهد وغير ذلك وكذا اذا رأيتم من يختم القرآن كل يوم فاياكم أن تقولوا انه لا فائدة فى ذلك لعجزه عن العمل به والتفكر فيه بل أثبتوا له الثواب بمجرد تلفظه بحروف القرآن وفتشوا نفوسكم تجدوها لا تقدر على العمل

بكل ما قرأت فكما تعذرون نفوسكم فاعذروا غيركم وبالجملة فما من أحد من الامة يعمل عملا من الاعمال الا ولله تعالى عليه فيه الحجة من حيث تقصيره فيه حتى الصوم والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والمجاورة بمكة والمدينة والزهد وسائر مقامات الطريق كما هو مبسوط فى ربع المهلكات من كتاب الاحياء فراجعه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تفتيش نفسى كل يوم وليلة بالتوبة من كل صفة مذمومة رأيتها فى لا سيما ان قمت الى الصلاة من حسد ومكر وبغى وخداع وغش ونفاق ورياء واحتقار للناس ونحو ذلك فان مثال من يقوم بهذه الامور بين يدى الله عز وجل مثال من لطخ ثوبه وبدنه بعذرة ودم وقيح ثم وقف بين يدى السلطان ولله المثل الاعلى فهو لا يأمن من العقوبة لازدرائه بحضرة الملك ومن هنا لبست الاكابر الثياب النفيسة المبخرة أدبا مع الله تبارك وتعالى فى الصلاة ظاهرا ثم استغفروا من الصفات القبيحة المركوزة فى باطنهم عملا بقوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء كل ذلك لتكمل لهم الطهارة باطنا وظاهرا ❊ وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يتفقد كل عضو عند غسله ويتوب مما جناه به وما رأيته يخل بذلك قط فاعلم يا أخى ذلك واعمل به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم أكلى شيأ أو شربى له اذا ركبت حمارة أو غيرها بالكراء أو عارية مدة غيبتى بها عن صاحبها لكونى أصير بالاكل والشرب أثقل مما كنت حال استئجارها أو عاريتها ثم ان وقع انى أكلت أو شربت شيأ فلا بد من اعلامى صاحبها بذلك واستحلالى منه ولو بزيادة الاجرة ثم أقبل رأس الحمارة مثلا واعتذر لها فانها كما قال أهل الكشف تدرك من يفعل معها خيرا ومن يفعل معها شرا ولكنها لا تنطق وما سميت البهائم بالبهائم لابهام الامور عليها فى نفسها وانما ذلك لابهام أمرها على المحجوبين فما هى ناقصة عنا الا النطق فقط وتأمل القطة لما ترمى لها قطعة لحم كيف تأكلها قريبة منك لعلمها برضاك واذا خطفت هى شيأ كيف تهرب به وتبعد عنك الى ظهر البيت ونحوه مما لا يصل اليه الانسان غالبا الا بعسر فعلم من باب أولى انى لا أردف أحدا معى على دابة استأجرتها أو استعرتها بغير اذن صاحبها وكذلك لا أردف ثقيلا ولو رضى صاحب الدابة لان الحق فى ذلك لله وللدابة لا لصاحبها وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقف فى طريق السوق فكل دابة رأى فوقها ما تعجز عنه عادة يخففه عنها وربما ضرب صاحبها بالدرة تعزيرا له على ما صنع فاعلم ذلك واعمل به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عملى بالامور التى علق الله عز وجل عليها زيادة العمر أو الرزق أو الموت على الايمان أدبا مع الله تعالى ولا أترك العمل بذلك وأقول ان كان سبق فى علم الله تعالى زيادة عمرى أو رزقى أو موتى على الايمان فهو واقع لا محالة كما عليه طائفة ممن ادعوا الطريق بلا شيخ فان ذلك فى غاية الجهل لان الله تعالى رتب الاسباب على المسببات وألزم الخلق كلهم رق الاسباب فلا يصح لاحد أن يخرج عن ذلك كما هو مشاهد ومن أدب العبد امتثال

أمر سيده وأن يدور معه حيث دار فاذا قال له لا أغفر لك الا ان قلت كذا وكذا فليس له أن يقول اغفر لى بلا قول ذلك وقس عليه * وسمعت سيدى عبد القادر الدشطوطى رحمه الله تعالى يقول كان لابى ادريس الخولانى مجلس وعظ وكان الخضر عليه السلام يحضره ويحادثه اذا فرغ من المجلس فقال له أبو ادريس يوما يانبى الله أى عمل اذا عمله العبد أمانه الله على الايمان فقال الخضر عليه السلام أدركت مائة ألف نبى وسألتهم عن ذلك فلم يجيبونى حتى أدركت محمدا صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال من صلى صلاة الفجر وقرأ آية الكرسى وآمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخر السورة وشهد الله انه لا اله الا هو الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب انتهى * وذكر صاحب بستان العارفين رحمه الله تعالى عن ابن عمر أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحفظ على العبد الايمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب ان يحفظ الله عليه الايمان حتى يلقاه يوم القيامة فليصل كل ليلة بعد سنة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة الاخلاص ست مرات وقل أعوذ برب الفلق مرة وقل أعوذ برب الناس مرة ويسلم منهما فان الله تعالى يحفظ عليه الايمان حتى يوافى به يوم القيامة زاد فى رواية أخرى انه يقرأ انا أنزلناه فى ليلة القدر مرة قبل قراءة قل هو الله أحد فاذا سلم سبح الله تعالى خمس عشرة مرة فعليك يا أخى بالمواظبة على ذلك وأمثاله ولا تمل من الخير تجن ثمرة ذلك مسرورا يوم القيامة والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة توجهى الى الله عز وجل فى حفظ عمل كل من بات عندى فى مولد عملته عن النقص أو الاحباط وذلك لانه قد يكون فى طعامى شبهة فاذا أكله من بات عندى أظلم باطنه فلا يفى طعامى بما حصل له من ظلمة القلب وربما وقع الحاضرون فى غيبة فى أو فى جماعتى من حيث طعم الطعام أو من حيث ما رأوه من النظام فربما لا يفى سماعهم لما سمعوه من القرآن بما ارتكبوه من الآثام فصرت أنا وإياهم من الخاسرين ولو بعدم الاجر فى الجملة فكان ترك عمل ذلك المولد أولى وأفضل لاسيما اذا عملناه فى أيام تكدر السلطان من عدو للاسلام أراد دخول بلاده من الكفار أو الروافض فان ذلك فى غاية ما يكون من سوء الادب معه الا أن يكون قصد صاحب المولد أن يهدى ما قرئ من القرآن فى صحائف مولانا السلطان ويدعو له بالنصر فمثل ذلك لا بأس به بشرط سلامة أهل المولد من فراغ القلب عن الاهتمام بهم المسلمين ومما يدل على فراغ القلب غالبا وجود الضحك والغفلة عن الله عز وجل وعدم وقوع ذلك عزيز فى الموالد وقد عملت عقيقة لابنتى حسنى فلم أحضر عند المقرئين ولا عند المداحين بل بت متوجها الى الله تعالى فى أن يحفظنى ومن حضر مولدى من الاثم فربما كان قصدى بعمل الطعام وجمع الناس مرجوحا لاخلالى بشرط من شروط القبول وربما دخل الرياء على المقرئين والمداحين فى تلك الليلة لاجل حضور من يستحيى منه عادة فيحب القارئ أو المادح مثلا بنفسه لاسيما عند قول الناس فلان داخل أو قراءته عليها أنس أو مدحه عليه أنس ونحو ذلك فربما حبط عمله وأنا كنت السبب فى ذلك ثم ان المقصود من الحضور انما هو أكل الطعام لا غير وأما الوعظ والمدح فذلك أمر زائد عادة بحكم الطبع والغالب فيه غرامة الفلوس وحظ النفس ولذلك كان الغالب على عدم حضور ذلك وعدم

اشارتى بعمله وانما الاخوان يفعلون ذلك برأيهم فأوافقهم مداواة لعقولهم كما درج عليه السلف الصالح وأسارقهم بالنصيحة فى آداب ذلك ثم ان خرجت اليهم فلا يكون ذلك الا بشرط أن يغلب على ظنى سهولة سهر الناس تلك الليلة أو سهولة نومهم ومد رجلهم ووضع جنبهم الى الارض بحضرتى فان غلب على ظنى احتشامهم منى وتكلفهم السهر أو عدم اضطجاعهم فى الارض مثلا لم أخرج اليهم رحمة بهم وربما يكون أحدهم له شغل بكرة النهار لا يقدر على تفويته من مباشر أو محترف صاحب عيال فيصبح والنوم غالب عليه فان عمل الحرفة ذلك اليوم شق عليه ذلك وان تركها يحتاج الى شئ ينفقه على عياله وما ثم انصاف من الشيخ صاحب المولد فيعطيه ما يكفيه من الطعام أو الدراهم مدة تعويقه عنده بل الغالب تكليف من يبيت عنده النقوط للمداحين ثم لا يلتفت اليه وربما ادعى انه مريده فلا يشكر فضله على ذلك النقوط ويقول المريد لا يرى له ملكا مع شيخه وما عند أهل الجنة خبر من أهل النار وانما لم أمتنع من موافقتهم فى عمل المولد الذى سألونى فيه لشهودى أن جميع ما هو بيدى أو باسمى من الدنيا انما هو لهم ومنعهم من التصرف فى أموالهم فى مثل ذلك لا ينبغى لانه من أفعال البر فى الجملة والاثم فيه غير محقق ثم ينبغى لصاحب المولد اذا لم يخرج تلك الليلة الى المقرئين والمداحين لعذر من الاعذار أن يتوجه الى الله تعالى فى حفظهم من الوقوع فى غيبته والاعتراض عليه فانهم غائبون عما قصده بعدم خروجه لهم من راحتهم أو عدم سهرهم أو عدم اضطجاعهم عند النوم بحضرته ونحو ذلك وهذا واقع كثيرا فيقول بعضهم لو أنه خرج الى الناس لكان أولى ويقول بعضهم هذا قيام ناموس له ومثل ذلك لا يليق بالفقراء ونحو ذلك فيصير كل انسان يريد منه حالة دون أخرى كما وقع لى مع انى ما امتنعت من الخروج اليهم الا رحمة بهم لاشتغالى بالتوجه الى الله تعالى فى حفظهم من الوقوع فى الرياء وحب المحمدة ونشر الصيت بحسن القراءة أو الدخول والانس بسماعهم مع أنه ليس من عادتى قط ان أدعو أحدا الى حضور مولد الان علمت سلامتى وسلامته من الآفات بالقرائن التى هى احدى الادلة وانما الناس يتسامعون بمولدنا فيحضرون وكثيرا ما يدعى بعض أهل النفوس من أهل الكبر فلا يقوم له أحد اذا دخل فيندم على الحضور ثم يصير يقطع فى عرض صاحب المولد الشهر كله وأكثر وربما كان غضبه من عدم قيام صاحب المولد أو صاحب الوليمة له بخصوصه وربما كان الحامل لصاحب الوليمة على القيام له ظنه فيه الخير وأنه غائب عن التلفت الى مثل ذلك وقد دخل على مرة فقيه وعندى بعض مشايخ العرب وأنا مقبل عليه أداويه بكلام طيب لاجل حوائج الناس والشفاعة فى المظلومين عنده فلم أقم لذلك الفقيه فخرج يهجونى نحو خمس سنين فى المجالس ويقول مثلى يدخل عليه فلا يقوم له ويقبل على ظالم ولكن أنا الظالم الذى أزور مثل هذا الرجل فمثل هذا كان عدم زيارته لنا أولى فى حقه ولم تزل الفقراء يفعلون مثل ذلك مع الظلمة بقصد تليين قلوبهم لقبول الشفاعات فى المظلومين عندهم وأما الفقراء وطلبة العلم فالناس آمنون من شرهم فى الغالب فلا يحتاجون الى مداواة وكان على هذا القدم سيدى عبد القادر الدشطوطى رحمه الله تعالى فكان اذا رأى أحدا من جند السلطان أقبل عليه وضمه الى صدره دون أن يفعل ذلك مع الفقير فكان الناس ينكرون عليه ذلك ويقولون لو كان هذا

ولياالله عزوجل لكان يعظم الفقراء وقد بلغه يوما أن جماعة من الفقراء أنكروا عليه ذلك فقال يا أولادى ان هؤلاء الجند يظلمون الناس ويؤذونهم فنظهر لهم الود والمحبة لقبول شفاعتنا فى المظلومين عندهم واما الفقراء فالناس آمنون من شرهم انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليحذر من يعمل مولدا فى المسجد من تقذيره بالطعام الذى يعف عليه الذباب على الحصر أو البلاط فان فى ذلك قلة احترام لجناب الله عزوجل وليتأمل صاحب المولد لو كان المسجد قصر الملك من ملوك الدنيا هل كان يفعل ذلك المولد فيه ويقذر حصره وبلاطه بالطعام والحفاة الذين يخرجون فى الوحل حول المطبخ ثم يدخلون المسجد لنقل الطعام أو غير ذلك لا والله ما كان يفعل ذلك بل كان يحترم جناب ذلك الملك فجناب الله تعالى أحق بالتعظيم انتهى ثم ان الغالب على الطباخين ومن يقف على المطبخ من جماعة صاحب المولد اذا كانوا قليلى الدين اخراج الصلاة عن وقتها أو تأخيرها عن أول الوقت مدة اشتغالهم بالطبخ فينبغى لصاحب المولد أن ينبههم للصلاة ولا يغفل عنهم لئلا يكون طعامه مشوبا بمعاصى الله عزوجل وليس اشتغالهم بطبخ الطعام عذرا فى اخراج الصلاة عن وقتها انما هو عذر فى عدم حضور الجماعة فقط ان خيف تلفه ٭ وبالجملة فقل مولد أو جمعية تخلو الآن من معصية تقع من الحاضرين وربما يحضر بعض الناس فيأكل طعام صاحب المولد ويخرج يعترض على طعامه أو على نظامه كما تقدم فينصرف متحملا ذنوبا فوق ذنوبه فلينظر صاحب المولد الماعليه ولا ينظر للذى له لعله يخرج كفافا بعد ذلك التعب العظيم لا له ولا عليه فافهم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم ظنى النجاة فى طاعة من الطاعات بعد أن سمعت قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ولو تأمل العبد وجد نفسه جاهلا بما يؤول أمره اليه من سعادة أو شقاوة لكثرة مزلات الاقدام التى يؤاخذ بها العارفون لاسيما من سلك الطريق على غير نور الشرع ومن هنا قالوا لابد للسالك من نورين يمشى بهما فى الطريق وهما نور الشرع ونور البصيرة قال تعالى نور على نور ولو كان مع العبد نور واحد منهما ما اسعد اذ لا سعادة الا باجتماعهما اما حفظ الشرع بغير خلق البصيرة أى الملكة التى يكون معها التوفيق أو خلق البصيرة التى هى الملكة كما تقدم بغير معرفة الشرع فلا شرف فى ذلك فافهم ٭ وقد رأى شخص مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه وهو يتبختر فى الجنة فجاء الى مالك ليبشره فقال له أما وجد ابليس أحدا أحقر فى عينه منى ومنك ليسخر به انتهى فافهم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة تصويبى لمن زهد فى صحبتى وفارقنى وأقول ان فلانا قد أصاب فى مفارقة مثلى خوفا ان ينظر منى فعلا فيتبعنى عليه وأنا أعلم يقينا عدم القطع بحفظى من الزيغ وقد سبقنى الى ذلك سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه وسفيان الثورى كانا يقولان لاصحابهما لا تقتدوا بنا فانا قوم قد خلطنا فى الاعمال وهذا خلق غريب فى هذا الزمان بل بعضهم يقيم الحجة على من فارقه ويقول فى معرض الذم له ما كل أحد يصلح لعشرة الفقراء اشارة الى انه خسر بمفارقته له وهذا دليل على بقاء الرعونة (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول من كمال الفقير أن يطالب نفسه بحقوق الناس ولا يطالب

الناس بحقه هو (وكان) يقول لا ينبغى لفقير أن يطالب أحدا قط بالتردد اليه احتقارا لنفسه وتعظيما لاخوانه انتهى ولو تأمل سيدى الشيخ لوجد اخوانه أحسن حالا منه وأكثر تواضعا لانهم لا يطالبونه بالتردد اليهم كما يطالبهم هو (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى من أشد الناس نفرة ممن يقبل يده ويقول تقبيل اليد انما يكون لمن كان على قدم الاستقامة مع الله تعالى ليلا ونهارا (وكان) اذا قبل أحد من المسلمين يده أو ركبته كاد أن يذوب من الخجل هذا ما درج عليه السلف الصالح وقد رأيت من يمد يده للناس ليقبلوها وذلك من السذاجة أو التكبر وقد قالوا من شأن الفقير الحذق والفطنة فيهرب من فعل كل شئ يؤدى الى نظام وقيام ناموس على اخوانه وربما ألفت النفس ذلك ومالت اليه فتتكدر من عدم تقبيل الناس يدها على عادتهم وذلك دليل على تكبره على الناس لانه طلب من الناس أن يقبلوا يده ولم يطالب نفسه بتقبيله يد اخوانه وقد رأيت شخصا من أهل العلم وبين يديه جماعة من طلبته ينزلون الناس من فوق دوابهم لمروره كما يفعل ذلك بالكفار وهو ساكت وهذا خروج عن الادب فليكن سيدى الشيخ على حذر وبالجملة فكل من عتب على الناس فى عدم ترددهم اليه أو فى عدم اطراقهم بين يديه أو فى عدم ذهابهم معه الى حاجة أو وليمة ونحو ذلك فهو علامة على أنه من المتكبرين والله لا يحب المتكبرين فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يهديك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تنزيل الناس منازلهم فى الاكرام بحسب ما هم عليه من ذل النفس فان المتكبرين أسفل من الناس درجة وهذا الخلق قل من يراعيه بل غالب الناس يعظم بحسب الثياب والضخامة تقليدا لما يراه من العامة وقد قام سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه مرة لانسان يعرفه وكان عنده شخص فقام لذلك الانسان تقليدا لسفيان فقال له سفيان لم قمت لهذا الرجل هل تعلم حاله فقال لا انما قمت تبعا لك فقال لا تفعل مثل ذلك بعد اليوم انتهى (وقد قال) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه تعرف مراتب الناس عند الله تعالى بطريقين احداهما الكشف الثانية بكثرة طاعاته وما عدا هذين الطريقين فهو هزؤ ولعب انتهى (وكان) سيدى ياقوت العرشى رضى الله تعالى عنه يقول ينبغى للفقير أن يعظم الناس بحسب دينهم فى الباطن لا بحسب ثيابهم قال وقد رأيت شيخنا سيدى أبا العباس المرسى رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يكرم بعض العاصين أكثر من بعض المطيعين فقلت له يوما فى ذلك فقال انه يظهر لى من المطيع عز النفس والكبر ومن العاصى ذل النفس والاحتقار فأعامل كل واحد بحسب ما فى باطنه انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تعظيمى للفقير الخامل الذكر مع الاستقامة أكثر من الفقير المشهور بالكرامات وذلك لان الدنيا ليست بدار نتائج انما هى دار تكليف وكل انسان مشغول فيها بنفسه لانه مطالب بأداء ما كلف به فى الكتاب والسنة فلا التفات له الى وقوع شئ من الكرامات على يد هؤلاء الى مدح الناس له بل يهرب من مواطن المدح وكل موطن مدحوه فيه ارتحل منه أو ذموه فيه أقام فيه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول احذر

اذا مدحك أحد أن تقول نحن من أقل الناس أو ما نحن تراب نعال الفقراء لان تواضعك اذا مدحوك يزيدك عندهم رفعة وتعظيما لهم بل اسكت موهما لهم انك تحب المدح فان ذلك أقوى فى رياضة نفسك ثم اسأل الله تعالى ان يحفظك ومن يمدحك من الآفات والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى ممن أمرته بأمر فلم يمتثل الا بقدر حكم الشرع فى ذلك الامر فانى نائب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقد قال الله تعالى ما على الرسول الا البلاغ وقال تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال عز من قائل ثم تاب عليهم ليتوبوا وقال تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقال تعالى فاصدع بما تؤمر وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله وقال تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وقال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية واذا كان التكدر من العاصى لا لحظ نفس وانما هو من باب الشفقة الدينية عليه والرحمة الشرعية له فلا حرج كما يتكدر الوالد من ولده اذا خالف أمره محبة فيه وشفقة عليه وهذا الخلق قل من يعمل به الآن لغلبة محبة الرياسة على غالب الناس وربما يعتذر أحدهم بأن تكدره انما هو من جهة نصرة الدين لا لحظ نفسه فليمتحن نفسه بما اذا كان الامر من غيره ولم يمتثل المأمور أمره فان تكدر له مثل تكدره هو حين خوالف فهو تكدر للدين وان كان قلبه باردا عنه عند مخالفة أحد أمر غيره فهو حظ نفس (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول مادام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فلا يمكنه التوبة النصوح التى ما بعدها ذنب أبدا فاذا رجع الحق تعالى عن خلق المعصية للعبد تاب العبد لا محالة فلو أراد أن يمتحن نفسه هل يقدر أن يعصى لما وجد ما يعصى به انتهى وتأمل يا أخى فى حال نفسك تجد الحق تعالى يأمرك بالامر فلا تمتثل أمره ومع ذلك يحلم عليك ويطعمك ويسقيك ولا يسرع بالانتقام منك فعامل عبيده بمثل ما يعاملك به ان كنت منصفا فعلم أن جميع الدعاة انما يدعون الناس الى الله تعالى والى شرعه لا الى أنفسهم فاذا قبلوا الدعوة منهم تحولوا بقلوبهم الى الله تعالى دون الواسطة وما بقى للواسطة الا حكم الافاضة عليهم بل الداعى الى الله تعالى يغار على الله تعالى أن يقف المدعوون معه دون الله تعالى فأمر يا أخى اخوانك برفق وانههم برفق فان امتثلوا ذلك فاحمد الله تعالى وان لم يمتثلوا فاستغفر الله تعالى لهم ولا تأمرهم وتنههم بعنف واحتقار فربما تقوم نفوسهم منك وتحصل الاباءة وكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رحمة للعالمين فكذلك يا أخى كن رحمة على اخوانك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى الى النظر فى حكمة كل شئ وقع فى الوجود من المعاصى والمخالفات دون الاعتراض فلا اعتراض الا بقدر اعتراض الشرع بعد النظر فى حكمة ذلك أدبا مع الله تعالى وهذا من جملة الاخلاق المحمدية قال أنس رضى الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط ولا لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ تركته لم تركته انتهى فاعرف يا أخى الحكمة فى ذلك ثم اعترض باعتراض الشرع

وقد حزت الكمال وقل للعاصى اياك يا أخى ان تعود لمثل ذلك وتب وارجع الى الله تعالى ولا تعتر بجاهه عليك ولا تقل له لم فعلت كذا لانه لا فائدة فيه الآن فانه وقع وانقضى واياك ان ترمى ميزان الشرع من يدك فى كل فعل برز على يدك أو يد غيرك فتقره على ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى ممن لم يحضر مولدى اذا دعوته أو لم يساعدنى فيه بماله أو بدنه لان من شرط الفقير حمل كلفته عن الناس وان ينظر للذى عليه من حقوقهم ولا ينظر الى الذى له عليهم ومن عكس انتكس بين الناس وليتأمل فى كل شئ أخل به اخوانه معه فان كان خيرا لهم فهم الذين تركوه وان لم يكن خيرا لهم فقد استراحوا منه وكذلك لا ينبغى له ان يكلفهم لعيادته اذا مرض ولا يعتب عليهم ولو مكث ضعيفا السنة واكثر وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أول ما يمرض يقول اللهم أنس جميع اخوانى أمر مرضى حتى لا يتكلف أحد منهم للمجئ الى وقد قلت له مرة ان فلانا يستحى منك الذى أبطأ فى زيارته لك فقال قد استراح من رؤية وجهى القبيح (وكان) رضى الله تعالى عنه يكتم مرضه عن أصحابه فلا يكاد أحدهم يعرف مرضه الا بشدة اصفرار لونه كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل مع أصحابه (وكان) أنس رضى الله تعالى عنه يقول ما كنا نعرف شدة جزعه صلى الله عليه وسلم الا باصفرار وجهه (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول كل فقير تلفت الى مساعدة الناس له فى مهم عمله فهو لم يشم من أدب القوم رائحة فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى فى نفسى انى دون من أرشده من المريدين فى المقام لانهم مشايخى بالحال وانا شيخهم بالقال والحال أقوى من القال وايضاح ذلك انى كلما أنظر الى افتقارهم الى فى تعليم الادب وتهيئة ما يأكلون وما يشربون أتذكر شدة افتقارى الى الله تعالى وكثرة انعامه على مع كثرة ما أتعاطاه من القبائح (وكان) سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول من شرط الشيخ أن لا يرى بيده ضرا ولا نفعا دون الله تعالى فيسلك الناس ويرشدهم وينتفعون به ولا يشهد له مدخلا فى هدايتهم الا بمعنى الدلالة فقط على وجه الشكر لله تعالى دون الغفلة والزهو قال تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء الآية وقيل للجنيد رضى الله تعالى عنه مرة لم تحبس هؤلاء الفقراء عندك دعهم يسيحون فى الارض فقال انما حبسهم الله تعالى عندى مصلحة لدينى لانى أتذكر بصفة افتقارهم الى افتقارى الى الله تعالى وايضا فان بهم يقوم نظام ذكر الله تعالى صباحا ومساء ولو لم يكن لهم من العمل عندى الا ذكر الله عز وجل صباحا ومساء لكفاهم ذلك انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول عليك بخدمة الفقراء القاطنين عندك فانهم يذكرونك بالله عز وجل لان الفقير اذا اشتهر صار موردة للناس يقصدونه فى حوائجهم فكل واحد منهم يطلب الاقبال عليه والنظر فى حاجته الدنيوية وذلك لا يشغل الفقير عن ربه عز وجل فقراءتهم القرآن عنده فى الزاوية تذكره بالقرآن وذكرهم لله يذكره بالله وصلاتهم تذكره الصلاة وقيامهم بالليل يذكره قيام الليل وهكذا والاعمال بالنيات وفى الحديث الخلق عيال الله وأحبهم اليه انفعهم لعياله

وقد درج جمهور القوم على اقامة الفقراء عندهم فى زواياهم كما كان أهل الصفة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا التفات الى من أنكر مثل ذلك فاعلم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى فى نفسى انى من جملة العصاة على الدوام وذلك لانى لا يخلو أمرى من حالين اما أن أكون فى معصية فالامر ظاهر واما أن أكون فى طاعة فعصيانى فيها بتقصيرى وعدم بذلى نفسى فى الرياضة حتى تركت كمال الخشوع فيها والحضور مع مشرعها وقد سمعت أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول والله ما أخرجت نفسى عن الفاسقين فى ساعة واحدة من ليل أو نهار فقلت له كيف فقال لان الفسق فى اللغة الخروج يقال فسقت النواة اذا خرجت ومن خرج عن السنة المحمدية قيد شبر فى مأكله أو ملبسه أو كلامه أو نومه أو فى معاملته مع الله تعالى أو مع خلقه فقد انسحب عليه اسم الفسق والسالم من هذا أعز من الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى ممن نفانى من طريق الصوفية وقال ان فلانا ليس من أهل الطريق ولا ذاق منها شيأ اعلى يعدى عما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنهم من الزهد والورع والخوف من الله تعالى وغير ذلك هب انى ادعيت ذلك فربما أن افعالى وأقوالى تكذبنى وقد رأيت شيخا من مشايخ العصر قالوا له أنت فقيه ما أنت صوفى فتكدر فقلت له كيف تتكدر من كونهم جعلوك فقيها والحسن البصرى وابراهيم النخعى وغيرهما كانوا اذا قيل لاحدهم ما تقول فى كذا يا فقيه فيقول والله ان زمانا صار مثلى ينادى فيه بالفقيه لزمان سوء انتهى وسئل الجنيد رضى الله تعالى عنه مرة عن مسئلة فى التصوف فقال هذا علم قد طوى بساطه من منذ ثلاثين سنة والناس يتكلمون فى حواشيه انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك ان تعتقد يا أخى اذا طالعت كتب القوم وعرفت مصطلحهم فى ألفاظهم انك صرت صوفيا انما التصوف التخلق بأخلاقهم ومعرفة طرق استنباطهم لجميع الآداب والاخلاق التى تحلوا بها من الكتاب والسنة فان بعضهم ربما جلس يدرس فى التصوف بكلام رسالة القشيرى أو الاحياء للغزالى ونحوهما ولو قيل له اشرح لنا مثل كتاب أبى شجاع فى الفقه لا يعرف يحله لنا فكيف يدعى طريق الولاية هذا غلط ظاهر انتهى ورأيت بعضهم جمع له بعض كلام من رسالة القشيرى ومن كلام الاحياء للغزالى ومن كلام سيدى أحمد الزاهد ونحوهم وجعلها رسالة وكتب اسمه عليها وظن بنفسه انه بلغ رتبة الاشياخ وغاب عنه أن الاشياخ ما وضعوا الرسائل الا من فتوحهم أو استشهادا لما فتح به عليهم من العلوم والمعارف خوف الانكار عليهم من بعض الاقران فيظنون انفرادهم بما وضعوه فكان ما نقلوه من كلام القوم مقويا لكلامهم وقد قيل مرة للجنيد رضى الله تعالى عنه ما فائدة قراءة المريد لهذه الحكايات المسطورة فى الرسائل فقال فائدتها تقوية عزمه قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فعلم ان بعض ضعفاء الطلبة لا يقدر على جمع رسالة مثل رسائل هؤلاء وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول كل شيخ لا يقدر على

استنباط جميع أحكام الشريعة وآداب القوم من الكتاب والسنة لو فقدت جميع كتب النقل فليس بشيخ انما هو متفعل فى الطريق متجرئ على الله تعالى وهذا هو معنى قول سيدى الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر من لم يكن كتابه قلبه فليس بفقير انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تسليمى لمن ادعى من الفقراء انه من أهل الكشف ولكن تنزه عن اشاعة ما كشف له كما عليه الكمل من الاولياء فاذا سمعناه يقول الكشف انما هو للناقصين والكامل لا كشف له موهما للناس انه كامل قلنا له صدقت ثم ان كان كاذبا رجع اثم كذبه عليه لا علينا وايضاح قولهم ان الكامل لا كشف له أى لانه مشغول بأداء أوامر ربه عز وجل التى عليه فى كل نفس فلا تدعه الاوامر المتوجهة اليه يتفرغ لغيرها وأيضا فان كشف حقائق الامور انما هو من صفات الحق جل وعلا والكامل لا يزاحم أوصاف الربوبية بخلاف الناقص فانه يتعشق للاطلاع على المغيبات فيعطيه الحق تعالى ما تعشقه مداواة له لضعف يقينه لا سيما اطلاعه على عورات الخلق ولو أن الكامل اطلع على عورة أحد من الخلق لكاد أن يذوب حياء من ذلك لانه كشف شيطانى ومما يشهد لكون الكامل لا كشف له عن حقائق الامور من ذات نفسه الا ان أطلعه الله تبارك وتعالى على ذلك من فضله قوله صلى الله عليه وسلم وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم كما حكاه الله جل وعلا عنه وقوله صلى الله عليه وسلم لا أعلم ما خلف جدارى هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم انى أراكم من ورائى وذلك لانه نور كله وايضاح ذلك ان الكامل مع الله تعالى على ما يريد وليس له ارادة من نفسه ولو انه أراد ما لم يرده الله تبارك وتعالى لم يكن واعلم يا أخى ان أهل الكشف كلهم اجمعوا على ان كل من لم يكن مأكله ومشربه حلالا لا يعرف أن يفرق بين الخواطر وهذا عزيز جدا فكيف يصح له مقام الكشف وقد ذكرنا فى رسالة الانوار القدسية ان من شرط صحة بداية المريد فى دخوله الطريق ان يمشى على الماء والهواء وتطوى له الارض ومن لم يقع له ذلك فليس له فى مقام الارادة قدم فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من الوقوع فى تغيير ما كنت عليه من المباسطة مع أصحابى اذا دخل على من يستحيا منه عادة بل أكمل المباسطة التى كنت فيها وذلك هو المزج الشرعى لان خرق ناموسى عند من يستحيا منه أولى من وقوعى فى صورة النفاق وكذلك لا أمسك السبحة اذا دخل على انسان الا ان كنت اسبح عليها قبل دخوله ومتى سبحت لاجل الداخل خفت ان أقع فى النفاق وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول لو قيل لى ان هرون الرشيد داخل عليك فسويت لحيتى بيدى لقدومه لخشيت ان اكتب فى جريدة المنافقين انتهى (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من آداب الفقير ان لا يظهر عند ملاقاته للناس أو ملاقاتهم له ناموسا وخشوعا زائدا عما كان عليه قبل ذلك ولا اطراقا بل يدوم على حالته الاولى اللهم الا ان يكون الاطراق صار له عادة فلا بأس بذلك بطريقه الشرعى انتهى فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم محبتى للبس ثياب مخصوصة دون غيرها لهوى نفسى وانما أحب ذلك بوجه شرعى (وكان) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من آداب الفقير أن لا يكون عنده محبة لحالة يفتخر بها على أقرانه دون العبادة لله تعالى وذلك كمحبته للبس الفرجيات الصوف الرفيعة وارخائه العذبة وكل ما فيه تميز عن ابناء جنسه ككشر ردائه على ظهره دون ان يضمه حول عنقه فان هذه قد صارت علامة للمتمشيخين لا يفعلها غيرهم لكن اذا بلغ الفقير الى حد تساوى عنده فيه جميع الملابس أو كان رداؤه كبيرا يعسر ضمه على عنقه فيستقنع به كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فلا حرج عليه وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يلبس ملبس الفتيان اذا خاف من الشهرة وكذلك ابراهيم التيمى رضى الله تعالى عنه فليحذر القاصر من تحسين عمامته وهيئته اذا دعى الى حضور وليمة مثلا وليخرج على الهيئة التى كان عليها قبل ان يدعى الى تلك الوليمة ثم اذا بلغ الكمال فله تحسين هيئته وعمامته لغرض صحيح ولا حرج كما كان صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحيان يصلح طيات عمامته فى حب الماء اذا بلغه قدوم الوفود عليه ويأمر أصحابه بتحسين ملابسهم (وكان) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه يقول انما كره الاكابر محبة الظهور فى هذه الدار أدبا مع الحق تعالى لانها مكان نوزع فيه سيدهم فى مقام الالوهية وأيضا فان الحق تعالى استتر عن عباده فيها فكان عدم ظهور الانسان بها من التخلق باخلاق الله تعالى ثم اذا ظهر الحق تعالى لعباده فى الآخرة فهنالك لهم الظهور تبعا للحق تعالى انتهى (وسمعت) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يعاتب شخصا صار كلما ركب لحاجة يأمر اخوانه بالمشى أمامه وهو راكب بغلة كرفقة الختان ويقول له كيف تحب الظهور فى هذه الدار مع ان ابليس اختار الخفاء فيها انتهى وقد درج أهل الله عز وجل على اخفاء نفوسهم وعدم تعاطى أسباب الشهرة حتى يكون الحق تعالى هو الذى يشهرهم من غير ميل منهم وينادى مناد فى الكون ألا ان الله تعالى يحب فلانا فأحبوه فهنالك تقع له المحبة والتعظيم فى قلوب العباد ولو أرادوا أنهم يكرهونه أو يحقرونه لما قدروا على ذلك ومن يهن الله فماله من مكرم ومن يكرم الله فلا مهين له ثم اذا وقع لهم التعظيم والمحبة فى قلوب الخلق فلا يزالون خائفين وجلين من الحق تبارك وتعالى خوفا على نفوسهم من محبة الكبر وقد كان الامام مالك رضى الله تعالى عنه يقول لو أحب السلف أن يعرفوا ما عرفوا انتهى فليس سرورهم الا فى الذل والانكسار للمؤمنين رضى الله تعالى عنهم أجمعين فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تحببى لمن أراد من اخوانى أن يأخذ عن أحد من اقرانى الصادقين فى ذلك الشيخ الذى أراد أن يتركنى ويأخذ عنه وارغبه جهدى فى الاخذ عنه ولا أتكدر منه فى الباطن فان مشهدى فى نفسى انى دون اقرانى ولو أنى كنت أرى نفسى فوق اقرانى لربما تكدرت لذلك محبة فى الرياسة وهذا خلق غريب لا يوجد الا فى أفراد من الفقراء (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من علامة الفقير الصادق ان يرغب من يريد ان يأخذ الطريق عن أحد من أقرانه أكثر مما يرغبه اذا طلب ان يأخذ عنه هو وقد أخبرنى فقير عن شيخ انه قال له مقصودى ان آخذ عن فلان الطريق فقال له الشيخ أنت

أحسن حالا ممن تريد أن تأخذ عنه فلا تحتاج بحمد الله الى شيخ لانك تعرف الحلال والحرام وتصلى وتصوم وتتلو القرآن قال ثم ان المجلس طال فقلت له مقصودى آخذ عنكم الطريق فقال يا ولدى هذا واجب عليك فان الطريق مهالكها كثيرة ولا بد للانسان من شيخ يبين له كل عيب خفى عليه انتهى قال الفقير فتعجبت من قوله الاول والثانى فاياك يا أخى من الوقوع فى مثل ذلك ثم لا يخفى ان اظهار العارفين بالتكدر على المريد يجب حمله على قصد المصلحة للمريد لا غير فافهم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تكدرى اذا دخل على أحد من الامراء والاكابر وانا فى قراءة حزبى مع الجماعة صباحا أو مساء وذلك لان رؤية الاكابر للفقير وهو فى محل ناموسه يحدث له التعظيم فى قلوبهم فتستلذ النفس الخبيثة لمثل ذلك وأيضا فانه لا يرضيهم من الفقير الا القيام لهم والاقبال عليهم ومعلوم ان تلك الحضرة انما هى لله تعالى وحده فيصير الفقير فى حيرة بين ان لا يعظمهم اشتغالا بالله عز وجل فيتكدرون فى نفوسهم ويندمون على مجيئهم وبين ان يقبل عليهم فيفوته كمال الاقبال على مخاطبة الله عز وجل وخطاب الحق تعالى مع خطاب عباده لا يصح لامثالنا اذا علمت يا أخى ذلك فاياك ان يجيئك أمير أو شيخ عرب فى غير وقت حزبك وناموسك واجتماع الفقراء عندك فتستشعر منه قلة التعظيم لك فتقول كان عندنا بكرة النهار خلائق كثيرة لا يحصون كما يقع فيه كثير ممن يحب الشهرة فان فى ذلك هلاكك وكذلك اذا دخل عليك أمير وأنت جالس وحدك فخجلت فقلت له تكسيرا للخجل خص بالبلاء من عرفته الناس كأنك تريد بذلك قيام التعظيم فى باطن ذلك الامير حيث لا حين رآك جالسا وحدك فان فى ذلك هلاكك ومن هنا قالوا الخمول نعمة وكل أحد يأباه وبالجملة فكل من أحب زيارة الناس له فى وقت محاولة دون غيرها فهو مراءدق المطرقة والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) خوفى من المواظبة على الاذكار ومجالس الخير أن يكون ذلك رياء ودوامه استدراجا من الله تبارك وتعالى فقل من يواظب على خير يحمده الناس عليه ويسلم من الآفات ومن شان النفس الخبيثة أنها اذا ألفت التعظيم لاجل عبادتها شق عليها تركها لاجل ذلك لا لاجل عدم مجالسة الحق جل وعلا فيها فليمتحن الفقير نفسه فان وجد عندها خجلا واستحياء من الخلق اذا ترك اظهار تلك العبادة فليعلم انها كلها رياء ونفاق فيجب عليه التوبة والرجوع الى الله تعالى وان رآها ليس عندها خجل ولا استحياء فليشكر الله تعالى الذى نجاه ثم لا يأمن وقد وقع لبعض السلف رضى الله تعالى عنهم انه صلى الصلوات الخمس أربعين سنة فى الصف الاول فتخلف يوما عنه فوجد فى نفسه وحشة فأعاد صلوات أربعين سنة وقال لنفسه انما كنت تواظبين على الوقوف فى الصف الاول ليحمدك الناس انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله عنه يقول كل من وجد فى نفسه استيحاشا اذا ترك اظهار ورده فى القرآن أو الصوم أو الزهد أو الورع أو الصمت أو غير ذلك فاعماله كلها رياء وسمعة لا يجد فى ميزانه شيأ من حسناته يوم القيامة (وكان) سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول لا يليق بفقير أن يجمع الناس على مجلس ذكر أو قراءة حزب الا ان خرج عن الرعونات النفسانية وخرج عن حب الرياسة والاهلاك نفسه قال وقد أدركنا أشياخ الطريق وما يتجرأ أحد يجلس مع

جماعة فى حزب أوذكر الابعد موت شيخه أو اذنه له بعد ان شهد له شيخه بالكمال وسمعته مرة أخرى يقول ينبغى للفقراء الذين يحضرون مجالس الذكر ان لا يستلذ أحدهم بما يحصل له من صورة الخشوع والرعدة وضم الاكتاف واطراق الرأس ولا يسامح نفسه فى ذلك الا ان كان مغلوبا وقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يصلى وقد ضم اكتافه فضربه بالدرة وقال ليس الخشوع هكذا انما الخشوع فى القلب انتهى ففر يا أخى من الوقوع فى مثل ذلك وان رأيت أحدا فعل ذلك فاحمله على انه مغلوب لتخرج أنت عن الاثم واعمل على ذلك ترشد وتسعد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم أخذى اخوانى معى اذا دعيت الى وليمة تحوّج صاحبها فيها وعملها بتكلف بل أذهب وحدى ماشيا رحمة باخوانى المحترفين ورحمة بصاحب الوليمة وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى اذا دعاه أحد الى وليمة لا يدع أحدا من أصحابه يذهب معه ولو طلب هو ذلك لان المريد قاصر عن معرفة ما ينفعه وما يضره وذهب مرة بأصحابه الى بيت تاجر فرآه دعا خلقا لا يحصون وطعامه قليل وعنده جماعة ينشرون الخشب لعمارة بيته فقال للتاجر اجمع لى النشارة وضعها لى فى هذا الدست وصب عليها الماء وأوقد تحتها النار ففعل فصارت خبيصا وصار يغرف منها الى ان كفى الناس وفضل انتهى فان أعطاك الله تعالى يا أخى ان تفعل مثل ذلك فاذهب بجماعتك الكثيرة الى الولائم والا فالزم الادب واعلم يا أخى ان كل ساعة تمر على الفقير وهو فى عمل حرفة يعود نفعها عليه وعلى عياله أفضل من حضور ألف وليمة مع سيدى الشيخ المتفعل فى المشيخة وقد أجمع أهل الطريق على أن الاكل من صدقات الناس وولائمهم يقسى القلب وان الورع أحد أركان الطريق حتى كان أحدهم يسافر فى تعلم الورع الشهر وأكثر وجاء رجل من بلاد بعيدة الى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه وقال جئت اليك لتعلمنى الورع فقال له الحسن يا أخى أنا آكل من طعام الامراء فما بقى يصلح أن يؤخذ عنى ورع ولكن امض الى فلان فى الكوفة تراه فى مزرعة له قد ورثها من آبائه لا يأكل الا منها فخذ عنه الورع فذهب اليه من البصرة الى الكوفة فوجده كما وصف له الحسن البصرى فقال من أرسلك الى قال الحسن البصرى قال كان عهده بشئ وقد زال فقلت له وما ذاك فقال اشتغلت يوما عن البقرة فى صلاتى فذهبت الى طين الجار على أثر مطر فرجعت وفى قوائمها طين فاختلط بطين أرضى فما بقى يصلح أن يؤخذ عنى ورع انتهى فاياك يا أخى ثم اياك ان تفتح على نفسك باب حضور الولائم الا اذا لم يكن للشرع عليك اعتراض ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) اذا قرأت على الناس كتب الترغيب والترهيب والرقائق أنى آخذ الكلام فى حق نفسى أولا ويحصل لى الخجل من الله تبارك وتعالى ومن أوليائه الذين يطلعون على باطنى حتى أكاد أذوب من الحياء وقل من الوعاظ من يقع له مثل ذلك فربما كان كالذى جعل ظهره الى جرف البحر أيام زيادته وصار يقول للناس ابعدوا عن الوقوف قريبا من البحر خوفا أن ينهار بكم الجرف فتقعوا فى البحر فما زال يقول لهم ذلك حتى دارت بالارض التى تحته المياه ونزلت به فهذا حكم من يعظ الناس وينسى نفسه (فعلم) انه لولا أمر ضرورى

للاولياء ما تصدى أحد منهم للوعظ وبعضهم لم يجلس حتى هدد بسلب الايمان ان لم يجلس يعظ الناس وذلك لان الاولياء أكثر الناس معرفة بعيوب أنفسهم (وقد قالوا) يقبح على معلولة تصف دواء للناس (وقد) كان الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول للناس لولا حديث بلغنى أنه سيأتى على الناس زمان يكون فيه واعظ القوم أرذلهم ما وعظتكم انتهى فاياك يا أخى اذا وعظت الناس ان تنسى نفسك بل خاطب نفسك مع الناس بكل ما تعظ به واستغفر الله تعالى كما تعظ الناس فان الغالب على العبد عدم الوفاء بالعمل بكل ما يعظ به الناس والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تمكينى أحدا من الاخوان اذا ركبت لحاجة ان يمشى بين يدى الا من يمسك لجام الدابة عند عجزى عن ردها عن مزاحمتها للناس لا سيما اذا كان فيهم العجوز والاعمى وكثيرا ما آمرهم بان يسبقونى الى المحل الذى أنا قاصده من زيارة القرافة أو نحوها وفى ذلك سد باب الغيبة فى ويحرقوا فى أهل الحرفة معى فى ذلك وينسبونا أننا كنا نصابون زوا كرة على الخلق لا سيما ان كان بيننا نحن واياهم فى حارة واحدة فلا يكاد أحدهم يسلم لنا دعوى ما يرفعنا عليه أبدا ولعمرى لا يليق الركوب بالحشم والخدم الا لولاة الامور الذين يردعون الفسقة والمتمردين وأما الفقير فمن شأنه أن يكون أضعف من ناموسة أو دودة فأى فائدة لركوبه بغلة مثلا والناس يمشون خلفه (وقد) ركب النبى صلى الله عليه وسلم مرة حمارا فجاء أبو هريرة يمشى خلفه فعزم عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يركبه فعلا على الحمار ومسك ثياب النبى صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اركب أبا هريرة فركب ثانيا ومسك ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثانيا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اركب فقال ما كنت لاصرعك يا رسول الله ثلاث مرات فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اما ان تخاف عنى بعيدا واما ان تتقدم ولم يمكنه من المشى خلفه (فانظر) الى شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم واقتد به ولا تتعلل بمحبة الاخوان للمشى بين يديك لانا نقول المحبون لو علموا منك الكراهية لذلك ما فعلوه معك ولو أنهم فرشوا لك سجادة بغير اذنك فأخذتها ورميتها بعنف ما فعلوا ذلك معك ثانيا وقس على ذلك سائر ما فيه ضخامة لك كتمكينهم من تقبيل الايدى والارجل فان ذلك كالحرام عند العارفين أدبا مع الله تعالى ان يستعبدوا أحدا من عبيده (وقد كان) سيدى محمد بن عنان رحمه الله تعالى اذا ركب لحاجة لا يدع أحدا يقرب منه وكذلك سيدى على المرصفى وسيدى الشيخ أبو الحسن الغمرى وكانوا يقصدون المواضع القليلة الناس حتى لا يراهم أحد هكذا أدركناهم رضى الله تعالى عنهم فاعلم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى فى نفسى أنى عاجز عن رد كيد ابليس عنى فضلا عن رد كيده عن مريدى ولذلك لم يقع منى قط اننى قلت لاحد من مريدى اذا جاءك الشيطان وأنت فى الذكر فاصرخ عليه باسمى أو توجه الى بقلبك فى دفعه يطرد عنك ومن قال ذلك لمريده من أمثالنا فانما ذلك غرور لان فرار ابليس انما هو خاص بمن يكون عمرى المقام وذلك عزيز فى الوجود (ولعمرى) اذا كان الشيطان يلعب بالشيخ كالكرة فى يد الصبيان فكيف يفر من ذكر اسمه فان كنت تعلم يقينا أن الشيطان يفر عن مريدك عند ذكر اسمك فأمره بذلك والا فالزم

الادب (واعلم) يا أخى ان الحق تبارك وتعالى لولا انه علم قوة تسلط ابليس علينا ماخوفنا منه ولا أمرنا أن نستعيذ بالله منه ولو ان أحدا من الخلق كان يكفى أن نستعيذ به منه لامرنا تعالى أن نستعيذ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بجبريل أو غيرهما من الاكابر ولكن علم تعالى عجز الخلق عن رد كيده الا مع استعاذتهم بالله عز وجل قال تعالى لسيد الاولين والآخرين فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وفى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد صلاة صلاها ان الشيطان عرض لى فشد على يقطع صلاتى فامكننى الله منه (وروى) الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه شيطان ليلة جاءته الجن وبيده شعلة من نار يريد يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فعلمه كلمات فقالها فطفئت ناره انتهى (وفى السير) ان الشيطان صاح فى عسكر الصحابة يوم أحد ألا ان محمدا قد مات فترك جماعة من الصحابة القتال فضحك عليهم وقال لجنوده انظروا الى قلة ايمان هؤلاء بدينهم فاذا كان فى قدرة ابليس التى اعطاها الحق له أنه دلزل اقبال الصحابة عن القتال فكيف بايمان من هو عبد شهوة بطنه وفرجه فرحم الله تعالى من عرف قدر نفسه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تمكينى أحدا من الاخوان ان يتفوه بأنى من الاولياء والصالحين لان ذلك غرور وجهل ومن أين يعرف هؤلاء الناس الاولياء والصالحين ومامنهم أحد دخل حضرتهم (وقد رأى) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى شخصا من الفقهاء يدعو عقب قراءة القرآن ويقول اللهم اجعل ثواب ذلك فى صحائف سيدنا ومولانا القطب الغوث الفرد الجامع سيدى أفضل الدين فصاح به صيحة كاد يشق قلبه وقال له اما تخشى المقت من أحد من أصحاب القطب فتذهب لادنيا ولا آخرة انتهى (وقد قال) سيدى الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه الاولياء على عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا بد ان يكون فى كل عصر مائة الف ولى واربعة وعشرون ألف ولى لايزيدون ولا ينقصون لكل نبى ولى على قدمه والقطب الغوث هو كبير الاولياء كلهم فمن أين لامثالنا الاحاطة بهؤلاء الاولياء كلهم أو معرفة من هو القطب منهم بل غالب الاولياء لم يجتمع قط بالقطب لعدم طاقته أن ينظر اليه فاياك يا أخى اذا عملت شيخا أن تقر أصحابك على مثل ذلك فانه كذب ونفاق الا ان كنت كذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبتى لكل من انتسب الى هذه الطائفة الصوفية وكذلك محبة أصحابى لهم فلا نكره بحمد الله تعالى أحدا منهم ولا من جماعة أحد من أشياخ عصرنا وهذا الخلق قليل فى غالب فقراء الزمان فترى أحدهم يكره من يراه من جماعة أحد من الاشياخ غير شيخه وينظر أحدهم الى أخيه شزرا واحتقارا كأنه فى دين غير دينه ويود أن لا يظهر لغير شيخه اسم فى البلد وذلك كله من رعونات النفوس ودليل على عدم ذوق أحد منهم رائحة أدب أهل الطريق ومثل هؤلاء ولو صام أحدهم وصلى واختلى لا ينتج له حال أبدا لبقاء رعونات نفوسهم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من علامة انتفاع المريد بصحبة شيخه أن يفارقه ونفسه ميتة واعضاؤه ذابلة كأنه خرج من اللحد بعد الموت وعلامة مقته ان يفارقه ومعه رعونة نفس ويصير يزن على الفقراء بالميزان الجائر فلا يكاد يحبه أحد انتهى فاعلم ذلك ترشد

والله

والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم سؤالى عن ثمن قمح أو حطب أو جبن بحضرة من أظن فيه انه يساعدنى فى الثمن كما يقع فيه بعض من يتخذ المشيخة حرفة يحصل بها أمور معاشه لان الاغنياء الحاضرين يفهمون من سؤالى عن الثمن انى اريد أن اشترى ذلك الشئ وليس معى ثمنه (وقد قالوا) السؤال بالحال أعظم من السؤال بالقال ومن شأن المعتقدين أنهم اذا رأوا سيدى الشيخ محتاجا الى عمامة أو جوخة أو فروة أو منديل للنساء أو ملح أو بصل أو حطب أو نحو ذلك أن يسارعوا الى شرائه له بغير ثمن من الشيخ ولو بجبايته ثمنه من الرؤس وذلك فى غاية الذل لذلك الشيخ فانه من الاكل بالدين فليحذر سيدى الشيخ من مثل ذلك وليحذر أيضا من ان يقبل من الناس الرفق ثم يفرقه على الفقراء ولا يأكل منه شيأ وان كان ذلك خيرا لانه ربما كان استدراجا سببه عدم الاخلاص وقلته اذ الخلق من طبعهم انهم اذا رأوا من شخص عدم الميل الى الدنيا وكل شئ جاءه أعطاه لغيره بادروا الاعطائه وزادوا فيه اعتقادا فرجع أمره للنصب على أكل اموال الناس بالباطل وصار فعله ذلك كالطعم الذى يجعل فى سنارة الصياد بخلاف من علموا منه أنه يلف كل ماجاؤا به وحده ولا يعطى أحدا منه شيأ فانه يثقل عليهم اعطاؤه ويقلون اعتقادهم فيه (وقد) تناظر كلب السوق وكلب الصيد فقال كلب السوق لكلب الصيد لاى شئ يجلسونك على فرشهم ويكرمونك وأنا يطردونى كلما رأونى ولا يكرمونى مع اتحاد جنسى وجنسك فقال له الفرق بينى وبينك واضح وهو انى اصطاد لهم وأنت تصطاد لنفسك انتهى فمن أراد التنزه عن أوساخ الناس فليظهر لهم الشح وعدم الكرم وشراهة النفس وأنا أضمن له انهم ينفرون من الاحسان اليه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تعاطى أسباب تميل خاطر الاغنياء الى بوجه من الوجوه الا لغرض صحيح شرعى وذلك كأن أعانى لبس الجبب البيض الرفيعة والعمامة الصوف الماردانى الرفيعة وتنفر نفسى من الجبة الغليظة أو العمامة الغليظة فان أبناء الدنيا يميلون الى الجمال بالطبع وينفرون من الثياب الغليظة الدنسة بالطبع فلذلك ترى الفقير النصاب يتعنت فى شراء الجبة البيضاء النقية البياض وربما فيه خطوط حمر أو سود فان جلس الى الاغنياء نظروا الى علو ثمن الجبة وان جلس عند الفقراء نظروا الى كونها جبة صوف (وقد) عد الامام الغزالى رحمه الله تعالى ذلك من غوائل النفوس فان من شرط الفقير ان لا يبالى بما لبس اذا كان فيه رضا الله عز وجل ومن ادعى من الفقراء انه خرج عن رعونات نفسه فليلبس لباس أهل الرعونات كالطرح الذى فيه حرير وخيوط ثم ينظر فان رأى نفسه تميل الى لبس الفقراء أكثر فليحكم على نفسه بأنه نصاب على الدنيا يصطادها بجبته البيضاء أو الحمراء أو السوداء مثلا وقد كان السلف الصالح يخافون من لباس الشهرة وانما كانوا يلبسون المرقعات لقلة الحل فى ثيابهم الجديدة وكانوا يقنعون بلبس المرقعات خوف الشهرة حتى قيل لبشر الحافى رضى الله تعالى عنه ان فلانا يريد أن تبيعه مرقعتك فقال هل رأيت يا أخى صيادا يبيع شبكته انتهى ومن هنا قال القوم من لبس مرقعة فقد سأل ثم ان أصل محبة الفقير النصاب لمجالسة الاغنياء محبته فى الدنيا فانه يعلم أن مشيخته لا تتم الا باطعام الناس الطعام وليس معه دنيا ولا بيده حرفة

فيريد أن يمشى على صورة قدم الاشياخ الماضين الذين كانت الدنيا تخدمهم فلا يصح له ذلك فلذلك سارع الى تحصيل خاطر أبناء الدنيا ليساعدوه فى سماطه فى الزاوية وقد رأيت من يسافر الى مشايخ العرب والكشاف فيسألهم العسل والقمح والبسلة فلامه شخص فى ذلك فقال من عباد الله من يقدره الله تعالى على الانفاق من الغيب وقلب الاعيان وهو يفعل مثل فعلى سترا على نفسه انتهى فيوهم السامعين انه من الاولياء القادرين على مثل ماذكر ولكنه يفعل مثل ذلك تسترا على نفسه وذلك فى غاية الغرور والزور والنفاق والاستدراج والقرائن تشهد أن الله تعالى لو اعطى مثله تصريفا لاهلك الحرث والنسل وقد رأيت من يسافر الى مشايخ العرب وغيرهم من العمال فيجبى منهم القمح والارز والعسل وغير ذلك على اسم الفقراء القاطنين عنده ثم يأخذه لنفسه وان فضل عنه شئ باعه ولم يعط أحدا من فقرائه شيأ فمثل هذا نصاب مالخ الرقبة حواف ورأيته مرة يفطر عند مكاس فى رمضان فقال لى من عباد الله من لا يضره الحرام فقلت الله أعلم (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول احذر اذا كنت عالة على اخوانك ولم ييسر الله تعالى لك الاكل من مكسب يمينك أن توهم اخوانك المعتقدين فيك انك قادر على الاكل من الغيب ولكنك تركت ذلك أدبا مع الله تعالى فان ذلك يزيدك مقتا من الله تعالى وطردا لاسيما ان خرجت واعترضت على الاولياء الماضين الذين كانت الاعيان تقلب لهم وتقول الكاملون لا يكاد يظهر لهم كرامة ايهاما للسامعين انك قادر على اظهار الكرامة فان ذلك من أعلى طبقات النفاق المصطلح عليه بين القوم وصاحبه ربما كان من اخوان الدجال لان الدجل هو التمويه بالباطل فى صورة حق فاياك ثم اياك من مثل ذلك انتهى والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى لكل من كان أكثر طاعة لله تعالى منى وترجيح محبته على محبتى لنفسى محبة فى ربى عز وجل لانى أعلم أن كل من كان أكثر طاعة لله تعالى فهو أحب اليه ومن أدب كل عبد أن يحب كل من يحبه سيده وهذا خلق غريب لا يثبت فيه الا من خرج عن حب الرياسة ونشر الصيت وأما من يحب انفراده بالصيت فلا يكاد يحب أحدا من المطيعين والمتقين خوفا منهم أن يطفؤا صيته وكفى بذلك مقتا من الله تعالى وماذا يضر العبد أن لو كان الناس كلهم صالحين عالمين عاملين ورعين زاهدين فان فى ذلك الشرف العظيم لدين محمد صلى الله عليه وسلم فليمتحن من يدعى الاخلاص نفسه بما اذا فارقه تلميذه الذى يزعم أنه كان يحبه ويخدمه سنين ولم يفتح عليه ثم انه اجتمع بأحد من الاقران ففتح عليه فان رأى نفسه تنشرح لذلك فليشكر الله تعالى والا فليحكم على نفسه بالرياء والنفاق فان المخلص يفرح لهداية الناس بأى وجه كان لاسيما ان قالوا انما لم يفتح لذلك الفقير على يد فلان لكون فلان ليس له قدم فى الطريق فان المرائى يكاد يتميز من الغيظ بخلاف المخلص وفى الحقيقة الهداية بيد الله تعالى ليست بيد أحد من العباد وجميع من فتح عليه على يد فقير انما كان ذلك من باب تعليق الاسباب على المسببات فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انشراح صدرى اذا سمعت الناس يقولون عن تلامذة

أحد من أقرانى الذين أخذوا عن شيخى أنهم على قدم عظيم وان شيخهم هو الوارث لمقام شيخى حقيقة وأنا لم أرث من شيخى الا الدعوى فقط ومتى ظهر منى تكدر لذلك فهو دليل على صدقهم فى أنى لم أرث من مقام شيخى شيأ (وسمعت) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائى أن لا ينشرح لكثرة المتقين الا ان كانوا تلامذته فيفرح حين يسمع الناس يقولون عنه فلان احيا الطريق بعد استاذه ولم يحيها أحد ممن أخذ عن شيخه غيره وانظروا الى جماعته كلهم متأدبون صالحون عليهم سكينة ووقار بخلاف جماعة فلان ففى صغى بقلبه الى ذلك فهو من ادق المطرقة كما انه متى انقبض لمدحه ومدح تلامذته دون أقرانه فهو دليل على اخلاصه كما انه اذا انقبض لذمه وذم تلامذته ونسبتهم الى الرياء والنفاق فهو دليل على عدم اخلاصه كذلك فاعلم ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم خروجى مع الناس للاستسقاء الا بعد المبالغة فى تفتيش نفسى من صفات الفاسقين والمنافقين والمرائين فربما كنت من أفسق الناس وأنا لا أشعر فلا يجاب لهم دعاء بسبب خروجى معهم ولا أغتر باعتقاد أصحابى فى الصلاح لاسيما ان أرسل الى الباشا مثلا ان أخرج بالناس للاستسقاء وخصنى بذلك ومالت نفسى اليه فربما أكون سببا لعدم سقيا الناس وقد وقع ان صاحبنا الشيخ نجم الدين الغيطى رحمه الله تعالى جاء الى لما أمر السلطان بقراءة سورة الانعام فى الجامع الازهر يطلبنى أن أذهب كل يوم الى الجامع الازهر لادعو بعد قراءة العلماء والفقراء فأبيت ولم أجبه الى ذلك خوفا أن لا يستجاب لهم دعاء لكونى حاضرا الا لعلة أخرى وعلمت بذلك سلامة صدر الشيخ نجم الدين من الحسد لكونى من أقرانه وقد رأى دعائى أقرب الى الاجابة من دعائه فالله ينفعنا ببركاته ويزيده من فضله والله انى فى الجامع الازهر كل واحد لا أصلح أن أكون أنا من طلبته وكيف يليق انى أركب كل يوم من حارتى حتى آتى الى الجامع الازهر لادعو ولسان الحال يقول لولا أن دعاء هذا أقرب الى الاجابة من جميع علماء الازهر ما أتوا به ليدعو وقد طلبوا السيد مالك بن دينار مرة للاستسقاء فأبى وقال أخاف أن يعطر الناس حجارة لكونى فيهم واستبطؤا مرة المطر فقال أنتم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجر فالحمد لله الذى جعل لنا بهذا السيد اسوة والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم امتناعى من الاجابة الى وليمة لكون أحد من أقرانى هناك بل أذهب الى الوليمة وأقبل رجله وركبته بحضرة ذلك الجمع العظيم واجعل المجلس كله له وقل من يفعل ذلك مع أخيه من فقراء هذا الزمان بل رأيت بعضهم أجاب الى حضور تلك الوليمة ثم بلغه أن صاحب تلك الوليمة دعا شخصا من أقرانه الذين لهم تلامذة وهيلة فامتنع من الحضور فقلت له فى ذلك فقال مثلى لا يطلع له طالعة مع فلان فقلت له ولأى شئ تطلب أنت أن ترتفع على أخيك فى المحافل فقال لى أنا أفضل منه فلما سمعت منه ذلك مع علمى بخلافه سقط من عينى (ورأيت) مرة سيدى الشيخ أبا الحمائل حضر فى وليمة فاجلسوه فى صدر الحلقة فدخل شيخ له هيلة فأخروا له الشيخ أبا الحمائل ثم آخر فأخروه أيضا ثم آخر فأخروه أيضا وما زالوا يؤخرون الشيخ أبا الحمائل حتى جاس عند النعال فقال لى ولنقيبه هذا مقامنا الحقيق يا ولدى (وسمعت) أخى

سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من علامة المتمشيخين بأنفسهم بالدعوى عدم صفاء قلوبهم لبعضهم بعضا لان كل واحد منهم يعتقد فى نفسه أنه هو الشيخ الحقيقى وان أخاه هو المدعى للمشيخة بغير حق ويصدقه أصحابه على ذلك وفى الآخرة يصلح الله تعالى بينهما ويكشف لكل واحد منهما أنه ليس بشيخ ولاشم للطريق رائحة انتهى (وكان) رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى اخراج هؤلاء المدعين للصلاح بغير حق فى الاستسقاء لانه ربما منع الناس السقيا بحضورهم الا أن يتوبوا ويروا نفوسهم أحقر الناس وربما كان هؤلاء الذين يدعون المشيخة لا يعدون الكبر الذى فى نفوسهم معصية وهو من أكبر المعاصى (وكان) رحمه الله تعالى يقول مادامت نفوس هؤلاء المدعين لا تنكبس لان يتلمذوا لاقرانهم ويأخذوا عنهم الطريق ولو كانوا غير صادقين فالكبر باق فى صدورهم لان الصادق لا تأبى نفسه من التلمذ للكاذب ولو صورة بل يبادر الى ذلك لاحتمال أن يصلح الله به حال ذلك الكاذب اذا سارقه بتعليم آداب الطريق له شيأ فشيأ فليتنبه الفقير لمثل ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تعريضى لاصحابى أن يحملوا كل شئ صدر منى من الاقوال والافعال على المحامل الحسنة انما آمرهم بذلك فى حق غيرى وأما أنا فتى أمرتهم بذلك فى حق نفسى فقد سددت على نفسى باب النصح من اخوانى فانى لست بمعصوم من الخطا فى شئ من أحوالى وهذا هو القدم الذى كان عليه الصحابة والتابعون وكل المؤمنين خلاف ما عليه أهل الناموس ممن لم يبلغ مبلغ الرجال فبمجرد ما يجلس للمشيخة باذن شيخه أو بنفسه يصير يعرض لاصحابه بان الفقير اذا كمل صارت أقواله وأفعاله فوق أحوال الناس وأنه لا ينبغى لهم أن يحملوا حاله على حالهم فتصير اخوانه لا يتجرأ أحد منهم على أن ينصحه بنصيحة شرعية ويقول يحتمل ان الذى أدركته أنا بفهمى من حال الشيخ ليس هو بصحيح فينبغى لهذا الشيخ أن يحثهم على نصحه ويشدد عليهم فى ذلك ويخبرهم انه ليس بمعصوم حتى يعلموا منه يقينا انه يحب منهم النصح ويصير أحدهم يتقرب به اليه لما يعلم من محبته لذلك ومادام أصحابه يستحيون منه أن ينصحوه فهو لم يوف بهذا المقام انما هو محب للناموس لاسيما ان حبس نفسه فى الخلوة وأكثر من الاطراق ووضع الرأس فى الطوق فانهم يصيرون يهابونه أشد الهيبة وانما قال اشياخ الطريق يجب على المريد ان يحمل أحوال شيخه التى ظاهرها الفساد على أحسن المحامل أى بحيث لا يزدريه لا من حيث لا ينصحه فان ازدراء المريد للشيخ بعدم انتفاعه بتربيته (وأما) النصيحة فى الدين فطلوبة عند الكمل لكن مع الأدب كان يقول المريد لشيخه من باب العرض ياسيدى رأيت منكم ما افهم أن للشرع على ظاهره اعتراض وهو كيت وكيت وأحب أن تداوونى بالجواب عنه فان كان الشيخ عنده عن ذلك جواب اجابه والا تنبه فان العصمة منتفية ولو كان ذلك الشيخ محفوظا من الزيغ ككمل الاولياء الذين يعلمون من انفسهم الحفظ كالشيخ عبد القادر الجيلى والشيخ يوسف العجمى واضرابهما رضى الله تعالى عنهم (وأما) من لم يبلغ مقام الحفظ فيتأكد عليه أن لا يسد على نفسه باب النصح من اخوانه فانه يهلك ولا يشعر (وقد) كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يتهم نفسه بالنفاق مع كونه من العشرة المشهود لهم بالجنة (وكان) رضى الله تعالى عنه يذهب الى حذيفة بن اليمان ويقول

ياحذيفة انظر هل فى شئ من النفاق فانك كنت تعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبكى حذيفة ويقول ما ارى فيك شيأ من النفاق فيقول له انظر ثانيا وانصحنى لله تعالى (وامتحن) سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يوما اصحابه فقال ما تفعلون بى اذا خرجت عن الاستقامة فقالوا ننصحك فان لم تقبل مناضر بنا رأسك بالسيف ففرح وقال هكذا كونوا فاذا كان هذا حال السيد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فكيف بمن هو غارق فى شهوة بطنه وفرجه من امثالنا نسأل الله اللطف والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى نقصى اذا سمعت آيات التخويف والزجر أو الاحاديث أو كلام السلف الصالح ولم يحصل عندى خشية ولا بكاء وعدم قولى ان ذلك من صفات الكمال اشارة الى اننى ترقيت عن مثل ذلك كما عليه بعض المتمشيخين فيقولون اذا استشعروا ان احدا انقصهم بعدم البكاء عند سماع القرآن مثلا البكاء انما يكون للمريدين أوائل دخولهم الطريق واما الكمل فيبكون على ماذا والذى سبق فى الازل لابد من وقوعه فيوهمون السامعين انهم ترقوا عن مقام المريدين (وربما) يستدل احدهم بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما رأى شخصا يبكى عند سماع القرآن ولم يبك هو هكذا كنا حتى قست قلوبنا اى قويت وصلبت وصارت تحمل مثل تلاوة القرآن ولم تتصدع لقوتها (وربما) كان يحكى عن الجنيد رضى الله تعالى عنه انه كان يقول اذا سئل عن عدم تواجده وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شئ دفعا لما يتوهم فيه من النقص مع انه لم يبلغ مقام المريدين فليحذر القاصر من مثل ذلك فقد بكى الاكابر الدم مع كمالهم ومارأوا انهم وفوا بمقام العبودية فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اغترارى بكثرة أصحابى المعتقدين فى وكلما كثروا رأيت ذلك من الابتلاء لكثرة توجه حقوقهم على وهذا خلق قل من يتنبه له بل يرى بعضهم ذلك من اكبر النعم ولا عليه ان كانوا سالكين طريق القوم ام مخالفين لها ومن علامة المغتر أنه كلما كثرت تلامذته شكر ربه وكلما نفروا عنه انقبض خاطره سواء علم من نفسه القيام بحقوق ذلك اولا وذلك لانه مع الله تعالى على علاقة ولو أنه كان على قدم الاخلاص انظر ما عليه من الحقوق وهل وفى به ام لا ثم بعد ذلك يفرح أو يحزن (وقد) اجمع الاشياخ على انه ما ثم حالة أعلى من الاشتغال بالله وحده ثم الاشتغال بما يلحق بذلك على وجه الاخلاص فى الحالتين وأما الاشتغال بتقويم عوج الخلق وان كان فيه نفع يتعدى الى الخلق فيطرق الداعى الى الله تعالى فيه الحجاب لاسيما ان ادعى المدعون على الداعى انه غير مخلص فى دعائه وانه انما يريد بذلك الرياسة عليهم فان ذلك ربما أدى الى الجهاد وضرب السيف وقل داع يحضر مع الله تعالى حال ضربه بالسيف الآن يكون ممن وصفهم الله تعالى بما قال وقليل ماهم فاحمد الله تعالى يا أخى اذا قل أتباعك واسأل الله لمن كثر أتباعه ان يلطف به فى الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الخامس عشر فى جملة أخرى من الاخلاق)

فاقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ازالة تعالى اللذة فى طعامى كما فعل الحق تعالى بطعام أكابر

الاولياء كالامام الليث والامام الشافعى واضرابهما رضى الله تعالى عنهم وربما يأكل الامير الكبير من طعامى الذى ليس فيه لحم ولادهن فيستلذ به أكثر مما يستلذ بطعامه الكثير اللحم والدهن وكما وقع ذلك لابن بغداد والدفتردار والباشا محمود وغيرهم فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) سماعى فى زاويتى قراءة القرآن والحديث وذكر الله عز وجل ليلا ونهارا على التواصل فلا يفرغ قارئ الا ويبتدئ قارئ آخر ولا يفرغ القارئ من كتاب فى الحديث الا ويبتدئ فى كتاب آخر ولا يفرغ القارئ اكتب التصوف من كتاب الا ويبتدئ فى كتاب آخر ولا يفرغ القارئ من كتاب فى الفقه الا ويبتدئ فى كتاب آخر وهذا لا يكاد يوجد الآن فى زاوية من زوايا مصر الا قليلا (ثم) من تمام النعمة كون الفقراء القاطنين يحضرون قراءة الحزب والاوراد وصلاة الجماعة لا يكاد يتخلف منهم واحد ويسهرون معى ليلة الجمعة من صلاة العشاء الى الفجر ولو عرض على أحدهم الفضة ليذهب الى القراءة فى القبور أو غيرها لا يرضى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فى الزاوية ارساله تعالى شخصا اسمه الشيخ منصور من أولياء الله تعالى فيطلع الى منارة المسجد من أول ما ينصب الموكب الالهى فى السماء والارض فيصير يذكر الله تعالى بصوت جهورى مانوس فيوقظ جميع من فى الزاوية من المفلحين وغيرهم ويمتد ذلك الى نحو ستين دارا من كل جانب فيستيقظون فيذكرون الله تعالى ويستغفرونه لا يكاد يغفل عن ذلك أو ينام ليلة واحدة ثم يعقبه الشيخ محمد الترساوى وغيره فيقرؤن القرآن فى الزاوية بصوت حسن فتنزل الرحمة على الزاوية وعلى جيرانها الى طلوع الفجر ثم يفتتحون القرآن جماعة الى صلاة الصبح ثم يفتتحون الحزب فيصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرون الله تعالى الى ضحوة النهار ثم يشرع أكابرهم فى قراءة دروس العلم عقب صلاة الضحى وصلاة الظهر وصلاة العصر ثم المطالعات ويشرع من دونهم من المجاورين فى قراءة القرآن وحفظ المتون من أول النهار الى آخره ثم يجتمعون كلهم على الاشتغال بالتصوف وآداب الطريق الى أذان المغرب ثم يتحزبون على قراءة القرآن جماعة وفرادى الى أذان العشاء ثم يجتمعون معى على مجلس ذكر عظيم ثم يتفرقون لورد النوم أو المطالعات الى وقت شروعهم فى مثل حالهم أمس وهكذا وهذا من أكبر نعم الله تعالى علينا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة وجود الرزق عندى فى الزاوية حتى يفيض على أهلها وأهدى منه الى أصحابى من ارز وعسل ودجاج وأوز وغير ذلك ثم انى اذا وعدت أحدا بهدية فى وقت ففات الوقت ولم أهدها له لا أرى أنى بعد ذلك قمت بواجب حقه ولو كانت ألف دينار ولو زدته اضعافها بل أرى تشويش خاطره فى مثل انتظاره ذلك الوقت يرجح على هديتى ولذلك كان الغالب على عدم الوعد خوفا من اخلافه اذلم يعصم من خلف الوعد الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد تقدم فى هذه المنن أن سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى كان لا يقبل قط هدية أعلموه بها قبل ان تحضر بين يديه ويقول ان النفس تصير متشوقة الى حضورها وما جاء للعبد باستشراف نفس فهو غير مبارك كما صرح به فى الحديث انتهى ومما يقع لى انى أتخلف فى بعض الاوقات عن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى جعلته لها فاستشعر انتظار رسول

الله صلى الله عليه وسلم لصلاتى عليه فلا أرى انى قد كافأته على انتظاره لى صلى الله عليه وسلم ولو أهديت اليه سائر أعمالى المقبولة لعظم مقامه صلى الله عليه وسلم ولو صليت عليه قدر ما كنت أصلى عليه مائة ألف مرة بعد ذلك لا ارى انى كافأته لتعظيم مقامه صلى الله عليه وسلم ولو اننى لم اجعل له وقتا لما كنت وقعت فى مثل ذلك وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول لا توقتوا اذكاركم بوقت بل كونوا مع الله بالحضور فى سائر أوقاتكم وان وقتم للذكر وقتا فالزموا الحضور مع الله تعالى حال ذكركم فانه لا يحسب لكم منه الا ما حضرتم فيه مع الله تعالى انتهى فعلم ان غالب من يعين او يوقت الاوراد ربما يصير ياتى بها وقلبه غافل بحكم العادة وذلك قليل النفع والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اصلاح زوجاتى الاربع زينب وحليمة وفاطمة وأم الحسن ابنة سيدى مدين نفعنا الله ببركاته وهذه النعمة من أكبر نعم الله تعالى على ولولا انها نعمة عظيمة ما امتن الله تعالى بها على نبيه زكرياء عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وأصلحنا له زوجه (ومن) جملة اصلاح زوجاتى هؤلاء الاربع انهن لا يجلسن قط ساعة بلا غسل من الجنابة ولا يخرجن صلاة عن وقتها الا لحيض أو نفاس أو نسيان حتى فى طريق الحجاز ذهابا وايابا ولا يتركن قيام الليل وأعظمهن عبادة فاطمة وبنت سيدى مدين (فأما) فاطمة فربما أحرمت خلفى فى صلاة الليل فاقرأ بها فى الركعة الواحدة ربع القرآن فلا تفارقنى الا لبكاء طفلها اذا لم تجد من يقوم مقامها فى شأنه (وأما) بنت سيدى مدين فكان قيامها فى ليالى الشتاء والصيف من أول الثلث الاخير من الليل دائما لا تكاد تتخلف عنه أبدا (ومن) جملة اصلاح الاربع أيضا انهن لم يكلفننى يوما من الدهر الى شئ يشترى من السوق الا فى المرض واما فى الصحة فهن معى على ما يفتح الله تعالى به علينا (ومن) جملة اصلاح فاطمة أم عبد الرحمن انى لم أطلع عليها قط وهى فى الخلاء وسافرت معى الحجاز ثلاث مرات فلم أطلع لها قط على بول ولا غائط ذهابا وايابا مع أنى معادل لها (ومن) اصلاحها ان العكام او الجمال لم يرلها شخصا من حين دخلت الجمل لما سافرت من بيتها الى أن دخلت مكة الى أن رجعت الى بيتها ونزل نساء الاكابر كلهن فى مثل العقبة وهى لم تنزل وكانت خفيفة الجسم (وكان) الجمال ينيخ لها الجمل على باب الخيمة فتخرج من الجمل للخيمة وتركب من داخل الخيمة وهذا ما رأيته وقع لامرأة فى الحج ابدا (ومن) اصلاحها أيضا انها لا تقدر تركب مع مكارى كاهل مصر أبدا ولا تقدر كذلك تركب وحدها ولا تقدر حياء على شخص يراها فى الازار من المعارف ولا تحضر عرسا ولا جمعية من شدة الحياء من الناس (ومن) جملة اصلاحها أيضا انها لا تقدر على النظر فى وجه الكحال لينظر عينها اذا رمدت وعجزنا فيها أن تفتح عينها للكحال لينظرها فلم تقدر وبرئت من الرمد لكن حصل فى عينها ضيق فهى أضيق من أختها الى الآن واختارت ضيقها على فتحها للكحال (ومن) اصلاحها تعففها عن أخذ ما تعطيه لها الناس حين رددته أنا عليهم (وقد) أعطتنى ابنة خاص بك عشرة دنانير لما حججت فرددتها وقلت لا أقبل رفقا من امرأة فاعطتها الام عبد الرحمن فردتها ولم تقبلها وكذلك وقع لامرأة الخواجا أبى بكر الداودى انها أعطتنى أربعة دنانير لما قضيت لها حاجة فرددتها فلما عجزت منى أعطتها الام عبد الرحمن فردتها عليها وقالت لها أنا لا آكل من كسب امرأة وكذلك زوجى وهذا أمر قل

أن ترا من احد من نساء الفقراء فى هذا الزمان (ومن) اصلاح نسائى كونهن عونالى على الخير فنبهننى على أفعال الخيرات والقربات والمبرات والصدقات واذا لم أجد ما اتصدق به على من يسألنى من المحتاجين واسيننى بما يستطعنه من دنياهن أو ثيابهن أو امتعتهن مخلصات فى ذلك خصوصا أم عبد الرحمن فرضى الله تعالى عنها وحشرنا معها آمين فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تأهيلى لخدمة الفقراء القاطنين عندى للاشتغال بالعلم والقرآن والادب والاوراد من منذ ثلاثين سنة من غير تقلق منى ولا تعب فى تحصيل معاشهم ولو صاروا ألفا لوا كثر لا اتقلق منهم لان ربهم هو الرزاق وما قيدهم فى الزاوية الا وهو يسوق اليهم أرزاقهم (وقد) بلغوا عندى الآن نحو مائتى نفس رجالا ونساء وأطفالا وأحزن اذا نقصوا وأفرح اذا ازدادوا لانى مؤمن بان المعونة تأتى من الله على قدر المؤنة كما ورد فلو أن أهل مصر كلهم بحمد الله تعالى كانوا عيالى ما حملت لهم هما (وقد) حزرنا الفقراء الذين حفظوا القرآن وماتوا الى رحمة الله تعالى أو رجعوا الى بلادهم فوجدناهم أكثر من ألفى نفس وهذا الامر قل أن يوجد اليوم فى زاوية بمصر فى حياة صاحبها وان كان لهم وقف ومسموح وجوالى وغير ذلك (وقد) قال لى مرة شخص من السواحين قد سحت فى بلاد الشام واليمن والروم والعجم فما وجدت مدينة مثل مصر ولم أجد فى مصر زاوية فيها اشتغال وخير أكثر من زاويتكم فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) محبة الفقراء الصادقين الطالبين للآخرة فى الاقامة عندى وسبب ذلك انى بحمد الله تعالى لا أتخصص بشئ الا لضرورة شرعية وكل شئ دخل فى يدى من أمور الدنيا فرقته عليهم من فاكهة وطعام ونقد حتى ما وقف على وعلى ذريتى بالخصوص أفرق أجرته عليهم وآكل منه كاحدهم أو أقل وربما دخل فى يدى الالف نصف مثلا فافرقها كلها عليهم ولا آخذ لنفسى ولا لولدى ولا لعيالى منها نصفا واحدا تعففا عن مزاحمتهم وربما أعطانى أحد شيأ من الذهب لنفسى بحيث لم يعلم به أحد من الفقراء فافرقه كله عليهم كذلك وأقول لعله ما أعطانى ذلك الا لما اشاعه الناس عنى انى لا اتخصص عن الفقراء بشئ فلا أخيب ظنه فى وانا فق وهذا الامر قليل من يفعله من أقرانى اليوم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تفرقتى على الفقراء ما يدخل على اسمهم من الوقف وغيره بالمعروف فافرق كل سنة نحو العشرين ألف نصف ولا آكل منها ولا ألبس ولا أدخر شيأ من ذلك الا على اسمهم (واذا) علمت ان فى شئ من جهات الوقف أو فى الهدية شبهة لا أفرقها عليهم حتى أقول لهم هذا المال فيه شبهة فمن كان صاحب ضرورة فليأخذ منه بقدر ضرورته فقط والا فليتركه وذلك لاخرج من تبعته يوم القيامة فلا يكون لهم المهناة فى الدنيا وعلى الوزر فى الآخرة (وبلغ) العميان عندى تسعة وعشرين نفصا وبلغ الذين يعجنون الدقيق بالنوبة عشرين نفسا وبلغ العجين كل يوم عندنا اردبا وثلثا وبلغ الواردون على من الضيوف زيادة على المجاورين فى كل يوم سبعين نفسا وأجرى الله تبارك وتعالى على يدى جميع ما يحتاج اليه

المجاورون

المجاورون ونساؤهم فما منهم احد له وظيفة خارج الزاوية يأتيه منها شئ بل جميع ما يحتاج اليه أحدهم شرعا يجده فى الزاوية ولا يحتاج قط الى شراء شئ من السوق الا فى النادر وكلما كثر اولاد المجاورين افرح حتى كانهم أولادى اصلبى من غير فرق (وزوجت) منهم نحو أربعين نفسا ووزنت عنهم غالب مهورهم من فضل الله تبارك وتعالى وعملت لهم طعام العرس والعقيقة وحج معى غالب أكابرهم فى عدة سنين ولم أكلف أحدا منهم بشئ من ذلك الا ان عمل ذلك من غير على (وبالغت) فى عدم تكليفهم بشئ حتى اشتريت لنسائهم اللبانة لينتفعوا بها وغير ذلك وهذا أمر ما اظنك يا اخى سمعت ان احدا من الفقراء فعله غيرى فى جميع زوايا مصر فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) تيسير الفرن الذى يخبز فيه للفقراء فى البيت وتيسير وقوده كل سنة فيأتينا كذا وكذا وسقا فى المركب الى أن ترسى فى الخليج على باب الزاوية وذلك من تبن الفول الطاهر فلا يحتاج الى الزبل أبدا الا فى النادر فيخبز به نساء المجاورين طول السنة كل يوم الاردب وأكثر ولم يتيسر ذلك لاحد من فقراء مصر ولا لسيدى أحمد الزاهد ولا لسيدى مدين ولا للغمرى ولا لغيرهم مع تمكنهم وعلو مقامهم وطاعة الولاة لهم ولا أعلم خارج مصر زاوية أكثر خبزا ولا مجاورين من زاويتنا ما عدا جامع الغمرى وزاوية سيدى محمد الشناوى ومقام سيدى أحمد البدوى فالحمد لله الذى جعل الفرن فى الدار لا يحتاج الفقراء الى الخروج بالعجين لفرن السوق الذى يخبز فيه بالزبل والنجاسات لا سيما حصول المشقة فى ذلك أيام المطر والشتاء فى الزلق والبرد (وقد) بسطنا الكلام على جملة عدد المجاورين الذين كانوا عند سيدى ابراهيم المتبولى وسيدى محمد الغمرى وسيدى عثمان الحطاب وسيدى مدين فى المنن الوسطى وأكثرهم دون النصف من المجاورين فى زاويتنا فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تيسير جميع ما يحتاج اليه فى الزاوية من الطعام واللباس وغيرهما من غير ذل فى طريق الوصول الى ذلك ولا سؤال احد فيه من الخلق وهذا امر قل ان يوجد الآن فى زاوية فلا بد لاحد من سؤال الولاة بانفسهم أو بواسطة بلسان الحال أو بلسان المقال بل بعضهم سافر الى بلاد الروم فى طلب ما يبدمن رزقة أو جوالى أو مسموح مع كتابته فى قصة ان العبد فقير الحال وكثير العيال ومن أهل العلم والفقراء وليس له ولا لجماعته بمصر شئ يقوم بهم ونسى ان الله تعالى يطعمه من حين كان فى بطن أمه الى أن شابت لحيته فيشتكى ربه أولا ويزكى نفسه بالعلم والفقر ثانيا ويذل نفسه للخلق ثالثا وما هكذا كان السلف الذين أدركناهم بمصر وقراها ثم بعد أن ينهى فى قصته ان ثلث الجوالى مثلا على اسم الفقراء والمساكين يطعم الفقراء منها مدة ثم يوسوس له أبو مرة أن يقطع طعام الفقراء ويتخصص به هو وأولاده وان نازعه أحد ربطل الولاة بعضه ويصير معدودا من جملة النصابين السفهاء (وقد) سألنى الامير جانم الحمزاوى رحمه الله تعالى أن يسأل لى السلطان فى مسموح للزاوية فابيت وسالنى أن يعمل لى فى الجوالى كل يوم خمسة عشر نصفا فابيت وقلت له هذه جامكية أمير يسافر بالتجاريد وانا لا انفع فى ولا لى قدرة على جهاد ولا غيره فكيف أزاحم عسكر السلطان على مال المصالح وأنا أقنع

بالقمة والكسرة اليابسة ولم أجد غيرها مع انى بحمد الله تعالى أوسع معيشة من أصحاب الجوالى والمسموح وعندى كل ليلة من الخبز والطعام أكثر مما يعمله أحدهم فى مولده من الشهر الى الشهر أو من السنة الى السنة بركة فى رزق من الله عز وجل بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اوعدنى بسعة الرزق لما أنشأت مجالس الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم فى جامع الغمرى فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فاعلم ذلك ترشد واعمل على التخلق به والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كل سنة من عسل النحل نحو عشرة قناطير ومن عسل القصب نحو عشرين قنطارا ومن القمح ثلثمائة أردب وبلغ استجرار الفول الحار أيام الشتاء كل سنة أربعين أردبا ومن الكشك سبعة أرادب ومن الارز سبعة أرادب ومن البسلة والعدس نحو خمسة وعشرين اردبا وبلغ عجين الكعك كل عيد خمسة أرادب ويأتينا من كعك الريف نحو ثلاثة أرادب فى العيد ونشترى مع ذلك من التمر والخرنوب والتين نحو خمسة قناطير وهذه الامور ليست اليوم فى زاوية من زوايا مصر فاعلم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كل سنة من البطيخ الهندى نحو ألفى بطيخة نخزنها على اسم الضيوف والمرضى من المسلمين ونهادى منه الفقراء والاغنياء فيقيم عندنا كل سنة الى أن لا يبقى فى مصر منه الا القليل وذلك من زرعنا بالجزيرة بناحية برشوم الصغرى وكذلك من جملة نعم الله تبارك وتعالى على أننا نقطع من هذه الجزيرة كل سنة كذا كذا وسقا من الحطب نطبخ به طول السنة وغالب زوايا مصر يشترى أهلها الحطب طول سنتهم وكذلك البطيخ وهذا الامر لا يخزنه أحد من فقراء مصر ولا علمائها فى بيته ويؤثر به على نفسه غيرنا فاعلم يا اخى ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اعتمادى على ما يأتينى من الرزق من جهة وقف أو هدية ونحوهما ولذلك لم يزل رزقنا فى زيادة البركة وغالب من يكون لهم وقف او مرتب أو مسموح تجدهم فى قلة بركة والديون عليهم ولم يزل أحدهم يشكى ويبكى وذلك لاعتماده على غير الله تعالى فى الرزق من الجوالى والمسموح وغيرهما وان شككت يا أخى فى قولى هذا فاسأل جميع أهل الجوالى والمسموح على غفلة تجد أحدهم يشكى ويبكى ومصداق ذلك ان أحدهم اذا عمل له عرسا أو مولدا فلا بد من سؤال الناس فى المساعدة (وقد) عملنا بحمد الله تعالى كذا كذا عرسا ما أحوجنا الله تعالى الى سؤال أحد فى المساعدة فيها (وقد) أخبرنى الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوى قال لم يزل الرزق عندنا فى الزاوية فائضا علينا حتى وقف بعض الناس علينا بعض عقارات وأماكن فضاق رزق الزاوية وقلت البركة منه وصرنا نقترض فى غالب الاوقات ما نشترى به للفقراء القمح والادم (وفى) الحديث أبى الله أن يجعل رزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب انتهى وذلك ليصير متوجها الى الله تعالى بخلاف من يخزن قوت عامه مثلا فانه لا يكاد يذكر الله الا قليلا فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايته تعالى لى من الاكل من خراج رزقة او بيت بلغنى ان واقفه عمل فيه حيلة حتى استبدل (وقد) جمعت الفقراء يوما وقلت لهم اسألوا الله تعالى ان يعطل كل جهة فيها لوث فى وقف زاويتنا بقدر ما فيها من الشبهة فمنها ما كان الواقف اخذه بثمن فى الذمة ثم غير بعضه وقت الاقباض بنحو محاباة فتعطل بموت الواقف تحت ايدى مالكيه الى ان استوفوا قدر حقهم ثم سلموه لنا بطيبة نفس ومنها ما تعطل سنين كثيرة وتعطل منه جهتان فلم يقدر احد يأخذ منهما درهما واحدا الى وقتنا هذا ونرجوا ان يقع فيهما كما وقع فى نظائرهما ليتم بذلك غرض الواقف مع براءة الذمة من التبعات ولما وقع التفتيش ارسلت للديوان ورقة من غير سؤال منهم مضمونها ان تحت نظرى جهات وقد بلغنى ان فيها اشياء ليس له أصل والمسؤل من فضل مولانا الوزير على باشا ومباشرى الديوان ان يفتشوا هذه الجهات التفتيش التام المبرئ للذمة فما وجدوه للسلطان يأخذونه وما وجدوه لغيره يعطونه له وما وجدوه لنا يردونه علينا ولا يخافون من دعاء الفقراء عليهم اذا اخرجوا من وقفهم شيئا بحق فان الفقراء هم السائلون فى ذلك تورعا وتعففا انتهى (وهذا) امر ما بلغنا ان احدا عمله فى مصر غيرنا بل بعضهم يريد ان يبرطل المباشرين حتى يسكتوا فلا يرضون وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المنن الوسطى فراجعه والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) موافقة اخوانى المجاورين عندى على رد ما يأتينا الى الزاوية من أموال الولاة وهداياهم فاذا قلت لهم لا تقبلوه يردون ذلك بطيب قلب وانشراح صدر وكثيرا ما يأتى قاصد الولاة بمال لا تصرف فيه برأيى ولا أعتقد خلوصه من الشبهة فارده فلا يأخذه حامله ويتركه بين يدى ويذهب والفقراء حاضرون فابذره فى صحن الزاوية اعراضا عنه بقصد اباحته لمن يأخذه غير جماعتى فيفهمون منى عدم ميلى لتناولهم له فلا يقوم له احد وانما يلتقطه الاطفال من اولاد مصر وغيرهم وربما اطرحه بين أيديهم واقول لهم من كان فيكم محتاجا فليأخذ منه حاجته فلا يتعدى ما أقوله احد منهم (وهذا خلق) غريب فى فقراء الزوايا اليوم بل بعضهم يزدحمون على القاصد الذى جاء بالمال ويرمونه الى الارض ويصير أحدهم يخلص الفلوس من يده غصبا عليه وقد بسطنا الكلام على الولاة ووقائعنا معهم فى المنن الوسطى فراجعه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حمايتى وحماية اصحابى من الاكل من خبز ابن عمر وابن بغداد الذى كانا رتباه لزاويتنا مع أننا ما قبلناه الا حتى رددناه مرارا وقال لنا اذنت لكم ان تفرقوه على المحتاجين فرتبناه للعميان فى الزاوية وخارجها وما فضل منه يوضع عند النقيب ليطعمه للفلاحين ونحوهم من الضيوف (وكان) احد المجاورين يجوع فلا يجد الا ذلك الخبز فلا يأكله ويصبر حتى يخبز خبزنا ولم نزل على ذلك حتى شنق ابن عمر داود ومحمد بن بغداد فى باب زويلة وهذا الامر قل من يتورع عنه بل بعضهم كتب له قصة وسأل ابن بغداد أن يرتب له خبزا وقال ان الخبز الذى جعلته فى زاويتنا لم يحصل لى منه شىء فقلت له انت شيخ الزاوية ولا ينبغى لك الا اظهار العفة فلم يسمع لقولى مع ان له عشرة أنصاف كل يوم وليس عنده عيال سوى زوجته فقط فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) مطاوعة اخوانى لى فى عدم قراءتهم القرآن بفلوس ليالى الجمع وغيرها فى بيوت الناس او على القبور وعدم أكلهم من طعام العزاء ونحوه ولو أنه عرض على احدهم العشرة انصاف ليقرأ بها ليلة الجمعة فى غير الزاوية لا يقبلها او يترك مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا امر لا تكاد تجده الآن فى زاوية فى مصر بل غالبهم يذهب الى القراءة على القبور حتى تصير الزاوية ليلة الجمعة ما فيها أحد يقول لا اله الا الله (وقد) اراد سيدى أحمد بن سيدى مدين ان يفعل مثل ذلك فى زاويته ويحجر عليهم تخرجوا من الزاوية ولم يطيعوه وأبطلوا مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا والله لا يلزمنا فعل ذلك فى سوى الصلاة (وقد) خرج عن طاعتى بعض أناس فصاروا كالممقوتين وذهبت النضارة من وجوههم وقلت البركة من رزقهم ثم انهم خرجوا عن المجاورة بالكلية وسكنوا خارج الزاوية وما خرجوا الا لاجل جمع الدنيا ففرت منهم فلا هى تقف لهم حتى يأخذوها ولا هم يرجعون عن الجرى فى طلبها فندموا حيث لا ينفعهم الندم (وفى) الحديث ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها يعنى احتسابا وتقربا الى الله تعالى من غير عوض دنيوى فان كل من كان الحامل له على تلاوة القرآن ما يأخذه من الدنيا فهو لم يجالس الحق تعالى فى حال قراءته وهو تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه كما ثبت فى الصحيح فيقال للذى يترك الزاوية ليلة الجمعة ويخرج الى القبور ويقول انا لم أخرج للدنيا وانما خرجت لتلاوة القرآن العظيم ان تلاوة القرآن فى الزاوية ممكنة على ان مجلسنا بحمد الله تعالى ليلة الجمعة ما بين قراءة قرآن وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوحيد لله عز وجل الى طلوع الفجر وكلا منامع هؤلاء الفقراء انما هو ما دام احدهم يجد اللقمة والخلقة (واما) اذا حول الله تعالى النعمة من الزاوية والعياذ بالله تعالى فلا حجر على الفقراء اذا قرؤا القرآن بالفلوس (وقد) سألت الله تبارك وتعالى مرارا ان كل مجاور أقام عندى بجمع الدنيا ان يلهمه انفاقها على نفسه وعياله وضيوفه وان لم ينفقها كذلك فأسأل الله تعالى ان يلطف به ولا يناقشه فى الحساب يوم القيامة اكراما للقرآن الذى فى جوفه انه بعباده رؤف رحيم وماذا يضر الفقير لو أكل ولبس واطعم اخوانه كل شئ يدخل يده ويتصدق من ذلك سرا وجهرا فالله تعالى يجعل جميع اصحابى كذلك آمين فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) جمعى للفقراء القاطنين عندى بقصد نفعهم لا نفسهم بالاصالة وأجعل نفع نفسى بالاجر والثواب الحاصل منهم بحكم التبع لا بالقصد الاول ثم انى اذا رأيت احدهم تجرد لحب الدنيا نفر منه خاطرى ولم يصر بينى وبينه علاقة فى المحبة ولو كان مقيما عندى ليلا ونهارا قال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ثم انه لا بد أن يخرج من الزاوية ولو على طول ولو أن مثل هذا شم رائحة الورع لم يأكل من الخبز الموقوف عليها الا عن ضرورة شرعية ويقول انما ذلك للفقراء والمساكين القاطنين المنقطعين للعبادة وانا لست منهم ولعمرى لو أن صاحب تلك الصدقة رأى احدا فى الزاوية دنياويا وقلبه مصروف الى الدنيا لم ينشرح لاطعامه من وقفه لقمة (وقد بلغنا) ان من شرط الرهبان ان لا يلتفت احدهم الى الدنيا ومتى أحب الدنيا اشتكوه لقيم الكنيسة واخرجوه منها خوفا ان يتلف البقية انتهى واذا

كان الكفار يزهدون فى الدنيا ما داموا فى الكنيسة فأهل العلم والقرآن اولى (ونقل) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية الاجماع من سائر الملل على ان الزهد فى الدنيا مطلوب وان اخراج العبد ما بيده منها أولى عند كل عاقل انتهى وفى قواعد الشريعة ما يشهد لان كل شئ وقف على جماعة موصوفين بصفة لا يجوز صرفه لمن فقد تلك الصفة (ومن هنا) تورع بعضهم عن خبز الخوانق الموقوف على الصوفية وقال انا لست بصوفى انما الصوفى مثل الجنيد والشبلى واضرابهما انتهى فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به على) مطاوعة اخوانى المجاورين اذا اشرت عليهم بترك الاكل من شئ دخل الزاوية من طعام أو فاكهة ورضاهم بعدم تخصيص احدهم بشئ اذا كان كبيرا ورضاه بان يأخذ كاصغرهم وقد أمرت النقيب ان يفرق عليهم كل شئ دخل الزاوية من عسل وفاكهة كما يفرق اهل المدينة المشرفة القمح على المجاورين فيها فربما اصاب كل واحد تينة أو خوخة فقط (ثم) ان شيخ الزاوية اذا قدر أنه راعى أهل الشره واللوم ومالحى الرقبة عنده وخصص احدهم بشئ فقد خرج عن قواعد الفقراء ثم لا بد ان يحول الله تعالى عنهم الرزق لان انفاس الآكلين كلما كثرت جذبت الرزق وربما كان الثلاثون من موالح الرقبة لا يجذبون بانفاسهم مقدار ما يجذبه يتيم او اعمى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حسن سياستى لمن تشرب قلبه حب الدنيا من اخوانى بحيث صار يعكس الاوراد وقراءة العلم ويرجح الدنيا على الآخرة فلا اقول له قط انك انسلخت من طور الفقراء الى طور ابناء الدنيا وان كان ذلك حقا وانما اقول له يا اخى صرت توحشنا فى المجالس والله انى اتحسر على كل مجلس فاتك وأحب ان لا يفوت صحيفتك قط شئ من الخيرات ونحو ذلك وقد خالف قوم وزجروا اصاحبهم الذى انسلخ من طور الفقراء فهجر عليهم وذكر فى شيخه الهجر والبجر ولم ينتفع منه بعد ذلك بشئ فاياك يا اخى ثم اياك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة مجالستى لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى مجالس الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين رتبه الله تعالى على يدى وذلك فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة كما مر ومن حين رتبه الله تعالى على يدى لم يتعطل ليلة واحدة ولا صباحا واحدا وكان ترتيب مجلس ليلة الجمعة ويومها باشارة الشيخ نور الدين الشونى رضى الله تعالى عنه (وكان) ترتيب المجلس بعد الصبح باشارة سيدنا ومولانا ابى العباس الخضر عليه السلام فرأيته فوق سطوح جامع الغمرى بمصر وقال لى لا بأس انك تجلس بالجماعة بعد الصبح يذكرون الله تعالى ويصلون على محمد صلى الله عليه وسلم الى أن ترتفع الشمس كرمح انتهى (وهذا) كان سبب ترتيبى الدعاء له فى الزاوية فى الاسباع وفى قراءة الكرسى وغير ذلك لكونى صرت معدودا من تلامذته وهو أكبر أشياخى كلهم قدرا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(الباب السادس عشر فى جملة من الاخلاق)

فأقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) كثرة سماعي للقرآن والذكر ليلا ونهارا كما مرت الاشارة اليه أول الباب قبله وأنا جالس في بيتي وهذا من أكبر نعمة أنعمها الله تبارك وتعالى علي في الدنيا وأظن أن ذلك لم يتيسر لاحد من ملوك الدنيا فضلا عن غيرهم وانما يسمعون القرآن أو الذكر في أوقات (وقد) دخل علي مرة في الليل ثلاثة املاك وانا بين النائم واليقظان طول الثالث منهم نحو سبعة أذرع والاثنين نحو طولنا ورأيت ألوانهم كلون الزعفران فسلموا علي فقال الطويل منهم لصاحبيه قد طفنا الليلة هذه مشارق الارض ومغاربها فهل رأيتم بقعة في الزوايا أكثر ذكرا لله تعالى وقرآنا من هذه البقعة فقالا لا فقال أحد الملكين للطويل فما حد ما ينتشر مدد مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ينتهي الى حد باب جامع الحاكم من ناحية باب النصر والى حد باب الشعرية الذي على يسار الخارج منه ثم استيقظت انتهى فأسأل الله تبارك وتعالى من فضله ان يديم هذا الخير في هذه البقعة بعدي لتدوم الرحمة علي مدة بعد موتي بحسب ما سبق به العلم الالهي (وقد) قالوا يدوم الخير في مكان الفقير بحسب قوة عزمه فمن الناس من يدوم الخير بعده سنة وأقل وأكثر وما رأيت خارج مصر أقوى عزما من سيدي احمد البدوي ولا بعده أقوى عزما من سيدي محمد الشناوي لقوة عكوف الناس في مكانهما للعلم والقرآن وما في مصر أقوى من عزم سيدي ابي العباس الغمري بعد صاحب جامع الازهر فان لسيدي ابي العباس من حين مات نحو سبع وخمسين سنة ومكانه في ازدياد من الخير بخلاف غيره من فقراء مصر كالمتبولي والحطاب وسيدي أحمد الزاهد وسيدي مدين وغيرهم فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما انعم الله تبارك وتعالى به علي) تأدب اخواني المجاورين معي اذا عاتبت احدا منهم اذا غاب عن مجلس ذكر أو قرآن أو علم فانه ينكس رأسه ويستغفر ولعل ذلك اعلمه بوفور شفقتي عليه كالوالدة فيا سعادة من لزم الادب مع مربيه ويا شقاوة من أقل أدبه وأجاب عن نفسه (وقد) زلق واحد منهم وأجاب عن نفسه يوما وقال حصل لي ضرورة استغرقت الوقت فصار الفقراء يضربون به المثل فالله تعالى يصلح حالنا وحاله ثم لا يخفى على المريد أن شيخه انما كان يود له كل خير لانه خرق ببصره الى الدار الآخرة ورأى ما يرد من الاعمال وما يقبل وما يفرح به العبد هناك وما يحزن فهو يود لاصحابه كلهم ان يكون كل واحد منهم مقبول العمل فرحانا يوم القيامة والمريد محجوب عن مثل ذلك وقد قال العارفون كل مريد لا يخرق ببصره الايماني الى شهود احوال الآخرة لا يجيء منه شيء في الطريق (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول من أراد أن يعرف عوجه واستقامته في هذه الدار فليزن اعماله واقواله وعقائده بالكتاب والسنة فان رأى نفسه موافقا فليستبشر بكل خير والا فهو خاسر في الدنيا والآخرة بقدر تفريطه الذي لم يسامحه الله تعالى به انتهى فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) دوام الاشتغال بالعلم في الزاوية طول السنة فلولا ان أوعية القلوب الآن متخرقة لكان كل واحد من المجاورين الآن من أعظم العلماء ولكن لهم اسوة بغالب طلبة العلم الذين لا يقدرون على القاء درس في العلم الا ان طالعوه تلك الليلة وعندي

بحمد

بحمد الله تعالى من العلم ما يكفي جميع المجاورين فلا يحتاجون الى الخروج من الزاوية ليقرؤا على غيري فان الله تعالى قد ألهمني الفهم في كل علم يبتدئ وله الناس اليوم حتى اني أقرأ في الاربعة مذاهب ان طلب وربما أوجه أقوال كل مذهب أكثر من أهله مع اني متقيد بمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وانما كنت أوجه مذاهب غيره لاطلاعي على منازع اقوال الائمة والى ما استندت اليه من الآيات والاخبار والآثار كما يعرف ذلك من طالع كتابي المسمى بالمنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين فما وجهت أقوال الائمة الا لاطلاعي على ما استندوا اليه لا بالصدر كما يفعله بعضهم ومن تأمل وجد حال أقوال الائمة ما بين مخفف ومشدد قائل برخصة وقائل بعزيمة ولكل منهما رجال حال مباشرة الاعمال فاعلم يا أخي ذلك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) حماية جميع الجهات الموقوفة على الزاوية من الظلمة فلا أحد يقف لنا في طريق من كاشف أو شيخ عرب أو غيرهما مع أنه ليس بيدي مربع ولا مرسوم بالحماية كما مر وانما ذلك محض عناية من الله عز وجل وكثيرا ما يجيء أصحاب المربعات السلطانية فاشفع لهم عند الكشاف وغيرهم ولعل النكتة في ذلك عدم تخصيص نفسي بشيء عن الفقراء الا لضرورة شرعية وأنظر الى وقفهم احتسابا لله تعالى ولا آخذ على ذلك معلوما كما مر أوائل الباب الثالث ثم اني اذا اجمعت غلتها أقسمها عليهم على الوجه الشرعي ولا أزاحمهم في شيء منها لا سرا ولا جهرا بل ربما أخلط لهم من مالي شيئا في مال وقفهم وأقول لهم كل ذلك من وقفكم ومن سلك هذا المسلك كان الوجود كله مساعدا له لا معارضا ثم ان وقع أن ظالما عارضنا فانما ذلك لعدم استحقاق أحد من الفقراء للحماية من حيث محبته للدنيا أو نحو ذلك فاني أعرف اني لو نظرت على الوقف بمعلوم أو تخصصت بشيء عن الفقراء وتزوجت وتسريت وركبت الخيل وتوسعت في المطاعم لم يقدرني الله تبارك وتعالى على حماية شيء من الظلمة ولو قل كما هو شأن غيري والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم وقوفي على حاكم اذا نازعني أحد في بيتي أو في النظر على زاويتي أو في رزقتي بل أترك ذلك له لان الدنيا أهون عندي من أن أقف لاجلها على حاكم واستحي بحمد الله تعالى اني أكذب مسلما فيما يدعيه علي منها والنكتة في ذلك كوني بحمد الله تعالى قد تساوت عندي الاماكن كلها فأرى كل مكان جلست فيه هو ملك الله تعالى وانا عبده لا أرى لي ملكا معه لشيء في الدارين فآكل من رزق سيدي وألبس من ماله وأسكن في داره وليس لي في ذلك ملك ولا شبهة ملك ولا استحقاق ومن كان هذا مشهده فلو أن الدنيا بحذافيرها كانت في يده وأخذها منه انسان لم يتغير منه شعرة ولم يتبعها نفسه وكأنه أعطى حصاة من الارض وهذا الخلق قد صار عزيزا في غالب الفقراء بل ربما ترافع أحدهم مع خصمه الى الحكام اذا نازعه في زاويته أو في بيته أو في خلوته او وظيفته وذلك خروج عن قواعد السلف الصالح ولذلك قالوا من نازعك في دينك فنازعه ومن نازعك في دنياك فألقها في نحره وفي الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء انتهى فما قدر ما يخص الواحد من ذلك الا اقل من جناح بعوضة اذا فرق على اهل الدنيا جميعهم من

ملو كها الى سوقتها حتى يترافع الانسان لاجله الى الحكام وقد بلغنا ان سيدى احمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه لما بنا داره وزاويته بأم عبيدة أتاه شخص يوم نقلته اليها وادعى ان العرصة ملك آبائه واجداده وانه لم يأذن لسيدى احمد فى البناء بها فرمى سيدى احمد حوائجه خارج الباب وعزم على تركها له وأبرأ ذمته من الحيطان التى بناها فلما راى ذلك الشخص همة الشيخ فى النقلة قال ياسيدى ليس لى فى هذه الارض ملك ولا شبهة ملك وانما قصدت اختبارك فى ميلك الى الدنيا الاسيما الدار الجديدة فان الانسان يفرح بها فقال سيدى احمد الامر سهل فقال ياسيدى تترك دارك بمجرد دعواى فقال نعم الدنيا اهون على الفقراء من ان يقفوا لاجلها على حاكم فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى باسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب ولكن لا أعلمه لمن طلبه الان وثقت بدينه وبخوفه من الله تعالى وشفقته على خلقه فانى أخاف أن يدعو به على كل من غضب عليه أو آذاه فيهلكه الله تعالى كما وقع لبلعام بن باعوراء ولولا ان غيرى من الاولياء سبقنى الى كتمانه لذكرته لك على التعيين يا أخى فى هذا الكتاب ولكن الكتاب يقع فى يد أهله وفى يد غير أهله ولا بأس ان أذكر لك يا أخى جملة من الاقوال فى تعيين الاسم الاعظم وان كان ذلك لا يفيد الجزم بمعرفته فأقول وبالله التوفيق ذهب جماعة منهم أبو جعفر الطبرى والشيخ أبو الحسن الاشعرى وابن حبان والباقلانى وغيرهم الى ان الاسم الاعظم لا وجود له بمعنى ان أسماء الله تعالى كلها عظيمة ليس فيها اسم ليس بأعظم وبذلك قال الامام مالك وغيره وذهب بعضهم الى انه اسم الله وبعضهم الى أنه هو وذهب الشعبى الى انه هو قولك يا الله وقال بعضهم انه بسم الله الرحمن الرحيم ورد به حديث فى المستدرك وصححه وقال بعضهم هو الحى القيوم فقط وغير ذلك كما ذكرناه فى المنن الوسطى وقد كان على شخص دين نحو ثلاثة آلاف دينار فقال اللهم انى أسألك يا الله يا الله يا الله بلى والله أنت الله لا اله الا أنت الله الله الله والله أنت الله لا اله الا أنت ياحى ياقيوم ثم نام وقام فوجد عند رأسه ثلاثة آلاف دينار ثم قيل له فى المنام لقد سألت الله تعالى باسمه الاعظم الذى اذا قرئ على الماء يجمد انتهى وبالجملة فلا يطلع أحد عليه الا من طريق الكشف فاعلم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة افاضة الخير على فى الملابس حتى انى كسوت خلقا لا يحصى عددهم الا الله تعالى ولكن رأيت بخط الاخ العزيز الشيخ ابراهيم السندبسطى النقيب ورقة فيها جماعة كسوتهم فلا بأس بذكرهم هنا تنبيها على غيرهم فذكر منهم الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله تعالى تفضل ولبس منى جوخة بمائتى نصف وكذلك الشيخ أبو العباس الحريثى لبس منى جبة سوداء وكذلك سيدى محمد بن سيدى الشيخ أبى الحسن الغمرى تفضل ولبس منى جوخة بنحو ثلثمائة نصف لما عراه اللصوص فى الريف وكذلك كسوت سيدى زينا ابن بنت سيدى على المرصفى جوخة جديدة بنحو أربعين دينارا وكسوت الشيخ شرف الدين القراء بجامع الحاكم ثوبا بعلبكيا وكذلك أحمد المصامتى كسوته ثوبين وكسوت خليفة سيدى أحمد البدوى ثوبا من الصوف أعطاه لى محمد بن بغداد بلا تفصيل وأعطيت ولده بدر الدين مضربة والشيخ أبا البقاء ولد عمه مضربة صوف أخضر وكسوت الشيخ تقى بن عبد الحليم بن مصلح الاردية والثياب كثيرا

لما كان يأتى الى مصر وكسوت الشيخ عليا اليمنى كذا كذا ثوبا وكسوته مضربة صوف بيضاء لما أراد سفر الحجاز وكسوت الشيخ شهاب الدين بن داود الثياب والاردية وكذلك كسوت أخاه الشيخ ابراهيم مرارا وكسوت الشيخ نور الدين الاحمدى جبة بيضاء بنحو ثمانين نصفا وكذلك الشيخ خطاب البرهانى كسوته جبة بيضاء بهذا الثمن لبستها يوما واحدا وكسوت خادم سيدى أحمد البدوى مرقعة من الصوف الملطى تساوى مائة نصف وكذلك كسوت الشيخ حسن الذى كان يملأ الميضأة بالمقام الاحمدى عدة وكسوت الشيخ سيدى ابابكر القبانى ووالده كل واحد قميصا لما جاءا من الحجاز وكسوت سيدى محمدا البرماوى جبة مختمة بنحو مائتى نصف وكسوت أخى الشيخ أفضل الدين مرارا من الجبب الحمر والسود المضربة وكسوت الشيخ يوسف البشلاوى مرارا وكسوت الشيخ شهاب الدين الطرينى قميصا مقصورا وكسوت الشيخ زين العابدين صوفا أخضر وله الفضل على قبوله وكسوت الشيخ عبد الدائم بن عثمان مرارا وكسوت سيدى محمدا الحنفى جبة حمراء وله الفضل على قبولها وكسوت صهره سيدى أبا الفضل جبة بيضاء ولا أقوم له بجزاء وكسوت سيدى محمد بن موفق صوفا بنحو مائتى نصف وكسوت الشيخ عبد القادر الشاذلى قميصا مقصورا فكفن فيه عملا بوصيته وكذلك القاضى عبد القادر الزمكى كسوته قميصا بعلبكيا فاوصى أن يكفن فيه فى المحلة ففعلوا به ذلك وكسوت الشيخ عبد الله العجمى خادم زين العابدين جبة حمراء وعمامة سوداء وهو رجل يحب أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وكسوت الشيخ محمدا أباشوشة الجزيرى جبة حمراء وكسوت الشيخ أبا هدوان قميصا بعلبكيا وكسوت سيدى محمدا الحموى جبة وكسوت الشيخ تقى الدين الاشمونى الاقطع جبة حمراء وقميصا أزرق وقلنسوة وكسوت الشيخ محمدا الكويس المداح جبة بيضاء وكسوت أباشعرة كذلك جبة بيضاء ورداء فى طهور ولدى عبد الرحمن وكسوت نساء المجاورين كل واحدة قميصا كذلك فى الطهور المذكور وكسوت الشيخ محمدا النحريرى صوفا أخضر وعمامة وقلنسوة وقميصا وكسوت الشيخ بركات الاحمدى جبة بيضاء وأخرى حمراء وكسوت الشيخ محمدا الصوفى جبة سوداء وأخرى خضراء وعمامة سوداء وله الفضل على قبوله ذلك وكسوت الشيخ يوسف الطهوانى جبة بيضاء لما زارنى وكسوت الشيخ شهاب الدين السبكى جبة عودى وكسوت ابن الشيخ عبد الرزاق المادح ثوبا مقصورا لما مدح فى سيدى عمر بن الفارض وكسوت عمر الضرير مضربة خضراء كنديا وكسوت الشيخ محمدا الجوخى جبة سوداء ولا أقوم له بجزاء وكسوت سيدى أبا الفضل القبانى جبة سوداء وجوخة ولا أقوم له بجزاء وكسوت اولاد الشيخ الغمرى مرارا وكسوت ابراهيم بن عبد ربه وولد أخيه الجبب الحمر مرارا وكسوت الشيخ يوسف الهندى الذى ذكروا أن عمره ثلثمائة سنة وشئ صوفا أخضر وملاءة مقصورة وعرقية جوخ وكسوت الشيخ ابراهيم الرحبى بباب جامع الازهر جبة حمراء وكسوت أصهارى أبا الفتح القصبى والشيخ أحمد القصبى الثياب والجوخ والعمائم وكسوت أبا الفتح صوفا من ملبوس السلطان الغورى أخبرنى الامير يوسف بن أبى اصبع ان سجافه بسبعة عشر دينارا ذهبا وكسوت أخى الشيخ عبد القادر الجوخ والاصواف والعمائم وأولاده وأولاد أولاده مرارا ولا أقوم له بجزاء وكسوته صوفا لونه صينى من ملبوس السلطان

الغورى مركبا عليه فروة سوداء وكسوته عمامة السلطان الغورى وكان عرض الشاش سبعة أذرع أهداها لى الامير يوسف بن أبى اصبع وكسوت محمد بن بغداد ثوبا بعلبكيا وازارا باقسامه على بالله ليكفن فيهما وكسوت الامير محيى الدين بن أبى اصبع جبة بيضاء مضربة من ملبوس الشيخ نور الدين الشونى وكسوت الشيخ اسمعيل النقيطى بالغمرى والشيخ شمس الدين الطنيخى الكبير وولده مرارا الجبب والقمصان والاردية وكسوت الشيخ محمد الطخاوى الوقاد بالغمرى مرارا وكسوت الشيخ شمس الدين المتبولى الفقيه بمقام الدشطوطى جبة سوداء وكذلك بدر الدين المجاور بالمقام والشيخ شعيب الخطيب بجامع الغمرى وكسوت الفقيه الشيخ عمر المليجى والشيخ شرف الدين النعناعى الجبب والجوخ وغير ذلك ولا أقوم لهما بجزاء وكسوت الفقيه أحمد العباسى ويوسف البنبى مرارا وكسوت الشيخ عبد القدوس الشناوى القمصان البعلبكية والاردية وله الفضل على قبوله ذلك وكسوت ولده عبد القدوس برنسا أسود وملاءة وكسوت الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر الشناوى عمامة وملاءة وقميصا بعلبكيا وكسوت جلالا الابشيطى جبة بيضاء وكذلك أخاه شمس الدين جبة بيضاء وكسوت شرف الدين العصامى جبة حمراء وكسوت الشيخ مروان المجذوب جبة سوداء وبشتا بسؤاله لى فى ذلك وكسوت سيدى زين العابدين سبط سيدى على المرصفى ملاءة مقصورة وله الفضل على قبولها وكسوت الشيخ محمد الفرضى مرارا الجبب والقمصان وكسوت الشيخ صالحا المسلمى جبة سوداء وكذلك كسوت الشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى جبة وكسوت المقدم الزردكاش كذا كذا مرة فروا ولما وجدته فى جنزير وكذلك كسوت الغزاوى الحائك بالميدان صوفا عوديا لما جاءنى كذلك فى جنزير يستعين به فى وفاء دينه وكذلك أخذ منى قاصد الشيخ ناصر الدين الطبلاوى جبة حمراء بمائة نصف مساعدة فى فكاك أسير وكسوت العيار صاحب جهة المغانى صوفا أخضر لما استعان بى فى دين كان عليه وكسوت سيدى شرف الدين بن الامير جبة بيضاء وقميصا بعلبكيا على وجه التبرك وله الفضل على قبول ذلك وكذلك أخاه سيدى محمدا أخذ منى قميصا بعلبكيا لما سافر لحلب وكسوت الحاج بدر الدين القلعى الجبب الحمر مرارا وكذلك ولد أخيه المعلم أبا الفتح وجاريته وكسوت سيدى محمد بن موفق مرارا الجبب والصوف ولا أقوم له بجزاء وكذلك ولد عمه سيدى أحمد وابن خاله شرف الدين وكسوت الشيخ حسن البصير الذى أقرأنى العلم الاصواف مرارا هو وأولاده ولا أقوم له بجزاء وكسوت الشيخ أبا الخير السفطى قميصا ورداء وكسوت ابن السلطان الملك الكامل قميصا لما رأيته ليس له قميص وكسوت الشيخ أبا الفتح أمين بن الجمال قميصا وكسوت الشيخ عمر المكشوف الرأس صهر الشيخ زين العابدين جبة بيضاء مبطنة بعلبكية وله الفضل فى قبولها على وكسوت الشيخ جمال الدين ابن بنت عمى جبة حمراء عليها فروة حمراء وكسوت مثلها السيدى يحيى ابن بنت الغمرى وكسوت الشيخ معينا السنباوى جبة سوداء وكسوت أخاه الشيخ نور الدين جبة بيضاء وكسوت الشيخ عبد الرحمن الاجهورى جبة وكسوت الشيخ أبا الخير الضرير مرارا وكسوت الشيخ يحيى الزنجاوى وولده الشيخ موسى كل واحد قميصا مقصورا لما ورد الى مصر وكسوت سيدى علم الدين العبادى قميصا وكذلك الشيخ صلاح الدين بن خرنوب الخطيب كسوته جبة سوداء وكسوت أصهارى مرارا الجوخ

والقمصان والعمائم وكذلك أخى الشيخ أحمد وأولاده وأولاد العم كسوتهم الثياب والجبب والجوخ والكساء مرارا وكسوت شيخ السوق الحنفى لما عزل من مشيخة مرجوش قميصا مقصورا * (وأما مشايخ البلاد) * والمترددون بالهدايا فلا أحصى لهم عددا * وممن كسوته من مشايخ البلاد نافع شيخ الساقية والحاج على بن هلال شيخ شطنوف والحاج ابراهيم الاكيادى وشرف الدين وأحمد أولاد الحاج خليل مشايخ قها فهذا ما رأيته مكتوبا بخط الشيخ ابراهيم السندبسطى رحمه الله تعالى وأما ما أخذه الناس فى غيبته فلا يحصى عدده الا الله تعالى ولما سافرت الحجاز كسوت أولاد ابن أبى كثير كل واحد قميصا خماسيا وكسوت الشيخ شرف الدين الديطى جبة بيضاء خلعتها عليه عند الحجر الاسود فاعطى فيها بحضرتى ثلاثين دينارا فأبى وكسوت الشيخ أبا سلمة قميصين وأما براقع الزبالع فلا أحصى لها فى مكة عددا وفرقت على نساء الاعراب البراقع فى المناهل ذهابا وايابا ولما دخلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقانى شخص من العين الزرقاء يريد أن يزرنى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ما اسمك فقال تقى الدين بن المقبول فقلت له فال حسن فدخلت معه فأوقفنى تجاه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يسأله لى من خير الدنيا والآخرة بما كنت استحى أن أسأله فيه فخلعت عليه مضربتى الصوف الخضراء فاعطوه فيها ثلاثين دينارا فأبى لكونها خلعت عليه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما القمصان التى فرقتها هناك فكثيرة حتى قمصان ولدى عبد الرحمن ووالدته وقلت لهما اذا وصلنا الى بلادنا فهنالك الثياب كثير وفرقت من السكر وغيره فى الحرم المكى ما لا يحضرنى ضبطه من القناطير فقال لى خدام البيت هذا أمر ما رأينا أحدا فعله فى حجه غيرك فكنت أكسر الرأس السكر قطعا قطعا قدر الليمون وأرميه فى المطاف وفى أفواه الزبالع من الرجال والنساء وانما ذكرت لك يا أخى بعض من كسوتهم لتقتدى بى فى مثل ذلك وتتكرم على الاخوان وغيرهم من عرفت ومن لم تعرف كما فعلت أنا ولا تخف من الفقر اذا أعطيت الناس مثل ذلك فان الله تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وقال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ولم أزل بحمد الله تعالى أعطى الناس الثياب والنقود الى وقتى هذا وما رأيت من الله تعالى الا السعة فى الرزق ووالله لو علمت ان أحدا فى مصر كسا الناس مثل ما كسوت مع حسن نيتى وفراغ يدى من الدنيا وخفة الدخل لدللت الاخوان عليه ليقتدوا به وأخفيت أنا نفسى ولكن لم أعلم فيها أحدا وقع له مثل ذلك والاعمال بالنيات فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) ملاطفة المريدين والمعتقدين أول اجتماعهم على فلا امتحنهم فى الصدق لان الامتحان انما يكون لهم اذا تمكنوا فى الطريق وعلقت بهم صنارتها وأما قبل ذلك فربما امتحنهم الشيخ فرجعوا عما كانوا قصدوه وقالوا اما انا ولهذه الطريق وفترت همتهم ومن شك فى قولى هذا فليأمرهم أول اجتماعهم عليه بالتقشف ولبس الجبب والبشوت الخشنة وأكل خبز الشعير غير منخول حتى لا يقدر يسيغه الا بجرعة من ماء كما كان صلى الله عليه وسلم يأكله وينظر فان غالب التلامذة تفارقه ولو كان هو من أكبر الاولياء وقد أخبرنى الاخ الصالح سيدى أبو العباس الحريثى رحمه الله تعالى قال لما صحبت فى بلاد الغربية ومعى

بجاعتى صار كل من رآنا يمشى معنا حتى صرنا نحو مائة نفس لكثرة ما كان أهل بلاد الغربية يعملون لنا الاطعمة الفاخرة من حلو ودجاج وغنم وغير ذلك فدعتنى حاجة الى بلادنا بالشرقية فعدى معنا الفقراء كلهم فوجدوا اطعام أهل بلادنا الشعير الاخضر والفول الاخضر فصاروا يطعموننا من عصيدة الشعير ويصلقون لنا الفول الاخضر ويصبون عليه الدبس فتفرقوا عنى كلهم وما فضل معى سوى فقير واحد وقد كنت اسمعهم يقولون ونحن فى بلاد الغربية هذه الايام مع سيدى الشيخ تعد من الاعمار وما يعد من عمرنا الا مدة اجتماعنا عليه فقلت لهم أين قولكم هذه الايام تعد من الاعمار وما يعد من عمرنا الا اجتماعنا عليه فقد بان انها ما كانت تعد من الاعمار الا لاجل الطبيخ قال فخجلوا كلهم ثم جاؤا بعد ذلك وتابوا وطلبوا أن يدور وا معى البلاد فمنعتهم تخفيفا للمؤنة على الناس فعامل يا أخى اخوانك فى هذا الزمان كما تعامل الاطفال الذين ليس لهم عقول ولا تقم عليهم ميزان الصدق فينفروا كلهم من صحبتك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) حذرى من مكايد النفس اذا قام على عدو وصار ينقصنى فى المجالس وصرت انا اثنى عليه خيرا فان من شأن النفس النفرة ممن ينقصها وما تثنى على من ينقصها الا لعلة كامنة فربما تثنى على من ينقصها ليرجع عنها أو يستحى أولتدفع عنها ما ظنه الناس فيها من عدم الصبر أو ليمدحها الناس على ذلك ويقولون شئ لله المدد من فلان فانه من كبار الاولياء وانظروا ماذا فعل معه العدو الفلانى وما وبخه به فى المجالس ويبلغه ذلك فيثنى عليه خيرا ولا يقابله بشئ فيزداد الناس فيه بذلك اعتقادا ويصيرون يقولون عن عدوه من أين لفلان أن يناظر فلانا أو يتشبه به وأين العاصى الفاسق من العالم العامل ونحو ذلك فيحقرون خصمه ويعظمونه عليه فاذا وجد ذلك فينبغى للشيخ الذى عظمه الناس أن يظهر الضجر وعدم احتمال الاذى والتكدير فى بعض الاوقات ويقول للناس ردوا فلانا عنى فقد آذانى شرا مع انه ليس فى باطنه منه تكدير وانما قال ذلك سترا لحاله وقد وقع لى مثل ذلك مع شخص معروف فى مصر فصار ينقصنى فى المجالس ويبلغنى ذلك فاثنى عليه خيرا وأقول أنا لا أصدق فيه شيأ وما أعرف منه الا المحبة حتى شهد عندى نحو مائة نفس على أنه يكرهنى ويحط على وأنا أثنى عليه خيرا فصاروا يقولون عنى شئ لله المدد هذا هو الصالح فلما أدى الامر الى ذلك صرت أقول لهم ان فلانا آذانى فردوه عنى فاستترت بذلك بحمد الله تعالى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تعظيمى للناس بحسب مراتبهم فى الدين فأقدم العارف بالله تعالى الذى أخذ الطريق عن أهلها بعد اتقانه علوم الشريعة على من كان بالضد من ذلك وأقدم الفقيه الصرف الذى لم يدخل طريق القوم على الفقير المتفعل فيها من غير اتقان علومها وموادها والمشى على شروطها لان الفقيه الصرف سالم من النفاق الذى وقع فيه المتفعل مع زيادته عليه بالعلوم الشرعية بل نقول العامى الذى يعبد الله تعالى ويسأل العلماء عن كل شئ أشكل عليه فى دينه أحسن حالا من هؤلاء المتفعلين فى طريق القوم ومرادنا بالفقيه الصرف ان تصحبه مع ذلك السلامة فى عقيدته من البدع القادحة فلو كان قليل الاعتقاد فى الصالحين كثير الانكار عليهم فهذا أسوأ حالا من المتفعل فى الطريق لتعدى ضرره الى الخلق بخلاف

المتفعل فان ضرره راجع الى نفسه فقط (وسمعت) أخى سيدى افضل الدين رحمه الله يقول الفقيه الصرف الذى لم يتصوف أحسن حالا من الفقيه المتصوف لان المتصوف يريد أن يخرج من علم النقل الى علم الوهب بغير شيخ ولا طريق بل بالنفس والدعوى قال ومن علامة المتصوف بغير حق أنك اذا بحثت معه فى الشريعة عدل بك الى الحقيقة واذا بحثت معه فى الحقيقة عدل بك الى الشريعة فلا يكاد يثبت على حالة معك وربما ذم طريق الفقهاء بين أصحابه ومدحها بحضرة العلماء رياء وسمعة خوفا منهم أن ينكروا عليه ولو أنه كان كاملا لمدح كلا من الحقيقة والشريعة فانهما متلازمان ظاهرا وباطنا وانما تقع المخالفة بينهما فى مثل حكم الحاكم ببينة زور مثلا فان الحاكم لم يؤمر بالحكم بالباطن فى هذه الدار فلو أن البينة كانت صادقة لصح حكم الحاكم ظاهرا وباطنا وذلك مرادهم بقولهم الحقيقة لا تخالف الشريعة كما مر بسطه مرارا فافهم (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أحسن الفقهاء حالا من كسر ميزان عقله فى معانى آيات الصفات واخبارها قبل دخوله الى حضرة الله تعالى ودونه فى الدرجة من وضع ميزان عقله عند باب الحضرة الالهية ودخل بلا ميزان فهذا لا يأمن أن يزن بها اذا خرج بها فيؤول آيات الصفات فيفوته كمال الايمان بها ودون هذا فى الدرجة بل لا درجة له من دخل الحضرة بميزان عقله فوزن على الله وعلى رسله فان هذا ربما طرد من الحضرة أبدا كما وقع لابليس انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انه جعلنى من أهل الالهام الصحيح غالبا فكثيرا ما يسألنى انسان عن مسئلة لا أعرف فيها نقلا فأتوجه الى الله تعالى فيلهمنى المنقول فيها على المطابقة ومما وقع لى ان شخصا سألنى عن الجمعة فى أى وقت فرضت فألهمت أنها فرضت فى ثانى عشر ربيع الاول ولم يكن عندى قط علم من ذلك ثم فى ثانى يوم جاءنى شخص بتفسير الخازن وفيه قول انها فرضت فى ثانى عشر ربيع الاول فتقوى عندى صحة الالهام بموافقته للنقل واعلم يا أخى أن الالهام من أقسام الكشف الصحيح فاذا صح فلا يأتى الا موافقا للشريعة لانه اخبار بالامور على ما هى عليه فى نفسها فان وقع ان الالهام خالف الشريعة فالخلل من ضعف حال صاحب الكشف ويسمى الالهام أيضا بالتعريف الالهى من الله تعالى فيوضح الحق تعالى به ما كان مشكلا على الناس ويطلع على الحديث الصحيح فى نفس الامر وان قال العلماء بضعفه ويسمى أيضا بالتحديث الالهى بحكم الارث لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فان الحق تعالى كان يحدثه فى سره بالامور على الكشف والشهود وهذا الامر هو الذى فضل به على غيره كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن فى أمتى محدثون بفتح الدال المهملة المشددة فعمر وغير صاحب هذا المقام ربما يحدثه الحق تبارك وتعالى فى سره ولا يشعر بأن ذلك من الحق تعالى ويسمى هذا أيضا وحى المبشرات المشار اليه بقوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وذلك على أقسام فمنها ما يكون متلق بالخيال وهو الوحى فى النوم فالملتقى خيال والنازل كذلك والوحى كذلك ومنها ما يكون خيالا فى حس على ذى حس ويقع كثيرا لبعض العارفين ومنها ما يكون معنى يجده الموحى اليه فى نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل وهذا هو المسمى حقيقة بالالهام ومنها ما يكون كتابة ويقع ذلك كثيرا للاولياء كقضيب البان واضرابه وصورته

ان يجد بعد القيام من النوم ورقة مكتوبا فيها ما ألقى اليه به واعلم يا أخى ان علوم الغيب التى يمكن ادراكها تتنزل بها الارواح على قلوب المؤمنين فمن عرفهم تلقاهم بالأدب ومن لم يعرفهم أخذ علم الغيب ولا يدرى عمن كان كالكهنة وأهل الزجر (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أهل الله تعالى يرون تنزل الارواح على قلوبهم ولا يرون الملك النازل فيشهدون الملائكة ولكن لا يشهدونها ملقية اليهم أو يشهدون الالقاء ويعلمون انه من الملك من غير شهود للملك فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبى أو رسول فهذا هو الفرق بين تنزل الوحى على النبى صاحب الشرع وبين تنزل الوحى على الولى التابع انتهى (وسمعت) أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول التنزل على ضربين أحدهما ما كان ذوقيا وهو ما يتحقق به المكاشف تحققا ذوقيا الثانى ما كان علميا وهو ما يرد على طريق الاخبار ومثاله مثال من يطالع علما ما فى كتاب ما فليس هذا بذوق انما هو حصول علم انتهى (وسمعته) أيضا يقول من الفرق بين تنزل النبى والولى ان الولى لا يتنزل عليه الامر الا من جهة العلو والنبى ينزل عليه من جميع الجهات ولهذا حفظ النبى بالرصد دون الولى وذلك ان ابليس قال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فلذلك جعل الله تعالى الرصد على هذه الجهات الاربع فيحيط الرصد الذين هم الملائكة بقلب النبى صلى الله عليه وسلم فلا يجد ابليس طريقا الى قلبه كما قال تعالى الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وأما جهة العلو والسفل فان ابليس لا سبيل له اليهما فلذلك امتنع ابليس من قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام جملة وهى العصمة وأتى الى قلوب الاولياء من الجهات الاربع الا أن الله تعالى يعرف بعض أوليائه به فيأخذون منه العلم ويعرفون ان الله تعالى أرادهم بذلك العلم على يد اللعين لتتميم الارادة وتنفيذ المشيئة فيقصمون ظهره بذلك ومن الاولياء من لا يعرفه الله تعالى ذلك فهذا قد يفتنه ابليس اللعين انتهى ثم لا يخفى ان ما ألقى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعبر عنه بالوحى تارة وبالشرع أخرى فان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الصفة سمى قرآنا وفرقانا وتوارة وزبورا وانجيلا وصحفا وان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم النقل دون الصفة سمى حديثا وخبرا وأثرا وسنة (وقد) أغلق الله تعالى باب تنزل الاحكام المشروعة بموت محمد صلى الله عليه وسلم وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه فالتنزل الروحانى بالعلم بها باق لهم ليكونوا على بصيرة فى دعائهم الى الله تعالى كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنا ومن اتبعنى فقد علمت ان الولى لا يدعو قط الى الله تعالى الا بحكاية دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم وبلسانه لا بلسان يحدثه كما يقع للرسل ولذلك لو أمر الولى بما يخالف شرع الرسول لم يتبع على ذلك وخرج عن كونه على بصيرة من أمره (ولذلك) لم ينقل الينا ان نبيا ندم على ما بلغه من الوحى بخلاف العلوم الصادرة عن فكر ونظر فربما ندم صاحبها على قولها كما وقع فى قصة أسارى بدر وفى مسئلة تأبير النخل وذلك أنه صلى الله عليه وسلم مر على جماعة من الانصار وهم على رؤس النخل فقال صلى الله عليه وسلم ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال صلى الله عليه وسلم ما أرى ذلك ينفعهم شيأ فسمع بذلك الانصار فتركوا تلقيح النخل تلك السنة فقل حمله ونضجه وخرج شيصا فقال صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتكم بشئ عن الله تعالى فاعملوا به فانى لا أكذب واذا أخبرتكم بشئ من قبل نفسى فأنتم

أعلم بأمر دنياكم انتهى فتأمل ذلك يا أخى فانك لا تجده فى كتاب أبدا والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حفظى من الخوض فى معانى آيات الصفات وأخبارها بغير علم من منذ وعيت على نفسى وقل من سلم من مثل ذلك من الفقراء وهذا من أكبر الذنوب التى تقع فيها الفقراء ولا يشعرون فترى أحدهم يخوض فى الكلام على الذات وينسى ما كلف به من الزهد والورع وصوم النهار وقيام الليل والخوف من الله تعالى ونحو ذلك حتى كان الطريق عندهم محض كلام من غير عمل وبعضهم يطالع فى كتب الشيخ محيى الدين بن العربى ككتاب الفصوص ونحوه ويصير يفهم منها خلاف مراد أصحابها من الكفريات ثم يصير يضيف ذلك الى الشيخ محيى الدين وغيره فيعتقد بعض الناس أن ذلك الذى فهمه هو مراد الشيخ محيى الدين فيضيفون اليه الفواحش وسوء العقيدة وهو رضى الله تعالى عنه برئ من نحو ذلك كله كما أوضحنا ذلك فى كتابنا المسمى باليواقيت والجواهر على أن هذا الذى يدعى التصوف ويطالع كتب الاولياء وكلامهم ويفهم غير مرادهم ربما كان معدودا من جملة العوام اذا قيل له ائت لنا درسا فى الفقه مثلا وبين لنا فيه الراجح من المرجوح لا يستطيع ذلك فكيف يفهم أسرار الشريعة التى ماتت فحول العلماء بحسرة الاطلاع عليها وهو لم يعرف أحكامها الظاهرة (وقد كان) سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله تعالى عنه يقول من شأن القوم أن لا يتكلموا الا بلسان ذوقهم ومحبتهم ليشوقوا الناس الى الترقى فى مقامات الطريق وأما من حفظ كلام الناس وصار يلقيه للمريدين من غير ذوق فحكمه حكم من جمع أزواج الحيوانات من الذئاب والثعالب والحيات والعقارب ونحوها فى اناء واحد وطلب اخراجها عن طباعها بمخاطبتها فلا يكاد ينتظم له كلام مع كلام وذلك لا فائدة فيه (وكان) رضى الله تعالى عنه يقول جميع المعبرين والمؤولين والمتكلمين فى علم التوحيد وآداب الطريق لم يبلغوا الى عشر معشار معرفة ادراك كنه معانى حرف واحد من حروف الهجاء فاسلك يا أخى على يد شيخ صادق حتى تبلغ مبلغ الرجال بعد تبحرك فى علم الشريعة والا فأنت ضال عن الطريق ولا يغرك قول العوام من التجار والمباشرين انك من الصالحين فان هؤلاء أجهل الناس بطريق الصالحين فكيف يجعلونك منهم (وقد) سمعت بعضهم يقول لشخص له عمامة صوف وعذبة ما بقى فى مصر أحد يرى فيه رائحة الصلاح الا أنتم فأحسست بانه انتفخ حتى صار كالفيل من الفرح فقربت من أذنه وقلت له انهم يضحكون عليك وقد سمعتهم يقولون لى ذلك مرات فيلفقون لهم بعض كلمات يقولونها لكل فقير اجتمعوا به ويحصرون الصلاح فيه فاذا فارقوه حصروا الصلاح فى غيره ونفوه فتاب الى الله تعالى من الاغترار وحسن حاله فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) استئذان الحق تعالى بقلبى اذا كنت فى عبادة وأردت الجماع لاعفاف نفسى أو زوجتى أو لغير ذلك من النيات الصحيحة ويقع لى ذلك كثيرا اذا شبعت أو أكلت شبهة وعجزت عن القيام من جوفى فأستأذن الله تعالى واقطع قراءة القرآن أو الورد الذى أنا فيه وأسأله ارخاء الحجاب على حتى أعطى الزوجة حقها (وهذا) الخلق قليل من يراعيه فيأتى أحدهم الى الجماع وهو غافل عن استئذان الحق تعالى كالبهائم فربما عوقب بالحجاب أو العقاب

أو فوت الثواب (وكان) وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه يقول رأيت فى بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل ان أهون ما أنا صانع بولي اذا آثر شهوته على طاعتى ومجالستى ان أحرمه لذيذ مناجاتى انتهى (وقد) وقع لى انا ذلك مرة فأقمت فى عقوبته نحو أربعين يوما حتى توسلت برسول الله صلى الله عليه وسلم وسألت الله تعالى بحقه عليه أن يسامحنى فأجابنى الله تعالى أكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم (وهذا) الخلق وان كان مأذونا للعبد فيه باذن الشريعة العام لكن مراعاة الحياء من الله تعالى والادب فى مثل ذلك لاتأباه الشريعة بل ترضاه فافهم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى فى نفسى اذا ادعت أنها من مريدى القوم الصادقين أنها كاذبة وأن حكمها حكم خلبوص المغانى اذا خرج فى بابة الخيال فى صفة قاض أو عالم فيسخر الناس به ويضحكون عليه ولايسلمون له ذلك بل يفتون بأنه يستحق التعزير الشديد وكذلك نفس أمثالنا اذا ادعت أنها اعلى ممن هو فوقها من القوم تستحق التعزير الشديد (ومن وصية) الشبلى رحمه الله تعالى لبعض الفقراء امح اسمك من ديوان القوم حتى تموت انتهى (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لو كان هؤلاء المدعون للطريق مؤهلين لها لادبهم أصحاب النوبة اذا تشبهوا باهلها قبل أن يتحققوا بها ولكنهم غير معدودين من أهلها فلذلك أهملوهم ولم يؤدبوهم انتهى وقد جاءنى مرة شخص من هؤلاء المدعين فقال أبشركم بأن شيخى فلانا أجلسنى اليوم هذا للمشيخة وأذن لى بأخذ العهد على المريدين فسألته عن شروط الوضوء فقال ماقرأت شيأ فى العلم فقلت له فما أركان الصلاة المجمع عليها وشروطها فقال لم أقرأ شيأ فى العلم فقلت له قد غشك ورب الكعبة فغضب ومن ذلك اليوم ماطلع زاويتى الى وقتى هذا (وقد) أخبرنى انه قال كذلك لشيخ من مشايخ العصر ففرح له بذلك وقال قد أصاب شيخك فيما فعل انتهى (وفى) الحديث الدين النصيحة (ورأى) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى شخصا من هؤلاء المدعين للطريق فقال له يا أخى اذا خربت مقات البطيخ وأطلقوا فيها البهائم مابقى يرتجى منها تحصيل بطيخ يدخل الحواصل أو ينتفع به والدنيا اليوم حكمها حكم مقات البطيخ التى خربت فالعاقل من عرف زمانه ولزم السكوت وابتهل الى الله تعالى فى سؤال التدبير له ولاخوانه انتهى (وقد) رأيت من نازعه الناس فى صحة اذن شيخه له فأقام بينة وأثبته عند قاض مالكى فنازعوه فى ذلك وقالوا له القاضى ليس له حكم على طريق الولاية وانما حكمه فى الاموال والولايات الظاهرة فادعى انه ماجلس الا بأمر من الله تعالى على يد ملك الالهام فقلت له ملك الالهام لايصح ان يأتى لغير نبى بأمر يأمره به أبدا الا على وجه متعارف عند أهل الله تعالى فما هو ذلك الوجه ان كنت منهم وقد اجمع المحققون على ان خاطر الحق تعالى لايكون فيه أمر ولانهى لان الحق تعالى قد فرغ من الاوامر والنواهى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقال صلى الله عليه وسلم ماتركت شيأ يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا شيأ يبعدكم عن الله تعالى الا وقد نهيتكم عنه رواه الطبرانى فما درى مايقول (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لاينزل ملك الالهام قط بأمر ولانهى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة فان

الشريعة قد استقرت وتبين حكمها فان قال أحد من الامة انى لم ألهم ذلك الهاما وانما أمرنى به الله تعالى من غير واسطة ملك قلنا له هذا أعظم من ادعائك الاول لانك ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولاقائل بذلك وفى القرآن العظيم وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية ثم انه تعالى لو كلمك ما كان يلقى اليك الا علوما وأخبارا لا أحكاما وشرعا ولا بأمر لك أصلا لان الاوامر والنواهى قد أغلق بابها بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أمر لايسلم له لان معناه انه ادعى شريعة مستقلة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما ان قال أمرنى الله تعالى بفعل المباح لا على سبيل الوجوب فان ذلك أشد لانه صير المباح على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا به وهذا عين نسخ شريعته صلى الله عليه وسلم ولاقائل بذلك أيضا وان قال أمرنى بفعل الواجب الفلانى أو نهانى عن الحرام الفلانى قلنا هذا لافائدة فيه لان الله تعالى أمرك ونهاك على لسان محمد صلى الله عليه وسلم انتهى فاعلم ذلك يا أخى ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) تحفظى من الآفات اذا أمرت الناس بخير فربما كان فى ذلك علة تقدح فى الاخلاص أقل مافى الباب طلبى بامتثال الناس لما آمرهم به كثرة أنسى باشكالى فى تلك المرتبة وان يكونوا فى طريق الخير لايبرحون عنها وهذا يقع للداعى الى الله تعالى كثيرا حتى انه يود ان لو أطاع الناس كلهم ربهم فى كل مأمور ولم يبق فى قبضة الشقاء أحد من كثرة وجود الرحمة فى قلب الداعى ولو أنه تفطن لرأى للرحمة حدا لايتعداه فان أرحم الراحمين هو الذى قسم الناس فريقين شقيا وسعيدا فمن الادب التخلق بنظير أخلاقه تعالى فى الاسم فليمتحن مدعى الاخلاص نفسه بما لو تفرقت جماعته الى شخص من أقرانه فان حصل عنده تأثر فدعاؤه لحظ نفس لا لامتثال امر الله تعالى فليستغفر من ذلك ويتب الى الله تعالى ولذلك كان لايتصدر للدعاء الى الله تعالى فى كل عصر سبق الا أكابر الاولياء الذين خرجوا عن حظوظ النفوس وأما أمثالنا فان من تصدر منا لذلك أهلك نفسه وأتباعه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) خوفى من ترك التظاهر بالدعاوى أكثر من خوفى من الدعاوى لان لذة ترك التظاهر بالمشيخة أكبر من لذة التظاهر بالمشيخة وحب الرياسة لان من شان النفس أن تفرح اذا سمعت الناس يقولون فلان صالح لايحب المشيخة ويفر من طرق التظاهر بها ويحب ستر حاله عن الناس مع أنه من أكابر الاولياء ولكن لايعلم به غالب الناس وذلك علامة على صدقه فى كراهة الشهرة ولو أنه أحب الشهرة لم يكن أحد فى مصر أعلى منزلة منه عند الملوك والاكابر ولكنه اعقل من ذلك فهو كالجبل الراسى انتهى فليتنبه شيخ القرن العاشر لمثل ذلك (واعلم) يا أخى ان للتظاهر بالمشيخة أسبابا لاختلاف الاهوية فواحد هواه عذبته وجبته البيضاء النقية يشق عليه تركهما ويجد فى نفسه وحشة اذا تركهما بعد اعتيادهما وواحد هواه الجلوس على السجادة فى قراءة حزبه وفى المحافل وواحد هواه اطراق رأسه والعزلة عن الناس وواحد هواه انه لايخرج من بيته أو خلوته للناس الا فى أوقات مخصوصة (وربما) أتاه شخص من مكان بعيد فلم يخرج له حتى يجئ الوقت الذى عادته الخروج فيه خوفا من قلة تعظيمه اذا خالط الناس فى وهمه وواحد هواه حلقة الذكر فى زاويته

واجتماع الناس عنده وكثرة تواضعهم له وربما فارقوه واجتمعوا بغيره فتكدر لذلك وواحد هواه اقامة المجاورين عنده ليصطاد بهم الدنيا ويكمل نظام مشيخته فان من لا فقراء عنده ليس بشيخ عند غالب الناس أو هو شيخ على الفتح بخلاف من عنده فقراء ولذلك يفرح اذا سمع الناس يقولون فلان عنده مجاورون كثير وواحد هواه اطعام الطعام أو الدقة أو السعتر وواحد هواه تقواه وورعه وزهده فهو يحب ذلك لما فيه من تعظيم الناس ويخاف من تركه خوفا أن يزدريه الناس لا خوفا من الله تعالى وواحد هواه أن يرد كل من يأتيه من الولاة والمباشرين ويفرح اذا وصفه الناس بذلك من بين أقرانه بل رأيت من يكذب ويقول اعطانى الباشا نحو ستين ألف نصف فرددتها عليه ليقوم له بذلك جاه فى قلوب العامة وواحد هواه جميع هذه الخصال وواحد هواه التنزه عن جميع الخصال المذمومة شرعا أو عرفا والتحلى باضدادها فيجلس على الارض بلا سجادة ويترك الرخاء العذبة ويلبس الجبة الغليظة الدنسة ويخالط الناس ولا يحبس نفسه عنهم فى بيته فى وقت من الاوقات ولا يجعل له حلقة ذكر فى زاويته ولا يمكن أحدا من المجاورة عنده ولا يجعل له سماطا فى زاويته ولا يرد ما يأتيه على يد الولاة وغيرهم وأعوانهم وغير ذلك ويقول النفس من شأنها طلب العلو والنفرة من أماكن الذم ولا اخلاص عنده (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول كل شئ مالت اليه النفس من حيث الحظ فارم به وان كان خيرا فى الاصل اذ النية كالاكسير فربما دخلت النية الخبيثة فى الطاعة فجعلتها معصية فالعاقل من فتش نفسه فاعلم يا أخى ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) نصح اخوانى على سبيل الذكر والفكر من غير رؤية نفسى انى شيخ عليهم وهم مريدون لى وهذا هو القدم الذى كان عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم فكانوا ينصحون بعضهم بعضا من غير رؤية أحدهم نفسه على أخيه وذلك لان شروط الشيخ والمريد قد عز وجودها فى هذا الزمان بل من أزمان متعددة (وبلغنا) أن جماعة جاؤا الى سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يطلبون الطريق الى الله تعالى فقال لهم اللعب بالطريق ماهو مليح وأوعيتكم مخرقة فبتقدير انى أحط لكم فيها شيأ من المدد لا يصل معكم الى بيوتكم بل يتساقط كله قبل وصولكم اليها فقالوا يا سيدى سد لنا الخروق فأبى فقال ما بقى مع أحد اذن فى ذلك ليقضى الله أمرا كان مفعولا انتهى وكذلك وقع للشيخ عبد الحليم بن مصلح رضى الله تعالى عنه قال له انسان أريد أن أتلمذ لك ويحصل لى بركتك فقال له النجاسة لا تطهر بنجاسة انتهى وكذلك وقع لسيدى أبى العباس الغمرى رضى الله تعالى عنه وكذلك سيدى عثمان الحطاب وسيدى محمد بن عنان وسيدى محمد المنير وسيدى محمد بن داود وجماعة كثيرة ممن أدركناهم كلهم سدوا باب التسليك وقالوا ما بقى أحد يقدر على المشى على قواعد أهل الطريق (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول مثال من يفتح باب المشيخة الآن مثال من فتح المكتب يوم الخميس بعد العصر وطلب جمع الاطفال ليقرئهم ثم بتقدير ان أولياءهم يأتون بهم اليه كرها فلا يقدرون على جمع قلوبهم عليه وكذلك الحكم فى الحجاج اذا رجعوا من مكة وأشرفوا على بركة الحاج ورأوا أهلها لا يقدر على تقطيرهم أمير الحاج ولا على عدم انتشارهم فهكذا حكم من يريد أن يعمل شيخا فى هذا الزمان لا يقدر على اجتماع قلوب المريدين عليه

وتخليقهم

وتخليقهم بأخلاق أهل الطريق وان شككت فى قولى هذا فامرهم بالتخلق بشئ من أخلاق هذا الكتاب تعرف ذلك يقينا مع أن المشيخة الآن قد صارت هينة فمن شاء أن يعمل شيخا عمل وصار الناس يقولون لبعضهم بعضا ما دريتم ايش جرى لفلان الآخر عمل شيخا ولو شاء أحدنا لعمل مثله (وقد كان) الشيخ نور الدين الحسنى رضى الله تعالى عنه يلقن فى مدرسة السلطان حسن فسمع شخصا يبيع شيوخ الكتان الخشب ويقول باقفة شيوخ بعثمانى فأخذه منها معنى فلم يلقن أحدا حتى مات الى رحمة الله تعالى ورضوانه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى كثرة غشى لاصحابى كلما كثروا لانى لو نصحتهم لفروا منى ولم يبق معى الا القليل وهذا الخلق قل من يتنبه له من الفقراء بل ربما يرى مقامه يعظم بكثرة المريدين والمعتقدين فليتفقد الفقير نفسه ولا يغتر لانه لولا مسامحته التلامذة بالاخلال بآداب الطريق ما كثروا حوله بل سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من خطر فى باله ان اخوانه وتلامذته أدنى مرتبة منه عند الله وانه أعرف منهم بالطريق فقد خرج عن الطريق وهم أحسن حالا منه أى من الشيخ لانهم لم يخطر لهم أبدا انه تلميذهم (وسمعت) أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول متى رأى الفقير ان له تلميذا دونه فى الدرجة فقد ادعى الكبر والمتكبر عدو الله لا يصلح أن يكون داعيا له فقلت له فما يخلصه من ذلك فقال أن ينصح أخاه مع شهوده ان أخاه أحسن حالا منه وأكثر طاعة لله منه انتهى (وسمعته) مرارا يقول من شرط الصادق ان يرى غير جماعته بالعين التى يرى بها تلامذته على حد سواء ومتى رجح نسبة تلامذته اليه على نسبة تلامذة غيره اليه فقد خرج عن مراسم أهل الطريق انتهى وهذا الامر لا يتنبه له الا القليل من الناس (ومما وقع لى) انى سمعت يهوديا أعمى يقول ليهودى اسمع يا اسحق اجمع جميع أهل الملل على أنه لا يتقرب الى الرب بشئ دخلته النفس انتهى (وقد كان) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ما ترك لى كلمة الحق من صديق فاياك يا أخى ان تستهين بجانب الفقير الذى قلت تلامذته فان ذلك قد يكون من علامة صدقه فى الطريق بل رأيت بعض المدعين للتصوف يأخذ جماعته كل قليل الى مواضع الفرج والتنزهات ويجابون الفلوس التى يصنعون بها الطعام كما يفعل العوام فوقع أن جماعته فارقوه وتنزهوا فى بستان مع شخص من أقرانه فهجرهم وصار يحط فيهم ويقول انهم صاروا مرتدين فاستفتوا عليه العلماء فأفتوا بتعزيره التعزير الشديد فما لهذا الشيخ والتلامذة فلا هو مشى على قواعد الطريق ولا جماعته فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأين هذا الشيخ ممن كان مريده اذا رآه يرتعد كما ترتعد القصبة فى الريح العاصف من شدة هيبته (ومن هنا) كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول أنا أكره اسم الشيخ والمريد فى هذا الزمان وأكره سماع قول الشيخ عن أخيه المسلم فلان من طلبتنا أو من تلامذتنا وانما الادب أن يقول فلان من أعز جماعتنا أو اخواننا فان فى قوله انه تلميذ أو طالب ازدراء بمقامه ورفعة لمقام ذلك الشيخ انتهى (وسمعته) يقول اياك أن تترك النصح لاخوانك خوف ان ينفروا منك وتقول لك النفس اترك نصحهم الى وقت آخر لاسيما ان صحبوك سنين من غير نصح فربما فاتهم النصح منك جملة واياك أن تترك النصح لاحد خوف ان يفتح عليك الآخر باب النصح فتخاف على ناموسك أن ينقص بين الناس كما يقع فيه كثير من الناس فان ذلك

كله غش فى الدين ولا خير فى اخوة لا نصح فيها اه (وقد) نصحت مرة فقيها صاحب نفس فصرت انصحه وهو دائر على عيب ينصحنى به كذلك ليقابلنى بالاذى فى زعمه فمثل هذا ترك النصح له ممن لا سياسة عنده أولى لان النصح يزيده اثما وبالجملة فكل من لم يأذن له الاشياخ العارفون فى الجلوس لتربية المريدين فالآفات تطرقه ولا يكاد يسلم له عمل فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أنه لا ينصحنى ناصح بشئ وأرى نفسى مستغنية عن نصحه بل ارى ما نصحنى به بعض ما أنا واقع فيه من المهالك وهذا الخلق يقع فى الاخلال به كثير من المتمشيخين وربما يقول لاصحابه جاءنا اليوم فلان ونصحنا بكذا وكذا مما يقع فيه المريدون فشكرت فضله على ذلك وأوهمته انى كنت محتاجا الى نصحه لئلا أخجله وهذا اجهل من هذا الشيخ فانه يوهم جماعته انه مستغن عن ذلك النصح وانه ما قبل نصحه منه الاحتى لا يخجله وفى ذلك عدة من الآفات (وقد) نصحت مرة شيخا بشئ شهدته فيه بعين بصرى وعين قلبى فكاد يتميز من الغيظ فقلت له اسأل الله أن يتوب عليك فقال تقول ذلك لمثلى وأنا أتوب الناس نحو أربعين سنة فقلت له اما قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فقال لى هذا كلام من فقلت له هذا كلام الله عز وجل فقال لى الكلام فى هذا أى فى صحة قولك انه كلام الله فمثل هذا اجاهل جهلا مركبا نسأل الله العافية (وسمعت) أخى سهيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول كل من نصحته فقال قل هذا لغيرى فاعلم أنه سقط من عين رعاية الله عز وجل ومن قال ان الذكر لا ينفعنى فلسان حاله كمن شهد على نفسه بالخروج من الايمان لان الله تعالى يقول وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فافهم انتهى فاقبل يا أخى النصح من كل من نصحك جهده بشئ وان كنت قد ترقيت عن الوقوع فى مثل ما نهاك عنه عادة فانه نصحك جهده وان لم يكن ذلك فيك فقد قبحه فى عينك لتأخذ حذرك منه بالالتجاء الى الله تعالى وأين حال مثل هؤلاء من حال سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه والفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه واضرابهما كانوا يقولون من أراد أن ينظر الى مراء أو فاسق فلينظر الينا (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا يقع نصح ناصح الاعلى ما يصح نسبته اليك لان طينة جميع الخلق متحدة فى كل انسان ما فى غيره من الصفات الا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انتهى وقدم بسط ذلك مرارا فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) استئذانى ربى بقلبى اذا قمت من الليل لنافلة ولم أجد عندى داعية الى الوقوف بين يدى الله عز وجل فأقول دستور يارب فى ترك الوقوف مع اخوانى فانك غنى عن مثلى وعن الخلق أجمعين وفائدة هذا الاستئذان الادب مع الله تبارك وتعالى أى انى لم أترك خدمتك مع اخوانى فانك غنى عن مثلى وعن الخلق أجمعين أى انى لم أترك خدمتك مع اخوانى للاستهانة بجنابك يارب وانما ذلك من طمعى فى سماحتك وغناك عن عبادة مثلى وخشية من الوقوف مع الملل من العبادة (وتأمل) يا أخى مملوك السلطان اذا صار يعكس الوقوف بين يديه فى الموكب من غير استئذان كيف يتكدر منه أكابر العسكر بخلاف ما اذا علموا ان السلطان سامحه بترك الوقوف تلك المدة فانهم يعذرونه ولا يسعون فى قطع جامكيته فالعاقل

من اعتبر (فعلم) ان استئذان العبد ربه فى ترك فعل تلك الطاعة المندوبة التى لم يجد له داعية الى فعلها من الادب على كل حال لخروجه بذلك عن صورة من يترك العبادات لعدم اعتنائه بأوامر سيده والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شهودى ترجيح ضرر ابطال أعذار اخوانى فى نصحى للاخوان باجوبة انتحلها الرداء عذارهم فى باطن الامر على نفعى لهم لا سيما ان بالغت فى نصحهم حتى كشفت لهم اللبس فى جميع الامور قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (وقال) صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال الحسن البصرى ولا ترى السحر الاحراما فينبغى للناصح أن يبقى للمنصوح الذى لا يطيق التحقيق بعض ما يعتذر به ولا يكشف له القناع بالكلية الا اذا علم منه العمل وعدم الاخلال بذلك الامر ويسمى هذا عند أهل الطريق التلبيس المحمود لما له الى الرحمة بالخلق فان من كشف لا حد مقاما لم يصل اليه وصار يتشهاه ويتحسر على وصوله اليه فقد عذبه وفى القرآن العظيم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون فعلم ان كل داع أكثر من المناقشة للناس فهو نقمة عليهم لا رحمة فان القدرة الالهية اذا لم تساعدهم على العمل بما سمعوه منه هلكوا وهو كان السبب فى ذلك ثم ان كلامنا فى الامور التى هى من جملة آداب الشريعة أما أحكامها وحدودها فلا عذر لاحد فى ترك تبيينه للناس تبعا للنبى صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قد أمره بتبليغ كل ما أنزل اليه من ربه وكذلك حكم ورثته من بعده فافهم واياك والغلط فان من شرط الكامل أن ينظر للذى عليه دون الذى له الاعلى وجه الشكر لله عز وجل فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من نصرة نفسى اذا غارنى حاسد من حيث كثرة المعتقدين فى دونه بقولى والله ان هذا الامر ليس بيدى ولكن الحق تبارك وتعالى اذا أقام عبد المنافع العباد احبوه ضرورة واعتقدوه فان ذلك من السموم القاتلة للفقير من حيث لا يشعر فالسكوت اذن أولى والسلام لان الجواب عن النفس بمثل ذلك حق أريد به باطل (وقد سمعت) مرة بعض الاخوان يقول لما حسده بعض الناس على اقبال الخلق اليه والله لو كان بيدى تفرقة هؤلاء الخلائق عنى لفعلت وما تركت حولى أحد الاجل هؤلاء الحسدة ولكن الامر ما هو بيدى فقلت له وما أحوجك الى الحلف بالله عز وجل فقد تكون نفسك تحب ذلك باطنا فتقع فى الحلف بالله عز وجل كاذبا وذلك يورث المقت فرجع واستغفر (وسمعت) شيخا آخر يقول والله انى اود ان لو ظهر فى بلدنا هذا شخص يرشد الناس فكنت أدل أصحابى عليه واستريح فلما مضى عليه جمعة الا ونزل فى حارته شيخ فأخذ أصحابه فوقع بينه وبينه ما لا خير فيه وصار يقول فيه العجر والبجر فذكرته بقوله أمس فخجل وما درى ما يقول وقد اجمع أشياخ الطريق على انه لا يصلح لهذا الطريق الا القوم الذين كنسوا بأرواحهم المزابل وصار كل شئ نسبه اليهم الناس من الفواحش يرونه كامنا فيهم ببادئ الرأى من غير تفكر هل هو فيهم أم لا ومادام أحدهم اذا نسب الى فجور وفسق يتبرأ منه فهو محتاج الى علاج نفسه وتطهيرها من الرعونات لا يصلح أن يكون داعيا الى الله عز وجل فليحذر الفقير من الركون الى نفسه فانها لا تستقيم له على حالة واحدة فتارة يكون صعودها هبوطا وتارة عكسه كما اذا رأت رفع مقامها فى

التواضع أو الدعوى والتكبر فانها تتواضع أو تتكبر وقد بسطنا الكلام على ذلك فى رسالة الانوار فراجعه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انى لا أنكر على شخص شيأ الا بعد ان أنظر الى من ناصيته بيد قدرته وارادته أدبا مع الله تعالى ثم بعد ذلك أنكر ما أنكرته الشريعة المطهرة وهذا الامر قل من يتنبه له انما يفعلون بالعكس فينكرون أولا ثم بعد ذلك قد يشهدون من ناصيته بيده وقد لا يشهدون وقد وقع ان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه أنكر فى بداية أمره على انسان سكران قبل أن ينظر أولا الى كون ناصيته بيد قدرة الحق تعالى فقال له السكران وكان فى أوائل سكره يا عبد القادر قادر أى على أن ينقل ما بى بك وما بك بى فاستغفر سيدى عبد القادر من مبادرته للانكار انتهى (وحكى) لى شخص من الفقراء الصادقين انه رأى يهوديا أعمى فقال فى نفسه أى لذة فى هذا الدين وأى عقل لصاحبه فما استتم كلامه حتى حول الله اليه اعتقاد ذلك اليهودى فصار ينشرح للكفر وينقبض من دين الاسلام فكاد أن يهلك قال فمكثت فى ذلك الحال أياما ثم تحول اعتقادى الى اعتقاد النصارى فى التثليث فاريد ان أجعل الاله واحدا أو اثنين فلا أنشرح الى ذلك قال وصرت أقول لاى شئ لا يكون الاله الا ثلاثة فلا أقدر على الخروج من ذلك فمكثت أياما كثيرة كذلك حتى أغاثنى الله تعالى برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا مبارك أما سمعت قوله تعالى والهكم اله واحد وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام فكشف الله عن قلبى الحجاب وازال ما كان عندى من الانشراح لغير دين الاسلام اه وقد بلغنا أن سيدى أحمد الزاهد رحمه الله تعالى اعترض على نصرانى وهو غافل عن الله تعالى وعن حكم تصريفه فيه فألقى فى قلبه انه من الاشقياء فصار يسارع الى محو تلك الشقاوة بكل طاعة وصار يبكى وينتحب كالمرأة الثكلى فدام على ذلك مدة ثم نودى فى سره يا أحمد العبد عبد يتصرف فيه سيده كيف يشاء قال فرجعت الى اختيار الحق عز وجل فمحى عنى ما كنت أشهده من الشقاء ولولا لطفه بى هلكت اه هكذا حكى لى ولد ولده سيدى أحمد حفظه الله تعالى ومن تحقق بهذا المشهد فهو الذى يعلم معنى قوله تعالى كذلك زينا لكل أمة عملهم فاعلم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) اننى لا أنصح أحدا بشئ الا اذا تحققت وقوعه فيه لا بحكم الاشاعة ثم اذا رجع عن ذلك الشئ لا أعود أذكره بعد ذلك لاحد فلا أنصحه الا حال ارتكابه للفعل المذموم أو حال اخباره عن نفسه انه مصر عليه لا ينشرح للتوبة منه ثم ان وقع انى نصحته عن شئ بالظن وتبين لى انه لم يقع فيه وخجلت أفرح له أكثر من فرحى له اذا وقع وتاب على يدى وهذه الامور قل من يتنبه لها من الاقران فربما نصح أحدهم بالظن وربما تبين براءة المنصوح فتكدر الناصح فى نفسه خوفا على ناموسه بين المعتقدين وربما صار أحدهم يذكر وقائع من تاب على يده بعد توبته وصار ذلك تاريخا وهذا كله خروج عن سياج الطريق ثم انى اذا نصحت أحدا بالظن وصادف ذلك ما فى نفس الامر أرجع على نفسى باللوم اذا اطلعت على عورات الناس ولو اننى كنت مطهرا من العيوب والنقائص ما دخلت حضرات الشياطين واطلعت على عورات الناس التى يستخفون فيها عن الناس ثم انى اذا اطلعت على انسان وهو يشرب الخمر

اويزنى

أو يزنى مثلا لا يسبق الى ذهنى انى أحسن حالا منه بل أقول ربما كانت تلك الزلة سببا لرؤيته نقائصه وعيوبه وخجله وحياءه من الله تعالى فيترقى بها أكثر مما أترقى أنا بطاعاتى التى أرى نفسى بها على اخوانى وقد قالوا من منافع الوقوع فى الزلات للفقير تركه الدعاوى الباطلة لان أفعاله تصير تكذبه كما ان من آفات الطاعات وكثرتها فتح باب الدعاوى ولو فى نفس صاحبها فيقع فى ذنب ابليس ولا يشعر فانه ما أخرج من حضرة الله عز وجل ولعن وطرد الا بقوله أنا خير منه فافهم ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) فرحى برجوع الخلق الى الله تعالى بلا واسطة نصحى أكثر مما أفرح برجوعهم بواسطتى لانهم اذا رجعوا بلا واسطتى فقد حصلوا مقصودى وزيادة وفى الحديث لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من فرح أحدكم اذا وجد دابته التى عليها طعامه وشرابه بعد اذا ضلت منه فى فلاة من الارض أو كما قال (وتأمل) يا أخى أنت نفسك اذا اعترف خادمك بفضلك واحسانك عليه من غير أن تعرفه أنت بذلك تجد نفسك تحبه أكثر ممن لا يعترف بفضلك الا بعد تعريف وتعب فكما انك تحب من عبدك رجوعه الى طاعتك من ذات نفسه أكثر من محبتك له اذا رجع بنصحك له فكذلك ينبغى لك ان تحب أخاك اذا رجع الى الله تعالى وتاب من غير أن تنصحه أكثر من رجوعه بنصحك له فكذا ينبغى لك أن تحب أخاك اذا رجع الى الله تعالى وتاب من غير ان تنصحه أكثر من رجوعه بنصحك وهذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من ترك الرياسة على اخوانه والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) معرفتى بنفسى اذا نصحنى ناصح هل أنا من أهل الخير أو من أهل الشر وذلك انى اذا انشرحت للنصح بحضرة الناس الذين يعتقدون فى الصلاح فاعلم انى من أهل الخير وان انقبضت وتكدرت ممن نصحنى فى الملا فاعلم انى من أهل الشر والنفس فاشكر الله تبارك وتعالى اذا انشرحت واستغفر الله جل وعلا اذا انقبضت (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا وزن الانسان أحواله بالكتاب والسنة عرف أحواله وأخلاقه يقينا ان كان هو من أهل الخير وان كان هو من أهل الشر يقينا قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم انتهى (وسمعته) مرارا يقول كل من كان قابلا للخير فلا بد ان الله تعالى يلهم الناصحين لنصحه قلة وكثرة بحسب طمأنينة نفسه وشكاسة خلقه فان كان من أهل الخير كان نصاحه كثيرين وان كان قليل الخير كان نصاحه قليلين بل ربما ختم الله تعالى على قلب الناصحين له وثقل ألسنتهم عن النطق بنصحه حتى يستوجب النار فان الناصح بمثابة من رأى انسانا يتناول الطعام المسموم بغير علم فقال له انه مسموم فرماه فى الحال ونجا من الهلاك فحق الناصح أن يفرح به المنصوح ويخلع له ما عليه من الثياب لا انه ينقبض منه (وقد كان) لى صاحب اسمه بدر الدين المنزلاوى حفظه الله تعالى وزاده توفيقا ورشدا فكنت كلما أنصحه يقبل نعلى لا بد له من ذلك ثم يعرض على المال بانشراح صدر وفرح يدركه الحاضرون وكان عندى أرجح فى المقام من مشايخ كثيرين فاعلم يا أخى ذلك ترشد واياك والتكدر ممن نصحك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) أمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر فى حال تسليمى للقدرة مافعلته فلا يحجبنى شهود التسليم عن نزاع من خالف أمر الله وعكسه كما يقع فيه من كان أعور ينظر بعين واحدة فيقول لمن أنكر على أحد منكرا مالك ولهذا الامر سلم لله واسترح وهذا القول جهل بالشريعة لان علمنا بأن المنكر بقضاء الله وقدره دون العبد لا ينافى أمرنا له بالمعروف فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاهدوا فى الكفار بالسيف مع علمهم بأن الكفار ماخرجوا عن سياج الارادة فلو أن الدعاة الى الله سبحانه وتعالى قبلوا من الخلق احتجاجهم بالارادة لما جاهدوا فيهم (وهذا) الخلق قد كثر من المتصوفة الاخلال به فلا يكاد أحدهم ينكر شيأ يراه زاعمين ان ذلك من مقام التسليم وغاب عنهم ان من شرط التسليم لله تعالى عدم الاعتراض على أمره ونهيه وتارك ذلك معترض على الشرع غير عامل به اذ التسليم لا ينافى الاعتراض بالشرع فالعبد يسلم لله تعالى من حيث التقدير ويشكر باذن الله ماخالف الشريعة وقد قدمنا مرارا أن من شرط الكامل ان يشهد الفعل خلقا لله تعالى مع شهود نسبته الى الخلق لا يحجبه أحد الامرين عن الآخر وسيأتى بسط المسئلة قريبا ان شاء الله تعالى فاعلم ذلك واعمل عليه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى العلل فى أعمالى وأحوالى كلها حتى التوبة التى هى أول المقامات فى الطريق فانها لا تسلم من العلل والتفعل فيها غالبا ولذلك يرى صاحبها نفسه على من لم يتب عادة (وقد قيل) للشبلى رحمه الله تعالى مرة ما التوبة فقال أن لا تشهد فى الدارين سواء على الكشف والشهود انتهى أى لا تشهد فى الدارين خالقا أو ربا أو رازقا سواه وان شهدت لاحد واسطة فى ذلك فلا تقف معها وليس معناه انك لا تشهد غير الله أصلا من جميع الاكوان فان ذلك لا يصح للمقربين فضلا عن غيرهم ولو قدرانهم شهدوا ذلك فهو لحجابهم عن الكون لا غير فان ماوقع لا يصح رفعه أصلا بحيث يصير الامر كان لم يكن من سائر الوجوه ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * الا كل شئ ماخلا الله باطل * أى كالباطل من حيث انه قائم بالله تعالى لا بنفسه فان شاء الله أبقاه وان شاء أذهبه فى لمح البصر (وقد) أجمع أهل الحق على ان حقائق الاشياء ثابتة فكيف يصح نفيها انما العبد يحجب عنها بما دهمه من الامور العظيمة كما مر بسطه مرارا فى هذا الكتاب فراجعه ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) علمى بسعادتى وشقاوتى وذلك بتخلقى بالصفات التى نهانى الحق تعالى عنها أو بالصفات التى أمرنى الحق تعالى بالتخلق بها وهذه من أكبر نعم الله تعالى على لانها بشرى من الله تعالى لعبده ورحمة به ليريحه من الوقوع فى سوء الظن بربه سبحانه وتعالى (وقد) أشار الى ذلك حديث كل ميسر لما خلق له فمن كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة انتهى (ففى هذا الحديث) مايفهم ان من عباد الله من يعلم سعادته أو شقاوته من الآن لانه بين فى هذا الحديث ان الامور لا تقع الا على ماهى عليه فى نفسها من خير وشر فلينظر الانسان فى نفسه فان وجد ذلك الامر فى باطنه وظاهره على حد سواء فليفرح بسعادته فان لله تعالى مايدل ذلك ان شاء الله تعالى وان

رأى الخير فى ظاهره ووجد فى باطنه نكتة سوداء من شك أو اضطراب فيما هو عليه من الطاعات ووقع له خاطر يقدح فى أصل ذلك بما يخالف ظاهر الفعل واستقر فليعلم ان الله تعالى لم يعطه ايمانا ولا نورا فى قلبه وذلك من علامات الشقاء نعوذ بالله من ذلك (وهذه) ميزان ينبغى لكل مؤمن أن يزن بها أحواله وهو أعرف بنفسه وبما يخطر فيها (ويؤيد ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس أى وان الله تعالى يعلم منه هذا الخاطر الذى يقدح فى أصل الايمان من الشك القائم به فهو على خلاف مايبطنه ظاهره من انه على الشرع وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس يعنى من المخالفات والله تعالى يعلم من باطنه خلاف ذلك من نور الايمان والصدق مع الله تعالى وان هذه الحالة التى هو عليها مخالفة لامر الله تعالى فهو يبكى باطنا ويخالف أمر الله تعالى بحكم الارادة ظاهرا فيبدو منه ما لا يبدو للناس (فقد) أبان صلى الله عليه وسلم ما الناس عليه فى أنفسهم (ومانقل) عن الحسن البصرى ومالك بن دينار وأضرابهما مما يخالف ماقررناه فانما ذلك انهما لا تهمهم أو مرادهم بقولهم أعمالنا أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب حث غيرهم على الجد والاجتهاد أو ذلك بالنظر الى مقامات أخرى هى أعلى من مقامهم (وقد ذكر) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى الفتوحات المكية انه اطلع من طريق كشفه على سعادته وقال رأيت نفسى من جملة السعداء الذين هم على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله تعالى على ذلك والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم ترجيحى للعطاء الالهى على المنع فهما عندى على حد سواء لفناء اختيارى مع الله تعالى وعلمى بأنه تعالى أعلم بمصالحى من نفسى فحلاوة المنع عندى كحلاوة العطاء على حد سواء وهذا الخلق غريب فى الاقران قل من يتخلق به منهم (وقد سمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى مرارا يقول احذروا من مقام الرجاء فان فيه تحجيرا على الحق تعالى ان يعطيكم ذلك الامر الذى رجوتموه فارجوا فضل ربكم ولا تحجروا عليه بانه لا يصلح ان يمنعكم فان الرجاء كالتمنى على حد سواء وقد قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض (وقد بلغنا) ان الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه لما نفى اختياره مع الله تعالى مكث نحو ستة أشهر لا يتجرأ ان يسأل الله تعالى حصول شئ ثم نودى فى سره يا على اسألنا عبودية لا ترجيح فيها للعطاء على المنع قال فسألت الله تعالى ورجوته امتثالا لامره لا تحجيرا عليه فانه يخلق مايشاء ويختار وليس للعبد معه اختيار لقوله تعالى ما كان لهم الخيرة ثم لا يخفى انه ليس من الاختيار المذموم مع الله تعالى الاختيار الذى هو من لازم الفعل فانه لا يصح توجه القلب لفعل شئ أو تركه الا بعد وجود اختيار ذلك والا تفسخت عزائم العبيد ولم يصح منهم ارادة لفعل شئ أو تركه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ليس من الادب ان يقول العبد أريد ان لا أريد وانما الادب ان يقول أريد ما اختاره الشرع لى فيتصف بالارادة لما أراده الشرع خاصة فلا يبقى له غرض فى مراد معين وجميع مختارات الشرع وترتيباته ليس للعبد فيها اختيار انما يكون الاختيار فى الامور التى وردت بجملة فليس للعبد ان يستخير الله تعالى فى صلاة الضحى أو صوم الاثنين والخميس مثلا لان ذلك مؤذن بالشك

(وقد) قال المحققون من استأذن بقلبه ربه فى فعل مأمورات الشرع فهو دليل على عدم كمال ايمانه بما ورد انتهى (وفى) كلام الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه لن يصل ولى الى حضرة الله تعالى ومعه تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته ومتى بقى معه اختيارا وتدبير فهو كالمنازع لاوصاف الربوبية انتهى فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) رجائى محبته تعالى لى لما تركت ما هو أقل من جناح بعوضة باخباره لنا بذلك على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله ازهد فى الدنيا يحببك الله الحديث وهذا من أعظم النعم على العبد لكونه تعالى علق حصول محبته التى لا تقابل بعوض من الدارين على الزهد فى أقل من جناح ناموسة (ومن) نظر الى الدنيا بهذه العين لم يرشفوف نفسه على أحد من خلق الله تعالى اذا زهد بل لا يرى انه زهد فى شئ يدركه العقل من قلته لان جميع الدنيا التى بيد جميع الخلق من الملوك الى السوقة على اختلاف طبقات الخلق أقل من جناح بعوضة فاذا يخص العبد منه اذا فرق ذلك الاقل من الجناح المذكور على جميع أهل الدنيا فكان الزاهد زهد فى لا شئ هذا من حيث مقام الزهد فيما يشغل عن الله تعالى لا من حيث كون ذلك نعمة من الله تعالى عليه فيرى الذرة من الرزق كالجبل العظيم فليفهم (ثم) بتقدير ان الزاهد يشاهد ما يخصه من الدنيا ثم يتركه فليس ما تركه برزق له وانما هو لمن أخذه وانتفع به ومن هنا قالوا الزاهدون لم يزهدوا الا فيما لم يقسم لهم فاذا الزاهد ما رأى نفسه على أخيه بالزهد فى الدنيا الا لظنه ان له فى ذلك مدخلا وانه كان قادرا على ان يزاحم على الشئ الفلانى ويأكله أو يلبسه مثلا كما فعل غيره وذلك وهم منه اذ لو كان قسم له لم يصح لاحد أخذه ولا الانتفاع به (فعلم) ان مقام الاكابر حين زهدوا أن لا يرون انهم تركوا اشيأ قسم لهم من الدنيا وانما يرون ان الله تعالى زوى عنهم الدنيا اعتناء بهم حتى لا يشتغلوا عنه بشئ فكانت صورة حالهم الظاهرة وسيلة الى اقتداء المحجوبين بهم فى التقلل فى الدنيا لا غير والمشهد مختلف ففرق بين من يزهد فى الدنيا لا غير ليحصل له الثواب وبين من يزهد فيها ليجالس رب الارباب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول سمعت سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول من زهد فى الدنيا ليوسع على اخوانه فيها فقد وقع فى مزاحمتهم فى الآخرة من حيث كثرة الثواب فلا يكاد يبقى لغيره فى الآخرة من قصر ولا غرفة ولا فاكهة ولا ثوب فالذى فر منه فى دار الفناء وقع فيه فى دار البقاء فهو أشد رغبة ومحبة للآخرة من محبة هذه الدار التى نحن فيها انتهى (يعنى) فلا يخرج عن اللوم الا ان زهد فى الدنيا امتثالا لامر الله عز وجل لا لعلة أخرى وان كانت الدار الآخرة ليست بدار حجاب بحكم الاصالة فافهم (فمعنى) ازهد فى الدنيا يحبك الله أى لا يتعلق قلبك بحب شئ من الكونين الا باذن من الله تعالى لا انك تترك امساك الدنيا التى تستتر بها نفسك وعيالك فان ذلك يخالف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم أجمعين (ومن هنا) كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول حقيقة الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الميل اليها بالمحبة بغير اذن من الله تعالى لا الزهد فى امساكها ويصير العبد كلا على الناس فان ذلك خلاف الشريعة انتهى فالحمد لله الذى جعلنا ممن لا يشغله عن ربه عز وجل شئ

من

من الكونين فاعلم يا أخى ذلك واعمل عليه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) بعد زهدى فى الدنيا امساكى لها على وجه الادب مع الله تعالى للحكمة التى جعلها فى امساكها لا محبة فى ذاتها فانا على نحو ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وأما) قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فالمراد والله أعلم منكم من يريد الدنيا للآخرة ومنكم من يريد الآخرة لله تعالى فمن الصحابة الفاضل والافضل كما قرره كذلك الشاذلى وغيره فما طلب أحد منهم الدنيا محبة فى ذاتها ولا حرصا على جمعها لغير غرض صحيح بقرينة قوله تعالى فى حقهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمدحهم على القيام فى التجارة والقيام فى الاسباب وأخبر عنهم ان ذلك لا يلهيهم عن ذكر الله وذلك لجمعهم بين الضرتين والعدل بينهما على القانون الشرعى (وسمعت) أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى فيما نسخت تلاوته لو ان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى ثالثا ولو ان له ثالثا لابتغى رابعا ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب (ومعنى) ذلك والله أعلم انه لو كان لابناء الدنيا ذلك لطلبوا الزيادة منه بخلاف أبناء الآخرة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضى الله تعالى عنهم اذ الادم ظاهر الجلد أى لو كان لبنى آدم الذين نظروا الى ظاهر الدنيا دون باطنها واديان من ذهب لابتغوا ثالثا وهكذا بخلاف أبناء الآخرة الذين خرقوا ببصرهم الى الدار الآخرة وعرفوا ما يقربهم من حضرة الله تعالى وما يبعدهم عنها (قال) ولا بد من استثناء الانبياء والصحابة ومن تبعهم من الاولياء من هذا الحكم بالاجماع لزهدهم فى الدنيا انتهى (ثم) وجه الحكمة التى أشرنا اليها أول هذه المنة هو أن الله تبارك وتعالى جعل الذهب والفضة والفلوس ثمنا وقيمة للاشياء كلها دون غيرها من التراب مثلا فلو قلت لبائع الفجل مثلا اعطنى بجلة وأعطك هذا الكوم التراب مثلا لا يجيبك الى ذلك بخلاف ما اذا أعطيته جديدا من النقرة فكان من أدب أهل الله تعالى ان يدوروا مع مراد الحق تعالى فى الوجود (وكان) أصل عزة الذهب والفضة عند الناس كما روى هو أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة بكى عليه كل شئ الا الذهب والفضة ايثارا لجناب الله جل وعلا فقال الله عز وجل لاجعلنكما عزيزين بين عبادى ولأجعل قيمة كل شئ بكما انتهى فاعلم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) ايمانى بأن أفعال العباد خلق لله تعالى فى حال اضافتها الى العباد معا فى آن واحد وهو من أصعب الامور لانه ايمان بطريقين متناقضتين فاشهد بعين بصيرتى فى مثل قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أن الرمى لله تعالى فى حال كونه للعبد لا على التعاقب ويحتاج صاحب هذا المشهد الى عينين ينظر بهما الى النسبتين حتى يخرج عن الحيرة فان صاحب العين الواحدة لا يقدر على الخروج من الحيرة فى هذه المسئلة أبدا (وقد) حبب الى أن أوضح لك هذه المسئلة بما لم تجده فى كتاب من كتب المتكلمين فأقول وبالله التوفيق (اعلم) يا أخى ان العقل يقصر عن فهم مسئلة خلق الافعال من غير اشكال ولا يخرج لك عن

الاشكال فيها الا الكشف الصحيح على نزاع فى ذلك أيضا (أوانك) تترقى فى المواد الكونية وأنت صاعد حق تنظر الى الحق تعالى بقلبك وهو يخلق المخلوق الاول الذى لم يتقدمه مادة فانك تجد الحق تعالى فاعلا وحده لاشريك له ثم تتنزل فى الفروع الى أسفل مع مشاهدة سريان القدرة الالهية فى كل من أضيف اليه فعل من الخلق فتجده لايقدر على فعل الا بامداد القدرة الالهية له (ومن هنا) انفتح باب الاشكال لعدم تخليص الفعل حينئذ فى الشهود البصرى لله وحده أو للخلق وحدهم ووقع الخبط فمن أضاف الافعال كلها الى الله تعالى حسنها وقبيحها قال له لسان الغيرة الالهى قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا فان نسبة الافعال الى الخلق نسبة اضافة واسناد لانسبة خلق وايجاد ومن اضاف الامور الحسنة كلها الى الله تعالى واضاف القبيحة كلها الى الاكوان قال له لسان الجود الالهى أيضا قل كل من عند الله لاتكذيبا له بل ثناء جميلا كما نضيف نحن ماقبح من الافعال مما لايوافق الاغراض ولا يلائم الطبع اليناامع علمنا بأن الكل من عند الله ولكن لما تعلق به لسان الذم فديناه ان ينسب الى الحق من ذلك بنفوسنا أدبا مع الله تعالى كما اننا نضيف ما كان من خير وحسن الى الله تعالى ونرفع نفوسنا من الطريق حتى يكون الحق تعالى هو المحمود وحده أدبا معه تعالى وان كان هو لله تعالى فى الحقيقة بلاشك مع مافيه من رائحة الاشتراك بالخبر الالهى فى قوله والله خلقكم وماتعملون وفى قوله تعالى عز من قائل ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وان كان المراد من نفسك اسنادا لا ايجادا وقال كل من عند الله فأضاف تعالى العمل وقتا الينا ووقتا اليه فهذا هو سبب قولنا مع مافيه من رائحة الاشتراك (وقال) تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فأضاف الكل الينا وقال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فله الالهام فينا ولنا العمل بما ألهم (وقال) كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فقد يكون عطاؤه الالهام وقد يكون عطاؤه خلق العمل فافهم فان هذه المسئلة لايخلص فيها توحيد الفعل أصلا لامن جهة الكشف ولامن جهة الخبر الالهى فالامر الصحيح فى ذلك ان الحكم مربوط بين حق وخلق غير مخلص لاحد الجانبين فان أعلى مايكون من النسب الالهية عند أهل الوحدة المطلقة أن يكون الحق تعالى هو الموجود وحده وماثم الا وجود الحق لاغيره والتغيرات الظاهرة فى ذلك الوجود هى أحكام أعيان الممكنات الموجودة فى العلم الالهى فلولا العين ماظهر الحكم ولولا الممكن ماظهر التغيير فلابد فى ظهور الافعال من حق وخلق (وفى) مذهب الاشاعرة ان العبد محل ظهور أفعال الله تعالى وموضع جريانها فلا يشهدها الحس عندهم الا من الاكوان ولاتشهدها بصيرتهم الا من الله تعالى من خلف حجاب هذا الذى ظهرت على يديه المريد لها المختار فيها فهو لها مكتسب باختياره (وفى) مذهب المعتزلة ان الفعل للعبد حقيقة ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق والخلق لايزول فانهم يقولون ان القدرة الحادثة فى العبد التى يكون بها هذا الفعل من الفاعل هى خلق الحق تعالى ولولا انه تعالى خلق للعبد القدرة لما قدر على الفعل فما تخلص الفعل للعبد عندهم الا بما خلق الله فيه من القدرة عليه فما زال الاشتراك هكذا قرره لى بعض المعتزلة خلاف ماشاع عنهم فهؤلاء ثلاثة أصناف مازال منهم وقوع الاشتراك وهكذا أيضا حكم مثبتى العلل لايتخلص لهم اثبات المعلول لعلته التى هى معلولة لعلة أخرى فوقها الى ان

ينتهوا الى الحق تعالى الواجب الوجود لذاته الذى هو عندهم علة العلل فلولا علة العلل ما كان معلول عن علة اذ كل علة دون علة العلل معلولة فالاشتراك ماارتفع على مذهب هؤلاء أيضا (واما) ماعدا هؤلاء من الطبيعيين والدهريين فغاية مايؤل اليه أمرهم ان الذى نقول نحن فيه انه الله يقول الدهرى فيه انه الدهر والطبيعى انه الطبيعة فلا يخلصون الفعل الظاهر منا دون ان يضيفوا ذلك الى الطبيعة وأصحاب الدهر الى الدهر فمازال وجود الاشتراك فى كل ملة ونحلة وماثم عقل يدل على خلاف ذلك ولاخبر الهى فى شريعة من الشرائع يخلص الفعل من جميع الجهات الى أحد الجانبين دون الآخر لانا ان نسبنا الفعل الى الله تعالى وحده ترتب عليه محذور وان كان له وجه فى الاخبار الالهى لانه يرتفع بتوحيد الفعل لله وحده حكمة الخطاب بالتكاليف وذلك قدح فى الخطاب والتكاليف ومباهتة للحس ولانه لايأمر وينهى الامن له قدرة على فعل (وقد) ثبت التكليف للخلق بالاوامر والنواهى ويؤيد ذلك كون الحق تعالى جعل الخلق خلفاء فى الارض يعزلون ويولون غيرهم ولذلك مال بعض أهل الكشف الى القول بالكسب جزما لانه أقوى فى الدلالة ولا يقدح فيه رجوع كل ذلك الى الله تعالى بحكم الاصل فما ضعفت على هذا حجة القائلين بالكسب عند من لايقول به من جهة كونهم قائلين بالكسب لان ذلك لاخلاف فيه عند الفريقين لانه خبر شرعى وأمر عقلى وانما ضعفت حجتهم من الحادثة لنفيهم الاثر عن القدرة فافهم وان نسبنا الفعل الى قدرة العبد كان كذلك أيضا وجه فى الاخبار الالهى لكن يترتب على ذلك محظور كما مر بيانه اذا ايجاد الفعل لايكون بالشركة الحقيقية بين العبد وربه (ولهذا) لم تلحق المعتزلة بالمشركين من حيث انهم وحدوا أفعال العباد للعباد ولم يجعلوهم شركاء لله تعالى وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع فى ذلك والاشاعرة وحدوا فعل الممكنات كلها من غير تقسيم لله تعالى عقلا وساعدهم الشرع على ذلك وذلك أقوى عند أهل الكشف (وذكر) الشيخ فى كتاب لواقح الانوار مانصه اعلم ان من الاولياء من أعطى التصرف بكن وتركه أدبا مع الله تعالى وقال ان الفعل حقيقة ليس هو لنا عقلا ولا كشفا فلما تبين ذلك قال فنحن نضيف الفعل الى الله تعالى حسا كما أضفناه اليه كشفا وعقلا لنسلم من الآفة التى ربما دخلت على المتصرف بكن ولو انه كان للفعل نسبة محققة الينا ما تركنا وقلنا للحق افعل عنا لو قعنا فى سوء الادب وكان نسبة فعلنا الينا هو عين الادب مع الله تعالى وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان من المحال ان يقول الحكيم امش يامقعد وافعل يامن لايفعل فان الحكمة لاتقتضيه فبقى وجه نسبة الفعل الى الفاعل ينبغى ان تعرف والعبادة تقصر عن ذلك فقد بان لك يا أخى ان الكشف والشرع والعقل ماخلصت لنا شيأ ولا تخلص أبدا دنيا ولا أخرى فالامر فى نفسه والله أعلم ماهو الا كما وقع ليس فيه تخليص لانه فى نفسه غير مخلص اذ لو كان فى نفسه مخلصا لابد ان كان يطلع عليه بعض هذه الطوائف من جهة النقل أو الكشف ولا يسعنا ان نقول الكل على خطأ فان فى الكل الشرائع الالهية ونسبة الخطا اليها محال وما يخبر بالاشياء بما هى عليه الا الله تعالى وقد أخبرنا فما هو الا كما أخبر لان مرجع الكل اليه فما خلص فهو مخلص ومالم يخلص فما هو فى نفسه مخلص فانه يقول الحق وهو يهدى السبيل (فقد) اجتمع قول الحق تبارك وتعالى والعالم جميعه فى هذه المسئلة على الاشتراك وهذا هو

الشرك الخفي والجلي وموضع الحيرة فيها ثم من قال ان الافعال كلها لله تعالى من غير رائحة اشتراك قط هذا تقرير المذاهب الاسلامية (وأما أحوال) الانبياء عليهم الصلاة والسلام فاعتقادنا فيهم ان الامور كلها مكشوفة عندهم ليس عندهم فيها حيرة فتأمل يا أخي في هذه المسئلة وامعن النظر فيها فان فيها خضعت أعناق فحول الرجال (وعبارة) الزركشي في جمع الجوامع بعد كلام طويل واحسن ما قيل في تعريف الكسب انه المقدور الحاصل بالقدرة القديمة في محل القدرة الحادثة فالذي يجب اعتقاده ان الله تعالى خالق أفعال العباد وانها مكتسبة لهم وان حجة الله تعالى قائمة عليهم وانه لا يسئل عما يفعل ولا يطالب الوصول الى الغاية في ذلك فلسنا مكلفين بها مع صعوبة مرامها انتهى كلامه والحمد لله رب العالمين

(خاتمة)

في ذكر جملة صالحة من المحن والبلايا التي احتملتها من أهل عصري ذكرتها للاخوان ليتأسوا بي في كثرة الاحتمال وعدم مقابلة أحد بسوء وهي من أعظم اخلاق الكتاب فاقول وبالله تعالى التوفيق وهو حسبي ومغيثي ومعيني ونعم الوكيل

(مما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) شهودي في نفسي اني دون كل جليس من المسلمين كشفا وذوقا لا تواضعا مني فان لفظ التواضع يدل على ان صاحبه اثبت لنفسه مقاما عاليا ثم تنازل منه الى جليسه وما هكذا تواضع أهل الله تعالى فانهم كلما ارتفعوا في المقام ظهر لهم حقارة نفوسهم وكمال غيرهم الى أن ينتهوا الى شهود أنفسهم تحت الارضين السفليات في المقام فلو ان أحدا أقام لهم الادلة على انهم أعلى مقاما من أحد من المسلمين لم يخرجهم عن شهود نقصهم بل لا يصغون الى ذلك (وفي) الحديث من تواضع لله رفعه الله فصرح صلى الله عليه وسلم بان القرب من حضرة الله انما يكون بالتواضع ويفهم منه أن التكبر بالعكس (وقد اجمع) العارفون بالله تعالى على ان العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين فلا يصح له دخول حضرة الله تعالى أبد الآبد لانها محرمة على من فيه شئ من الكبر فان أهلها ثلاثة أصناف أنبياء وملائكة وأولياء وليس عند أحد من هؤلاء شئ من الكبر باجماع فلا يدخل حضرتهم الا من تخلق باخلاقهم ومن لم يتخلق باخلاقهم فهو ممنوع من دخولها حتى في صلاته وصلاته جسم بلا روح (وقد كان) الامام أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول لا يبلغ أحد مقام الكمال في التواضع حتى يرى نفسه ليست باهل ان تنالها رحمة الله عز وجل اي على وجه الاستحقاق وانما رحمة الله لها من باب الفضل والمنة وكان السري السقطي رضي الله تعالى عنه يقول لا يبلغ أحد مقام التواضع حتى يرى انه لا يقف أحد للحساب يوم القيامة من المسلمين أكثر أوزارا ولا معاصي ولا مخالفات منه (وكان) الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما يقولان لا يبلغ أحد مقام التواضع حتى يخرج الى الجمعة أو العيد فلا يجد أحدا في الطريق ولا في المسجد او مصلى العيد الا وهو يرى نفسه دونه حتى يرجع وكان حمدون القصار رضي الله تعالى عنه يقول من ظن بنفسه انه خير من فرعون فقد أظهر الكبر لعل مراده بفرعون احد ملوك مصر الظالمين فعلم ان كل من تحقق بهذا المقام صار عنده من كل جليس ومن رأى نفسه فوق جليسه أو مساويا له حرم مدده وذلك ان المدد كالماء لا ينحدر الا في السفليات فيا حرمان من رأى

نفسه فوق جليسه أو مثله أي مساويا له ويا سعادة من رأى نفسه دونه فاننا ما رأينا ماء أبدا يصعد في حائط بطبعه والحوضان المتساويان ماؤهما واقف عن بعضهما (وعلم أيضا) ان صاحب هذا المقام اذا قال لعالم أو فقير أنت لا تصلح تلميذا لي فليس قصده رفع نفسه عليه وانما مراده أنت فوق درجتي فلا تصلح تلميذا لي أو مراده رفع همة ذلك العالم أو الفقير فوق ما هو فيه لا احتقاره فان ذلك لا يصح في حق متواضع أبدا (وقد سمعت) مرة فقيرا يقول ان العالم الفلاني لا يجيء قلامة ظفري فتكدرت منه فقال لا تتكدر أنا أقول انه لا يجيء قلامة ظفري وأنت تقول انه يجيء قلامة ظفري فأينا المعظم له (ثم) لا يخفى انه لا بد لصاحب هذا المقام من عينين عين ينظر بها انه دون كل مسلم ليعطي العبودية حقها والذلة لله تعالى حقها وعين ينظر بها الى ما أنعم الله تعالى به عليه فيرى نعمة الملوك من جملة نعم الله تعالى عليه لان بوجودهم حفظ دينه وماله وحريمه والقيام بشعائر الاسلام فيشكر الله تعالى على ذلك وصاحب العين الواحد في أعور ناقص وقد ذكرنا علامات المتحقق بهذا المقام ذوقا في أول كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود فراجعه ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) بعد المجاهدة كثرة تحملي للبلايا والمحن الواقعة لي بذنوبي او اختبارا من الحق تعالى لي وكذلك مما من الله تبارك وتعالى به علي كثرة تحملي للانكار علي بغير ذنب يظهر لي ممن عرفت وممن لم أعرف (ثم) ان المعين لي على ذلك كله اكتفائي بعلم الله عز وجل (ثم) ان المنكر علي لا يخلو حاله من أمرين اما أن يكون صادقا في انكاره علي او كاذبا فان كان صادقا وانكاره علي بحق فالغيظ مني حمق ورياء وسمعة فان ما وقعت فيه قد كتب في ديوان السماء قبل ان يظهر في الارض وان كان كاذبا وانكاره علي بغير حق فالغيظ منه أيضا حمق لانه لم يكتب في ديوان السماء فكيف يصح من عاقل التكدر من ذلك وهو يعلم ان الله تعالى الذي هو المؤاخذ والمعاقب يعلم براءته من ذلك (وقد) حصل لي بحمد الله تعالى بذلك ادمان كثير على تحمل الاذى من الخلق فلم تزل طائفة بعد طائفة تؤذيني بطريق البهتان والزور ويرمونني بامور أنا منها بري بحمد الله تعالى ثم يستفتون علي العلماء فيفتونهم بحسب السؤال ثم يشيعون ان العلماء افتوا في حق فلان بكذا وكذا فلكثرة ما وقع لي ذلك صرت لا أتأثر من مثل ذلك وكاني قطب للبلاء يدور علي كما تدور الرحى على قطبها فلا أنفك من دورة بلاء الا وتستقبلني دورة أخرى تارة عقوبة لذنب سالف وتارة اختبارا من الله تبارك وتعالى لدعواي مقاما لم أبلغه مثلا فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) قلة ضجري ممن يؤذيني وذلك لغلبة مراعاتي بحمد الله تعالى لما فيه رضا الحق تبارك وتعالى دون ما فيه رضا الخلق اذ لا يقدر على تحمل الاذى من الخلق الا من لم يطلب له مقاما عندهم والا فمن لازمه غالبا التكدر منهم ضرورة ومعاداتهم لانه كلما يريد يبني له مقاما عندهم يهدمه هؤلاء الذين ينقصونه في المجالس مثلا ولو انه لم يطلب له مقاما عندهم واكتفى بعلم الله تعالى لم يتأثر ولو قام عليه جميع أهل بلده او اقليمه (ثم) ان هذا المقام ليس هو من مقامات الاكابر كما توهمه بعضهم انما هو من مقامات المريدين فمن أراد أن يعرف قدمه في مقام الارادة فليفتش نفسه اذا قام عليه أهل بلده ورموه بالعظائم حتى امتنعوا

من مجالسته فان وجد نفسه متأثرة من ذلك فليعلم انه لم يشم من مقام المريدين رائحة وهو ملحق بالعوام الذين يلعب بهم ابليس كالكرة (وقد وقع) لبعض العباد مناظرة مع ابليس فقال له ابليس أنا أعلى مقاما منكم فقال له العابد كيف فقال له الوجود كله يلعننى ويحقرنى ويسبنى وأنا صابر على حكم الله تعالى لم تتغير منى شعرة وأحدكم اذا قام عليه أهل حارته ورموه بالعظائم تنغصت معيشته وسارع الى طلب براءته مما نسب اليه ولم يكتف بعلم الله فيه انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) بعدم الادمان على تحمل البلاء والاذى مبادرتى لشكر الله تبارك وتعالى كلما يؤذينى انسان فأشكر الله الذى صبرنى على تحمل اذاه ولا اشتغل قط بمقابلته بل أعذره فى ذلك فانه ما آذانى الا وهو فى غفلة عن كونى عبد الله وعن كونه فى حضرة الله تعالى وعن كون الحق عز وجل نهاه عن مثل ذلك مع ضيق حوصلته ولو ان الله تبارك وتعالى من عليه باخلاق الصالحين كان بالضد مما ذكرناه ولم يؤذ الذر فضلا عن الآدمى ولكان يستحيى من الله تعالى ان يؤذى عبده فى حضرته (فعلم) انه ينبغى للعبد انه اذا قام عليه قائم يؤذيه ان يتطلب وجه الحكمة فى ذلك فانه لا يخلو شئ يقع فى الوجود عن حكمة الهية فان اطلعه الله تعالى عليها فذاك والا سلم الامر لله تبارك وتعالى (ولما) شفعت عند على باشا الوزير بمصر وقبل شفاعتى رأيت فى تلك الليلة انى جالس عنده فى القاعة وعلى حلة خضراء من صوف وهى طويلة واسعة جديدة فجاء انسان من غير علم وفتق منها شيأ من الدخاريص فأولت ذلك بأن أحدا من الاعداء لا بد أن يجرحنى عنده لان الخلعة الخضراء من الصوف علامة على ولاية صاحبها لكنه لم يسلم ممن يجرحه فبعد أيام كتب بعض الاعداء فى قصة بالتركى على لسان قوم مجهولين ورماها فى الديوان فأول ما بلغنى ذلك بادرت للشكر وأخذت ذلك من باب المنة والفضل من الله تعالى فان اعتقاد الباشا فى الصلاح أكثر ضررا من انكاره على وذلك لانه اذا بلغ عمال السلطان وأصحاب الجرائم شدة اعتقاد الباشا فى صار كل من حبس أو عوقب يترامى على فلا يسعنى الا ان أشفع عنده فيه ولا يقدر الباشا يخالف قانون السلطان فى طريق جمع أمواله فأصير أنا وهو فى حرب عظيم وآخر الامر أفارقه ويصير ينكر على كما سيأتى بسطه فى مواضع ان شاء الله تعالى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من علامة القطب فى كل زمان كثرة تحمله للبلايا والانكار عليه فان جميع بلاء أهل الارض ينزل عليه أولا ثم يتفرع منه الى الامامين ثم الى الاوتاد الاربعة ثم الى الابدال السبعة وهكذا الى آخر الدوائر فاذا فاض عنهم شئ وزعوه على المؤمنين بحسب مقامهم فربما حمل رجل واحد جميع البلاء عن أهل حارته أو بلده (قال وقد) اجتمعت بقطب هذا الزمان فى الامشاطيين بمصر فرأيته يبيع الفول المصلوق فى حانوت ورأيته شاكرا لله تعالى على كثرة ما يؤذيه الناس انتهى (وكذلك) قال الشيخ محيى الدين بن العربى انه اجتمع بالقطب فى عصره فى مدينة فاس ورآه مبتلى بكثرة انكار الناس عليه وهو أقطع اليد اليمنى (قال) فلما عرف منى انى عرفته قال لى استر لى فقلت سمعا وطاعة ثم قلت له انه يشق على كثرة الاذى لك من هؤلاء الخلق فقال لى يا محمد حكم اذى جميع الناس للرجل المتمكن فى المقام حكم ناموسة نفخت على جبل فأرادت تزيله عن مكانه بنفختها انتهى (ومن هنا) كان سيدى على

الخواص

الخواص رحمه الله تعالى يقول لنا كثيرا لا يكمل الفقير حتى يكون قطبا يدور عليه الاذى من أهل اقليمه كلهم كما تدور الرحا على قطبها ثم تتفاوت الفقراء فى المقام بحسب مشاهدهم فمنهم من يكون مشهده الصبر ومنهم من يكون مشهده الرضا ومنهم من يكون مشهده الشكر لله عز وجل من وجه والاستغفار من وجه لاحتمال أن يكون ذلك الاذى بذنب سلف أحصاه الله تعالى ونسيه العبد (قال) وما من نبى ولا ولى لله تعالى الا وقد أوذى فصبر ثم شكر واستغفر فانتهى أمره الى الشكر لما تمكن فى المقام انتهى فجميع ما يبلغك يا أخى عن أحد من القوم من الضجر والقلق من كلام قيل فيه مثلا فذلك قبل تمكنه فى المقام (وقد) وقع لسيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله تعالى عنه ان أهل بلاده آذوه أشد الاذى ورموه بالعظائم فقال آه آه من أهل هذا الزمان والله لولا انى علمت فى أجلى فسحة لخرجت من بين أظهرهم ومكثت فى بطون الاودية حتى أموت ثم بعد ذلك صار يتبسم كلما آذوه رضى الله تعالى عنه (وكذلك) وقع لسيدى اسمعيل الانبابى ان أهل أنبابة آذوه وأنكروا عليه فعزم على الرحيل فأناخ الجمل وصار يضع عليه من أمتعة البيت فقال له صبى يكفيك يا عم تحمل الجمل فقال له صبى آخر اسكت الجمل يحمل فسمعها سيدى اسمعيل فرجع عن الرحيل وقال الجمل يحمل واسمعيل لا يحمل (ووقع) لسيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه ان جماعة من جامع الازهر انكروا عليه وادعوا عليه عند القضاة فى الصالحية دعوى بغير حق فصاح فى وجوه المدعين عليه فخرجوا من الصالحية فلم يعرف لهم مكان فقيل انهم اختطفوا ثم بعد مدة طلع خبرهم بأنهم أسروا فى بلاد الفرنج وبعضهم تنصر فعاب فقراء ذلك العصر ذلك على سيدى ابراهيم وقالوا له اتلفت أديان قوم بكلام قيل فيك فقال والله ما تسببت فى ذلك وانما الحق تعالى غار لعبده انتهى (فعلم) ان تحمل البلايا والمحن وعدم مقابلة الناس بالاذى من أعظم اخلاق الرجال وذلك ان الكامل اذا دخل مقام الكمال غلب عليه شهود الحق بقلبه ووجد الحق تعالى حكما عدلا لا يجور ولا يحيف كشفا وشهودا ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها لعباده (وقد) أرسل كل يوم وليلة لكل عبد ملكين كريمين كاتبين يكتبان عليه جميع ما يقوله فى حق الناس فبتقدير ان الكامل يقابل خصمه فهو يشهد نفسه وخصمه بين يدى الله عز وجل وهناك يخرس عن خصمه حياء من الله عز وجل (وكان) سبب كثرة تحملى للبلاء وعدم ضجرى منه انى لما حججت سنة سبع وأربعين وتسعمائة سألت الله تعالى بين الركن والباب ان الله تعالى يفرغ على من الاخلاق المحمدية ما أتحمل به الاذى من جميع الانام وان يجعلنى ممن يتلقى جميع الاقدار الجارية على بالرضا والتسليم وان يزيل ما على بدنى من الحكة وكانت قد تشققت يداى منها فما استتم الدعاء الا ويداى سليمتان تلمعان كأن لم تكن بهما حكة (فعلمت) ان الله تعالى قد أجاب دعائى كله من ذلك اليوم والحسدة والاعداء يقومون على جماعة بعد جماعة وأنا احتملهم الى وقتى هذا وأرجو من الله تعالى دوام ذلك الى الممات مع مغفرة الله تعالى لكل من آذانى فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تمكينى أحدا من أصحابى يجيب عنى من رمانى ببهتان بل أسألهم بالله تعالى ان أحدا منهم لا يجيب عنى ولو بكلمة واحدة الا من جهة ان الشارع صلى

الله عليه وسلم أمره بأن يرد عن عرض أخيه المسلم لا من جهة نصرته لى وشفقته على وذلك أنى أزعم انى من جملة المحبين لاهل الله عز وجل ولا بد لمن يكون من أصحابهم من وجود عدو وحاسد ليحصل له الادمان على تحمل بلاء الطريق ولا يتم له الادمان الا بالسكوت وعدم الجواب عن نفسه كل ذلك لعزة مراقى الطريق وصعوبتها على الحسدة والاعداء (فلما) عجزوا عن سلوك طريق أهل الله تعالى لينالوا بزعمهم العز عند الملوك والامراء كما قالوا شرعوا فى تنقيصهم ورميهم بالزور والبهتان سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (ثم) ان غالب ما يرميهم به الحسدة انما هى أمور سرية كالرياء والنفاق وحب المشيخة وعمل الكيمياء ونحو ذلك لعلمهم بانهم اذا رموه بالمعاصى الظاهرة من ترك الصلاة وشرب الخمر ونحوهما لا يقبل منهم لان أعمال اهل الله تعالى فى نسكهم وعباداتهم تكذب هؤلاء الحسدة فلذلك رموهم بالامور الباطنة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول لا بد لاهل الله تعالى من عدو يؤذيهم فان صبروا كانت لهم الامامة والا خرجوا انحاسا (قال) ودليلنا قوله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا انما بلغوا مقام الامامة الا بعد مبالغتهم فى الصبر وتحمل الاذى وقال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله والنكتة فى ذلك ان الحق تعالى لا يصطفى عبدا من عبيده الى حضرته وهو يطلب المقام عند أحد من الخلق فهو تبارك وتعالى يسلط على من يريد اصطفاءه الخلق بالاذى حتى لا يركن اليهم من حيث كونهم خلقا اذ الركون اليهم بهذا المعنى يمنع حصول الاصطفاء (وايضاح) ذلك انهم اذا أحسنوا اليه واعتقدوه مال اليهم بالمحبة ضرورة ففاته مقام الاصطفائية (وقد) حبب لى ان أذكر لك جماعة من الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الملوك الى عصرنا هذا قتلوا ظلما وعدوانا فضلا عن كونهم أوذوا فى أبدانهم وأعراضهم وأموالهم لتتأسى بهم فأقول وبالله التوفيق (قدمات) سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه مسموما (ومات) سيدنا عمر رضى الله عنه مقتولا طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بخنجر فى خاصرته وهو فى صلاة الصبح (وقتلوا) سيدنا عثمان رضى الله عنه وهو جالس يقرأ فى المصحف فى داره بعد أن حاصروه وثاروا عليه ورجموه وهو على المنبر حتى غشى عليه ورجموا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحمل عثمان الى بيته فلما مات دفنوه بثيابه الملطخة بالدم من غير غسل (ومات) على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مقتولا قتله عبد الرحمن بن ملجم وضربه بسيف مسموم فى جبهته ومسك عبد الرحمن فقتل بعد موت سيدنا على رضى الله تعالى عنه (ومات) الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما مسموما سمته امرأته باغراء قيل انه من جماعة معاوية ووعدوها بأن معاوية يتزوجها فلما سمته لم يفعل (ومات) الحسين رضى الله تعالى عنه مقتولا ضربوه بسهم ثم قطعوا رأسه وداسوا جثته بالخيل ووقع بسبب قتله فى المدينة نهب وقتل حتى قيل انه قتل فى هذه الواقعة عشرة آلاف نفس وحمل فيها ألف امرأة من غير زوج وافتضوا فيها ألف بكر (ومات) عبد الله بن الزبير مقتولا بمكة صلبه الحجاج أشهرا وطاف برأسه بعد ان نصب المنجنيق وهدم جانبا من الكعبة (ومات) الامام زين العابدين مقتولا وحمات رأسه الى مصر وكذلك زيد بن الحسن قتل وصلب وكذلك الحسن والد السيدة نفيسة وكذلك جعفر الصادق وكذلك محمد الباقر وكذلك موسى

الكاظم وكذلك الحسن العسكرى وكذلك ابراهيم بن زيد الذى قاتل معه الامام مالك وحملت رأسه الى مصر فدفنت بعد تجريسها خارج المطرية وكذلك محمد بن أبى بكر قتله أهل مصر وحرقوه فى التنور (ومات) عمر بن عبد العزيز مسموما ونبشوا قبره هشام بن عبد الملك وأخرجوه وصلبوه مع صلاحه ودينه وورعه (وقتلوا) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وحزوا رأسه ولكن كان فاسقا من جملة فسقه أنه أخرج جارية من جواريه سكرانة فصلت بالناس وهو الذى مزق المصحف وذكرناه من حيث انه خليفة وابتلى فى دينه مع ذلك وهو أشد من بلاء الابدان والاعراض (وقتلوا) مروان بن محمد بن مروان بعد أن ولى الخلافة وكان آخر خلفاء بنى أمية بدمشق والعراق (ومات) أبو مسلم الخراسانى مقتولا قتله الخليفة المنصور الذى بنى بغداد وهو أبو جميع الخلفاء العباسيين (وكان) قد أمره بمعروف قبل خلافته فنقم عليه (وقتلوا) أمير المؤمنين محمد الامين بن هرون الرشيد صبرا وقطعوا رأسه وجرسوها وكان سادس خلفاء بنى هاشم بعد على والحسن رضى الله تعالى عنهما (ومات) المتوكل مقتولا مع انه أظهر السنة وأمات البدعة وعاقب من قال بخلق القرآن بمواطأة ولده المنتصر على قتله ليلى الخلافة بعده (وقتلوا) الخليفة المستعين بالله وقطعوا رأسه بعد ان خلعوه وحبسوه بواسط وقتله المعتز ولما اجلس القاتل على صدره ليحز رقبته بكى وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (وقتلوا) الخليفة المعتز بالله فى الحمام فغطسوه فى الماء الحميم حتى مات بعد ان كانوا ضربوه على رأسه ووجهه بالدبابيس واوقفوه فى الشمس أياما (وقتلوا) المهتدى مع انه من حين ولى الخلافة لم يفطر فى النهار وكان يأكل البقل والخل عند افطاره وله جبة وعباءة يلبسهما فى الليل فى سرداب تحت الارض (وكان) سبب قتله أنه منع حاشيته من المظالم فعملوا عليه الحيلة وقتلوه (وقتلوا) الخليفة ابن المعتز بعد ان حبسوه أياما وخنقوه وقاسى من الاهوال ما لا يعبر عنه قتله المقتدر بالله كما قتل الحسين بن منصور الحلاج سنة تسع وثلاثمائة (وقتلوا) المقتدر بالله بمواطأة وزيره فضربوه على رأسه بسيف فقال للقاتل ويحك أنا الخليفة فقال أنا أعلم ذلك وذبحه بالسيف وشالوا رأسه على رمح وسلبوا ما عليه وبقى مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش وفى أيام خلافته دخل عدو الله تعالى أبو طاهر القرمطى من هجر الى مكة وسفك بها الدماء ونقل الحجر الاسود الى هجر وعرى البيت وقلع بابه وطرح بعض القتلى فى بئر زمزم ثم عاد الى بلاد هجر وكان دخوله مكة يوم التروية فحزروا من قتله نحو ثلاثين ألف نفس وأسروا من النساء والاطفال مثلهم (وقتلوا) القاهر بالله فكحلوا عينيه بمرود من نار فلم يزل كذلك الى ان مات مع ما كان فيه من العز والمال وكان فى داره عشرة آلاف خادم من الخصيان وكان يفرق الضحية من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس (وسملوا) عينى المتقى بالله ابن المقتدر وأدخلوه الحبس فى بغداد فلم يزل كذلك الى ان مات فى الحبس بعد أربع وعشرين سنة (وفى) زمنه أرسل ملك الروم يطلب منه منديلا فى كنيسة من الرها يقال ان المسيح عليه السلام مسح به وجهه ووعده ان أرسله ان يطلق له عشرة آلاف اسير ففعل فاطلقهم (وهجموا) على الخليفة المستكفى بالله وهو على سريره فى دار الخلافة فجروه على الارض برجله ثم سملوا عينيه حتى مات وكان الذى فعل به ذلك الديلم (قال) ابن خلكان ولما بعث ملك الروم يتوعده بالقتال عبى لقصاده العساكر وصفت الدار بالاسلحة وأنواع الزينة (وكان جملة) العسكر

المصفوف مائة ألف وستين ألفا ووقفت الغلمان الحجرية بالزينة والمناطق الذهبية وكذلك الخدم والخصيان ووقفت الحجاب وكانوا سبعمائة حاجب وزينت دار الخلافة بالستور والبسط فكانت جملة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج المذهب وكانت جملة البسط اثنين وعشرين ألف بساط وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنا وأوراقها من ذهب وفضة وأغصانها تتمايل بحركات موضوعة وعلى الاغصان طيور وخضر من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيصفر كل طير بلغة وأشياء غير ذلك فانظر يا أخي ما وقع له بعد هذه الرفعة (وانما ذكرت لك) ذلك اعلاما لك بأن شدة البلاء تكون على ملوك الدنيا وأكابرها الشدة نعيمهم ورفاهيتهم (وخلعوا) الخليفة الطائع لله وحبسوه الى أن مات (وفى) سنة خمس وسبعين وثلثمائة أيام ولايته خرج طائر من البحر بعمان قدر الفيل فجلس على تل هنالك وصاح بصوت فصيح قد قرب الامر فمكث ثلاثة أيام ثم نزل البحر وغاب (وفى) سنة تسع وأربعين وثلاثمائة دخل أبو تميم المعز بن باديس وملك مصر وابطل اسم الطائع لله من الخطبة (وقتلوا) الخليفة المسترشد بالله تعالى دخل عليه سبعة عشر رجلا من الباطنية فضربوه بالسكاكين حتى خرقوا جسده وقطعوا انفه وأذنيه ثم مسكوا واحرقوا (وقتلوا) الخليفة الراشد بالله بعد أن عاقبوه فى الحبس الى ان مات ولما سد ود الفرج جمع الدواء الحكماء وفتحوا الله فرجا فكان ذلك أول بلاء أصابه (وقتلوا) الخليفة المعتصم بالله آخر خلفاء بغداد بموالسة وزيره وضعوه وولده فى تليس وصاروا يرفسونه الى ان مات هو وولده بعد ان قتلوا من أهل بغداد ما يزيد على ألفي ألف وثلاثمائة ألف رجل ثم حرقوا البلاد وبقيت الدنيا بلا خليفة سنين الى ان قام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بعد بنى العباس فى الخلافة (وحبسوا) الخليفة المتوكل على الله فى قلعة الجبل ثم نفوه فى أيام السلطان برقوق ثم أعادوه الى الخلافة الى ان مات وكان سكنه بالكبش قريبا من جامع ابن طولون (ونفوا) الخليفة المستعين بالله باسكندرية حتى مات نفاه السلطان المؤيد شيخ (وقتلوا) السلطان فرج بن برقوق بعد تعذيب وتوبيخ (ونفوا) الخليفة القائم بامر الله من مصر الى اسكندرية فلم يزل بها حتى مات نفاه السلطان جقمق وحضر مبايعته بالخلافة قاضى القضاة يحيى المناوى والقاضى كمال الدين البارزى وخطب الشيخ يحيى المناوى خطبة فى غير المعنى فابتدأ القاضى كمال الدين بخطبة بليغة تعرض فيها للبيعة ثم تفاوضوا فى الكلام هل للسلطان ان يعزل الخليفة فلم ينطق أحد بشئ فقام الشيخ صالح البلقينى ونقل عن علماء مذهبه ان للسلطان أن يعزل الخليفة ويولى غيره (وقتلوا) الحاكم بأمر الله عملت على قتله أخته سيدة الملك وهو الذى بنى الجامع داخل باب النصر قتل فى حلوان خارج القاهرة (وقتلوا) المأمون صاحب جامع الاقمر وصلبوه سنة تسع عشرة وخمسمائة (وقتلوا) الخليفة الآمر بأحكام الله وضربوه بالسكاكين وهو مار على الجسر الى الروضة الى أن مات (وكان) الخليفة الحافظ لدين الله به مرض القولنج حتى منعه الاكل الى ان مات وعجز الاطباء عن مداواته (وقتلوا) الخليفة الظافر بأمر الله وألقوه فى بئر وهو صاحب الجامع المعروف بجامع الفاكهانى قريبا من باب زويلة (وقتلوا) نائب مصر العباس وصلبوه على باب النصر قتله طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح صاحب الجامع خارج باب زويلة (وقبضوا) على الخليفة العاضد بالله وتوعدوه بالقتل فبلع فصا كان

فى خاتمة فمات بعد ذل وخزى ونكال (وقتلوا) السلطان الملك العادل ابن الملك الكامل بعد طول حبسه وعقوبته بامر اخيه الملك الصالح (ولما) قتله وقعت الاكلة فى خده حتى مات ولم يتمتع بنفسه بعده وهو صاحب المدارس بين القصرين وقلعة الروضة وكانت من عجائب الدنيا (وقتلوا) الملك المعظم لما صادر خوند شجرة الدر وضربوه بالنشاب والسيوف حتى مات وما طلقوا فيه النفط سنة ثمان وأربعين وستمائة (وكانت) شجرة الدر جارية الملك الصالح نجم الدين بن أيوب وخطبوا لها على المنابر ثلاثة أشهر بمصر وهى تسوس الناس ثم قتلها مماليك الملك المعز لما عملت على قتله وقيل حين تزوج عليها (وقتلوا) الملك المظفر الذى قاتل التتار على مدينة غزة وردهم عن مصر وذلك ان بعض امرائه شفع عنده شفاعة فقبلها فانحط على يده ليقبلها فقبض عليها فضربوه من ورائه بالسيوف حتى قطعوه (وقتلوا) الملك الاشرف بن الملك المنصور قلاوون وكان عالما شجاعا عادلا غدره خازن داره فضربه فقطع يده ثم ضربه آخر بالسيف على كتفه فهدله ثم بهادر راس نوبة فادخل السيف من أسفله فشقه الى حلقه وتركوه طريحا فى البرية (ثم) تسلطن بعده أخوه الملك الناصر فقبض على جميع الامراء الذين تواطؤا على قتل أخيه وسمرهم وقتلهم أشر قتلة (وقتلوا) الملك المنصور لاجين على غفلة فدخلوا عليه وهو يلعب الشطرنج فضربوه بالسيف فصلوا رأسه من كتفه ثم ضربوه فقطعوا رجله فمات لوقته وهو الذى عمر الجامع الطولونى بعد أن أشرف على الخراب ووقف عليه الاوقاف وهو الذى راك الديار المصرية الروك الحسامى وذلك فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة (وخنقوا) السلطان بيبرس صاحب الخانقاه بباب النصر خنقوه بين يدى الملك الناصر حتى مات سنة تسع وسبعمائة (وقتلوا) الملك المنصور سيف الدين ابن الملك الناصر بعد ان نفوه الى قوص وأرسلوا رأسه الى قوصون سرا وكان سلطانا كريما معظما لكن أضمر قتل قوصون فرد ذلك عليه (ثم) لما تولى الملك الاشرف ابن الملك الناصر كان مدبره قوصون فظلم وقتل الناس ظلما فنفوه الى اسكندرية ثم قتلوه هنالك (وقتلوا) الملك الناصر ابن الناصر محمد بن قلاوون بالكرك وارسلوا رأسه الى مصر بعد قتال شديد (وقتلوا) الملك الكامل ابن الملك الناصر باغراء أخيه حاجى فضربوه بالطبر من ورائه شدخوا رأسه وظهره فمات (ثم) تسلطن حاجى وقتلوه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة (وقتلوا) السلطان شيخون صاحب الخانقاه قريبا من الرميلة وكان عالما صالحا ضربه مملوك على غفلة بطبر فشق رأسه وقطع بعض يديه ثم أمسك المملوك وقتل شر قتلة وذلك سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (وقتلوا) صرغتمش صاحب المدرسه تحت جامع طولون بعد حبس وعقوبة فى برج اسكندرية (وقتلوا) السلطان حسن صاحب المدرسة التى لم يعمر فى الاسلام مثلها قتله الامير يلبغا بعد قتال شديد فى الرميلة (وقتلوا) الملك الاشرف شعبان وقطعوا رأسه بعد ان اختفى عند امرأة أرملة مدة بعد ان رجع الى مصر من العقبة لما أراد الامراء الذين معه قتله (وكان) الاشرف هذا عادلا عالما محبا للعلماء والصالحين (ونفوا) الملك الظاهر برقوق صاحب المدرسة بخط بين القصرين ثم أنوابه واختفى سنين ثم ظهر وتسلطن فكان أمره عبرة لمن اعتبر (وتغلبوا) على الملك الناصر فرج ابن السلطان برقوق فتسحب من القلعة واختفى فلم يعلم أحد أين ذهب من ضيق الحال عليه (ثم) ظهر بعد سنة وملك القلعة وقتل غالب الامراء ثم قتلوه بقلعة دمشق بالسكاكين على يد المشاعلية ثم ألقى

على مزبلة وهو عارى البدن والناس تمر به أياما ثم دفن (وكان) السلطان المؤيد شيخ بضربان المفاصل مدة ولايته حتى انه صار يحمل على الاعناق وعجز الاطباء عن دوائه الى ان مات (وقتلوا) ولده الملك المظفر (وقتلوا) ططر نائب الشام (وكذلك) قتل الامير جقمق نائب الشام بعد حبس وعقوبة ومسكوا الملك العزيز وقيدوه وأرسلوه الى برج اسكندرية حتى مات بعد ان تسحب من القلعة واختفى زمانا (وقبضوا) على الملك المنصور عثمان بعد ان تسحب من القلعة وقيدوه وارسلوه الى برج اسكندرية حتى مات (وقبضوا) على السلطان بلباى وقيدوه ونفوه الى اسكندرية حتى مات بعد موت السلطان خشقدم (وقبضوا) على الملك الظاهر تمربغا وأرسلوه الى دمياط فلم يزل بها الى ان مات (فهذه) جملة صالحة من ملوك الدنيا الذين ابتلوا (وأما) الفقراء فسداهم ولحمتهم بلاء بحكم الارث للرسل عليهم الصلاة والسلام (وكان) الشيخ الكامل الراسخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأوليائه ان يسلط عليهم الاذى فى ابتداء أمرهم باخراجهم من أوطانهم ورميهم بالبهتان والزور ثم تكون الدولة لهم آخرا ان صبروا وكان رضى الله تعالى عنه يقول أيضا لما علم الله عز وجل ما سيقال فى أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاء فجعلوا له تعالى زوجة وولدا وقالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حتى اذا ضاق ذرع النبى صلى الله عليه وسلم أو الولى من كلام قيل فيه ناداه هواتف الحق تعالى اما لك بى اسوة فقد جعلوا الى زوجة وولدا ونسبوا الى ما لا يليق بجلالى وعظمتى وأنا خلقتهم ورزقتهم فلا يسع ذلك النبى أو الولى الا التأسى ولذلك تحمل الانبياء والاولياء ما رميهم به قومهم من الزور والبهتان والجنون والسحر وغير ذلك مما هو مشهور فى الكتاب والسنة اه وقد حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله تعالى عنه أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه كان يقول لا يكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع شماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء فان صبر على ذلك جعله الله تعالى اماما يقتدى به ولما شاع أمره فى بلاد المغرب تحزبت عليه الاعداء والحسدة من كل جانب ورموه بالعظائم وبالغوا فى ايذائه حتى منعوا الناس من مجالسته وقالوا انه زنديق ولما أراد السفر الى مصر كتبوا الى سلطان مصر مكاتبات من جملتها انه سيقدم عليكم مغربى من الزنادقة أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين فاياكم أن يخدعكم بحلاوة منطقه فانه من كبار الملحدين ومعه استخدامات من الجان فلما وصل الشيخ الى مدينة الاسكندرية حتى وجد الخبر بذلك سابقا على مقدمه فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فبالغ أهل الاسكندرية فى ايذائه ثم رفعوا أمره الى سلطان مصر وأخرجوا له مراسيم فيها ما يبيح به دم الشيخ فمد الشيخ يده الى سلطان المغرب وأتى منه بمرسوم يناقض ذلك فيه من التبجيل والتعظيم ما لا يوصف تاريخه متأخر عن مراسيمهم فتحير السلطان وقال العمل بهذا أولى وأكرمه ورده الى الاسكندرية مكرما ولما تزايد الاذى عليه وتوجه الى الله تعالى فى انه يصبره أغاثه الله تعالى وذلك انه ارسل له سلطان مصر يسأله الدعاء ويستعطف بخاطره فكف الناس عنه الاذى حرمة للسلطان وبعضهم زاد فى الاذى وكاتبوا فيه السلطان وقالوا اياه ولانا انه سيماوى فتغير السلطان عليه ثم أرسلوا اليه مكاتبات انه كيماوى وانه يضرب الزغل وحذروا الناس من مجالسته فاتفق ان خازندار السلطان محمد

ابن قلاوون وقع فى أمر يوجب القتل عند الملوك فأمر بشنقه فاختفى وهرب الى الاسكندرية فأقام عند الشيخ فبلغ الخبر السلطان فأرسل يقول ما كفاك ضرب الزغل حتى انك تؤوى غريم السلطان فأرسل له ساعة وصول كتابنا اليك والا فعلنا وفعلنا فلم يرسله له الشيخ فغضب السلطان وأرسل يتوعد الشيخ بالقتل ويقول كيف تتلف مماليك السلطان فلما وصل اليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان قال له الشيخ معاذ الله ان نتلف أحدا من مماليك السلطان وانما نحن نصلحه ثم قال لقاصد السلطان ائتنا بما شئت من قماقيم الرصاص من حواصل السلطان حتى أريك كيف الاصلاح فأتى بشئ كثير فالقاه الشيخ فى فسقية جامع من غير ماء وأرسل وراء الخازندار فقال له بل على هذا الرصاص فبال عليه فصار ذهبا خالصا فقال هذا صلاح والافساد فقال صلاح ثم أمر القاصد بحمل ذلك الى خزانة السلطان فوزنوا ذلك فوجدوه خمسة قناطير فقال هذا هدية لمولانا السلطان وقل له يرضى عن مملوكه فرضى عنه ثم ان السلطان نزل الى زيارة الشيخ فى الاسكندرية وأضمر فى نفسه انه يعلمه صنعة الكيمياء فقال كيمياؤنا التقوى فاتق الله يعلمك حرف كن ثم لم يزل معظما للشيخ الى ان مات وقد ذكرنا فى مقدمة كتابنا المسمى باليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر جملة من العلماء والاولياء الذين امتحنوا وأوذوا وقتلوا فراجعه ترى العجب * واعلم يا أخى انه لولا الكلام فى عرض خواص هذه الامة من العلماء والصالحين لعظموا بل عبدوا من دون الله عز وجل كما عبدت النصارى المسيح عليه السلام لكثرة ما يظهر عليهم من الخوارق والكرامات التى تكاد ان تلحق بالمعجزات فكان تجريح الفسقة لهم وتنقيصهم لهم فى المجالس كالدافع عنهم شر العين نظير تعليق الناس النعل البالية فى رقاب الابل النفيسة أو وضع الجماجم العظم فى زروعهم دفعا لشر العين وقد ورد مرفوعا اجعلوا فى زروعكم الجماجم رواه الديلمى وقد ورد علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل فكان من رحمة الله تبارك وتعالى بأوليائه تجريح الناس لهم توفيرا لاجورهم ليوافوا القيامة بها كاملة لم يأخذوا منها فى الدنيا شيئا فان غالب من يعتقده الناس ويعظمونه بتقبيل الايدى أو الارجل حكمه حكم من نصب منجنيقا ورمى حسناته شرقا وغربا فكل مكان اعتقدوه فيه طار من حسناته اليه جانب ولذلك كان أبو يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه لا يقيم الا فى مواضع الانكار وكل مكان اعتقدوه فيه تحول منه فاعلم يا أخى ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) تنبيهى لشكر الله عز وجل كلما حسدنى حاسد ونقصنى فى المجالس لعلمى بأنه ما نقصنى الا وهو يرى مقامى فوق مقامه ولولا ذلك ما اشتغل بتنقيصى حسدا منه فكأنه ينادى على تنقيصه وحسده ويقول ان فلانا خير منى ومرادى بتنقيصه عند الناس أن ينقص مقامه ويصير مثلى أو دونى ثم انا اذا فتشنا وجدنا التباغض والحسد لا يقع قط بين صالحين ولا من صالح فى حق فاسق وانما يكون بين فاسقين أو من فاسق فى حق صالح فالفاسق يبغض الصالح بغير حق والصالح ان أبغض الفاسق لا يبغضه الا بحق من غير ازدراء له فاياك يا أخى أن تبادر الى الانكار على العالم أو الصالح اذا رأيت بينه وبين فاسق وقفة بل تأمل وتربص فربما كانت البغضاء من الفاسق حسدا للصالح حيث لم يلحقه فى علم ولا عمل

بالجاه ولا تعظيم من الناس واياك ان تأمر الصالح بمصالحة الفاسق بل أمر الفاسق بتطييب خاطر الصالح وهذا الامر يقع فيه كثير من الجهلة فيقولون للصالح أنت بحر تحمل مثل هذا واضرابه ويأخذونه ماشيا الى موضع ذلك الفاسق فيذلون الصالح فى غير محل ويكبرون نفس الفاسق بغير حق وهضم النفس له محل على خلاف هذا ثم لا يخفى ان تسليط الناس بالاذى على الفقير قد يكون بذنب سلف وقد يكون محض اختبار من الله تعالى لا بسبب ذنب فاللائق بأمثالنا الاول واللائق بالاولياء الثانى ثم ان الاولياء اذا اختبروا فمنهم من يتفضل الله تبارك وتعالى عليه بخروجه كالذهب الخالص ومنهم من يخرج كالنحاس فيظهر له بذلك كذبه فى دعواه الصبر مثلا والاكتفاء بعلم الله تعالى دون خلقه (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول ابتلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس كفارة لذنب ولا اختبار العصمتهم وانما ذلك ليتأسى بهم قومهم وأتباعهم وكان رحمه الله تعالى يقول اللهم كثر أعدائى وحسادى وصبرنى عليهم واغفر لهم من جهتى فقلت له يوما ان فى ضمن سؤالك تكثير الاعداء والحساد طلب وقوعهم فى الاثم فقال انى لم أقصد ذلك بالاصالة وانما طلبت من الله عز وجل النعمة التى من شأنها ان يحسد الناس العبد عليها فان الحسد مقرون بالنعمة كالظل مع الشاخص اه ثم لا يخفى عليك يا أخى انه يجب عليك ان تنكر على من حسدك ونقصك من حيث كونه عصى الله عز وجل فتقول له ان استطعت يا أخى حسدك لى حرام ومتى لم تنكر عليه ذلك حرم عليك وهذا أمر قل من يتنبه له بل الغالب على الناس اذا بلغهم ان أحدا حسدهم أو اغتابهم ان يشتغلوا بمقابلته فى ذلك وليس هذا من اخلاق كمل المؤمنين (وكان) على بن الحسين رضى الله تعالى عنه اذا اذاه أحد بحسد أو غيبة يشكر الله عز وجل ويقول لولا انه رآنى خيرا منه ما حسدنى ولا اغتابنى وكثيرا ما كان يقول اذا بلغه ان أحدا اغتابه اللهم ان كان صادقا فاغفر لى وان كان كاذبا فاغفر له فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صبرى على الحسدة والاعداء لما دسوا فى كتبى كلاما يخالف ظاهر الشريعة وصاروا يستفتون على زورا وبهتانا ومكاتبتهم فى لباب السلطان ونحو ذلك اعلم يا أخى ان أول ابتلاء وقع لى فى مصر من نحو هذا النوع أنى لما حججت سنة سبع وأربعين وتسعمائة زور على جماعة مسئلة فيها خرق لاجماع الائمة الاربعة وهو اننى أفتيت بعض الناس بتقديم الصلاة عن وقتها اذا كان وراء العبد حاجة قالوا وشاع ذلك فى الحج وأرسل بعض الاعداء مكاتبات بذلك الى مصر من الجبل فلما وصلت الى مصر حصل فى مصر رج عظيم حتى وصل ذلك الى اقليم الغربية والشرقية والصعيد وأكابر الدولة بمصر فحصل لاصحابى غاية الضرر فما رجعت الى مصر الا وأجد غالب الناس ينظر الى شزرا فقلت ما بال الناس فاخبرونى بالمكاتبات التى جاءتهم من مكة فلا يعلم عدد من اغتابنى ولاث بعرضى الا الله عز وجل ثم انى لما صنفت كتاب البحر المورود فى المواثيق والعهود وكتب عليه علماء المذاهب الاربعة بمصر وتسارع الناس لكتابته فكتبوا منه نحو أربعين نسخة غار من ذلك الحسدة فاحتالوا على بعض الغفلين من أصحابى واستعاروا منه نسخته وكتبوا لهم منها بعض كراريس ودسوا فيها عقائد

زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين وحكايات سخريات عن جحى وابن الراوندى وسبكوا ذلك فى غضون الكتاب فى مواضع كثيرة حتى كأنهم المؤلف كما أشرنا الى ذلك فى خطبة هذا الكتاب ثم أخذوا تلك الكراريس وأرسلوها سوق الكتبيين فى يوم السوق وهو مجمع طلبة العلم فنظروا فى تلك الكراريس ورأوا اسمى عليها فاشتراها من لا يخشى الله تعالى ثم دار بها على علماء الجامع الازهر ممن كان كتب على الكتاب ومن لم يكتب فوقع بذلك فتنة كبيرة ومكث الناس يلوثون بى فى المساجد والاسواق وبيوت الامراء نحو سنة وأنا لا أشعر وانتصر لى الشيخ ناصر الدين اللقانى وشيخ الاسلام الحنبلى والشيخ شهاب الدين بن الحلبى كل ذلك وأنا لا أشعر فأرسل لى شخص من المحبين بالجامع الازهر وأخبرنى الخبر فأرسلت نسختى التى عليها خطوط العلماء فنظروا فيها فلم يجدوا فيها شيأ مما دسه هؤلاء الحسدة فسبوا من فعل ذلك وهو معروف وأعرف بعض جماعة من المتهورين يعتقدون فى السوء الى وقتى هذا وهذا بناء على ما سمعوه أولا من أولئك الحسدة ثم ان بعض الحسدة جمع تلك المسائل التى دست فى تلك كراريس وجعلها عنده وصار كلما سمع أحدا يكرهنى يقول له ان عندى بعض مسائل تتعلق بفلان فان احتجت الى شئ منها أطلعتك عليه ثم صار يعطى بعض المسائل لحاسد بعد حاسد الى وقتى هذا ويستفتون على وأنا لا أشعر فلما شعرت ارسلت لجميع علماء الازهر انى أنا المقصود بهذه الاسئلة وهى مفتراة على فامتنع العلماء من الكتابة عليها وسبوا من فعل ذلك ثم ان عليا باشا الوزير نقم على بعض المباشرين وعزم على قتله أو نفيه فطلع بعض العلماء يشفع فيه فلم يقبل فأتوا الى وزنوا الى المسئلة فطلعت للباشا فأكرمنى وأجلسنى على كرسى بينى وبينه نحو ذراع وقبل شفاعتى وقال لى لا تكلف خاطرك ثانيا الى طلوع القلعة وارسل لنا ورقة فقط فبلغ ذلك الحسدة من جماعة ذلك العالم الذى ردت شفاعته فاجتمعوا على ذلك العدو وقالوا له أعطنا شيأ من تلك المسائل التى عندك فى فلان فأعطاهم عدة مسائل زورا وبهتانا فكتبوها للباشا بالتركى وأضافوا اليها أمورا منفرة لخاطره فقرأها وقال أما المسائل المتعلقة بالشريعة فذلك راجع الى العلماء وأما غير ذلك فلا أقبله فيه أبدا وانما رجعت فى أمره الى قلبى فأرسلوا له قصة ثانية وثالثة فمزقها وشاع فى مصر ان الباشا يحب فلانا فخمدا الحسدة مدة ثم ان ابليس لعنه الله تعالى وسوس لبعض الحسدة وقال قد صار أهل مصر مع عبد الوهاب فاكتبوا فيه قصة ترسل لباب السلطان فكتبوا قصة من مضمونها ان شخصا فى مصر قد ادعى الاجتهاد المطلق وكثرت اتباعه ويخاف على المملكة منه والمسئول من صدقات مولانا السلطان نفيه من مصر وارشوا شخصا على ان يحملها الباب السلطانى فحملها ووصل بها الى الوزراء فقال بعضهم لبعض نكتب مرسوما بالنظر فى أمره وقال بعضهم يكتب مرسوما بنفيه الى مكة (وكان) هناك الشيخ أبو اللطف ولد شيخنا الشيخ أمين الدين رحمه الله تعالى فأخبرهم بان هذه القصة كلها زور على الرجل فرجعوا لقوله وانقلب حامل القصة وجعل نفسه من جماعتى وأكرمه الناس بسبب ذلك فلما رجع الى مصر ابتلى بعدة بلايا فى دينه وبدنه وحصل له الفالج فلما مات صار جسده كالزفت الاسود بعد ان كان فى حياته شديد البياض ثم ان حامل القصة لما رجع الى مصر أعلمنى بالجماعة الذين أغروه من الاعداء ثم ان الذين كتبوا القصة لباب السلطان صاروا يقولون عن قريب يأتى مرسوم من باب السلطان

بنى فلان فتشوش أصحابى ولا يقدرون على تبليغى ذلك خوفا من تشويشى فبعد مدة جاء ذلك
الشخص الذى حمل القصة وذكر لى القصة بكمالها فخررت لله ساجدا هذا ولم أقابل أحدا من
هؤلاء بنظير فعله الى وقتى هذا وانما ذكرت لك بعض هذه الوقائع لتتأسى بى فى الصبر والحلم
على من آذاك وقد أرسلت الهؤلاء الحسدة الذين عندهم تلك المسائل المدسوسة ليطلعونى عليها
لا تبرأ منها على التعيين فلم يعترف أحد بها فالله تعالى يغفر لهم ما فعلوه وما أضمروه آمين اللهم
آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اشتغالى بمقابلة من آذانى وتنقيص من نقصنى وانما
أرجع الى تفتيش نفسى وأكثر من الاستغفار والاشتغال بالله عز وجل وشهودى انى جالس بين
يديه تعالى وهو يرى صنيع عبيده فى ومن كان هذا مشهده حمل أذى الثقلين وأيضا فانى أعلم
ان الحق تعالى لا يسلط الخلق بالأذى على أحد وهو حاضر بين يديه أبدا وانه ما سلط على أحد
بالأذى الا لغفلته عنه فيريد بذلك الاذى رجوع عبده اليه بالالتجاء ليدفع ذلك الاذى عنه
فكان فى تسليط الخلق على العبد رحمة فى صورة نقمة وقد جربنا فما وجدنا لتسكين الفتن
أسرع من الاشتغال بالله وتفتيش النفس فى جناياتها وكثرة الاستغفار ولذلك قالوا اذا
اشتغل الناس بك فاشتغل أنت بربهم فان بيده زمام أمورهم ولا تقابلهم تتعب وتزدد من
الاذى وقد غفل عن هذا المعنى غالب الناس فلم يرجعوا الى الله تعالى ولم يستغفروه من ذنوبهم
واشتغلوا بمقابلة من آذاهم فخرق بعضهم اعراض بعض تارة بأصحابهم وتارة بأنفسهم اما باللفظ
واما بالتوجه الى الله تعالى بالدعاء عليهم فعدموا النصرة من الله تعالى وقد أوحى الله تعالى الى
داود عليه الصلاة والسلام ياداود لا تبغ على من بغى عليك تتخلف عنك نصرتى فانى لا أنتصر
الا لمن رضى بعلمى ولم يقابل من آذاه بالأذى والجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى والذين اذا أصابهم
البغى هم ينتصرون وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله
ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ونحوها من الآيات انه قد يكون المراد
بالانتصار هنا ما يعم الانتصار بترك المقابلة اكتفاء بعلم الله تعالى وانتصاره للمظلوم كما فى قوله
تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله أو يحمل ما هنا من النهى عن البغى
على النهى عن البغى بزيادة على ما يستحقه الباغى كما أشير اليه قوله تعالى بمثل
ما اعتدى عليكم وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسيأتى بسط ذلك قريبا ان شاء الله تعالى
وفى البخارى ان شخصا من بنى اسرائيل سرق دجاجة فلما ذبحها اليا كلها ونتف ريشها نبت
الريش فى جسده فعجز عن نتفه بكل حيلة فلما دعت عليه صاحبة الدجاجة سقط الريش لوقته
فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انتصاره عز وجل لى ومؤاخذته لمن آذانى من غير
تعمد منى ولا دعاء عليه فبعضهم جاءه مرسوم السلطان بشنقه فأخبروه بذلك فانزعج فمرض
فمات بعد عشرة أيام وبعضهم كبس عياله بالفجور والسكر وذهبوا بهن الى بيت الوالى صباح
تلك الليلة التى جرقافيتى فيها فابتلاه الله تعالى بذلك وبعضهم رأى فى منامه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يعرض عنه فقال يا رسول الله ما ذنبى فقال كيف تؤذى فلانا وهو من

أصحابى وعلى سنتى فجاءنى مستغفرا وقال قد سبق لسانى فى حقك فقلت عبد الوهاب مبتدع فى
هذه المجالس التى يفعلها يعنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبى صلى الله
عليه وسلم وهو يعرض عنى وذكر القصة وأعرف واحدا الآن يعرض فرأى والده فى النوم وهو
يقول له ان فلانا مجاب الدعاء فذكر ذلك لأصحابه وقال لعل هذا شيطان وأصر على تنقيصى فى
مجالس المستهزئين فابتلاه الله تعالى بمن هتك سريرته وأظهر له عيوبا لم يكن أحد يعرف انها
فيه ثم ابتلاه الله بترك الصلاة وشرب الخمر والوقيعة فى اعراض الناس من فقهاء وفقراء وتجار
وقضاة ومباشرين وربما يطوف على عدة من بيوت الأكابر ويطلع على عوراتهم ثم يخرج يحكيها
للناس فمقته القلوب وبعضهم منعه من دخول بيته وهذا من أعظم بلاء يبتلى به العبد فانه
ليس بعد الشرك ذنب أقبح من الايذاء للناس بغير حق فان صاحب هذا الحال لا يكاد يسلم له فى
الآخرة حسنة واحدة لكثرة الحقوق التى عليه للناس ثم اذا فنيت حسناته وضع عليه من
أوزارهم ثم يقذف فى النار كما ورد فى الحديث وربما شح بعضهم فلم يرض فى غيبة واحدة بجميع
أعماله الصالحة عنده وأيضا فان صاحب هذا الذنب ربما لا يبلغ الى مقام الاخلاص فأعماله
كلها يدخلها الرياء غالبا وقد صرحت الأحاديث بعدم قبولها وقد أنشدوا فى معنى ذلك على ما فيه

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من باس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار للناس

ثم لا يخفى عليك يا أخى ان الحق تعالى لا ينتصر قط لعبد من عبيده وهو مستند الى أحد من خلقه
الا أن جعله واسطة ولم يقف معه فاذا نظر الحق تعالى الى عبده ورآه مستندا اليه وحده فهنالك
لا تتخلف عنه نصرة الحق تعالى وفى الحديث القدسى وعزتى وجلالى لا ينتصر بى عبد من
عبيدى أعلم ذلك من قلبه يقينا فيكيده أهل السموات وأهل الارض الا نصرته عليهم اه وانما
قال تعالى أعلم ذلك من قلبه يقينا وقد نصرته تعالى له بذلك لانه مقام عزيز وقوعه من غالب
الناس وفى الحديث أيضا أنا ولى من سكت (وكان) سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى
عنه يقول اذا كان المريد فى حجر تربية شيخه فهو كولد اللبوة فى حجرها لا يمكن ان تسلمه لمن يريد
اغتياله فكيف بأولياء الحق جل وعلا الذين هم فى حجر تربيته وكلاءته وحفظه فهل يسلمهم لمن
يغتالهم لا والله اه فعلم ان كل عبد استند فى نصرته الى الخلق بنفسه أو بوكيله أو بقلبه تخلفت
عنه نصرة الحق تعالى له الا ان يكون مشهده ان نصرة الخلق من جملة نصرة الحق تبارك وتعالى له
من حيث انه هو الملهم لهم أن ينصروه فان الله تعالى النصرة لعبده بواسطة الخلق وبلا واسطتهم
والكل منه فلا يقدح ذلك فى مقام الاستناد الى الله تعالى بل ذلك أكمل لان فيه استعمال
الآلة وعدم تعطيلها (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم والانكار
على الولى اذا انتصر بالخلق وتقولون لو كان وليا ما استند اليهم فان فى ذلك الانكار قدحا فى حق
مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد قال السيد عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله
قائلا ذلك للحواريين ومعنى قوله الى الله أى مع الله فطلب النصرة منهم مع الله تعالى وعلم أيضا
انه لا يضر الولى الاستناد الى الخلق مع غفلته عن كون نصرتهم له بالهام من الحق تعالى
(وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول من الاولياء من لا يتحمل شيئا من

الاذى له ولا لاولاده وأصحابه لاحيا ولا ميتا بل يعطب كل من تعرض له بأذى غيرة للحق تبارك وتعالى من حيث تعدى من يؤذيه حدود الله تعالى ومنهم من لا يسامح أحدا منهم ولو بكلمة بل يسأل الله تعالى تأديبه بالامراض أو العزل من ولايته أو الخروج من بيته ونحو ذلك ليطهر من الذنوب أولا فأولا لئلا تتراكم عليه الذنوب فتهلكه وايضاح ذلك ان كل معصية لها وجهان وجه للعبد من حيث ان العاصي يتسبب في نزول البلاء على الخلق بواسطة معصيته ويؤذيهم ووجه الى الله من حيث تعديه حدوده كما مر فالعبد يسامح من جهة وجهه هو ويشاحح من جهة وجه الله تعالى غيرة له ومن الاولياء أيضا من يكون كثير العطب لكل من آذاه أو آذى أحدا من المسلمين فيجردنيته لتأديبه من غير تشف للنفس ويقصد بذلك كف ذلك المؤذى عن اذاه أو تخفيف اذاه للناس ولكل رجال مشهد وسيأتي ان انتصار النبي صلى الله عليه وسلم بالانصار وبحسان بن ثابت حين هجا المشركين كان بقصد النصرة للدين وطلب الرد للمشركين الى الهدى شفقة عليهم ورحمة بهم كما أنه انما ضربهم بالسيف لوفور شفقته عليهم في الاصل وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة محبتي وشفقتي وحنوي في الباطن على كل من رأيته مقراضا في الناس من أصحاب الانفس فأقوم بواجب حقه اذا ورد على وأجلسه على فرشي وأجلس بين يديه وأعزم عليه ان يأكل من طعامي وأشدد عليه في ذلك خوفا ان يخرج من عندي فيمزق عرضي في الآفاق فيأثم بذلك بسببي وربما غلبت على النفس فأقع أنا الآخر في عرضه وقد وقع أنه دخل على شخص من أهل الجدال فعزمت عليه ان يأكل من طعامي فأبى وحلف انه لا يأكل ثم خرج فمزق عرضي وقال مثلي يعزم عليه فلان ،زومة محلولة ووقع لي مع آخر انه دخل على فجلس على الحصير بين يدي فنسيت أن أعزم عليه أن يجلس على الطراحة فمزق عرضي في الآفاق فاحذر يا أخي من التهاون بتعظيم مثل هؤلاء فان عندهم من الكبر ما ليس عند كبراء الدولة فقد عادني قاضي العسكر وأبو يزيد الدفتردار فجلسا بين يدي على الحصير دون الطراحة على ركبهم وأردت النزول من فوق الطراحة فلم يمكناني من ذلك فانظر تواضع هؤلاء مع الفقراء وانظر تكبر غيرهم والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة محبتي وشفقتي على كل من بالغ في ايذائي وترجح محبتي له على محبة من يحسن الى ويعتقدني وذلك ان محبتك للانسان تعظم بحسب كثرة نفعه لك ولا شك ولا ريب ان من آذاني فقد تكرم على بدينه وبصالح أعماله التي هي أعظم من حطام الدنيا جميعها لكونه قد مكنني من أخذ حسناته يوم القيامة أو وضعي من سيآتي على ظهره ان فنيت حسناته وان كنت عازما على ان لا أفعل اكراما للامة محمد صلى الله عليه وسلم فأنا بحمد الله تعالى أجد في نفسي كثرة الود والمحبة لكل من آذاني وافترى على الباطل أكثر ممن يحسن الى ويمدحني في المجالس وكل ما بالغ أحد في ايذائي ازددت فيه محبة لانه بذلك قد بالغ في اثبات حق عليه وتحقيق حسن خدمتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم باكرامهم لاجله فكيف أكرهه وصاحب هذا المشهد لا يرى أحدا من الخلق مسيأ اليه أبدا انما يراهم محسنين اليه فمن لم يحسن اليه بدنياه أحسن اليه بدعائه ولو في عموم دعائه للمسلمين ومن لم

يحسن اليه بذلك أحسن اليه بدينه واعطائه صالح اعماله في نظير ايذائه له ومن لم يحسن اليه بدنياه ولا بدينه فقد أحسن اليه بترك الاحسان اليه بواحد منهما لاعتاقه له من تحمل منته عليه فكان عدم احسانه احسانا فاياك يا أخي ان تتشوش من وقوع أحد من الصالحين والعلماء العاملين في عرضك بل افرح ان كان مشهدك طلب الثواب لذلك فان هؤلاء هم الذين يكون معهم شيء من الاعمال الصالحة يعطونه لك بخلاف المرائين والفسقة فانه قل عمل يخلص لهم حتى يعطوك منه شيأ في الآخرة لكون أعمالهم حابطة في الدنيا فافرح يا مؤمن بايذاء الصالح لك أكثر من الظالم وادع لكل منهما بالمغفرة حتى لا يؤاخذ بسببك واعلم يا أخي ان هذا الخلق الذي ذكرناه من زيادة المحبة لكل من بالغ في ايذائنا خلق غريب لم أجد له ذائقا من اخواني وقد جهدت كل الجهد على ان أكره أحدا ممن يؤذيني فلم أقدر بانقلاب طبعي بحمد الله تعالى عن طبع أصحاب الرعونات النفسية وبالجملة فلا يصح الفرح بالاذى الا ممن زهد في الدنيا ورغب في الآخرة والا فمن لازمه غالبا التكدر ممن يؤذيه ومن شرط المؤمن الكامل ان يخرق ببصره الى الدار الآخرة فاذا أبصرها فمن المحال في حقه ان يتكدر مما يرفع الله تعالى به درجاته أو يكفر به عنه سيآته ومن هنا أقدر الله تعالى الاولياء على تحمل الاذى من الخلق لما يعلمون لانفسهم في ذلك من الثواب وتأمل الى الانسان كيف يشرب الدواء الكريه بقصد التداوي لما يعلم من حسن عاقبته ولو ان أحدا قال له لا تشرب هذا الكريه لا يطيعه فالحمد لله رب العالمين وسيأتي قريبا ذكر جماعة سمحت النفس بمقاسمتهم في الحسنات ومنهم الذين يؤذونني فراجعه والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة شفقتي ورحمتي على من يؤذيني خوفا على دينه ان ينقص بسببي حين آذاني وربما كنت أشفق عليه من نفسه في ذلك فاني أتأثر على نقص دينه بسببي أكثر مما يتأثر هو حتى اني في بعض الاوقات أقابله باللفظ دون القلب تخفيفا عنه وخوفا عليه من الله تبارك وتعالى أن يهلكه بسبب كثرة تعصبه على بغير حق فتراني أقابله ببعض كلمات تؤذيه بعض الاذى وقلبي فارغ من التأثر والتشفي منه فليس قصدي بحمد الله تعالى اذا قابلته الهروب من كونه نقصني بين الناس لتجافي عن شهود تنقيصي بين الناس بخوفي على دينه ان ينقص بل ربما لم يخطر الخوف من التنقيص على بالي وربما كان في علم الله انه تعالى يسلط عليه من يؤذيه ويخرجه من بيته أو وظائفه مثلا فلا يهون ذلك على وأتعب في الشفاعة فيه عند الله تعالى أو عند خلقه لكونه لا يستحق الشفاعة فيه لكثرة بغيه وقد بلغنا ان من أخلاق العارفين يوم القيامة ان يبدؤا بالشفاعة فيمن كان يؤذيهم في دار الدنيا قبل الشفاعة في المحسن اليهم وذلك لان المحسن يشفع فيه احسانه والمسيء يعاقبه الله باساءته فهم يبدؤن بالشفاعة فيه كرما وفتوة حين قدروا وعفوا وليزيلوا أيضا ما حصل عند من آذاهم من الخجل منهم حين رأى مقامهم عند الله تعالى واكرامه لهم وقد كان في دار الدنيا لا يعرف ذلك ولو انه عرف مقامهم عند الله في دار الدنيا ما آذاهم قط بل كان من أشد المحبين والمعتقدين لهم وهذا الذي ذكرناه خلق غريب في هذا الزمان لا يصح الا ممن أحكم مقام الزهد في الدنيا وترك حب الجاه في قلوب المخلوقين ومن لم يحكم ذلك فمن لازمه غالبا عدم خوفه على نقص دين عدوه وحب التشفي منه ومقابلة من يؤذيه ولو

بتوجهه الى الله تعالى فضلا عن الشفقة عليه والرحمة له فعلم انه لا يتخلق بالرحمة والشفقة على من يؤذيه الا من تخلق باخلاق الله تبارك وتعالى فانه تعالى ماذكر انه استوى على العرش الا باسمه الرحمن فرحم كل من حواه العرش من مؤمن وكافر كل أحد بما يشاكله من الرحمة على على اختلاف طبقاتها من رحمة الايجاد أو رحمة الامداد أو رحمة ترك العقاب أو تخفيفه فاعلم ذلك وتخلق به ترشد والله تعالى يتولى لنهداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اتعاب سرى فى تدبير حيلة تؤذى من آذانى بقول أو فعل كما يقع فيه كثير من الناس فربما سهر أحدهم الليلة كاملة يدبر فى الحيل التى تؤذى عدوه ويصبر يهدد ويبنى الى الصباح وقد حذرنا الله تعالى من حيث الاشارة بقوله أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون الآيات (وكان) سيدى خضر الكردى رحمه الله تعالى المدفون تجاه جامع الملك الظاهر على الخليج الحاكمى يقول كل كلام معى مفسود ومن فوض أمره الى الله تعالى نصره من غير أهل ولا عشيرة وأغناه عن الحيل والمكايد انتهى (ثم) لا يخفى عليك يا أخى ان من أقبح شئ يقع فيه العالم أو الصالح مقابلته بالاذى لمن يؤذيه أو يكشف سوأته للناس ولو بحق فضلا عن الزور والبهتان فان الله تعالى ستير ويحب من عباده الستيرين فكما ان الحق تبارك وتعالى يرى العيب من عبده ويستره فكذلك ينبغى لعبده أن يفعله ● وقد من الله تبارك وتعالى على بذلك فلا أفترى على من افترى على ولا أشيع على أحد نقيصة عمن أشاع مثلها عنى ولا أفضحه كما فضحنى ولو قدر اننى ترافعت أنا وإياه عند حاكم وسألنى عنه لا أذكر عنه الا خيرا (ثم) ان من سلك مع عدوه هذا المسلك يخاف على عدوه الهلاك فمن الادب مع ذلك مسامحة العدو فيما فعل وسؤال الله تبارك وتعالى أن يعفو عنه وكذلك من لازم من سلك مع عدوه هذا المسلك النصرة من الله عز وجل عليه ● وقد بلغنا ان أهل مصر لما وشوا بذى النون المصرى الى الخليفة ببغداد فأرسل فى أخذه فحملوه الى بغداد مقيدا مغلولا فمر على امرأة من الصالحات تسرح صوفها فى مخزنها فقالت ما هذه الكبكبة فقالوا قد أتى أهل مصر بذى النون المصرى يدعون عليه انه زنديق وانه أتلف عقائد الناس فقالت ائتونى به فلما وقف عليها قالت له يا ذا النون اذا قدمت على هذا الرجل فسلم عليه بسلام المؤمنين واياك أن تسلم عليه بسلام الخلفاء واياك أن تخافه فيسلطه الله عليك واياك أن تحتجب عن نفسك فيكلك الله اليها واشهد نفسك أنت والاخصام والخليفة بين يدى الله عز وجل وهو الحاكم ثم دعت له وانصرف فلما أوقفوه على الخليفة فعل ما أمرته به الصالحة فقال له الخليفة لما ادعوا عليه بالزندقة ما تقول فقال ماذا أقول ان كذبتهم أجبت عن نفسى وأنا أستحيى أن أكذب مسلما وقد جاؤا بى يريدون انك تنصرهم على وان قلت نعم كذبت على نفسى وهى رعيتى وقد أمرنى الله تعالى ان لا أسعى لها فى شئ يضرها فبهت الخليفة وقال ان كان هذا زنديقا فما بقى على وجه الارض مسلم ثم أمر بتجريد القيود والاغلال عنه وأجلسه بجانبه وأكرمه غاية الاكرام فلما أراد الرجوع الى مصر صنع له محفة وفرش له فيها نحو خمسة آلاف دينار ورده الى مصر مكرما فكان بعد ذلك يقول جزى الله تلك الفقيرة عنى خيرا انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا آذاك انسان

قوله وفرش له لعله ووضع فيها أى وأعطاه

أو نقصك بين الناس فخذ ذلك من باب تنبيهات الحق تعالى لك لتتفكر فى ذنوبك وتأخذ فى التوبة والندم على ما فعلته من الزلات أو على ما فرطت فيه من الطاعات أو على ما كنت عزمت عليه من المخالفات أو المقابلات لمن كان آذاك ونحو ذلك واياك أن تتفكر فى نقائص من نقصك وتستنبط منها نقائص أخر فان ذلك منك جهل بطريق معاملة الله عز وجل ومعاملة خلقه فانه تعالى اذا نهاك عن اشاعة ما رأيته بعينك فكيف بما استنبطته بدقيق فكرك مما لعله لم يخطر ببال عدوك واعلم يا أخى انك لولا خرجت من حضرة ربك عز وجل ما سلط عليك أحدا لان من كان فى حضرة الحق تبارك وتعالى ويعلم انه تعالى يراه فليس لاحد من الجن والانس عليه سبيل فكل من خرج من حضرة ربه جل وعلا احتوشته الآفات من جميع الجهات (وسمعته) أيضا يقول اياك أن تستبطئ نصرتك على عدوك اذا دعوت الله تعالى أن ينصرك عليه لانه تعالى ربما أبطأ عنك الاجابة لمعاملتك بنظير ذلك اذا آذيت أحدا ظلما ودعا عليك فيؤخر الله تعالى اجابة دعائه فى حقك لعلك تستعتب أو تستغفر جزاء وفاقا فعلم انك اذا طلبت من الله تعالى تعجيل اجابة دعائك على عدوك فلا تستغرب سرعة اجابة دعاء خصمك عليك انتهى فالعاقل هو من يفرح بعدم اجابة دعائه على خصمه أصلا أو بطء الاجابة وذلك لمعاملة الله تعالى بنظير ذلك اذا دعا عليه خصمه (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من الواجب على العبد اذا تسلط عليه أحد بالايذاء أن يتوجه بقلبه الى الله تعالى ويسأله أن يطلعه على السبب الذى سلط عليه الاذى بسببه ليسد بابه فيخف الاذى ثم ان لم يطلعه على ذلك أكثر من الاستغفار من كل ذنب يعلمه الله ايمانا وتسليما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير انتهى فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى لاقامة العذر لمن آذانى دون اللوم عليه ومقابلته بنظير فعله وذلك لعلمى بأنه ما آذانى بقول أو فعل الا بارادة الله تعالى بعد تقدم وقوعى فى ذنب يوجب ذلك فكان مطمح بصرى حضرة الارادة الالهية دون حضرات الخلق ومن كان هذا مشهده لا يصح منه تكدر ممن آذاه ولا سخط على مقدور من مقدورات الحق تبارك وتعالى ما دام هذا مشهده فأما عدم تكدره من الخلق فلكونه يشهد ان الخلق كلهم لا يتحركون ولا يسكنون الا وهم تحت الارادة الالهية فهم كالسوط الذى يضرب به الضارب أحدا ظلما فالعاقل لا يترك اضافة الضرب للفاعل الحقيقى ويضيف ذلك الى السوط (وأما) عدم سخطه على شئ من مقدورات الحق تعالى فلكونه يشهد ان ذلك فعل حكيم عليم أرحم به من والدته على الكشف والشهود وانظر يا أخى الى الوالدة كيف تضرب ولدها وتشكه بابرتها اذا خافت عليه وقوعه فيما هو أشد ألما من غرز الابرة أو الضرب كل ذلك شفقة عليه فاذا كان هذا فعل الام مع ضعف شفقتها فكيف بالحق جل وعلا (فعلم) انه لا يصح التكدر من عبد آذاه أحد الا ان كان مشهده ان ذلك من فعل الخلق والا فلا يصح منه تكدر أبدا حياء من الله تبارك وتعالى أو لعدم اضافة ذلك الفعل الى الخلق وتأمل يا أخى اذا وقع العبد فى معصية وهتك بين الناس كيف يجد قلبه قد تفتت من القهر وشدة الندم فاذا شهد ان ذلك كله كان بتقدير الله تعالى عليه قبل أن يخلق يخف عليه ذلك الالم (وسمعت) أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى

يقول ينبغي لمن آذاه أحد بغير حق أن ينظر الى السبب الذى حرك ذلك المؤذى له حتى آذاه ثم ينظر الى وجه الحكمة فى ذلك حتى لايسخط ولايعترض ولايقول الله يفعل مايشاء من باب التسلى ثم يقيم العذر لمن آذاه بحجابه عن شهود حضرة الله تعالى وجهله بمن هو المقرب فيها من غيره فانه لو علم أن ذات الشخص من أولياء الله تعالى ما كان آذاه بل كان يعتقده أشد الاعتقاد كما هو الشان فى المحبين والمعتقدين ثم ينظر أيضا فى الضيق الذى جعله الله تعالى عنده حتى انه لم يحتمل أحدا يعلوه فى دين أو دنيا ولو ان الله تعالى كان جعل عنده سعة لم يحسد أحدا ولم يؤذه ثم انه اذا تعرف من الله السبب الذى حرك عليه الاذى فن الواجب عليه سد بابه فان لم يعرفه الحق تبارك وتعالى فينبغى له أن يسأل الله تعالى أن يطلعه على ذلك السبب فان لم يطلعه عليه سأل الله تعالى أن يدبره مع ذلك العدو بحسن التدبير وأن يغفر له ماجناه انتهى فوالله لقد فاز من احتمل الاذى من الخلق بعز الدارين وكذلك فاز من شهد أنه لافاعل حقيقة فى الدارين الا الله جل وعلا فانه يتنعم بكل فعل وقع له لانه مع الحق لا مع الخلق فلا يجد من يرسل نكدره وسخطه عليه كالحكم فى حال زبانية جهنم يوم القيامة حين يكشف الغطاء عن كل عاص لايضيف اليهم أحد فعلا ولا يسميهم ظلمة كما فى الدنيا أبدا بل يراهم كالمجبورين فالكامل يرى جميع من ظلمه فى دار الدنيا تحت القضاء والقدر لايضيف اليهم ظلما قط الا بقدر نسبة التكليف لاغير موافقة للشرائع فلابد له من هذه النسبة فى هذه الدار بخلاف حاله مع الزبانية لزوال التكليف هنالك فافهم ذلك واعمله ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة محبتى وتبجيلى لطلبة العلم الذين بادروا الى الانكار على وشنوا الغارة على عند الاكابر لما دس الحسدة فى كتبى مادسوا مما يخالف ظاهر الشريعة وان كان على طلبة العلم المذكورين اللوم حيث بادروا الى الانكار قبل تفتيشهم على صحة ذلك الكلام عنى فانهم ولو بادروا الى الانكار على بغير علم جند من جنود الله تعالى أرسلهم الى ليحذرونى مما لعله يقع منى فى المستقبل * وقد قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما أمرنى أحد بمعروف الا عظم فى عينى وزدت فى محبته انتهى على انى أعلم أن الفقيه مجتهد فى الفهم فما أنكر على الا ما أدى اليه اجتهاده ورآه خارجا عن ظاهر الشريعة فيا سعادة من كان مقيما فى مثل الجامع الازهر فان الفقهاء القاطنين فيه لايكادون يغادرون صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها عليه وناقشوه فيها فلا يتكدر من مثل ذلك الا المرائى الاحمق فانهم ما ناقشوه فيه وأضافوه اليه ان لم يكن وقع فيه فقد قبحوه فى عينه ومن شأن كل عاقل انه اذا نقص بسبب شئ وقع فيه من قول أو فعل أخذ فى التنصل منه وبعد عنه جهده وهذا خلق عظيم لايقدر على التخلق به الا من خلص من رعونات النفس ورزقه الله الاخلاص حتى راعى مقامه عند الله تعالى دون خلقه ولم أجد له ذائقا من اخوانى المريدين بل غالبهم يكاد يتميز من الغيظ ويمزق عرض من أنكر عليه أو استفتى عليه وذلك من أكبر علامات الرياء والنفاق (وفى كلام) سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه ما وقف أحد مع الخلق وراعاهم دون الله تبارك وتعالى الا وسقط من عين رعاية الله عز وجل (وسمعت) سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياك أن تتكدر ممن أنكر عليك شيأ لم تقع فيه فانه انما نصحك جهده بحسب علمه واياك أن تقول له قل

هذا الغير فانى لست بمحتاج الى وعظ مثلك فان ذلك جهل قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فافهم وما نصحك قط أحد بشئ وهو يعلم انك برئ منه أبدا أقل ما هنالك انه سمع الناس يلوثون بك فى ذلك الامر فنصحك شفقة عليك ان كنت وقعت فيه أو قبحه فى عينك حتى تأخذ حذرك منه أو تأتيه ان قدر عليك وأنت مستقبح له غير مستهين به فقد نصحك جهده وان كنت أنت على خلاف ذلك واعلم يا أخى ان كل من أخلص لله تعالى أحب كل من بين له عيبه وعوجه خوفا أن يكتب فى جملة الائمة المضلين للناس لا خوفا على مقامه أن ينهضم ولكن من الادب أن يبين الانسان لاخيه نقصه وعيبه بينه وبينه لا فى الملا العام لاسيما ان كان له اتباع فانهم ربما ازدروا شيخهم فعدموا النفع به كما أن من الواجب عليه هو اذا اعوج فى أمر باجتهاده وتبعه عليه جماعته ثم ظهر له عوجه أن ينادى فيهم الا انى كنت خرجت عن الشريعة فى الامر الفلانى وقد رجعت عنه فارجعوا * وقد كان أبو عثمان المكى رضى الله تعالى عنه يعتقد شيأ من الجهة فلما تاب نادى فى أصحابه قد أسلمت اسلاما جديدا فرجع أصحابه كلهم عن ذلك (وكان) سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه يقول لاصحابه اياكم أن تقتدوا بى فانى رجل مخلط وقد نقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال ليس فى حل من ينسب الى شيأ من القديم انتهى وهذا كله من الورع * واعلم يا أخى ان هذا الذى قررناه من محبة العلماء المنكرين علينا وتعظيمهم وتبجيلهم خلق غريب قليل من علك نفسه عليه بل غالب الناس ينفر ممن ينكر عليه ولو بحق وهو نقص وجهل وحمق * وأما قول سفيان الثورى والفضيل ابن عياض وذى النون المصرى اياكم والقرب من القراء فانهم ان أحبوكم مدحوكم بما ليس فيكم فغشوكم فى دينكم وأهلكوكم بالعجب وان أبغضوكم نقصوكم بما ليس فيكم وقبل ذلك منهم فهو محمول على من كان مشهده غير ما ذكرناه من باب وجزاء سيئة سيئة مثلها فانه محمول على الضعيف الذى لايحتمل كلاما تاما قيل فيه ولا يقنع بعلم الله تعالى فيه ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح عند كثير من العلماء فافهم ذلك واعمله واعمل على التخلق به ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى للشكر لله تعالى اذا نقصنى منقص عند أحد من الاكابر كما أشكر الله تعالى اذا كبرنى ومدحنى عنده على حد سواء وذلك لان من شرط العاقل أن يدور مع رضا الحق تبارك وتعالى بحكم التسليم والتفويض لا مع نفسه بحكم الاختيار (ولما) طلعت للوزير على باشا بمصر وعظمنى وأجلسنى بجانبه على كرسى غار الحسدة من ذلك وكتبوا فى قصصا ورموها فى الديوان وبلغنى ذلك بادرت الى الشكر ولم أتأثر لكونى مشاهدا لله الذى سخره لى لا مع الوزير (ومن علم) من سيده أنه يحبه ويعظمه ويكرمه ولايسمع من بعض الاعداء من عبيده فيه فكلامهم عنده هباء منثور بخلاف من كان محجوبا عن هذا المشهد ولا يرى الا ذلك العبد فانه يتأثر ضرورة (ومن تأمل) وجد ضرر اقبال الامراء عليه أشد من ضرر ادبارهم عنه لان الولاة لم يزالوا فى ازدياد من الظلم والجور بحكم الوعد السابق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بلغهم أن الباشا أو الدفتردار يعتقد شخصا من الفقراء صار كل من عليه مال للسلطان يأتى الى ذلك الشخص ويقول له قل للباشا

أو الدفتردار اصبروا على فلان أو سامحوه لانه مظلوم فلا يسع ذلك الفقير اذا لم يستطع دفع ذلك
المتشفع الآن يشفع ولا يمكن أن الباشا أو الدفتردار يقبلان شفاعته فى كل ما يشفع عندهم
فيه غالبا الان من وظيفتهم التشديد فى تحصيل ما يسمونه مال السلطان لا فى تضييعه فيصير الفقير
والامير فى عناء وتعب وآخر الامر ينكر الامير على الفقير ويقل اعتقاده فيه ويمجه كما وقع
ذلك لجماعة من أهل عصرنا من العلماء والصالحين فاذا المنقص لك يا أخى عند الامير أقل تعبا
لك ممن يكبرك عنده وكلاهما محسن اليك بما فعل ومن ذاق هذا الامر قل غضبه وغيظه ممن
ينقصه عند الاكابر كما سيأتى بسطه فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله تبارك
وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة محبتى لمن نفر عنى أبناء الدنيا وجرحنى عندهم من تجار
ومباشرين وأمراء وكشاف ومشايخ عرب وغيرهم وذلك لانى بحمد الله تعالى لا أصحب أحدا
منهم لدنياهم بل ولا يخطر على بالى أنه يعطينى شيأ ولو أنه أعطاه لى ما قبلته فأنا غنى عن دنياه
وليس معهم علم ولا أدب أستفيده منهم ولا هم يقصدون بصحبتى تعليم علم ولا أدب منى انما
مجالسهم مجالس غفلة وسهو وخوض فى أمور الدنيا لا غير فصحبتهم الى الضرر أقرب ووالله
ثم والله انى لا أجد فى قلبى المحبة والود لمن ينفر مثل هؤلاء عنى أكثر ممن يرغبهم فى صحبتى
فانى فى النصف الثانى من القرن العاشر أبى العجائب والغرائب والفتن * وقد فتشنا غالب
الاصحاب اليوم فوجدنا الحامل لهم على صحبتنا انما هى علل دنيوية * ومعلوم عند كل عاقل
ان صحبة مثل هؤلاء من نقص العقل ولا يتكدر من تنفير مثل هؤلاء الا من كان غافلا عن الله
تعالى والدار الآخرة فان من نفر مثل هؤلاء عنه فقد أعتقه من دخوله فى حقوق الصحبة التى
لا يطيق أحد القيام بها من غالب أهل هذا الزمان فان من حقوق الصحبة أن الصاحب يشارك
صاحبه فى ماله وثيابه وطعامه وشرابه لا يتميز عنه بشئ من ذلك وهذا عسر على أمثالنا
فمن عقل العاقل أن يشكر من فضل الله تعالى الذى نفر عنه أبناء الدنيا على أنه لا ينفر عنا
بكلام العدو والاكذاب فى محبتنا غير صادق فى صحبتنا فان المحب الصادق لا يصرفه صارف
ولا ترده السيوف والمتالف * فعلم ان كل من تكدر ممن نفر عنه أبناء الدنيا فى هذا الزمان فهو
جاهل بما ينفعه ويضره وأصل ذلك أنه يصحبهم لاغراض دنيوية ولو أنه كان يصحبهم للآخرة
ما تكدر ممن نفرهم عنه ووالله ثم والله انى لاحب الصاحب الذى لا يهدى الى هدية
ولا يمدحنى فى المجالس ولا يجاب أحد لصحبتى أكثر ممن كان بالضد من ذلك بل يضيق صدرى
من كل صاحب أهدى الى شيأ لانه أحوجنى الى مكافأته (وكان) سيدى على الخواص رحمه
الله تعالى يقول من علامات الفقير المرائى محبة من يرغب الناس فى محبته وبغض من ينفرهم
عنه انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة تحملى لهموم اخوانى وهروبى من هداياهم لكثرة
ما عندى من الشفقة والرحمة على جميع هذه الامة المحمدية لانى اذا كنت أحمل همومهم من
غير هدية فكيف حالى اذا قبلت منهم هدية فربما أكاد أذوب وأصير كالذى شرب رطلا من السم
وكثيرا ما يصيب أحدا ممن يهدى الى شيأ فيدخل على من الكرب والضيق ما لا يعلمه الا الله

تعالى

تعالى وأصير كأنى هو * وربما أشارك نحو خمسة عشر نفسا فى وقت واحد وكثيرا ما أحس
بأن جسمى على النار وتلحقنى الحمى من فرقى الى قدمى فلا أستطيع أن اجلس على الارض
وانما اضطجع حتى يزول ذلك الكرب عن ذلك الاخ وفى المثل السائر من أكل الخفار
رد الغارة (وقد رأيت) فى واقعة لما نزل بأهل مصر التفتيش فى رزقهم وتوقف غالب خراجهم
وذلك فى سنة ثمان وخمسين وتسعمائة انى راكب على حصان أدهم مثل الفيل العظيم وبين
يدى على ظهر ذلك الحصان أيضا ثلاثة جمال كل جمل كأكبر ما يكون من الجمال فبينا أنا راكب
كذلك اذ رأيت الجبل المقطم انفلق ثلاث فلقات فطارت فلقة منها حتى نزلت على كتفى الايمن
ثم ان مصر انقسمت ثلاث فلقات فطارت فلقة وهى ثلث البلد حتى نزلت على ظهرى هذا
والحصان تحتى حامل هذه الاثقال العظيمة وهو يعدو بها كأنه ليس على ظهره شئ من شدة قوته
فقصصت ذلك على بعض أولياء العصر فقال لى هذه صورة حالك ثم قال لى والله انى لا أعلم أحدا
الآن فى مصر أكثر تحملا لهموم الناس منك فالله تعالى يعينك ويدبرك بحسن التدبير انتهى
(واعلم) يا أخى ان مقام تحمل هموم الناس ليس هو لكل الفقراء وانما هو لافراد منهم ممن كمل
ايمانه كما أشار اليه حديث الطبرانى وغيره مرفوعا مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد
الواحد اذا مرض منه عضو تداعى له جميع الجسد بالحمى والسهر انتهى * وقد كانت هذه
الحالة وظيفة سيدى على الخواص رحمه الله تعالى فورثتها منه بعد موته كما ورثها كذلك عن
سيدى ابراهيم المتبولى بعد موته * وقد قال لى فى حال حياته ان طال عمرك فسوف تكون قطبا
لهموم الناس فربما ترادفت عليك حملات الناس حتى تصير تصيح من خلف سبعة أبواب
(وكان) ذلك قبل أن أعمر الزاوية والبيت فعددت الابواب التى أنا خلفها الآن فوجدتها سبعة
كما قال الشيخ رحمه الله تعالى (وكان) من شأنه رضى الله تعالى عنه اذا نزل بالناس هم
أن لا يتهنأ بأكل ولا شرب ولا نوم ولا يلبس ثوبا نظيفا ولا يبخر ولا يدخل حماما ولا يبنى حائطا
ولا يفصل ثوبا جديدا فلا يزال كذلك حتى يزول ذلك الهم عن المسلمين أو يشتغلوا بهم غيره
فيأخذه نفسا ويرجع الى حالته الاولى من ترك هذه الامور * وهذا الامر قل من يفعله الآن
من الفقراء المتمشيخين وغاية أمر أحدهم أن يتوجع لك باللسان فقط أو يشتغل بك حال
جلوسك عنده فاذا فارقته نسيك وأكل وانبسط وضحك وربما يعترض عليهم معترض فيقول
التسليم لله تعالى أولى فيقال له تحمل هموم الناس لا ينافى التسليم لله تعالى فافهم * وقد بلغ
الناس فى خلو القلب من بعضهم بعضا الى حد لا يوصف صاحبه بعقل وذلك ان بعضهم جعل
مثلهم كمثل شخص رأى شخصا خرج صرمه من دبره وصار مدلى فوقف عليه شخص وقال بالله
عليك أعطنى هذا الصرم المدلى لاطعمه القطى فمثل هذا يقضى العقل بأنه ليس عنده ذرة
من تحمل هم أخيه المسلم وهذا وان لم يصح وقوعه فهو مثال قد تصوره العقل على كل حال
فالحمد لله الذى جعلنى ممن يحمل هم المسلمين * وقد أخبرنى بعض أهل الكشف ان احمرار الماء
الذى تحت بيتنا فى الخليج انما هو من كثرة الهموم النازلة على وقال لى انظر ماء الخرارات التى
فى الخليج كلها فلا تجد منها ماء يحمر سوى ما كان تحت بيتك والله أعلم بالحال فاعلم ذلك ترشد
والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كراهتى للجواب عن نفسى اذا انتقصنى منتقص الا لمصلحة شرعية ترجح على السكوت بل أقول لها جميع ما يقوله الناس فيك بعض صفاتك الخبيثة فأكون معهم على نفسى * وقد قال تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله بعد قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فأول الآية مداواة لضعيف الحال الذى لا يحتمل اضافة السوء اليه وآخر الآية خاص بقوى الحال الذى رضى بعلم الله تعالى فيه ولم يراع مقامه عند الخلق فافهم * وقد قدمنا فى المنن السابقة ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على عدم انتصارى لنفسى ولو بوكيلى أو بتوجهى الى الله تعالى فى ذلك الشخص الذى آذانى وهو مخصوص بما اذا لم يترتب على الانتصار مصلحة أما اذا ترتب عليه مصلحة كخوف تزلزل قلوب المريدين عن الاعتقاد فينا اذا سكتنا لظنهم ان ذلك الامر الذى نقصنا به ذلك العدو فينا فيعدمون النفع بنا وصورة جواب أحدنا عن نفسه اذا انتصر لها بالشرط السابق أن يقول أنا بحمد الله تعالى معافى من مثل ذلك الآن ولا أدرى ما يقع لى فى المستقبل ولا ينبغى لاحدنا أن يتعرض لتنقيص من نقصه بوجه من الوجوه لا تعريضا ولا تصريحا بالحديث ولا تخن من خانك فافهم فان من قابل من سبه مثلا بمثل سبه فاذا أنكر عليه وقد فعل هو مثل فعله (وكان) بعضهم يقول ان الله تعالى ما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها الا تنفيسا للضعفاء كما مر آنفا فترى أحدهم يستريح فى نفسه اذا قابل المسىء بمثل اساءته * وأما الاقوياء فرضوا بالعفو والاصلاح وأن يكون أجرهم على الله تعالى وقالوا قد فهمنا من الآية انه تبارك وتعالى يريد منا الاحتمال لمن أساء علينا وعدم مقابلته محبة لنا حتى لا نكون من أهل السوء ولو بالاسم فقط لانه تعالى قال وجزاء سيئة سيئة مثلها فسماها سيئة وأكدها بمثلها ليتنبه العارفون لما فهمناه مع أن وقوع المثلية منهم متعذر جدا لانه يشترط فى المثلية أن لا تزيد سيئة المجازاة حرفا واحدا على السيئة الاصلية وأن تكون حروفها حروفها فتكون كالحكاية لكلام العدو وأن يقع التأثير مثل التأثير وأن يتحد أهل المجلسين فيكون أهل سيئة البداءة هم الحاضرون حال سيئة المجازاة بعينهم وأن يكون المجازى اسم فاعل مكافئا للمجازى اسم مفعول فى المقام فان الاكابر من أهل الدنيا قد يتأثر أحدهم بكلام قيل فيه أكثر مما يتأثر الاصاغر لقلة ادمانهم على الاذى ولندرة من يؤذيهم خوفا منهم أو رغبة فى مالهم ولا هكذا الاصاغر فلما رأى أهل الله تعالى تعذر المثلية فى سيئة المجازاة كما ذكرنا تركوا مقابلة أحد بسوء احتياطا وخافوا اذا جازوا أحدا بسوء أن يكتبوا من أهل السوء من حيث ان الله تعالى خلع على سيئة المجازاة اسم السيئة وان كانت غير سيئة عند غيرهم من الضعفاء من حيث ان الله تعالى أباحها لهم (وكان) أخى الشيخ أفضل الدين يفرح بمن ينقصه فى المجالس ويقول هذا رسول من عند الله ألهمه الحق تعالى أن يقول فى ما قال حتى لا أستحسن شيأ من أحوالى فأهلك ولا أشعر وكان يتكدر ممن يشكره فى المجالس ويقول انه رسول ابليس أرسله الى ليستدرجنى حتى يدخل على العجب بأحوالى انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شكرى لله تعالى اذا انتقصنى أحد من الاعداء بما لم يقع منى فى الخارج لانه نفعنى على كل حال بتحذيرى من الوقوع فيه فى المستقبل وتقبيحه فى عينى ومن كان مشهده الشكر على ما ذكرناه فلا يصح منه تكدر ممن أضاف اليه أعظم النقائص وذلك

لعله

لعله بعدم عصمته أولا ولرضاه بما يفعله ربه عز وجل معه ثانيا ولعدم مراعاته الخلق ثالثا فهو لا يستبعد أن يقع فى أعظم ذنب يكون على وجه الارض فان طينة الخلق ما عدا الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام واحدة تجيز أن يقع الولى فيما يقع فيه الفاسق * وأما قول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار فلا ينافى ما قلناه لان صاحب هذا المقام لم يستغضب اذ لا يغضب الكامل الا لله والمفروض هنا انما هو عند الكامل من باب التنقيص بحق لغير من يكره ذلك وذلك غير مسخط لله كما أشار اليه حديث الغيبة فى قوله صلى الله عليه وسلم ذكرك أخاك بما يكره أما لو نسب الى الكامل ما لم يكن فيه فغضب فغضبه حينئذ انما هو لكذب المنقص خوفا على دينه وذلك غضب محمود وتركه مذموم وعليه يحمل بعض الاكابر فقد يغضب أحدهم حينئذ مع التحمل وعدم المقابلة لا لتألم نفس الغضب منه وانما قلنا يحتمله ولا يقابل من أغضبه باغضابه كما أغضبه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من شرط المؤمن الكامل ان يرى جميع الصفات الحسنة والقبيحة كامنة فيه ككمون النخلة فى النواة فاذا مدح الى الطرف الاقصى فلا يزداد علما بصفاته الحسنة وان ذم الى الطرف الاقصى فلا يزداد علما بصفاته السيئة لشهوده بأن جميع الصفات تشرق وتغرب فيه وكل ما مدحه الناس به أو نقصوه به دون ما يشهده هو من نفسه انتهى * وقد رأيت فى المنام لوحا نزل من السماء من ياقوت أحمر مكتوب فيه بالاخضر ما نصه حكم طينة الخلق ما عدا الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام حكم الطينة التى جمعت من سائر الاجسام والجواهر والاعراض حتى صارت روحا واحدة ففى كل ذرة من كل ذات من الصفات مجموع ما تفرق فى غيرها ولكن ما دامت العناية الربانية تحف العبد بالحفظ فالصفات المحمودة كلها مستعملة والمذمومة كلها متعطلة فاذا تخلفت العناية عنه قامت الصفات المذمومة كلها للاستعمال وتعطلت الحسنة عن الاستعمال (ومن هنا) كان غير الانبياء والملائكة لا يوصف أحد منهم على التعيين بالعصمة لتداول الصفات وتعاقبها عليه فتارة تجد الولى بخيلا وتارة كريما وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة زاهدا فى الدنيا وتارة راغبا فيها وهكذا وما خرج عن حكم هذه الطينة الا المعصومون كما مر وذلك ان الله تبارك وتعالى طهر طينة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بسابق العناية الربانية من سائر المعاصى والرذائل لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه وبما قررناه يعلم ان الصفات المذمومة تدق مع الولى بحسب المقامات التى يترقى اليها ولا تنقطع عنه بالكلية كما قد يتوهم ولو أن من ظن انقطاعها عنه كان حقق النظر لوجدها فيه ولكنها دقت وخفيت لغلبة عسكر الطاعات عليها (وقد) شرح العارفون على من قال فى كتابه باب علاج الكبر باب علاج الحسد ونحو ذلك الا أن يكون مراده بالعلاج ان تلك الصفة تخمد ولا تزول وايضاح ذلك ان ما كان من أصل النشأة فمحال أن يزول الا بانعدام الذات وذلك بزوال نشأة الدنيا واتيان النشأة الاخروية حين يدخلون الجنة فافهم * وليعلم البكاؤون ان نشأتهم فى هذه الدار مجموعة من اضداد وانه لم يرمهم قط أحد بشىء الا وهو فيهم من أصل تلك النشأة لم يتكدروا كل ذلك التكدر ممن رماهم لانه ما رماهم الا بما هو فيهم ظهورا أو كونا وانما أقيمت الحدود على من رمى أحدا بما لم يثبت عنه دفعا للفساد لانه ما كل

أحد يكشف له عما قلناه حتى يسامح من قذفه مثلا فافهم بخلاف العارفين بأنهم يرون الجزء الذى فى طينتهم من البشرية يتزيد ولا ينقطع كما مر ولذلك وضع الكاملون الزاهدون فى الدنيا عندهم بعض دراهم دائما تسكينا لذلك الجزء الذى يضطرب ويحجب عن شهود القسمة الالهية وانه قد فرغ منها ودفعا لذلك الجزء الذى يهتم بأمر الرزق ولا يقنع بالقسمة (ومن هنا) أيضا أطعموا انفوسهم اللذيذ من الطعام والشراب والبسوا ذاتهم الثياب النفيسة وناموا على أوطا الفراش بعد طول مجاهداتهم اعطاء لذلك الجزء الذى فيهم حقه (ومن هنا) أيضا أكثروا من الاستغفار عما هو كامن فيهم من المعاصى وان كان الحق تبارك وتعالى قد تجاوز عنهم فى ذلك كما وردت به الاحاديث فافهم ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) العفو والصفح عن جميع من جنى على فى بدن أو عرض أو مال من جميع هذه الامة المحمدية من طلبة العلم والفقراء والتجار والمباشرين والامراء وسائر المكلفين اكراما لله عز وجل من حيث كونهم عبيده ثم اكراما لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونهم من أمته لا لعلة أخرى هذا هو الباعث لى الآن والله على ما أقول شهيد وأرجو من فضل الله تعالى دوام هذه النية حتى أقف بين يديه تعالى للحساب وذلك ليعاملنى بنظير ذلك ان شاء الله تعالى وانما عممت الحكم بالعفو والصفح عن سائر المكلفين من هذه الامة المحمدية لعلمى بأن اسمى صار مشهورا فى مصر وقراها والشام والحجاز والروم وبلاد المغرب فلا يقع لى فى مصر حركة الا ويعلم بها أهل هذه البلاد لكثرة من يرد على مصر منهم ولما دس على الحسدة العقائد الزائغة فى بعض مؤلفاتى فلا يعلم عدد من اغتابنى الا الله عز وجل وقد سامحت الكل من علمت منهم ومن لم أعلم وأشهدت الله وملائكته وأنبياءه وجميع خلقه حتى الكفار على ذلك لعلمى بأن كل شاهد لا بد ان يؤدى شهادته فى ذلك الموقف الاهول ولذلك أشهد هود عليه الصلاة والسلام قومه بأنه برىء مما يشركون من دون الله مع انهم كفار بقوله انى أشهد الله وأشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه ويؤيد ذلك ما ورد من كون ابليس اذا سمع الاذان ولى وله ضراط حتى لا يسمع المؤذن فيضطر الى الشهادة له بالتوحيد وهو لعنه الله ابن لهذا الخبر البنا قطعا فهذا سبب قولى حتى الكفار فافهم (فعلم) مما قررناه انى لا أطالب أحدا بحق فى الدارين ولو جئت يوم القيامة مفلسا من سائر الحسنات لا أرجع عن صفحى ومسامحتى لمن جنى على ان شاء الله تعالى وهذا الذى فعلناه أولى ممن توقف عن الصفح عن الجانى فى دار الدنيا وقال لا أصفح عن أحد حتى أعلم حالى يوم القيامة فان سامحنى الله من فضله سامحت وان ناقشنى ولم يصفح عنى شاححت وأخذت من حسناته ووضعت عليه من أوزارى ان فنيت حسناته كما ورد فى الاخبار لان من سامح الناس استحق من فضل الله المسامحة من الله يوم القيامة فليظن العبد بالله خيرا ولا يتوقف على تجربة الله تعالى فانه نقص فى الدين الا أن يكون ذلك لغرض شرعى كأن يمتنع من مسامحة خصمه ليقبح فى عينه الوقوع فى غيبة الناس ونحو ذلك كما كان عليه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى وصنف فى ذلك كتابا سماه تأخير الظلامة الى يوم القيامة لكن أخبرنى الشيخ أمين الدين الامام بجامع الغمرى انه سمع الشيخ

جلال الدين يقول وهو محتضر اشهدوا على أنى سامحت جميع من وقع فى عرضى من حين بلغنى الخبر عنهم وانما أظهرت لهم عدم المسامحة زجرا لهم عن الوقوع فى أعراض العلماء انتهى (ونقل) الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى الفتوحات المكية عن عبد الله بن عباس ومحمد بن سيرين رضى الله تعالى عنهما أنهما كانا لا يسامحان من اغتابهما ويقولان ان الله تعالى قد حرم اعراض المؤمنين فلا نبيحها ولكن غفر الله لك يا أخى انتهى وقد عد العارفون ذلك من الورع الدقيق وايضاح ذلك ان كل معصية تتعلق بالآدمى فيها حقان حق لله وحق للآدمى فحق الله لا يصح من العبد المحاللة لصاحبه فهو باق على حرمته لا يباح بالاباحة واما حق الآدمى فيصح من العبد المسامحة فيه ثم من الادلة على ندب العفو قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله صلى الله عليه وسلم وما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا ومفهومه ان من لم يعف عمن ظلمه لا يزداد الا ذلا أى انخفاضا من المقام الاعلى وهو العفو فهو ذل بالنسبة لمقام العافين (وقد جربت) أنا فى نفسى ذلك فما أنفذ غضبى فى أحد أو أؤاخذه لحظ نفسى الا وأحس بطرد قلبى عن حضرة الله عز وجل كالشياطين وكفى بذلك ذلا وما صفحت وعفوت عن أحد الا وأحس بزيادة العز بذلك بين يدى الله تعالى وعند خلقه وحصل لى بذلك ادمان كبير حتى ان العفو صار عندى أحب من المؤاخذة ولم أزل من منذ اكتسبت الفضائل يقوم لى فى مصر حاسد بعد حاسد يؤذينى ويفترى على ما لا يليق بى الى وقتى هذا وذلك اما لرفع درجاتى وأما لتكفير سيآتى واما عقوبة لذنب وقعت فيه ولم أحتفل بأمره أحصاه الله على أو غير ذلك وما أظن أن أحدا من أقرانى سلم من الوقيعة فى عرضى الا القليل لا سيما مجاورين الجامع الازهر فان معظم الفتنة كانت فيه لما دس الحسدة فى كتبى ما دسوا وداروا بتلك الكراريس فى الجامع الازهر كما مر تقريره فى هذا الكتاب (وممن) حماه الله تبارك وتعالى من الوقيعة فى عرضى شيخ مشايخ الاسلام الشيخ ناصر الدين اللقانى والشيخ شهاب الدين الرملى والشيخ شهاب الدين بن الشلبى والشيخ نور الدين الطندتائى والشيخ شمس الدين الخطيب والشيخ سراج الدين الحانوتى والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ شمس الدين البرهمتوشى والسيد الشريف يوسف وجماعة ذكرناهم فى الطبقات فالله تعالى يحميهم من كل سوء الى يوم القيامة وينفعنى ببركاتهم آمين وأعرف جماعة يعتقدون فى السوء الى وقتى هذا وما منهم أحد اجتمع على فالله يغفر لهم ويسامحهم آمين (ولما) صفحت عمن لاث بى من أهل الجامع الازهر رأى الشيخ محمد التلاوى المالكى أنى راكب على فرس عظيم والشيخ شهاب الدين البلقينى ماسك بلجام الفرس وجميع أهل الجامع الازهر يمشون بين يدى فقال شخص للشيخ شهاب الدين من هذا فقال هذا عبد الوهاب شفع فى أهل الجامع الازهر وهو ذاهب بهم الى الجنة انتهى ثم الذى فهمته من امساك الشيخ شهاب الدين البلقينى اللجام انما هو ليعلمنى التواضع خوفا على من العجب فانه أعلى مقاما منى بيقين (وكذلك) رأى الشيخ سعد الدين الصناديدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حاضننى فى حضنه وثدياى يتفجران

لبنا والناس يشربون حتى عم نحو مائة ألف نفس وسيدى أحمد البدوى رحمه الله تعالى واقف يقول للناس زوروا ذلانا يحصل لكم بركته فرجع خلق كثير عن الانكار على لاعتقادهم صدق الشيخ سعد الدين المذكور فاعلم يا أخى ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين * واعلم يا أخى ان مقام العفو والصفح عن جميع الامة كما ذكرناليس هو لكل فقير وانما هو لافراد منهم لاسيما من يزعم انه يحب الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم فان مؤاخذة أحد من عبيده تعالى أو من أمة نبيه صلى الله عليه وسلم يجرح مقام المحبة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولو انه كان صادقا لاكرم الخلق لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فان من كمال الفقير أن يكون مشهده دائما انه فى حضرة الله عز وجل فان حجب عنها ففى حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم فان شهد أنه فى حضرته جل وعلا اكرم عبيده أو فى حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم أكرم أمته ومن يحبه ومن خرج من حضرة الله تعالى وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو فى حضرة البهائم لا يقدر على مسامحة أحد غالبا على أن مشهد الكمل دائما شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضرة الله عز وجل فلا يشهدون الله الا ويشهدون رسول الله صلى الله عليه وسلم معه تعالى وبالعكس (وقد) سمع أخى الشيخ أبو العباس الحريثى رحمه الله تعالى شخصا يقول لآخر والله لا أبرئ ذمتك لا دنيا ولا آخرة فقال له اعزم على الخير أولى أما تستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير يفك الناس من بعضهم بعضا يوم القيامة وأنت تعقدهم وتربطهم بعشا محتك فقال الشخص تبت الى الله تعالى وسامح أخاه فى الدنيا والآخرة انتهى وبالجملة فلا يقدر على التخلق بهذا الخلق الا من صار أرحم بخلق الله من أنفسهم وحققه العناية فى التعظيم لجناب الله تبارك وتعالى والاكرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مسامحة كل من اغتابنى بعد موتى أو فى حياتى ولم تبلغنى غيبته لانى وان لم أعلمه فالله يعلمه وانما عينت من اغتابنى بعد موتى فى الذكر وان كان داخلا فى ترجمة المنة السابقة قبله لانى سمعت بعض الناس يستغيب الميت بعد موته ومابقى يتصور من ذلك الميت براءة ذمة له ولا مسامحة ولا عفو ولا صفح الا يوم القيامة فتصير ذمته مشغولة الى يوم القيامة والحق تبارك وتعالى يكون غير راض عنه حتى يسامحه خصمه أو حتى يصالح الحق تعالى بين عباده (ومما وقع) لى ان بعض الاقران ممن ينسب الى العلم والصلاح فى الجامع الازهر غلب عليه الحسد حتى اشاع عنى فى الجامع الازهر وغيره أنى مت وقال أخبرنى جماعة ثقات ان فلانا مات فجأة وأرسل بذلك كتبا الى دمياط والمحلة والاسكندرية فارسلت فبحثت عن سبب هذه الاشاعة فاخبرنى بعض من يجتمع على ذلك العالم فقال لى سمعته يقول انما فعلت ذلك لانظر ما يقول الناس فى فلان اذا مات فحمد الله تعالى لم يقل الناس الا خيرا فازداد ذلك الحاسد هما وغما (وقد بلغنا) وقوع مثل ذلك للشيخ برهان الدين البقاعى رحمه الله تعالى مع حساده فانشد رحمه الله تعالى وهو لسان حالى أيضا

الارب شخص قد غدا لى حاسدا * يرجى مماتى وهو مثلى فانى
وياليت شعرى ان أمت ما يناله * وماذا عليه لو اطيل زمانى

وما يبتغى الحساد منى واننى * لفى شغل عنهم بأعظم شانى
نعم اننى عما قريب لميت * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
كأنك بى أنعى لديك وعندها * ترى مصر عاصمت له الاذنان
فلا حاسد يبقى لديك ولا قلى * فتنطق فى مدحى بأى معان

الى آخر ما قال رحمه الله تعالى وانما كان الحاسد يمدح المحسود بعد موته غالبا لان فضائل المحسود كلها لا تظهر الا بعد موته حين يذهب الغل والحسد ويطلق الله الالسنة فى مدحه فلا يسع الحاسد الان يوافق الناس قهرا عليه بخلاف ما دام المحسود حيا فان غالب فضائله لم تظهر فهو ينقصه فى المجالس ويقول لعلى أقبل واذا قام الحسد فى باطن انسان صار ذلك الحسد حجابا على القلب فيمنع صاحبه من شهود فضائل ذلك المحسود وربما كانت النقائص التى ذكرها الحاسد هى من صفاته هو دون المحسود لان المؤمن مرآة المؤمن ولا ينظر الانسان فى المرآة الا وجهه ونفسه ولو انه جهد كل الجهد أن يرى جرم المرآة لا يراه لان صورة نفسه حاجبة له عنه فاعلم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مسامحتى لجميع من سمع بغيبتى وصدق المغتاب فيها من المستمعين والمتمورين الذين يحضرون مجالس الغيبة غالبا فيصدقون ذلك المفترى الكذاب الحاسد ويصيرون يقولون وقع اليوم كذا وكذا من فلان فى حق فلان فبعضهم يرد ذلك وبعضهم يقبله ويقول ما كنا نظن ان فلانا بهذه المثابة كان ذلك ثبت عندهم بحكم شرعى وقل من يسلم من مثل ذلك وانما سامحت هؤلاء لانهم تعدوا حدود الله بسببى فلولا وجودى ما وقعوا فى الاثم فخفت على دينهم أن ينقص باستماعهم لغيبتى وقبولها من الحاسد وهذا الخلق غريب فى أهل هذا الزمان فلا يكاد أحد ينظر الى وجه من استغابه ولا الى من صدق فيه النقائص ولا يقدر على التخلق به الا من تواترت مراقبته لله تبارك وتعالى بحيث غلب عليه مراعاته والاكتفاء بعلمه وعدم طلب مقام عند أحد من عبيده والا فمن لازمه غالبا عدم المسامحة فعلم ان كل من كشف حجابه وجد كل ما يقع فى الوجود بمرأى من الله تعالى ومسمع ورأى جميع من يستهزئ به ويؤذيه بغير حق تحت قهر الارادة الازلية وان الله تعالى غضبان عليهم واذا كان الامر كذلك فمن المتأكد على من نور الله تعالى قلبه وجعل فى قلبه الرحمة ان يشفع فيمن غضب الله تعالى عليه بسببه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أدب الفقير اذا آذاه جماعة وتعدوا حدود الله لاجله ان يشفع فيهم عند الله تعالى ويقول يارب ارض عنهم فانى قد رضيت عنهم لاننا كلنا عبيدك كالايتام فى حجر الولى الشفيق ومن كان هذا مشهده يحمل الاذى من جميع عباد الله تبارك وتعالى والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم جوابى عن نفسى حياء من الله تعالى لا لعلة أخرى وكراهتى للجواب عنى الا أن يترتب على ذلك مصلحة دينية ترجح على ترك الجواب (وقد رأيت) مرة شخصا يشتم أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى فصار يتبسم ويقول للشاتم على مهلك اشتمنى وأنت مطمئن على نفسك فانى والله أتأثر على ازعاجك نفسك حال شتمى أكثر من تأثرى بشتمك لى فقلت له هذا خلق حسن فقال صحيح ولكن لا يقدر على التخلق به الا من عظمت

مراقبته لله تعالى فكل من ادعى انه مراقب لله تعالى فاشتمه على غفلة وانظر فان تأثر فهو كاذب

(واعلم) يا أخى ان من فوائد عدم جواب الانسان عن نفسه رضا الله تعالى عنه وتوفير أجره عند الله تعالى وعدم تحمل منة من يجيب عنه وان كان ذلك مشروعا له ومن تأمل وجد غالب من يجيب عنه انما يقصد المكافأة بذلك حتى ان بعضهم كان يجيب عن انسان فوقع أن ذلك الانسان سمع شخصا يغتابه فسكت ولم يجب عنه فعاداه وصار يمن عليه ويقول كيف تسمع غيبتى فلم تجب عنى بكلمة وأنا عاديت فلانا وفلانا بسببك وكثيرا ما يجيب عنك صاحبك فى غيبتك فيحصل بينه وبين عدوك خصام فينساك ويصير يشتغل بالجواب عن نفسه ففى عدم تمكين مثل هذا من الجواب عنك سد باب خصومة الاخوان مع غيرهم بسببك (وقد كان) بين بعض وعاظ الجامع الازهر وبين واحد من اقرانه نفور وخصومة فسمع ذلك الواعظ خصمه يوما يذكرنى بسوء فعمل فى حق ثلاث مجالس يحط فيها على ذلك الذى ذكرنى بسوء فتأملت فلم أجد بينى وبين ذلك الواعظ تلك الرابطة العظيمة التى صار يحط على ذلك الشخص بسببها فقلت للشريف يوسف رحمه الله تعالى ما هذا الحال فقال شخص توصل بك الى غرض فاسد فى صورة حق انتهى وقد حضرت هذا الواعظ يوما متنكرا فرأيته يصفنى بالصلاح والولاية مع انى أعلم بالقرائن ان باطنه بخلاف ذلك فصار يقول كيف يدعى فلان العلم والصلاح وهو يجلس فى مثل الجامع الازهر ويستغيب الاولياء والصالحين أما علم هذا المغرور ان جميع ما يقوله فى درسه من العلم لا يجبى فى تطهير غيبة واحدة أما يعلم ان الغيبة وان كانت من الصغائر عند بعض العلماء فهى من الكبائر فى حق العلماء والصالحين أما علم ان المسجد حضرة الله فكيف يعصيه فى حضرته أما علم ان الله يمقت من يستغيب أحدا بغير حق فى بيته تعالى فكيف يدعى القطبية فلا زال يوبخه حتى كاد ان يخرجه عن دائرة الاسلام وقد جربت انا فرأيت ان عدم رد الجواب أقطع للعدو من الجواب فانه اذا رأى خصمه لا يجيبه استحى ضرورة منه ولو على طول ببركة صبره عليه ويقول لنفسه والله انك لظالم على فلان كم ذا تحطى فيه للناس وهو ساكت والله انه أحسن حالا منك وأكثر حياء وربما جاء ذلك الحاسد وصالحنى بعد ذلك ولو اننى كنت أقابله لدام الضرر على وعليه ولم يبد أنى يصلح أبدا لكونه يتذكر جنايتى عليه وينسى جناية نفسه كما هو الغالب فان قيل فما وجه أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه ان يجيب عنه الكفار فالجواب انما أمره صلى الله عليه وسلم بذلك مبادرة الى نصرة الدين وخوفا من تزلزل من كان أسلم قريبا لا تشفيا للنفس لانه صلى الله عليه وسلم معصوم من مثل ذلك بالاجماع وفى الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن قالت وكان لا يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله تعالى انتهى واعتقادنا واعتقاد كل مسلم فيه صلى الله عليه وسلم انه لو قام عليه أهل المشرق والمغرب بالاذى لاحتملهم اكتفاء بعلم الله عز وجل وان ضاق صدره من كلام قيل فيه فذلك لما يترتب عليه من مصلحة أتباعه شفقة ورحمة بهم كما فى قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فافهم ثم فى أمره صلى الله عليه وسلم حسانا ان يرد عنه استئناسا لضعفاء أمته الذين لا يقدرون على سماع كلام فى حقهم من غير أن يجيبوا عن أنفسهم بنفسهم أو بوكيلهم وفيه أيضا فتح باب الاقتداء به

صلى

صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك ليحصل لهم التأسى به بظاهر الفعل فقط دون قصدهم أمرا آخر كما نقل عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه انه لما وقع فى المحنة اختفى ثلاثة أيام ثم خرج فقيل له انهم الآن يطلبونك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختفى من الكفار لم يمكث فى الغار أكثر من ثلاثة أيام فلا أزيد على السنة انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياك أن تفرح بأحد يجيب عنك عدوا أو حاسدا فيتولد من ذلك شرور لا تحصى لا سيما والانسان كلما علا مقامه كثرت حساده وأعداؤه من الانس والجن وغالب القلوب اليوم فيها الشحناء والبغضاء لبعضهم بعضا فربما قصد أحد التشفى من عدوه فى حجة نصرتك والجواب عنك وسمعته رضى الله تعالى عنه يقول أيضا ما ثم أقطع لعدوك من الاشتغال بالله عز وجل كلما يشتغل هو بتنقيصك فان ذلك أقرب الى نصرتك من عمل المكايد والحيل انتهى فاعلم يا أخى ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شهودى ان كل ما يؤذينى به الناس من جملة المصالح لى لانه ربما كان عندى عجب بأحوالى فينبهنى هؤلاء بكلامهم الناقص فى عرضى على زلاتى ونقائصى فيزول عنى العجب كما مر ذلك مرارا ولو انهم كانوا محبين لى عادة لزادونى عجبا بمدحى فأهلكونى من حيث لا أشعر (وقد كان) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول عدو يوصلك الى حضرة الله تعالى خير لك من صديق يبعدك عن حضرة الله تعالى فاياك ومحبة من لقولك يسمع ولعملك ينشر فانه عدو فى صورة صديق وسيأتى ان شاء الله تعالى أواخر الكتاب ان كثرة المصائب والمحن فى هذه الدار دهليز يدخل العبد منه الى تحمل أهوال الآخرة ولولا ذلك لكان الانسان يذوب اذا شهد أهوال الآخرة لكونه لم يتقدم له ادمان فى دار الدنيا فافهم ترشدوا والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) شدة كراهتى لمن ينقل الى أخبار الناس الناقصة التى يستحى منهم أن يواجههم بها أو شدة زجرى للناقل حتى انه لا يعود الى مرة أخرى ثم انى أرجع على نفسى باللوم لكونى تماديت فى المقدمات حتى وجد الناقل لما نقله محلا بل كنت أدفعه بالقلب فلا يكاد يقدر أن يصل الى قط بكلام وايضاح ذلك انه لولا رأى محلى قابلا لقبول كلامه والاصغاء اليه لما نقل كلاما قط فاللوم على لا على الناقل ونظير ذلك أن الحرام كالسرقة والزنا مثلا لا يرمى العبد بهما الا اذا علم الرامى قبول الكلام فيه فاللوم على المرمى الذى تعاطى افعالا فيها رقة دين حتى صار الناس يقبلون ذلك فى حقه فتأمل فعلم ان من عقل العاقل تكذيب النمام ولو علم انه غير كاذب سدا لباب نقل الكلام له فربما نقل اليه كلاما فى حال قيام بشريته وتخلفت العناية الربانية عنه فيدخل عليه الكدر والغم وما هكذا فعل المحب ثم ان أقل ما فى نقل الكلام من المفاسد أن المنقول اليه الكلام الذى يؤذيه يصير كل قليل يتذكره ويقول فلان يقول فى كذا وكذا فربما لا يقدر بعد ذلك على ان يصفى له أبدا فيتولد من ذلك الحقد الذى هو تذكر السيآت ولا يخفى ما فى ذلك من مقت الله تعالى (وكان) أخى سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يشترط على كل من أراد صحبته أن لا يبلغه قط عن أحد سوءا ويقول كيف يدعى انسان محبة انسان ثم يدخل عليه الغم والهم وكان رضى الله تعالى عنه اذا سمع من أحد شيئا يسوء صاحبه

لو سمعه ينقله بضد ذلك و يقول سمعت فلانا يذكرك بخير وقد ظهر لى انه يحبك فقلت له فى ذلك فقال سمعته يدعو للمسلمين وهو يذكر بخير والرجل منهم وقصدت بذلك ادخال السرور عليه وتميل خاطره الى زوال ماعنده من الشحناء أو البغضاء طلبا لمرضاة الله عزوجل واما قولى ظهر لى انه يحبك أى أرجو له من الله حسن الحال فى المستقبل ومن شرط المسلم أن يقرب بين الاخوان اذا تباعدوا كما ورد فى الحديث وفى الحديث أيضا مرفوعا الا أدلكم على شر عباد الله فقالوا بلى يارسول الله فقال شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الطالبون للبراء العيوب وفى الحديث أيضا لاتبلغونى عن أصحابى الاخيرا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وسبب ذلك كما فى سياق الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قسم ذهبا بين أصحابه ثم دخل بيته فقال رجل من القوم والله هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم بادر ذلك السامع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان فلانا قال كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر لاتبلغونى عن أصحابى الاخيرا الحديث وقد جربنا ان كل من صغا الى النمام كثرت أعداؤه بخلاف من كذب النمام فان الناس لابدانهم يتكلمون فى الانسان من ورائه بما لايواجهونه به حتى السلطان ومن طلب ان تكون الناس من ورائه مثل حالهم معه فى حال مواجهتهم له فقد رام المحال وفى الحديث عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا من ذنب فليقبله محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض وفى كلام الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

(وكان) سيدى الشيخ أبو الفتح الغمرى رضى الله تعالى عنه اذا نقل أحد اليه نميمة يأمره بالجلوس ثم يرسل الى من نقل النميمة عنه فاذا حضر قال له هذا قال عنك كذا وكذا أهو صحيح فيكلح الناقل فلا يعود بعد ذلك ينقل اليه شيأ وكان رضى الله تعالى عنه يقول انما أفعل ذلك من باب ظلم دون ظلم فلما علم النمامون منه أنه يفعل مع النمام كذلك انقطع عنه النمامون فاعلم ذلك والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أنى أحب ان أفدى جميع العلماء والصالحين بنفسى وأود ان أعداءهم يضيفون الى سائر النقائص التى ينقصونهم بها أو يجعلون كل ما يغتابونهم به فى لكونى أسامحهم بخلاف غيرى فربما شاححهم فى ذلك ولم يبرئ ذمتهم فى الدنيا ولا فى الآخرة كل ذلك محبة منى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم حملة شرعه واذا ظهرت نقائصهم قل نفع الناس بهم بخلاف ما اذا ظهرت كمالاتهم فان الناس ينقادون لهم ويقتدون باقوالهم وأفعالهم وهذا خلق غريب لايوجد الا فى افراد من الاقران فالحمد لله الذى جعلنى منهم فانى بحمد الله تبارك وتعالى أنشرح باضافة جميع النقائص الاسلامية الى لو خيرت بين اضافتها اليهم واضافتها الى وذلك لاتميزأنا بالنقص وتميزوا هم بالكمال ومن تحقق بهذا المقام فهو الذى يصلح للطريق وقد نسب بعض الاخوان الصادقين الى ضرب الزغل فشكوه وضربوه ونهبوا دلوه فشق

ذلك على وددت أن تلك النسبة كانت الى لانى لا أطاب عند هؤلاء الخلق مقاما ولا أنا عازم على انى أتولى ولاية تجرحها تلك النسبة ثم ان أصحابه تفرقوا عنه وصاروا يتبرؤن منه ويقولون للحكام انما كنا أصحابه من بعيد فلما رأيتهم فعلوا معه ذلك قلت لهم أف عليكم من أصحاب تصدقون فى شيخكم كلام الحسدة والاعداء ثم قبلت رجله بحضرتهم وقلت له جزاكم الله تعالى عن المسلمين خيرا ثم قلت لاصحابه ان هذا البلاء كان نازلا على مصر فحمله سيدى الشيخ عن الناس فالحمد لله الذى جعل فى عصرنا هذا من يتحمل عن جميع أهل مصر البلاء فما خرجت من عنده حتى عكف عليه أصحابه وتابوا الى الله تعالى ولم يفعلها أحد من اخوانه معه غيرى اما خوفا على نسبتهم اليه والى مارموه به واما أنهم قصدوا بذلك حصول الادمان له على تحمل البلايا الآتية أو نحو ذلك * فعليكم أيها الاخوان بمعونة اخوانكم اذا وقعوا فى البلاء والافلا تصحبوا أحدا فان كل من لم يدخل الى الصحبة وهو موطن نفسه على مشاركة أخيه فى البلاء ان لم يتحمله عنه كله فصحبته مدخولة وهذا هو الغالب على اخوان هذا الزمان فاذا وقع واحد من اخوانهم فى زلة أو رمى بتهمة فغاية أمر أحدهم أن يتوجع له باللسان فقط أو بالقلب ساعة ثم ينساه ويأكل ويشرب ويضحك ويجامع زوجته ويدخل الحمام وما عند أهل الجنة خبر من أهل النار وربما فرح بعض الاقران فيه وأظهر الشماتة وأشاع تلك الحكاية لكل من ورد عليه وان خاف من انكار الناس عليه ذلك يقول والله لقد تشوشنا مما وقع لاخينا فلان وربما انه ليس قصده الا اعلام الناس بما وقع لذلك الرجل لاغير وربما يكون أحدهم قلبه بذلك فرحان والناقد بصير * وقد درج السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم على فداء أصحابهم بأنفسهم فضلا عن تحمل كلام قيل فيهم (ولما) رمى الصوفية بالزندقة فى عصر الجنيد وقدموا للضرب أعناقهم بين يدى القاضى اسمعيل المالكى تقدم الشيخ أبو الحسن النورى للسياف وقال له اضرب عنقى قبل أصحابى فقال له السياف ما حملك على ذلك فقال لاوثر أصحابى على نفسى بحياة ساعة فان ذلك هو الذى بقى من فتوتى فبلغ السياف ذلك الى الخليفة فأمر باطلاقهم وقال اذا كان هؤلاء زنادقة فما بقى على وجه الارض مسلم انتهى فاعلم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكديرى عن رفع أحدا من أقرانى فوقى لاسيما ان كان من العلماء والصالحين بل أفرح لذلك وأقول الحمد لله الذى رفع قدرى حتى صلحت لانهم يفاضلون بينى وبين العلماء والصالحين فانهم لولا رأونى قريبا منهم فى المقام ما فاضلوا بينى وبينهم وانا أعلم من نفسى أنى بعيد من مقام العلماء والصالحين واذا جلست الى أحد منهم أصير فى غاية الخجل كالمكشوف السوأة ولذلك تركت الاجتماع معهم فى غالب المحافل التى لم تشرع (ولما) افترى على بعض الحسدة انى ادعيت الاجتهاد المطلق كما وقع للشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى بادرت الى الشكر وقلت الحمد لله الذى جعلنى فى أعينهم عظيما حتى افتروا على ذلك ولو أنهم رأونى قليل العلم ما افتروا على ذلك كما لا يفترون ذلك على العوام لبعدهم عندهم عن مقام المجتهدين وايضاح ذلك ان المفترى لا يفترى الا ما يظن أن الناس يقبلونه منه واما ما لا يقبلونه منه فلا يفتريه لعدم رواجه عند الناس ولذلك كان الغالب على من يرمى الصالحين

بالزور والبهتان ان يرميهم بالامور الباطنة كالرياء والنفاق ومحبة الرياسة ونحو ذلك دون ترك الصلاة وشرب الخمر والتعاون فى الناس عند الولاة ونحو ذلك فافهم (وقد كان) السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم يخافون من وقوعهم فى التفاضل بين الناس خوفا ان يقعوا فى الغيبة (ووقع) للامام سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه ان طبيبين يهوديين دخلا عليه فلما خرجا قال لولا أخشى أن تكون غيبة لقلت ان أحدهما أطب من الآخر انتهى واعلم انه لم يزل يقع بين أصحاب العلماء والصالحين المشاحنة والفتن من جهة رفع جماعة كل شيخ شيخهم على غيره فينبغى لكل عالم أو شيخ فى الطريق أن يزجر من يراه من اخوانه يرفعه على أحد من أقرانه ويقول أنا لا أصلح تلميذا له ويورّى فى ذلك ان احتاج الى التورية اما هضما لنفسه أو انه لعلو مقامه لا يصلح أن يكون تلميذا له وانما يصلح ان يكون شيخا له وقد رأيت فقيرا يقول لاصحاب شيخ من أقرانه ان شيخكم هذا لا يجىء قلامة ظفرى ولا شعرة من جسدى فما خلوا ولا بقوا من كثرة سبه فقلت لهم ان الشيخ صادق فان شيخكم لا يمكن أن يجىء فى قلامة ظفره ولا شعرة من جسده وكان لسان حالكم يقول انه يجىء فهو الى الصدق أقرب منكم فاستغفروا الله تعالى واعتذروا الى ذلك الفقير وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكذلك الفقراء ولما حضرت وفاة سيدى محمد ابن أخت سيدى مدين أذن لاثنى عشر رجلا انهم يسلكون بعده فى مصر فصارت جماعة كل واحد يقولون شيخنا أولى فبلغ ذلك سيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه وكان من جملة الاثنى عشر فقال لهم ابرزوا كلكم للطريق وكل من كان صادقا فسوف يظهره الله تعالى فان الطريق تعرف أهلها فبرزوا كلهم فتمزقوا كلهم ولم يثبت فى مصر الا سيدى على المرصفى رضى الله تعالى عنه فاجتمع الناس على جلالته وانقاد اليه الخاص والعام فعلم ان كل من تكدر ممن فاضل بينه وبين العلماء والصالحين فهو صاحب رعونة لم يشم من طريق القوم رائحة وقوله فى بعض الاوقات نحن لا نجىء تراب نعال الاخوان كذب ونفاق أو كان ذلك ثم زال فاياك يا أخى من مثل ذلك ثم اياك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ) كثرة اجلالى للعلماء والصالحين والامراء فلا أدعو أحدا منهم قط الى وليمة عملتها مثلا الا بشرط الاخلاص منى فى دعائهم وعدم رؤية نفسى بذلك على أقرانى كما يقع فيه بعض المتشبهين بالصالحين والمتمشيخين بالآباء والجدود فتقول الناس انه كان مولدا عظيما حضر فيه فلان وفلان بخلاف مولد فلان فانه لم يحضر فيه أحد من الاكابر وربما يكون حضور العلماء والصالحين والامراء يفوت عليهم مصالح أعظم من حضور ذلك المولد وربما انهم لم يحضروا الا بعد تقبيل أرجلهم وسياق الاكابر عليهم لا لمحبة فى صاحب المولد ولا اعتقاد فيه وينبغى ان يعمل له مولد ان يتوقى من مساعدة من فى ماله شبهة من الظلمة وأعوانهم ومن يعطى شيأ بعين الحياء ولا يقبل من أحد شيأ الا ما كان حلالا شرعا وليحذر هو وأصحابه من ذكر أحد ممن لم يساعده بشىء كبخل فربما كان ثواب المولد لا يفى بذلك وهذا الامر قد حدث فى بعض فقراء هذا الزمان ولم نر أحدا يفعل مثل ذلك من المشايخ الذين أدركناهم انما كانوا على قدم الورع والزهد والادب فعلم ان عمل الموالد لا يصلح الا لاكابر الاولياء والصالحين الذين

اشتهرت

اشتهرت كراماتهم ومناقبهم فى أقطار الارض كالامام الليث والامام الشافعى وسيدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى والسادات من بنى الوفاء والمشايخ الغمرية والمدنية والبكرية ونحوهم ممن يعمل مولده من ماله أو من وقف على ذلك ولا يحتاج الى مساعدة الظلمة له فى ذلك فان مثل هؤلاء هم الذين يصلح لهم عمل الموالد لانجذاب القلوب الى محبتهم والاعتقاد فيهم حتى لو قيل لاحدهم لا تحضر ذلك المولد لا يتركه ولو فى ليالى الشتاء لما يجد فى نفسه اذا حضر من الانس والمدد وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لفقير أن يدعو أحدا من العلماء والصالحين والامراء الى مولده الا بشروط منها أن يحضر ذلك الامير أو العالم أو الصالح بنية صالحة لا خوفا من جماعة صاحب المولد ان يلوثوا به ويذكروه بالسوء ومنها أن لا يقصد بكثرة دعاء الناس المفاخرة على أشياخ البلد الذين لا يعملون لهم مولدا أو يعملونه ولا يكثرون فيه من دعاء أحد بل يحضرهم الناس بنوع المحبة وقصد كثرة الرحمة على والدهم أو جدهم مثلا لا رياء ولا سمعة وكثيرا ما يقع الناس فى غيبة صاحب المولد ويقولون هذا المولد لغير الله انما عملوه رياء وسمعة لكثرة القرائن الدالة على ذلك ومنها أن لا يفوت ذلك العالم مصلحة أخرى أعظم من مصلحة حضوره فانه ربما كان مشغولا بتأليف كلام فى الشريعة أو تحرير فتوى تنفع الناس ونحو ذلك فيحضر من غير قلب ولا نية صالحة ورأيت بعض طلبة العلم اذا دعوه يأتى بكراريسه فيصير يطالع طول ليلته لا يلقى باله الى ما يفعل فى ذلك المولد فأى فائدة للحضور ومنها أن يغلب على ظن الداعى أن المدعو يجيبه للحضور لاسيما فى وليمة العرس فان لم يغلب على ظنه أنه يجيبه فقد يعرضه للاثم ان لم يحضر ولو أنه لم يدع الناس أو دعاهم على سبيل التخيير لم يكن بذلك باس ومنها أن لا يدع صاحب المولد الا من يعلم أنه اذا دعاه الآخر الى وليمته حضر فان غلب على ظنه ان أخاه اذا دعاه الى وليمته لا يجيبه فلا ينبغى له أن يدعوه لئلا يتحمل منته ويوقع الناس فى اللوث فيه لان هيئته حينئذ تصير كهيئة المتكبرين فيطلب من الناس الحضور عنده ولا يحضر هو عندهم وقد قال العقلاء

من جا اليك فرح اليه * ومن جفاك فصدّ عنه

أى عملا بالعدل فى ذلك من طريق المقابلة فاياك يا أخى أن تدعو أحدا الا بهذه الشروط ونحوها مما هو مقرر فى كتب الفقه وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول اياك أن تدعو أحدا من العلماء والصالحين الذين طعنوا فى السن الى حضور وليمة على سبيل البيات عندك فربما كان أحدهم به سلس بول أو له أعمال خفية لا يطلع عليها الا الله تعالى فيشق عليهم ذلك فان أظهر أحدهم عمله فى تلك الليلة للناس نقص أجره لان عمل السر يضاعف وان تركه بالكلية فاته الاجر ثم لا يخفى عليك أيضا أن من طعن فى السن فقد أشرف على معترك المنايا وضاق وقته عن حضور الموالد ونحوها من الاماكن التى يقرأ فيها القرآن العظيم فكيف بمن يدعو العلماء والصالحين الى زفة ختان أو تزويج فتأمل فان الزفاف انما يشرع حضوره للنساء فتزف الزوجة الى بيت زوجها اذا علمت ذلك فحرر يا أخى النية الصالحة فى عمل الموالد واجمع آلات الطعام من وجه حل وادع الفقراء والمساكين دون تخصيص وجوه الناس فانه أفضل لك وما رأيت مولدا أفضل ولا أخف كلفة من مولد شيخنا الشيخ نور الدين الشونى رضى الله

تعالى عنه فيتعشى أصحابه فى بيوتهم ثم يحضرون فيجلسون بين يدى قبره على طهارة مابين قراءة قرآن وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لله عز وجل من العشاء الى الفجر وما هنالك أحد يراعونه فى الحضور الا الله تبارك وتعالى فرضى الله عنهم وعن شيخهم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) رحمتى لعدوى وتأثيرى لاجله اذا نزل عليه بلاء لعلمى انه لا يخلو من حالين اما أن تكون عداوته لى بحق فكراهتى له حق ورعونة نفس واما ان تكون عداوته بغير حق فهو مسكين مبتلى فى دينه فالواجب على مسامحته ورحمته والدعاء له لا الغضب والدعاء عليه زيادة على ما هو فيه وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل حال الفقير حتى يصير جميع حركاته وسكناته فى كفة الحسنات فلا يتعطل العمل بشئ مما يزيد فى حسناته فلا ينقص له أجر ومما وقع ان الكاشف اسكندر بالغربية شكا الى من قاضى اقليمه فمات القاضى بعد ثلاثة أيام فجاء الى وحزن عليه فقلت له ما هذا الحال وأنت أمس تشكو منه فقال شخص أراد أن يؤذينى فما منعنى الله منه فكيف أتكدر منه ولا يدخل ولا ربط انتهى فأعجبنى قوة يقينه وقد بلغنا عن أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه انه كان يقول لو جلس عن يمينى أحب الناس الى يكلمنى بأطيب الكلام ويبخرنى بالند والعنبر ويطعمنى أطيب الطعام ويسقينى ألذ الشراب ثم جلس عن يسارى من كان بالضد من ذلك وصار يقرض جسمى بمقاريض من نار ما زاد عندى من على يمينى ولا نقص عندى من على يسارى لشهودى كلا الحالتين من الله عز وجل وهذا المقام لا يثبت فيه الا من كان مطمح بصره مبادئ الرأى ان كل شئ وقع له من الله تعالى قبل شهوده ذلك من الخلق وكل شئ فحينئذ يصير لا يلتفت الى الخلق فكل شئ شاء الله تعالى على يديهم من الاذى فهو فعل الله تعالى لا فعل الخلق ثم لا يخفى عليك يا أخى ان الانسان ولو بلغ فى العلم والصلاح مقام سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلابد له من محب ومبغض شاء أم أبى فمن الجهل أن يطلب الانسان من الخلق كلهم أن يكونوا محبين له فان ذلك لم يصح لاحد من الاكابر فضلا عن الاصاغر وكان شخص يبغض الامام عليا رضى الله تعالى عنه ويقع فيه ويجمعهما يوما مجلس فصار يثنى على الامام على فلما فرغ من ذلك قال له الامام انا فوق ما فى نفسك ودون ما تقول انتهى ولما استخفى الامام مالك رضى الله تعالى عنه أيام المحنة قال لابن القاسم ماذا تسمع الناس يقولون فى فقال من يحبك لا يذكرك الا بخير ومن يبغضك لا يخفاك حاله فقال الامام الحمد لله ما زال الناس كذلك لهم محب ومبغض ولكن نعوذ بالله من تتابع الالسنة كلها بالذم انتهى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) مبادرتى الى اقامة الحجة على نفسى دون الله عز وجل اذا ظلمنى ظالم فلا أقول قط العبد تحت التقدير أو الله فعال لما يريد ولا نحو ذلك مما فيه رائحة عدم اقامة الحجة على النفس وهذا المقام لا يثبت فيه الا من تحقق بمقام العبودية ذوقا وأما من تخلق به علما فقد يحجب عنه ذلك ويتوارى عنه عند وقوع نازلة عليه وقد وقع لسليمان بن مهران أنه خرج لصلاة الجمعة وعليه ثياب نفيسة فصبت عليه جارية من سطح غسالة تنظيف السمك فعمته من عمامته الى ذيله فتبسم فورا وكذلك وقع لمالك بن دينار رضى الله تعالى عنه الا أن الجارية

صبت عليه رمادا فبادر كذلك وقال لك الفضل يارب الذى صالحتنى على النار بالرماد انتهى وقد تقدم فى هذه المنن ان من الادب اذا نزل على العبد بلاء أن يتعرف سببه من الله عز وجل فان رأى سبب ذلك ذنبا بادر الى التوبة منه وان رآه اختبارا من الله تعالى له استعان بالله تعالى على دفعه عنه أو سأل الله تعالى الصبر عليه ان كان قد حق به التقدير فى علم الله عز وجل قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فعلم أن ذلك الظالم ما ظلمنا الا بذنوبنا وذلك فى الحقيقة جزاء على أعمالنا الاظلم لنا وان اشتغالنا بسب الظالم أو مقابلته جهل منا الغالظ حجابنا والا فلو رق حجابنا لرأينا حكم الظلمة فى هذه الدار حكم زبانية جهنم على حد سواء من حيث انهم ما عذبونا الا بذنوبنا وسوء أدبنا فكما لا يسمى الناس زبانية جهنم هنالك ظلمة فكذلك ينبغى لمن كشف حجابه أن لا يسميهم بذلك فان البحر واحد لكن لابد من نسبة الظلم الى من ظلمنا فى هذه الدار لاجل نسبة التكليف بخلاف الزبانية فانهم ليسوا فى دار تكليف فمن أراد أن لا ينزل عليه بلاء ولا يسلط الله عليه أحدا فليسد الباب الذى يدخل له منه الجزاء الذى يسوءه وذلك بترك المعاصى جملة فلا يكون فى ظاهره ولا فى سريرته شئ يكرهه الله أبدا وقد قالوا من عقل العاقل اذا أراد ان ينزح حوضا من الماء المنتن ان يسد الميزاب الذى ينزل منه ذلك الماء ثم ينزحه والا فكل شئ نزحه نزل من الميزاب بدله (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من جهل عظمة الذنب الذى وقع فيه وعوقب من أجله فلينظر الى كبر العقوبة وصغرها فان كانت العقوبة عظيمة فالذنب عظيم وان كانت صغيرة فالذنب صغير يعنى من حيث صغره فى رأى العين لا بالنظر لما عند الله تعالى فقد يؤاخذ الله تعالى العبد على ذنب صغير ويسامحه فى الكبير انتهى وقد ذكرنا فيما تقدم فى هذه المنن انه ليس لمن يدعى انه مظلوم دواء أنفع له من كثرة الاستغفار لان غالب العقوبات كالضرب والحبس والخزى انما هى من اثر غضب الحق تبارك وتعالى ولو لم يشعر بعض العبيد بذلك وما خرج عن هذه القاعدة الا الانبياء وكل ورثتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فليس ما يصيبهم عن اغضاب من الحق تبارك وتعالى لعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفظ الاولياء رضى الله تعالى عنهم وليس لمن أغضب ربه دواء الا الاستغفار فاذا أكثر العبد من الاستغفار الى الحد الذى يطفئ الغضب الالهى العارض له ذهبت عنه العقوبة من وقتها وقد علمت هذه الفائدة لكثير من أهل الحبوس فاسرع بخروجهم وقلت لهم اجعلوا وردكم الاستغفار ليلا ونهارا فان طول مدة الحبس قد تكون معلقة على ترك الاستغفار ليلا ونهارا وعدم رؤية الانسان ذنبه فيطول حبس أحدهم كما عليه أصحاب الجرائم الغلف القلوب فيقول أحدهم حبسونى ظلما لا ذنبا ولا سيئة ولذلك طال حبسهم ثم لا يخفى عليك يا أخى ان عقوبة أهل الله عز وجل أشد من عقوبة غيرهم لعلو مقامهم وعظم زلاتهم التى يستصغرها غيرهم بل ربما كان غير أهل الله لا يعدون ما يستعظمه أهل الله اذا وقعوا فيه ذنبا أصلا لصغره فى أعينهم والقاعدة أن كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته فربما يتناول أحد من أهل الله تعالى شهوة مباحة مرة واحدة فتقطع يده وربما يسرق غيرهم النصاب مرارا فلا تقطع له يد وقد غت مرة على جنابة فى ليلة عرفة فرأيت فى المنام كأنى تائه فى مكان خرب لا أهتدى للخروج منه ثم أتيت بإناء فيه خمر فشربت منه ثم حصل لى ندم فى النوم حتى كدت أهلك وقلت لنفسى

كيف تشير بى الحرف فى ليلة عرفة فلما استيقظت وعلمت ان ذلك فى النوم وفى عينى قطرة فرحت
بذلك وعلمت ان الميزان بالتأديب منصوب على رحمة بى وشفقة على لانى كاليتيم فى حجر تربية
وليه وولى اليتيم قد يضربه ليدفع عنه الوقوع فيما هو أشد من الضرب بخلاف من كان الحق
تبارك وتعالى غير ولى له فقد ينام على جنابة وغل وحقد وحسد وبغى وغش ومحبة للدنيا ونحو
ذلك ولا يريه الله تعالى شيأ من ذلك فى منامه فاياك يا أخى أن تقول هنيئا لاهل الله تعالى حين
تراهم مستريحين فى الظاهر من أمور الدنيا فان تعبهم فى الباطن لا يقاومه تعب فان كان ولا بد لك
من أن تغبطهم فاغبطهم على كثرة الطاعات والحمد لله رب العالمين فعلم ان قول العبد ان وقع
فى معصية ايش أعمل هذا كان مقدرا على قبل أن أخلق سوء أدب مع الله تبارك وتعالى لما فيه
من رائحة عدم اقامة الحجة على نفسه بل من الواجب عليه أن يفر الى الله تعالى ان يقيل عثرته
ويغفر زلته هذا هو الذى كلف به وبافشائه فى هذه الدار فان كون الامور بتقدير الله تبارك
وتعالى تحصيل الحاصل وقد قال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقال تعالى
وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم وقد ذم الله تبارك وتعالى الذين قالوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شئ نحن ولا آباؤنا وان كان ذلك القول حقا فى نفسه لكنه حق أريد به باطل وهذا
الخلق غريب فى الفقراء بل غالبهم يسلم لله تعالى على كره ويقول العبد مجبور فى عين اختياره
وربما ينشد قول بعضهم

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك ان تبتل بالماء

وربما قال أيضا المثل السائر يد لا تقدر على عضها قبلها ونحو ذلك وكل ذلك لا يجوز عند
المحققين لان فيه رائحة عدم اقامة العبد حجة الله على نفسه فاياك من مثل ذلك ثم اياك والحمد
لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حمايتى من اظهار الحسد لاحد من أقرانى اذا أقبلت الدنيا
وأهلها عليه دونى وكثر جاهه عند الامراء والاكابر لكثرة ما يرونه من أوصافه الجميلة بل ازداد
فيه محبة وتعظيما أدبا مع الله تبارك وتعالى الذى خلع عليه خلعة العز والقبول بين عباده لاسيما
ان رزقه كثرة العلم والعمل ولو تأمل الحاسد بعين الانصاف والعقل لرأى ان الحسد على مجالسة
ذلك الفقير لربه عز وجل صباحا ومساء وغير ذلك أولى من الحسد على مجالسة جندى من جند
السلطان كالباشا أو الدفتردار ولكن الحاسد أعمى عن أمور الآخرة فلا ينظر الا الى أحوال
الدنيا ولما طلعت فى حادثة للوزير على باشا بمصر فى سنة ستين وتسعمائة ثار الحسدة على بالحسد
من كل جانب حتى بعض العلماء والفقراء فقلت لهم كيف تحسدونى على اقبال جندى على
ومجالستى له ولا تحسدونى على مجالسة الله عز وجل ومجالسة رسوله صلى الله عليه وسلم فى أورادى
نحو خمسين سنة فخجلوا وهذا الداء قل من يسلم منه لغفلة غالب الناس عن الله تبارك وتعالى وعن
أحوال الدار الآخرة فترى أحدهم يكاد يتميز من الغيظ اذا رأى الامراء والاكابر عكفوا على
أحد من أقرانهم بالاعتقاد والمحبة ولا يتغير منه شعرة لو رآه جالسا فى ورده مع الله تبارك وتعالى
ليلا ونهارا ومن فعل ذلك مع أقرانه لا يزداد بذلك الا تأخيرا الى وراء ولو انه انصف لنظر فى
الصفات التى قدموا بها ذلك المحسود وفضلوه بها عليه وتخلق بها فربما كان يحصل له الاقبال

من

من الناس كذلك وان لم يكن ذلك مقصودا له بالاصالة لانه شوب من الرياء على ان كثرة اعتقاد
الناس فى العالم أو الصالح ربما ينقص به رأس ماله من الدين ويقال له يوم القيامة اذهب فقد
استوفيت أجر أعمالك الصالحة باقبال الناس عليك وتعظيمهم لك ونشاطهم فى قضاء حوائجك
ونحو ذلك فعلم ان كل من ادعى أنه من أهل حضرة الله عز وجل وحسد أحدا من الناس فهو
كاذب لان من شأن أهل الله تعالى انهم يعظمون كل من خلع الله عليه خلعة ومن لم يعظمه فهو
مطرود عن حضرة الله عز وجل عدو له تعالى وقد كان بشر الحافى رضى الله تعالى عنه يقول
أقدر بحمد الله تعالى على ان أرضى سائر الناس فى أمر الدنيا فكلما طلبوا منى شيأ تركته لهم
ولا أقدر قط على رضا حاسدى لانه لا يرضيه الا زوال النعمة عنى وذلك ليس فى يدى انتهى واعلم
يا أخى ان من علامة الحاسد أنه لا يقدر على أن يصور عليك بحق دعوى شرعية لا عند الله ولا
عند أحد من الحكام أبدا وانما يصير يذمك وينقصك فى المجالس ثم اذا قال له الناس أى شئ
بينك وبين فلان حتى وقع منك فى حقه هذا كله فلا يقدر يحرر عليك بحق دعوى تسمع أبدا
وربما يقول ما كل ما يعلم يقال وهذه ميزان تطيش على الذر فكل من رأيته بهذه الحالة فارح
نفسك من طلبك منه ان يصفو لك فانه كالمحال وانما قلنا أول المبحث حمايتى من اظهار الحسد
دون قولنا حمايتى من الحسد لعلمى بان فى كل انسان جزأ يحسد الناس لا يمكن ازالته منه
ولو جاهد نفسه الغاية وما خرج عن ذلك الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام لكن اذا اعتنى الله
تبارك وتعالى بعبد من عبيده عطل منه ذلك الجزء عن الاستعمال فيخمد لا غير فافهم ترشد
والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عدم تكدرى ممن نادانى باسمى المجرد عن الكنية أو اللقب
أو المشيخة أو السيادة أو نحو ذلك لعلمى بان نداء الانسان باسمه المجرد مما ذكرناه هو الصدق
المحض بخلاف الالقاب والكنى فانها ربما دخلها الكذب الا بتأويل بعيد وقل من يقبله من
الناس وقد درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم على محبتهم لنداء
بعضهم بعضا بالاسماء المجردة ويقول أحدهم لمن ناداه بذلك لبيك وماذا يغنى من فرح بقول
الناس له يا شمس الدين يا نور الدين يا سراج الدين وقد يكون سبق فى علم الله تبارك وتعالى انه
يكون فحمة من فحم جهنم وكان الحافظ عثمان الديلى والشيخ عثمان الحطاب يناديان بعضهما
بقولهما يا عثمان فيقول له الآخر مالك يا عثمان وكل منهما غافل عن اللقب والكنية رضى الله
تعالى عنهما وانما لم نقل بتحريم الالقاب لان الكذب فيها غير محقق فانه ربما يريد الانسان بقوله
لآخر يا شمس الدين أو يا نور الدين أنه به ظهور شعار الدين فى الجملة لانه ممن كثر به سواد الاسلام
وذلك لا كذب فيه كما فى نحو كمال الدين وقطب الدين مثلا أو يريد انه شمس دين نفسه أو نور دين
نفسه أو قطب دين نفسه فقط وهكذا فى سائر الالقاب ويؤيد ذلك قول بعض العارفين ان كل
مسلم له نصيب من سائر مقامات الاولياء ولا يصح تعريته عن المقام بجملة فهو يخاف الله على قدر
ما رزقه الله من الخوف ويزهد فى الدنيا على قدر ما رزقه الله من الزهد ويخشع لله على قدر ما رزقه
الله من الخشوع وهكذا وانما يقول بعضهم ليس عند فلان خشوع يعنى بالنسبة الى من هو
أخشع منه من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين فلاجل ما ذكرناه من احتمال الصدق قلنا

بعدم تحريم اللقب ثم لا يخفى ان هذا الكلام فى عرف هذا الزمان انما هو فى حق الاقران اما شيخ الانسان فمن الادب ان ينادى بلفظ السيادة والتفخيم والتعظيم كما درج عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم وقد نقل الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى ان أول لقب وقع فى الاسلام تلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بعتيق لعتاقة وجهه أى حسنه وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقب أبا بكر رضى الله تعالى عنه بالصديق وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه بالفاروق وعثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه بذى النورين وخالد بن الوليد بسيف الله وحمزة بأسد الله وجعفر بذى الجناحين ولقب الاوس والخزرج بالانصار فغلب عليهم ذلك اللقب ولقب الحسن البصرى محمد بن واسع بزين القراء ولقب سفيان الثورى المعافى بن عمران بياقوتة العلماء ومحمد بن يوسف بعروس الزهاد وكان لقب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ناصر الحديث وكان لقب ابن شريح الباز الاشهب انتهى والله أعلم فافهم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم نفرة نفسى من عشرة المخنثين لانهم أصحاب أمراض فربما ازدراهم أحد فابتلاه الله تعالى بمثل ما ابتلاهم ويسمى المرض بالابنة عند الاطباء وعلاج هذا المرض ان ينقع له جلود السمك القديد ثلاثة أيام ثم يغلى على النار ويحقن به ثلاث مرات فانه مجرب لزوال هذا المرض فان لم يطعنا فى مداواته فهو صاحب بلاء فى بلاء فعشرتنا له ومسارقتنا له بالنصح أولى من بعدنا عنه كما سيأتى بسطه فى نعمة خفضنا الجناح لاصحاب الكتب فراجعه وقد كان عطاء السلمى التابعى الجليل رضى الله تعالى عنه يعاشر المخنثين ويستخدمهم داخل البيت ويقول والله انهم أحسن حالا منى اذ لا امه أحد على ذلك وكذلك كان يفعل غيره ويقول اذا لامه والله انهم أطهر عندى من نفسى انتهى ثم ان هذا الخلق لا يقدر على العمل به الا من كنس بروحه المزابل ونظر الى مساويه دون مساوى الناس ولم يطلب عند الناس مقاما ومن رأيته على هذا القدم من أهل عصرى أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى كان اذا رأى مخنثا أو صاحب كنيسة أو رذيلة يسأله الدعاء ويقول قد أمرنا أن نطلب الدعاء من خيارنا وهذا خير منى عند نفسى فقلت له قد اشتهر هذا بالمعاصى فقال أنا ما رأيته يعصى أبدا ولا ثبت ذلك عندى ببينة ثم بتقدير ثبوت ارتكابه شيأ من المعاصى فيحتمل انه يتوب عند كل معصية (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يسئ أحد الظن بأحد فى شئ منقص ويقبل ذلك فى حق أخيه الا وهو صورة حاله هو فى نفسه فاما وقع فى ذلك واما عزم عليه واما خطر له لان المؤمن مرآة المؤمن اللهم الا أن يراه على معصية معينة فالامر ظاهر لكن لا يجوز له أن يحدث غيره بذلك الا لغرض شرعى وسيأتى فى مبحث نعمة خفض الجناح لاصحاب الكتب ان أهل المعاصى ضالة كل داع الى الله تعالى فهو يطلبهم ليصحبهم ويسارقهم بتقويم عوجهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بخلاف من ينفر منهم ويزدريهم فان ذلك لا فائدة فيه لا له ولا لهم فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) محبتى للعالم الذى أنكر على مالا يعرفه من علوم القوم لانه

انما أنكر على شفقة على دينى فى نفسه بقدر وسعه والله سبحانه وتعالى اعلم فاعلم ذلك والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) انى اذا تفرست ممن يقرأ على علما أنه غير مخلص فيه ولو بالقرائن توجهت الى الله تبارك وتعالى وسألته أن يمن عليه بالاخلاص ثم أقول اللهم ان كان سبق فى علمك انه يكون غير مخلص فى علمه فاسألك من فضلك أن تمحو من قلبه جميع ما تعلمه منى أو من غيرى لما ورد أن مثل ذلك يكون زاد صاحبه الى النار ثم أقول وان كان سبق فى علمك عدم المحو يارب فاسألك أن تلهمه التوبة والاستغفار فان كان سبق فى علمك عدم توبته واستغفاره فاسألك يارب ان تمن عليه بتعليمه لمن يعمل به فان لم يكن ذلك سبق فى علمك فاسألك أن تدخله فى رحمتك التى وسعت كل شئ وهى رحمة الامتنان التى ليست فى مقابلة عمل وهى التى أعدها الله تبارك وتعالى لمن مات مصرا على الكبائر من معاصى أهل الاسلام وهذا الخلق لم أجد له فاعلا وانما نعلمه لتخلق بالرحمة على جميع المسلمين فالحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عزمى على العمل بعلم كل عالم رأيته لا يحتفل بالعمل بما علمه فاساعده على تحصيل ثواب علمه بعملى انا به أو بتعليمه لمن يعمل به فيكتب ثواب ذلك لذلك العالم كل ذلك لوفور شفقتى على الاخوان وتقدم فى هذه المنن ان مما أنعم الله تبارك وتعالى به على انى أتشوش على نقص دين اخوانى اذا نقص أكثر مما يتشوشون هم على ذلك فان أحدهم يقع فى المخالفة ويضحك ويأكل وينبسط واذا بلغنى انا ذلك كنت بالضد من ذلك فأنا أشفق على دينه منه وصاحب هذا المشهد وارث لبعض مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهنا نكتة غريبة انبهك عليها وهى ان تعلم انه لا يمكن العالم ترك العمل بعلمه من كل وجه أبدا مادام مكلفا فانه اذا لم يعمل بعلمه من طريق المأمورات والمنهيات الشرعية بالامتثال والاجتناب عمل بعلمه من طريق أخرى وهى انه لا بد له من الندم والاستغفار اذا وقع فى المعصية فلولا علمه بتحريم ذلك الفعل ما اهتدى للتوبة والندم والاستغفار فعلمه بالتحريم هو الذى جعله يتوب ويستغفر فقد عمل هذا بعلمه من هذا الوجه لكن بعد وقوعه فى المعصية وأخص من ذلك أنا لو فرضنا عدم توبته فاعتقاده المعصية معصية عمل بالعلم اذ لولا علمه ما اعتقد ان المعصية معصية وذلك الاعتقاد ينفعه فى الجملة لانه من فوائد الاسلام والمسلم من يرجى له الخير أما المستحل فهو كافر وهو عمل بالعلم خفى غريب قل من يتنبه له وغالب الناس لا يسمى العامل بعلمه الا من لا يخل بشئ من المأمورات ولا يقع فى شئ من المنهيات وأما من وقع فى المنهيات ثم تاب فلا يسمونه عاملا بعلمه أبدا فعلم ان عدم العمل بالعلم جملة انما يكون لغير المكلف أو لمن أصر على الذنوب ولم يتب منها ولم يندم حتى مات من غير توبة اما من وقع فى معصية ثم تاب فقد عمل بعلمه حسب طاقته فمن الناس من حفظ ومن الناس من لم يحفظ اذا علمت ما قررناه فتعلم يا أخى العلم بقصد نفعك به أولا ثم نفع غيرك به ثانيا ثم الدوام على العمل به ثالثا والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم اصغائى الى قول عدو ومالا ينبغى فى عدوه بل بمجرد ما يتلفظ بالنقص أعرف انه عدو جاء فى يذكر عدوه عندى بسوء ليحملنى الاثم معه عكس اصغائى

لكلام المحبين فانه بمجرد ما ينطق أعرف انه محب فاصغى له حتى يفرغ ولوانني كنت أعرف ما فى نفس العدو قبل أن ينطق ما تركته ينطق بكلمة وهذا الخلق قل من يتنبه له بل غالب الناس يستلذون بكلام العدو فى عدوه كما يستلذون بالجماع ثم يصيرون يحكون تلك النقائص لمن لم يعلم بها حتى يملؤا بها اسماع من يذكرونها له من الخلائق ويقولون ما دريتم ما وقع ان فلان ذكر لنا فلان انه وقع فى كذا وكذا وغاب عنهم أن ذلك من جملة الغيبة التى لا تجوز باجماع المسلمين ثم ان بعضهم يخاف أن يلوث به الناس فى ذكرهم نقائص ذلك العدو فيصير يحكى ذلك لغيره فى أذنه ويقول له لا تعلم بذلك أحدا ثم ان ذلك الغير يسره كذلك الى آخره وهكذا فالحمد لله الذى عافانا من مثل ذلك ونسأل الله الحفظ الى الممات والحمد لله رب العالمين ثم من أقل ما يحصل للسامع من سماع كلام العدو فى عدوه وان لم يصدقه تشخص ذلك النقص فى ذهن السامع فيريد بعد ذلك أن يجعله كالذى لم يجرح بنقص فى ذهن السامع فلا يقدر على ذلك فانه كلما يريد أن يعظمه يتذكر كلام ذلك العدو فيه فينقص مقامه عنده ضرورة فاعلم يا أخى ذلك واياك أن تنقل لامير ما قاله الاعداء فى فقير أو عالم يشفع عند ذلك الامير فانه ينبنى على ذلك مفاسد أقلها أنه يصير يخل بقبول شفاعته فى الناس كما وقع ذلك لجماعة من اخواننا فينبغى لمن ليس له حال قاهر يحميه عند الحكام عن نقصه فى أعينهم أن يرسل أحدا من اخوانه الى ذلك الامير ليزيل ما عنده ويخبره بأن ذلك الكلام الذى بلغه من كلام الاعداء باطل لا حقيقة له بخلاف من له حال قاهر يحميه فانه لا يحتاج الى مثل ذلك ولما أرسل بعض الاعداء ورقة الى الباشا على يذكر فيها ان عبد الوهاب نصاب شيطان فاياكم ان تقربوه منكم قال الباشا انا لم أرجع فى هذا الرجل الى قول أحد انما رجعت الى قلبى فانى أعلم ان للمشايخ أعداء وللعلماء اعداء وللامراء اعداء وللباشا مثلى أعداء ولم يقبل من الاعداء ما رمونى به وهذا الامر قل ان يقع من أمثاله فجزاه الله تعالى عنى خيرا وقبل شفاعاتى بعد ذلك الى وقتى هذا فاعلم ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) مخالطتى لعدوى فى السر اذا ادعى محبتى ظاهرا وتطويل روحى عليه وايهامه اننى صدقته فى دعواه المحبة لى ولا أوهمه غير ذلك فضلا عن أن أقول له تكذب فى دعواك هذه ويحتاج صاحب هذا الخلق الى ضبط جوارحه خوفا من ذلك العدو فربما يكون قصده بمخالطتنا الاطلاع على زلاتنا ليهجونا بها اذا فارقنا كما هو الغالب على الناس فى هذا الزمان (وكان الامام) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول من خدعنا انخدعنا له وفى كلام الحكماء العاقل من يقدم التجريب قبل التقريب انتهى وقد جربت انا خلقا كثيرا وفارقونى وصاروا أعداء جهرا وصاروا اذا عجزوا عن كون الناس يقبلون فى ما يصفونى به يرمونى بالزور والبهتان وفى كلام الشيخ أبى الفتح البستى رحمه الله تعالى

من عاشر الناس لاقى منهم نصبا * لجل اخوان هذا العصر خوان

من استنام الى الاشرار نام وفى * قميصه منهم صل وثعبان

وفى كلام الطغرائى فى لامية العجم رحمه الله تعالى رحمة واسعة

أعدا عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل

فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل

وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمل

الى آخر ما قال فاعلم ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم تكديرى من صاحبى اذا عاشر عدوى معاشرة الاحباب بل أحمله على أحسن المحامل وأقول لعل الله انما صحبه ليبارقه بتحبيبه فى ثم ان علمت ان ذلك العدو يتأثر منه اذا زارنى قلت لصاحبى لا تزرنى هذه الايام أبدا خوفا على صاحبى من ذلك العدو أن يؤذيه وكذلك لا اذهب أنا الى صاحبى ولو كثر اشتياقى اليه شفقة عليه من ذلك العدو أن يؤذيه وقد عملت بذلك مع ولد شيخى الشيخ شهاب الدين الرملى رحمه الله تعالى فصاحبه شخص ممن يكرهنى من المقاريض فامتنعت من زيارة ولد شيخى ومنعته من المجىء الى خوفا عليه من ذلك المقراض أن يذكره بسوء فى مجالس المستهزئين وصار كل من قال لى ما عدنا نراك تجتمع بسيدى محمد ابن شيخك أقول له الاجتماع مقدر وبعضهم ظن أن بينى وبينه عداوة قياسا على أنفسهم وليس كذلك واعلم يا أخى انه ليس عندى عداوة لاحد من المسلمين الآن لرؤيتى محاسنهم دون مساويهم فلا أكاد أرى لاحد منهم مساوى أبدا الا بطريق شرعى وانما الناس هم الذين يعادونى حسدا وعدوانا على وانما أذكر بعض مساوى أهل زمانى اشهودى لها فى نفسى فعلا أو تقديرا فاقول لعل ذلك يقع لغيرى وما كان على وجه التحذير دون التشفى فذلك مباح على أنى بحمد الله تعالى لا أذكر النقائص لبعض الجهولين من غير تعيين اسمهم وسيأتى عن قريب انه ما ثم عندى أحد من الخلق الا وهو محسن الى فمن لم يحسن الى بدنياه أحسن الى بآخرته حين يستغيبنى ويقع فى عرضى فيحكمنى الله تعالى فى حسناته فى الآخرة فهذا قد أحسن الى وان لم يقصد ذلك ثم انه لا يخفى انه لا يصح لعارف يرى الله تبارك وتعالى قبل كل شىء ومع كل شىء وبعد كل شىء عداوته لاحد لانه لا يجد من يرسل عداوته عليه بل ان شهد الله قبل كل شىء حجبه عن رؤية ذلك الشىء وان شهده مع كل شىء سقط ذلك الشىء كما قال أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه اذا قرن الحادث بالقديم لم يبق للحادث أثر وان شهده تعالى بعد كل شىء على الاثر فلا يجد زمنا يثبت فيه أفعال الخلق لهم دون الله تعالى ليرسل عليهم عداوته فافهم وكل من ادعى مقام العرفان ورأيناه يكره أحدا بغير طريق شرعى فهو كاذب فى دعواه المعرفة واعلم يا أخى أن العداوة مأخوذة من قولهم عدا فلان عن طريق فلان أى جاوزه ولم يوافقه فيما يحب وكان أصل ذلك ان الخلق يوم أخذ الميثاق عليهم كانوا على صفات فما كان وجها لوجه فمحال ان تقع بينهما عداوة وما كان ظهرا لظهر فمحال أن يكون بينهما صداقة وما كان وجها لظهر فصاحب الوجه محب عاشق وصاحب الظهر مبغض سال وما كان جنبا لجنب أو بازاء أو وراء كان بحسب ذلك ومن شهد هذا المشهد كشفا أقام للناس المعاذير وان كانوا مذمومين بعداوتهم شرعا (وكان سيدى) ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه يقول من شأن الكمل اثبات الخلق مع الحق ثم اكرامهم لاجل معيته ولكل مقام رجال فافهم ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة شكرى لله عز وجل واستغفارى اذا كثر حسادى

واعدائى فاشكر الله تبارك وتعالى على تلك النعمة التى حسدونى عليها فانى لو كنت فى نقمة وضيق معيشة وقلة دين ما حسدونى واستغفر الله تعالى لى ولهم من حيث وقوعهم فى حقى بسبب ما عندى من النعمة فانه لولا وجودى ما وقعوا فى ذلك الاثم لعدم من يحسدونه وينقصونه وكذلك أستغفر الله لهم لعل الله يغفر لهم ذنب ذلك الحسد فانه ذنب ابليس الذى أخرج به من الجنة ولم أر لهذا الخلق فاعلا من أقرانى الا القليل ويحتاج صاحبه الى عينين عين ينظر بها الى النعمة ليشكر وعين ينظر بها الى الذنب الذى ذكرناه فيستغفر له ولمن حسده فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة اهتمامى بحمل هم عدوى أكثر من اهتمامى بهم صديقى وكثرة تحفظى من الغيبة فى عدوى أكثر مما أتحفظ من غيبة صديقى وكثرة كراهتى لكل شئ يؤذى عدوى على وجه التشفى أى لا على وجه التكفير والتطهير له وهذا الخلق غريب فى الناس اليوم بل لم أجد له فاعلا غيرى وايضاح ما قلناه انى لما تخلقت بالرحمة والشفقة على جميع العالم كل أحد بما يناسبه صرت أحمل هم عدوى اذا استعان بى واستنصرنى فى ضرورة نزلت به أكثر من صديقى لكون الحق عز وجل أحوجه الى بعد ان كان يظهر الاستغناء عنى فكيف لا أحمل همه وقد نصرنى الله تبارك وتعالى عليه واذله بين يدى حتى صار يسألنى أن أدعو له بعد أن كان يعتقد أن دعائى لا يجاب من شدة العداوة ووالله انى لا كاد أذوب اذا جاءنى عدوى وذل بين يدى وسألنى ان أرد ذلك الظالم عنه مثلا وكثيرا ما أحس برأسى يضرب بطبر ليلا ونهارا حتى تقضى حاجة ذلك العدو ويزول عنه الغم والهم وانما كنت أحس برأسى يضرب بطبر لعدم استحقاقه الشفاعة فيه لما جناه على فلذلك كنت أتعب فى قضاء حاجته أكثر من المحب

(وقد كان) سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول ان يوما يحتاج الى فيه عدوى لادفع ما استطيعه من الضرر عنه ليوم عيد وأما وجه كونى أحفظ نفسى من غيبة عدوى أكثر من صديقى فلان صديقى يسهل عليه العفو عنى بخلاف العدو فعلم من ذلك أن من اغتاب عدوه أو صفى الى تنقيص أحد فيه وادعى العقل فهو كاذب فضلا عن الصلاح والعرفان وقد أجمع مشايخ الطريق على أنه لا يكمل عقل الانسان حتى لا يصير كاتب الشمال يجد شيأ يكتبه أبدا وكيف يدعى العقل من يورد نفسه موارد الهلاك اويدعى الصلاح من يؤذى الناس ولا يتحمل الاذى منهم فان من شرط البر أن لا يؤذى الذر وأما وجه كونى اكره كل شئ يؤذى عدوى فهو لكونى أرى الحظ والمصلحة لى فى ذلك لا للعدوى فلا أمكن أحدا يذكرنى عند عدوى بشئ من نواع التعظيم قط لان ذلك يغمه وكذلك لا ألبس الثياب الفاخرة المجرة وأمر عليه وكذلك لا أضحك ولا أجمع أحدا على طعامى بقصدا كماده وكذلك لا أصاحب له عدوا ولا استميل عنه صديقا الا بطريق شرعى فان مصاحبة الانسان لعدو عدوه زيادة اثم لهما ومصاحبته لصديق عدوه تحرك عنده الكراهة من جهة مصادقته لعدوه فبعد الانسان عن أصدقاء عدوه واعداء عدوه أولى لكل منهما فاعلم ذلك واعمل على التخلق به والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) رد كيد أعدائى فى نحورهم من غير توجه منى الى الله تبارك وتعالى فى ان يأخذ لى حقى منهم ولم تزل الاعداء والحساد يعملون لى المكايد ويحفرون لى المهالك

فيرد نظير ذلك عليهم وتشمت الناس فيهم كما مرّ وأوائل هذه المنن وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على وعليهم أما على فظاهر وأما عليهم فلتطهيرهم بذلك ان شاء الله تعالى مما جنوه فى حقى ومن تأمل نفسه من الفقراء الذين لهم صيت بين الناس وجد نفسه بين الناس كالبهلوان الماشى على الحبل العالى وفى رجله قبقاب وجميع الاقران والحساد واقفون ينتظرون متى يزلق حتى يشمتوا به كلهم ثم من أشق ما يكون على الفقير اذا زلق بين هؤلاء ان يكون الغالب عليه مراعاة مقامه عند الخلق فانه يكاد يذوب من القهر بخلاف من كان يراعى الحق تعالى فان الاذى يخف عليه ولو أظهروا كلهم الشماتة فافهم وذلك لانه محجوب بمراعاة الحق تبارك وتعالى عن الخلق ولذلك خف على العارفين أمر شماتة الاعداء بهم وثقل ذلك على المحجوبين فان قدرت أن عارفا تكدر من شماتة الخلق فيه فذلك حال حجابه عن ربه عز وجل وعن الجزء الذى فيه يتكدر من تلك الشماتة وما وقعت الاستعاذة فى السنة الا من شر الشماتة لا منها ومن الشر المرتب عليها نقص مقام المشموت به عند الشامت ولذلك قال السيد الكامل هرون عليه السلام لاخيه سيدنا موسى عليهما وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام فلا تشمت بى الاعداء خوفا على اتباعه من التفرقة وعدم الانتفاع به اذا قل تعظيمه لا لكونه يتأثر مراعاة لحظ نفسه لعصمته من مثل ذلك فافهم واعرف فى مصر جماعة لم يزالوا يتجسسون على أحوال اقرانهم فاذا سمعوا ان أحدا رجع عن اعتقاده فيهم فرحوا بذلك وأظهروا الشماتة فالحمد لله الذى لم يجعلنا منهم وجعلنا ممن يجل الاقران ويعظمهم ويذكر مناقبهم وفضائلهم كما يشهد بذلك كتاب الطبقات الذى وضعته فى مناقب المشايخ الذين أدركتهم من الفقهاء والصوفية فانى بالغت فى مدحهم وذكرتهم بكل وصف جميل ولم يفعل أحد منهم ذلك معى ولا مع غيرى من الاقران فترى بحمد الله تعالى يا أخى مناقبهم تقرأ عندنا فى الزاوية كما تقرأ مناقب العلماء والائمة الذين فى حلية أبى نعيم فيترضى الناس عنهم ويترحمون عليهم كما يترضون ويترحمون على الاولياء فاعلم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) وجود جماعة كثيرة يحبوننى وأحبهم ويدعون لى فى السجود وادعو لهم وأما المعتقدون فى فلا يحصى عددهم الا الله تعالى والفرق بين المحب والمعتقد أن المحب هو من يحبك على أى حالة كنت عليه سواء كنت من أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات أو من عامة المسلمين عرفا كمحبة الوالدة لولدها فتحمله على أحسن الاحوال ولو رأت فيه نقصا قالت خزاك الله يا ابليس وتجعل الذنب لابليس لا للابن فلا تكاد تنقص محبتها بذلك وأما المعتقد فانه انما علق محبته لك ما دمت على الصراط المستقيم فاذا رأى منه خللا فى دينه أو عدم كرامات رجع عن اعتقاده فيه لزوال تلك الصفات التى اعتقده لاجلها فافهم والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة رؤيا جماعة من الامراء والفقراء والعلماء لى المرائى الحسنة لما دس الحسدة فى كتبى ما دسوا وأنكر الناس على لظنهم ان ما دسوه من العقائد الزائغة صدر عنى وكان ذلك من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فانه ازال ما كان وقر فى نفوس المتهورين وخفف عنهم الاثم لاسيما أهل الجامع الازهر فان من شأنهم شدة القيام فى الدين وعماراة

الاخ الصالح الشيخ محمد التلاوى المالكى وأخبرنى به انه رآنى راكبا فرسا عظيما والشيخ شهاب
الدين البلقينى بين يدى قائدا لى ماسكا لجام الفرس بيده وجميع أهل الجامع الازهر بين يدى يمينا
وشمالا قال فسألت الشيخ شهاب الدين عن هذا الراكب وعن الناس الماشين حوله فقال
الراكب عبد الوهاب قد شفع فى اهل الجامع الازهر كلهم وهو ذاهب بهم الى الجنة انتهى فان
صح منامه فامساك الشيخ شهاب الدين البلقينى بلجام فرسى انما هو ليعلمنى التواضع مع اقرانى
فانه أعظم منى مقاما بيقين ومما رآه الشيخ على الخلوتى من أصحاب الشيخ دمرداش انه رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أثر الفتنة وقال قل للناس ان عبد الوهاب على الكتاب والسنة
انتهى قال فزال عنى ما كنت ظننته مما دسوه ومما رآه الشيخ الصالح عمر النبتيتى المكشوف
الرأس كما أرسل لى بخطه قال رأى بعض الفقراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت بين يديه
وهو يقول للامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قل لعبد الوهاب يتصرف فى الوجود
مادونه مانع ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم تقدم ونزع طاقيته والبسها لى انتهى وكان جماعة
من أصحابه قد شككوا فى أمرى مما يسمعونه من أهل الجامع الازهر فزال ما كان عندهم
واعتقدونى ومما رآه الشيخ جمال الدين بن قيران انه رآنى وانا أكلم الله عز وجل وأنظر فى
اللوح المحفوظ وكان قليل الاعتقاد فى طائفة الفقراء لعدم معاشرته لهم فصار من أكبر
المعتقدين ومما رآه ولده سيدى محمد شيخ سوق أمير الجيوش لما مرض فى مكة وأشرف على
الموت فذكر لى انى خرجت له من حائط البيت ومسحت على جسده فقام من المرض وشفى باذن
الله تعالى فصار من أكبر المعتقدين وكان قد ارتاب فى أمرى لكثرة ما كان يسمع من الازهرية
ومما رآه الاخ العزيز سيدى يحيى الوراق وحكاه لى بنفسه انه سافر الى مكة فرقدت دابته وعجزت
عن ان تقوم فرآنى وانا أمسح على رأسها فقامت لوقتها فلما وصل الى مكة كان يرانى طائفا معه
وذكر انى انقطعت عنه أياما فارسل لى من مكة كتابا لما جاور بها يذكر فيه ما سبب انقطاعكم عنى
فقلت له يقظة فقال نعم ومما رآه الشيخ العلامة شيخ الاسلام بمصر الشيخ شهاب الدين الحلبى
الحنفى رحمه الله تعالى لما أرسلت له كتاب العهود ينظر فيه انه سمع هاتفا فى منامه يقول له طالع
الكتاب ولا تصلح برأيك فيه شيأ فمن اعترض على شئ منه نزعنا منه الايمان انتهى فجاءنى بالكتاب
وهو يرعد خوفا من زوال الايمان فقلت له المراد هنا بالايمان الايمان بكلام الفقراء لا الايمان بالله
ورسله وكتبه فزال ما كان عنده من الخوف رحمه الله تعالى ومما رآه الشيخ العلامة بقية السلف
الصالح الشيخ ناصر الدين اللقانى وصار يحكيه لاصحابه انى ذهبت يوما الى زيارته فكرهت
انى أناديه أو أدق الباب فجلست خلف باب داره ساكتا فبينما أنا كذلك اذ سمع قعقعة عظيمة
فى سقف قاعته وحيطانه فخاف ان تنطبق عليه فخرج الى الباب فوجدنى جالسا فكان به تلك
من الكرامة ومما رآه الفقيه محمد بمقام سيدى أحمد البدوى رحمه الله تعالى انه رأى مقام سيدى
أحمد قد انطفأت قناديله الا واحدا فخرج سيدى أحمد من باب القبة فاخبره بانطفاء القناديل
فقال ليس هم قناديل وانما هم أصحابى وقد انطفوا كلهم وهذا الذى بقى هو عبد الوهاب فقال له
من عبد الوهاب فقال الشعرانى انتهى فزاد اعتقاده فى وكان قد تزلزل اعتقاده من كلام أصحابه
بالجامع الازهر (ومما رآه) الشيخ أحمد السوهاجى وأرسله الى فى كتاب مخلق بالزعفران قال

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى قل لعبد الوهاب يدوم على ما هو عليه وقد شفعت فيه
وفى جميع أصحابه انتهى وكان قد بلغه بعض كلام من المجاورين بالجامع الازهر من بلاده فزاد
اعتقاده فى (ومما) رآه الشيخ الصالح محمد بن الشربينى وحكاه لى بحضرة الشيخ شهاب الدين البابلى
انه عزم على زيارتى مرات لما قدم الى مصر ونفسه تأمره بعدم ذلك على عادة أولاد المشايخ من
عدم اعتقادهم فى غير أبيهم أو جدهم فأتاه آت فى منامه أولا وثانيا وثالثا وهو يقول اذهب الى
عبد الوهاب فزره فانه صاحب مصر اليوم انتهى فزال ما كان عنده من التوقف ومما رآه
يقظة لما مرضت بورم فى رجلى فلقيه شخص مجذوب عريان عند باب الجامع الازهر فى رمضان
قبل التقريب فقال له هل دريت ما جرى لرئيس المركب فقال لا فقال ان السلطان سليمان مرض
فى بلاد الصوفى بوجع رجله وقد حمله عنه عبد الوهاب ثم انى رأيت السلطان عقب تلك الليلة
وقد ضرب خيامه بجانب بيتى من الخليج الحاكمى وهى ممتدة الى ساحل بولاق وهى من بلوبون
سائر الالوان ثم فتح السلطان طاقة قاعتى وقال شكر الله تعالى فضلك مرتين أو ثلاثا انتهى وهو
يؤيد قول ذلك المجذوب ومما رآه الشيخ نور الدين ابن الشيخ محمد الشربينى رحمه الله قال رأيت
النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى جامع بنى أمية وللجامع منبر أخضر شاهق نحو السماء
نحو مائة ذراع فاشتاقت نفسى لصعوده فقلت ذلك لشخص من الحاضرين هناك فقال هذا
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد صعوده الا باذن منه فاستأذنته صلى الله عليه
وسلم فى ذلك فسكت ولم يأذن لى ثم قال لى اذهب الى عبد الوهاب الشعرانى فاستأذنه يأذن لك
فقلت يا رسول الله وأين هو فقال بمصر انتهى (ومما رآه) الشيخ أبو الصفاء بن عنان وكان عنده
بعض انكار انه رأى والده الشيخ الصالح سيدى محمد بن عنان وقال له لا تنكر على عبد الوهاب
فانه مجاب الدعوة فخف انكاره لاجل قول والده رحمه الله تعالى (ومما رآه الامير) محمد
الدفتردار عقب اشاعة ما دسه الحسدة على فى كتبى بعد ان ركب الى الشيخ شهاب الدين الرملى
وسأله ما تقول فى هذا الرجل فقال بدايته نهاية علماء الزمان فلم يكتف بهذا القول فلما نام رأى
عسكرا عظيما وسلطانا داخل الى مصر فلما وصل الى باب النصر وقف وقال استأذنوا صاحب
البلد فان أذن لنا فى الدخول والا رجعنا فقالوا للسلطان من صاحب هذا البلد فقال عبد
الوهاب قال فارسلوا يستأذنونك فأرسلت لهم المفتاح مع ولدك عبد الرحمن انتهى فزال ما كان
عنده ولم يزل معتقدا فى حتى مات رحمه الله تعالى (ومما) رآه الامير عامر بن بغداد لما تغير
اعتقاده فى من كثرة الشفاعات وحكاه لى بنفسه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقبل
عليك يكلمك وحوله خلائق لا يحصون فكنت كلما أريد اقبل يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجدك حائلا بينى وبينه فلا أصل اليه قال وكنت لا أعتقد فى الوسائط وأقول الاصل ما يريده الله
تعالى بالعبد لا ما يفعله العبد انتهى ومن تلك الرؤيا وهو يعتقد فى الصلاح الى وقتنا هذا وستأتى
أمور أخر من المرائى فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى تؤذن ببراءتى مما دسوه فى كتبى وذلك
كله من جملة ستر الله تعالى لى بين عباده فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب
العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) انصافى لكل من سعى لى فى تحصيل رزقة أو جر الى أو شئ من

أمور الدنيا فأشركه معي فيها ولولم يسألنى هو فى ذلك لاسيما ان كان سعيه بنصب على الناس ووصفى
لهم بأنى صالح وهو من باب ظلم دون ظلم فان النصب من أصله معصية وحرمان النصاب معصية
فى العادة اخرى وقد كثر النصب فى هذا الزمان وأكلوا أموال الناس بالباطل ثم تنازع
النصاب والشيخ المنصوب له ومزق بعضهم اعراض بعض ولو أن هذا الشيخ أعطى النصاب
شيأ مما حصل له بالنصب لكان أولى به وقد وقع ان شخصا نصب على أمير وقال له مرادى أجعلك
على القطب فى هذا الزمان ليقع بصره عليك فيرقيك الله تعالى الى الوزارة فاجابه الى ذلك وجمعه
على شخص متمشيخ وصار يشترى القدور العسل النحل والجفن اللبن ويضعها عند النقيب
ويقول له اذا دخل لنا الامير فأت بالعسل واللبن وقل ياسيدى هذا نذره بعض الامراء لسيدى
الشيخ ويسأل من فضلكم ان تجبروا بخاطره ثم يعزم على الامير فيأكل من ذلك ويعتقد انه لولا
ان الشيخ من الاولياء مثل سيدى أحمد البدوى مثلا ما نذره الناس ثم ان النصاب صار ينصب
للشيخ حتى جمع له عدة رزق وخمسة عشر نصفا من الجوالى كل يوم وكان قد وعد النصاب
بالنصف فلما طلب منه ما وقع عليه الاتفاق لم يعطه شيأ فصار يعزق فى عرض الشيخ حتى أعلم
بذلك سائر زوايا مصر فقيل هذا الشيخ قليل المعروف ثم أشيع ان ذلك الشيخ نصاب حتى وصل
الخبر الى الامير فندم فى سعيه له فى الجوالى والتجوّن مع السلطان فى قوله ان ذلك الشيخ من
أولياء الله عز وجل فتب يا أخى من النصب ان كنت نصابا أو منصوبا لك وان لم تصح لك التوبة
فاشرك معك النصاب وأكثر من الاستغفار واسأل الله الاقالة من ذلك والله تبارك وتعالى يتولى
هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) عملى بالسنة فى النظر الى المخطوبة وتحرزى عن النظر الا بقدر
الحاجة خوفا ان أزيد على القدر المشروع فاذا خفت على نفسى الوقوع فى الزيادة على القدر
المشروع نظرت الى بعض المشروع تبركا بالسنة أو تركت النظر بالكلية وفوضت أمرى
فيها الى الله عز وجل وهذا الامر قل من يفعله على هذا الميزان انما يترك النظر حياء طبيعيا
لا شرعيا أو ينظر زيادة على القدر المشروع فيقاسى ما لا خير فيه لعدم رؤيته أو يأثم من حيث
رؤيته زائدا فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) أدبى مع من علمنى سورة أو آية من القرآن ولو صرت من مشايخ
الاسلام فلا أمر عليه راكبا ولا أنساه من هدية ولا أتزوج له مطلقة ولا أتولى له وظيفة عزل عنها
ولو سئلت فيها لان مقامه مقام الاب بل أعلى لانه أب الروح انتهى وقد كان الشيخ شمس
الدين الديروطى الواعظ بالجامع الازهر وصاحب البرج بدمياط اذا مر على مؤدبه ينزل من على
دابته ويقبل يده ثم لا يركب حتى يبعد عنه جدا أو يتوارى عنه بجدار ونحوه مع انه بلغ فى العلم
الغاية وشرح المنهاج وغيره وفقيهه على حكم فقهاء المكاتب لم يزد على حفظ القرآن الا ما لا بد له
منه وهذا الخلق قل من يعمل به بل رأيت من ضرب فقيهه ونتف لحيته حين نصحه فلا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) عدم شهودى فى نفسى انى فعلت شيأ من النوافل قط لان
النوافل لا تكون الا لمن أدى الفرائض على وجه الكمال وذلك نادر وقوعه من أمثالنا وقد أجمع

أهل الكشف على أنه لا يعرض على الله تعالى عبادة ناقصة قط أدبا مع الله تعالى وانما يكملها
الملائكة من جنسها ثم اذا كملت عرضتها على الله تعالى فربما يحصل للعبد صلاة واحدة من مائة
صلاة ويصير فى ذمته تسع وتسعون صلاة لان كل عبادة أخذوا منها بارقة من الحضور ولغى باقيها
نظير من نسى ركنا من ركعة لا يعرف عينها ومن المنقول عن حجة الاسلام الامام الغزالى انه
لا يرى صحة الصلاة الخالية عن الخشوع ومن هذا المشهد كان من دأب الوزراء أن لا يدخلوا
على السلطان شخصا فى بدنه عاهة من جذام أو برص أو نقص عضو أدبا مع ذلك السلطان ان
يقع بصره الشريف على ناقص وما كان أدبا مع العبيد فهو أدب مع الله تعالى وان كان الحق
تبارك وتعالى خالقا لذلك الامر فافهم وكثيرا ما يتبع الشرع العرف فى الاحكام كما انا
نعلم ان الحق تعالى لا يحجبه شئ ومع ذلك فنلبس الثوب ولا نتعرى فاعلم ذلك ترشد والحمد لله
رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) سماحة نفسى بمقاسمة أعدائى فى حسناتى فى الآخرة وأموالى
فى الدنيا فضلا عمن يحبنى وهذا الخلق من أعظم اخلاق الرجال فان المحبين ربما يسمح بعض
الناس لهم بمقاسمتهم له فى حسناته بخلاف الاعداء المبغضين فانا بحمد الله تعالى ليس عندى
وقفة فى مقاسمة من يكرهنى ويؤذينى فى حسناتى التى أظن فى الله تعالى قبولها قبول سيد أهدى
لعبده شيأ ثم قبله منه حين أهداه له ثانيا وقد قيض الله تعالى لى فى مصر من الاعداء والحسدة
جماعة يكرهوننى ويسبوننى ويؤذوننى وأنا بالضد من ذلك فأحبهم وأمدحهم وأحسن اليهم
وأعظمهم ومع ذلك فنفسى تسمح بمقاسمتى لهم فى جميع حسناتى بل بأن يأخذوها كلها وألقى
الله تعالى صفر اليدين من جميع الاعمال الصالحة ما عدا الشهادتين معتمدا على فضله فقط لا على
عملى ثم ان هؤلاء الاعداء كلما أكثروا من الاذى لى كلما تسمح نفسى باعطائهم حسناتى أكثر
لانهم قد بالغوا فى اثبات حق عليهم وتحكيمى فى حسناتهم يوم القيامة حين بالغوا فى ايذائى
وتنقيصى فى المجالس فكما أهدوا الينا حسناتهم فى الآخرة كذلك نهدى نحن اليهم حسناتنا
فهم يحسنون الينا كرها ونحن نحسن اليهم طوعا بطيبة نفس واذا وجدوا الاثر من احسانهم
الينا يوم القيامة بحسناتهم فلا فرق بين كون ذلك كرها عليهم أو طوعا منهم لانهم محسنون الينا
على كل حال وصاحب هذا المشهد يرى أن من أساء عليه أحق بحسناته ممن أحسن لان المحسن
ولو أحبك فقد لا تسمح نفسه بأن يقاسمك فى حسناته فتحرم يوم القيامة منها ولا هكذا العدو فانه
لا يقدر على منعك من أخذ حسناته لو أرادوا ذلك كما ورد به النص المتواتر فان كان ايمانك
قويا فأنت ترى ان المسيء أحق بحسناتك من المحسن على ما قررناه وان كان ايمانك ضعيفا فبعيد
عليك ان تسمح لصديقك بحسناتك فضلا عن عدوك فاعمل يا أخى على تحصيل الايمان الكامل
حتى تصير تقاسم عدوك فى حسناتك من دار الدنيا الايمانك بأنك تحكم فى حسناته يوم القيامة
ثم اذا فعلت ذلك فلا بد ان شاء الله تعالى أن ترتفع الى مقام تسمح نفسك بمقاسمة عدوك فى
حسناتك احتسابا لله تعالى من غير أن تأخذ من حسناته شيأ ولو حكمك الحق تعالى فيها
يوم القيامة كما تصير ان شاء الله تعالى كذلك لا تضع عليه شيأ من أوزارك ولو أذن لك الحق
تبارك وتعالى فى ذلك لان اذن الحق لك انما هو مداراة لك لضعفك والا فاهل الكمال يعطون

ولا يأخذون واعلم انى بحمد الله تعالى ولو قاسمت أعدائى فى حسناتى لا أرى لى بذلك فضلا عليهم انما أرى الفضل لهم علىّ من وجوه منها انهم فتحوا لى بغيبتهم فىّ وتنقيصهم لى فى المجالس باب شهود نقصى وتذكر ذنوبى ولولا انهم فعلوا معى ذلك فربما دخل علىّ الاعجاب بأعمالى ومنها تحكيمهم لى فى حسناتهم بكثرة ايذائهم لى كما مرّ ومنها انى كنت سببا لمقت قلوب المؤمنين لهم ومنها انى كنت سببا لهتك سريرتهم اذا آخذهم الله سبحانه وتعالى بسببى فى دار الدنيا ولا أعلم أحدا بحمد الله تعالى آذانى بغير حق فى مصر الا وحصلت له المؤاخذة غيرة من القدرة الالهية كما مرّ بسطه أوائل هذه المنن وقد آذانى مرة فقيه قليل الكلام فصار مقراضا فى أعراض الخلق على اختلاف طبقاتهم فربما ركب دابته من طلوع الشمس فلا يزال يدخل بيتا ويخرج منه طول النهار حتى يحيط علما باحوال الناس فى بيوتهم ثم يصير يحكى ذلك فلا يكاد يسمع منه كلمة صالحة فى حق أحد وربما انه لا يعد ذلك مقتا وهو من أعظم المقت لتراكم الحقوق عليه يوم القيامة مع قلة أعماله الصالحة وبعضهم وقع فى الكفر ثم حقن دمه وبعضهم كبس بالوالى فكيف أرى نفسى على هؤلاء بمقاسمتى لهم فى حسناتى مع انه قد حصل لهم من جهتى هذه البلايا العظيمة وسمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول رأى ابن الخطاب شيخ الشيخ محيى الدين بن العربى ربه عز وجل فى المنام فقال يارب علمنى شيأ آخذه عنك بلا واسطة فقال يا ابن الخطاب من أحسن الى من اساء اليه فقد أخلص لله تعالى شكرا ومن أساء الى من أحسن اليه فقد بدّل نعمة الله كفرا قال فقلت يارب حسبى فقال حسبك انتهى وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول من أساء اليك وزاد فى الاساءة فقد زاد فى الهدية اليك بقدر ما زاد فى الاساءة فانه وان كان أساء اساءة ظاهرة فقد أحسن باطنا وان كان أظهر بالاساءة التعالى عليك عند الناس فقد نزل عند الله تعالى وبالجملة فمن أراد من الاخوان الوصول الى هذا المقام من غير سلوك فليمتحن نفسه أولا بمقاسمة عدوه فى ماله فان سمح له بذلك ترقى منه الى سماحة نفسه بالاعمال ومن لم يسمح بماله فلا يشم من رائحة طيب نفسه بمقاسمة عدوه فى الاعمال رائحة بل ولا يسمح لصديقه بذلك فضلا عن عدوه وقد تمنى الامام سيدنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه يظفر بمحب صادق ليقاسمه فى ماله وحسناته فلم يجده ولعله بحسب مقامه هو ثم أنشد فى شروط الصحبة

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى

يوافقنى فى كل أمر أرومه * ويحفظنى حيا وبعد مماتى

فمن لى بهذا ليت انى أصبته * فقاسمته مالى مع الحسنات

فلا تستعظم يا أخى هذا الخلق على الفقراء فانهم لا يرون لهم مع الله تعالى ملكا لاموالهم ولا لاعمالهم فكما استخلفهم فى الاموال ينفقون منها على المحتاجين فكذلك الحكم فى الاعمال واعلم يا أخى انى لا أعلم بحمد الله تعالى أحدا يكرهنى من العلماء والصالحين أبدا وانما يكرهنى من فى دينه نقص اما من جهة حسده لى واما من جهة تكبره علىّ وهذا لا يقدح فى مقام من يطاب مقاما عند الحق تعالى فان الناس لابد لهم من عدو وحاسد وايضاح ذلك ان سبب كراهة الناس لبعضهم بعضا غالبا انما هو المزاحمة على الاغراض النفسانية الدنيوية لا غير وأنا بحمد الله تعالى

لا أتذكر انى زاحمت أحدا قط على دنيا ولا على ما يؤول الى الدنيا من تدريس علم أو مجلس وعظ أو تظاهر بمعصية من زنا أو شرب خمر أو ترك صلاة ونحو ذلك فعلام يكرهوننى فما بقى الا الحسد وذلك لا يقدح فى كمال العبد لانه مقرون بالنعمة وزوال النعمة التى ترضى الحاسد ليس فى يد العبد فعلم ان كل من رأيته يكرهك وأنت لم تزاحمه على الدنيا ولا تظاهرت بمعصية فاعلم انه حسودى فلا ترج زوال حسده باظهار محبة ولا باحسان اليه فان ذلك لا ينفع وقد سمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول من كمال النعمة على العبد وجود عدو وحاسد ليحصل له كمال الاجر بالصبر على عداوة الحاسد له ورميهم له بالباطل والزور ولولا ذلك العدو والحاسد لفاته ذلك الاجر انتهى واعلم يا أخى ان من أولياء الله تعالى من يجرى الله تعالى له هذا الاجر بعد موته أيضا فيتوارث بغضه خلف عن سلف فترى بعض الناس يكرهه وينقصه بل يسبه تبعا لوالده أى الساب ولا أحد منهم اجتمع عليه ولا ثبت عندهم بينة عادلة شئ من الصفات التى ينقصونه بها وذلك من التهوّر فى الدين لذلك الكاره وكمال فى المقام لذلك المكروه ثم ان كان ولابد لهؤلاء المتهوّرين من الانكار فلينكروا على صاحب تلك الصفة أو العقيدة السيئة مثلا بقطع النظر عن نسبة ذلك الى قائل معين فيقول من اعتقد كذا أو فعل كذا فهو فاسق أو مبتدع واما اذا ثبت عن أحد شئ من طريق صحيحة فيجب الانكار عليه على التعيين محبة فيه وشفقة عليه وخوفا من أن يكون معدودا من الائمة المضلين لا بغضا فيه على وجه التشفى كما يقع فيه بعض الجهال وكلامنا انما هو مع من يخشى الله تبارك وتعالى والا فأى دليل لمن يبغض أبا بكر وعمر أو أحدا من الائمة المجتهدين او أحدا من كمل العارفين كالشيخ محيى الدين بن العربى وسيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنهم أجمعين فليس لاحد فى بغضه لهؤلاء دليل صحيح يستند اليه وانما هى نزغات شيطانية وقد ثبت عندنا من طريق صحيحة عن الشيخ بدر الدين بن جماعة انه قال جميع ما يوجد فى كتب الشيخ محيى الدين بن العربى من الامور المخالفة لظاهر الشريعة مدسوسة عليه وكذلك أخبرنى الشيخ شمس الدين أبو الطيب الشريف المدنى عن شيخه أبى طاهر قال ابن جماعة وقد رأيت كتابا صنفه الملاحدة وأضافوه الى أبى حامد الغزالى فكتبت عليه كذب والله وافترى من أضاف هذا الى أبى حامد انتهى قلت ومما وقع لى كما تقدم ان جماعة من الحسدة دسوا علىّ فى كتابى المسمى بالبحر المورود عقائد زائغة ولولا وجود النسخة الصحيحة التى عليها خطوط العلماء كذبتهم فى ذلك لكان اكثر الناس قبل ذلك فى حقى وكثيرا ما يكون سبب الانكار على العالم أو الصالح دقة مدارك كلامه فينبغى للمتدين التسليم له حيث لم يخالف نصا صريحا أو اجماعا فان الافهام تختلف سلفا وخلفا وسمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول انما سلط الله تعالى على العلماء العاملين وأكابر الصوفية من العارفين من يحط عليهم بعد موتهم وينقصهم لشدة اعتنائه بهم ومحبة لهم وبغضا ومقتا لاولئك المنكرين عليهم ووفاء بما وعد به سبحانه وتعالى من تحكيم المظلومين فى حسنات الظالمين فيحكم الله تعالى هؤلاء العلماء والصلحاء فى حسنات من ينكر عليهم يوم القيامة حتى لا يدعون لهم حسنة ثم ان فنيت حسنات هؤلاء المنكرين وضع من سيآت المظلومين على ظهورهم ثم تقذف بهم فى النار واذا كان هؤلاء العلماء يأخذون حسنات من يحط عليهم بعد موتهم فكأنهم لم يموتوا ولم ينقصوا

على يد هؤلاء الظالمين لهم بحكم النيابة فانهم ما شيأ من أعمالهم بل أعمالهم جارية بعد موتهم فأعمال المنكرين تنتقل الى صحائف العلماء والصالحين فادام الانكار موجودا عليهم في صحائفهم فانهم أكثر عملا من المتأخرين من الشيخ محيي الدين بن العربي وسيدى عمر بن الفارض واضرابهما ممن هو برىء مما نسب اليه من مخالفة ظاهر الشرع أما من وقع في مخالفة الشريعة فلا تحرم الغيبة فيه الان تاب قبل موته عن بدعته مثلا فالله تعالى يجعلنا ممن ارتضاه ربه في حياته وبعد مماته آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) شدة بغضى لاهل المعاصى ولو أحبونى واحسنوا الى واعتقدونى لاسيما أهل المعاصى المستصحبة التى يعسر صحة التوبة منها كالمكاسين وغيرهم من سائر من يظلم الناس في الاموال والاعراض وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى على فانا بحمد الله تعالى أكره جميع العصاة من العمال والولاة الذين قدمناهم في المنة السابقة ولو أحبونى وقبلوا شفاعتى ايثارا لجناب الله تبارك وتعالى على حظ نفسى وقليل من يتخلص من مثل ذلك كما أشار اليه خبر جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فيريد الفقير أن يبغض الظالم المحسن اليه فلا يقدر على ذلك مع تلاوته لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ولم أعرف أحدا من أقرانى تظهر محبته اليهود والنصارى أكثر منى وأتعجب منهم غاية العجب لما يرسلون الى أن أكتب لهم حرزا لاولادهم وأقول كيف صح لهم اعتقادى مع مخالفتى لدينهم ولكن ذلك من جملة الارث لابينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فان سائر الطوائف المخالفين للرسل يحبونه ويعظمونه فالحمد لله على ذلك ولما علم العلماء ان من شأن المحسن ان يكون محبوبا من أحسن اليه نهوا عن التداوى باشارة كافر لكون الشفاء اذا وافق ما وصفه عند انتهاء المرض يصير ضعيف الايمان واليقين يتوهم ان الشفاء من ذلك الذى وصفه ذلك الكافر ويصير يوده ويميل اليه ويريد انه يعاديه وينفر منه كما أمر الله تعالى فلا يقدر بل رأيت بعضهم يذهب الى بعض اليهود ويسألهم المساعدة في طهور ولده وذلك في غاية الذل لاهل الاسلام وبلغنى ان بعض اليهود رده وقال لولا ان في ذلك انتهاك حرمة لدينك لاعطيتك ولم يعطه شيأ وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تميلوا الى الكفار بالمحبة اذا رأيتم أحدا منهم يوصل خيرا من احسان الى جار أو عمل طعاما للمحابيس ونحو ذلك بل دوموا على عداوتهم عملا باعلام الله عز وجل فيما أخبرنا من ذمهم واحكموا عليهم بما حكم الله به عليهم ولو لم تشهدوا منهم سبب الذم فانه تعالى أعلم ببواطنهم وظواهرهم وأطلق الذم عليهم الى الابد انتهى فاعلم يا أخى ذلك ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) صحبتى لجماعة من العلماء والصالحين من غير اجتماع بهم كما كان عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم أجمعين وهو مقام أويس القرنى وعبد الله بن غالب وأبى بكر المزنى وأضرابهم كانوا يخافون من وقوع الغيبة في الاجتماع وان يذكر كل واحد لصاحبه أحسن ما عنده من العلوم والاحوال فيزكى كل واحد منهم نفسه على أخيه

ويقع في ذنب ابليس الذى أخرج به من الجنة فمن العلماء الذين صحبتهم بعصر من غير اجتماع مدة طويلة الشيخ العالم الصالح شمس الدين البرهمتوشى الحنفى والشيخ شمس الدين الغزى الحنفى المقيم بالصحراء والشيخ سليمان الحانوتى والشيخ أبو النجاء السوهاجى وشيخه الشيخ أحمد المغربى المنياوى رضى الله تعالى عنهم وهى صحبة صحيحة بشرط مراعاة كل واحد صاحبه في الغيب كما كان يراعيه في الحضور لو صحبه وأكثر الناس الذين صحبتهم قياما بواجب هذه الصحبة الشيخ شمس الدين البرهمتوشى رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته فيشاورنى في أموره كما يشاور الولد البار بوالديه والديه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) وجود جماعة يكرهونى على الدوام وذلك ليحصل لى الاجر من جهة الصبر عليهم وكثرة الاستغفار حين ينبهونى على نقائصى التى ربما سترها عنى المحبون ومن هنا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه عدو تصل به الى حضرة الله تعالى خير من صديق يحجبك عن الله تعالى فالعدو ساع في نجاتك ولو لم يقصد ذلك والصديق ساع في اهلاكك ولو لم يقصد ذلك فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) حملى لمن يكرهنى غالبا على انه انما كرهنى بحق ومناقشة نفسى اذا كرهت أحدا من المسلمين وحملها على انها انما كرهته بغير حق فأكون على نفسى فيما اذا كرهها أحد أو كرهت هى أحدا وعلى ذلك درج السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم فكانوا يناقشون نفوسهم ويتهمونها في كل شىء ادعته من المقامات أو تنزهت عنه من المخالفات ويقولون لها هى أنك تقولين انى أكذب عليك فما تقولين في هذا الغريب الذى وصفك بالرياء والنفاق وبلغنا عن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه انه قال مكثت نحو سنة ونفسى تقول لى انك من المخلصين وأنا أقول لها انك من المرائين فبينما أنا أمشى اذ مررت على امرأة فقالت من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى مالك بن دينار فقلت لنفسى خذى وصفك من هذه المرأة الصادقة وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول لان أحلف انى مراء أحب الى من أن أحلف انى لست بمراء وكان رضى الله عنه كثيرا ما يقول من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى وكان رضى الله عنه يقول لنفسه اذا غضب أحد منه لو أنك وافقتيه على ما يهواه من المصالح ما غضب عليك فاللوم عليك لا عليه وحكايات السلف في ذلك كثيرة فاعلم ذلك واعمل على التخلق به ترشد والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) طرح نفسى بين يدى الله تبارك وتعالى اذا أطلعنى الله عز وجل على وقوعى في محظور عند القوم في المستقبل فأتبرأ من حولى ومن قوتى وأقول في سجودى اللهم ان كان سبق في علمك وقوعى في الشىء الفلانى فأسألك أن تسترنى فيه بين عبادك في الدنيا والآخرة وان تغفره لى ولا تؤاخذنى به في الدنيا ولا في الآخرة وان لم يكن ذلك سبق في علمك أنه يقع وانما هو في ألواح المحو والاثبات فأسألك من فضلك أن تزيله من شهودى فانه شؤم على فان الله تبارك وتعالى يمحوها ان كانت في ألواح المحو والاثبات ويخفف عقوبتها ان كان حق بها التقدير الالهى وذلك لان من أتى المخالفات بحكم التقدير من غير ميل أخف عذابا مما يأتى المخالفات بالشهوة والميل وكان بعضهم يقول في سجوده اللهم انك تعلم

عجزى عن ردّ أقدارك النافذة فىّ فاغفر لى ما جنيته أو ادفع ذلك عنى لا بدلى من واحدة منهما فضلا وانعاما انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) انه اذا جاء صاحبى من سفر الحجاز أو الشأم مثلا لا تحدثنى نفسى بانه سيهدى الىّ شيأ أبدا بل أنا خال عن تذكر ذلك ولو أهديت أنا اليه شيأ لا أنتظر قط انه يكافئنى عليه بل أرى الفضل له علىّ عدم ارساله الىّ شيأ كل ذلك شفقة على الاخوان لمعاملتى لله تبارك وتعالى فيهم من حيث كونهم عبيده وكذلك لا أبدأ أحدا ممن يرجى منه المكافأة بهدية حملا للمشقة عنه بخلاف من لا يرجى منه مكافأة من الفقراء أو الاراذل فان مثل هؤلاء نبدؤهم بالهدية لفقد العلة التى كرهنا البداءة بالهدية لها وأعرف كثيرا من أصحابى لا يقدرون على تحمل منة أحد فلذلك لا أبدؤهم قط بهدية وكثيرا ما أفرق ضيافة الاوز والدجاج وغير ذلك ولا أرسل لاحد منهم شيأ منهم سيدى شرف الدين بن الامير وسيدى أبو الفضل صهر الشيخ محمد الحنفى وسيدى شرف الدين الخطيب فانى أهديت لهم مرة فكافؤنى بنحو سبعين ضعفا فأسأل الله تعالى أن يزيدهم قناعة وعفة آمين فان قال قائل ان عدم طمع النفس فى ارسال الاخوان هدية متضمن لسوء الظن بهم ونسبتهم الى البخل قلنا ان سوء الظن بهم ونسبتهم الى البخل غير مقصود لنا مع ان الشارع صلى الله عليه وسلم قد ذم الطامع فيما بأيدى الخلق انتهى والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) زهدى فى المطاعم والملابس والنساء والفرش الوطيئة وكثرة الروائح الطيبة التى يشق علىّ تحصيلها من وجه حلال وقناعتى بالكسرة اليابسة من غير أدم ولا أرى نفسى أهلا لذلك ولا أرغب فى شئ من ذلك الآن كان بنية صالحة وكلما كبر سنى ازددت فى ذلك زهدا لانى فى معترك المنايا قد جاوزت الستين سنة وقد قالوا من أقبح ما يكون شيخ يتصبى وصبى يتمشيخ يعنى على من هو أكبر منه سنا وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علىّ ولذلك لم يقع لاحد أنه استرقنى قط ببر واحسان أبدا لزهدى فيما بيده قبل أن يأتينى ولما تزوجت ابنة سيدى مدين رضى الله عنهما وكانت من الجميلات المخدرات طلبت تشترط علىّ شروطا فقال لها وكيلى سيدى شرف الدين بن الامير هذا لا يدخل تحت الشروط لزهده فى الذهب والفضة والأطعمة وجميع ما تهواه النفس ثم قال لها ان كنتى تقدرين على ان تسدى بحر النيل أيام الوفاء من تجاه المقياس فأنت تقدرين على التحجير على فلان فرجعت عن الشروط ورضيت منى بدرهمين فى كل يوم وجبة فى الشتاء وقميص فى الصيف الى أن ماتت فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) ذكرى لمناقب جميع الحسدة والاعداء فى كتاب الطبقات مع شدة مبالغتهم فى ايذائى فبعضهم سعى فى قتلى مرات وبعضهم سعى فى اخراجى من مصر وبعضهم دس فى كتبى عقائد زائغة وأشاعها عنى فى مصر والحجاز وبعضهم افترى علىّ عند الباشا على أمورا لا ينبغى لمؤمن أن ينطق بها وغير ذلك مما سبق ذكره فى هذا الكتاب ومما أذكره لكثرته ومدار جميع الاذى الذى وقع لى طول عمرى من ثلاثة أنفس وجماعتهم وهم

معروفون فى البلد بين أصحابنا مع أن الثلاثة يكرهون بعضهم بعضا ولكنهم اجتمعوا على وصنفوا الىّ الاذى على صنوف وسائر أهل مصر بردوسلام وقد بالغت فى ذكر مناقب هؤلاء الثلاثة وذكرتهم بأحسن الذكر ضد ما فعلوا معى اظهارا لما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ من الحلم والصفح والمسامحة لكل من بالغ فى ايذائى ليتبعنى على ذلك من أراد التخلق باخلاق الرجال ولم أعلم أحدا سبقنى الى مثل ذلك بل المنقول عن غالب السابقين ان كل واحد يذكر عن الآخر الهجر والجرح باللسان والرقم بالبنان والكلام صفة المتكلم فالحمد لله الذى جعلنا ممن لا يقابل أحدا بالاذى ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح كما هو خلق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علىّ) مواظبتى أوائل دخولى فى محبة طريق القوم على ذكر الله تبارك وتعالى بلفظ الجلالة أربعا وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة عدد الانفاس الواقعة فى الثلثمائة وستين درجة وكنت أذكرها تارة فى مجلس واحد وتارة فى مجالس على نية أن الله تبارك وتعالى يبسطها على جميع الانفاس الواقعة فى الليل والنهار ليكون حكمى ان شاء الله تعالى حكم من لم يغفل عن الله عز وجل نفسا واحدا ولم أزل على ذلك حتى استحكم فىّ الحضور مع الله تبارك وتعالى فى أكثر أوقاتى فكانت لى كالمادة التى يستمد الانسان منها المراقبة لله عز وجل والحضور معه تبارك وتعالى طول عمره فان الذكر باللسان انما هو وسيلة لحضور القلب لانه يجلى القلب من الظلمات والادناس والرعونات المانعة من دخول حضرة الله تبارك وتعالى فاذا انجلى القلب كذلك صار لا يزال يستحضر فى نفسه انه بين يدى الله جل وعلا والله تبارك وتعالى ناظر اليه فهذا هو الذكر الحقيقى الدائم الذى تصل اليه الفقراء فى سلوكهم بالذكر والخلوة والرياضة فلا يحتاجون بعد ذلك الى ذكر اللسان انما ذكرهم به تطوع ليزينوا جوارحهم الظاهرة بالذكر أو ليقتدى بهم المريدون والا فمن كان يستحضر دائما ان الله يراه فمن أدبه الصمت والهمس قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا أى من شدة الهيبة والحضور مع الله تبارك وتعالى فعلم ان من لم يحصل له مادة الحضور مع الله تعالى كما ذكرنا فلا يقدر على تكليف نفسه الحضور على الدوام انما هو تارة وتارة بخلاف من حصل له المادة فانه لا يتكلف للحضور كما أنه لا يتكلف لدخول النفس وخروجه وقد أرشدت الاخ الشيخ يوسف الطهوانى الى هذا الذكر لما طلب منى الارشاد وذكر أنه حصل له أمارة الفتح وهو رسم الجلالة بالنور فى محل تصوره وحضوره ثم انتشر من الجلالة نور فملأ الافق أو أكثر من غير وجود شئ آخر معه هذا وهو ملاحظ للجلالة بعين الروح مع التلاوة لها باللسان حتى يتمكن تمكن الرجال وتنتفى عنه الخواطر والاكدار اذ الجلالة مصقلة تصقل قذى الاغيار عن وجوه الاسرار وقد أوضحنا ذلك فى رسالة خاصة فراجعها واعلم يا أخى انك لا تطيق تذكر الله تعالى فى بدايتك بعدد الانفاس مفرقة أبدا لاسيما ان كنت مشتغلا بعلم أو شئ آخر من العبادات أو الحرف والصنائع ثم اذا ذكرنا الله تعالى فى اليوم والليلة هذا العدد نرجو من فضل ربنا عز وجل أن يحشرنا مع من لم يغفل عن ذكر ربه نفسا واحدا وما ذلك على الله بعزيز لاننا أهدينا له هذا الذكر جملة واحدة أو جملا والصحيفة واحدة ويقع لى اذا اخترت الحالة الاغلبية التى عليها عامة الناس

دون حالة احاد القوم الذين يقرؤن القرآن فى نحو الدرجة من الرمل مثلا أننى أكرر لفظ الجلالة أربعا وعشرين ألف مرة فى خمسين درجة بشرط أن لا يتخلل المرات ذكر آخر أو كلام آخر ومن شاء فليعدها على سبحة أو حصى ومن شاء فليقلب المنكاب ويشتغل بالجلالة الى أن تمضى الخمسون درجة وان جعلت يا أخى هذا الورد حين تقوم من الليل الى طلوع الشمس أو من بعد صلاة العصر الى النوم كان حسنا لكون ذلك طرفى النهار وزلفا من الليل فعليك يا أخى بالمواظبة على ذكر الله عز وجل فانه لا يحسب لك من أعظم أسباب النعيم الاخروى من العمر الا وقت ذكرك لربك وما عدا ذلك فهو دون ذكرك لربك وأما المباح فالشخص حال فعله هو وأهل الموت سواء فان لم يتيسر لك مراعاة ساعاتك كالفقراء فاجعل لك ساعة فى الليل وساعة فى النهار تذكر الله تعالى فيها ليحيا بذلك قلبك من الموت أو الضعف الذى حصل له بأكل الشهوات والمعاصى واللغو والهذيانات وأقل مراتب من يحب أن يقال له رويجل أن يراعى أوقاته بالذكر كما يراعى الديك أو أم قويق أو الصرصار أو الناموسة فى سهرها فى الليل ويقبح على من يقول أنا من الصالحين أو العلماء العاملين أن يكون نائما كالجيفة وأم قويق أو الناموسة سهرانة تذكر ربها أو واقفة بين يديه فأسأل الله تعالى أن يلطف بنا أجمعين قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه فى كتاب نتائج الافكار وينبغى لمن يذكر الله تعالى بالجلالة أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء فان فتح الذاكر الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كان تلفظه بها حينئذ كتلفظه بكلمة هلا فلا تنتج له شيأ من الخصائص لانه تعالى ما هو مسمى بذلك الاسم اذ هو كلمة تحضيض كلوما ولولا ومن جملة خصائص الذاكر بالجلالة ان الذاكر يصير يدرك بذاته كما يدرك بالقوى الحسية ذوقا وما لم يحصل للذاكر ذلك فهو لم يحصل نتيجة هذا الذكر فالمتأكد عليه الزيادة منه ولا يستعجل على نفسه بل يدوم على الذكر حتى يسمع الناطق منه باذنه ويتحقق به من نفسه وبعد ذلك يكون كيفما كان من كلام أو سكوت أو فرق أو جمع لانه يصير مغمورا تحت الوارد لا يقدر على دفع الناطق فيه فى يقظة ولا نوم لا بقلبه ولا بلسانه قال وصورة الذكر بالجلالة أن يقول الله الله الله حتى ينقطع نفسه بتحقيق الهمزة وسكون الهاء وهكذا كل ذكر يذكر العبد به ربه عز وجل يجب أن لا يحرك آخره بل يسكنه ويحقق أوله ومن لم يذكر كذلك لا يجد لذكره نتيجة لان اسمه تعالى ما هو ذلك الاسم المصحف والمقصود الذكر باللفظ الصحيح ولو انه تصوره فى خياله على الصواب لا يفيد اذ اللفظ هو الدعاء والاجابة لا تكون الا ممن ينادى باسمه الصحيح وليس لله تبارك وتعالى اسم هلا مثلا اذا فتح الهاء ووصلها باللام بل ذلك اسم كون من الاكوان حتى ان الذاكر لو بدله فى لحن آخر وقصد به هذا المعنى الملفوظ به فى لسان العرب لا ينتج له شيأ اذ الانتاج انما هو لهذا التركيب الخاص فى الحروف قال ويتأكد أن يذكر الذاكر هذا الذكر على هيئة مخصوصة فى الجلوس لابد له منها وذلك أن يجلس كالمتحفز الذى حفزه أمر ما فلا يقعد متربعا أبدا بل مستوفزا على قدميه مائلا براسه نحو القبلة ومقعدته ناء عن الارض أو يقعد على وركه ورجله تحت مقعدته اليسرى وساقه اليمنى قائمة ملصقة بفخذه وفخذه قائمة أو يقعد مقعيا كاقعاء الاسد أو كهيئة جلوسه بين السجدتين فى الصلاة فهذه الهيآت كلها تعطى الذاكر جمعية الهمة فى ذكره قال وهذا كله

مادام يحس بنفسه فان أخذه عن حسه فى ذكره فلا يشترط فى جلوسه ما ذكرنا قال واعلم يا أخى انه ليس فى الاذكار أقرب ثمرة من هذا الذكر أعنى ذكر الجلالة ولا أوسع مددا منه فانه يعطى الذاكر العلم بأنه تعالى قابل لسائر المعتقدات من جميع الفرق الاسلامية حيث بذلوا جهدهم المعتبر فيصير يعرف الله تبارك وتعالى بها من سائر طرقها كشفا لا تقليدا وأما غيره من الاذكار فانه يعطى العلم ببعض المعتقدات كالاشعرية والماتريدية أو الحنابلة لا كلها قال ومن علامة الفتح على الذاكر بالجلالة أن يرى نشأته هى نشأة ذكره بأى لسان كان فيرى نفس صورته الظاهرة هى عين حروف ذكره المتصورة فى خياله من لفظه خاصة ان كان أميا وان لم يكن أميا فالغالب عليه تصور حروفه المرقومة فى اللوح المحفوظ وقد يجتمع لغير الامى نشأة حرف رقمه ولفظه فى اللوح فالامى يرى نشأته على حروف لفظه وغير الامى يراها على صورة رقمه وقد يجتمع لغير الامى نشأة حروف رقمه ولفظه يصورها له الخيال وهو الاغلب فتكون النتيجة بحسب صورة الذكر لا بصورة الذاكر قال ومن علامة من صار يذكر الله تعالى بالله لا بنفسه أن يحس بلسانه اذا ذكر الجلالة كأنه احترق فمن لم تكن له هذه العلامة فليس هو من أهل هذا المقام وانما هو يذكر الله بنفسه قال ولم أر لذلك أهلا فى عصرى انتهى فتأمل ذلك فانك لا تجده فى كتاب والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به على) كثرة تفويضى جميع أمورى الظاهرة والباطنة الى الله تبارك وتعالى وعدم اعتمادى على شئ من أعمالى دونه سواء كان تأليف كتاب أو بناء مسجد أو حفر بئر ونحو ذلك فلو جاء شخص من أعدائى ومزق ذلك التأليف أو غسله بعد تعبى فى تحريره سنين أو هدم المسجد أو ردم البئر وهدم حائطها ونحو ذلك لا أتأثر من أجل حظ نفسى لان الفعل بالاصالة لله تعالى والفضل له جل وعلا على جعلى آلة فيه وعبيده هم الذين أتلفوا ذلك بارادته تعالى لا أنا فلاى شئ أتغير وأتكدر وليس لى شئ من ذلك ثم بتقدير ان لى فى ذلك مدخلا فالعبد حين يهدى شيأ الى حضرة ربه تعالى من فضل ربه فقد رد الامانة الى أهلها فلا عليه بعد ذلك من شئ يعرض لها من حيث ما هى تتعلق به من قبولها أو ردها ولا من عمل الناس بها أو انتفاعهم بها أم لا ونظير ذلك ما اذا كذب قوم نبيهم فانه يكتب له أجر نيته موفرا لانه يود انهم لو كانوا آمنوا به وعملوا بكل ما جاءهم به فيعطيه الله تبارك وتعالى اجر أمنيته وهو ثواب مثل ثواب كل من كان عمل بشريعته لو هداه الله تعالى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول مرارا لمن رآه يؤلف كتابا احذر يا أخى ان تنسى الاخلاص فى تأليفك فان الثواب منوط به ومن لم يخلص فى عمله فلا ثواب له فيه وكان رحمه الله تعالى يقول كثيرا من شرط العبد أن لا يطلب على خدمته لسيده والعمل بما يأمره به ثوابا لان طالب الثواب انما هو أجير لا عبد ومن يعمل طلبا للاجرة الاخروية فحكمه حكم من يعمل الاعمال الدنيوية للاجرة الدنيوية على حد سواء وما عمل العبيد المخلصون جميع ما أمروا به الا امتثالا لامر الله تعالى وقياما بوظيفة العبودية وذلك لعدم ملكهم لشئ مع سيدهم فى الدارين فهم يفعلون كل ما أمرهم به سيدهم ويجتنبون كل ما نهاهم عنه ويأكلون ويشربون ويلبسون من ماله تبارك وتعالى فى الدارين فسواء أعطاهم شيأ أو منعهم لا يتكدرون لشهودهم انهم لا ملك

لهم معه تعالى كما تقدم بسطه مرارا فاعلم ذلك ترشد والله تبارك وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) عدم اتعاب سري في تحرير كتاب من مؤلفاتي الا بنية صالحة لا ليمدحني الناس عليه ويقولوا والله ما قصر فلان في تحريره هذا الكتاب ولعلمي أيضا بأن البشر ولو بالغ في كتابه وحرره أشد تحرير فلا بد من نسيانه شرطا للمسئلة مثلا في بعض الاوقات أو اطلاقه حكما في محل التفصيل قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولذلك قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه ما صنفت قط كتابا عن تدبير ولا عن روية انما أكتبه بحسب ما يلهمني الله تعالى على يد ملك الالهام وربما ذكرت مسئلة مع غير جنسها بحسب الالهام كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فانه تعالى ذكرها بين آيات طلاق وعدة تتقدمها وتتأخرها انتهى واعلم يا أخي ان السبب في كون البشر لا يسلم كلامه من التناقض غالبا عدم اليقظة الدائمة ووقوعه في الغفلة والسهو فما كل وقت يمكنه أن يستحضر جميع توابع تلك المسئلة وربما ترجح عنده في وقت ما لم يترجح عنده في وقت آخر وكان سيدي أحمد الزاهد رحمه الله تعالى يقول من الادب أن لا يجهد العبد في تحرير كتابه هروبا من مضاهاة كلام الله عز وجل ما أمكن وحتى يجد من بعده في كلامه ما يحتاج الى الحل مثلا فيشرحه أو يعمل عليه حاشية فمن فعل ذلك فهو أبعد من الزهو والعجب انتهى فاعلم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) جمعه تعالى في جميع هذه الاخلاق المذكورة في هذا الكتاب وقل أن تجتمع في مريد من مريدي هذا الزمان بل لا أعلم أحدا منهم تخلق بها غيري وهذا من أكبر نعم الله تبارك وتعالى علي ببركة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وأرجو من فضل الله تعالى دوام ذلك التخلق علي حتى ألقاه وأنا غير مخل بشيء منها وقد أعطاني الله تعالى أخلاقا عظيمة لو يؤذن لي في افشائها في هذه الدار فشكرته تبارك وتعالى عليها في نفسي ولم أبح بها لاحد في الدنيا مع ان جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من أخلاق المريدين لا العارفين كما تقدم بسطه في المقدمة ثم اذا تخلق الاخوان بها وكان في الاجل فسحة استأذنت ووضعت لهم شيأ من أخلاق كمل العارفين فاني لو ذكرتها لهم الآن لم يذوقوها وكان ينبهر عقل من يسمع بها ولم يقدر على التخلق بها واذا كان بعض العلماء يقول عن أخلاق المريدين لما رآها في هذا الكتاب هذه أمور لا يتخلق بها الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فماذا كان يقول لو رأى أخلاق كمل العارفين (وسمعت) سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول أخلاق الكمل على عدد أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم ورثته في الحال والقال كما أن أخلاقه صلى الله عليه وسلم على عدد أخلاق الله تعالى التي شرع لعباده التخلق بها فما تفاوت الكمل الا في صفاء المعاملة لا غير فاعلم ذلك ترشد والله يتولى هداك والحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي) اطلاعه تعالى لي في واقعة على ما تفضل به علي في الآخرة من حيث ثواب الاعمال وكان ذلك بمشهد من الانبياء والمرسلين لكن لم يكلمني منهم أحد غير موسى وعيسى وسليمان عليهم الصلاة والسلام ولو اني أخذت اذكر للاخوان جميع ما أعطاه

الله تعالى لي في الدنيا والآخرة لانبهرت عقول المصدقين لي وكذبني الاعداء والحسدة وقد أشار الى نحو ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الترمذي وغيره ان أدنى أهل الجنة منزلة من يعطى قدر الدنيا ومثلها معها وفي حديث أبي هريرة وعشرة أمثالها معها انتهى ومما أعطاني الله تبارك وتعالى في تلك الواقعة واذن لي في ذكره انه جعلني أحبه تعالى لا لعلة احسان ولا طلب ثواب في الدنيا ولا في الآخرة ومنها انه أشهرني بالعلم وحفظ القرآن في مصر وقراها وجعلني معدودا من جملة فقهاء الزمان ومنها اعطاؤه تعالى لي القناعة فأغناني بها عن الذل للملوك والامراء فمن حين أجد الكسرة اليابسة اكتفي بها الا لضرورة شرعية ومنها انه جعل الولاة من الملوك فمن دونهم يقبلون شفاعتي مع صغر سني وكثرة مخالفاتي فشفعت عند السلطان الغوري والسلطان طومان باي وخاير بك وغيرهم من باشات مصر فقبلوا شفاعتي وذلك معدود من جملة طاعة الملوك لي ومنها تخلقي بالعفو والصفح والحلم على كل من جنى علي وافترى علي باطلا وسعى في قتلي فلم يقع لي مقابلة لاحد منهم بسوء كما تقدم تقريره في هذه الخاتمة بل أرى لهم الفضل علي بذلك من حيث حصول الاجر والثواب والادمان ومنها انه تعالى شفعني في تلك الواقعة في كل من آذاني في دار الدنيا ولذلك كنت أبدأ به قبل من أحسن الي في دار الدنيا فسوف أشفع ان شاء الله تعالى يوم القيامة في جميع الاعداء والحاسدين ووجدت لذلك الامر حلاوة لا يقدر قدرها ومنها انه تعالى أطلعني في تلك الواقعة على دوري وبساتيني في الجنة وأحطت بها علما حتى كان ذلك يقظة ومنها شهودي ان ذلك كله من فضل الله تعالى علي من غير استحقاق ثم استيقظت من تلك الواقعة وأنا أنشد هذه الابيات

أحبكم لا لشيء في الوجود ولا * أرجو سواكم ولا أبغي بكم بدلا
يا سادة غمرونا من فضائلهم * وألبسوا ذاتنا التيجان والحللا
وصيرونا ملوكا تحت رقهم * حال القناعة وأغنونا بلا وبلا
وأخدمونا ملوكا تحت طاعتنا * لما خدمنا وقمنا في الدجى ذللا
وخلقونا باخلاق الاكابر من * عفو وصفح وحلم في الوجود ملا
وشفعونا يوم الحشر في ملا * من الاعادي وأغنوهم عن الخللا
واقطعونا من الجنات ما عجزت * عنه الملوك وأرخوا دوننا الكللا
والكل من فضلهم قدما لعبدهم * فعم جودهم الكونين واتصلا

انتهى وهذه الابيات متضمنة لما ذكرناه آنفا وانما كنا نشفع يوم القيامة في أعدائنا قبل غيرهم مسارعة الى زوال خجلهم منا لانهم اذا رأوا عظم مقام من كانوا يؤذونه ومرتبته عند الله تعالى خجلوا فلذلك كنا نبدأ بهم لنزيل خجلهم لما جبلنا الله تعالى عليه من الشفقة والرحمة لجميع الامة والله سبحانه وتعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومما من الله تبارك وتعالى به علي) شمي لروائح المعاصي من بدني وثيابي ومكاني اذا وقعت في معصية من معاصي أهل الطريق فأشم نتن كل معصية على حسب تفاوتها في القبح من كبائر وصغائر ومكروهات وأشم رائحة خلاف الاولى كأن في بدني أو ثيابي عفن واستحال وهذا كله من جملة نعم الله تعالى علي التي لا أستطيع القيام بشكرها فاني اذا شممت رائحة ثيابي

أو بدنى أو مكانى مننتنا اشرع فى الاستغفار والندم فلا زال أشم رائحة تلك الروائح حتى يقبل الله توبتى فاذا قبلها ذهبت تلك الروائح بفضل الله ورحمته وأكثر دوامها الى شهر فما دونه وهذا الخلق كان لمالك بن دينار وسفيان الثورى وسيدى على الخواص رضى الله تعالى عنهم ولم أجده ذائقا من أقرانى وقد كان مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه يقول والله لو أن الناس يشمون للمعاصى رائحة كما أشمها لما استطاع أحد منهم أن يجلس الى ساعة انتهى وكذلك مما من الله تبارك وتعالى به على شمى لرائحة المعاصى من غيرى ثم حجب ذلك عنى حتى انى كنت أعرف من عليه صلاة ممن ليس عليه صلاة فكنت أقول للانسان قم فصل فيتذكر ويقوم يصلى فالحمد لله رب العالمين

(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على) كثرة حلمه على وعدم معاجلتى بالعقوبة على ذنوبى التى جاوزت الحصر مع انى قد استحقيت خسف الارض بى والمسخ لصورتى لولا عفو الله تعالى وحلمه وامهاله وجميع ما خرجت به على الاقران الغير معينين فى هذا الكتاب كله من بعض صفاتى القبيحة فانى لولا ذقتها فى نفسى ما اهتديت لان أحذر أحدا عنها فلا تظن يا أخى انى أرى نفسى خيرا من أحد منهم معاذ الله ان أرى ذلك وبهذه النعمة يكون ختام كتاب لطائف المنن والاخلاق فى وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق وهى من أكبر ما من الله تبارك وتعالى به على بعد الاسلام والعافية ووجه مناسبة ختم الكتاب بها أن الوقوف على حد العجز والاعتماد على عفو الله تعالى محط رحال الاولين والآخرين فما من ولى لله عز وجل الا وهو يسأل الله تبارك وتعالى العفو والصفح عنه وفى الحديث لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله تعالى برحمة منه وقال بعض العارفين ينبغى لكل انسان أن يختم أعماله كلها بالاستغفار لقوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم انه لو صح لنا قبول استغفارنا لحصل لنا بعض طمأنينة لكن من أين لنا العلم بذلك فقد يكون حالنا كما قال القائل

اذا كان المحب قليل حظ • فما حسناته الا ذنوب

ومن تطرمنا الى كثرة احسانه تعالى الينا وعدم معاجلته لنا فى العقوبة ليلا ونهارا مع قلة حيائنا منه أو عدمها بالكلية خاف ضرورة فانى والله ثم والله لا أتعقل ان أحدا من أهل الايمان منذ خلق الله تعالى الدنيا الى أن يفنيها أقل حياء ولا أكثر جراءة منى على الاطلاق ومن ذاق هذا المشهد فى نفسه ذاب قلبه وجسمه من شدة الخجل من الله عز وجل لو لم يكن الا ما يقع فيه العاصى من شدة حيائه من العباد دون الله عز وجل فلا تكاد تراه يعصى الله تبارك وتعالى بحضرة من يخشاه من عباده أبدا ثم انه يجاهر ربه جل وعلا بالمعاصى وهو فى حضرته من غير حجاب ولا يشعر بذلك فأعظم من الذنب كونه لا يستحى منه جل وعلا ولو أنه حقق النظر فى حاله لوجد نفسه قد كفر بالله عز وجل من حيث انه راعى عباده واستهان بمراعاته تعالى وكثيرا ما يقع لى أن أقول فى سجودى فى صلاة الليل اللهم ان كنت صادقا فى شهودى انى أكثر عبادك كلهم مخالفة لامرك فاغفر لى وكثيرا ما أسكت ولا أنطق بشئ من ذلك من شدة الخجل بل أمثل نفسى واقفا خلف جميع العصاة من المسلمين الماضين واللاحقين منكس الرأس

انتظر

انتظر من فضله انه يعفو عن أحد من خلقه فاستبشر بذلك وأقول لعله يفيض عنه شئ من المغفرة فيناالنى منه نصيب وكثيرا ما أقول بحق وصدق اللهم ان ذنوبى قد رجحت على ذنوب الاولين والآخرين من المسلمين ولكنها فى جنب عفوك كلا شئ وكثيرا ما أتخلف عن الدعاء بين يدى الله عز وجل مع الناس فى الاستسقاء خوفا من أن الله تعالى يردهم من غير اسقاء لاجلى فلذلك كنت أترك الوقوف معهم رحمة باخوانى لا لعلة أخرى وكثيرا ما أقول اللهم انى أعترف بين يديك بانى أكثر عبادك المسلمين معصية فأكثر لى من المغفرة فى الآخرة فان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه خزى الدنيا وعذاب الآخرة وكثيرا ما أرى ذنوبى كالجبال الرواسى فى الارض واجد ذنوب جميع الخلق كالذر الطائر فى الهواء وكثيرا ما أعتقد أن جميع البلايا النازلة على مصر وقراها انما نزلت بسبب ذنوبى وحدى لا أتعقل غير ذلك أبدا فاصير أخص فى الليل كالطير المذبوح وبدنى كأنه ذائب من شدة النار أو السم وقد تقدم فى مقدمة الكتاب قول شيخ مشايخ الطريق أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه لا يبلغ أحد مقام الشكر لربه عز وجل حتى يرى نفسه انها قد استحقت الخسف وانها ليست بأهل ان تنالها رحمة الله عز وجل انما رحمة الله لها من باب الفضل والمنة وتأمل يا أخى فى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وقوله رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين تعثر على ما ذكرناه فى قصدنا ختام هذا الكتاب بهذه المنة فانه صلى الله عليه وسلم ذكر ما أنعم الله تعالى به عليه حال الصحة فى الابتداء قياما بواجب الشكر لربه عز وجل ثم تواضع آخر عمره لربه عز وجل وخاف من تغييره تعالى عليه ذلك الحال من حضرة الاطلاق التى يفعل الحق تعالى منها ما يشاء من غير تحجير والا فالمعصوم المحبوب لا يخاف على نفسه من تغيير الحال عليه فلذلك سأل ربه عز وجل أن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتأمل يا أخى اذا كان هذا حال المعصوم الذى لا يصح فى حقه أن يموت على غير الاسلام قطعا فكيف بامثالنا وقد درج الاكابر كلهم من الانبياء والصالحين على هضم نفوسهم بين يدى الله عز وجل مع مبالغتهم فى طاعته التى لا يستطيعها أحد من الخلق لاسيما عند خوف الجفا لهم من هذه الدار ولكل وقت مقال كما ان اللائق بالعاصى منا أو الفقير اذا دعا ربه ان يقول يا غفار يا غنى اغفر لى وارزقنى دون ان يقول يا جبار يا منتقم يا مانع وان كان كل اسم من أسماء الله تعالى يفعل فعل اخوانه لسعة اطلاق الحق جل وعلا فافهم ومثل ذلك قول العلماء ان الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة ولو انك سألت أحدهم عند طلوع روحه ان يشتغل بالعلم لا يجد فى قلبه داعية لذلك بخلاف قولك له قل لا اله الا الله أو قل استغفر الله من كل ذنب يعلمه الله فانه يجد ذلك خفيفا على قلبه فعلم مما قررناه أن قولى أول هذه المنة انى قد استحقيت الخسف بى والمسخ لصورتى ليس هو من باب التواضع وهضم النفس وانما قلت ذلك بحق وصدق فان الله تعالى قد خسف الارض بقوم كانت ذنوبهم دون ذنوبى بيقين وقد روى الامام أحمد والبزار مرفوعا بينما رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين أخضرين يختال فيهما اذ أمر الله تعالى الارض فأخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه

اذ خسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال ابن عباس وكان ذلك
بزقاق أبى لهب بمكة وممن رآه حين خسف به العباس رضى الله تعالى عنه وروى البزار
ورواته رواة الصحيح كما قاله الحافظ المنذرى مرفوعا ان رجلا كان فى حلة حمراء يتبختر
أو يختال فيها فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروى الترمذى
وغيره مرفوعا يبيت قوم من هذه الامة على لهو ولعب فيصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير
وفى رواية للترمذى يبيت قوم على لهو ولعب فبينما هم كذلك اذ خسف الله تعالى بأولهم وآخرهم
وفى رواية لاحمد والبيهقى مرفوعا يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا
وقد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة
بدار فلان وليرسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى
دور وليرسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر
ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وروى البخارى تعليقا وأبو
داود ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير يمسخ منهم قردة وخنازير الى يوم القيامة
انتهى فانظر يا أخى الى هذه الامور التى وقع بأهلها الخسف تجدها دون ذنوبنا يقينا فكم تنظر
أحدنا لى عطفيه لما لبس ثوبا جديدا أو مضربة جديدة وكم نظر الى عمامته بعد ان عممها على
رأسه وكم نظر الى تبختره فى مشيته رافعا نفسه على اقرانه وكم يبيت على ضحك ولعب ولهو وكم وكم
وكم وقد نقل ابن الجوزى رحمه الله أنه وقع فى أيام الخليفة المطيع لله بمصر زلازل عظيمة حتى
خربت عدة بلاد وسكن الناس الصحراء ووردت أيضا محاضر شرعية ان الله تعالى خسف
بأرض الرى بمائة وخمسين قرية وصارت كلها نارا وتقطعت الارض وخرج منها دخان
وقذفت الارض جميع ما فيها حتى عظام الموتى من القبور انتهى ووقع ببلاد تبريز العجم زلزلة
مات فيها تحت الهدم نحو مائة ألف انسان ولبس الناس المسوح وصاروا يجأرون الى الله
عز وجل ووقع ببلاد خراسان من السماء قطعة حديد نحو مائة قنطار ولها دوى أسقطت
الحوامل وفى أيام الملك الظاهر أبو الفتوحات خسف الله تعالى بسبع جزائر من البحر بأهلها
بنواحى عكا بعد ان أمطرت السماء دما سبعة أيام ولم يزل يبلغنا الخسف ببلاد وجبال فى الروم
والعراق الى عصرنا هذا مع صغر ذنوب أهلها وقلة عددها فكيف لا يخاف من جعل الله تعالى
علامات القيامة على كاهله فى هذا الزمان نسأل الله اللطف وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه
الله تعالى يقول لا يستبعد وقوع الخسف به فى هذا الزمان الا كل جاهل بمؤاخذات الله تعالى
مغرور بحلم الله تعالى انتهى وسمعته يقول كثيرا لو أن أحدنا كان معه شئ من الادب مع الله
تعالى والحياء منه لوجد ذنوبه كالجبال ولو أن الله تعالى خسف بجميع أهل الارض لاجلها
لكان ذلك يسيرا وسمعت أخى أفضل الدين يقول والله لو ان ذنوبى قسمت على جميع أهل
الارض لوسعتهم واستحقوا بها الخسف والهلاك فكيف بمن يحملها وحده ولكن سبحان من
سبقت رحمته غضبه انتهى ويؤيد ما ذكره أخى المذكور ما فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجم امرأة من جهينة فى الزنا ثم صلى عليها حين ماتت فقال له عمر رضى الله عنه تصلى
عليها يا رسول الله وقد زنت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين

من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل يعنى فى قولها
يا رسول الله انى أصبت حدا فأقمه على كما ذكره مسلم فى أول الحديث ويؤيده أيضا قوله صلى
الله عليه وسلم فى ماعز لما رجمه لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الارض لوسعتهم انتهى أى فكما
ان توبة شخص واحد تسع أهل الارض من حيث الرحمة التى نزلت عليه فكذلك القول
فى معصية الشخص الواحد ربما تكون بالقياس على التوبة لو قسمت تلك المعصية أى اثمها
وعقوبتها على أهل الارض لوسعتهم وكفتهم فى المقت والشر كما يؤيد ذلك ما رواه البخارى
مرفوعا اذا مات العبد الفاجر استراحت منه العباد والبلاد والشجر والدواب انتهى ومعلوم
انها لا تستريح منه الا لما يصيبها من البلاء بواسطة أعماله وايضاح ذلك ان كل من أطاع الله
عز وجل فقد أحسن الى جميع الخلق ومن أساء فقد تسبب فى البلاء ونزوله على جميع الخلق
بقرينة ان الله تعالى خسف بمدينة عظيمة فى بنى اسرائيل بذنب رجل واحد وبقرينة قوله صلى
الله عليه وسلم اذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح ومن هنا قالوا الرحمة خاصة والبلاء
عام لكن هنا تدقيق فى بيان حكمة ذلك وهو أنه لو نزل البلاء على العاصى وحده لذهب أثر العصاة
من الارض فى لحظة ولكنه فرقه على الخلق رحمة بالعاصى حتى لا يناله من العقوبة الا كآحاد
الناس من باب سبق رحمته تعالى غضبه وأما المطيع فينزل عليه أكثر الرحمة لكونه محبوبا لله
فلا يكاد يصل الى غيره من الرحمة الا اليسير فلما رأى الناس ذلك قالوا الرحمة خاصة والحال انها
تنتشر فى جيران الطائع وأهل بلده أو اقليمه بحسب قوة عزمه أو ضعفه فافهم فان هذا المعنى
لعلك ما طرق سمعك قبل ذلك ثم ان هذا المقام الذى ذكرناه من شهود العبد من باب التواضع ان
كل بلاء نزل على بلده أو اقليمه بسبب ذنوبه هو دون الناس ليس هو لكل فقير انما هو لافراد من
الناس وبقيتهم لا يهتدى لشهود مثل ذلك بل ربما سمع بعض الناس يقول فى حقه لولا وجودكم
فى هذه البلدة لكان حل بها الدمار فيفرح بذلك كما يفرح اذا سمع أحدا يقول فلان رحمة على
الناس فى بلده وان كل خير نزل عليها فانما هو بسبب اقامته بها وهذا من أكبر الغرور وممن
أدركته على قدم الخوف من أهل هذا المقام شيخنا شيخ الاسلام زكريا وسيدى على النبتيتى
الضرير وتلميذه الشيخ على البحيرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح فكان كل واحد من هؤلاء اذا
نزل ببلاده شئ من البلاء يصير يتمرغ فى الارض ويفحص كالطير المذبوح ويقول كل هذا
بشؤمى لكونى نازلا عندهم ولو أخرجونى من بلدهم لما نزل عليهم بلاء فكانوا لا يعقلون الان
كل بلاء نزل على بلادهم بذنوبهم وان ذنوب الناس كلها مغفورة حتى يكاد جسم أحدهم
يذوب من الخجل والحياء من الله عز وجل وقد زرت مرة سيدى عليا البحيرى لما نزل فى الحسينية
خارج مصر فكاد يذوب من الحياء وصار يوبخ نفسه الى ان مات ويقول كل قليل يا فضيحتك
يا على يوم القيامة حين تظهر مساويك للناس الذين كانوا يعتقدون فيك الصلاح فى دار الدنيا
ويمشون الى زيارتك فلم أزره بعد ذلك رحمة به حتى مات وصاحب هذا المشهد لا يصير له رأس
ترفع بين الناس بل يستحى ان يجالس أحدا من المسلمين لا سيما فى الولائم والمحافل ومن منذ
تحققت به ما قدرت على انى أحضر وليمة ولا مجمعا فيه العلماء والاكابر أبدا وان قدر انى حضرت
متكلفا أصير أشهد نفسى كالذى كبسوه بجارية مثلا وسخموا وجهه بالسواد وأعروه من

الثياب وأوقفوه مكشوف السوأة الظاهرة والباطنة وأود أن الله تعالى يخسف بي الارض حتى استريح من شماتة الاعداء فى لاسيما ان بالغ أهل ذلك المجلس فى تعظيمى فكلما زيد فى تعظيمى كلما اشتد حيائى من الله تعالى وكل من ذاق هذا عذرنى فى عدم حضورى الولائم والمحافل وسمعت أخى أفضل الدين يقول والله انى لاأترك مجالسة الناس الامن شدة الحياء منهم لاسيما العلماء والصالحين فانى أرى نفسى بين يديهم كاليهودى بين يدى شيخ الاسلام انتهى وقد ذقت أنا بحمد الله هذا المقام ورانه عنه وعن شيخ الاسلام زكريا ونحوهما فلا أتعقل الآن بلاء ينزل على مصر وقراها الابسبب ذنوبى وحدى دون ذنوب الناس فأصير استغفر الله فى حق جميع الناس الذين أصابهم ذلك البلاء لكونه بواسطتى وأحس برأسى كأنه قدر يغلى على النار وبدنى كأنه يشرب رطلا من السم واصطلم عن احساسى مرات كأنى أموت موتات ولا يشعر بذلك جليسى فالحمد لله على ذلك وقد قدمنا فى هذه المنن ان سيدى عبد العزيز الديرينى قال لمن طلب منه كرامة ياولدى وهل تم لعبد العزيز فى هذا الزمان كرامة أعظم من ان الله تعالى يمسك به الارض اذا مشى أوجلس عليها ولا يخسفها به ثم قال والله ياولدى ما أرفع قدمى وأضعه على الارض واجدها ثابتة تحتى وفى عينى قطرة انتهى ودخلت مرة مع أخى أفضل الدين على شيخ من مشايخ العصر فدعا له أخى أفضل الدين بان الله تعالى يتوب عليه ويميته على الاسلام ولا يخسف به الارض بذنوبه فتمعر وجه ذلك الشيخ وجماعته واستبعدوا ان مثل الشيخ يستحق الخسف فقال أخى أفضل الدين هؤلاء مغرورون مفتونون يرون انهم مستغنون عن التوبة ولا يستحقون الخسف بهم ثم منعنى من زيارته فلم أزره حتى مات وقد تقدم أيضا فى هذه المنن ان مالك بن دينار رضى الله عنه كان اذا مرت عليه سحابة وهو يملى الحديث يتغير وجهه ويقطع الحديث ويقول اصبروا فانى أخاف أن يكون فى هذه السحابة حجارة ترجمنا بها لسوء فعالنا وقبيح زلاتنا وطلبوه مرة للخروج معهم للاستسقاء فقال ان أهل البصرة يستبطؤن المطر وأنا استبطئ الحجر ولم يخرج معهم وقال أخاف أن لا يسقوا من أجلى وكذلك تقدم عن معروف الكرخى رضى الله عنه انه كان يقول اشتهى ان أموت ببلاد غير بغداد فقيل له ولم ذلك فقال أخاف أن لا يقبلنى قبرى فافتضح ويسىء الناس ظنهم بأمثالى وكان يقول انى لانظر الى أنفى فى اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود وجهى لسوء ما أتعاطاه من قلة الحيا مع الله عز وجل وكانت المرآة فى رأسه لا يفارقها لينظر كل قليل فيها الى وجهه كل ذلك من شدة الخوف من الله تعالى وشهودهم انهم استحقوا مثل ذلك لا قنوطا من رحمة الله عز وجل بل هم طالبون رحمة الله راجون لها مستغفرون الله عز وجل راجون القبول فافهم ثم ان هذا الذى ذكرته لك عن مالك بن دينار وعن معروف الكرخى وعن سيدى عبد العزيز الديرينى ونحوهم رضى الله عنهم هو شرح حالى بحمد الله تعالى ووالله ثم والله ثم والله ما أرى جميع ما أنا فيه من مسمى الطاعات والكرامات الا كالاستدراج وان وقع لى انى سررت بذلك من حيث كونه من فضل الله على أعقب ذلك بالاستغفار حتى كأن طاعاتى سيآت لسوء ما يقع منى فيها من قلة الخشوع المطلوب وقلة الحياء وقلة الادب وقد كان الحسن البصرى يحلف بالله ويقول والله لو حلف حالف بالله عز وجل وقال ان أعمال الحسن أعمال من لا يؤمن بيوم القيامة لقلت له صدقت لا تكفر عن

يمينك انتهى ومن المشهور ان سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه كان يقول قدمى هذا على عنق كل ولى لله عز وجل من باب التحدث بالنعمة ثم انه لما حضرته الوفاة قال ليت أمى لم تلدنى وكان تحت رأسه مخدة فقال أزيلوا خدى عن هذه المخدة وضعوه على التراب لعل الله تعالى يرى ذلى فيرحمنى ثم قال هذا هو الحق الذى كنا عنه فى حجاب هكذا نقله عنه الشيخ محيى الدين فى الفتوحات فكان فى ختامى لهذا الكتاب بهذه المنة نوع من التأسى بالانبياء والاولياء أواخر أعمارهم وقد بلغنا عن الامام الاعظم محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه انه كان ينشد حال صحته ويقول

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد
واشجع فى الوغى من كل ليث * وآل مهلب وأبى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربى * حسبت الناس كلهم عبيد

يعنى بالناس أبناء الدنيا الذين يحبونها بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبدى فقال ولم ذلك فقال لانك عبد للدنيا والدنيا خادمة لى انتهى فهذا تأويل قول الامام رضى الله عنه ثم انه لما دنت وفاته دخل عليه الربيع رضى الله عنه فقال له كيف حالك يا أبا عبد الله فقال ما حال من أصبح من الدنيا راحلا ولاهلها مفارقا ولكأس الموت ذائقا ولسوء عمله ملاقيا انتهى وقد قدمنا فى هذه المنن مرارا أنه ينبغى أن يكون للمؤمن دائما عينان عين ينظر بها الى استحقاقه للعقوبة من الله على ما ارتكب من المعاصى وعلى ما قصر فى الطاعات وعين ينظر بها الى ما أعطاه الله وتفضل عليه من مسمى الطاعة والاخلاق الحسنة وانشراح صدره لذلك ليشكر ربه على ما أعطاه ويستغفره مما جناه الى طلوع روحه فانه لولا فضل الله عليه لجعله لا ينشرح قط لطاعة ولا لان يقف بين يدى الله تعالى فيها كما عليه أهل الطرد عن حضرة الله عز وجل وقد درج السلف الصالح كلهم على الخوف من سوء الخاتمة فنسأل الله من فضله بحق محمد صلى الله عليه وسلم ان يسترفضائحنا فى الدارين ولا يؤاخذنا بسوء أفعالنا ولا يسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا وان ينبت لنا الزرع وان يدر لنا الضرع ويلطف بنا فى سائر حركاتنا وسكناتنا انه ولى ذلك والقادر عليه آمين اللهم آمين فان ولاتنا فى هذا الزمان قد تحكموا فينا بسوء أعمالنا ونياتنا والامر فى زيادة لنا ولهم واذا كان الشاخص اعوج فظله أعوج لا يصح استقامته ونحن الشاخص وولاتنا ظلنا ولا عكس أدبا مع حكامنا الذين ملكهم الله رقابنا فى دولة الظاهر والباطن فرحم الله من نظر هذا النظر وتأمل فى جميع الاخلاق التى رقمناها فى هذا الكتاب فمن رأى نفسه متخلقة به فليشكر الله ومن رآها متجردة عنه فليستغفر الله كما مر بيانه فى الخطبة فانها كلها اخلاق محمدية لا أعلم ان فيها خلقا واحدا خارجا عن الشريعة وها هى كلها بين يديك ومن تخلق بها كلها ولو صورة كان من صدور أهل السنة والجماعة ومن لم يلقبه بذلك فقد ظلمه فاياك يا أخى أن يقوم بك داء الحسد أو حجاب المعاصرة فتنظر فى اخلاق هذا الكتاب ولا تتخلق منها بشئ فانك تخسر فى الدارين ولا أعلم أحدا من فقراء عصرى ذكر شيأ منها فى رسالة حتى أدلك على مطالعتها وسوف تشكرنى يا أخى عند نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان عملت بها فانى كنت المترجم لك عنها وأنا أسأل بالله عز وجل كل ناظر فى هذا الكتاب ان يصلح

كل ماير اه يفهم خلاف الصواب مساعدة لى على ماقصدته من الخير للمسلمين أوارجو من مدد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحمى هذا الكتاب من كل عدو وحاسد يدس فى فواصله
أوغضونه مايخالف ظاهر الشريعة لينفر الناس عن المطالعة فيه كما فعلوا فى كتابى المسمى بالبحر
المورود فى المواثيق والعهود وفى مقدمة كتابى المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة فان
أمرهم بالتخلق باخلاق هذا الكتاب أشد عليهم من ضرب السيوف لصعوبة مراقيها عليهم من
غير أن يتلمذوا الشيخ أولكثرة اعجابهم بنفوسهم اذا تلمذوا مع انها من جملة اخلاق المريدين دون
العارفين كما مر بيانه فى خطبة الكتاب فاعلموا ذلك أيها الاخوان وأشيعوه بقصد صيانة الناس
عن الوقوع فى عرضى بغيرحق وانما أخبرت الاخوان بالدس المذكور فى كتبى لانى فى أواخر
عمرى حين بلغ زمان الرياضة للنفس حده فلذلك لم أخبر أصحابى بالدس أول ماعلمت به مع انى
سامحت كل من استغابنى من المتهورين فى دينهم الذين لم يقم عندهم بذلك بينة ولامنهم أحد
اجتمع بى الى وقتى هذا كما مر بسطه فى الباب الرابع من هذا الكتاب فالحمد لله رب العالمين
وليكن ذلك آخر الكتاب المسمى بلطائف المنن والاخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله
على الاطلاق وقدجاء بحمد الله كتابا نافعا لعموم الخلق من العامة والمريدين مرقوما على
أسلوب غريب لم أعلم أحدا سبقنى الى وضع مثله من المتقدمين والمتأخرين وجميع ماذكرته
فيه من النعم والمنن بالنسبة لما لم أذكره كقطرة من البحر المحيط كما انى لوذكرت كل مامن الله تعالى
به على من اخلاق المريدين كان كقطرة من بحر اخلاق العارفين كما ان جميع اخلاق العارفين
كقطرة من بحر اخلاق الانبياء والمرسلين قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها فلذلك
تركت كثيرا من النعم التى لم يؤذن لى فى افشائها العدم من سبق فى علم الله تعالى انه يتخلق بها على
يدنا وقد قدمت لك يا أخى فى مقدمة الكتاب انى ماصرحت لك بالامور التى كان الاولى بنا
سترها فى هذه الدار الارجاء بك لتقتدى بنا فى ذلك ولاتتعلل بقولك حتى أجد أحدا يتخلق بها قبلى
فأتبعه فها أنا قد أعلمتك بانى قد تخلقت بها فاتبعنى ومابقى لك عذر وكذلك ماذكرت لك
فى الباب الثانى كثرة ماتحملته من الاذى وعدم مقابلة الناس الا لتقتدى بى والله على ماأقول
شهيد والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ منه على يد مؤلفه ومنشيه عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى
الشافعى فى مستهل ربيع الاول سنة ستين وتسعمائة بمصر المحروسة
حامدا مصليا مسلما مستغفرا من كل ذنب فعلته الى وقتى هذا
استغفار عبد ظالم لنفسه معترف بذنبه مستشفعا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبول
توبته وموته على الشهادتين آمين
اللهم آمين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

(خاتمة الكتاب)

بعد حمد الله واهب المنن والصلاة والسلام على المبعوث بخير سنن يقول راجى غفران الاوزار
ابراهيم الدسوقى عبد الغفار مصحح دار الطباعة وفقه الله لوجوه الطاعة تم بعون المطلع على
مابطن طبع كتاب المنن للقطب الربانى والمعدن الصمدانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى
بدار الطباعة الباهرة الزاهية الزاهرة المتوفرة دواعى شهرتها المشرقة أنوار نضرتها
فى ظل من تعطرت بطيب ثنائه الافواه وبلغ من كل وصف جميل غايته ومنتهاه حيث نشر ألوية
العدل بعد طيها وطهر نفوس رعاياه من جهلها وغيها ومحا ظلم الظلم بسنا صورته القمريه
وأثبت مراسم العدل بحسن سيرته العمريه وأسبل على أهل مملكته غيوث انعامه واحسانه
وشملهم بعظيم رأفته ومزيد حنانه وبسط لهم بساط عدله وحلاهم بحلى جوده وفضله
فأزرى كرمه بفيض النيل جناب الخديوى اسمعيل
لازال فى عون الاله وحفظه * متمتعا بسروره وبحظه
ولابرحت مصريه مشيدة الدعائم وبانجاله مؤيدة العزائم خصوصا أكبر انجاله وأرشد
اشباله الوزير الشهير والنبيل الاصيل صاحب المعارف المشهوره والعوارف المشكوره
من هو بأحاسن الاثنية حقيق سعادة محمد باشا توفيق لازالت الايام مضيئة بشمس علاه
والليالى منيرة ببدر حلاه وكان طبعه اللطيف وتمثيله الظريف مشمولا بادارة مدير المصلحتين
المطبعة والكاغدخانه سعادة البيك حسين ونظارة وكيله السالك جادة سبيله من لم يزل لثمرة
ذكائه يجنى حضرة محمد أفندى حسنى وملاحظة ذى الرأى المسدد حضرة
أبى العينين أفندى أحمد وقد وافق تمام طبعه وكمال تمثيله وصنعه
أواسط شهر شعبان المعظم التالى لشهر رجب الاصم
من شهور سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف من
هجرة من كان يرى من الامام يرى من
الخلف صلى الله وسلم عليه وعلى
آله وكل منتسب اليه
مافاح مسك ختام
ولاح بدر
تمام
تم

